مواقف المعارضة

في عهد يزيد بن معاوية (٦٠-٦٤هـ)

البيعة - معارضة الحسين بن علي - معركة كربلاء
معركة الحرة - معارضة عبد الله بن الزبير - حريق الكعبة

تأليف
د. محمد بن عبد الهادي بن رزَّان الشيباني

هذا الكتاب في الأصل رسالة ماجستير مقدمة إلى قسم: التاريخ الإسلامي بكلية الدعوة وأصول الدين في الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، وكانت بإشراف أ.د/ أكرم ضياء العمري، ونوقشت بتاريخ ١٣/ ٧/ ١٤١٣هـ، وأجيزت بتقدير ممتاز.

مواقف المعارضة
في عهد يزيد بن معاوية

فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر

الشيباني ، محمد عبدالهادي

مواقف المعارضة في عهد يزيد بن معاوية ٦٠هـ - ٦٤ هـ

محمد عبدالهادي الشيباني - ط٢ - الرياض ، ١٤٢٩هـ

٥٦٧ص ؛ ١٧ x ٢٤سم

ردمك: ١ _ ٢ _ ٩٩٩٨ _ ٩٩٦٠ _ ٩٧٨

١- يزيد بن معاوية بن أبي سفيان ، ت ٦٤ هـ ٢ - التاريخ الإسلامي ٣ - الدولة الأموية - تأسيس أ - العنوان

ديوي: ٩٥٣,٣٢ ١٤٢٩ / ٦٦٣٤

رقم الإيداع: ١٤٢٩/٦٦٣٤

ردمك: ١ _ ٢ _ ٩٩٩٨ _ ٩٩٦٠ _ ٩٧٨

الطبعة الثانية

١٤٣٠هـ - ٢٠٠٩م

دار طيبة للنشر والتوزيع

المملكة العربية السعودية - الرياض - السويدي

ش. السويدي العام - غرب النفق - ص. ب ٧٦١٢

الرمز البريدي ١١٤٧٢ هاتف ٤٢٥٣٧٣٧ (٦ خطوط) فاكس ٤٢٥٨٢٧٧

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله وحده، والصلاة والسلام على من لا نبي بعده، وعلى آله وصحبه وسلم.

مقدمة الطبعة الثانية

تاريخ المسلمين مثل غيره من تواريخ الأمم والشعوب؛ يتأثر ببعض المنعطفات المهمة، والحوادث الخطيرة التي تشكل مسارًا في تحديد المستقبل، كما أنها تطبع مسيرة الأمة أو الشعب بطابع لا ينفك أحيانًا مع تعاقب السنين ودورة الحياة.

لقد كان اغتيال خليفة المسلمين الثالث – عثمان بن عفان ﷺ – وسط الصحابة، وبطريقة ماكرة أمام ذهول المسلمين، وما جرى من الفرقة والقتال بعد ذلك؛ كانت إيذانًا بعدم الاجتماع، وبتغلُّب صاحب القوة والشوكة دون النظر في أفضيلته وأحقيته بالأمر.

لقد ودَّع المسلمون – إلى أن يشاء الله- بعد استشهاد عثمان ﷺ سلاسة وسهولة اختيار الخليفة، وأصبح الإجماع، أو شبه الإجماع على اختيار المرشح أمرًا بعيد المنال.

إن الاحتكام إلى السيف بعد اغتيال الخليفة أوجد ثقافة جديدة، لا مناص من إنكارها أو تجاهلها، وكل ما نتج بعد ذلك من أحداث هو نتيجة طبيعية لتلك الفاجعة التي حلَّت بالمسلمين في المدينة.

لعلَّ من تبسيط الأمور وتناولها بشكل مغلوط تحميل معاوية ﷺ أو أي أحد من الخلفاء بعد ذلك تغيير مسار التاريخ السياسي للأمة، ونتجاهل بعمد أو بجهل نتائج معارك الجمل وصِفِّين والنَّهروان، وبروز فرق لا ترى الصواب إلا معها دون غيرها؛ مثل الخوارج والشيعة، وبروز تيار لا يؤمن إلا بحقه السياسي والعقائدي فقط، وإلزام الأمة كلها بفكره القائم على تخوين كل الصحابة ﷺ والثأر والقتل والانتقام وحب التشفي – حتى ولو كان ذلك باستخراج جثث الأموات وحرقها- لعلَّ ذلك يريح النفوس المشبعة بما يعتلج فيها من شحن طوال السنين.

في ظل ذلك المسار كانت ولاية معاوية ﷺ، ثم ولاية العهد لابنه يزيد، وما جرى بعد ذلك من أحداث دامية شكَّلت نسَقًا فاصلًا في تاريخ هذه الأمة، وكانت جائزة لا تُقدَّر بثمن لطوائف قهرها الإسلام بعدله ورحمته، وأخرسها الصحابة ببساطتهم وصدقهم ووفائهم وزهدهم، مقارنة بوحشية وإجرام الفاتحين عبر مرِّ التاريخ.

لا يمكن أن نمحو الأخطاء والتجاوزات من تاريخنا الأول، ولكن في الوقت نفسه نرفض الأكاذيب المحبوكة، والقصص الموجهة لهدف لا يخفى على اللبيب؛ القصد كله من وراء ذلك الإمعان في التشويه، وتبرير الخطأ وتسويقه حتى يتم الحصول على المقصود، ويتحقق الحلم المنشود للحاقدين.

قيلَ الكثير عن عداء الأمويين للعلويين، ومردُّ ذلك كله – على حسب زعمهم- هو كره الإسلام وبغضه، ونبشوا عبر الجاهلية ما يؤيد تلك المزاعم،

ولو حُكِّم العقل، وتخلَّت النفوس عن الحقد وما يجرُّه من تجنٍّ على الآخرين، لعرفوا أن الله جلَّ شأنُه أرسل رسوله للخلق كافة، وأن النسب والقربى ليس لها مجال في دين الله، وأن تمايز الناس إنما هو بالعمل والتقوى، وليس بالقرب من الرسول ﷺ فقط، وأن ما تعرَّض له العلويون من القتل والسجن والتشريد على يد أبناء عمومتهم العباسيين أضعاف أضعاف ما وجدوه من الأُمويين، فهل يا ترى نقول: إن العباسيين كذلك كانوا مُبغضين للإسلام وكفارًا؟!

إن ما يجري في بلدان عديدة هذه الأيام من رفع للرايات المطالبة بالثأر للأخيار المظلومين، والانتقام من الأحفاد المزعومين، يسير في ترابط التاريخ، وإن مقولة: «التاريخ يعيد نفسه» لها من الصحة نصيب إذا وجَّهناها إلى أن الناس هم الذين يعيدون التاريخ؛ لأن التاريخ زمانٌ جامدٌ لا يمكن أن يعود، ولكن النفوس التي تُغذِّي أبناءها الكراهية هي التي تُعيد التاريخ، وتُحاول إرغامه على الحياة.

أن الأغبياء وحدهم هم الذين ينظرون إلى الماضي، ويعيشون حياتهم وفق طقوسه، فتراهم يُحبُّون من أجل الماضي، ويُبغضون من أجل الماضي، ويُحاربون من أجل الماضي، وينتقمون ويقتلون من أجل الماضي، ويكون الماضي عندهم هو الحاضر والمستقبل، إن من يعيش بهذا العقل، ويسير في الحياة بهذا الفكر لهو في حاجة عاجلة إلى تلمُّس المرض النفسي الذي يعيش فيه، ويجب عليه أن يسعى بكل جهده إلى العلاج الناجع؛ وهو في قوله تعالى: ﴿ تِلْكَ أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَلَكُم مَّا كَسَبْتُمْ وَلَا تُسْـَٔلُونَ عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾ [البقرة: ١٤١].

ليس هذا البحث لتبرئة أو تجريم أحد، بقدر ما هو محاولة لمعرفة الحادثة، بعيدًا عن الفكرة المسبقة أو الشائعة، وسبر هذه الحادثة وأسبابها ونتائجها بمقاييس عصرهم لا عصرنا، وذلك من أجل الوصول إلى الحقيقة أو مقاربتها على أقل الأحوال.

أشكر الأخوة الذين أكرموني بملاحظاتهم وآرائهم وأفكارهم، وهي محل تقدير واهتمام.

أسأل الله أن لا يحرمني الأجر والمثوبة، وأن يتجاوز عن الخطأ والزلل بمنِّه وكرمه، وأن ينفع بهذا الكتاب؛ إنه جواد كريم، وبالإجابة جدير.

وصلى الله على نبينا محمد، وعلى آله وصحبه وسلم تسليمًا كثيرًا.

المدينة المنورة

الجامعة الإسلامية

قسم التاريخ الإسلامي

١/ ٧/ ١٤٢٨هـ

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله وحده، والصلاة والسلام على من لا نبي بعده، وعلى آله وصحبه وسلم.

مقدمة الطبعة الأولى

إن هذا الكتاب يحتوي على عدة مباحث، وأظن أن كل مبحث منها يمثل مجالًا رحبًا للمناقشة وإبداء الآراء، ونظرًا لهذه الصفة، فإن الآراء والأفكار والمناقشات التي قمت بها في هذا الكتاب ستجعل البعض مؤيدين لي فيما توصلت إليه بشأن كثير من القضايا، وفي مقال ذلك سأجد البعض لهم آراء وأفكار محددة في بعض الأمور، والتي أظنها لا تغير كثيرًا في جوهر البحث، وما توصل إليه من حقائق ثابتة.

وسأكون مسرورًا جدًا عندما يواصلني القراء بأفكارهم واقتراحاتهم التي تعمل على الرفع من مستوى تناولنا لتاريخ أسلافنا.

والله الموفق الهادي لكل خير.

المؤلف

المدينة المنورة

الجامعة الإسلامية

قسم التاريخ الإسلامي

٢٨-٣-١٤١٧هـ



بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة الرسالة

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ﴾ [آل عمران: ١٠٢].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَآءً ۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِى تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلْأَرْحَامَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ [النساء: ١].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٧٠﴾ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَٰلَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾ [الأحزاب: ٧٠، ٧١].

أما بعد، فإن أصدقَ الحديثِ كتابُ الله، وأحسنَ الهديِ هديُ محمدٍ ﷺ، وشرَّ الأمورِ محدثاتُها، وكلَّ محدثة بدعة، وكلَّ بدعة ضلالة، وكلَّ ضلالة في النار، وبعد:

ففيما يلي مقدمة موجزة للرسالة أورد فيها: سبب اختياري للموضوع، ومنهجي في البحث، والصعوبات التي واجهتني فيه، ومضامين البحث ونطاقه:

سبب اختيار هذا الموضوع:

عندما كُنَّا في مرحلة الدراسة الجامعية كان هناك بعض الغيوريين - من أساتذتنا - الذين ينادون بوجوب إعادة النظر في كثير من المعلومات التاريخية التي أصبحت من قبيل المسلمات، وكذلك إيجاد مساحة ملائمة لتاريخ الأنبياء

عليهم السلام ضمن نطاق التاريخ القديم الذي كان يُدرَّس أحيانًا وفق النظرة الغربية المادية للكون والحياة، وقد كان رأي هؤلاء الفضلاء يواجَه برأي معاكس بعيد عن الروح العلمية والنقد البناء، جاعلين من التباكي على تاريخنا، والخوف عليه من الضياع، حجر عثرة في طريق من يريد الإصلاح والتغيير.

ولما هيَّأ الله سبحانه وتعالى لي الالتحاق بالجامعة الإسلامية، وتتلمذتُ على أستاذ جليل؛ هو أستاذي أ. د. أكرم العمري، كان له الأثر البالغ في توضيح المقصود بإعادة كتابة التاريخ الإسلامي[1]؛ وذلك وفق رؤية إسلامية خالصة، مع الاستفادة من منهج المحدِّثين في توضيح اتجاه الرواة، ومعرفة مدى عدالتهم.

ولقد كان الخلاف دائمًا على أشده حول يزيد بن معاوية؛ فبين مادح وقادح، وبين مترحِّم ولاعن، وكان الاختلاف أيضًا يدور حول معركة الحرة ونتائجها وأسبابها، ثم ما حدث فيها من مزاعم حول انتهاك الأعراض، وما سوى ذلك من التساؤلات التي لا توجد لها إجابة شافية.

---

(١) لا بد من الإشارة إلى أن الدعوة لإعادة كتابة أو عرض وتحليل تاريخ الأمة الإسلامية لا يعني- بالضرورة- البدء من نقطة الصفر، أو الرفض المطلق للصيغ التي قدَّمها مؤرخونا القدماء، ومحاولة قلب معطياتهم رأسًا على عقب... ومن يخطر على باله أمر كهذا فهو ليس من العلم في شيء. والمقصود شيء آخر يختلف تمامًا: منهج (عدل) يتعامل مع معطيات الأجداد بروح علمية مخلصة، فيتقبل ما يمكن تقبله، ويرفض ما لا يحتمل القبول، ويقدر عطاء الرواد حق قدره، دون أن يثنيه ذلك عن متابعة آخر المعطيات المنهجية والموضوعية التي يطلع بها علينا العصر الحديث، وأشدها صرامة: موقف وسط يرفض الاستسلام للرواية القديمة، ويأبى إلغاءها المجّاني من الحساب. (عماد الدين خليل،حول إعادة كتابة التاريخ الإسلامي، جريدة الشرق الأوسط العدد ٤٣٣٩).

وكانت المؤلفات التي أُلِّفَتْ - في غالبها - تورد هذه الحوادث باقتضاب شديد؛ بسبب مساحة البحث الذي يتناول في الغالب الخلافة الأموية بكاملها، أو قد يكون بحثًا يعالج هذه الفترة وذلك بدافع العاطفة دون اتباع منهج معين في الحكم على الحوادث.

لذا سجَّلتُ هذا البحث بعنوان «**مواقف المعارضة في خلافة يزيد بن معاوية: دراسة نقدية للروايات**».

«ولقد صوَّرتْ المصادر المختلفة يزيد في صورة قبيحة مشوهة، وأغلبها على وصف يزيد بأقبح الصفات؛ فهو سِكِّير، وهو سفيه، وهو جاهل، وهو قاس، ولقد شوَّهتْ الدعاية العلوية سمعتَه وسيرتَه، وطمستْ محاسنه وأبرزتْ مساوئه.

ولكن يزيد ليس بأسوأ ممن أتى بعده من الخلفاء، وهناك من النصوص ما تمكن الباحث من رسم صورة له ليست على الدرجة المعروفة من القتام»[1].

«نعم، إن يزيد لم يبلغ مبلغ والده معاوية في مجاراة الزمان، وفي صفاته السياسية الممتازة، لكنه كان متصفًا بمزايا الملوك، وقد أشبه في ذلك أباه معاوية، ولا يجوز أن تُنْسَبَ إليه النوائب التي وقعت في عهده، وإنما حصلت لسوء أحوال تلك الأزمنة... وإن الظروف التي أحاطت به قد شوهت سمعته»[2].

---

(١) محمد ماهر حمادة، الوثائق السياسية والإدارية للجزيرة العربية ٢٤، وانظر لنفس المؤلف: دراسة وثائقية للتاريخ الإسلامي ص ٢٥ وانظر مقال: هنري لامانس في مجلة المشرق، المجلد ٢٢ (١٩٢٤) العدد الثالث ص٩٢، نقلا عن صلاح الدين المنجد، شعر يزيد بن معاوية ص ٤٤.

(٢) محمد أسعد طلس، تاريخ الدولة العربية ص ٣٢.

ومما يجدر ملاحظته: أنه ليس من أهداف هذا البحث الدفاع عن إيمان يزيد وصفاته، ولكن الغاية الأساسية التي نريدها هي بيان كل الجوانب المختلفة المتعلقة بشخصية يزيد، ومدى الصحة والخطأ في تعامله مع الأحداث ومجابهته لها.

«ثم إن تدوين الحقائق التي نكتشفها -مهما كانت دقتها وصحتها- لا يمكن أن يُكَوِّنَ وحده تاريخًا؛ لأن معرفة صفة الحادثة وعلاقتها بالأحداث الأخرى أمر أساسي في التاريخ لا يقل أهمية عن الحقائق المكتشفة؛ فمعرفة العلل، والدوافع، والأسباب والنتائج، جزء أساسي ورئيسي في دراسة التاريخ، ومعيار من أبرز المعايير في تقدير قيمة البحث.

كما أن دراسة الأسباب والنتائج تُضفي على دراسة التاريخ طابعًا يباعده عن العلوم الطبيعية»[1].

«وإن أولويات الحقائق في التاريخ معترف بصحتها؛ فلا جدال في وجود الخليفة هارون الرشيد والأمين والمأمون، ولا جدال أن عمر ولي الخلافة بعد أبي بكر، ولكن المصاعب تأتي من التعمُّق في فهم الدقائق، فإذا كنا نجهل التفاصيل ونختلف في فهمها أو تعليلها، ونضطر في كل فترة أن ننكر ما كنا نراه من قبل صحيحًا، فهذه هي أهمية التاريخ»[2].

«فنحمد الله على العافية، الذي أوجدنا في زمان قد انمحص فيه الحق، واتضح

---

(١) صالح العلي، تفسير التاريخ ص ٢٧.

(٢) المصدر السابق ص ٣٠.

من الطرفين، وعرفنا مآخذ كل واحد من الطائفتين، فتبصَّرنا، فعذرنا، واستغفرنا، وأحببنا باختصار، وترحَّمنا على البغاة بتأويل سائغ في الجملة، أو بخطأ إن شاء الله مغفور، وقلنا كما علَّمنا الله: ﴿رَبَّنَا ٱغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَٰنِنَا ٱلَّذِينَ سَبَقُونَا بِٱلْإِيمَٰنِ وَلَا تَجْعَلْ فِى قُلُوبِنَا غِلًّا لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ رَبَّنَآ إِنَّكَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ [الحشر: ١٠] »[١].

منهجي في البحث:

إن الدراسة المنظمة لتاريخنا تتطلب نقد المصادر لمعرفة أصولها وميول مؤلفيها، وتستوجب إسناد كل ما نأخذ منها إلى مصدره، ولهذا فقد قدَّمتُ المصدر الصحيح والرواية الصحيحة على غيرها؛ فمثلاً الذي يرد في كتب السنة يقدم على ما يروى في كتب التاريخ.

وفي المواضع التي تندر فيها الرواية الصحيحة أقدم الرواية التي تنسجم مع الصورة العامة الصحيحة، وحتى إن كانت من مصدر ضعيف.

وهناك مجالات لا تؤثر على مجريات البحث، ولا يتوقف على نتائجها أدنى حكم، فأُقدِّم الروايات الصحيحة إن وُجِدَتْ، وإلا فأعتمد الروايات الضعيفة في رسم الصورة التاريخية العامة والإطار الكلي للبحث.

ثم إني لم أتقيد - في بحثي - برأي معين، أو أُسلِّم باستنتاج إلا إذا استطعت اختبار صحته من المصادر، وكما يقال:

«الشك في كل رأي وفي كل خبر ضرورة للبدء الصحيح»[٢].

---

(١) الذهبي، سير أعلام النبلاء ٣/ ١٢٨.

(٢) الدوري، مقدمة في تاريخ صدر الإسلام: ٢٤.

ومع هذا كله ففي البحث حماسة أحيانًا، وإلحاح على مسائل بعينها أحيانًا أخرى؛ ولكن ذلك كله إنما هو نتيجة طبيعية لاحقة، وليس مقدمة مفتعلة سابقة؛ فإن من الطبيعي في المنهج العلمي نفسه أن يندفع الباحث في غير مغالاة ولا إسراف في حماسته لبحثه وآرائه، بعد أن يكون قد وصل - عن طريق هذا المنهج العلمي إلى أدلة يقتنع بصوابها، وحجج يطمئن إلى سلامتها، فيؤكدها كلما سنحت له فرصة للتأكيد، ويلحّ عليها كلما أمكنه الإلحاح. وأحسب أن الفرق واضح بين الحماسة البصيرة للرأي حين يصل إليه المرء بعد بحث وتحرٍ وتحقيق، وبين التعصُّب الأهوج للفكرة التي يدخل المرء بها في بحثه ابتداءً؛ فالحماسة الأولى من أمارات الحياد السليمة في البحث والباحث، والتعصب الثاني من علامات عجز الفكر وضيق الأفق. ومن هنا أرجو ألا أبعد عن الحق حين أقول: إنَّ كلَّ رأي في هذا الكتاب قد قامت من بين يديه وفْرة من النصوص قادت إليه وانتهت به، وإن النص هو الذي وجَّه البحث إلى ما فيه من آراء، وليست الآراء هي التي وجَّهت البحث إلى النصوص: يجتلبها، ويقتنصها، ويستكثر منها، ويقسرها قسرًا لما يريد[١].

وإن كنت في اختياري موضوع البحث ونطاقه مدفوعًا بميلي الشخصي ورغبتي الخاصة، فإن الصورة التي أُقدِّمها عن عصر يزيد بن معاوية إنما هي مستمدة مما تُقدِّمه المصادر من المعلومات؛ توخَّيت فيها الدقة وتحري الصدق والحقيقة، دون محاولة تشويه الحقائق، أو مجاراة أي فريق من الناس.

---

(١) ناصر الدين الأسد، مصادر الشعر الجاهلي: ص٨.

وإنني إذ أعترف بعدم عصمتي وبتعرضي للزلل والخطأ، أؤكد أن هذه محاولة لإعطاء صورة كاملة عما أدرسه، وأتحمل مسؤولية ما فيها من نقص أو شطط.

وإذا كان عدم وصولنا إلى الحقيقة المطلقة مبعث انتقاص التاريخ، فإنه ينبغي أن يكون مصدرًا واضحًا للبحث؛ يعطي مجالًا للفرد المطلع أن يبحث فيه فيصحح من أخطاء كتابته، ويقربه إلى الكمال، فإذا كنا لم نصل إلى الكمال بعد، فإن وجود النقص يعطي مجالًا للعمل، وإدراك هذا النقص ينبغي أن يكون دافعًا للبحث والتقدم، فمعيار رقي الأمة وقياس حيويتها هو في مدى حماس أبنائها وسعيهم للوصول إلى الكمال.

وأستشعر ما قاله السابقون من سلفنا: «فإني لا أعلم كتابًا سُلِّم إلى مؤلفه فيه، ولم يتبعه بالتتبع من يليه»[1].

الصعوبات التي واجهتني في هذا البحث:

لا شك أن أي عمل لا بد وأن يكون في ممارسته صعوبات، وبالأخص البحث التاريخي.

فقد كان التضارب الواضح في الروايات من أبرز ما يميز المصادر التي تناولت يزيد بن معاوية، الأمر الذي جعلني مرارًا أقف حائرًا حيال الحادثة الواحدة أيامًا طويلة حتى أظن أني قد اهتديت إلى الصواب فيها.

يضاف إلى ذلك أيضًا ندرة الروايات الصحيحة التي يمكن أن يُعوَّل عليها،

---

(١) ياقوت، معجم الأدباء: ٦/ ١٥٦.

وهو الشيء الذي ضاعف من صعوبة البحث.

كما أن الحيز الذي تحتله الروايات - سواء كانت صحيحة أو ضعيفة - التي تناولت هذه الفترة تتسم بالقلة والغموض، وهو الأمر الذي يُلقي ظلالاً من الشك حول الكثير من الحوادث التي جرت في عصر يزيد بن معاوية.

مضامين البحث ونطاقه:

لقد قسَّمت البحث إلى مقدمة، وتمهيد، وخمسة فصول:

فبِّينتُ في التمهيد: منهج دراسة التاريخ الإسلامي.

واشتمل **الفصل الأول** على مبحثين:

المبحث الأول: تناولت فيه حياة يزيد بن معاوية وصفاته.

المبحث الثاني: تحدثت في عن أعمال يزيد بن معاوية في حياة والده.

وأما **الفصل الثاني**: فقد كان عن بيعة يزيد بن معاوية؛ وقسَّمته إلى ثلاثة مباحث إضافة إلى نقد مصادر البيعة:

المبحث الأول: تحدثت فيه عن معاوية بن أبي سفيان ﷺ، وبداية التفكير ببيعة يزيد، ثم أخذه البيعة ليزيد من أهل الشام وبقية الوفود التي رحَّبت ببيعة يزيد، ثم حجة معاوية الثانية وأخذه البيعة من أهل المدينة، إضافة إلى التحقيق في أسباب وفاة عبد الرحمن بن خالد بن الوليد والحسن بن علي ﷺ، والتي حاولت بعض الروايات أن تربط بين وفاتيهما وبيعة يزيد بن معاوية.

كذلك حدَّدْتُ السنة التي توفي فيها سعد بن أبي وقاص وسعيد بن زيد رضي الله عنهما، وتبين الخطأ الذي درج عليه كثير من المؤرخين والمحدثين في جعل وفاتهما في فترة متأخرة.

والمبحث الثاني: عن الأسباب التي دعت معاوية ﷺ لأخذ البيعة ليزيد؛ وتناولت فيها الأسباب الثلاثة: **الأول**: **السياسي**: والحفاظ على وحدة الأمة، **والثاني**: **الاجتماعي**: حيث قوة العصبية القبلية، **والثالث**: **الشخصي**: في يزيد بن معاوية وما لديه من مؤهلات.

وجعلت **المبحث الثالث** عن الانتقادات الموجهة لمعاوية ﷺ بشأن هذه البيعة، وفنَّدت كل اتهام موجه لمعاوية ﷺ.

وأما الفصل الثالث: فكان عن معارضة الحسين بن علي رضي الله عنهما، وقد قسَّمته إلى عشرة مباحث، إضافة إلى تحليل المصادر التي تناولت معارضة الحسين ﷺ.

اشتمل **المبحث الأول** على موقف الحسين من تنازل أخيه الحسن بالخلافة لمعاوية رضي الله عنهم، وتناول دوافع معارضة الحسين بن علي لبيعة يزيد بن معاوية.

وتحدثت في **المبحث الثاني** عن خروج الحسين إلى مكة -وذلك بعد وفاة معاوية- ومن ثم العلاقات والرسائل التي تبادلها مع الكوفيين أثناء إقامته بمكة.

ووضّحت في **المبحث الثالث** تمصير الكوفة تطورها السكاني، إضافة إلى التنظيمات القبلية والاتجاهات العقائدية في الكوفة، إضافة إلى تتبع المذهب الشيعي وتطور عقائده حتى نهاية القرن الأول الهجري.

وفي **المبحث الرابع** وضّحت خروج الحسين ﷺ إلى الكوفة، وتعرَّضت

لنصائح الصحابة له وتحذيرهم إياه من الخروج.

ثم تناولت في **المبحث الخامس** موقف يزيد من الأحداث والتطورات التي تجري في الكوفة.

وفي **المبحث السادس** عرضت لعبيد الله بن زياد -أمير الكوفة- والتدابير التي اتخذها للقضاء على بوادر التمرد الشيعي في الكوفة.

ثم تَحَدثتُ في **المبحث السابع** عن معركة كربلاء التي استشهد فيها الحسين بن علي -رضي الله عنهما- وغالبية أهل بيته.

وفي **المبحث الثامن** عرضت لموقف يزيد من مقتل الحسين ﷺ ومن أبنائه وذريته، ثم وضَّحت بشيء من التحليل الطرف الذي تُلقى على عاتقه المسؤولية عن قتل الحسين.

وفي **المبحث التاسع** حققت في مكان وجود رأس الحسين ﷺ.

وفي **المبحث العاشر** تحدثت عن نتائج معارضة الحسين ﷺ.

وأما **الفصل الرابع**: فعن معركة الحرة؛ حيث قسَّمته إلى خمسة مباحث، إضافة إلى تحليلٍ لمصادر معركة الحرة.

تحدثت في **المبحث الأول** عن معارضة أهل المدينة وأسبابها ومناقشة اتهامات يزيد.

وفي **المبحث الثاني** ذكرت مطالب أهل المدينة وكيفية مواجهتها، وعلاقتهم بابن الزبير ﷺ الذي كان معارضًا في مكة، إضافة إلى وصف لأحداث معركة الحرة.

وفي **المبحث الثالث** تعرضت لأعمال مسلم بن عقبة المرِّي -قائد الجيش الشامي- بأهل المدينة؛ وذلك بعد معركة الحرة، مع مناقشة وتحقيق فيما قيل عن عدد القتلى، وانتهاك الأعراض، وعن كيفية أخذ بيعة أهل المدينة.

وفي **المبحث الرابع** تحدثت عن تقويم حركة أهل المدينة على أثر نتائج معركة الحرة.

وفي **المبحث الخامس** تحدَّثتُ عن العبر التي تستفاد من معركة الحرة.

وأما **الفصل الخامس**: فعن معارضة عبد الله بن الزبير ﷺ؛ وقد قسمته إلى خمسة مباحث، إضافة إلى تحليل ونقد المصادر التي تناولت حركة ابن الزبير ﷺ.

تحدثت في **المبحث الأول** عن موقف ابن الزبير من بيعة يزيد بن معاوية، ثم بيَّنت أسباب خروج ابن الزبير إلى مكة، ثم تناولت الجهود السلمية التي بذلها يزيد في محاولته لاحتواء الأزمة.

وفي **المبحث الثاني** تحدَّثت عن جهود يزيد السلمية لاحتواء معارضة ابن الزبير.

وفي **المبحث الثالث** تحدثت عن حملة عمرو بن الزبير وأسباب فشل هذه الحملة، ثم تحدثت عن حملة مسلم بن عقبة وتسلم القيادة الحصين بن نمير السكوني؛ وذلك على أثر وفاة مسلم بن عقبة، ثم محاصرة الحصين لابن الزبير، ثم حريق الكعبة، وقد حاولت أن أوضح أسباب الحريق.

وفي **المبحث الرابع** بيَّنت النتائج والعبر المستفادة من معارضة ابن الزبير.

ثم جعلت **مبحثًا خامسًا**؛ خصصته لمناقشة مجمل الاتهامات التي وجهت إلى يزيد بن معاوية ووالده، والتي شكَّكَتْ في إسلامهما.

إضافة إلى الخاتمة التي تحتوي على نتائج البحث.

شكر وتقدير:

أشكر الله سبحانه وتعالى الذي أنعم عليَّ بنعمه الظاهرة والباطنة التي لا تعد ولا تحصى، وأشكره أن هيأ لي طريق العلم وسهل الصعوبات والعقبات، فأحمده حمد الشاكرين، وأثني عليه ثناء المخبتين، لا أحصي ثناء عليه؛ هو كما أثنى على نفسه.

وعملاً بقول رسول الله ﷺ:«**من لا يشكر الناس لا يشكر الله**»[1]، وقوله عليه الصلاة والسلام: «**إن أشكر الناس لله ﷻ أشكرهم للناس**»[2]؛ فإنني أزجي خالص شكري وتقديري - اعترافًا بالجميل - لمن له الفضل الكبير بعد الله ﷻ؛ وهو فضيلة الأستاذ الدكتور: أكرم العمري، أمدَّ الله في عمره، وختم له بالطيبات الصالحات؛ فقد منحني من وقته الكثير في الكلية وفي بيته - على الرغم من كثرة مشاغله - وقد كان لتوجيهاته العلمية النافعة، ونصائحه المفيدة أكبر الأثر في إخراج هذه الرسالة، هذا بالإضافة إلى توجيهاته الخلقية الرفيعة، ونصائحه التربوية القيمة، ومعاملته الكريمة الطيبة من: لين الجانب، وخفض الجناح، وحسن العشرة، وكرم الأخلاق، مع حسن الأسلوب وحرارة العاطفة، فجزاه الله خير الجزاء، وأكرمه وأبره، وأجزل له المثوبة، ورفع درجاته في الدنيا والآخرة؛ إنه سميع مجيب.

والله أسأل أن يوفقني، ويوفق كل من أسدى إليَّ نصحًا، أو صحَّح لي خطأ، وأن يهديني وإياهم سبيل الرشاد، وأن يجعل هذا العمل خالصًا لوجهه الكريم؛ إنه على ما يشاء قدير وبالإجابة جدير، وصلى الله على سيدنا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين.

---

(١) أحمد، المسند ١/ ٢٩٥؛ أبو داود، السنن ٤/ ٣٥٣؛ الترمذي، السنن ٤/ ٣٣٩ (١٩٥٤) وقال: حديث حسن صحيح، جميعهم عن أبي هريرة.

(٢) أحمد، المسند ٥/ ٢١٢؛ الخرائطي، فضيلة الشكر ٦١.



التمهيد

منهج دراسة التاريخ الإسلامي



التأريخ[1] موضوع يقوم بدور بليغ في الثقافة، وفي التكوين الاجتماعي والخُلُقي، وله أثره في فهم الأوضاع القائمة في تقدير بعض الاتجاهات، والتطورات المقبلة.

وهو يتأثر بالتيارات الفكرية وبالتطورات العامة، ولذا كثرت النظريات في تفسيره؛ بين تفسير ديني، وفلسفي، ومادي، وعلمي، وتباينت الآراء في طرق تحليله بين من يجد فيه قوانين طبيعية، ومن يؤكد الحتمية فيه، وبين من يرى فيه فوضى متصلة، ومن يجد فيه عبرًا وفوائد وخبرات، وهو موضوع ميسور بعض اليسر لمن أراد الكتابة فيه، لهذا كان مسرحًا لكثير من الهوى، والقليل من البحث الدقيق[2].

وللقرن الأول الهجري أهمية خاصة في مجرى التاريخ الإسلامي؛ ففيه الاحتكاك والتصادم بين مبادئ الإسلام التي انطلقت من الجزيرة العربية وبين الجاهليات المدنية والأعجمية التي كانت قائمة في محيط الجزيرة العربية، وقد نتج عن ذلك مشاكل وقضايا وتيارات، ولا زالت تمثل خطورة إلى اليوم، وقد شوهت الحزبيات السياسية القديمة، والعصبيات المذهبية الآثمة جمال تاريخنا - من بدء تدوينه إلى الآن - بما عبثت به من حقائق، وما دفنته من مزايا وسجايا وفضائل، وما ابتكرته من أكاذيب، وما صرفته عن وجهه من المعاذير[3].

---

(١) انظر التاريخ وأهميته، خليفة، التاريخ: ٤٩-٥٠؛ ابن خلدون، المقدمة: ١/ ٣٧؛ السيوطي، الشماريخ في علم التاريخ: ٢٦-٢٧؛ طاش كبرى زادة، مفتاح السعادة: ١/ ٢٣١؛ حاجي خليفة،كشف الظنون: ١/ ٢٧١؛ صديق حسن خان، أبجد العلوم: ٢/ ١٣٨.

(٢) عبد العزيز الدوري، مقدمة في تاريخ صدر الإسلام ص٥.

(٣) عماد الدين خليل، لعبة اليمين واليسار ص٤٦.

ومن ثم يبدو هدف هذه المحاولات واضحًا وضوح الشمس لكل ذي عقل أن يقنعوا الطبقات المثقفة في العالم، من شتى الأجناس والديانات، في شتى بقاع الأرض، بأن الإسلام لا يمكن أن يحتل أي مكان محترم؛ لا في نفس الإسلام وعقله ووجدانه، ولا في أرضه وبلاده، ما دام على هذه الدرجة من الفوضى والاضطراب: عقيدة، وقادة، ودولًا، وحضارة[1].

لقد أثَّرت في تاريخنا عدة عوامل كان لها تأثير مباشر في صياغة الرواية التاريخية على النحو الذي بين أيدينا.

فالحادثة الواحدة مثلًا تعرض وفق اتجاهات معينة، وهذه الاتجاهات خاضعة لتلك العوامل المؤثرة فيها.

ويمكن أن نجمل تلك العوامل المؤثرة في الرواية التاريخية -بالأخص في القرن الأول الهجري- إلى ثلاثة عوامل:

الأول: العامل السياسي:

فمن المعروف أن المؤلفات التاريخية إنما أُلِّفت في فترة لاحقة عن القرن الأول الهجري، ويمكن أن نقول بأن التأليف التاريخي لم يأخذ أبعاده المتعددة إلا في العصر العبَّاسي، ولا شك أن تاريخ الأمويين لم يُكتب بروح علمية هادفة في ظل هيمنة أعدائهم العبَّاسيين.

ولهذا قال الذهبي: «وما زال هذا الأمر في كل دولة قائمة، يصف المؤرخ

---

(١) عماد الدين خليل، لعبة اليمين واليسار ص ٤٨.

محاسنها، ويغض عن مساوئها؛ وذلك خوفًا من السيف والضرب»[(١)].

ولعل في تلك الروايات الكثيرة المتناثرة في كتب التاريخ والأدب ما يوضح حقيقة العداء الكبير الذي يحمله العبَّاسيون تجاه بني أمية.

فكيف يمكن أن تقال الحقيقة في ظل انعدام حرية الرأي والكلمة الصادقة؟ قال محمد بن المعافي عن طاووس: «دخل جدي على حرثمة بن أعين -وهو والي الموصل- فقال له: يا شيخ، كم سنك؟

قال أدركت خمسة أئمة من بني أمية. فقال له: يا شيخ، وبنو أمية عندك أئمة؟ -وكان بيده عمود حديد يقلبه- فقال: فرأيت الموت، فقلت: ﴿أَيِمَّةً يَدْعُونَ إِلَى ٱلنَّارِ وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ لَا يُنصَرُونَ﴾ [القصص: ٤١]. قال السخاوي فسُرِّي عنه وكان قد تغير وجهه»[(٢)].

هذه الحادثة وغيرها تبين إلى أيّ حد وصل البغض والحقد في قلوب العبَّاسيين على أعدائهم بني أمية، الأمر الذي سوف يجعل هناك تأثيرًا كبيرًا على صياغة الرواية التاريخية الصحيحة.

الثاني: العامل المذهبي:

لقد أدى الخلاف الذي نشب بين الصحابة ﷺ بعد استشهاد عثمان ﷺ إلى

---

(١) السخاوي، الإعلان بالتوبيخ: ١٢١.

(٢) الأزدي، تاريخ الموصل: ٢٥٢.

بروز فرقتين كبيرتين،كل فرقة تنتهج مبادئ وأفكارًا تختلف عن الأخرى، وهما بدورهما على خلاف مع أهل السنة والجماعة الذين يمثلون غالبية الأمة.

لقد برز الشيعة كمناصرين لعلي بن أبي طالب رضي الله عنه.

ثم تطورت معتقدات الشيعة - فيما بعد - إلى الحد الذي جعلهم يُكفِّرون غالبية الصحابة رضي الله عنهم، وبالأخص الشيخين: أبي بكر وعمر، علاوة على اتهامهم لأم المؤمنين عائشة -رضي الله عنها- بالخيانة.. إلى ما سوى ذلك من الخلافات العقائدية البيِّنة الواضحة مع معتقدات أهل السنة والجماعة[١].

وقد برز من الشيعة مؤرخون كبار أصبح الاعتماد فيما بعد على أخبارهم، من أمثال: الكلبي، ونصر بن مزاحم، وأبي مِخْنَف وغيرهم.

والتَّقية عند الشيعة دين قائم، ومعتقد أساسي في مذهبهم، بحيث يحق لأيِّ شيعي أن يكذب، وأن يظهر خلاف ما يبطن؛ وذلك في سبيل خدمة مذهبه ومعتقده الذي يعتقده.

فالكلبي مثلا أخباري معروف، ورأس في الأنساب، ثم هو مفسر لكتاب الله، فحينما نأخذ إسناده في تفسيره نجده يروي عن أبي صالح عن ابن عباس رضي الله عنه.

ساق البخاري بإسناد صحيح عن سفيان قال: قال لي الكلبي، قال لي أبو صالح: كل شيء حدثتك فهو كذب[٢].

---

(١) انظر ذلك مفصلًا في فصل مقتل الحسين رضي الله عنه في هذا البحث.

(٢) التاريخ الكبير: ١/ ١/ ١٠١.

وقال أحمد بن حنبل عن تفسيره: هو كذب ولا يحل النظر فيه[١].

وقال عنه ابن حبان: «فما رواه الكلبي فلا يحل ذكره في الكتب، فكيف الاحتجاج به؟!»[٢].

وقد أفصح الكلبي عن عقيدته حين قال لأبي عوانة: «كان جبرائيل يملي الوحيَ على النبي ﷺ، فلما دخل النبي ﷺ الخلاء جعل يملي على علي»[٣].

الثالث: العامل القصصي:

لقد كان القُصَّاص أحد الذين شاركوا في صياغة الرواية التاريخية، ولكن استنباط الحقائق التاريخية منها يجب أن يكون بحذر كبير؛ وذلك لأن رواية الحادثة عن طريق القصاص اعتمدت في البداية على الرواية الشفهية فحسب، ولم تسجل إلا في عصور متأخرة، فضلًا عن أن هدف هذه القصص كان المفاخرة وتسلية السامعين، وكسب إعجابهم بمواقف الأبطال وسائر المواقف المثيرة في القصص، فلا عجب أن عمد الرواة إلى خيالهم في خلق مثل هذه المواقف، وإلى نسج كثير من الحوادث حول المشاهير[٤].

لقد كان عمر ﷺ ينهى عن القصص، ويضرب من يقص،[٥] ولذا فإن أحدًا

---

(١) الذهبي، ميزان الاعتدال: ٣/ ٥٥٨.

(٢) المجروحين: ٢/ ٢٥٣ وما بعدها.

(٣) الذهبي، ميزان الاعتدال: ٣/ ٥٥٨.

(٤) سيد كاشف، مصادر التاريخ الإسلامي: ٩٧.

(٥) ابن شبَّة، أخبار المدينة: ١/ ٩-١٠.

لم يقصّ على عهد رسول الله ﷺ، ولا عهد أبي بكر، ولا عهد عمر[١].

ويبدو أن القُصَّاص انتشروا بعد ذلك، وأصبح لهم تواجد ملحوظ في العهد الأموي[٢].

لقد أدرك بعض الصحابة ﵃ خطر القُصَّاص في التزايد في الرواية، علاوة على تأكيدهم في عرض الخلافات التي حصلت بين الصحابة رضوان الله عليهم.

فحينما رأي صلة بن الحارث الغفاري -وهو من أصحاب رسول الله ﷺ- أبا صالح سعيد بن عبد الرحمن التجيبي يقص على الناس وهو قائم، قال له صلة: «ما تركنا عهد نبينا ولا قطعنا أرحامنا حتى قمت أنت وأصحابك بين أظهرنا»[٣].

لقد أصبح القُصَّاص فيما بعد لهم أثر كبير في حياة الناس، وعلى وجه الخصوص لدى العامة منهم؛ وذلك لكثرة الغرائب التي يحرصون على إيرادها حتى يحوزوا رضا الناس واهتمامهم[٤].

---

(١) ابن شبَّة، أخبار المدينة: ١/ ٩.

(٢) المصدر السابق: ١/ ١٤-١٥.

(٣) الهيثمي، مجمع الزوائد: ١/ ١٨٩، وقال الهيثمي (رواه الطبراني في الكبير وإسناده حسن). وعند البخاري: أن أبا صالح سعيد بن عبد الرحمن الغفاري أخبره أن سُلَيْم بن عِتْر التجيبي كان يقصّ على الناس وهو قائم، فقال له صلة بن الحارث الغفاري وهو من أصحاب النبي ﷺ.... (التاريخ الكبير ٤/ ٣٢١؛ الإصابة ٣/ ٤٤٧).

(٤) الملا علي القاري، الأسرار المرفوعة: ٣٩.

ولعل ابن الجوزي قد ضاق بهم ذرعًا في زمانه، وألـف كتابًا عـنهم بـيَّن فيـه مثالبهم وأخطاءهم، وقال:

«إن عموم القُصَّاص لا يتحرَّون الـصواب، ولا يحـترزون مـن الخطـأ، لقلـة علمهم وتقواهم»(١).

ولا ريب أن تباين التيارات، واشتباك المصالح، واختلاف الاتجاهات والآراء التي كانت في القرن الأول الهجري أدت إلى تنوع الصور في أذهـان النـاس عنـه، وإلى اختلافهم فيه وتباين أحكامهم عليه، عن قصد أو غير قصد؛ والحق أننـا مـا زلنا نحمل مظاهر هذا التباين في معرفة الحقائق وتفسيرها؛ مما حدا بالكثيرين إلى التهيب ثم الإحجام عن دراسته، خشية أن تؤدي إلى إظهار صور تختلف عما ألفه الناس واعتقدوه رغم تباين اعتقـاداتهم واخـتلاف اتجاهـاتهم. لـذلك اقتـصرت الدراسات التي ظهرت على بحوث عامة مبتورة في غالبها(٢).

ونظرًا لكثرة التزيد في الرواية التاريخية فقد ولَّـد ذلـك شـكًا في صـحة تلـك الرواية بسبب عدم الدقة فيها، والثقة برواتها.

وهو الأمر الذي حدا الإمام أحمد لأن يقول: «ثلاثة كتب لـيس لهـا أصـول: المغازي، والملاحم والتفسير»(٣).

---

(١) ابن الجوزي، القُصَّاص والمذكرين: ١٠؛ و. محمد لطفي الصباغ، تاريخ القُصَّاص وأثـرهم في الحديث النبوي.

(٢) صالح العلي، التنظيمات الاجتماعية والإدارية في البصرة: ٨-٩.

(٣) ابن النجار الحنبلي، شرح الكوكب المنير: ٢/ ١٥٨.

ويقصد الإمام أحمد بالأصول الأسانيد؛ ومعنى ذلك أن الغالب عليها أنها مرسلة ومنقطعة، فإذا كان الشيء مشهورًا عند أهل الفن قد تعدَّدتْ طُرُقُه فهذا مما يرجع إليه أهل العلم بخلاف غيره[١].

قال ابن حجر معقبًا على قول أحمد: «قلت: ينبغي أن يضاف إليها: «الفضائل»؛ فهذه أودية الأحاديث الضعيفة والموضوعة؛ إذ كانت العمدة في «المغازي» على مثل الواقدي، وفي «التفسير» على مثل مقاتل والكلبي، وفي «الملاحم» على الإسرائيليات، وأما «الفضائل» فلا يحصى وضع الرافضة في فضل آل البيت، وعارضهم جهلة أهل السنة بفضائل معاوية، بل وبفضائل الشيخين، وقد أغناهما الله وأعلى مرتبتهما عنها»[٢].

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية: «جمهور مصنفي السير والأخبار وقصص الأنبياء... لا يميِّز بين الصحيح والضعيف... ولا لهم خبرة بالمروي المنقول، ولا لهم خبرة بالرواة النقلة... وأما باب فضائل الأعمال والأشخاص والأماكن والزمان والقبور، فباب اتسع فيه الكذب والبهتان»[٣].

لقد وضع العلماء ضوابط في أخذ الرواية وقبولها، ومن ذلك ما صرَّح به مالك بن أنس حينما قال: «لا يؤخذ العلم من أربعة، وخذوا ممن سوى ذلك: لا

---

(١) ابن تيمية، الرد على البكري: ١٧.

(٢) ابن حجر، لسان الميزان: / ١٣.

(٣) ابن تيمية، الرد على البكري: ١٤.

يؤخذ من سفيه معلن بسفهه، وإن كان أروى الناس، ولا من صاحب هوى يدعو الناس إلى هواه، ولا من كذَّاب يكذب في أحاديث الناس، ولا من شيخ له عبادة وفضل، إن كان لا يعرف ما يُحدِّث»[1].

وقال عبد الرحمن بن مهدي: «ثلاثة لا يحمل عنهم: الرجل المتهم بالكذب، والرجل كثير الوهم والخلط، ورجل صاحب هوى يدعو إلى بدعته»[2].

ولقد اشترط العلماء شروطًا بالغة الدقة في المؤرخ، وهي:

١- الصدق.

٢- إذا نقل يعتمد اللفظ دون المعنى.

٣- وأن لا يكون ذلك الذي نقله أخذه في المذاكرة، وكتبه بعد ذلك.

٤- أن يسمي المنقول عنه.

واشترطوا فيمن يترجم لأي شخص أن يكون:

١- عارفًا بحال صاحب الترجمة علمًا ودينًا وغيرهما من الصفات، وهذا عزيز جدًا.

٢- أن يكون حسن العبارة، عارفًا بمدلولات الألفاظ.

٣- أن يكون حسن التصور؛ فيعبر عنه بعبارة لا تزيد عليه ولا تنقص عنه.

٤- أن لا يغلبه الهوى، فيخيل إليه هواه الإطناب في مدح من يحبه والتقصير في غيره[3].

---

(١) ابن عدي، الكامل في الضعفاء: ١/ ١٠٣.

(٢) أحمد بن حنبل، العلل ومعرفة الرجال: ٢/ ٢١٤.

(٣) تاريخ الدين السبكي، قاعدة في المؤرخين: ٦٩-٧٠، وطبقات الشافعية الكبرى: ٢/ ٢٢-٢٣.

ونظرًا لتلك الضوابط المعتبرة في صفات المؤرخ فقد اعتُبِرَ علم التاريخ فنًا من فنون الحديث النبوي[١].

ولما أصبحت المؤلفات التاريخية تحمل الغث والسمين، ولم يبرز أحد بنقدها وتمحيصها، فقد أدى ذلك إلى تدني نظرة الناس إلى التاريخ، وأخذوه على أنه يمثل مصدرًا من مصادر القصة، وأصبح باستطاعة كل شخص أن يتحدث في التاريخ، حتى وإن كان من عوام الناس.

ولقد تفطن ابن خلدون -رحمه الله- لهذا الأمر فقال:

«فقد زلت أقدام كثير من الأثبات والمؤرخين الحُفَّاظ في مثل هذه الأحاديث والآراء، وعلقت بأفكارهم، ونقلها عنهم الكافة من ضعفة النظر والغفلة عن القياس، وتلقوها هم أيضًا كذلك من غير بحث ولا روية، واندرجت في محفوظاتهم حتى صار فن التاريخ واهيًا مختلطًا، وناظره مرتبكًا، وعد من مناحي العامة»[٢].

لقد بذل علماؤنا الأوائل -وهم في الغالب من المحدثين- جهودًا مشكورة في جمع الرواية التاريخية؛ وذلك ليقف الناس من أهل العلم على ذلك، ليميزوا العدل من المجروح[٣]، ولكن الأمر الذي يبعث على التساؤل هو: لماذا غالب روايات التاريخ إنما جاءت من طريق الأخباريين الذين يحوم حول توثيقهم

---

(١) السخاوي، الإعلان بالتوبيخ لمن ذم التاريخ: ص٨٢.

(٢) مقدمة ابن خلدون: ١/ ٥٨.

(٣) السخاوي، الإعلان بالتوبيخ: ص٩٩.

الشك، ومن النادر أن نرى الأخبار واردة من طريق الثقات؟

ولعل الإجابة على ذلك تؤخذ من فهم طبيعة المجتمع الإسلامي؛ فقد كان التركيز على جمع أحاديث النبي ﷺ، وتحريرها وتبيين الصحيح والضعيف منها هو المهيمن على جميع العلوم في المراحل المتقدمة من تاريخ الإسلام.

ثم إن مكانة المحدث وطالب الحديث في المجتمع الإسلامي كانت هي المشجع لغالبية طلاب العلم إلى الانصراف لمعرفة وفهم ودراسة الحديث وما يتعلق به.

وكان العلماء يرغبون لطالب العلم ألا ينصرف لعلم التاريخ حتى ينتهي من دراسة الحديث النبوي.

قال الخطيب البغدادي: «ويَجْمَعُون - أي أهل الحديث - أيضًا ما روي عن السلف المسلمين، من أخبار الأمم المتقدمين، وأقاصيص الأنبياء وقصصهم، والذي نستحبه أن لا يتعرض لجمع شيء من ذلك إلا بعد الفراغ من أحاديث الرسول ﷺ»[(١)].

وقال ابن عياش القطان: «قلت لأحمد: أشتهي أن أجمع أحاديث الأنبياء، فقال لي: حتى تفرغ من حديث نبينا ﷺ»[(٢)].

وقد نجدُ بعضَ المحدثين رواةً للتاريخ، إلا أن الإسناد كثيرًا ما يكون مرسلًا منقطعًا في كثير من الروايات.

---

(١) السخاوي، الإعلان بالتوبيخ: ١١٤.

(٢) المصدر السابق: ١١٤-١١٥.

ويبدو أن مردَّ التزام الإسناد المتصل في رواية الحديث يعود إلى أمرين:

الأمر الأول: داخلي مبعثه من نفس الراوي، ومصدره: شعوره بالتحرج الديني؛ وذلك أنه ينقل كلامًا من كلام الرسول ﷺ، وهو الذي قال في حديثه المشهور: «**من كذب علي متعمدًا فليتبوَّأ مقعده من النار**»(١).

ففي الإسناد المتصل ما يجعل المحدث يطمئن إلى أن غيره من شيوخه وشيوخ شيوخه ثم التابعين والصحابة يشتركون معه في تحمل تَبِعة هذا الحديث ونقله، وأنه لا يستقل محده بحمل هذا العبء، وأن تبعتُه لا تعدو النقل الأمين لما سمعه من شيخ ثقة ثبت.

والأمر الثاني: خارجي؛ فمرجعه إلى سامعي الحديث من المحدِّث؛ وذلك أن الحديث يتضمن السنة، وهو من أجل ذلك مصدر من مصادر التشريع الإسلامي، بل إنه المصدر الثاني الذي يتلو في القيمة كتاب الله، ولذلك كان من التدقيق والتحقيق، ومما يبعث الطُّمأنينة في نفوس السامعين ويوحي إليهم بالثقة في حديث المحدث: أن يصل بين عصره وعصر الرسول ﷺ بسلسلة متصلة من الرواة المحدثين؛ كلُهم يشهد أنه سمعه ممن قبله، حتى يصل الإسناد إلى الصحابي فالرسول ﷺ(٢). وبهذا أصبحت الرواية التاريخية لا تحظى بالعناية والاهتمام بالقدر الذي يحظى به الحديث النبوي.

---

(١) انظر بتوسع تخريج هذا الحديث المتواتر عند الكتاني، نظم المتناثر من الحديث المتواتر: ص٢٨-٣٣.

(٢) ناصر الدين الأسد، مصادر الشعر الجاهلي: ٢٥٨-٢٥٩.

ونظرًا لتلك التساؤلات المهمة حول بعض الحوادث التي حدثت بين الصحابة في القرن الأول الهجري، وتضاربت الروايات التاريخية في الحادثة نفسها، كل ذلك جعل ابن العربي -الفقيه المالكي- يؤلف كتاب: «**العواصم من القواصم**»، والذي حاول فيه أن يُقَدِّمَ صورة مشرقة للصحابة -رضوان الله عليهم- وأن يُفَنِّدَ بعض المزاعم والشبهات التي أُلصِقت بهم.

ويعتبر ابن العربي -رحمه الله- هو أول من حاول أن يعالج قضايا موضوعية خطرة في التاريخ الإسلامي.

ثم نجد علماء كبارًا كان لهم الحظ الوافر والمشاركة التامة في جميع العلوم، قاموا بجهد مشكور وكبير في التعليق على بعض الحوادث التاريخية، وتوجيه النقد لإسناد الرواية ومتنها، ومن هؤلاء: الذهبي، وشيخ الإسلام ابن تيمية، وابن كثير.

ثم جاء ابن خلدون الذي حاول أن يحلل في مقدمته مظاهر الإنسانية وتطورها، ويضع للتاريخ فلسفة شاملة، ويستنبط منه قوانين عامة تسير عليها البشرية في تطورها، ومع أن ابن خلدون لم ينجح تماما في تطبيق قوانينه إلا أنه يقف في تاريخ محللي التاريخ كالطود الأشم، وذلك حتى بشهادة الغربيين أنفسهم[1].

---

(١) صالح العلي، تفسير التاريخ: ١٩؛ عبد الحليم عويس، ابن خلدون وريادته لعلم تفسير التاريخ (بحوث منشورة في مجلة البحوث الإسلامية: ٢٤-٢٤٩، العدد ١٥).

ود. عبد الجبار ناجي، تتبع تاريخي لمحاولة ابن خلدون إعادة كتابة التاريخ العربي (بحث منشور في مجلة المؤرخ العربي: ١٣٩ العدد ٢٢)؛ انظر ثناء توينبي على مقدمته في كتابه دراسة التاريخ: =

وفي ظل التفوق والسيادة الأوروبية في العصر الحديث فقد ظهرت عدة مدارس لتفسير التاريخ؛ وذلك في ظل المنهج العلماني الذي يفصل بين الدين والحياة؛ ومن هذه التفسيرات:

التفسير المادي (الماركسي)، والتفسير المثالي عند (هيجل)، والتفسير الحضاري، والتفسير القومي، والتفسير بالغريزة الجنسية كعامل محرك للنشاط الإنساني كما هو الحال عند (فرويد) [١].

وكل هذه تفسيرات خاطئة مخالفة لتصور الإنسان المسلم الذي يعتقد أنه إنسان مكلف بالعبادة لله سبحانه، وذلك في نطاق منظومة هذا الكون الذي يعلن كل جزء منه وحدانية الله سبحانه وتعالى.

وتكمن خطورة هذه التفسيرات أنها طُبِّقَتْ على تاريخنا الإسلامي، وأخضعوا كل حركة وكل تصرف من تصرفات عظماء المسلمين إلى تفسير من هذه التفسيرات.

فيقولون مثلًا: إن محمدًا ﷺ كان يمثل الإسناد الأرستقراطي الأخير للطبقية المتنفذة في مكة إزاء ثورة الكادحين. وإنه حرصًا على عدم حدوث ثورة كهذه تعصف بكل مصالح أغنياء مكة دعا إلى الإسلام ليمتص كل هذه الطاقات المتمردة.

= ٣/ ٣٢٢-٣٢٧. وتعتبر القائمة التي أوردها الدكتور عبد الرحمن بدوي حول الدراسات الأوروبية عن ابن خلدون (في كتابه عنه) من الأدلة على عمق هذا التأثير ووضوحه.

(١) السلمي، منهج كتابة التاريخ الإسلامي: ١٧١-١٧٥؛ آلبان. ج. ويد جري، التاريخ وكيف يفسرونه: ١٢٩-٢٣٨، ف؛ ركوول، التاريخ والحضارة: ٣٠-٤٥.

ثم يقولون: إن عمر وأبا عبيدة وقفا مع أبي بكر زعيم اليمين رغم المعارضة الصامتة التي قادها علي بن أبي طالب زعيم اليسار.

ويقولون: إن عمر بن الخطاب رأى في أواخر أيامه... التسلط اليميني على مقدرات الأمة متمثلًا بطلحة والزبير وعثمان وبني أمية.. إلخ، ولذا انقلب عليهم كي يحدث توازنًا بين اليمين واليسار، ثم ما لبث أن غدا في أواخر حكمه يساريًا من الطراز الأول.

ثم يجيء عثمان وتزداد الأدلة والشواهد على أن المشكلة - أولاً وأخيرًا - مشكلة صراع بين يسار ويمين؛ لأن عثمان يمثل قمة اليمين.

وأنه بتقريبه بني مروان عزَّز مواقع اليمين ضد اليسار المتمثل بأبي ذر، وعلي، وعمار بن ياسر، وآخرين من كبار الصحابة رضي الله عنهم[1].

وهذا العقاد يقول عن أبي ذر رضي الله عنه: «إمام الاشتراكيين في ذلك الزمان»[2].

ثم يجعلون الخلاف الذي حدث بين الصحابة رضي الله عنهم إنما هو صراع بين بني عبد شمس وبني هاشم، وأنه صراع بين اليمين المتمثل في العائلة الأولى واليسار المتمثل بالعائلة الثانية.

ثم يقولون: إن هذا الصراع الذي غطَّى مساحات واسعة من التاريخ الإسلامي يبدأ بعهد الرسول ﷺ ويسير حتى عهود بني العباس، وطيلة هذه

---

(١) عماد الدين خليل، لعبة اليمين واليسار: ٥١-٥٣؛ محمد إسماعيل، قضايا في تاريخنا الإسلامي.

(٢) العقاد، شخصيات إسلامية: ٣/ ٦٦٢.

العهود كان اليمين المسيطر على الحكم، والمتحكم في رقاب الكادحين، وكانت تقوم ثورات يسارية قادها أبو ذر مرة، والزنج والزط مرة أخرى، والقرامطة مرارًا، وهؤلاء كانوا أشد اليسار تطرفًا وعلمية؛ لأنهم نادوا بشيوعية الأموال والنساء، وطبَّقوها في كوادرهم ومجتمعاتهم السرية[1].

وهذه التفسيرات الخطيرة لواقع تاريخنا الإسلامي إنما تتم باسم البحث العلمي والأساليب العصرية الأكاديمية في البحث والتنقيب. وما هو بالبحث العلمي، ولا الأسلوب العصري... ولكنها مؤامرات مدروسة تتوالى على وجود هذه الأمة وتاريخها لتخنق أطفالها، وتقطع علاقتها الفكرية والعقائدية بماضيها العظيم، ومن ثم جعلها تطفو كالزبد على سطح البحار والأنهار، تتقاسمها رياح السموم، وتتقاذفها التيارات ذات اليمين وذات الشمال[2].

إن الأهداف المرسومة بخبث ودهاء، والتي فرضت على طلابنا أن يتلقوا تاريخهم وفق مناهج التفكير والبحث الغربية؛ هذه المناهج التي لا يمكن بحال أن تقدم تفسيرًا معقولًا شاملًا لتاريخنا الإسلامي... فهي إن نجحت في تفسير وتقييم التاريخ الغربي، فستخفق حتمًا في تفسير التاريخ الإسلامي؛ ذلك أنها مناهج لا تقوم على أساس متوازن ينظر إلى القيم المادية والروحية كعوامل فعَّالة مشتركة في صنع التاريخ، بل على العكس، تسعى بدافع علمانيتها، إلى ترجيح

---

(١) عماد الدين خليل، لعبة اليمين واليسار: ص ٥٤.

(٢) المصدر السابق: ص ٥١.

الدافع المادي وتقليص مساحة الدوافع الروحية في حركة التاريخ، بل طمسها أحيانًا، وإنكارها أساسًا كعوامل فعَّالة في تاريخ البشرية(١).

ومن المعلوم أن التاريخ ليس مجرد سرد للحوادث التاريخية، إنما هو إلى جانب ذلك تفسير لتلك الحوادث وتقويم لها، وأن التفسير والتقويم في الحقيقة هو الجانب المهم في دراسة التاريخ، الذي بدونه يصبح التاريخ مجموعة من الأقاصيص لا هدف لها ولا غاية.

وقد لا يختلف المؤرخون في سرد الحوادث إذا اتحدت المصادر التي يرجعون إليها، وخلصت نياتهم فلم يتدخل الهوى في إثبات بعض الأمور وإسقاط بعضها الآخر... ولكن التفسير والتقويم يختلفان حتمًا من مؤرخ لمؤرخ حسب موقفه من قضايا «الإنسان»، بل حسب تصوره للإنسان ذاته: ما طبيعته؟ ما تكوينه؟ ما قدراته؟ ما مدى فاعليته؟ ما دوره في الأرض؟ ما السنن التي تحكم حياته؟ ما المعيار الذي يقوم به إنجازه؟ ما موقفه من الضغوط المادية والاقتصادية والسياسية والنفسية الواقعة عليه؟ ما طبيعة الصراع الدائر في الأرض؟... إلى آخر التصورات التي تطرأ على تصور المؤرخ(٢).

إن الله سبحانه وتعالى قد رسم منهجًا تفسيريًا للمؤرخ المسلم؛ وذلك وفق ما ورد في القرآن الكريم من أن قدرة الله وعلمه وإحاطته بوقائع التاريخ، بأبعادها

---

(١) عماد الدين خليل، في التاريخ الإسلامي فصول في المنهج والتحليل: ١٩٤.

(٢) محمد قطب، حول التفسير الإسلامي للتاريخ: ٦-٧.

الزمنية الثلاث: الماضي والحاضر والمستقبل، والبعد الرابع المهم؛ وهو قدرة الله سبحانه التي لها الدور الكبير في صنع الواقعة التاريخية، ووضعها في مكانها المرسوم من خارطة التاريخ البشري والكوني على السواء(١).

وخلاصة الأمر: إن التفسير الإسلامي للتاريخ يلتزم بالمنهج الرباني في الحكم على أعمال البشر في الأرض؛ فلا يبرز الأشياء بموجب الأمر الواقع كما يفعل التفسير الليبرالي على أساس حيوانية الإنسان من جهة، وألوهيته من جهة أخرى، أو كما يفعل التفسير الجدلي على أساس أن ما وقع بالفعل لم يكن يمكن أن يحدث غيره بموجب الحتميات التي تحكم حياة البشر على الأرض.

كذلك فإن التفسير الإسلامي لا يقدم التاريخ بلا ميزان يتبين به الصواب والخطأ، والاستقامة والانحراف في مسيرة الإنسان في الأرض؛ لأن هذا يخلي التاريخ من مضمونه الحقيقي، ويخليه من العبرة الكامنة فيه، والتي من أجلها كان التوجيه الرباني للسير في الأرض، والنظر في أحوال الغابرين(٢).

قال تعالى: ﴿ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِكُمْ سُنَنٌ فَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ ﴾ [آل عمران: ١٣٧].

ومن ثم يجب أن تكون القاعدة الثقافية والعقائدية لمؤرخنا المسلم منسجمة

---

(١) عماد الدين خليل، حول التفسير الإسلامي للتاريخ: ١٠-١١؛ وله أيضًا - دراسة في السيرة: ١٤٠-١٤١.

(٢) محمد قطب، حول التفسير الإسلامي للتاريخ: ٦٢-٦٣.

وطبيعة المؤثرات التي رسمت تاريخنا وشكَّلت مصيره[١].

وبعد أن وُجِدَ المؤرخ المسلم الذي يملك تصورًا سليما وتفسيرا إسلاميا للحوادث يبرز سؤال مهم وهو: كيف يمكن أن يصل المؤرخ المسلم إلى القدرة على الاستنتاج والحكم الصحيح على الحادثة نفسها؟

لا بد وأن يكون هناك معيارٌ صحيحٌ وواقعيٌ في قبول الرواية أو رفضها؛ وذلك وفق قواعد وأسس منهجية ونقدية معتبرة؛ حيث إن العاطفة الإسلامية المجردة لا يمكن أن تعطينا تاريخًا حقيقيًا مبنيًا على أسس علمية نزيهة.

ولهذا يبرز المنهج النقدي للرواية التاريخية كأحد الأسس التي يمكن عن طريقها الوصول إلى إرساء قواعد مهمة في الدراسات التاريخية.

لقد استطاع الغربيُّون أن يطوروا مناهجهم النقدية للرواية التاريخية عن طريق إخضاع الرواية للنقد الخارجي والباطني؛ وذلك تحت نطاق المنهج التجريبي، والمنهج الاستردادي التاريخي[٢].

ونحن نملك منهجًا نقديًا فريدًا قد بلغ من الدقة والإحكام أرقى ما يمكن أن تصل إليه الطاقة البشرية والمقدرة الإنسانية لنقد مثل هذه العلوم.

---

(١) عماد الدين خليل، كتابات إسلامية: ٩٤.

(٢) انظر عن النقد التاريخي عند الغربيين كلا من: كتاب (لانجلو وسينوبوس)، المدخل إلى الدراسات التاريخية؛ (وبول ماس)، نقد النص؛ و (أمانويل كَنْت)، التاريخ العام. ترجمها عن الفرنسية والألمانية (عبد الرحمن بدوي) تحت عنوان - النقد التاريخي، وانظر أيضا: مناهج البحث العلمي لـ (عبد الرحمن بدوي).

وهذا المنهج هو: «منهج النقد عند المحدثين» وهو قائم على التزام الإسناد واعتماده؛ ومعرفة الرجال والكشف عن أحوالهم جرحًا وتعديلًا؛ واستعمال النقد للمتون والأسانيد(١).

وقد استفاد من هذه القواعد التي وضعت في الأساس لضبط الحديث الشريف كثير من العلوم النقلية مثل: التفسير، والفقه، وعلم التاريخ، والآداب واللغة، حتى صار استعمال الإسناد في هذه العلوم من السمات العامة لمناهج التأليف والمؤلفات في القرون الخمسة الأولى.

وإن لم يكن ذلك بنفس الدقة و الالتزام الذي وقع من علماء الحديث.

وبالرغم من هذا القصور فقد كان أثر اتِّباع هذا المنهج على علم التاريخ عند المسلمين بيِّنًا.

ومن هنا نستطيع أن نقول: إن منهج البحث الإسلامي قد استقر قبل منهج البحث الغربي بعشرة قرون؛ متمثلًا في مؤلفات دقيقة في علم مصطلح الحديث وعلم أصول الفقه.

وحين المقارنة بين المناهج الغربية في النقد وبين منهج المحدثين نرى أن نقاد الحديث من المسلمين كانوا هم السابقين لوضع أسس المنهج النقدي للرواية(٢).

---

(١) ابن رجب، العلل: ٢٠٥؛ محمد محمد أبو شهبة، دفاع عن السنة: ٣٣-٣٤.
(٢) محمد مصطفى الأعظمي، منهج النقد عند المحدثين: ٩١-١٠٠؛ أكرم العمري، منهج النقد عند المحدثين مقارنًا بالميثودولوجيا الغربية، بحث منشور بمجلة مركز بحوث السنة والسيرة بقطر، العدد الثالث: ١٠٩-١٣٣.

وقد أدرك هذا التميز في منهج البحث عند علماء الحديث ودقة القواعد النقدية مجموعة من الباحثين المعاصرين في مجال النقد التاريخي، ولذلك دعوا في مؤلفاتهم إلى احتذاء هذا المنهج في نقد الرواية التاريخية[١].

لقد تطورت مناهج كتابة التاريخ بالفعل تطورًا كبيرًا في جميع أنحاء الدنيا. والتاريخ الإسلامي - كغيره من أنواع التاريخ الأخرى - تأثر بهذه المناهج الحديثة في كتابته وتدوينه؛ سواء كان ذلك على يد المؤرخين المسلمين المعاصرين، أو على يد غيرهم من الأجانب المهتمين بالتاريخ الإسلامي، وكل ما يهمنا نحن المسلمين من تطور مناهج كتابة التاريخ أن نصل إلى امتلاك الطريقة الموضوعية والمناسبة لكتابة التاريخ الإسلامي، ولا يهمنا ما إذا كانت هذه الطريقة متفقة مع الطرق والمناهج الأوروبية أم لا [٢].

«لقد بذل المؤرخون بالعربية في صدر الإسلام جهدهم في جمع هذه الروايات المنفردة المتفرقة، ووضعوها في إطار زمني، دون أن يتجردوا من ميولهم الخاصة، وبذلك أحجموا غالبًا عن صهر هذه الروايات وإدماج بعضها في بعض، وبذلك فقد يسَّروا للعلم الحديث إمكانية مراجعتها وتدقيق النظر فيها خبرًا خبرًا -في معظم الأحيان- لاستقصاء تلك الاتجاهات الرئيسية والثانوية، وكشف ميول

---

(١) انظر على سبيل المثال: أسد رستم، مصطلح التاريخ؛ حسن عثمان، منهج النقد التاريخي؛ عثمان موافي، المنهج الإسلامي والمنهج الأوربي؛ بشَّار عواد معروف، مظاهر علم الحديث في علم التاريخ

(٢) حسين مؤنس، كيف نكتب التاريخ الإسلامي (جريدة الشرق الأوسط، العدد: ٤٦٠٥).

المؤرخ نفسه، والتي ينمُّ عنها اختياره لمصادره التاريخية قبل كل شيء...»[(١)].

لقد كان لدى علمائنا الأوائل - رحمهم الله - إحساس بمدى خطورة الرواية التاريخية، ووجوب التعامل معها بأسلوب نقدي يعطي القدر المناسب من الاطمئنان للرواية.

فقد كان هذا الشعور يوجد عند خليفة بن خياط (ت ٢٤٠هـ) حينما ألّف تأريخه على طريقة المحدثين؛ وذلك باستخدام الإسناد عند سوق الحادثة.

ولعل إدراكه للفوارق الشرعية بين الرواية التاريخية والرواية الحديثية هو الذي جعله ينقل عن ابن الكلبي والواقدي مثلًا، وهم متهمون عند المحدثين؛ ويتضح هذا المنهج عند تساهله في الإسناد في كتابه (**الطبقات**)؛ حيث اكتفى بتقديم قائمة بمصادره في بداية الطبقات.

ولا شك أن غلبة الأنساب على مادة الطبقات تجعل التساهل في الإسناد مقبولًا؛ إذ إن مجال التلاعب وأثر الأهواء يتقلص كثيرًا في مادة قوامها الأنساب وسني الوفيات، في حين يقوى ذلك في الأخبار ذات المساس بالعقائد الدينية والميول السياسية.

ومن هنا نجد أن خليفة يُعنى بذكر الإسناد في تأريخه أكثر من الطبقات؛ خاصة عند ذكره لأحداث السيرة النبوية، وأحداث الفتنة زمن عثمان ﷺ، وموقعة الجمل، وصفين، وبيعة يزيد، ووقعة الحرة، وثورة ابن الأشعث، وغيرها.

---

(١) رودلف زلهايم، فتنة عبد الله بن الزبير: مجلة المجمع العلمي الدمشقي: جـ٤٩/ ٤/ ٨٢٩.

على أن خليفة لم يسند سائر رواياته، بل أورد مادة واسعة دون أسانيد؛ وخاصة قوائم أسماء الشهداء والقتلى، وقوائم موظفي الإدارة، وسني وفاة الخلفاء والعلماء[١].

وقد سار على هذا المنهج ابن سعد (ت ٢٣٠هـ) مع بعض الاختلاف اليسير حول الإسناد الجمعي الذي انتهجه ابن سعد في مواضع من كتابه: الطبقات الكبرى[٢].

ونجد أن البلاذري (ت٢٧٩هـ) يبدي فهمًا وتطورًا للمنهج التاريخي في كتابيه: (فتوح البلدان) و(أنساب الأشراف)، فقد أفاد البلاذري من كتب الأخباريين مثل أبي مخنف، وعوانة، وبصورة موسعة من المدائني -مصدره الأول عن الخلفاء- إما بالأخذ عنه مباشرة أو بالنقل عن كتبه.

ونجد أن البلاذري شديد الاهتمام بالنواحي التي لها علاقة بالنبي ﷺ وبعض الأمور الشرعية؛ فهو ينوِّع في مصادر الرواية الواحدة، ويبدو ذلك واضحًا من خلال المجلد الأول من أنساب الأشراف.

وكذلك يُبدي اهتمامًا واضحًا بالروايات التي لها علاقة بسياسة الخلفاء الراشدين، وبالأخص فيما يتعلق بإقطاعات ونظام العطاء، على اعتبار أن سياسة الخلفاء الراشدين امتداد للتشريع النبوي.

---

(١) انظر: مقدمة أكرم العمري لتاريخ خليفة: ١٥-١٦.

(٢) إبراهيم طرخان، دراسة تحليلية لطبقات ابن سعد، (بحث مقدم لمؤتمر مصادر تاريخ الجزيرة العربية): ١/ ١٥٣-١٦٧.

وعند تعرضه للأحداث المهمة في التاريخ الإسلامي نجد أنه يحشد أكبر قدر عنده من الروايات المختلفة، والتي أحيانًا تكون متضاربة؛ وذلك إيمانًا منه بإلقاء العهدة على مصادر تلك الرواية التي وصلت إليه على تلك الصورة.

ثم نجده أحيانًا أخرى يدقق مصادره، ويفاضل بين الروايات، ويبدي رأيه أحيانًا لتوثيق رواية[١].

وفي بعض الروايات التي ليس لها أهمية تذكر نجد أنه يستعمل أحيانًا صيغة: «قالوا».

ثم نجد شيخ المؤرخين، محمد بن جرير الطبري (ت٣١٠هـ) يسير في نقده على طريق المحدثين، فيصُبُّ تمحيصَه وتأكيده على الإسناد -أي سلسلة الرواة- ويقول في مقدمة تأريخه: «وليعلم الناظر في كتابنا هذا أن اعتمادي في كل ما أحضرت ذكره فيه إنما هو على قدر ما رأيت من الأخبار التي أنا ذاكرها فيه، والآثار التي أنا مسندها إلى رواتها فيه، دون ما أُدْرِكَ بحجج العقول واستُنْبِطَ بفكر النفوس... إلا القليل اليسير منه. فما يكن في كتابي هذا من خبر ذكرناه عن بعض الماضين مما ينكره قارئه أو يستشنعه سامعه، من أجل أنه لم يعرف له وجهًا في الصحة، ولا معنى في الحقيقة، فليعلم أنه لم يؤت في ذلك من قبلنا، وإنما أتى من قبل بعض ناقليه إلينا، وإنا إنما أدينا ذلك على نحو ما أُدِّي إلينا»[٢].

(١) انظر: المشهداني، موارد البلاذري؛ عبد العزيز الدوري، كتب الأنساب وتاريخ الجزيرة (بحث منشور ضمن مصادر تاريخ الجزيرة ١/ ١٣٧-١٣٨).

(٢) مقدمة تاريخ الطبري: ١/ ٧-٨.

وهكذا نجد الطبري لا يوجه اهتمامه لنقد المتن؛ أي للنقد الداخلي للرواية، وإنما للنقد الخارجي؛ أي الرواة[1].

وهذه الطريقة لم تكن مقصورة على الطبري -رحمه الله- بل لجأ إليها المحدِّثون في إيرادهم للأحاديث الموضوعة والباطلة؛ كما هو واضح في حلية الأولياء، وتاريخ بغداد، وتاريخ دمشق، وغيرها.

ولعل الأسباب التي حملت الطبري وغيره للأخذ بهذه الطريقة هي اتساع المادة العلمية، ثم الخوف من ضياعها، إضافة إلى تعريف الناس بالشيء الضعيف، وتميزه عن الصحيح من خلال الإسناد المعوَّل عليه.

قال البيهقي: «وضرب لا يكون راويه متهمًا بالوضع، غير أنه عُرف بسوء الحفظ وكثرة الغلط في روايته، أو يكون مجهولًا لم يثبت من عدالته وشرائط قبول خبره ما يوجب القبول. فهذا الضرب من الأحاديث لا يكون مستعملًا في الأحكام، كما لا تكون شهادةُ من هذا صنعته مقبولة عند الحكام. وقد يستعمل في الدعوات والترغيب والترهيب، والتفسير، والمغازي؛ فيما لا يتعلق به حكم»[2]. ولقد كان أسلافنا -رحمهم الله- يعرفون أن الروايات التاريخية لم تمحص، ولهذا نجد أن ابن العربي قد هاله حال الكتب التاريخية وما فيها من

---

(١) انظر بتوسع: جواد علي، موارد تاريخ الطبري، والمنشورة في عدة أعداد من مجلة المجمع العلمي العراقي (١/ ١٤٣-٢٣١، ٢/ ١٣٥، ٣/ ١/ ١٦-٥٦، ٨/ ٤٢٥-٤٣٦)؛ الدوري، بحث في نشأة علم التاريخ: ٤٠٧-٤٢٥؛ عماد الدين خليل، في التاريخ الإسلامي: ١١٦٨.

(٢) دلائل النبوة ١/ ٣٤

رواية ضعيفة مكذوبة[١]، وشيخ الإسلام ابن تيمية يقول:

«وأما جمهور المصنفين في الأخبار والتواريخ والسير والفتن... من هو في نفسه متهم أو غير حافظ كأبي مخنف: لوط ابن يحيى، وهشام بن محمد بن السائب الكلبي، وإسحاق بن بشر، وأمثالهم من الكذَّابين، بل الواقدي خير من ملء الأرض مثل هؤلاء، وقد علم ما قيل فيه، ومحمد بن سعد كاتبه ثقة لكن ينظر عمن نقل، وكذلك أبو الحسن المدائني وأمثاله...»[٢].

وقال أيضًا: «وأما ما ينقله الإخباريون، فإن كثيرًا مما يسندونه عن كذَّاب أو مجهول، وأما ما يرسلونه: فظلمات بعضها فوق بعض...»[٣].

لقد كان هناك احترام للتخصص عند أسلافنا؛ فقد يكون الرجل ضعيفًا عندهم في الحديث، إلا أنه حجة في معرفة الآثار وبعض الحوادث، فيؤخذ برأيه في مجال تخصصه وإتقانه.

فمثلاً يقول شيخ الإسلام عن الواقدي: «فإن ما يذكره الواقدي هو وأمثاله يعتضد به، ويستأنس به، وأما الاعتماد عليه بمجرده في العلم فهذا لا يصح»[٤].

وقال الذهبي: «وقد تقرر أن الواقدي ضعيف، يحتاج إليه في الغزوات،

---

(١) العواصم من القواصم: ٢٦٠-٢٦٢.

(٢) الرد على البكري: ١٧-١٨.

(٣) رأس الحسين: ١٨٠.

(٤) المرجع السابق: ١٧٠.

والتاريخ، ونُورد آثاره من غير احتجاج، أما في الفرائض فلا ينبغي أن يذكر...»[(١)].

وقال ابن حجر: «والواقدي إذا لم يخالف الأخبار الصحيحة ولا غيره من أهل المغازي فهو مقبول عند أصحابنا»[(٢)].

ويمكن لنا ملاحظة منهج ابن حجر في الإصابة؛ فهو لا يعتمد رواية وردت عن الضعفاء -(سيف والواقدي وأمثالهما)- إلا إذا ثبتَتْ عنده من طرق صحيحة وعن الثقات، وهذا نهج علمي رصين يقوم على النقد والتحليل، ويتَّسم بالموضوعية في عدم رفض جميع ما يرويه الضعيف من رواياته[(٣)].

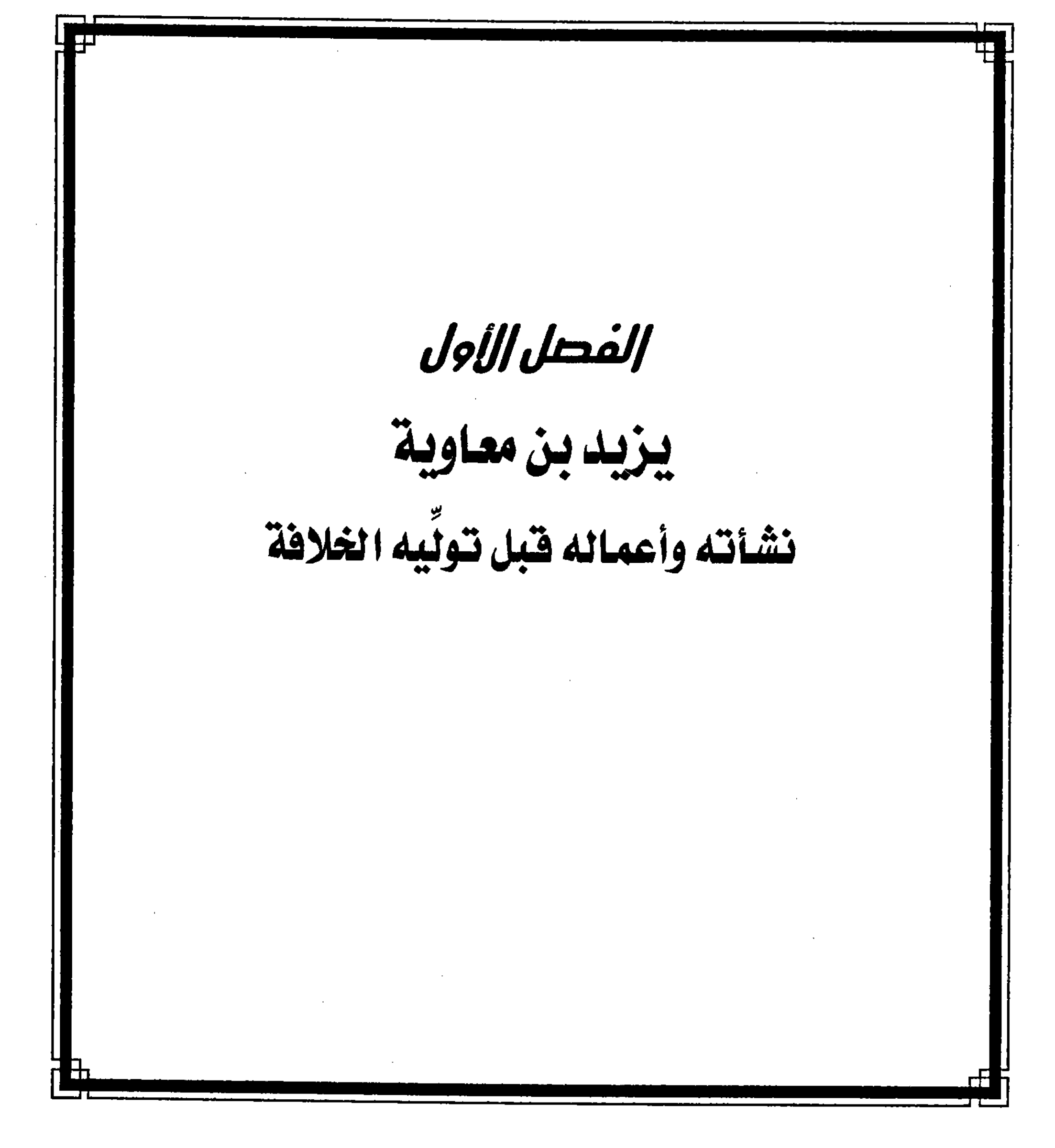
---

(١) سير أعلام النبلاء: ٩/ ٤٦٩.

(٢) التلخيص الحبير: ٢/ ٢٩١.

(٣) شاكر محمود عبد المنعم، موارد الإصابة: ٧١٧-٧١٨.



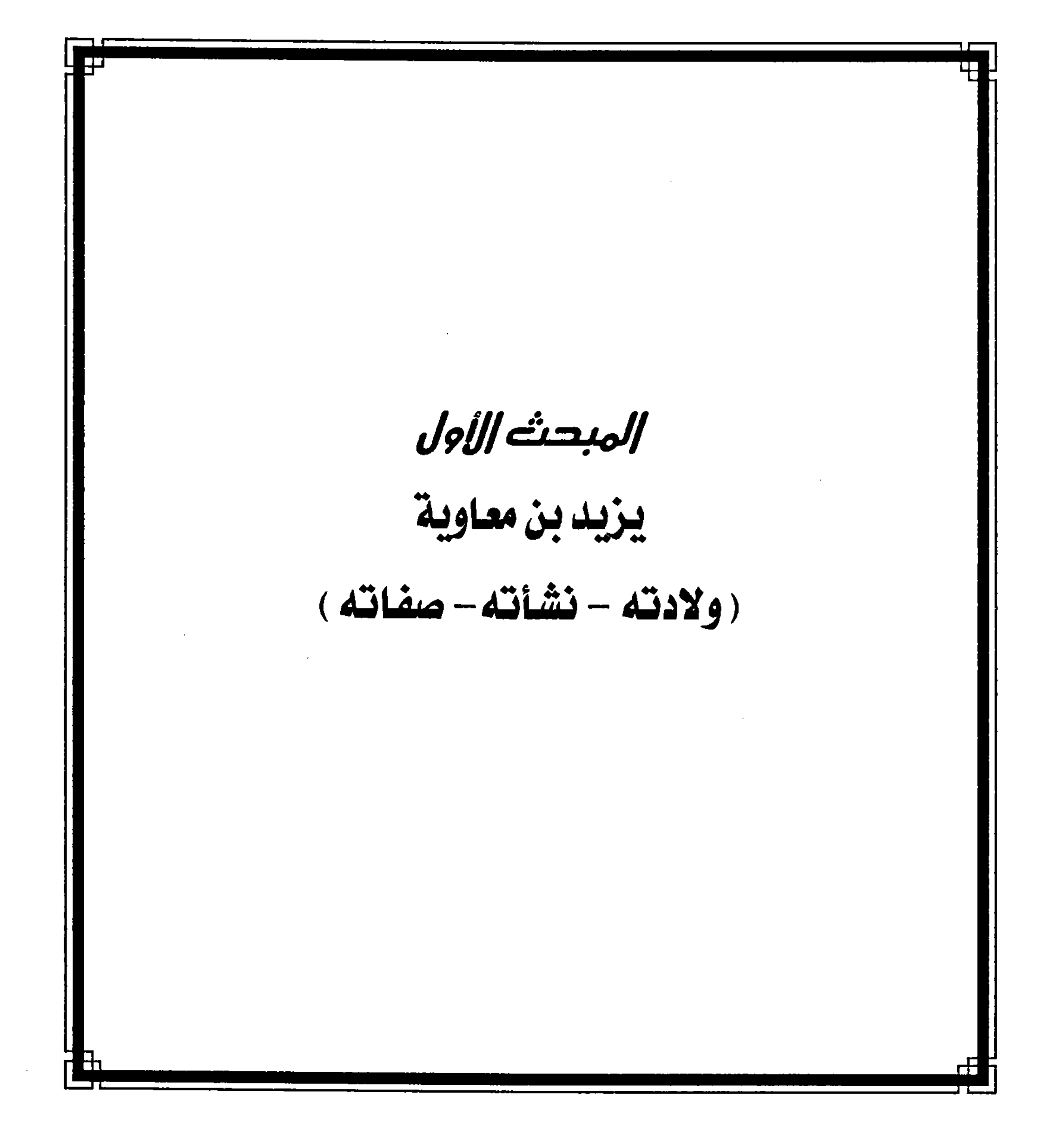


الفصل الأول

يزيد بن معاوية

نشأته وأعماله قبل تولِّيه الخلافة





المبحث الأول

يزيد بن معاوية

(ولادته - نشأته - صفاته)



المبحث الأول

يزيد بن معاوية : ولادته، نشأته، صفاته

أ - ولادته :

كانت ولادة يزيد بن معاوية في خلافة عثمان ﷺ[1]، في سنة ست وعشرين[2].

وقيل إن ولادته وولادة عبد الملك بن مروان في سنة واحدة؛ سنة ست وعشرين من الهجرة[3].

ب - نسبه :

هو يزيد بن معاوية بن أبي سفيان بن صخر بن حرب بن أمية بن عبد شمس القرشي؛ يكنى «أبا خالد».

---

(١) ابن حجر، تهذيب التهذيب: ١١/ ٣١٦-٣١٧.

قال الشيعي ابن مطهر: «وقد روى ابن عمر قال: أتيت النبي ﷺ فسمعته يقول: يطلع عليكم رجل يموت على غير سنتي، فطلع معاوية. وقام النبي ﷺ خطيبًا فأخذ معاوية بيد ابنه يزيد وخرج ولم يسمع الخطبة، فقال النبي ﷺ: لعن الله القائد والمقود....» منهاج السنة النبوية: ٤/ ٤٣٣. وهذه فرية مفضوحة لأن يزيد ولد في عهد عثمان ﷺ باتفاق؛ قال شيخ الإسلام ابن تيمية: «قال الحافظ ابن ناصر: خطب معاوية ﷺ في زمن رسول الله ﷺ فلم يُزوَّج لأنه كان فقيرًا، وإنما تزوَّج في زمن عمر ﷺ، وولد يزيد في خلافة عثمان ﷺ باتفاق أهل العلم، سنة سبع وعشرين من الهجرة». منهاج السنة النبوية: ٤/ ٤٤٦، والحديث في مسلم ٢/ ١١١٤ (١٤٨٠)؛ والموطأ ٢/ ٥٨١ (٦٧)؛ وأبي داود ٢/ ٧١٣ (٢٢٨٤)؛ والنسائي ٦/ ٧٤؛ والمجروحين لابن أبي حاتم ١/ ٦٠.

(٢) ابن عساكر، تاريخ دمشق ١٨/ ق ٣٩٠، وذكر يعقوب الفسوي أنه ولد سنة ٢٥، انظر نفس المصدر السابق؛ ابن شاكر الكتبي، فوات الوفيات: ٤/ ٣٢٨.

(٣) أبو زرعة: تاريخه ١/ ١٩١؛ ابن عساكر: تاريخ دمشق ١٨/ ق ٣٩١.

فأبوه معاوية بن أبي سفيان(١)، أشهر من أن يُعرَّف به، استمر واليًا للخلفاء الراشدين على بلاد الشام لمدة عشرين سنة، ثم خليفة للمسلمين عشرين سنة.

وجَدُّه أبو سفيان صخر بن حرب(٢) أحد زعماء قريش في الجاهلية، وقاد الحرب ضد رسول الله ﷺ، وأسلم عام الفتح، وحَسُنَ إسلامه، وشهد حنينًا والطائف مع رسول الله ﷺ، وفي حصار الطائف فقد إحدى عينيه، ثم شهد اليرموك تحت راية ابنه يزيد، وفقد عينه الثانية(٣) رضي الله عنه.

وجدَّته من جهة أبيه: هند بنت عُتبة بن ربيعة؛ أسلمت يوم الفتح، وكانت من أعقل النساء؛ حازمة، شاعرة، ذات نفس وأنفة(٤).

وأمه: مَيسون بنت بحدل الكلبية، شاعرة من شاعرات العرب، وكانت امرأة لبيبة، وأبوها من أشراف قبيلة كلب(٥).

---

(١) محمد بن يزيد، تاريخ الخلفاء: ٢٧؛ ابن عبد البر، الاستيعاب: ٣/ ١٤١٦؛ اليونيني، ذيل مرآة الزمان: ٢/ ٩٧؛ الذهبي، سير أعلام النبلاء: ٣/ ١١٩؛ ابن حجر، الإصابة: ٦/ ١٥١.

(٢) خليفة، الطبقات ص ١٠؛ ابن عبد البر، الاستيعاب: ٢/ ٧١٤، ابن حجر، الإصابة: ٣/ ٤١٢.

(٣) الذهبي، تجريد أسماء الصحابة: ٢/ ١٧٤؛ الصفدي، نكت الهميان: ١٧٣.

(٤) ابن سعد، الطبقات الكبرى: ٨/ ١٧٠؛ ابن الأثير، أسد الغابة: ٦/ ٢٩٢، ٢٩٣؛ ابن قدامة، التبيين في أنساب القرشيين: ٢١٨؛ ابن حجر، الإصابة: ٨/ ١٥٥-١٥٦.

(٥) ابن سعد، الطبقة الرابعة: ١/ ١٢٩ (رسالة دكتوراه مطبوعة على الآلة الكاتبة)؛ مصعب الزبيري، نسب قريش: ١٢٧؛ ابن دريد، الاشتقاق: ٥٤١، ٥٥٧؛ ابن عساكر، تاريخ مدينة دمشق: تراجم النساء: ٣٩٧.

جـ - نشأته:

لم تزودنا المصادر التاريخية بأخبار كافية عن نشأة يزيد بن معاوية، ولعل الاستمرار في حملة التعتيم على أخباره، والتشهير بسيرته، سبب رئيسي في هذا الشأن[(١)].

ولكن نستطيع من خلال النصوص القليلة والإشارات البسيطة أن نكوِّن تصورًا - حتى ولو كان جزئيًا- عن حياة يزيد بن معاوية؛ وذلك قبل أن يتولى الخلافة.

تزوج معاوية بن أبي سفيان ميسون[(٢)] بنت بحدل الكلبية، ونقلها من بادية بني كلب في جنوب بلاد الشام إلى دمشق، وأسكنها قصرًا من قصور الإمارة، فكانت تكثر الحنين والتذكير لمسقط رأسها.

فأنصت عليها معاوية يومًا، فسمعها تنشد شعرًا تقول في مطلعه:

ولُبْسُ عباءة وتقرَّ عيني ... أحبُّ إليَّ من لبس الشفوف

وتمضي في الأبيات تصف فيها حياة البداوة وتقارنها بحياة القصور والحضارة وتفضلها عليها، إلى أن قالت:

وخرق من بني عمي ثقيف ... أحب إلي من علج عنيف[(٣)]

---

(١) عمر العقيلي، يزيد بن معاوية حياته وعصره ص ١٠.

(٢) ابن حبيب، المحبر ص ٢١؛ الطبري، الأمم والملوك: ٥/ ٣٢٩؛ ابن عساكر، تاريخ مدينة دمشق، تراجم النساء: ٣٩٧؛ ابن ماكولا، الإكمال: ٧/ ٢٥١؛ الذهبي، تاريخ الإسلام: حوادث (٦١-٨٠هـ) ص ٢٧٠، ٣/ ٩١؛ أبو الحسن المعافري، الحدائق الغناء في أخبار النساء: ٣٣-٣٥؛ ابن كثير، البداية والنهاية: ٨/ ٢٢٩؛ عمر رضا كحالة، أعلام النساء: ٥/ ١٣٦-١٣٧؛ عبد البديع صقر، شاعرات العرب: ٣٩٦-٣٩٧.

(٣) هذه الأبيات لا نعلم مدى صحة نسبتها إلى ميسون بنت بحدل، إلا أن استفاضة نقلها ونسبتها =

فقال لها معاوية: ما رَضِيَتْ ابنة بحدل حتى جعلتني علجًا، فالحقي بأهلك. فمضت على كلب وابنها يزيد معها[(١)].

ولا نعلم كم كان سن يزيد حين طلقها معاوية، ولكن البلاذري والطبري ذكرا أنها ولدت مع يزيد بنتًا فماتت وهي صغيرة.

والغريب أن ابن عساكر ذكر بإسناده أن ميسون كانت تُرجِّل ولدها يزيد وهي حينئذ مطلقة[(٢)]، فذكر قصة تفضيل معاوية ليزيد على أخيه عبد الله.

وهذا لعله غلط من النسّاخ فربما كانت المربية هي التي كانت بدل ميسون؛ لأن يزيد كان في هذه القصة كبير السن نسبيًا، وذلك من خلال مطالب والده له، ثم كيف ترضى امرأة مطلقة من عائلة معروفة بزعامة كلب بأن تعيش مع مطلِّقها، علاوة على الحكم الإسلامي في العيش معه.

وقد يكون معاوية أقطع ميسون وولدها يزيد أحد القصور، وبعد أن عاد

= إلى ميسون بنت بحدل، وشهرتها في الأدب العربي، تدخل الاطمئنان لصحة نسبة هذه الأبيات إلى ميسون، انظر: سيبويه: ١/ ٤٢٦؛ مغني اللبيب: ٢٦١؛ خزانة الأدب: ٣/ ٥٩٣؛ عمر رضا كحالة: أعلام النساء: ٥/ ١٣٦-١٣٧

(١) ابن عساكر، تاريخ مدينة دمشق: تراجم النساء: ٣٩٧؛ ابن كثير، البداية والنهاية: ٨/ ٢٣٠؛ والبلاذري، أنساب الأشراف: ٤/ ١٥٠ (وذكر عن المدائني أن ميسون كانت حاملًا بيزيد عندما طلقها معاوية ووضعته بين أخواله). عبد البديع صقر - شاعرات العرب: ٣٩٧،٣٩٦؛ ابن الوردي، تتمة المختصر: ١/ ٢٦٣؛ البلاذري، أنساب الأشراف: ٤/ ١/ ٢٨٥؛ الطبري: ٥/ ٣٢٩.

(٢) ابن عساكر: تاريخ دمشق، تراجم النساء: ٣٩١.

ولدها من البادية عاشت معه في قصره.

وتذكر المصادر التاريخية أن ميسون بنت بحدل كانت صاحبة عفاف وتستر، وروت عن معاوية بعض الأحاديث وروى عنها محمد بن علي(١).

وكانت امرأة لبيبة عاقلة؛ دخل عليها معاوية يومًا ومعه حديج الخصي فاستترت منه، فقال لها: إن هذا بمنزلة المرأة فعلام تسترين منه؟ فقالت له: كأنك ترى أن المثلة أحلت له مني ما حرم الله(٢).

وبعد ما انتقل يزيد مع أمه إلى أخواله لم نجد بعد ذلك ذكرًا في المصادر التاريخية ليزيد أو لأمه(٣).

عاش يزيد فترة من حياته في البادية، وعاش بين أخواله وهم زعماء قبيلة كلب، فأثَّرت في طباعه تلك النشأة، فتراه يتميز بالفصاحة، والخطابة، والكرم، والشجاعة(٤).

ولا أعتقد أن معاوية ﷺ كان حريصًا على أن يستمر ولده في البادية؛ لأن البادية لا يمكن أن تُعلِّمه فن السياسة والتعامل مع الشعوب، كما أن البادية

---

(١) ابن عساكر: تاريخ دمشق، تراجم النساء: ٣٩٧.

(٢) نفس المصدر السابق: ٣٩٧؛ أبو الحسن المعافري، الحدائق الغناء: ٣٤ (وذكر أحمد التلمساني: خبر دخول الخصي ولكن على فاختة، انظر المقري - الجمان في مختصر أخبار الزمان، ورقة: ١٤٢). لقد حاول: جميل المصري أن يشكّك في مكانة قبيلة كلب، حتى حاول أن يشكك في إسلام نائلة بنت الفرافصة وميسون بنت بحدل الكبيتين. بل نسب إلى قبيلة كلب أنها قبيلة نصرانية وهي سبب زيادة الخلاف بين معاوية وعلي. (انظر أثر أهل الكتاب في الفتن والحروب الأهلية في القرن الأول الهجري ص٤٢١.

(٣) ذكر العقيلي أن ميسون توفيت سنة ٨٠هـ. (يزيد بن معاوية ص١١).

(٤) القلقشندي، مآثر الأناقة: ١/ ١١٥-١١٦.

يغلب على أهلها الجفاء وقلة العلم.

ولكن يزيد استمر متعلقًا بالبادية، حتى أنها أثَّرت في لباسه وعدم التكلف في حياته؛ فقد تلقاه أهل الشام بعد موت أبيه عائدًا مع أخواله ليس له عمامة ولا سيف، فقال الناس: هذا الأعرابي الذي ولي أمر هذه الأمة(١).

ولا نعلم متى عاد يزيد من البادية، ولكنه استمر في الإقامة مع والده يحضر مجالسه، ويستفيد من سياسته وتدبيره للملك.

وأراد معاوية أن يوفِّر ليزيد تعليمًا يناسب مكانة ابن الخليفة، فاختار له دغفل ابن حنظلة السدوسي الشيباني - ت ٦٥هـ - مؤدبًا لولده يزيد(٢).

قال عنه ابن سيرين: «كان دغفل رجلًا عالمًا، ولكنه اغتلبه النسب»(٣).

وكان من شهرته أن يضرب به المثل فيقال: «أعلم من دغفل»(٤).

كما أن معاوية استقدم عبيد بن شرية الجرهمي من صنعاء اليمن، وكان عارفًا بأيام العرب، وأحاديثها، وله كتاب الأمثال، وكتاب الملوك وأخبار الماضين(٥).

---

(١) الذهبي، سير أعلام النبلاء: ٤/ ٣٦-٣٧.

(٢) الطبراني، المعجم الكبير: ٤/ ٢٢٦؛ ابن عبد البر، جامع بيان فضل العلم: ١/ ١٠٦؛ ابن حجر، الإصابة: ٢/ ٣٨٩.

(٣) الذهبي، ميزان الاعتدال: ٢/ ٢٧؛ ابن حجر، الإصابة: ٢/ ٣٨٨؛ محمد شكري الألوسي، بلوغ الأرب: ٣/ ١٩٨-١٩٩.

(٤) الجاحظ: العميان، ٦٥؛ الأغاني، ٦/ ١٤٥-١٤٧؛ الميداني، مجمع الأمثال: ٢/ ٥٤، ١٤٦؛ بكر أبو زيد، طبقات النسابين ١٦ -١٧.

(٥) ابن النديم، الفهرست: ١٣٢؛ خليل داود الزرو، الحياة العلمية في الشام في القرن الأول والثاني الهجري ص١٩٧.

ولا شك أن يزيد استفاد من هذا الشيخ الحكيم الذي حنكته التجارب والسنون، وقد توفي عبيد بن شرية سنة ٧٠هـ[١].

وقد أثَّرت هذه الدراسة في الأنساب على مستوى يزيد، وجعلته يتحدث عن الأنساب تحدث الخبير[٢][٣].

ولا يستغرب اهتمام معاوية بالعلم، وخاصة إذا عرفنا أن أباه أبا سفيان وجدَّه حربًا نقلا الخط العربي إلى الحجاز[٤]. وهذا من أعظم مآثر بني أمية على العرب، بل إن السنة -أي أحاديث الرسول ﷺ- لم تُدوَّن آخر المائة الأولى إلا بأمر أمير المؤمنين عمر بن عبد العزيز الأموي[٥].

---

(١) ياقوت الحموي، إرشاد الأريب: ١٢/ ٧٢-٧٨. ويذكر نيكلسون أن عبيدي بن شرية، ووهب بن منبه هما اللذان لقيا تشجيعا للدراسة التاريخية من البلاط الأموي بدمشق، انظر Nicholoson, R. A. Alitcraty of the Araba. P.٢٤٦ نقلا عن: مصطفى الأعظمي، دراسات في الحديث النبوي: ١/ ٦٠؛ بروكلمان، تاريخ الأدب العربي: ١/ ٢٦١.

(٢) البلاذري: أنساب الأشراف: ٤/ ٢٩٥-٢٩٦.

(٣) عدّه بكر أبو زيد رأس الطبقة الثانية من طبقات النسابين، انظر له طبقات النسابين ص ٢٩. إلا أن هناك خطأً في سنة وفاة يزيد أثبت في الكتاب ويحتاج إلى تدقيق.
وذكر الذهبي في ترجمة عبد الصمد الهاشمي أنه في تعدد النسب نظير يزيد بن معاوية: (سير أعلام النبلاء: ٩/ ١٣٠) والصحيح ليس تعدد النسب إنما قُعْدَدْ النسب أي معنى الأقرب إلى الجد الأكبر فصُحّفت الكلمة من قُعْدَدْ إلى تعدد. كما هو موضح عند: ابن حبيب في المحبر ص٢٥٧.

(٤) ابن سعد، القسم الرابع: ١/ ٩٩؛ ابن عبد البر، القصد والأمم ص٣٢؛ السيوطي، الوسائل في مسامرة الأوائل ص١١٣.

(٥) محمد كرد علي، الإسلام والحضارة العربية: ١/ ١٧٢.

إن نوعية الانتقاء هذه لا شك أن لها أكبر الأثر في تكوين شخصية هذا الشاب؛ فقد توفر ليزيد ما لم يتوفر لغيره، إضافة إلى أن أباه هو أحد الصحابة الأجلاء -رضي الله عنه وعنهم- وكاتب الوحي لرسول الله ﷺ.

وقد روى عن أبيه أحاديث منها « **من يرد الله به خيرًا يفقهه في الدين**»[(١)].

وقد ذكره أبو زرعة الدمشقي في الطبقة التي تلي الصحابة، وقال: له أحاديث[(٢)].

وقال الحافظ ابن حجر العسقلاني: «وقد وقع ليزيد بن معاوية ذكر في الصحيح وفي السنن أيضًا، وظفرت له في المراسيل لأبي داود برواية ذكرت له من أجلها ترجمة في تهذيب التهذيب»[(٣)].

وقد كان معاوية ﷺ يحاول دومًا أن يوجِّه يزيد نحو الاستفادة من مجالس الوفود التي تفد عليه؛ فقد ذكر ابن المبارك: أن معاوية قال لبعض رجالات الوفود: «ما تعدُّون المروءة فيكم؟ قالوا: العفاف في الدين والإصلاح في المعيشة، فقال معاوية: اسمع يا يزيد»[(٤)].

ويبدو أن مجالس يزيد كان يحضرها بعض علماء العربية، وهو الذي كان يحكم فيما ذهبوا إليه كما ذكر ذلك ابن دريد في أماليه[(٥)].

---

(١) وأصل هذا الحديث في صحيح البخاري مع الفتح: ١/ ١٩٧؛ صحيح مسلم: ٢/ ٧١٨ رقم (١٠٣٧).

(٢) ابن كثير، البداية والنهاية: ٨/ ٢٢٩.

(٣) ابن حجر العسقلاني، تعجيل المنفعة: ٤٥١، ٤٥٣.

(٤) ابن عساكر، تاريخ دمشق: ١٨/ ق ٣٩٤.

(٥) السيوطي، المزهر: ١/ ١٢٥.

«إن معاوية منذ أن استقر له الأمر في الشام، كان شديد الاهتمام بتربية ولده، فأشركه منذ وقت مبكر في الصوائف، وفي تحمل المسؤوليات الجسام»[١].

د- صفات يزيد بن معاوية:

أولاً: صفاته الخَلقية:

يبدو مما وصف به المؤرخون يزيد أنه كان ضخم الجسم، سمينًا طويلًا، غليظ الأصابع، كثيف الشعر، جعدة، أسمر البشرة، في وجهه أثر الجدري، أحور العينين، حسن اللحية خفيفها، وبالجملة كان جميلاً[٢]. هذه صفات يزيد الخَلْقية.

ثانيًا: صفاته الخُلُقية:

إن المصادر التاريخية والأدبية على حد سواء تزوّدنا بأخبار قليلة عن صفات يزيد المكتسبة والموروثة، إلا أنها تحدد لنا بعض الملامح من شخصية يزيد بن معاوية. فمنها:

١- القوة والشجاعة:

لعل عيشة يزيد الجزئية في البادية وبين أخواله أكسبته طبيعة البادية القائمة على قوة التحمل والشجاعة في آن واحد، علاوة على أنه من سلالة أسرة اشتهروا بالقوة والشجاعة والحزم.

قال عنه الذهبي: «كان قويًا شجاعًا، ذا رأي وحزم وفطنة وفصاحة....»[٣].

---

(١) سهيل زكار، تاريخ الدولة الإسلامية: ١٣١.

(٢) البلاذري، أنساب الأشراف: ٤/ ٢٨٩؛ ابن عبد ربه، العقد الفريد: ٤/ ٣٧٥؛ الذهبي، سير أعلام النبلاء: ٤/ ٣٧؛ ابن كثير، البداية والنهاية: ٨/ ٢٣٠؛ ابن شاكر الكتبي، فوات الوفيات: ٤/ ٣٢٨؛ القلقشندي، مآثر الأناقة: ١/ ١١٥-١١٦؛ ابن دقماق، الجوهر الثمين: ٦١.

(٣) سير أعلام النبلاء: ٤/ ٣٧.

وكان يتمنى أن يوليه أبوه في الغزو على الصائفة بالمسلمين. وكان يحرص على إقامة السباقات بين الخيل، ويجعل الجوائز، لرفع مستوى الفروسية عند المسلمين(١).

علاوة على تمكنه من قيادة الجيش الإسلامي الذي حاصر القسطنطينية، وسيطرته على مجريات القتال.

وذكر صفوان بن عمرو أن المسلمين لما جاوزوا بالأسارى من الروم، ضرب أعناقهم يزيد بن معاوية والروم تنظر إليهم(٢).

كما أن من حزمه ما حكاه العتبي بإسناده أن أبا أيوب الأنصاري مرض في غزوة القسطنطينية، فأتاه يزيد عائدًا فقال: ما حاجتك يا أبا أيوب؟ قال: ادفني عند أسوار القسطنطينية، فإني سمعت رسول الله ﷺ يقول: يدفن عند أسوار القسطنطينية رجل صالح أرجو أن أكون هو.

فلما مات أمر يزيد بتكفينه وحُمل على سريره، ثم أخرج الكتائب، فجعل قيصر يرى سريرًا والناس يقتتلون فأرسل إلى يزيد: من هذا الذي أرى؟ قال: صاحب نبينا وقد سألنا أن ندفنه في بلادك ونحن منفذون وصيته أو تلحق أرواحنا بالله.

قال: العجب كيف من ينسب أبوك للدهاء ويرسلك فتأتي بصاحب نبيك، وتدفنه في بلادنا، فإن وليت أخرجناه إلى الكلاب، فقال يزيد: إني والله ما أردت إيداعه بلادكم حتى أودع كلامي آذانكم، فإنك كافر بالذي أكرمت هذا له، لئن بلغني أنه نبش من قبره أو مثل به، لا تركت بأرض العرب نصرانيًا إلا قتلته، ولا

---

(١) المجاهد علي بن داود الرسولي، الأقوال الكافية في الفصول الشافية في الخيل: ٣١٢.

(٢) ابن عساكر، تاريخ مدينة دمشق - تراجم حرف العين (عبد الله بن مسعدة) ص٧.

كنيسة إلا هدمتها.

فبعث إليه قيصر: أبوك كان أعلم بك، فوحق المسيح لأحفظنه بيدي[١].

وقد نالت شجاعة يزيد في حصار القسطنطينية إعجاب الأدباء، لذلك تراهم يتناقلون ذكر شجاعته وبسالته[٢].

ولقد أشار المؤرخون إلى شجاعته وبسالته في حصار القسطنطينية[٣].

٢- الفصاحة والشعر:

لقد ذكر كل من ترجم ليزيد أنه مشتهر بالفصاحة والشعر، ولقد أرجع القلقشندي فصاحة يزيد وتعلمه الشعر لأمه ميسون بنت بحدل الكلبية[٤].

وذكر الذهبي أنه صاحب فصاحة[٥].

ولقد مكنته هذه الفصاحة من إعجاب أبيه به؛ فقد ذكر العتبي: «أن زيادًا قدم بأموال كثيرة وبسفط مملوء جواهر على معاوية فسُرَّ معاوية بذلك، فقدم زياد فصعد المنبر، ثم افتخر بما يفعله بأرض العراق من تمهيد الممالك لمعاوية، فقام يزيد فقال: إن تفعل ذلك يا زياد فنحن نقلناك من ولاء ثقيف إلى قريش، ومن القلم إلى المنابر، ومن

---

(١) العقد الفريد، ٤/ ٣٦٧؛ ابن قدامة المقدسي، الاستبصار في نسب الصحابة من الأنصار: ٧٠-٧١.

(٢) الأغاني: ١٦/ ٢٢؛ رسالة لأبي الطيب بن من الله القروي في الرد على ابن غرسيه، منشور ضمن كتاب نوادر المخطوطات: ١/ ٣؛ ابن بسام، الذخيرة بمحاسن أهل الجزيرة: ٦/ ٢٢٧.

(٣) خليفة، تاريخ خليفة: ١٥٩؛ أبو زرعة، تاريخ أبو زرعة: ١/ ١٨٨؛ ابن الأثير، الكامل: ٣/ ٤٥٨-٤٥٩.

(٤) القلقشندي، مآثر الأناقة: ١/ ١١٥-١١٦؛ صلاح الدين المنجد، معجم ابن أمية: ٢٠٤.

(٥) الذهبي، سير أعلام النبلاء: ٤/ ٣٧.

زياد بن عبيد إلى حرب بن أمية. فقال له معاوية: اجلس فداك أبي وأمي»[1].

ولما تكلم الخطباء عند معاوية قال: والله لأرمينهم بالخطيب الأشدق، قم يا يزيد، تكلَّم[2].

ومن الدلالة على فصاحته تلك الخطبة الرائعة التي استهل بها تولِّيه الخلافة[3].

وقد ذكر المدائني بإسناده أن رجلًا قال لسعيد بن المسيب: أخبرني عن خطباء قريش، قال: معاوية، وابنه يزيد، ومروان بن الحكم، وابنه عبد الملك، وسعيد بن العاص وابنه، وما ابن الزبير بدونهم[4].

ولقد قرَّب يزيد بن معاوية الأخباريين، وجعل بعضهم من خاصته، وممن اصطفاه منهم وقرَّبه: علاقة بن كُرْشِم الكلابي، وكان مشهورًا في زمنه.

وقد وصفه ابن النديم بأنه: «عارف بأيام العرب وأحاديثها، وهو أحد من أخذت عنه المآثر والأخبار وأحاديث العرب، وأدخله يزيد بن معاوية في سُمَّاره»[5].

وقال ياقوت الحموي: «له علم بالأنساب، والأخبار، وأحاديث العرب

---

(١) محمد ظفر الصقلي، أنباء نجباء الأبناء: ١٣٣، ١٣٤؛ البداية والنهاية: ٨/ ٢٣١.

(٢) الجاحظ، البيان والتبيين: ١/ ١٢٢.

(٣) ابن سعد، القسم الرابع: ١/ ١٧٤؛ ابن قتيبة الدينوري، عيون الأخبار: ٢/ ٢٦٠؛ العقد الفريد، ٤/ ٣٧٤، ٤٧٥.

(٤) البلاذري، أنساب الأشراف: ٤/ ٢٨٩؛ الجاحظ، البيان والتبيين: ١/ ٣١٤. ونقل هذا الكلام عن الحسن البصري، انظر البيان والتبيين: ١/ ٣٥٣.

(٥) الفهرست: ص ١٣٢.

القديمة، وقد أخذ عنه من ذلك شيء كثير»[١].

شعر يزيد:

وأما شعره فقد كان شاعرًا مجيدًا[٢]؛ جعل الناس يقولون بدئ الشعر بملك، وختم بملك؛ إشارة إلى امرىء القيس وإلى يزيد[٣].

وكان يزيد وعبد الرحمن بن حسان يتقاولان الشعر[٤].

ولعل من روائع شعره؛ تلك القصيدة الرائعة التي أرسلها إلى قريش في مكة والمدينة يحذرهم من الفتنة والدخول فيها[٥].

قال عنه ابن طباطبا: «كان فصيحًا شاعرًا مفلقًا»[٦].

وقال عنه خليل مردم: «كان شاعرًا أديبًا فصيحًا»[٧].

---

(١) معجم الأدباء، ٥/ ٦٦؛ وانظر: بروكلمان، تاريخ الأدب العربي: ١/ ٢٦١؛ سزكين، تاريخ التراث العربي: ١/ ٢/ ٤١؛ حسين عطوان، الرواية التاريخية في بلاد الشام في العصر الأموي ص٢٨.

(٢) إن كتب الشعراء لم تذكر يزيد ضمن الشعراء المترجمين، مثل: طبقات فحول الشعراء لابن سلام، والشعر والشعراء لابن قتيبة، طبقات الشعراء لابن المعتز، طبقات الشعراء للمرزباني. والسبب في نظري يعود إلى قلة شعره مع دخول الدس عليه، الأمر الذي جعل المترجمين يتوقفون في إيراد ترجمته، بينما يرجع الأستاذ فؤاد سزكين السبب إلى أن يزيد بن معاوية لم يُعرف شاعرًا (فؤاد سزكين، تاريخ التراث العربي ٢/ (٣)/ ٤).

(٣) ابن طباطبا، الفخري في الآداب السلطانية ١٣٣.

(٤) ابن سلام، طبقات فحول الشعراء: ١/ ٤٦١.

(٥) ابن سعد، ط/ ٥/ ٣٦٤-٣٦٥؛ المزي، تهذيب الكمال: ٦/ ٤١٨-٤١٩.

(٦) ابن طبابطبا، الفخري في الآداب السلطانية: ١١٣.

(٧) خليل مردم، جمهرة المغنين: ٦٦. على أن شعر يزيد لم يحفظ لنا سليمًا كما ينبغي، بل زيد فيه ودس فيه أشياء.

وذكر ابن خلكان في ترجمة المرزباني: «أنه هو أول من جمع ديوان يزيد بن معاوية، واعتنى به، وهو صغير الحجم يدخل في مقدار ثلاث كراريس، وقد جمعه من بعده جماعة، وزادوا فيه أشياء كثيرة ليست له»[١].

وإن جودة شعر يزيد جعلت ابن خلكان يحفظ ديوانه «لشدة غرامه به»[٢].

وقد ساعد ابن خلكان ذلك الحفظ لديوان يزيد وتلك المحبة لشعره إلى أن قال: «لقد عرفت صحيحه من المنسوب إليه الذي ليس له، وتتبعته حتى ظفرت بصاحب كل بيت...»[٣].

ولقد تنبَّه أيضا لهذا الدس في شعر يزيد ابن شاكر الكتبي[٤]، فقال: «وله ديوان - أي ليزيد- لا يصح عنه منه إلا القليل، وقد جمع ديوانه الصاحب جمال الدين علي بن يوسف القفطي، وأضاف إليه كل من اسمه يزيد»[٥].

قال صلاح الدين المنجد: «وفي عام ١٩٢٢م نشر المستشرق الألماني (بول شوارتس) قصائد ليزيد لم يعرف من جمعها، وجدها في مكتبة الأسكوريال، تبلغ اثنتي عشرة قصيدة، أو قطعة. وقد دققنا فيها فوجدنا أنها مما ينسب ليزيد، وكان

---

(١) ابن خلكان، وفيات الأعيان: ٤/ ٣٥٤.

(٢) نفس المصدر: ٤/ ٣٥٤.

(٣) نفس المصدر السابق:٤/ ٣٥٤. وانظر نماذج من شعره المنسوب إليه عند صدر الدين البصري –الحماسة البصرية: ٢/ ٣٩١.

(٤) ابن شاكر الكتبي، فوات الوفيات: ٤/ ٣٢٨.

(٥) انظر: مقدمة أبو الفضل إبراهيم لكتاب «إنباه الرواة» للقفطي: ١/ ٢٢ وذكر أنه مفقود مع جميع كتب القفطي الأخرى، وانظر: مقدمة كتاب «المحمودون من الشعراء» للقفطي.

الأب (هنري لامانس) قد نقدها وأبان عن زيفها؛ وكذلك نشر المستشرق الإيطالي الأستاذ (جورج دلا فيد) أشعارًا أخرى له»[1].

ولكن مع قلة شعر يزيد إلا أنه في نهاية الحسن على حد تعبير ابن خلكان[2]. وقد كان الشافعي يستشهد بشعره[3]. ولذا قال ابن حجر: «وكان يزيد شجاعًا جوادًا شاعرًا مجيدًا»[4].

٣- الحلم والكرم:

ليس غريبًا أن يعرف عن يزيد الحلم؛ فهو من عشيرة عرفت بالحلم، قال علي ﷺ: «أرزننا أحلامًا إخوتنا بنو أمية...»[5].

وأبوه معاوية يضرب به المثل في حلمه؛ قال قبيصة بن جابر: «صحبت معاوية فما رأيت رجلًا أثقل حلمًا من معاوية، ولا أبطأ جهلا، ولا أبعد أناة منه»[6].

وبالتأكيد فإن مصاحبة يزيد لوالده كان لها أثرٌ كبيرٌ في طباعه وسلوكه.

لقد شهد حبر الأمة «عبد الله بن عباس ليزيد بالحلم، فلما أتاه يزيد مُعزِّيا له في موت الحسن وخرج من عنده، قال ابن عباس: إذا ذهب بنو حرب ذهب حُلماء الناس»[7].

---

(١) د. صلاح الدين المنجد، شعر يزيد بن معاوية ص٢٠.

(٢) وفيات الأعيان: ٤/ ٣٥٤.

(٣) ابن عبد البر، الاستيعاب: ٣/ ١٤١٩.

(٤) تعجيل المنفعة: ٤٥٣.

(٥) عبد الرزاق، المصنف: ٥/ ٤٥١.

(٦) الذهبي، سير أعلام النبلاء: ٣/ ١٥٣؛ وانظر أمثلة من حلمه في كتاب الوافدين من الرجال على معاوية للعباس بن بكر الضبي.

(٧) ابن عساكر: ١٨/ ق ٣٩٥. أما الرواية التي فيها إذا ذهب بنو حرب ذهب علماء الناس، فإن=

وموقفه من عبد الرحمن بن حسان يشهد له بذلك؛ فقد هجاه، فقال الحصين بن نمير أو مسلم بن عقبة: اقتله فإن حلم أمير المؤمنين معاوية جرَّأ الناس عليك. فقال: جفوناه وحرمناه فاستحققنا ذلك، فبعث إليه بثلاثين ألف درهم[(١)].

كرم يزيد:

اشتهر عن يزيد الكرم؛ فكان يجزل العطاء لعبد الله بن جعفر بن أبي طالب[(٢)].

وليس غريبا عنه وهو الذي يقول: «حفظ النديم والجليس وإكرامهما من كرم الخليفة وقضاء حق النعمة»[(٣)].

ولقد حازت هذه الأعطيات على إعجاب عبد الله بن جعفر، وقال له: «فداك أبي وأمي فوالله ما قلتها لأحد قبلك»[(٤)].

- لفظة علماء محرفة من الأصل «حلماء»، والدليل أن ابن عباس أنشد متمثلًا:

مغاضي عن العوراء لا ينطقوا بها ... وأصلُ وارثات الحلوم الأوائل

كما أن المكان مكان إظهار الحلم لا إظهار علم، وقد بنى على هذه المقولة الدكتور العقيلي في كتابه (يزيد بن معاوية ص ١٣) واستشهد بها على أن ابن عباس شهد ليزيد بالعلم. والسبب أنه اعتمد في نقله على ابن كثير: ٨/ ٢٣١، بينما ابن طولون في القيد الشريد ينقل عن ابن كثير، ونقلها بلفظ الحلم؛ انظر: ابن طولون ق ٣-٤.

(١) البلاذري، أنساب الأشراف: ٤/ ٢٩٩.

(٢) نفس المصدر السابق: ٤/ ١٨٩؛ ابن الفوطي، تلخيص معجم الأدب في معجم الألقاب: ٤/ (١)/ ٤٠٦؛ محمد القلعي، تهذيب الرياسة وترتيب السياسة: ٢٧٣؛ العقد الفريد: ٢/ ٧٠؛ ابن عساكر (ترجمة عبد الله بن جابر - عبد الله بن زيد) ص ١٩.

(٣) أنساب الأشراف: ٤/ ٢٩٧.

(٤) المصدر السابق: ٤/ ٢٨٩؛ ابن حبيب المنمق، ٣٧٧؛ ابن طولون، القيد الشريد ق٣.

وكان يقول: «أتلوموني على حسن الرأي في يزيد»[(١)].

ومن كرمه أيضًا: أن عبد الله بن حنظلة عندما قدم عليه من المدينة وبنوه، أعطاه مئة ألف، وأعطى كل واحد منهم عشرة آلاف، سوى كسوتهم وحملانهم[(٢)].

ومن كرمه: قصته المشهورة مع الأحنف في مقاسمته الجائزة التي أمر بها معاوية ليزيد؛ وذلك أن معاوية بن أبي سفيان غضب يومًا على يزيد، فدخل عليه الأحنف بن قيس، فسأله معاوية عن الولد. فرد عليه الأحنف بكلام جميل يحمل في طياته الحكمة في التعامل مع الأبناء، فانشرح صدر معاوية لما ذكر الأحنف، فأرسل إلى يزيد ورضّاه وأعطاه مئتي ألف، ومئتي ثوب، فقسم يزيد ما أعطاه والده بينه وبين الأحنف مناصفة[(٣)].

---

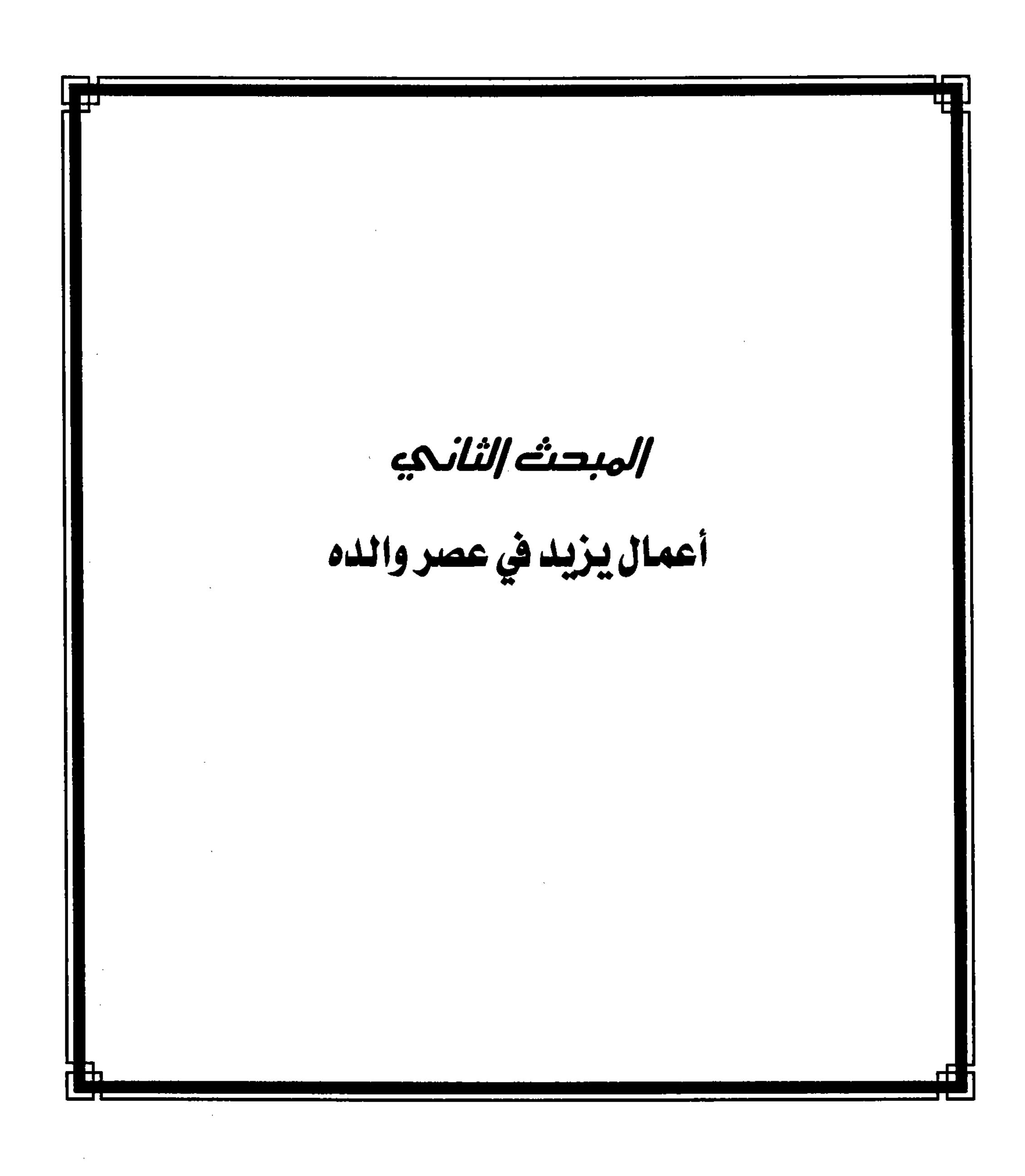
(١) ابن كثير: ٨/ ٢٢٣.

(٢) خليفة، تاريخ خليفة: ٢٣٧؛ ابن عساكر، تاريخ دمشق، تراجم حرف العين (عبد الله بن حنظلة): ٢٠٩، ٢١٠. وذلك على اعتبار أن العطاء من ماله الخاص، وأما من مال الدولة فلا يحق له.

والجود جعله ابن حزم أحد أركان الفضائل الأربعة، انظر: ابن حزم، الأخلاق والسير: ٦٠؛ ابن حبان، روضة العقلاء: ٢٤١، ٢٤٢

(٣) ابن أبي الدنيا، العيال: ١/ ٣٠٨-٣٠٩؛ أبو علي القالي، الأمالي: ٢/ ٤١؛ ابن عساكر، تاريخ دمشق: ١٨/ ق ٣٩٤؛ ابن كثير، البداية والنهاية: ٨/ ٢٣١؛ ابن العديم، الدراري في ذكر الذراري: ص٢٣.





المبحث الثاني

أعمال يزيد في عصر والده



المبحث الثاني

أعمال يزيد في عصر والده

غزو القسطنطينية:

بعد أن رأى معاوية في ولده ما رأى من الفصاحة، والبلاغة، والقوة، والشجاعة، وقام على تعليمه وتثقيفه، واستجلب له أشهر أهل زمانه من علماء النسب، أصبح يتطلَّع في ولده النجابة، وحمل بعض الأعباء عنه.

فاختاره أول ما اختاره لأن يحمل أغلى وأثمن راية في حياة المسلمين، وهي راية الجهاد في سبيل الله.

فأراد من يزيد أن يكون قائدًا للقوة الجهادية التي ستتجه نحو الروم؛ تلك الجبهة المهمة والواضح خطرها على المسلمين آنذاك.

فمن المعلوم أن الدولة الرومانية قد انحسرت أمام الفتوح الإسلامية؛ فبعد معارك اليرموك، وأجنادين، وغيرها، وتحرير دمشق، والقدس، وبقية المدن الشامية، أصبحت جميع بلاد الشام محرَّرة من السيطرة الرومانية- وذلك في عصر عمر بن الخطاب ﷺ- ثم تابع المسلمون الروم في مصر، وبرقة، وطرابلس الغرب.

هذا من جهة الغرب، أما الجهة الشمالية، فبعد أن تراجع الروم من بلاد الشام أصبحت منطقة أرمينية والحدود الشمالية لسوريا مع آسيا الصغرى -إقليم (الأناضول)- منطقة ثغر، وظل الروم يغيرون بين الفيْنة والأخرى على بلاد الشام، وبالأخص على السواحل الشامية؛ وذلك نتيجة لتطور أسطولهم، ولعدم

وجود أسطول قوي يحمي المسلمين من عدوهم[١].

فبدأ المسلمون يتجهون للتفكير في بناء أسطول حربي يوازي أو يفوق أسطول الروم البحري.

ولعل الدافع الذي حدا بالمسلمين أن يفكِّروا تفكيرًا جديًا في إنشاء الأسطول البحري، إنما كان بسبب استيلاء الروم على الإسكندرية حوالي سنة ٢٤هـ[٢].

ثم أصبحت الإسكندرية بعد استردادها مكانًا لتصنيع السفن، ولقد انتشرت أحواض بناء السفن حتى على الساحل الشامي، وأصبحت صور الثانية في الأهمية من حيث بناء السفن بعد الإسكندرية[٣].

فكان أول من ركب البحر هو معاوية ﷺ، عندما فتح قبرص سنة ٢٨هـ[٤].

كما اشترك أسطول الشام بقيادة معاوية بن أبي سفيان مع أسطول الإسكندرية بقيادة سعد بن أبي السرح في المعركة البحرية الشهيرة، والمعروفة بغزوة «ذات الصواري» سنة ٣٥هـ[٥].

---

(١) صالح العلي – امتداد العرب في صدر الإسلام، مجلة المجمع العراقي جـ ٣٢/ ١٠-١١.

(٢) ابن عبد الحكم، فتوح مصر: ص ٣٧؛ البلاذري، فتوح البلدان: ص ١٦؛ السيوطي، حسن المحاضرة: ١/ ١٦٠-١٦١.

(٣) عمر أبو النصر، سيوف أمية في الحرب والإدارة: ١٣٦.

(٤) البلاذري، فتوح البلدان: ١٨١، ١٨٢؛ ابن حجر، فتح الباري: ١١/ ٧٣.

(٥) انظر تفصيلًا لهذه المعركة عند: المقريزي، السلوك: ١/ ٢٧٣؛ شوقي أبو خليل، كتابه عن ذات الصواري.

وقد اشتهرت في المصادر الأوروبية بموقعة (فونيكة)؛ لوقوعها بالقرب من ثغر فونكة غربي الإسكندرية[١].

ولكن هزيمة الروم في البحر لم تجعلهم يكفُّون عن تهديد بلاد الشام؛ سواء من البر أو البحر، أو منهما جميعًا، مما جعل معاوية يكون شديد التَّيقُّظ لمحاولاتهم.

وإن كان هناك من كلمة حق في معاوية، فإنا نقول إن معاوية ﷺ قد قام بالدفاع عن بلاد الشام حق القيام، وأصبح يتابع الغزوات على منطقة الثغور حتى أصبحت الروم ترهب جانب المسلمين[٢].

وبعد أن وقعت الفتنة بين الصحابة -رضوان الله عليهم- بسبب الحقد اليهودي السبئي، انشغل معاوية ﷺ بالمطالبة بثأر الخليفة المقتول ظلمًا ﷺ.

وتوقف الجهاد على الجبهة الرومية وغيرها، قال سعيد بن عبد العزيز: «لما قتل عثمان واختلف الناس، لم تكن للناس غازية، ولا صائفة، حتى اجتمعت الأمة على معاوية سنة أربعين، وسمَّوها سنة الجماعة»[٣].

ويذكر اليعقوبي: أن طاغية الروم زحف على بلاد الشام خلال هذه الفتنة، فصالحه معاوية[٤].

---

(١) سعاد ماهر، البحرية في مصر الإسلامية: ص٨٤ (تقع فونيكة بالقرب من مدينة مرسى مطروح الحالية، انظر نفس المصدر والصفحة).

(٢) أبو إسحاق الفزاري، السير: ص ٣٠٢.

(٣) تاريخ أبي زرعة: ١/ ١٨٨.

(٤) اليعقوبي، تاريخ اليعقوبي: ٢/ ٢١٧.

فلما استقام الأمر لمعاوية: «أغزا الصوائف، وشتَّاهم بأرض الروم، ستة عشر صائفة، تصيف بها وتشتوا بها، ثم تقفل وتدخل معقبتها»[١]. ولم يقبل معاوية ﷺ صلحًا مع الروم[٢].

والمتتبع للقائمة التي أوردها اليعقوبي[٣] لأمراء الصوائف، يجد أن معاوية ﷺ اهتم بتلك الجبهة اهتمامًا واضحًا لخطرها على المسلمين، وجعل أنجب القواد في تلك الجبهة؛ أمثال بسر بن أبي أرطأة[٤]، وعبد الرحمن بن خالد[٥]، وفضالة بن عبيد[٦]، وسفيان بن عوف،.....وغيرهم.

وقام معاوية في سنة ٤٩هـ بتهديد عاصمة الروم المنيعة (القسطنطينية) فأرسل جيشًا ضخمًا بقيادة ولده يزيد بن معاوية لمحاصرة القسطنطينية، ومعه القواد المشهورون: بسر بن أبي أرطأة قائد الأسطول البحري، وسفيان بن عوف،

---

(١) تاريخ أبي زرعة: ١/ ١٨٨.

(٢) اليعقوبي، تاريخ اليعقوبي: ٢/ ٢١٧.

(٣) نفس المصدر السابق: ٢/ ٢٣٩، ٢٤٩.

(٤) بسر بن أبي أرطأة الأمير أبو عبد الله القرشي الغامدي، صحابي نزيل دمشق، كان فارسًا شجاعًا، فاتكًا من أفراد الأبطال، كان له نكاية في الروم، وكان من أمراء معاوية ﷺ، بقي إلى حدود سنة سبعين (ابن بدران، مختصر تاريخ دمشق: ٣/ ٢٢٣).

(٥) عبد الرحمن بن خالد بن الوليد بن المغيرة القرشي المخزومي، أدرك النبي ﷺ ولم يحفظ عنه، وسمع عنه، وكان من فرسان قريش وشجعانهم، شهد صفين مع معاوية، وتوفي قبل الخمسين من الهجرة. (ابن عبد البر، الاستيعاب: ٢/ ٨٢٩-٨٣٠).

(٦) فضالة بن عبيد بن نافذ بن قيس الأنصاري الأوسي، أول مشاهده أحد، ثم نزل دمشق وولي قضاءها، مات سنة ثمان وخمسين، وقيل قبلها. (التقريب: ٤٤٥).

وفضالة بن عبيد الأنصاري، قائدا الجيش البري[١].

ويبدو أن أخبار تجهيز هذا الجيش الضخم قد انتشرت؛ بدليل أن كثيرًا من أكابر الصحابة وسادات المسلمين وأبنائهم قد اشتركوا في هذه الغزوة.

وربما اشترك فيها الصحابة وأبناؤهم طلبًا للمغفرة الثابتة لأهل غزو القسطنطينية.

وقد اشترك في هذه الغزوة أبو أيوب الأنصاري، وعبد الله بن عباس، وعبد الله ابن الزبير، وعبد الله بن عمر، والحسين بن علي[٢]، وأبو ثعلبة الخشني[٣] وغيرهم من سادات المسلمين.

وكانت هذه الغزوة في سنة ٤٩هـ[٤]، وقيل في سنة ٥٠هـ[٥]، وقيل سنة ٥٢هـ[٦].

الشروع في غزو القسطنطينية:

---

(١) ذكر الأتابكي أن سفيان بن عوف الأمير، وأن يزيد تابع له، والذي جعل الأتابكي يقع في هذا الخطأ هو أن الجيش البري بقيادة سفيان بن عوف، والجيش البحري بقيادة بسر بن أبي أرطأة، فاعتقد أن يزيد تابع لابن عوف، أو ذهب ظنه على غزوة الطوانة التي شارك فيها يزيد ضد الروم. انظر: الأتابكي، النجوم الزاهرة: ١/ ١٣٤-١٣٥.

(٢) عبد الرزاق، المصنف: ٥/ ٢٧٨؛ أحمد بن حنبل، العلل: ٢/ ١٣٩؛ الخطيب البغدادي، تاريخ بغداد: ١/ ١٥٤؛ ابن كثير: ٩/ ٣٤.

(٣) عبد الجبار الخولاني، تاريخ داريا: ٥٨.

(٤) ابن عساكر: ١٨/ ق ٣٩٥؛ ابن كثير: ٨/ ٢٣٢؛ ابن طولون، القيد الشريد: ق٤.

(٥) خليفة: تاريخ خليفة: ٢١١.

(٦) الحاكم، المستدرك: ٣/ ٤٥٨، الذهبي، دول الإسلام: ٣٦؛ ابن حجر، فتح الباري: ٦/ ١٢٠.

تقدم الجيش الإسلامي نحو القسطنطينية بشقَّيه: البري والبحري، وكان الجالس على عرش الدولة البيزنطية يومئذٍ: الإمبراطور قسطنطين الرابع، وكان قد وقف على أنباء هذه الغزوة منذ إعدادها، واستعد لردها بكل ما وسعه من وسائل الدفاع[(١)].

«وهكذا بدأ المسلمون أعنف معاركهم البحرية بمحاصرة القسطنطينية؛ فطوَّقوها من البر والبحر بصفوف كثيفة من السفن والجند، ولبثوا عدة أيام من الفجر إلى المساء، يهاجمون واجهتها الشرقية حتى القرن الذهبي، دون أن يظفروا بالدنو من أسوارها وأبراجها المنيعة»[(٢)].

ولقد حاول المسلمون محاولات جادة لفتح ثغرة في سور القسطنطية، ولكن بسالة المدافعين حالت دون ذلك، ولم يكن القتال على الأسوار فقط، بل تعداه إلى القتال في عرض البحر، فقام عبد الله بن قيس بإنزال ضربة قاسية بحرقات الروم، وجاؤوا بالأسرى من الروم إلى يزيد[(٣)].

فحاول يزيد أن يوهن من قوة المدافعين عن المدينة، فقام بضرب أعناق الأسرى والروم تنظر إليهم[(٤)].

ومع ذلك كله فإن المسلمين لم يستطيعوا إحراز أي تقدم في محاصرتهم

---

(١) محمد عبد الله عنان، مواقف حاسمة في تاريخ الإسلام: ٣٧.

(٢) المصدر السابق: ٣٧.

(٣) ابن عساكر، تاريخ مدينة دمشق - تراجم حرف العين (عبد الله بن مسعدة...) ص٧.

(٤) نفس المصدر و الصفحة.

للقسطنطينية؛ والسبب كما يقول محمد عبد الله عنان: «أن المسلمين أخطأوا في تقدير منعة القسطنطينية، ومنعة وسائل الدفاع الرومانية، وما أثاره الخطر الداهم في أنفس الرومانيين من الشجاعة، والاستبسال في الدفاع عن حاضرتهم وآخر معاقلهم، والذود عن دينهم ومدينتهم، وهالهم جلد العدو وصبره، وراعهم بالأخص فتك النار اليونانية بسفنهم وصفوفهم وعتادهم، وكان اليونانيون قد وقفوا على سرها قبل ذلك بقليل، فكانت لديهم أنجح وسائل الدفاع» [(١)].

وقال السيد الباز العريني: «إن نجاة القسطنطينية وخلاصها إنما جاءت نتيجة استخدام ما هو معروف بالنار الإغريقية؛ هذا السلاح جرى استخدامه ضد الأسطول الذي يحاصر المدينة، وهذه النيران عبارة عن مخلوط كيمياوي قابل للانفجار،ويجري قذفه بأنابيب خاصة، فإذا احتك بسفينة للعدو اشتعل واحترق، ومن خصائص هذه النيران أيضًا أنها تشتعل بالماء، وظل سر تركيب هذه النيران مكتومًا لمدة طويلة، لما حققته من فائدة، وما أحرزته من انتصارات بحرية عديدة» [(٢)].

ولقد مرض أبو أيوب الأنصاري في هذه الغزوة، وأثناء اشتداد المعارك عاده يزيد بن معاوية، وطلب من يزيد إذا مات أن يوغل في أرض العدو ما يستطيع

---

(١) محمد عنان، مواقف حاسمة في تاريخ الإسلام: ٣٧.

(٢) السيد الباز العريني، الدولة البيزنطية: ١٥٠-١٥١؛ عمر أبو النصر، سيوف أمية: ص ١٣٦.

(كان أحد اليونانيين المدعو كلينكوس من مدينة هيلوبوليس؛ قد اصطنع جراريف نارية مركبة من النفط والقطران والكبريت؛ ومن عجيب خواصها أنها إذا اشتعلت لا تطفأ؛ فأتى باختراعه هذا إلى القسطنطينية، (انظر: سليمان المسير علي - خلفاء محمد ﷺ: ٤٤٧).

إلى ذلك ثم يدفنه.

وسار يزيد به بعد ما تُوفِّي، فأوغل في أرض العدو يومًا أو بعض يوم، ثم نزل فدفنه [(١)].

قال ابن كثير عن جيش يزيد: «فكان هذا الجيش أول من غزاها، وما وصلوا إليها حتى بلغوا الجهد» [(٢)].

وبعد أن استمر المسلمون في حصار المدينة من إبريل إلى سبتمبر، ارتدوا عند اقتراب الشتاء إلى جزيرة كيزكوس الواقعة على قيد ثمانين ميلًا من القسطنطينية، حيث أنشأوا مراكزهم العامة، فقضوا بها الشتاء.

غير أنهم عاودوا الحصار في صيف العام التالي، وعاودوا الارتداد في الشتاء إلى كيوكوس، واستمروا كذلك يعاودون حصار القسطنطينية كل صيف، ويرتدُّون عنها كل شتاء، ستة أو سبعة أعوام متوالية قبل أن يفكروا في العدول عن مشروعهم الضخم [(٣)].

---

(١) عبد الرزاق، المصنف: ٥/ ٢٧٩؛ ابن سعد، الطبقات الكبرى: ٣/ ٤٩؛ أحمد، المسند: ٥/ ٤١٩؛ البخاري، التاريخ الصغير: ١/ ١٢٥؛ ابن عبد الحكم، فتوح مصر وأخبارها: ٢٧٠؛ الطبراني، المعجم الكبير: ٤/ ١٧٠ (٤٠٤١)؛ ابن عبد البر، الاستيعاب: ٢/ ٤٢٥-٤٢٦؛ الكلاباذي، رجال صحيح البخاري: ١/ ٢٢٢؛ أحمد بن منجويه، رجال صحيح مسلم: ١/ ١٨١؛ ابن القيسراني، الجمع بين رجال الصحيحين: ١/ ١٢١؛ ابن قنفذ، الوفيات: ٦١؛ ابن حجر، الإصابة ٢/ ٣٥ وله أيضًا تعجيل المنفعة ٤٥١-٤٥٢؛ يحيى بن ابي بكر العامري، الرياض المستطابة ٦١؛ الفونس ماريا شنيدر - قبور الصحابة في القسطنطينية (ضمن كتاب المنتقى من دراسات المستشرقين د. صلاح المنجد ص١٥٣).

(٢) ابن كثير، البداية والنهاية: ٩/ ٣٤.

(٣) محمد عبد الله عنان، مواقف حاسمة في تاريخ الإسلام: ٣٧.

هذا بالنسبة للجيش، أما بالنسبة ليزيد فيبدو أنه قد رجع بعد الحصار الأول، بدليل أنه أقام الحج في تلك السنة التي غزا فيها القسطنطينية[١].

وتكمن أهمية هذه الغزوة في ذكرها في الحديث الشريف، وفضيلتها، وفضيلة أهلها المجاهدين؛ فقد ثبت في الصحيح من حديث أنس بن مالك ﷺ قال: «كان رسول الله ﷺ إذا ذهب إلى قباء يدخل على أم حرام بنت ملحان فتطعمه - وكانت تحت عبادة بن الصامت - فدخل يومًا فأطعمته، فنام رسول الله ﷺ، ثم استيقظ يضحك، قالت: فقلت: ما يضحكك يا رسول الله؟ فقال: **ناس من أمتي عُرِضُوا عليَّ غزاة في سبيل الله، يركبون ثبج هذا البحر؛ ملوكًا على الأسرة، أو قال: مثل الملوك على الأسرة**- يشك إسحاق - قلت: ادع الله أن يجعلني منهم، فدعا، ثم وضع رأسه فنام، ثم استيقظ يضحك، فقلت: ما يضحكك يا رسول الله؟ فقال: **ناس من أمتي عُرِضُوا عليَّ غزاة في سبيل الله يركبون ثبج هذا البحر ملوكًا على الأسرة، أو مثل الملوك على الأسرة**، فقلت: ادع الله أن يجعلني منهم، قال: **أنت من الأولين**، فركبت البحر زمن معاوية، فصرعت عن دابتها حين خرجت من البحر، فهلكت»[٢].

---

(١) ابن كثير: ٩/ ٣٤؛ ابن طولون، القيد الشريد ورقة ٤.

(٢) مالك، الموطأ مع التمهيد ١/ ٢٤١؛ الساعاتي، الفتح الرباني على مسند أحمد: ٢٥/ ٤٣٠-٤٣١؛ الدارمي، السنن: ٢/ ١٢٩؛ البخاري، الصحيح مع الفتح: ١١/ ٧٣؛ مسلم، الصحيح مع شرح النووي: ١٣/ ٥٨-٥٩؛ الترمذي، السنن: ٤/ ١٧٨ (١٦٤٥)؛ ابن ماجه، السنن: ٢/ ٩٢٧ (٢٧٧٦)؛ ابن أبي عاصم؛ كتاب الجهاد ٢/ ٦٦١-٦٦٢؛ النسائي، السنن:

وفي رواية: (**أول جيش من أمتي يغزون مدينة قيصر مغفور لهم**)[١].

قال ابن كثير في تعليقه على هذا الحديث: «وقد كان ذلك في سنة سبع وعشرين مع معاوية، حين استأذن عثمان في غزو قبرص فأذن له، فركب المسلمون في المركب حين دخلها وفتحها قسرًا، وتوفيت أم حرام في هذه الغزوة في البحر، وكانت مع معاوية زوجته: فاخته بنت قرظة.

وأما الثانية فكانت في سنة اثنين و خمسين في أيام ملك معاوية؛ بعث ابنه يزيد ومعه الجنود إلى القسطنطينية، ومعه في الجيش جماعة من سادات الصحابة؛ منهم: أبو أيوب الأنصاري، خالد بن زيد ﷺ، فمات هناك، وأوصى إلى يزيد بن معاوية، وأمره أن يدفنه تحت سنابك الخيل، وأن يوغل إلى أقصى ما يمكن أن تنتهي به إلى نحو جهة العدو، ففعل ذلك»[٢].

وقال البدر الرماميني في مصابيح الجامع، عندما قال فيه: «**أول جيش من أمتي يغزون مدينة قيصر مغفور لهم**»، قال المهلب: «من هذا الحديث ثبتت خلافة يزيد[٣]، وفيه أنه من أهل الجنة، وفي هذا الحديث منقبة لمعاوية؛ لأنه أول من غزا في البحر، ومنقبة لولده؛ لأنه أول من غزا مدينة قيصر[٤].

٦/ ٤٠-٤١؛ الطبراني، المعجم الكبير: ٢٥/ ١٣٣.

(١) صحيح البخاري مع فتح الباري: ٦/ ١٢٠، وقد تفرد بهذه الرواية البخاري؛ انظر: النهاية لابن كثير: ١/ ٦.

(٢) ابن كثير: النهاية ١/ ٦.

(٣) ابن طولون، القيد الشريد: ق ١٩، ٢٠.

(٤) نفس المصدر السابق:ق ١٩-٢٠؛ ابن حجر، فتح الباري: ٦/ ١٢٠ (وقد تعقب ابن المنير وابن التين المهلب فقالا: إنه يدل على أن المراد مغفور لمن وجد شرط المغفرة فيه منهم) (انظر:

والحقيقة أن هذه الفضيلة ليزيد جعلت الذهبي مع شدة حمله على يزيد يقول: «يزيد بن معاوية؛ أبو خالد الأموي له هنات حسنة، وهي غزو القسطنطينية، وكان أمير ذلك الجيش وفيهم مثل أبي أيوب الأنصاري».

وما أجمل قول شيخ الإسلام ابن تيمية -رحمه الله- حيث يقول: «ويعلم أن الرجل الواحد تكون له حسنات وسيئات، فيحمد ويذم، ويثاب، ويعاقب، ويحب من وجه، ويبغض من وجه، وهذا هو مذهب أهل السنة والجماعة، خلافًا للخوارج والمعتزلة، ومن وافقهم»(١).

ويبدو أن يزيد قد قام ببعض الحملات حتى وصل إلى خليج القسطنطينية، ومعه زوجته أم كلثوم(٢).

ولمعرفة يزيد بحرب الروم وإدراكه بخطرهم الداهم، وأخذه بنصيحة والده ﷺ، فكان آخر ما أوصى به معاوية أن قال: شد خناق الروم(٣)؛ كل هذه الأمور جعلته بعد أن تولى الخلافة يسير على خطته في جهاد الروم، ولم تمنعه فتنة ابن الزبير وشيعة العراق من قتالهم(٤).

كما كانت وفاة يزيد - فيما بعد - متنفسًا للروم، ليس فقط في وقف الهجمات

نفس المرجع ٦/ ١٢٠).

(١) ابن تيمية، منهاج السنة: ٤/ ٥٤٤.

(٢) أنساب الأشراف: ٤/ ٢٨٩؛ ابن عساكر: ١٨/ ق٣٩٦-٣٩٦؛ أبو الحسن المعافري، الحدائق ٨٥.

(٣) ابن كثير: ٨/ ١٣٦.

(٤) محمد كرد علي، خطط الشام: ١/ ١١٢.

الحربية عليهم من قبل المسلمين، بل بلغت بهم الجرأة إلى الإكثار من الغارات على بلاد الشام، ومنطقة الثغور[(١)].

ولما عاد يزيد من غزوة القسطنطينية في نفس السنة حج بالناس حوالي سنة ٥٠هـ أو ٥١هـ[(٢)].

قال أبو بكر بن عياش: حج بالناس يزيد بن معاوية في سنة إحدى وخمسين، واثنين وخمسين، وثلاث وخمسين[(٣)].

هذا ما وصل إلينا في المصادر عن أعمال يزيد التي قام بها زمن والده.

ولو نظرنا إلى أعمال يزيد هذه، لوجدنا أنها في غاية الأهمية في ذلك العصر؛ فكون يزيد يقود جيشًا من أعظم الجيوش في عصره، ويضم نخبة من الصحابة وأكابرهم وساداتهم، وأبنائهم، ويتجه هذا الجيش بقيادة يزيد إلى أهم جبهة في الدولة الإسلامية، وغير هذه الاعتبارات، تدل على أن يزيد - الذي يبلغ من العمر حين قيادة هذا الجيش ما بين (٢١-٢٣) - يملك روحًا قيادية، وكفاءة

---

(١) البلاذري، فتوح البلدان: ٢٢٤.

(٢) ابن سعد، القسم الرابع ١/ ١٦٣؛ خليفة، تاريخ خليفة: ٢١١؛ ابن عساكر، ١٨/ ق ٣٩٦؛ ابن كثير: ٨/ ٢٣٢؛ ابن طولون، القيد الشريد: ق ٤.

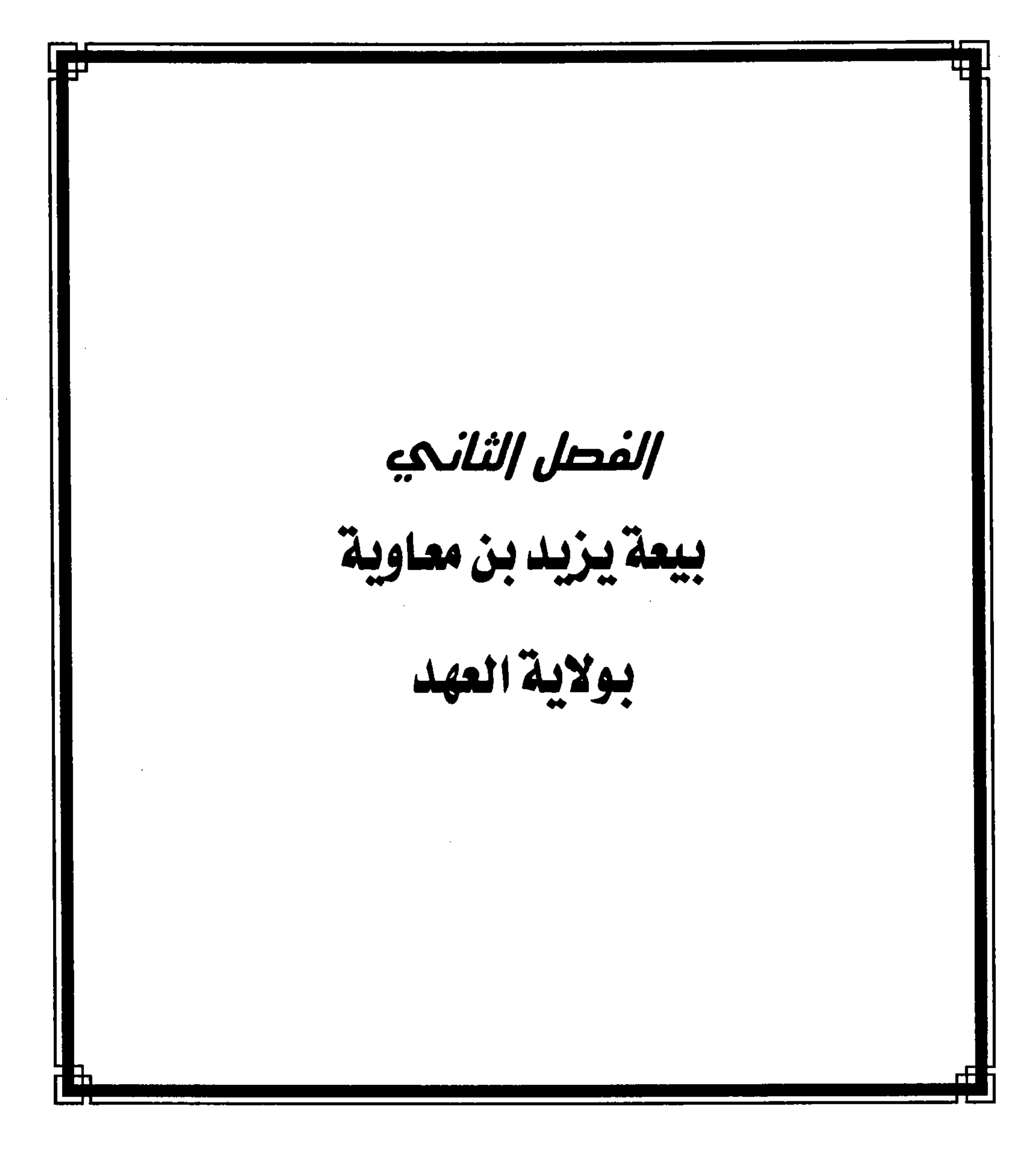
(٣) ابن طولون، القيد الشريد: ق ٤؛ وهذا القول تفرد به ابن عياش ولم يتابعه عليه أحد. وغيره ذكروا أنه أقام الحج مرة واحدة فقط؛ وانظر: المقريزي، الذهب المسبوك ص٢٤؛ أبو عبيد البكري، التنبيه على أوهام أبي علي القالي في أماليه: ص ٢١٧.

حربية جديرة بالاهتمام.

كما أن هذا التصرف من معاوية ﷺ في تولية يزيد هذا الجيش - والذي يضم أكابر الصحابة وأبناءهم وفقهاءهم وسادات المسلمين - فيه دلالة على أن معاوية ﷺ، يرى في ولده يزيد ملامح النجابة والكفاءة التي تؤهله لقيادة هذا الجيش بكل اقتدار، وإلا كانت هذه مغامرة من معاوية لها من الخطورة ما لها فيما بعد.

كما أنه لو كان في يزيد تلك الصفات التي اتُّهِم بها لما خاطر والده ﷺ بإرساله قائدًا على جيش المسلمين الذي يضم من الصحابة وأبنائهم وفقهائهم الكثير؛ فإن اكتشاف صفة من تلك الصفات المتهم بها ليست بعيدة، وحتى في ترأسه للحج فيما بعد.





الفصل الثاني

بيعة يزيد بن معاوية

بولاية العهد



تمهيد: مصادر بيعة يزيد بن معاوية:

يعتبر ابن أبي الدنيا المتوفى سنة (٢٨١هـ) هو أول من أشار إلى علاقة المغيرة بن شعبة ببيعة يزيد بن معاوية.

وقد أورد روايتين عن علاقة المغيرة بن شعبة بالبيعة ليزيد ضمن كتابه الإشراف في منازل الأشراف[١].

وشارك الطبري ابن أبي الدنيا في إيراده الخبر المتضمن: علاقة المغيرة بن شعبة ببيعة يزيد، وقد استقى الطبري روايته تلك من طريق علي بن مجاهد الكلبي[٢] المتوفى سنة (١٨٢هـ) وقد صنَّف علي بن مجاهد كتابًا في المغازي[٣]، ويبدو من خلال الروايات التي أخذها عنه الطبري أن له اهتمامات بالتاريخ الأموي أيضًا[٤].

وينفرد المدائني بأخبار تتعلق بالبيعة ليزيد لم يشاركه فيها أحد؛ فقد أورد رواية تفيد أن معاوية ﷺ قد استشار مجموعة من الزعماء في عصره من أمثال: الأحنف بن قيس، وزياد بن أبي سفيان، وعبد الله بن الزبير ﷺ؛ وذلك قبل أن يأخذ البيعة لابنه يزيد.

وقد وصلت إلينا رواية المدائني هذه من طريق الطبري[٥]، وابن عبد ربه[٦].

---

(١) الإشراف في منازل الأشراف: ص١٢٢،١٢١.

(٢) انظر مصادر ترجمته عند كل من الخطيب، تاريخ بغداد: ١٢/ ١٠٦-١٠٧؛ ابن حجر، تهذيب التهذيب: ٧/ ٣٧٧، ٣٧٨.

(٣) الخطيب، تاريخ بغداد: ١٢/ ١٠٧.

(٤) انظر: فهارس تاريخ الطبري: ١٠/ ٣٤٣.

(٥) تاريخ الأمم والملوك: ٥/ ٣٠٢-٣٠٣.

(٦) العقد الفريد: ٤/ ٢٦٨، ٢٦٩.

وينفرد المدائني أيضًا بتقديم عرض مُفصَّل عن كيفية بيعة الوفود، وقد تفرَّد ابن عبد ربه بنقل هذه الرواية عن المدائني[١].

والمدائني صاحب تصانيف واسعة ومتعددة، ولعل مصدر من أخذ عن المدائني فيما يتعلق ببيعة يزيد بن معاوية هو كتابه... «أخبار الخلفاء الكبير»؛ والذي ابتدأه بأخبار أبي بكر الصديق ﷺ، وختمه بأخبار المعتصم[٢].

وأما كتب السنة فقد شاركت بروايتين: الأولى حول وفادة عمرو بن حزم عن أهل المدينة ومعارضته للبيعة، وقد تفرد أبو يعلى بهذه الرواية[٣]. والثانية حول محاولة مروان بن الحكم أخذ البيعة ليزيد من أهل المدينة. وقد شارك في إيراد هذه الرواية كل من البخاري[٤]، وابن أبي شيبة[٥]، والنسائي[٦]، والبزار[٧]، والحاكم[٨].

وشارك البخاري من خلال كتابه «التاريخ الصغير» في إبداء رواية مهمة تتعلق بخروج بعض أبناء الصحابة من المدينة، واتجاههم إلى مكة في محاولة منهم

---

(١) المصدر السابق: ٤/ ٣٦٩، ٣٧٠.

(٢) ياقوت، معجم الأدباء: ١٤/ ١٣٣.

(٣) المسند: ٦/ ٢٥٣-٢٥٤.

(٤) صحيح البخاري مع الفتح: ٨/ ٤٣٩.

(٥) المصنف: ١١/ ٩٧.

(٦) السنن الكبرى: ٦/ ٤٥٨-٤٥٩.

(٧) المسند: ٢/ ٢٤٧.

(٨) المستدرك: ٤/ ٤٨١.

لرفض البيعة ليزيد، والامتناع عن مقابلة معاوية بن أبي سفيان[١].

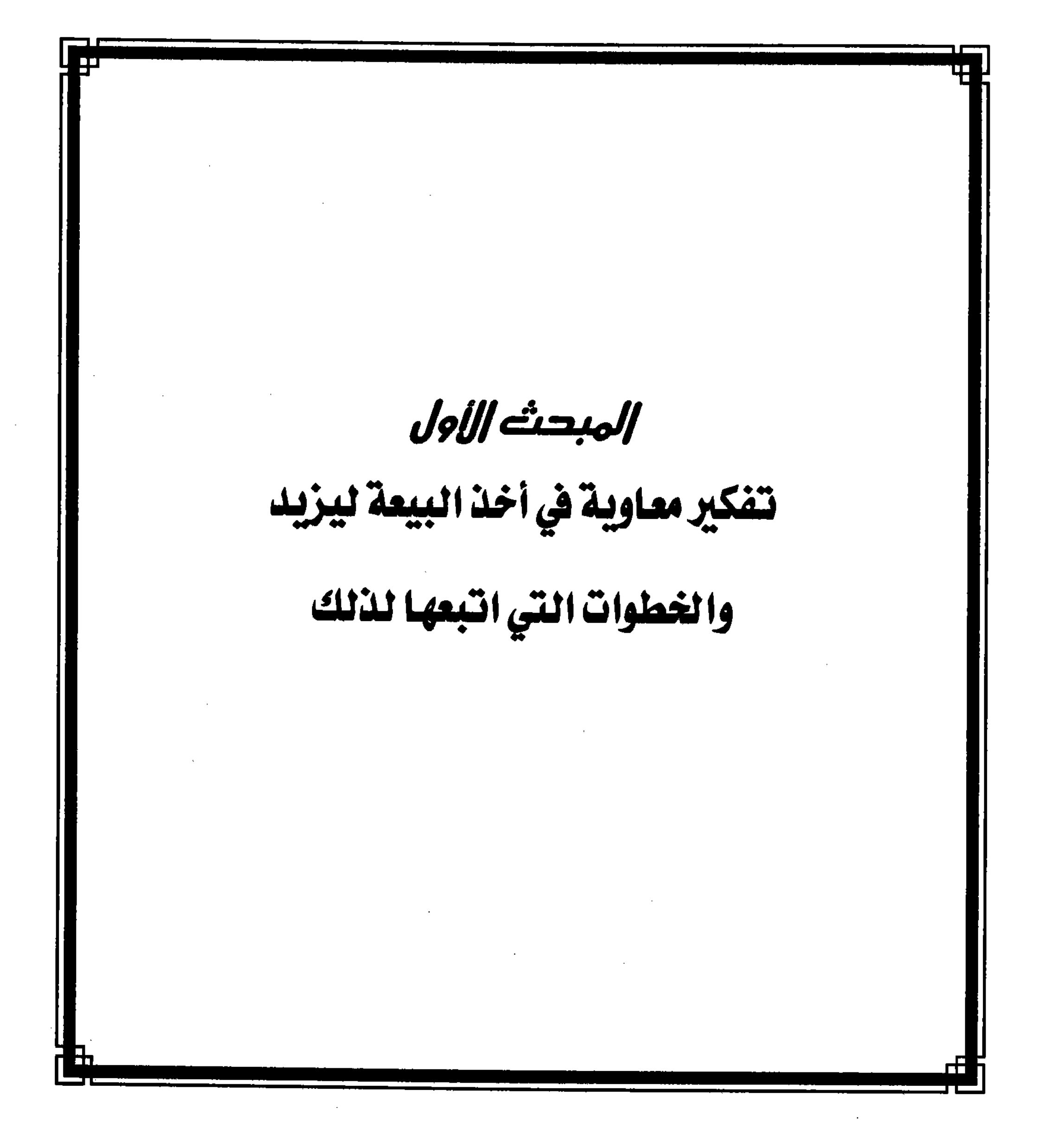
كما أورد ابن سعد بعض الروايات المتعلقة برحلة معاوية إلى المدينة حين أخذ البيعة من أهل الحجاز ليزيد[٢]. ومع ذلك فإن خليفة بن خياط هو المؤرخ الوحيد الذي قدَّم تفصيلًا رائعًا وواضحًا لمحاورة معاوية بن أبي سفيان لكبار أبناء الصحابة أمثال: ابن عمر، وابن أبي بكر الصديق، وابن الزبير ﷺ بشأن بيعة يزيد[٣].

(١) البخاري، التاريخ الصغير: ١/ ١٠٣.

(٢) الطبقات الكبرى: ٤/ ١٨٣.

(٣) التاريخ: ٢١٣-٢١٥.





المبحث الأول

تفكير معاوية في أخذ البيعة ليزيد

والخطوات التي اتبعها لذلك



المبحث الأول

تفكير معاوية في أخذ البيعة ليزيد والخطوات التي اتبعها لذلك

أ - معاوية ﵁ وبداية التفكير ببيعة يزيد:

يحمِّل كثير من الباحثين المغيرة بن شعبة[١] المسؤولية عن بيعة يزيد بن معاوية؛ وذلك باعتباره العقل المدبر، وصاحب الفكرة الأولى، حين عرض على معاوية أن يتولى يزيد الخلافة من بعده، وتكفَّل بالدعوة ليزيد، وتهيئة أهل الكوفة لتقبّل خبر اختيار يزيد لولاية العهد.

وكل من اتهم المغيرة بن شعبة كان حجته في ذلك تلك الرواية التي أوردتها بعض المصادر القديمة، ومفادها: أن المغيرة بن شعبة ﵁ دخل على معاوية، واستعفاه من ولاية الكوفة فأعفاه، وأراد معاوية أن يولِّي بدلًا منه سعيد بن العاص، فبلغ ذلك أحد الموالين للمغيرة، وتأثَّر المغيرة عند ذلك، وتمنَّى العودة للإمارة، فقام فدخل على يزيد وعرَّض له بالبيعة، فأخبر يزيد والده بما قال له المغيرة، فاستدعى معاوية المغيرة بن شعبة، وأمره بالرجوع واليًا مرَّة أخرى على الكوفة، وأن يعمل في بيعة يزيد[٢].

---

(١) المغيرة بن شعبة بن مسعود بن مُعَتّب الثقفي؛ صحابي مشهور، أسلم قبل الحديبية، وولي إمرة البصرة ثم الكوفة، مات سنة خمسين على الصحيح (ابن عبد البر، الاستيعاب ١/ ١٤٤٥؛ ابن حجر، التقريب ٥٤٣).

(٢) ابن أبي الدنيا، الإشراف في منازل الأشراف ص ١٢١ بإسناد ضعيف. الطبري، تاريخ الأمم والملوك ٥/ ٣٠١-٣٠٢، بإسناد ضعيف جدًا، وقريبًا من ذلك رواية أبي الحسن البصري عند=

والمغيرة بن شعبة - كما هو معروف - شخصية غنية عن التعريف؛ فهو أحد الصحابة الأجلاء الذين صاحبوا رسول الله ﷺ، وتأمَّر له على بعض السرايا، ثم هو أحد القادة الكبار، والأمراء في عهد عمر ﷺ، ثم استمر واليًا لعثمان ﷺ فترة من الزمن، وبعدها اعتزل الحروب والفتن التي جرت بين المسلمين؛ كالجمل والصفين، والنهروان، وبعد أن استقرَّت الأمور واجتمع الناس على معاوية في سنة إحدى وأربعين، طلب منه معاوية أن يتولَّى على الكوفة، فقام بولاية الكوفة على أتمِّ وجه، وكان ﷺ يحب العافية لنفسه ولغيره، ولهذا فقد تعامل مع شيعة علي ﷺ بحنكة ودراية، ولم يُثِرْ أيَّ عقبات أو مشاكل طوال فترة ولايته على الكوفة ﷺ.

ومن الجدير ملاحظته: أن معاوية قام بعزل المغيرة بن شعبة، وعيَّن بدلًا منه زياد بن أبي سفيان؛ وذلك كما ثبت عن عمير بن سعيد النخعي الأصبهاني حين قال لُمطَرِّفْ: «ألا أخبرك بكل أمير أتانا حتى مات معاوية: أتانا سعد ثم إن عمر عزله... ثم إن معاوية استعمل علينا المغيرة بن شعبة، ثم عزل المغيرة، واستعمل علينا زيادًا...»[1].

وجاء من طريق آخر عند الطبري ما يعضد ويؤكد رواية عمير بن سعيد النخعي.

حيث ثبت عن المغيرة أنه كتب إلى معاوية: «أما بعد فإني قد كبرت سني، ودق عظمي، وشَنِفَت لي قريش، فإن رأيت أن تعزلني فاعزلني».

= الذهبي، تاريخ الإسلام. حوادث (٦١-٨٠) ص ٢٧٢ بإسناد ضعيف جدًا.

(١) أحمد، العلل ومعرفة الرجال: ٢/ ٢٥، بإسناد صحيح.

فكتب إليه معاوية: «جاءني في كتابك تذكر فيه أنك كبرت سنك، فلعمري ما أكل عمرك غيرك، وتذكر أن قريشًا قد شنفت لك، ولعمري ما أصبت خيرًا إلا منهم، وتسألني أن أعزلك، فقد فعلت، فإن تك صادقًا فقد شفعتك، وإن تك مخادعًا فقد خدعتك»[١].

وبهذا يتبيَّن أن المغيرة بن شعبة قد عُزِلَ فعلًا عن الكوفة، ولم يتول الإمارة حتى مات سنة خمسين للهجرة[٢].

ثم إذا فرضنا أن هذه الحادثة كانت حوالي سنة ٤٥، أو ٤٦هـ، فإن سن يزيد في تلك الفترة لم يتجاوز الثامنة عشرة، فكيف يمكن أن يغامر معاوية بالبيعة لولده في تلك السن، ولم يُعْرَف يزيد بشيء من الأعمال الجليلة حتى ذلك التاريخ؛ أي أن ذلك قبل قيادته لجيش القسطنطينية بحوالي أربع سنوات.

إضافة إلى ذلك فإن معاوية ﷺ يعرف توجُّهات أهل الكوفة ونظراتهم حيال بني أمية، فمن المعلوم أن الكوفة هي موطن أنصار علي وأبنائه ﷺ فكيف يمكن للمغيرة أن يوجِّه أفكارهم وتطلعاتهم نحو يزيد بن معاوية.

وبالنظر إلى التناقض الذي تحمله هذه الرواية فإنها تجعلنا نقف موقف المتشكك والمنكر لها، وخاصة أن سندها - كما مرَّ معنا - لا يشجع على قبولها أو

---

(١) الطبري، الأمم والملوك: ٥/ ٣٣١، بإسناد كل رجاله ثقات إلى جعفر بن برقان. وشنف: أبغض.

(٢) خليفة بن خياط، التاريخ: ٢١٠؛ أبو العباس محمد بن المبرد، التعازي والمراثي: ص ٢١٦؛ الطبري، الأمم والملوك: ٥/ ٢٣٣؛ ابن عبد ربه، العقد الفريد: ١/ ٨٤،٨٣.

الاستئناس بها بأي حال من الأحوال.

وبعد تبيُّن اختلاق هذه الرواية، فإن خطورتها تكمن في إيرادها خلال المصادر القديمة[١]، والمراجع الحديثة والمعاصرة[٢]، كأنها أحد المسلمات التي لا تقبل الجدال، ومن ثَمَّ فإنَّها تعطي تصوُّرًا خاطئًا عن كيفية أخذ البيعة ليزيد، علاوة على أنها تظهر المغيرة ابن شعبة ﷺ وكأنه ليس له هم سوى الرجوع إلى الإمارة، ولو أدَّى ذلك إلى غش أمة محمد ﷺ.

وفي مقابل هذه الصورة، نجد أن معاوية ﷺ يسارع إلى تأييد المغيرة بن شعبة، وكأن همّه الوحيد هو ولاية يزيد، وليست مصلحة الأمة.

وبعد هذا، فإن الذي بدأ بالتفكير ببيعة يزيد وعمل من أجل إنجاحها هو

---

(١) ابن أبي الدنيا، الإشراف في منازل الأشراف: ص١٢٢؛ الطبري: الأمم والملوك: ٥/ ٣٠١، ٣٠٢؛ كتاب الإمامة والسياسة، المنسوب لابن قتيبة: ١/ ١٦٥؛ المرزباني، معجم الشعراء: ص ٣٦٨؛ ابن عساكر، تاريخ دمشق: ١٨/ ق ٣٩٨؛ ابن الجوزي، المنتظم: ٥/ ٢٨٥؛ ابن الأثير، الكامل في التاريخ: ٣/ ٥٠٣؛ ابن كثير، البداية والنهاية: ٩/ ٨٢؛ الذهبي، سير أعلام النبلاء: ٤/ ٣٩؛ السيوطي، تاريخ الخلفاء: ص ٢٠٥، ٢٠٦؛ العصامي، سمط النجوم العوالي: ٣/ ٤١-٤٢.

(٢) حسن إبراهيم حسن، تاريخ الإسلام: ١/ ٢٨١؛ علي إبراهيم حسن، التاريخ الإسلامي العام: ص ٢٧٦؛ أحمد شلبي، التاريخ الإسلامي: ٢/ ٤١-٤٢؛ الشيخ محمد الخضري، محاضرات في تاريخ الأمم الإسلامية (الدولة الأموية): ص١١٦؛ سيد أمير علي، مختصر تاريخ العرب: ص ٨٧؛ طه حسين، علي وبنوه: ص ٩٩٣؛ عبد العزيز سالم، تاريخ الدولة العربية: ص ٢٨٣؛ العقاد، شخصيات إسلامية: ٣/ ٥٦٨؛ محمد أسعد طلس، تاريخ بني أمية: ص ٢٣؛ علي حبيبة، دولة الأمويين: ص ٥٦.

معاوية بن أبي سفيان؛ لأسباب وظروف ستتضح فيما بعد.

ب- الخطوات التي اتبعها معاوية لبيعة يزيد:

١- المشاورات:

لم نعثر في المصادر التاريخية على تحديد دقيق لتلك الفترة التي بدأ فيها معاوية ﷺ يفكر تفكيرًا جديًا في تولية ولده يزيد من بعده خليفة للمسلمين. ولكن من المؤكد أنّه لم يفكر في ذلك إلا بعد سنة الخمسين من الهجرة؛ بعد أن خلت الساحة من وجود الصحابة الكبار المبشرين بالجنة، من أمثال: سعد بن أبي وقاص، وسعيد بن زيد بن عمرو، وبعد وفاة سيد المسلمين الحسن بن علي، الذي حقن الله على يديه دماء آلاف من المسلمين، وبعد أن ظهر يزيد بمظهر مشرِّف عند قيادته لجيش المسلمين الذي حاصر القسطنطينية، وبعد ما أصبح معاوية ينظر إلى مؤهِّلات يزيد على أنها تهيئه لترشيحه خليفة للمسلمين.

وفي البداية حاول معاوية أن يتحسَّس ردة الفعل عند بعض زعماء المسلمين، فاستشار زياد بن أبي سفيان[1]، فكتب إليه زياد يأمره بالتريُّث والتمهُّل، وأن لا يعجل، وأرسل إلى يزيد يطلب منه أن يكون قدوة للمسلمين، وأن يترفَّع عن التساهل في اتباع الصيد والاهتمام به[2].

---

(١) زياد بن أبي سفيان، ويقال زياد بن أبيه، أمير من الدهاة، القادة الفاتحين الولاة، من أهل الطائف، اختلفوا في اسم أبيه، فقيل عبيد الثقفي، وقيل أبو سفيان، أدرك النبي ﷺ ولم يره، ألحقه معاوية بنسبه سنة ٤٤هـ. فكان عضده الأقوى، وتولّى البصرة والكوفة، وتوفي سنة ٥٣هـ. (سير أعلام النبلاء: ٣/ ٣٩٤؛ الزركلي، الأعلام: ٣/ ٨٩-٩٠).

(٢) الطبري: ٥/ ٣٠٢-٣٠٣ من طريق المدائني عن مسلم بن محارب الزيادي؛ الإسكافي، لطف التدبير ص ٣١ بنفس الإسناد.

ثم شاور ابن الزبير فأشار عليه بإمعان التفكير في ذلك، وأجاب عليه إجابة مبهمة كأنَّها تحمل في طيَّاتِها الرفض[١].

ثم شاور الأحنف بن قيس[٢]، فلم يشر عليه بشيء[٣].

إن اختبار معاوية لهذه الشخصيات الثلاث – في حالة قبولنا لهذه الرواية – تدل على دراية كبيرة، وحنكة سياسية فذَّة؛ فقد استشار معاوية أخاه زياد بن أبي سفيان، وهو من أقرب الناس إليه، وبالتأكيد فهو من أنصح الناس له، ويعتبر صاحب ثقل كبير بعقله، وحنكته، وتجربته السياسية الطويلة.

ثم استشار الأحنف بن قيس زعيم قبيلة تميم، وكان من أشراف المسلمين، ومن أفضل الناس حلمًا وعقلًا، وهو سيّد العراق بلا منازع، وكان من قوَّاد جيش علي بصفين[٤].

ثم استشار ابن الزبير وهو من سادات أبناء الصحابة، وأبوه الزبير بن العوام أحد العشرة المبشرين بالجنة، رضي الله عنهم أجمعين. وهو يمثِّل لسان أهل المدينة والحجاز، وكان صاحب طموحات لا تخفى على معاوية.

وكان معاوية ﷺ يهدف من خلال هذه المشاورات إلى التعرُّف على نظرة

---

(١) ابن عبد ربه، العقد الفريد: ٤/ ٢٦٨-٢٦٩ من طريق المدائني فقط.

(٢) الأحنف بن قيس بن معاوية بن حصين التميمي الصعدي، أبو بحر، اسمه: الضحاك، وقيل صخر، مخضرم، ثقة، مشهور بالحلم، قيل مات سنة ٦٧هـ وقيل ٧٢هـ (التقريب ٩٦).

(٣) ابن عبد ربه، العقد الفريد: ٤/ ٢٦٨-٢٦٩ من طريق المدائني.

(٤) الذهبي، سير أعلام النبلاء ٤/ ٨٧.

الناس ليزيد، ومدى تقبُّل كبراء القوم لهذا العهد بالولاية.

٢- بيعة أهل الشام:

أراد معاوية ﷺ أن يعرف ميول أهل الشام ورأيهم في بيعة يزيد، فقام وأعلن لهم أنه اختار يزيد بن معاوية وليًّا لعهده من بعده؛ وذلك بعد رجوع يزيد من غزوة القسطنطينية، وقد أدَّى طرح هذه الفكرة إلى قبول وإجماع من أهل الشام بالموافقة على بيعة يزيد، ولم يكن هناك أيُّ معارض[١].

٣- بيعة الوفود:

عقد معاوية ﷺ اجتماعًا موسعًا في دمشق بعدما جاءت الوفود من الأقاليم، وقد أورد ابن عبد ربه[٢] من طريق المدائني تلك الرواية التي عبَّر فيها كل مبعوث بما يراه في يزيد بن معاوية.

وعلى أن رواية المدائني لم يذكر لها إسناد متصل إلا أنها هي الرواية الوحيدة التي أوردت كيفية بيعة مبعوثي الأقاليم.

وكانت هذه الوفود تضم مختلف رجالات القبائل العربية؛ فمثلا من بلاد الشام: الضحاك بن قيس الفهري، ثور بن معن السلمي[٣]، عبد الله بن عضاة

---

(١) خليفة، التاريخ: ٢١١؛ الذهبي، تاريخ الإسلام حوادث سنة (٤١-٦٠) ص ٢٢.

(٢) العقد الفريد: ٤/ ٣٦٩؛ وذكر العقيلي: أن الجون بن قتادة العبشمي وجارية ابن قدامة السعدي، كانا مع الأحنف بن قيس، ونسب ذلك إلى أنساب الأشراف ٤/ ١/ ٣٣. وليس في ذلك ما يشير إلى أن ذلك اللقاء بمعاوية كان له علاقة بالبيعة (يزيد بن معاوية: ص ٢٢).

(٣) ثور بن معن بن يزيد بن الأخنس السلمي من أصحاب الضحاك بن قيس، وممن دعا إلى بيعة ابن الزبير، قتل مع الضحاك بمرج راهط سنة أربع وستين (ابن بدران، مختصر تاريخ دمشق ٣/ ٣٨٦).

الأشعري، عبد الله بن مسعدة الفزاري، عبد الرحمن بن عثمان الثقفي، حسان بن مالك بن بحدل الكلبي[١] وغيرهم.

كما حضر عن أهل المدينة عمرو بن حزم الأنصاري - وذلك في وقت متأخر - وحضر عن أهل البصرة الأحنف بن قيس التميمي[٢] ثم تكلم كل زعيم من هؤلاء الزعماء ورحبوا بالفكرة، وأثنوا عليها، وأكدوا أن هذه هي الطريقة الأصوب لحقن الدماء وحفاظ الألفة والجماعة[٣].

وتكلم الأحنف بن قيس بكلام بليغ رائع على عادته -رحمه الله تعالى- فقال: «أنت يا أمير المؤمنين أعلم بيزيد في ليله ونهاره، وسرِّه وعلانيته، ومدخله ومخرجه، فإن كنت تعلمه لله تعالى وللأمة رضى فلا تشاور فيه، وإن كنت تعلم فيه غير ذلك فلا تزوِّده الدنيا، وأنت صائر إلى الآخرة»[٤]. ثم تمَّت المبايعة ليزيد بولاية العهد.

---

(١) حسان بن مالك بن بحدل أبو سليمان الكلبي زعيم بني كلب ومقدمهم، شهد صفين مع معاوية، كان له قدر ومنزلة عند بني أمية، وهو الذي قام بأمر البيعة لمروان بن الحكم (ابن بدران، مختصر تاريخ دمشق: ٤/ ١٤٨).

(٢) العقد الفريد: ٤/ ٣٧٠.

(٣) المصدر نفسه: ٤/ ٣٦٩، ٣٧٠؛ أبو علي القالي، الأمالي: ١/ ٢٠١٦١/ ٧١؛ عبد الكريم النهشلي القيرواني، الممتع في صناعة الشعر: ص ١٩١.

(٤) العقد الفريد: ٤/ ٣٧٠، لقد نقل عن الأحنف واشتهر عنه أنه قال كلمته المشهورة في مبايعة يزيد بن معاوية عندما قال له معاوية: ألا تتكلم يا أبا بحر؟ فقال: «نخاف الله إن كذبتك، ونخافك إن صدقتك»، كما ذهب إلى ذلك الكثير؛ على سبيل المثال: الجاحظ، البرصان والعرجان: ص ٢٠٦؛ العقيلي، يزيد بن معاوية ص ٢٢، ولكن سبب قول هذه الكلمات -التي غدت حكمة- لا علاقة له ببيعة يزيد؛ فقد رُوي بأسانيد صحيحة سبب ذكر ها دون البيعة؛=

على أن الشيء المؤكد أن عمرو بن حزم الأنصاري[١] لم يحضر هذا الاجتماع؛ وذلك لأحد أمرين:

الأمر الأول: هو أن أهل المدينة لم يوافقوا في الأصل على البيعة، وعارضوها بشدة، فلم يرسلوا أحدًا منهم.

الأمر الثاني: هو أن معاوية قد رفض الالتقاء بعمرو بن حزم، وما ذلك إلا لأنه بلغه معارضة أهل المدينة، وعرف أنّ عمرو بن حزم مندوب عن أولئك المعارضين، فخشي إن حضر الاجتماع أن يشتت الآراء، ويحدث بلبلة من خلال معارضته، ولهذا استجاب له أخيرًا فالتقى به على انفراد، وحصل بالفعل ما كان يظن معاوية، ولكن معاوية تقبَّل الانتقاد وأجزل له العطاء[٢].

٤- وفاة عبد الرحمن بن خالد بن الوليد:

لقد حاول بعض الأخباريين أن يوجدوا علاقة بين وفاة عبد الرحمن بن خالد

= انظر: أحمد، الزهد ٢٨٨؛ ابن سعد، الطبقات: ٧/ ٩٥؛ ابن المبارك، الزهد: ص ٤٧٦-٤٧٧ رقم ١٣٥٣؛ ابن قتيبة، عيون الأخبار: ٢/ ١٩٥، ابن أبي الدنيا، أدب الصمت: ص ٢٦٦؛ الغزالي، الإحياء: ٣/ ١٥٧؛ الزبيدي، الإتحاف: ٧/ ٤٥٧؛ ابن العديم، بغية الطلب: ٣/ ١٣٠٩-١٣١٠.

(١) عمرو بن حزم بن زيد بن لوذان الأنصاري، صحابي مشهور، شهد الخندق فما بعدها، وكان عامل النبي ﷺ على نجران، مات بعد الخمسين. (التقريب: ٤٢٠).

(٢) مسند أبي يعلى: ٦/ ٢٥٣، ٢٥٤؛ الهيثمي: مجمع الزوائد ٧/ ٢٤٨، ٢٤٩؛ابن حجر: المطالب العالية: ٤/ ٣٢٧ رقم (٤٥٢٠) قال الهيثمي في مجمع الزوائد: رواه أبو يعلى ورجاله رجال الصحيح، وقال الحافظ ابن حجر في الإصابة: ٤/ ٦٢١: رجاله ثقات، وصحَّح السند ابن حجر الهيتمي في تطهير الجنان: ص ٨٠.

ابن الوليد وبين يزيد بن معاوية؛ فذكر البعض أن معاوية ﷺ لما رأى مكانة عبد الرحمن بن خالد عند أهل الشام -بسبب مآثر عبد الرحمن بن خالد بن الوليد، ولغنائه عن المسلمين في أرض الروم وبأسه- خافه معاوية فأمر ابن أثال الطبيب النصراني فدس إليه السم[١].

في حين يرجع ابن الكلبي سبب القتل إلى أمر آخر وهو: أن معاوية لما أراد أن يبايع ليزيد قال لأهل الشام: إن أمير المؤمنين قد كبرت سنه، ودنا من أجله، وقد أراد أن يولي الأمور رجلًا من بعده فماذا ترون؟ فقالوا عليك بعبد الرحمن بن خالد، وكان فاضلًا، فسكت معاوية وأضمرها في نفسه. ثم إن عبد الرحمن اشتكى، فدعا معاوية طبيبه ابن أثال وأمره بدس السم إلى عبد الرحمن[٢].

هذه الروايات بالإضافة إلى ضعف سندها يوجد اختلاف في متنها مع الواقع الملموس في ذلك الحين.

---

(١) الطبري: ٥/ ٢٢٧ (من طريق المدائني عن مسلمة بن محارب الزيادي ولكن بينه وبين الحدث انقطاع واضح، في هذه الحالة التي تخص المسألة خليفة المسلمين شخصيا فإن الاتهام لا يمكن أن يثبت إلا ببينة أو شاهدين كما هو معلوم في قضاء المسلمين.

(٢) القاسم بن سلام، كتاب الأمثال ١٩٢ من طريق الكلبي، ابن حبيب المنمق ٣٦٠ من نفس الطريق، وله أيضًا أسماء المغتالين (ضمن نوادر المخطوطات ٢/ ١٦٨ من نفس الطريق)؛ البلاذري، أنساب الأشراف ٤/ ١/ ١٠٩ من طريق الواقدي ولم يذكر سندًا؛ أبو الفرج، الأغاني ١٦/ ١٩٧-١٩٨ من طريق المدائني، وسنده كله مجاهيل؛ ابن عبد البر، الاستيعاب، القسم الثاني/ ٨٣٠ وقال: ذكرها ابن شبه في أخبار المدينة؛ ابن أبي أصيبعة، طبقات الأطباء ١٧٢ من طريق أبي الفرج وبنفس الإسناد.

فمن المعروف أن معاوية ﷺ خليفة المسلمين، وأحد الصحابة الفضلاء، وأحد كُتّاب الوحي لرسول الله ﷺ. ومعروف من سيرته حرصه الشديد على الإسلام والمسلمين، وانتشرت الفتوحات في عصره، وكان من أعظم خلفاء المسلمين حلمًا، وعدلًا، وفضلًا، وسياسة وديانة، فكيف يعقل أن يقوم بقتل أحد المسلمين خوفًا من أن يتبعه أهل الشام.

ثم إن معاوية ﷺ بيده عزل الأمراء أو توليتهم كما هو معروف، وليس بالصعوبة على معاوية أن يطلب من عبد الرحمن بن خالد أن يتنحَّى عن قيادة الصوائف على الثغر الرومي، ويُهمل عبد الرحمن بن خالد، ثم لا يكون له أي مكانة يُخشى منها.

وقد ورد أن معاوية عزله وولَّى بدلًا منه سفيان بن عوف الغامدي[1] على إحدى الصوائف[2]، وليس هذا يشكل صعوبة على معاوية، بل إن معاوية كان يعزل عن الإمارة من هو أعظم وأقوى من عبد الرحمن بن خالد. ثم كيف يقوم معاوية بقتله وقد أورد الطبري ذكر غزوة البحر سنة ٤٨هـ وكان قائد أهل مصر عقبة بن عامر الجهني، وعلى أهل المدينة المنذر بن زهير، وعلى جميعهم خالد بن

---

(١) سفيان بن عوف الغامدي، استعمله معاوية على الصدقة، وكان مع أبي عبيدة بن الجراح بالشام حين افتتحت، وبعثه من حمص إلى عمر ﷺ، وتولَّى الصائفتين أيام معاوية ﷺ وكان رحمه الله بطلًا مجاهدًا قائدًا شهيرًا، ولما تُوفي بكاه المسلمون، حتى كأنه كان لهم والدًا، وبكاه الناس في المساجد، وتوفي -رحمه الله وأجزل مثوبته- سنة اثنتين أو أربع وخمسين. (ابن بدران، تهذيب تاريخ دمشق ٦/ ١٨٥)

(٢) الجاحظ، البيان والتبيين ٢/ ٢٦٤ من طريق المدائني؛ ابن قتيبة، عيون الأخبار ١/ ٣٢٢ من طريق المدائني أيضا؛ الزبير بن بكار، الموفقيات ١١٣ من طريق عوانة؛ البلاذري، أنساب الأشراف ٤/ ١/ ١٠٤.

عبد الرحمن بن خالد بن الوليد[١]؛ فكيف يرضى معاوية أن يكون ولده قائدًا كبيرًا من بعد أبيه؟ هذا من ناحية، ومن ناحية أخرى: كيف يرضى ولده أن يقوم بقيادة الجيش لمعاوية إن كان معاوية قاتل أبيه؟ وهل يمكن أن يخفى على ولده هذا الأمر وهو أقرب الناس إليه؟

إذًا هذه إشاعة واضحة حاولت أن تربط بين موت عبد الرحمن بن خالد بن الوليد والبيعة ليزيد؛ مثلها مثل الإشاعة التي حاولت أن تربط بين موت الحسن بن علي والبيعة ليزيد بن معاوية، والتي سنتحدث عنها فيما بعد.

ثم إن ابن عساكر ذكر أن ابن أثال هو الذي دس إلى عبد الرحمن بن خالد أحد خدمه فسمَّه، فقام خالد بن عبد الرحمن بقتله، ثم رُفع إلى معاوية فحبسه أيامًا فأغرمه ديته، وأطلق سراحه[٢].

وهذا إجراء طبيعي من معاوية.

ثم إن ابن أثال مات سنة ٤٦هـ وذكر الواقدي في كتاب الصوائف أنه مات سنة ٤٧هـ[٣].

وبذلك تكون وفاة عبد الرحمن بن خالد على الراجح أنها قبل أن يفكر

---

(١) الطبري ٥/ ٢٣١.

(٢) ابن عساكر، تاريخ دمشق: ٩/ ق ٩٢٨؛ ابن حجر، الإصابة ٥/ ٣٥ وذكر أن الذي قتل ابن أثال أخو عبد الرحمن بن خالد، (المهاجر بن خالد) (ابن عساكر ٩/ ق ٩٢٨). وذكر ابن الكلبي أن القاتل هو خالد بن المهاجر، (انظر: نسب العرب ١/ ٢٩٣).

(٣) ابن عساكر ٩/ ق ٩٣١، والملاحظ أن ابن عساكر لم يذكر شيئًا عن تورط معاوية في قتل عبد الرحمن ابن خالد، وكذلك الحافظ ابن حجر في الإصابة ٥/ ٣٣-٣٥، وكذلك مصعب الزبيري في =

معاوية في تولية يزيد من بعده.

ثم إن هناك احتمالات أخرى: فلعل ابن أثال غاظه أثر عبد الرحمن في بلاد الروم وجهاده الكبير لهم وهم بنو قومه وأهل دينه، فأراد أن ينتقم لنفسه وللروم، فدس لعبد الرحمن السم.

ولماذا لا يكون إمبراطور الروم قد دس إلى ابن أثال عينًا ورغَّبه في قتل عبد الرحمن بن خالد.

ولقد استُغِلَّت هذه الحادثة استغلالًا سيئًا من بعض المتقدمين، أو من بعض المتأخرين؛ فابن أصيبعة يقول في ترجمة ابن أثال: «كان طبيبًا متقدمًا من الأطباء المتميزين في دمشق، نصراني المذهب!! ولما ملك معاوية بن أبي سفيان دمشق اصطفاه لنفسه وأحسن إليه، وكان كثير الافتقاد له والاعتماد عليه، والمحادثة معه ليلًا ونهارًا، وكان ابن أثال خبيرًا بالأدوية المفردة والمركبة، وأقواها، وما فيها سموم قاتل، وكان معاوية يقربه لذلك كثيرًا، ومات أيام معاوية جماعة كثيرة من أكابر الناس والأمراء من المسلمين بالسم» [1].

ولا ندري من هم هؤلاء الجماعة الكثيرة؟!

= (نسب قريش ٣٦٤)، وكذلك خليفة بن خياط في تاريخه، أما ابن كثير فقد عقَّب على الرواية التي تتهم معاوية بقتل عبد الرحمن بن خالد قائلاً: هذا لا يصح (ابن كثير ٨/ ٣٢)، وكذلك الذهبي في تاريخ الإسلام لم يشر لأي شيء من ذلك. (انظر حوادث ٤١-٦٠) ص ٧٦-٧٧.

(١) ابن أبي أصيبعة، طبقات الأطباء ١٧١، وانظر وصفًا للكتاب وطبعاته في صحيفة معهد الدراسات الإسلامية في مدريد، العدد السابع والثامن ١٩٥٩-١٩٦٠ ص ٣٩٦.

أما جورجي زيدان فيقول: «إن معاوية كان إذا خاف عدوًا لا يقدر عليه بالسيف، ولا يستطيع اصطناعه بالمال، احتال على قتله بالسم، كما فعل بعبد الرحمن بن خالد...»[١].

أما فلهاوزن فأرجع هذا الأمر إلى الجاهلية، وإلى تلك العلاقة المتأزِّمة بين بني مخزوم وبين بني أمية؛ وذلك عندما استطاع الأمويون أن يزيحوا بني مخزوم من زعامة قريش على حد زعمه[٢].

ثم قال: «وأما علاقة معاوية بأشراف المسلمين وبيت الرسول، وبآل الصحابة الأولين وبالأنصار أيضًا، فكانت بطبيعة الحال علاقة ريبة وعداوة»[٣].

٥- طلب البيعة من أهل المدينة:

المدينة هي عاصمة الرسول ﷺ، وموطن الأنصار والمهاجرين، وفي المدينة تكوَّنت الدولة الإسلامية، وانتشر الإسلام مشرقًا ومغربًا.

وظلت المدينة على أهميتها طول حياة الرسول ﷺ، ومن بعده خلال مرحلة حكم الخلفاء الثلاثة الراشدين، ولما اغتيل عثمان رضي الله عنه بيد الثوار، وبويع علي بالخلافة خرج من المدينة واتجه للكوفة؛ وذلك لضرورة المتغيرات السياسية التي حدثت.

وظلت الكوفة عاصمة لعلي لمدة خمس سنوات، حتى اغتيل شهيدًا رضي الله عنه بيد

---

(١) جورجي زيدان، تاريخ التمدن الإسلامي: ٢/ ٣٥١.

(٢) فلهاوزن، تاريخ الدولة العربية: ١٣٠.

(٣) نفس المصدر السابق: ص ١٣٠.

الخارجي عبد الرحمن بن ملجم، ثم تولَّى من بعده ابنه الحسن ﷺ ما يقارب نصف سنة، حتى وقع الاجتماع على معاوية، وتنازل الحسن إلى معاوية بالخلافة، وأصبح سيد المسلمين بنص رسول الله ﷺ.

بعدها انتقلت الخلافة إلى بلاد الشام، واتخذ معاوية ﷺ من دمشق عاصمة للدولة، ولم تفقد المدينة قيمتها وأهميتها، بل ظلت على مكانتها في قلوب المسلمين؛ لأنها أرض هجرته ﷺ، وأصحابه -رضوان الله عليهم- وفيها مسجده الذي تشد إليه الرحال.

وتكمن أهميتها - ذلك الحين - في أن كثيرًا من الصحابة يعيشون فيها، إضافة على عدد كبير من أبناء الصحابة، من المهاجرين والأنصار.

وكان أهل المدينة على عهد معاوية، يمثِّلون ثقلًا سياسيًا كبيرًا، بسبب تلك الشخصيات المرموقة في قلوب المسلمين[1].

واستمر معاوية ﷺ في حفظ مكانة أهل المدينة عنده، وكان كثير الصلة لهم؛ يوزِّع بينهم الأموال الوفيرة، ويجلُّ زائرهم، ويحترم كبيرهم، ويوقِّر صغيرهم، كما هو معروف لمن تتبع سيرته معهم رضي الله عنهم.

---

(١) وكان مالك يعتبر عمل أهل المدينة حجة. انظر رسالة مالك إلى الليث بن سعد -رحمهما الله- في تاريخ يحيى بن معين: ٤/ ٥٠٠؛ القاضي عياض، ترتيب المدارك: ١/ ٤٤-٥٠؛ ابن العربي، عارضة الأحوذي: ٦/ ٦، ابن حجر، فتح الباري: ٤/ ١٠٥؛ محمد بن أبي مدين الشنقيطي، الصوارم الأسنة في الذب عن السنة: ١٢٩-١٤٥؛ محمد بن نصر المروزي، اختلاف العلماء: ص ٢٣؛ الزركشي، إعلام الساجد: ص ٢٦٦-٢٦٧؛ التركي، أصول مذهب الإمام أحمد: ٣٩٥-٤٠٠.

ونظرًا لوجود مثل سعد بن أبي وقاص، وسعيد بن زيد؛ وهما من المهاجرين ومن كبار صحابة النبي ﷺ،وكانا من المبشرين بالجنة، ووجود الحسن بن علي سيد المسلمين، فإن معاويةلم يفكر بالبيعة ليزيد إلا بعد رحيل هؤلاء الثلاثة الكبار.

التحقيق في تاريخ وفاة كل من سعيد بن زيد وسعد بن أبي وقاص رضي الله عنهما:

إن الناظر في تلك الروايات المتضاربة التي وردت بشأن وفاة سعيد بن زيد، وسعد بن أبي وقاص، تمتلكه الحيرة والاضطراب؛ وذلك حين ترد رواية تذكر أن مروان بن الحكم أوقف البيعة فلما سئل قال: حتى يحضر سعيد بن زيد[١].

ثم تلك الروايات التي تذكر أن سعد بن أبي وقاص توفي سنة خمس وخمسين[٢] والبعض يجعله مُتوفى في السنة الثامنة والخمسين[٣].

فكيف يعقل أن تعلن بيعة يزيد، وسعيد بن زيد وسعد بن أبي وقاص- وهما المبشران بالجنة- على قيد الحياة؟ ألا يستدل أولئك المعارضون من أهل المدينة على عدم جدوى بيعة يزيد لوجود اثنين من المبشرين بالجنة؟

إذا كيف يغفل المعارضون عن طرح اسم سعيد بن زيد، أو سعد بن أبي وقاص كأحد المرشحين للبيعة؟

---

(١) البخاري، التاريخ الصغير: ١/ ١١٢؛ الطبراني، المعجم الكبير: ١/ ١٥٠؛ أبو نعيم، معرفة الصحابة: ٢/ ١٠؛ الحاكم، المستدرك: ٣/ ٤٣٩.

(٢) الذهبي، سير أعلام النبلاء: ١/ ١٢٣، وهو قول المدائني وأبي عبيدة.

(٣) المصدر السابق: ١/ ١٢٤ وهو قول أبي نعيم الملائي.

لقد علَّق البخاري[١] -رحمه الله- في باب: «غسل الميت ووضوئه بالماء والسدر» غسل سعد لسعيد ين زيد، ثم وصل الحافظ ابن حجر هذا الأثر من طريقه[٢]. وأخرج هذا الأثر ابن أبي شيبة[٣] أيضًا.

وكلاهما من طريق الجعد[٤] بن عبد الرحمن بن أوس الكندي، وهو ثقة، فهذا الأثر حل لنا الإشكال الأول بشأن موعد وفاة سعيد بن زيد؛ أي أن سعيد بن زيد توفي قبل وفاة سعد بن أبي وقاص.

ولكن يبقى الإشكال الثاني في موت سعد بن أبي وقاص.

فقد أخرج الطبراني[٥] بأسانيد صحيحة أن سعد بن أبي وقاص كان آخر المهاجرين وفاة رضي الله عنه.

وثبت أن سعد بن أبي وقاص توفي في زمن معاوية بعد حجته الأولى[٦].

---

(١) صحيح البخاري مع الفتح: ٣/ ١٥٠.

(٢) ابن حجر - تغليق التعليق: ٢/ ٤٦١، ٤٦٢.

(٣) المصنف: ٣/ ٢٦٧، ٢٦٨، وإسناده صحيح.

(٤) الجعد بن عبد الرحمن بن أوس الكندي، أو التميمي، أبو عبد الرحمن المديني، وقد يُصغَّر؛ أي يقال: الجعيد بضم الجيم وفتح العين وياء ساكنة، عن السائب بن يزيد، عن عائشة بنت سعد. وثَّقه ابن معين، له في مسلم فرد حديث رباعي. (خلاصة تذهيب الكمال: ١/ ١٦٤؛ تهذيب التهذيب: ٢/ ١٦٩؛ تقريب التهذيب: ١٣٩).

(٥) الطبراني، المعجم الكبير: ١/ ١٣٨، ١٣٩؛ الحاكم، المستدرك: ٣/ ٤٩٦.

(٦) الطبراني، المعجم الكبير: ١/ ١٣٩ بإسناد صحيح؛ الحاكم، المستدرك: ٣/ ٤٩٦؛ تاريخ بغداد: ١/ ١٤٥.

ومن المعلوم أن معاوية حج حجتين:

الحجة الأولى سنة ٤٤هـ[١].

والحجة الثانية سنة ٥١هـ[٢].

ويكون بهذا سعد بن أبي وقاص توفي بعد الأربعة والأربعين من الهجرة وقبل الإحدى والخمسين من الهجرة.

وحدد حفيده أبو بكر حفص بن عمر بن سعد بن أبي وقاص فقال: «سعد والحسن بن علي توفيا بعد ما مضى من إمارة معاوية عشر سنين»[٣]، وأنهما توفيا في سنة واحدة[٤].

وبهذا التحديد الدقيق انحل الإشكال، واتضح أن معاوية لم يبايع ليزيد إلا بعد وفاة سعد بن أبي وقاص والحسن بن علي، ولذلك قال ابن عبد البر: «وكان

---

(١) كما أنه من المعلوم أن عبد الرحمن بن أبي بكر توفي بعد ما خرج معاوية من المدينة بعد حجته الثانية وقد توفي عبد الرحمن بن أبي بكر حوالي سنة ٥٢، ٥٣ هـ. انظر البخاري، التاريخ الصغير ١/ ١٠٣ بإسناد حسن، (تاريخ أبي زرعة: ١/ ٢٢٩ بإسناد حسن، والرواية عن حفيده محمد بن القاسم بن أبي بكر).

(٢) خليفة، التاريخ: ٢١٧-٢١٨؛ ابن أبي عاصم، الآحاد والمثاني: ١/ ٣٠١؛ الطبري: ٥/ ٢١٥؛ القضاعي، الإنباء بأنباء الأنبياء وتواريخ الخلفاء: ق ٦٢ ب/ ٥؛ ابن عساكر ١٨/ ق ٣٩٦؛ المقريزي، الذهب المسبوك في ذكر من حج من الملوك: ص ٢٤.

(٣) البخاري، التاريخ الصغير: ١/ ١٠٠ بإسناد صحيح.

(٤) الطبراني، المعجم الكبير: ٣/ ٢٥ بأسانيد صحيحة.

معاوية ﷺ قد أشار بالبيعة ليزيد في حياة الحسن وعرّض بها، ولكنه لم يكشفها ولا عزم عليها إلا بعد موت الحسن»[١].

معاوية ﷺ وبيعة أهل المدينة:

مثلما أرسل معاوية ﷺ إلى الأقاليم يطلب منهم البيعة ليزيد، أرسل إلى المدينة يطلب من أميرها أخذ البيعة ليزيد[٢].

فقام مروان بن الحكم أمير المدينة خطيبًا فحضَّ الناس على الطاعة، وحذَّرهم الفتنة، ودعاهم إلى بيعة يزيد. وقال مروان: «سُنَّة أبي بكر الراشدة المهدية».

واستدل مروان على ذلك بولاية العهد من أبي بكر لعمر.

فرد عليه عبد الرحمن[٣] بن أبي بكر -رضي الله عنهم- ونفى أن تكون هناك مشابهة بين هذه البيعة وبيعة أبي بكر، وقال: «فقد ترك أبو بكر الأهل والعشيرة، وعمد إلى رجل من بني عدي بن كعب؛ إذ رأى أنه لذلك أهل فبايعه».

ثم قال: «هذه البيعة شبيهة ببيعة هرقل وكسرى».

ثم حدث بينه وبين مروان نزاع شخصي[٤].

---

(١) ابن عبد البر، الاستيعاب: ١/ ٣٩١؛ الدياربكري، تاريخ الخميس: ٢/ ٢٩٧؛ ابن كثير: ٩/ ٨٣.

(٢) ذكر المدائني: أن معاوية ﷺ لم يرسل لأهل المدينة إلا بعد ما بايعت الأمصار. (ابن عبد ربه، العقد الفريد: ٤/ ٣٧٠، ٣٧٢).

(٣) عبد الرحمن بن أبي بكر الصديق، شقيق عائشة، تأخَّر إسلامه إلى قبيل الفتح، وشهد اليمامة والفتوح، تُوفي سنة ثلاث وخمسين وهو في طريقه إلى مكة فجأة. (التقريب: ٣٣٧).

(٤) روى البخاري طرفًا من هذه الحادثة؛ انظر البخاري مع الفتح: ٨/ ٤٣٩ (٤٨٢٧)؛ ابن أبي=

ولم تذكر لنا الروايات أن أحدًا من أهل المدينة بايع، والذي يترجَّح أن أهل المدينة تبع لكبرائهم، أمثال: ابن عمر، وابن الزبير، وابن أبي بكر الصديق، والحسين بن علي، وغيرهم، وهؤلاء معارضون للبيعة. كما أن الروايات لم تذكر أحدًا عارض مروان سوى عبد الرحمن بن أبي بكر، وربما كان ذلك بسبب أن عبد الرحمن قد تكلَّم وعبَّر عما في نفوسهم من جهة هذه البيعة.

ثم حاول معاوية ﷺ أن يثني أهل المدينة عن هذا التمادي في الرفض، فأرسل لهم شخصية مهمة؛ هو زياد بن أبي سفيان، فقدِم زياد المدينة، وخطبهم وقال:

«يا معشر أهل المدينة، إن أمير المؤمنين حسن نظره إليكم، وإنه جعل لكم مفزعًا تفزعون اليه؛ يزيد ابنه »[1].

وكرر عبد الرحمن بن أبي بكر ﷺ اعتراضه بشدة، وطلب منهم أن يقتفوا في ذلك الرسول ﷺ وأبا بكر أو عمر.

وهكذا يتبيَّن من محاولات معاوية ﷺ في أخذ البيعة ليزيد من أهل المدينة، أنها وصلت إلى طرق مسدودة.

= شيبة، المصنف: ١١/ ٩٧؛ النسائي، السنن الكبرى: ٦/ ٤٥٨-٤٥٩ (١١٤٩١)؛ البزار، المسند: ٢/ ٢٤٧ (١٦٢٤) وقال الهيثمي في مجمع الزوائد: ٥/ ٢٤١ (رواه البزار، وإسناده حسن)؛ الحاكم، المستدرك: ٤/ ٤٨١؛ ابن الملقن، مختصر استدراك الذهبي: ٧/ ٣٣٤١ (١١٥١)؛ ابن كثير، البداية والنهاية: ٨/ ٩٢ من طريق عبد الرزاق بسند صحيح؛ ابن حجر، الإصابة ٤/ ٣٢٨؛ السيوطي، الدر المنثور: ٧/ ٤٤٤.

(١) الذهبي، تاريخ الإسلام (حوادث ٤١-٦٠): ص١٤٧-١٤٨ عن ابن أبي خيثمة بسند صحيح.

ويتبيَّن أيضًا خطأ تلك الرواية التي تذكر أن مروان بن الحكم أوقف البيعة حتى يجيء سعيد بن زيد[١].

وبالإضافة إلى ضعف أسانيد هذه الرواية، فإن أهل المدينة لم يبايعوا حتى يوقف مروان البيعة.

ثم إن سعيد بن زيد قد توفي قبل هذا التاريخ بكثير.

كما أرسل أهل المدينة وافدهم نائبًا عنهم وهو عمرو بن حزم الأنصاري، الذي كان معارضًا للبيعة، فذكَّر معاوية بالله، وطلب منه أن ينظر في عاقبة الأمور، وأثنى على يزيد.

فشكره معاوية وقال: إنك امرؤ ناصح، ثم أخذ يبيِّن له بصراحة أنه لم يبق إلا ابنه وأبناؤهم، وابنه أحق من أبنائهم[٢].

وذلك لما يرى معاوية في ولده من النجابة وقدرته على إدارة الدولة من بعده.

قال ابن كثير: «ورأى أنه لذلك أهل -يعني يزيد- وذلك من شدَّة محبّة الوالد

---

(١) الطبراني: المعجم الكبير ١/ ١٥٠؛ الحاكم: المستدرك ٣/ ٤٣٩، وفيه عطاء بن السائب اختلط بآخره وكان سماع خالد بن عبدالله عن عطاء بن السائب بآخره (تهذيب التهذيب: ٧/ ١٨٥)؛ البخاري، التاريخ الصغير: ١/ ١١٢ وفي إسناده الحسن بن مدرك- كذاب (ميزان الاعتدال: ١/ ٥٢٣).

(٢) أبو يعلى: المسند ٦/ ٢٥٣، ٢٥٤. قال الهيثمي في مجمع الزوائد: ٧/ ٢٤٨، ٢٤٩: رواه أبو يعلى، ورجاله رجال الصحيح. وقال الحافظ ابن حجر: رجاله ثقات، الإصابة: ٤/ ٦٢١؛ ابن حجر المطالب العالية: ٤/ ٣٢٧ رقم (٤٥٢٠)، وسكت عنه البوصيري، وحكم عليه الهيثمي بالصحة(تطهير الجنان واللسان ص ٨٠).

لولده، ولما كان يتوسَّم فيه من النجابة الدنيوية؛ سيَّما أولاد الملوك، ومعرفتهم بالحروب، وترتيب الملك والقيام بأبهته، وكان يظن أن لا يقوم أحد من الصحابة في هذا المعنى»[١].

حجة معاوية الثانية وأخذ البيعة من أهل الحجاز:

أدرك معاوية ﷺ من خلال تلك المحاولات مع أهل المدينة أن بيعتهم لن تتم بتلك السهولة، وقد جعلوا هناك عدة أمور يجب على معاوية أن يسلك واحدًا منها، كما أنهم وقفوا من فكرة تولية يزيد وقفة مضادة تمامًا لما كان يرجوه معاوية ﷺ.

هذه الأمور دعت معاوية ﷺ إلى أن يقوم في سنة ٥١هـ[٢] بالحج؛ وهي السنة التي تلت بيعة أهل الشام وباقي الأنحاء.

وكان يريد من خلال الحج أن يتعرَّف على وجهات نظر أبناء الصحابة، وأسباب الاعتراض على البيعة، والدوافع التي تحرِّك ذلك الشعور بعدم الموافقة على هذه البيعة.

وكان معاوية ﷺ يعرف أن هناك طموحًا شخصيًا عند بعض أبناء الصحابة لتولِّي الخلافة،وهم أهل لذلك، فخشي إن تهاون في أخذ البيعة أن تُستغل من قبل بعض الأطراف الحاقدة على الدولة خصوصًا، وعلى المسلمين عمومًا. الأمر الذي سيترتبّ عليه كثير من الفتن والشرور، وهو ما حدث بالفعل بعد ذلك.

---

(١) ابن كثير: البداية والنهاية: ٩/ ٨٣.

(٢) خليفة، التاريخ: ٢١٣.

توجَّه معاوية ﷺ من الشام في ركب يضم ألف رجل[١]، ويبدو أن يزيد كان مصاحبًا له في هذه الرحلة؛ الشيء الذي جعل الطبري[٢] وغيره يذكرون أن أمير الحج هو يزيد بن معاوية.

فلما علم عبد الرحمن بن أبي بكر وابن عمر وابن الزبير بقدوم معاوية خرجوا من المدينة واتجهوا إلى مكة[٣]، فلما قدم معاوية المدينة خطب الناس وحثَّهم على البيعة، وبيَّن أن يزيد هو أحق الناس بالخلافة[٤]، ثم قال: «قد بايعنا يزيد فبايعوه»[٥].

ويبدو أن معاوية قد ذكر أنه يخشى على ابن عمر وغيره من القتل إن مانعوا، ويقصد بخوفه عليهم من أهل الشام، الذين لا يمكن أن يتصوروا أن أحدًا يخالف أمير المؤمنين في أمر اتفق عليه كثير من الناس.

لذلك فقد ذكر نافع أن معاوية قال: «والله ليبايعن ابن عمر أو لأقتلنَّه».

فلما بلغ الخبر عبد الله بن صفوان[٦] غضب وعزم على مقاتلة معاوية - إن

---

(١) المصدر السابق: ٢١٣، ٢١٤.

(٢) الطبري: ٥/ ٢٨٦، ابن عساكر (ترجمة يزيد): ١٨/ ق ٣٩٦.

(٣) البخاري، التاريخ الصغير: ١/ ١٠٣ بإسناد حسن. وذكر محمد أديب الحمصي أن معاوية شكاهم على عائشة. منتخبات تواريخ دمشق: ١/ ٧٧.

(٤) خليفة: ٢١٣، ٢١٤ وإسناده حسن.

(٥) الجوزقاني، الأباطيل والمناكير والصحاح والمشاهير: ١/ ٢٦٢ وقال: هذا حديث حسن مشهور رواه جماعة عن هشام.

(٦) عبد الله بن صفوان بن أمية بن خلف الجمحي، أبو صفوان المكي، ولد على عهد النبي ﷺ، ولأبيه صحبة مشهورة، وقتل مع ابن الزبير وهو متعلق بأستار الكعبة سنة ٧٣هـ (التقريب ٣٠٨).

ثبت هذا - فلما سَأل معاوية أنكر ذلك وقـال: «أنـا أقتـل ابـن عمـر! إني والله لا أقتله»[١].

فليس من المعقول أن يفكِّر معاوية ﷺ بذلك، ومعاوية إنما قَدِم ليتألَّف قلوب الناس، لا ليقتلهم.

وربما ظن معاوية أن خروج أولئك النفر إلى مكة إنما يريـدون مـن وراءه فتنـة وخروجًا عن الطاعة، فقال ذلك متوعِّدًا لمن عصا المسلمين.

فلما قدم معاوية مكة، وقضى نُسُكَه بعـث إلى ابـن عمـر فقـدم عليـه، فتـشهَّد معاوية وقال: «أما بعد يا ابن عمر فإنّك قد كنت تحدثني أنك لا تحب أن تبيـت ليلـة سوداء وليس عليك أمير، وإني أحذِّرك أن تشق عصا المسلمين، وأن تـسعى إلى فـساد ذات بينهم».

فرد ابن عمر على معاوية، وبيَّن له كيف كانت طريقـة بيعـة الخلفـاء الراشـدين، وذكر له كيف أن لهم أبناء خير من يزيد، فلم يروا في أبنائهم ما يرى معاوية في يزيد.

ثم بيَّن له أيضًا أنه لا يريد أن يشق عصا المسلمين، وأنه موافق على مـا تجتمـع عليه أمة محمد ﷺ. فأثلج هذا القول صدر معاوية ﷺ وقال: «يرحمك الله»[٢].

---

(١) ابن سعد الطبقات: ٤/ ٨٣ بسند صحيح؛ خليفة، التاريخ: ٢١٤-٢١٥ بسند صحيح؛ تاريخ الإسلام: (٦٠-٨١) ٤٦٦ من طريق ابن سعد. ولقد أنكر هذه الروايـة محـب الـدين الخطيـب رحمه الله في تعليقه على العواصم لابن العربي: ص ٢٢٥ وأظن أن الـسبب الـذي جعلـه ينكـر الرواية هو عدم اطلاعه على تاريخ خليفة.

(٢) تاريخ خليفة: ٢١٤-٢١٥ بسند صحيح.

فخرج ابن عمر، واستُدعي عبد الرحمن بن أبي بكر، فأخذ معاوية في الكلام، فقاطعه عبد الرحمن ورد عليه بلهجة شديدة، وذكر أنه يمانع بيعة يزيد، وطلب أن يكون الأمر شورى، وتوعَّد معاوية بالحرب(١). ثم قام فقال معاوية: اللهم اكفنيه بمَ شئت، وطلب منه أن يتمهَّل، وأن لا يعلن رفضه أمام أهل الشام فيقتلوه، حتى إذ ما بايع الناس يكون بعد ذلك على ما عنده من رأي(٢).

ثم استُدعي ابن الزبير، واتهمه معاوية بأنَّه السبب في منع البيعة، وأنَّه وراء ما حدث من ابن عمر وابن أبي بكر. فردَّ عليه ابن الزبير، وطلب منه أن يتنحَّى عن الإمارة إن كان قد ملَّها.

ثم طلب من معاوية أن يضع يزيد خليفة بدلًا منه فيبايعه، واستدل على عدم موافقته على المبايعة بما استنبطه من حديث الرسول ﷺ بأنه لا يجوز مبايعة اثنين في آن واحد(٣) ثم قال: وأنت يا معاوية أخبرتني أن رسول الله ﷺ قال: [**إذا كان في الأرض خليفتان فاقتلوا أحدهما**](٤).

وهكذا اتَّضح لنا من خلال الحوار الذي دار بين معاوية وأبناء الصحابة أنهم يمانعون البيعة لسببين:

---

(١) تاريخ خليفة: ٢١٣-٢١٤، بإسناد صحيح.

(٢) المصدر السابق: ٢١٤؛ تاريخ أبي زرعة: ١/ ٢٢٩ بإسناد صحيح.

(٣) تاريخ خليفة: ٢١٤ بإسناد حسن؛ أبو نعيم، حلية الأولياء: ١/ ٣٣٠-٣٣١.

(٤) الطبراني، المعجم الكبير: ١٩/ ٣١٤، قال الهيثمي في مجمع الزوائد: ٥/ ١٩٨ ورجاله ثقات. وله شاهد من حديث أبي سعيد الخدري عند مسلم: ٣/ ١٤٨٠ (١٨٥٣) بلفظ: «إذا بويع لخليفتين فاقتلوا الآخر منهما».

السبب الأول: اعتراضهم على تولية يزيد للعلاقة بين الأب والابن، وأنَّ هذه لم تكن طريقة الخلفاء الراشدين.

السبب الثاني: الاستدلال على بطلان هذه البيعة ورفضها لمخالفتها للنص الصريح الذي ورد في الحديث النبوي، والذي لا يُجيز البيعة لشخصين في آن واحد.

على أنَّ الملاحظ هنا هو أن المعارضين، لم يذكروا قدْحًا في يزيد؛ وإلَّا كيف يمكن أن يتجاهلوا صفات يزيد التي اتُّهم بها فيما بعد، وخاصة في ذلك الموقف الذي يتطلَّب حشد أي دليل في مقابل الخصم.

وأمّا أن يُقال: إنَّ الذي منع أبناء الصحابة من ذكر ما اتُّهم به يزيد هو الخوف على أنفسهم من معاوية، فهذا أمر لا يُعقل، ولا يمكن أن يَصح؛ فكيف يأخذ أبناء الصحابة حُرِّيَّتهم ويُغلظون على معاوية في القول، بل ويتوعَّدُونه، ويهدِّدونه، ثم يتركون التكلُّم في يزيد إن كان سكِّيرا خمَّارًا متلاعبًا بأمر الصلاة، وهم الذين لا يخافون في الله لومة لائم، فلو ثبت لهم شيء من ذلك في تلك اللحظات لذكروا ذلك، ولرفضوا البيعة أشدَّ ما يكون.

ولذلك قال ابن خلدون: «وحضور أكابر الصحابة لذلك، وسكوتهم عنه دليل على انتفاء الريب فيه -أي يزيد- فليسوا ممن تأخذهم في الحق هوادة، وليس معاوية ممن تأخذه العزة في قبول الحق؛ فإنهم كلهم أجلُّ من ذلك، وعدالتهم مانعة منه، وفرار عبد الله بن عمر إنما كان محمولاً على تورُّعه من الدخول في شيء من الأمور -مباحًا كان أو محظورًا- كما هو معروف عنه رضوان الله عليه»[١].

---

(١) ابن خلدون، المقدمة: ١/ ٢٦٣، ٢٦٥.

والحقيقة أنه كان هناك شعور قوي بين كثير من الناس - خاصة بين أبناء المهاجرين - وهو: كيف أن معاوية الذي أسلم في فتح مكة (أحد الطلقاء) يتولَّى خلافة المسلمين، وهناك من هو أقدم إسلامًا وأحق منه[١].

وكان البعض من هؤلاء يطعن في خلافة معاوية[٢].

الأمر الذي دفع الدُّوري ليقول: «وأهل الحجاز يريدون أن الخلافة حق أبناء الصحابة، وأنها يجب أن تبقى في مهد الحركة الإسلامية، وفي مقرِّها الأصلي (المدينة)، وأنّ الخلافة يجب أن تكون في أبناء الصحابة الأوَّلين، لا في الأمويين الذين أسلموا أخيرًا»[٣].

ثم إنه من الملاحظ أيضًا أن الرواية لم تذكر الحسين بن علي ضمن من استشارهم معاوية في بيعة يزيد، ولعلَّ السبب يعود إلى أن معاوية أدرك أن الحسين طالب رئاسة، وأن أهل العراق يكتبون للحسين يمنُّونه بالخلافة من بعد معاوية، ثم إن الحسين قد قابل معاوية بمكة فكلَّمه طويلاً كما يبدو في أمر الخلافة، الأمر الذي أغضب يزيد فقال لأبيه: «لا يزال رجل قد عرض لك فأناخ بك؟ قال: دعه لعله يطلبها من غيري فلا يسوغه فيقتله[٤].

---

(١) ابن أبي شيبة، المصنف: ١١/ ٩٠ بسند صحيح.

(٢) عبد الرزاق، المصنف: ١١/ ٣٤٤ بإسناد صحيح؛ ابن أبي شيبة، المصنف: ١١/ ٣٩٤؛ البلاذري، أنساب الأشراف: ٤/ ٤٧؛ ابن عبد البر، الاستيعاب: ٣/ ١٤٢٢؛ وقال ابن عبد البر: «هذا الخبر من أصح ما يروى من حديث ابن شهاب»؛ الخطيب، تاريخ بغداد ١/ ٢٠٨؛ ابن عساكر: ١٦/ ق ٧٢٤ من طريق عبد الرزاق؛ ابن كثير، البداية والنهاية ٨/ ١٣٣؛ الخزاعي، تخريج الدلالات: ١٦١.

(٣) مقدمة في تاريخ صدر الإسلام: ٦٤.

(٤) ابن سعد، الطبقة الخامسة: / ٣٥٧، وقال محققه: إسناده حسن، وهو كما قال؛ ابن عساكر، تاريخ دمشق (ترجمة الحسين بن علي)، التي أفردها المحمودي بالتحقيق: ص ١٩٩ من طريق ابن سعد.

فلما رأى معاوية أوجه الانتقادات التي انتقد فيها أبناء الصحابة بيعة يزيد، ورأى أنها لا تمس يزيد شخصيًا، بل إنها وجهات نظر ارتأوها ورأى معاوية خلافها؛ فهؤلاء مدفوعون بحرصهم على جعل منصب الخلافة لا تتطرق إليه العلاقات الأسرية والرغبات الشخصية، ومن ثم تكون قيمة الخليفة واختياره مبنية على علاقته بالخليفة الذي قبله(١)، ومعاوية ﷺ مدفوع بحرصه الشديد على اجتماع الكلمة وإن سلك في ذلك المسلك الذي ربما لا يرضي الكثير.

لَمَّا رأى معاوية ذلك قام بعد اجتماعه مع ابن عمر وابن الزبير وابن أبي بكر، فصعد المنبر، فحمد الله وأثنى عليه، ثم قال: «إن وجدنا أحاديث الناس ذات عوار؛ زعموا أن ابن عمر وابن الزبير وابن أبي بكر الصديق لم يبايعوا يزيد، قد سمعوا وأطاعوا وبايعوا له».

فقال أهل الشام: «لا والله لا نرضى حتى يبايعوا على رؤوس الناس وإلا ضربنا أعناقهم، فانتهرهم معاوية وقال: مه، سبحان الله! ما أسرع الناس إلى قريش بالسوء، لا أسمع هذه المقالة من أحد بعد اليوم، ثم نزل. فقال الناس: بايع ابن عمر وابن الزبير وابن أبي بكر، ويقولون: لا والله ما بايعنا. ويقول الناس: بلى لقد بايعتم، وارتحل معاوية ولحق بالشام»(٢).

ومعاوية ﷺ لم يَفْتَرِ على ابن عمر وابن الزبير وابن أبي بكر كما يظن البعض.

---

(١) الدوري، مقدمة في تاريخ صدر الإسلام: ٦٤.

(٢) خليفة: ٢١٤ بسند حسن.

فأما ابن عمر فإنه قال: أنا لا أمانع البيعة، بل إذا اجتمع الناس أدخل فيما دخل فيه الناس، ويزيد قد اجتمع عليه الناس، ورأى معاوية أن ذلك يمثل دليلًا على أن ابن عمر موافق على البيعة.

وأما عبد الرحمن بن أبي بكر فقد قال له معاوية بعد أن همَّ بالانصراف ورفض البيعة: «على رسلك ولا تعرض نفسك بالهلاك أمام أهل الشام، وانتظر حتى أخطب الناس وأقول أنك دخلت فيما دخل فيه الناس، ثم كن على ما بدا لك من أمرك»[١].

فقد أذعن ابن أبي بكر كما يظهر لتحذير معاوية وخوفه عليه من أهل الشام، وأنه لا بد وأن يذكر أن عبد الرحمن قد بايع حتى لا يتعرَّض للهلاك على يد أهل الشام، على أن يكون له ما يكون في نفسه بعد ذلك.

وأمَّا ابن الزبير فقد بيَّن اعتراضه من منظور فقهه للحديث؛ حيث لا يمكن أن تجمع البيعة لخليفتين، وقد بيَّن أنه لا يعترض على يزيد بل قال لمعاوية: «إن مللت الإمارة فهَلُمَّ ابنك فلنبايعه»[٢].

فرأى معاوية في ذلك موافقة مبدئية، وأنه لا اعتراض لديه على بيعة يزيد.

ولهذا بيَّن معاوية للناس الذين يرون أولئك النفر من الصحابة قدوتهم - أن المعارضين في الأصل موافقون، وأن الذي بلغه عنهم من المعارضة لا تعدو كونها

(١) خليفة، التاريخ: ٢١٤ بسند حسن؛ تاريخ أبي زرعة: ١/ ٢٢٩ بإسناد صحيح؛ وقريبًا من هذا عند أبي نعيم في الحلية: ١/ ٣٣٠-٣٣١.

(٢) تاريخ خليفة: ٢١٤ بسند حسن.

اختلافًا بسيطًا لا يؤثر في البيعة، فبايع الناس ليزيد بن معاوية[١].

وبهذه البيعة أصبح يزيد بن معاوية ولي العهد لأبيه، وأصبحت بيعته مُلزِمة للناس، وهو خليفة المسلمين المنتظر بلا جدال. وأصبحت بيعته بيعة شرعية توجب على المسلمين طاعته، وتنفيذ أمره في غير معصية الله.

ولعل من الجدير ذكره ونحن نتحدث عن المحاورات التي دارت بين معاوية ابن أبي سفيان وبين الوفود في دمشق، ثم تلك المحاورات التي دارت بين أبناء الصحابة وبين معاوية في مكة، أن نستنتج ذلك الوعي السياسي لدى أسلافنا؛ حيث كان يتم الحوار الصريح بينهم دون أن يلحق الأذى بأحد من المعارضين.

فمعارضات أبناء الصحابة كانت تدلل على وعي سياسي رفيع المستوى، وكيف أن معاوية ﷺ لا يقصد من خلال هذه البيعة سوى مصلحة الأمة، ولكن أبناء الصحابة أدركوا أن الأمر سيتغيَّر مع مرور الزمن، وبالفعل رأينا أن الخلافة أصبحت وراثية بعد ذلك.

ثم تلك الروح المتسامحة لإبداء الآراء؛ فمعاوية ﷺ طرح الفكرة وطرح اسم المرشح، ولم يستخدم لذلك القوة والسيف، بل شاور فيه الناس، ونجد من أبناء الصحابة كما مرَّ معنا من يرد عليه القول، بل يتهدَّد ويتوعَّد، ومعاوية مُتقبِّل لهذا الانتقاد.

وبهذه الرواية الصحيحة يتبيَّن لنا كذب تلك الرواية التي تتهم معاوية ﷺ بأنه أقام على رأس كل رجل من الصحابة الأربعة؛ وهم: عبد الله بن عمر، عبد الله بن

---

(١) خليفة: ٢١٤؛ أحمد، العلل: ٢/ ١٩١.

الزبير، عبد الرحمن بن أبي بكر، الحسين بن علي رضوان الله عليهم، أقام على رأس كل واحد منهم رجلين، وأعطى الإشارة لكل حارس بقتل من يمانع البيعة، فبايع الناس وبايع ابن عمر، وابن الزبير، وابن أبي بكر تحت تهديد السلاح.

فبالإضافة إلى ضعف الرواية سندًا، فإن متنها لا يقل عن سندها من حيث الضعف، ولا يقف أمام النقد الدقيق.

فمثلًا في بداية الرواية: «أن معاوية لما كان قريبًا من مكة قال لمرقال -صاحب حرسه-: لا تدع أحدًا يسير معي إلا من حملته أنا، فخرج يسير وحده حتى إذا كان وسط الأراك لقيه الحسين بن علي، فوقف وقال: مرحبًا وأهلًا بابن بنت رسول الله ﷺ، سيد شباب المسلمين دابة لأبي عبد الله يركبها، ثم طلع عبد الرحمن ابن أبي بكر فقال: مرحبًا وأهلًا بصاحب رسول الله ﷺ وابن الصديق وسيد المسلمين، ودعا له بدابة فركبها، ثم طلع ابن الزبير: فقال مرحبًا وأهلًا بابن حواري رسول الله ﷺ وابن الصديق وابن عمة رسول الله ﷺ، ثم دعا له بدابة فركبها، ولم يعرض لهم بشيء حتى قضى نُسُكَه... »[1].

---

(١) تاريخ خليفة: ٢١٥. والسند عن جويرية بن أسماء قال: سمعت أشياخ أهل المدينة يتحدثون. من هؤلاء المشايخ؟ ألا يحتمل أن فيهم الصادق والكاذب؟ ألا يحتمل أيضًا أن فيهم الموتور من يزيد؟ ألا يحتمل أن فيهم من قتل له في الحرة قريب؟ كل هذه الاحتمالات تَرِدْ، ثم بالجهالة في الرواة تصبح الرواية رواية ضعيفة لا يمكن الاعتماد عليها، وإذا اعتبرنا واستأنسنا بها فهي في حكم الشاذ لمخالفتها للرواية الصحيحة التي سبق أن ذكرناها. وانظر نفس الرواية في مجالس ثعلب: ٢/ ٤٥١-٤٥٣. وقد اعتمد رشيد رضا على هذه الرواية واتهم معاوية ﷺ بالغش والخداع.... (انظر: الخلافة: ص ١٥٠-١٥١).

هذه الرواية تبدو وكأنها عمل تمثيلي محكم؛ فأولًا من المعروف أن عبد الرحمن ابن أبي بكر، وابن عمر، وابن الزبير لما علموا بقدوم معاوية إلى المدينة خرجوا منها واتجهوا إلى مكة، فأين يجدهم معاوية بقرب مكة، ثم لنفرض أنه وجد واحدًا منهم كيف يتيسَّر له وجود باقي الأربعة، وأما ما يتعلق بباقي الرواية التي تذكر أن معاوية أوقف على كل رجل حارسين، وأمرهما بقتل من يحاول الاعتراض على البيعة إذا بويع يزيد فهذا مستبعد لأمرين:

أحدهما: أليس من الغريب جدًا على معاوية أن يستخدم العنف بهذه الصفة مع أبناء الصحابة، والصحابة أنفسهم، ومن ثم يتسبَّب في توسيع الخلاف، ويباعد الشق بينه وبين يزيد من جهة، وبين الصحابة وأبنائهم من جهة أخرى.

والأمر الآخر: عندما يقف الحراس على رؤوس الأربعة[1] ابن عمر، وابن الزبير، وابن أبي بكر، والحسين بن علي[2]، أليس هذا المنظر أمام الناس يجعل الشك

---

(١) تاريخ خليفة: ص ٢١٦.

(٢) لقد جاء عن نافع، أن معاوية بعث لابن عمر ﷺ بمئة ألف درهم، فلما دعا معاوية لبيعة يزيد، قال: «أترون هذا أراد؟ إن ديني إذًا عندي لرخيص..» ابن سعد: ٤/ ١٨٢ بسند صحيح. وقد أورد هذا الخبر البيهقي في السنن الكبرى: ٨/ ١٥٩ من طريق يعقوب بإسناده عن نافع عن ابن عمر بنحوه.

وليس في هذا الأمر ما يجعلنا نتهم معاوية بأنه أراد أن يشتري ذمة ابن عمر ليكسب موافقته على البيعة، وليتجنب معارضته ليزيد، فمعاوية ﷺ كان دائم العطاء لأبناء الصحابة الكبار، مثل ابن عمر وابن أبي بكر وابن الزبير والحسين بن علي والحسن بن علي -رضي الله عنهم- وغيرهم.

فربما كان إرساله هذا المال يدخل في نطاق الصلة التي كان يحرص عليها معاوية، والمخصصة لأبناء الصحابة والصحابة أنفسهم.

=

عند الناس يتضاعف حول مكانة يزيد، ويعرف الناس أن أولئك الحراس الذين يقفون على رأس كل شخص إنما يتربَّصون به ويبغونه شرًّا، ثم يصبح لدى الناس اقتناع كامل بأن هذه البيعة بيعة إكراه وخديعة فيما نعوا.

لقد وُجد من يشكك بتفاصيل هذه الرواية؛ كالمستشرق الألماني (فلهاوزن)، الذي وصفها بأنها محبوكة بصورة ماهرة [(١)].

وهكذا تمت بيعة أهل الحجاز -كما بيَّنا- من خلال تلك الرواية الصحيحة. ورجع معاوية إلى دمشق، واستمر الأمر على هدوئه، ولم نسمع ممانعة أو اعتراضًا من أحد طوال الثمان سنوات التي أعقبت بيعة أهل الحجاز، حتى توفي معاوية ﷺ عام ٦٠هـ.

الحسن بن علي ﷺ وعلاقته بالبيعة ليزيد:

حريٌّ بنا قبل أن نترك بيعة أهل الحجاز أن نناقش ما تناقله الرواة والأخباريون من سمِّ معاوية للحسن بن علي، حتى أنهم جعلوا هناك سببًا مشتركًا بين البيعة ليزيد وبين وفاة الحسن ﷺ.

لقد اتهموا معاوية ﷺ بأنه دسَّ للحسن السُّم لكي يموت، ويتفرَّغ لبيعة يزيد.

والتسليم بهذه التهمة، وإمرارها بدون نقد وتمحيص، جعل أحد المؤرخين المعاصرين يقرر ما يأتي:

«وكان هدف معاوية الأساسي العمل على منع الاتصال بين القاعدة والقيادة؛

= والحامل لابن عمر على الظن بأن معاوية أراد بإرسال هذا المال مقاصد أخرى، هو: الورع والتقوى اللذان كان يتميز بهما ابن عمر رضي الله عنهما.

(١) تاريخ الدولة العربية: ص ١٣٨.

وذلك حتى يتمكن من ضرب الطرفين كلٍّ على حدة، ولقد كان وجود الحسن في المدينة مصدر قلق لمعاوية؛ فهو منافسه الأول على الخلافة، كما أن بقاءه حيًّا كان يتعارض مع مخططاته الرامية إلى تحويل الخلافة إلى ملك وراثي في البيت الأموي...»[(١)].

والسبب الذي أكَّد هذا الاتهام لديهم هو تلك المعاهدة (الصلح) التي تمت بين الحسن ومعاوية، واعتمدوا على تلك الرواية التي تذكر أن الحسن اشترط على معاوية الخلافة من بعده، فكان أمام معاوية هذه العقبة الكأداء عندما بدأ يفكر في بيعة يزيد، فدسَّ إليه السُّمَّ.

ولمعرفة أبعاد هذه القضية، ثم الخروج بحكم صحيح، كان لا بد من معرفة كيفية الصلح، وما هي الشروط التي اقتضاها ذلك الصلح.

أسباب الصلح:

لقد كان الحسن بن علي ﷺ معارضًا لخروج أبيه من المدينة[(٢)]. ثم رأى تلك المعارك التي لا شك أنها تركت في نفسه جرحًا بليغًا، ورأى كيف تحول المسلمون من فاتحين ومجاهدين ضد أعداء الله إلى جماعات متناحرة، شاهرين الرماح في وجوه بعضهم البعض[(٣)].

---

(١) سهيل زكار، تاريخ العرب والإسلام: ١٣٩.

(٢) ابن أبي شيبة، المصنف: ١٥/ ٩٩-١٠٠ رقم (١٩٢١٨) بإسناد حسن؛ عبد الله بن أحمد بن حنبل، السنة: ٢/ ٥٦٦، ٥٨٩ بإسناد صحيح؛البخاري،التأريخ الكبير: ١/ ٦٧؛ الطبري، الأمم والملوك: ٤/ ٤٥٦؛الحاكم،المستدرك: ٣/ ١١٥؛ الذهبي،تاريخ الإسلام: (الخلفاء الراشدون) ٤٨٧.

(٣) قال الحسن عن أبيه علي - رضي الله عنهما - في معركة الجمل: «لقد رأيته حين اشتد القتال يلوذُ بي ويقول: يا حسن لوددتُ أنيِّ متُّ قبل هذا بعشرين حجة ».(ابن أبي شيبة،المصنَّف: ١٥/ ٢٨٨ =

ورأى كيف سقط الآلاف من المسلمين بسبب تلك الحروب التي في حقيقتها لا تخدم إلا أعداء الإسلام والمسلمين، ثم إنه بالتأكيد قد أحس بتلك الأصابع الخفية التي ساعدت على تأجيج وتوسيع الخلاف بين المسلمين، واستطاع أولئك الأعداء المتخفِّين أن يُدركوا بعضًا من آمالهم وتطلُّعاتهم.

ولما أُصيب علي ﷺ، وطلب منه أنصاره أن يُعيِّن واحدًا من بعده، رفض تسمية أحد بعينه [(١)].

وبعد استشهاده ﷺ، اجتمع أنصار علي، واختاروا الحسن خليفة لهم من بعد أبيه.

وبايع أكثر من أربعين ألفًا، وقد بايع الحسن أهل العراق على بيعتين: بايعهم على الإمرة، وبايعهم على أن يدخلوا فيما يدخل فيه، ويرضوا بما رضي به [(٢)]، وبعد أن أخذ البيعة منهم قال لهم: «الحقوا بطينتكم، وإني والله ما أحب أن ألي

= بإسناد صحيح؛ عبد الله بن أحمد، السنة ٢/ ٥٦٦، نعيم بن حماد، الفتن ١/ ٨٠(١٧٧)؛ الطبراني،المعجم الكبير ١/ ٧٢(٢٠٣)؛ الهيثمي - بغية الباحث عن زوائد مسند الحارث ٣/ ٩٥٠ (رسالة دكتوراه مكتوبة بالآلة الكاتبة وقال المحقق: هذا الأثر رجال إسناده كلهم ثقات). ابن حجر، المطالب العالية ٤/ ٣٠٢ وقد عزاه للحارث وقال المحقق: إسناده حسن.

(١) ابن أبي شيبة: ١٥/ ١١٨؛ أحمد، المسند (بتحقيق أحمد شاكر): ٢/ ٥٤٢ رقم (١٠٧٨) وقال محققه إسناده صحيح؛ أبو يعلى، المسند: ١/ ١٩٨ وقال الهيثمي في مجمع الزوائد: ٥/ ٩٧: «رواه أبو يعلى ورجاله ثقات»؛ أبو نعيم، أخبار أصبهان: ١/ ١٩٧.

(٢) ابن سعد، الطبقة الخامسة: ٥/ ٢٥٧، بإسناده حسن؛ ونفس المصدر: ص ٢٣٢ بسند صحيح؛ الحاكم المستدرك: ٣/ ١٧٣؛ ابن عساكر، تاريخ دمشق: ٤/ ق ٥٣٥ عن يعقوب بإسناد حسن ولكنه مرسل؛ المزي، تهذيب الكمال: ٦/ ٢٤٥ بنفس الإسناد.

من إمرة محمد ﷺ ما يزيد على ذرة خردل يُهراق منهم محجم دم»[١].

وارتاب أهل العراق من شرط الحسن عندما بايعهم، ووقع في حسِّهم أن الحسن ليس بصاحب قتال.

ثم خرج الحسن بن علي بالناس حتى نزل المدائن[٢]، وبعث قيس[٣] بن سعد ابن عبادة على مقدمته في اثني عشر ألف، وكانوا يُسمَّون شرطة الخميس[٤].

وقدَّم معاوية بسر بن أرطأة؛ فكانت بينهما مناوشات، ولم يكن قتل ولا جراح، ثم تحاجزوا[٥].

---

(١) ابن سعد، الطبقة الخامسة: / ٢٥٧ بإسناد صحيح؛ ابن أبي شيبة، المصنف: ١٥/ ٩٤ بسند صحيح.

(٢) المدائن: كانت مساكن الأكاسرة في السابق، وفتحت على يد سعد بن أبي وقاص سنة ١٦هـ، بينها وبين بغداد ستة فراسخ (ياقوت، معجم البلدان ٥/ ٧٥).

(٣) قيس بن سعد بن عبادة الخزرجي الأنصاري، صحابي جليل، توفي سنة ٦٠هـ تقريبًا (التقريب ٤٥٧).

(٤) البلاذري، أنساب الأشراف: ٣/ ٦٧ بسند حسن؛ ابن عساكر، تاريخ دمشق: ٤/ ق٥٣٥ من طريق عوانة؛ المزي، تهذيب الكمال: ٦/ ٢٤٤ من طريق عوانة أيضًا.

وتعود هذه التسمية إلى « أن عليًا سمَّى أصحابه شرطة الخميس، إضافة إلى الأصفياء والأولياء والأصحاب، ومعنى شرطة الخميس: أن عليًا ﷺ قال لهذه الطائفة تشرطوا فإنما أشارطكم على الجنة، ولست أشارطكم على ذهب ولا فضة؛ إن نبيًا من الأنبياء فيما مضى قال لأصحابه تشرطوا فإني لست أشارطكم إلا على الجنة» (الفهرست ص ٤٢٩)، والخميس: الجيش؛لأنه خمس فرق: المقدمة، والقلب، والميمنة، والميسرة، والساقة (لسان العرب٦:/ ٧٠ مادة (خمس).

(٥) الطبري، الأمم والملوك: ٥/ ١٥٩ بإسناد حسن إلى إسماعيل بن راشد؛ الخطيب، تاريخ بغداد: ١/ ٢٠٨ عن المدائني.

وبينما الحسن بن علي مقيم بالمدائن إذ نادى مناد في عسكر الحسن: «ألا إن قيس بن سعد قد قتل»[١].

فانتُهبت سرادق الحسن حتى نازعوه بساطًا تحته، ووثب على الحسن رجل من الخوارج فطعنه بخنجر في وركه طعنة خطيرة، مرض منها الحسن طويلًا، وكادت أن تودي بحياته[٢].

ومُرِّض الحسن في القصر الأبيض بالمدائن أكثر من شهر، حتى تماثل للشفاء.

ويبدو أن هذا التصرف الذي قام به أهل الكوفة مع الحسن بن علي قد أعطاه انطباعًا خاصًا- في تلك اللحظة بالذات- من أنَّ هؤلاء الجند الذين يضمُّهم جيشه يمثِّلون خطرًا على حياته؛ فغالب الجند كانوا من الأعراب الذين لم يتغلغل في قلوبهم الإيمان، وإنما هدفهم الوحيد هو النهب والسلب والقتل، فليسوا بأهل مبادئ وأهداف سامية، ثم إن باستطاعة تلك الأيدي الخفية من السبئية والخوارج وغيرهم- والذين كانوا متغلغلين في جيشه- أن يحركوا أولئك الأعراب كيفما يطيب لهم، ووفق مخططاتهم.

---

(١) يعقوب، المعرفة والتاريخ: ١/ ٧٥٦ بإسناد حسن؛ ابن عساكر: ٤/ ق ٣٣٥ بإسناد حسن عن عوانة؛ المزي، تهذيب الكمال بنفس الإسناد: ٦/ ٢٤٤-٢٤٥.

(٢) الطبراني، المعجم الكبير: ٣/ ٦١ قال الهيثمي في مجمع الزوائد: ٩/ ١٧٢: (رجاله ثقات)؛ أبو العرب، المحن ١٦٤ بإسناد حسن ولكنه مرسل عن الزهري؛ ابن عساكر ٤/ ق ٥٣٥ بإسناد حسن ولكنه مرسل؛ المزي، تهذيب الكمال: ٦/ ٢٤٥ بنفس الإسناد؛ الذهبي، سير أعلام النبلاء: ٣٧٠٣ من طريق الطبراني.

ومن المعلوم أن أي جيش تسيطر عليه روح السلب والنهب، وليس لدى أفراده الامتثال والطاعة للقائد، فمن المستحيل تحقيق أي انتصار بهذا الجيش.

هذا حال جيش الحسن بن علي ﷺ، وفي المقابل نجد جيش معاوية ﷺ من أهل الشام، وهم أهل طاعة وامتثال وتلبية للأمر، ثم إن لديهم أهدافًا واضحة يسعون لتحقيقها من خلال حربهم مع أهل العراق، وكان هدفهم الرئيسي هو الانتقام من أولئك القتلة، الذين قتلوا الخليفة الراشدي الثالث: عثمان بن عفان ﷺ شهيدًا مظلومًا لا حول له ولا قوة، أمام ذهول المسلمين جميعًا.

ولذلك أخذ ابن عباس[(١)] ﷺ من عموم قوله تعالى: ﴿ وَلَا تَقْتُلُوا۟ ٱلنَّفْسَ ٱلَّتِى حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلَّا بِٱلْحَقِّ ۗ وَمَن قُتِلَ مَظْلُومًا فَقَدْ جَعَلْنَا لِوَلِيِّهِۦ سُلْطَـٰنًا فَلَا يُسْرِف فِّى ٱلْقَتْلِ ۖ إِنَّهُۥ كَانَ مَنصُورًا ﴾[الإسراء: ٣٣]؛ أخذ من ذلك أن معاوية سيلي أمر المسلمين وسيكون خليفة؛ لأنه كان وليَّ دم عثمان -باعتباره ابن عمه وصاحب القوة والإمارة- وقد قُتل عثمان مظلومًا ﷺ[(٢)].

كانت تلك التجربة المريرة التي مرَّ بها الحسن بن علي على يد أهل الكوفة كفيلة بأن تغيِّر من حساباته حيال هذه الحرب التي سيخوضها ضد معاوية وأهل

---

(١) عبد الله بن عباس بن عبد المطلب بن هشام بن عبد مناف، ابن عم رسول الله ﷺ، ولد قبل الهجرة بثلاث سنوات، ودعا له رسول الله ﷺ بالفهم في ا لقرآن، فكان يسمى البحر، والحِبر، لسعة علمه، ت ٦٨هـ (التقريب ٣٠/٩).

(٢) عبد الرزاق: ١١/ ٤٤٨ (٢٠٩٦٩) بسند صحيح؛ ابن أبي عاصم، الآحاد والمثاني: ١/ ٣٨١؛ ابن كثير، التفسير ٥/ ٧٠.

الشام، ثم لا ننسى أن الخوارج قد كان لهم وجود قوي في منطقة العراق، ومن ثم فإن الحسن يعلم أنه لو اشتغل بالحرب ضد معاوية استولى الخوارج على البلاد، وإن اشتغل بالخوارج استولى عليه معاوية[١].

وفي الجانب الآخر، نجد أن معاوية لما رأى كتائب الحسن بن علي، عرف أن الحرب عندما تقوم ستُهلك هذه الكتائب ما يماثلها من أهل الشام، وقال: «ثم من يكون للناس، ومن لنسائهم، ومن يكون لضيعاتهم»[٢].

ولما طُعِنَ الحسن ازداد بغضًا لأهل الكوفة، فراسل معاوية في الصلح[٣]، وأرسل معاوية إلى الحسن رجلين من بني عبد شمس هما: عبد الله بن عامر[٤]، وعبد الرحمن بن سمرة[٥]، وعرضا على الحسن الصلح.

وبعدما استشار الحسن عبد الله بن حعفر بن أبي طالب[٦] وأيَّده على الصلح[٧]،

---

(١) ابن العربي، أحكام القرآن: ٤/ ١٧١٩-١٧٢٠.

(٢) البخاري، الجامع الصحيح مع الفتح: ٥/ ٣٦١، ٧/ ٩٤؛ الجوزقاني، الأباطيل والمناكير والصحاح والمشاهير: ٢/ ٢٠٩؛ الحاكم، المستدرك: ٣/ ١٧٤.

(٣) ابن سعد، الطبقة الخامسة/ ٢٦٩ وقال المحقق: إسناده صحيح؛ أبو العرب، المحن: ١٦٤.

(٤) عبد الله بن عامر بن كريز القرشي الأموي، رأى النبي ﷺ وكان من كبار سادات المسلمين، وشجعانهم وأجوادهم، ت ٥٩هـ (الذهبي، السير: ٣/ ٢١).

(٥) عبد الرحمن بن سمرة بن حبيب بن عبد شمس الأموي، صحابي، من مسلمة الفتح، افتتح سجستان، ثم سكن البصرة، ت ٥٠هـ (التقريب: ٣٤٢).

(٦) عبد الله بن جعفر بن أبي طالب الهاشمي، أحد الأجواد، ولد بأرض الحبشة،وله صحبة، ت سنة ٨٠هـ وهو ابن ثمانين (التقريب: ٢٩٨).

(٧) ابن سعد، الطبقة الخامسة/ ٢٦٩ بإسناد صحيح.

وافق الحسن، ثم قام بالقصر الأبيض[1]، فخطب الناس خطبة مؤثرة قال فيها:

«يا أهل العراق، لو لم تذهل نفسي عنكم إلا لثلاث لذهلت: بقتلكم أبي ومطعنكم إياي، واستلابكم متاعي، اتقوا الله فينا، فإنا أمراؤكم وضيفانكم، ونحن أهل البيت الذين قال الله ﷻ عنهم: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجْسَ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾ [الأحزاب: ٣٣]. إنكم قد بايعتموني على أن تسالموا من سالمت وتحاربوا من حاربت، وإني قد بايعت معاوية، فاستمعوا له وأطيعوا».

فما يزال يتكلم حتى ما يُرى في المسجد إلا باكيًا[2].

ثم تقابل مع معاوية بالنُّخَيْلة[3] وبايعه، وطلب معاوية من الحسن أن يخطب الناس، فقام فخطب فحمد الله وأثنى عليه ثم قال:

« أما بعد فإن أكيس الكيس التقى، وإن أحمق الحمق الفجور، وإن هذا الأمر الذي اختلفت فيه أنا ومعاوية إما كان حقًا لي فتركته لمعاوية إرادة صلاح هذه

---

(١) القصر الأبيض: من قصور الحيرة (معجم البلدان: ٤/ ٣٥٤).

(٢) ابن سعد، الطبقة الخامسة:/ ٢٥٨ قال محققه: إسناده صحيح، وفي موضع آخر من نفس المصدر: ص ٢٦٣ بإسناد حسن؛ يعقوب، المعرفة والتاريخ: ٢/ ٧٥٣ بإسناد حسن إلى هلال بن خباب العبدي؛ الطبراني ٣/ ٩٣؛ وقال الهيثمي في مجمع الزوائد: ٩/ ١٧٢ : رجاله ثقات؛ الطبري:٥/ ١٥٩ بسند لا بأس به إلى إسماعيل بن راشد؛ الخطيب، تاريخ بغداد: ١/ ١٣٩ من طريق يعقوب؛ ابن عساكر تاريخ دمشق: ٤/ ق ٣٣٥ من طريق يعقوب؛ المزي، تهذيب الكمال: ٦/ ٢٤٤-٢٤٥ عن عوانة؛ ابن الجوزي، المصباح المضيء: ١/ ٣٦٩؛ الذهبي، سير أعلام النبلاء: ٣/ ٢٧٠؛ ابن حجر، الإصابة: ٢/ ٧٣ من طريق يعقوب.

(٣) النخيلة: موضع قرب الكوفة على سمت الشام (معجم البلدان: ٥/ ٢٧٨).

الأمة وحقن دمائهم، أو يكون حقًا كان لامرئ أحق به مني ففعلت ﴿ وَإِنْ أَدْرِى لَعَلَّهُۥ فِتْنَةٌ لَّكُمْ وَمَتَٰعٌ إِلَىٰ حِينٍ ﴾ [الأنبياء: ١١١] »[١].

وكان صلح معاوية والحسن بن علي، ودخول معاوية الكوفة في شهر ربيع الأول سنة إحدى وأربعين [٢].

ولم يرق هذا الصلح لكثير من أهل الكوفة، فكان البعض يُسَلِّم على الحسن ويقول: السلام عليك يا مُذلَّ المؤمنين، فيرد الحسن قائلا: إني لم أُذِلّ المؤمنين، ولكن كرهت قتلهم في طلب الملك [٣].

قال الجوزقاني: « إن الاعتماد على خلافة معاوية ﷺ هو ما فعله الحسن بن علي- رضي الله عنهما- لأنه كان أكبر أولاد علي ﷺ، وأجمع عليه أصحاب أبيه

---

(١) عبد الرزاق المصنف: ١١/ ٤٥٢ (٢٠٩٨) بسند صحيح؛ ابن سعد، الطبقة الخامسة/ ٢٦٧ بسند حسن؛ أحمد، فضائل الصحابة: ٢/ ٧٦٩ (١٣٥٥) وقال محققه: إسناده صحيح؛ الطبراني، المعجم الكبير: ٣/ ٨٧ (٢٧٤٨) من طريق عبد الرزاق وقال الهيثمي: (٤/ ٢٠٨) في مجمع الزوائد: (ورجاله رجال الصحيح)، وعند الطبراني نفسه: ٣/ ٢٦ واللفظ له قال الهيثمي: (٤/ ٢٠٨): (وفيه مجالد بن سعيد وفيه كلام وقد وثق، ولكن بقية رجاله رجال الصحيح)؛ البيهقي، السنن الكبرى: ٨/ ١٧٣ من طريق مجالد بن سعيد.

(٢) المزي، تهذيب الكمال: ٦/ ٢٤٤ وقال ابن عبد البر: " هذا أصح ما قيل عام الجماعة؛ أي سنة ٤١هـ وعليه أكثر أهل هذه الصناعة من أهل السير والعلم بالخبر، وكل من قال: إن الجماعة كانت سنة أربعين فقد وهم، ولم يقل بعلم (الاستيعاب ١/ ٣٧٨).

(٣) ابن أبي شيبة، المصنف: ١٥/ ٦٤؛ يعقوب، المعرفة والتاريخ: ٣/ ٣١٧ بإسناد حسن؛ الحاكم، المستدرك: ٣/ ١٧٥؛ ابن عبد البر، الاستيعاب: ١/ ٣٨٦-٣٨٧؛ الخطيب: ١٠/ ٣٠٥؛ الذهبي، السير: ٣/ ٢٧٢.

من بعده، فلمَّا نظر في عاقبة الأمر، وما يؤول إليه، خلف نفسه، وسلَّم الأمر إلى معاوية، وبايع له، فصار ذلك إجماعًا صحيحًا من غير تأويل ولا مقال، وكان هذا الفعل من الحسن ﷺ أحد ما استدل به المسلمون على صحة نبوة محمد ﷺ، لأنه أخبر عما يكون فكان، وذلك قوله ﷺ: (**إن ابني هذا سيد، وعسى الله ﷻ أن يصلح به بين فئتين عظيمتين من المسلمين**)[1].

واستدللنا بهذا الحديث على صحة نبوته ﷺ، لأنه أخبر عما سيكون، فكان كما أخبر، وعلى أن الفئتين كلتيهما من المسلمين، ولم يميز إحداهما عن الأخرى بفضل ولا نقص»[2].

شروط الصلح:

لقد ورد في كثير من الروايات أن معاوية شرط للحسن أن تكون الخلافة له من بعده[3].

---

(١) صحيح البخاري مع الفتح: ٥/ ٣٦١، ٧/ ٩٤.

(٢) الجوزقاني، الأباطيل والمناكير: ١/ ٢٠٨.

(٣) ابن سعد، الطبقة الخامسة: ٢٦٩ وقال محققه: سنده صحيح، إلا أن السند لم يُسَلَّم بصحَّته؛ فعمرو بن دينار لم يدرك الحسن، ابن عساكر: ٤/ ق ٥٣٤ من طريق ابن أبي خيثمة بإسناد حسن إلى عبد الله بن شوذب ت ١٥٧هـ؛ ابن عبد البر، الاستيعاب: ١/ ٣٨٦ بإسناد حسن إلى عبد الله بن شوذب؛ المزي، تهذيب الكمال: ٦/ ٢٤٧-٢٤٨ من طريق ابن سعد؛ ابن حجر، الإصابة: ٢/ ٧٢-٧٣، وله أيضًا فتح الباري: ١٣/ ٧٠ من طريق الحسن بن قدامة في كتابه «الخوارج» بسند قوي إلى أبي بصرة. (أبو بصرة: حُمَيل ابن بصرة بن وقاص، أبو بصرة الغفاري، صحابي سكن البصرة، ومات بها (التقريب ١٨٣).

ثم ورد من طرق أخرى[١]: أن الحسن لم يشترط هذا الشرط، بل شرط شروطًا أخرى معينة.

ومن خلال الروايات الأولى التي تذكر أن الحسن اشترط لنفسه الخلافة بعد معاوية جعل ابن عبد البر يطلق التعميم فيقول: «ولا خلاف بين العلماء أن الحسن إنما سلَّم الخلافة لمعاوية في حياته لا غير، ثم تكون له من بعده، على ذلك انعقد بينهما ما انعقد في ذلك»[٢].

ومن مجمل اتجاهات الروايات السابقة نجد أن هناك اختلافًا واضحًا بين تلك الرّوايات التي تذكر أن الحسن اشترط الخلافة لنفسه بعد موت معاوية، وبين تلك الروايات التي لم تذكر شيئًا من ذلك، ولكننا نستطيع أن نُؤلِّف بين ذلك الخلاف من خلال الرواية التي ذكرها الحافظ ابن حجر: « فقد أخرج يعقوب بن سفيان الفسوي بسند صحيح إلى الزهري أنه قال: كاتب الحسن بن علي معاوية واشترط لنفسه، فوصلت الصحيفة لمعاوية وقد أرسل إلى الحسن يسأله الصلح، ومع الرسول صحيفة بيضاء مختوم على أسفلها، وكتب إليه أن اشترط ما شئت فهو لك، فاشترط الحسن أضعاف ما كان يسأل أولًا، فلما التقيا وبايعه سأله أن يعطيه ما اشترط في السجل الذي ختم معاوية في أسفله، فتمسَّك

---

(١) ابن سعد، الطبقة الخامسة/ ٢٦١-٢٦٢ بإسناد جمعي بعضها منقطع والآخر لا يخلو من الضعف؛ الطبري: ٥/ ١٦١ بإسناد حسن حتى عوانة بن الحكم؛ المزي، تهذيب الكمال: ٦/ ٢٤٥-٢٤٦ من طريق ابن سعد؛ ابن قدامة، التبيين في أنساب القرشيين: ١٠٥.

(٢) الاستيعاب: ١/ ٣٨٧.

معاوية إلى ما كان الحسن سأله أولًا، واحتج بأنه أجاب سؤاله أوّل ما وقف عليه فاختلفا في ذلك، فلم يُنفّذ للحسن من الشرطين شيئًا»[(١)].

وبهذا يتبيَّن أن مسالة خلافة الحسن بعد معاوية لم تكن ضمن الشروط، وربما أُشيعت بقصد تلافي ردة الفعل عند أتباعه، تهدئة لنفوسهم.

وعند التدقيق في روايات طلب الحسن الخلافة بعد معاوية، نجد أنها تتنافى مع أنفة وقوة وكرم الحسن؛ فكيف يتنازل عن الخلافة حقنًا لدماء الأمة وابتغاء مرضاة الله، ثم يوافق على أن يكون تابعًا يتطلَّب أسباب الدنيا، وتشرئب عنقه للخلافة مرة أخرى.

والدليل على أن هذه في الغالب هي إشاعة أطلقها أنصار العلويين هو ما ذكره جُبير[(٢)] بن نُفير قال: «قلت للحسن بن علي إن الناس يزعمون أنك تريد الخلافة، فقال: كانت جماجم العرب بيدي؛ يسالمون من سالمت ويحاربون من حاربت، فتركتها ابتغاء وجه الله، ثم أبتزها بأتياس أهل الحجاز؟!»[(٣)].

---

(١) ابن حجر، فتح الباري: ١٣/ ٧٠؛ ابن عساكر: ٤/ ق ٥٣٩؛ الطبري: ٥/ ١٦٢-١٦٣؛ وقريبًا من ذلك عند البلاذري أنساب الأشراف: ٣/ ٦٨ بإسناد حسن.

(٢) جبير بن نُفير بن مالك الحضرمي الحمصي، ثقة جليل، من الثانية، مخضرم، ولأبيه صحبة، مات سنة ٨٠هـ (التقريب: ١٣٨).

(٣) ابن سعد، الطبقة الخامسة: ١٥٨ بسند حسن واللفظ له؛ البلاذري، أنساب الأشراف: ٣/ ٤٩؛ الدولابي، الذرية الطاهرة: ص ٧١ وقال محققه: «إسناده جيد إن كان يزيد سمعه من جبير»؛ أبو نعيم، حلية الأولياء: ٢/ ٣٧ بإسناد حسن؛ الحاكم، المستدرك: ٣/ ١٧٠ وقال: «هذا إسناد على شرط الشيخين ولم يخرجاه؛ ابن عساكر ٤/ ق ٥٤٣؛ ابن كثير: ٨/ ٤٣؛ الذهبي، =

وفي هذه الرواية دلالة على أن تلك الروايات التي تذكر الخلافة ليس لها مجال من الصحة، وفي اعتقادي أنها إشاعة سارت بين الناس، وبالذات بين أتباع الحسن.

ثم إنه من الملاحظ أن أحدًا من أبناء الصحابة أو الصحابة لم يذكروا خلال بيعة يزيد شيئًا من ذلك، فلو كان الأمر كما تذكر الروايات عن ولاية عهد الحسن بعد معاوية، لاتخذها الحسين بن علي حجة، وقال أنا أحق بالخلافة، ولكن لم نسمع شيئًا من ذلك على الإطلاق.

مما يؤكد على أن مسألة خلافة الحسن لمعاوية ليست سوى إشاعة أطلقت لظروف معينة في حينها.

وربما أن هذه الإشاعة أطلقت في ظروف متأخرة « أرادت التعريض بالبيعة ليزيد، واتهام معاوية بالخروج على الشورى في استخلافه ولده يزيد، وهي قضية جرت في فترة تالية من الصلح بين الحسن ومعاوية»[1].

= سير أعلام النبلاء: ٣/ ٢٧٤؛ «وعند الدولابي، وابن عساكر سقطٌ في السند؛ فقد أسقط عبد الرحمن بن جبير بن نفير، وقال ابن أبي حاتم في العلل: ٢/ ٣٥٢: «هذا حديث خطأ؛ إنما هو عبد الرحمن بن نمير عن أبيه» بل إن البعض من مصنفي الشيعة لم يذكروا شيئًا عن خلافة للحسن بعد معاوية، انظر جلاء العيون: ١/ ٣٩٣ (ط طهران ١٣٩٨هـ)، الفصول المهمة في معرفة أحوال الأئمة ص١١٣؛ منتهى الآمال للعباس القمي: ص ٣١٤ نقلا عن إحسان إلهي ظهير، الشيعة والتشيع: ص ٣٣.

(١) محمد ضيف الله بطاينة، وصول بني أمية لمنصب الخلافة: ص ٨١ منشور في مجلة الجامعة الإسلامية العدد (٨٣-٨٤) سنة ١٤٠٩هـ.

سم الحسن بن علي:

كانت وفاة الحسن بن علي على أكثر الآراء في سنة تسع وأربعين من الهجرة[١].

وقيل في سنة خمسين[٢].

ولعل الخلاف في تحديد سنة وفاته مردُّه إلى الخلاف في عام الجماعة؛ فالبعض ذهب إلى أنه في عام إحدى وأربعين، والبعض قال إنه في عام أربعين.

تذكر بعض الروايات أن الحسن بن علي توفي متأثرا بالسم الذي وُضع له. فتقول الرواية: إن الحسين بن علي دخل على الحسن فقال: يا أخي إني سُقيت السم ثلاث مرات، ولم أُسق مثل هذه المرة؛ إني لأضع كبدي، فقال الحسين: من سقاك يا أخي، فقال: «ما سؤالك عن هذا؟ أتريد أن تقتلهم؟ أَكِلُهم إلى الله، وما إني بِمُحدِّثُك شيئًا، إن يكن صاحبي الذي أظن، فالله أشد نقمة، وإلا فوالله لا يقتل بي بريء»[٣].

---

(١) خليفة، التاريخ: ٢٠٩؛ البلاذري، أنساب الأشراف: ٣/ ٦٤؛ الدولابي، الذرية الطاهرة: ٧٢؛ أبو الشيخ الأصبهاني، طبقات المحدثين بأصبهان: ١/ ١٩٢؛ البغدادي، تاريخ بغداد: ١/ ١٤٠؛ ابن عبد البر، الاستيعاب: ١/ ٣٨٩؛ ابن عساكر: ٤/ ق ٤٥٤؛ المزي، تهذيب الكمال: ٦/ ٢٥٦-٢٥٧؛ الذهبي، سير أعلام النبلاء: ٣/ ١٨٦.

(٢) البغدادي، تاريخ بغداد: ١/ ١٣٨؛ ابن عبد البر، الاستيعاب: ١/ ٣٨٩؛ القضاعي، الأنباء بأنباء وتواريخ الخلفاء: ق ٦١ ب؛ الفاسي، العقد الثمين: ٤/ ١٥٨؛ ابن حجر، فتح الباري: ٧/ ١٢٠.

(٣) ابن سعد، الطبعة الخامسة: ٣٧٣-٣٧٤ بإسناد ضعيف بسبب عمير بن إسحاق، ابن أبي شيبة، المصنف: ١٥/ ٩٤ من طريق عمير بن إسحاق؛ أبو جعفر محمد بن حبيب، أسماء المغتالين ضمن كتاب نوادر المخطوطات: ٢/ ١٦٢-١٦٥ من نفس الطريق، أبو العرب، المحن: ١٦٤ من نفس الطريق؛ أبو نعيم، حلية الأولياء: ٢/ ٣٨ من نفس الطريق؛ ابن عبد البر، الاستيعاب: ١/ ٣٨٩ بإسناد ضعيف بسبب الانقطاع بين قتادة والحدث؛ ابن عساكر =

وقال عند موته: «اللهم إني أحتسب نفسي عندك؛ فإنها أعز الأنفس علي»(١).

وقد اتجهت أصابع الاتهام نحو زوجة الحسن: جعدة بنت الأشعث بن قيس -أمير كندة- فهذه أم موسى(٢) سُرِّية علي تتَّهم جعدة بأنها دسَّت السم للحسن(٣).

لكن ما هو الدافع لوضع السم للحسن؟

مباشرة حاول البعض من الأخباريين والرواة أن يوجدوا علاقة بين البيعة ليزيد وبين وفاة الحسن، بل وتعدَّاه إلى وفاة سعد بن أبي وقاص(٤).

= ٤/ ق ٥٤٤ من طريق عمير بن إسحاق؛ ابن الجوزي، صفوة الصفوة ١/ ٣٢٨، ٣٢٦، وله أيضًا المنتظم ٥/ ٢٢٥ من طريق أبي نعيم؛ العيني، عقد الجمان ق ٢٥٩/ ب.

(١) أبو نعيم، حلية الأولياء: ٢/ ٣٨ بسند حسن إلى رقبه بن مصقلة؛ ابن الجوزي، الثبات عند المات: ص ١٠٣ من طريق ابن أبي الدنيا بسند حسن إلى رقبه بن مصقلة.

(٢) أم موسى: سُرِّية علي، قيل اسمها فاختة، وقيل حبيبة، مقبولة، من الثالثة (التقريب ٧٥٩).

(٣) ابن سعد، الطبقة الخامسة: ٢٧٥ بإسناد ضعيف بسبب أم موسى؛ أبو العرب، المحن: ١٦٥؛ الحاكم، المستدرك: ٣/ ١٧٦ وكل الأسانيد من طريق زهير ابن العلاء وهو متروك، فالسند ضعيف جدا؛ ابن عساكر: ٤/ ق٤٤٥ بإسناد ضعيف من طريق أم موسى؛ المزي، تهذيب الكمال: ٦/ ٢٥٢-٢٥٣ من نفس الطريق؛ ابن كثير، البداية والنهاية: ٨/ ٤٤ من طريق ابن سعد.

(٤) ذكر العسكري أن معاوية دس السم إلى عمرو بن حريث، والأشعث بن قيس، وحجار ابن أبحر، وشبث بن ربعي.

وبعث إلى الحسن رجلا فقال: «إن قتلت الحسن فلك مائة ألف درهم وجند من أجناد الشام وبنت من بناتي، فبلغ الحسن فاستلأم، ولبس درعا وكفَّرها، وكان يحترز ولا يتقدم للصلاة بهم إلا كذلك، فرماه أحدهم في الصلاة بسهم فلم يثبت فيه لما عليه من اللامة...» نسبه إلى (البحار ج١/ ١٧ عن علل الشرائع).

ويأتي ابن رستم بطريق آخر فيقول: إن معاوية سم الحسن سبعين مرة فلم يعمل فيه السم!! فأرسل إلى امرأته جعدة بنت محمد بن الأشعث بن قيس، وبذل لها عشرين ألف دينار، وإقطاع=

وإذا تقصّينا أسانيد من ذكر علاقة معاوية ويزيد بسم الحسن، نجد أن ضعفها من جهة السند والمتن واضح تمام الوضوح.

وإن من الدَّلالة على ضعف تلك الاتهامات وعدم استنادها إلى معقول أو محسوس: ما ذكر حول علاقة جعدة بنت قيس بمعاوية ويزيد؛ حيث زعموا أن يزيد بن معاوية أرسل إلى جعدة بنت قيس: أن سُمِّي حسنًا فإني سأتزوجك، ففعلت، فلمّا مات الحسن بعثت جعدة إلى يزيد تسأله الوفاء، فقال: إنا والله لم نرضك له أفنرضاك لأنفسنا[1].

لعل الناقد لمتن هذه الرواية يتجلّى له عدة أمور:

١-هل معاوية ﷺ أو ولده يزيد بهذه السذاجة ليأمرا امرأة الحسن بهذا الأمر

= عشر ضياع من شعب سواد، وسواد الكوفة، وضمن لها أن يزوجها يزيد أو ابنه، فسقت الحسن السم...» (ابن رستم الطبري، دلائل الإمامة ص ٦١).

وهكذا يؤلف هؤلاء الأكاذيب على الصحابة حتى يصلوا إلى تكفيرهم، نعوذ بالله من الضلال والحقد.

(١) تهذيب اللكمال: ٦/ ٤٥٣ وفي السند ابن جعدية (يزيد بن عياض) كذبه مالك وغيره (تقريب التهذيب ٦٠٤). وقريبا من هذا انظر مقاتل الطالبين: ٧٣ بإسناده عن أحمد بن عبد الله بن عمار من رؤوس الشيعة (ميزان الاعتدال ١/ ١١٨) وفي أسانيده أيضًا عيسى بن مهران: رافضي كذاب جبل، قال الخطيب: من شياطين الرافضة، وقع لي كتاب له كفَّر فيه الصحابة (لسان الميزان ٤/ ٤٠٦)، ابن أبي حديد، نهج البلاغة ٤٠/ ١٨ من طريق أبي الفرج الأصبهاني، وذكر البلاذري في أنساب الأشراف: ٣/ ٥٩ ط المحمودي) عن الهيثم بن عدي أن الذي بعث لها معاوية بمئة ألف هي هند بنت سهيل بن عمرو زوجة الحسن. والهيثم بن عدي كذَّاب.

علق المحمودي(وهو شيعي) وقال: لا تنافي بين هذا الحديث وما يدل على أن معاوية دس إلى ابنة الأشعث وأنها سمته، فإنهما مثبتان دالان على أن معاوية دس إليهما معًا (ص ٥٩) من الحاشية. وقد ذكر هذه الرواية الهيثمي في الصواعق المحرقة: ص ٢١٦ ويرى أن هذا الأمر هو الصحيح!!

الخطير، الذي فيه وضع حد لحياة الحسن بن علي غيلة. ما هو موقف معاوية[١]، أو ولده أمام المسلمين لو أن جعدة كشفت أمرهما؟

٢- هل جعدة بنت الأشعث بن قيس بحاجة إلى شرف أو مال حتى تسارع لتنفيذ هذه الرغبة من يزيد، وبالتالي تكون زوجة له؟ أليست جعدة ابنة أمير قبيلة كندة كافة؛ وهو الأشعث بن قيس؟ ثم أليس زوجها -وهو الحسن بن علي- أفضل الناس شرفا ورفعة بلا منازعة؟ إن أمه فاطمة وجده الرسول ﷺ، وكفى به فخرًا. وأبوه علي بن أبي طالب أحد العشرة المبشرين بالجنة ورابع الخلفاء الراشدين. إذًا ما هو الشيء الذي تسعى إليه جعدة، وتريد الحصول عليه، حتى تنفذ هذا العمل الخطير؟

٣-لقد وردت الروايات وتفيد أن الحسن قال: لقد سُقيت السم مرتين، وفي رواية ثلاث مرات[٢]، وفي رواية سُقيت السم مرارًا، هل بإمكان الحسن أن

---

(١) لقد ورد في المسند: ٢٨/ ٤٢٦(١٧١٨) ط/ الرسالة، عن خالد بن معدان قال: وفد المِقْدام بن معديكرب إلى معاوية فقال للمقدام: أعلمت أن الحسن توفي فرجّع المقدام، فقال له معاوية، أتراها مصيبة؟ فقال: ولم لا أراها مصيبة وقد ضمّه رسول الله ﷺ وقال: «هذا مني وحسين بن علي». ورواه البخاري، التاريخ الصغير: ١/ ١١١؛ وأبو داود، السنن: ٤/ ٣٧٢(٤١٣١)؛ والطبراني، الكبير ٢٠/ ٢٦٩(٦٣٦). وكلها ضعيفة لأن كل الطرق عن بقية بن الوليد،وهو مدلس ويسوي،وقد عنعن في الرواية (التقريب ١٢٦).

(٢) لقد ذكر الحسن أنه سُقي السم مرتين؛ وذلك قبل أن يبايع لمعاوية. انظر ابن سعد الطبقة الخامسة:٢٩٥ بسند حسن حتى قتادة، عبد الرزاق، المصنف: ١١/ ٤٥٢ رقم (٢٠٩٨٢)؛ الطبراني، المعجم الكبير: ٣/ ٨٧ (٢٧٤٨) قال الهيثمي في مجمع الزوائد: ٤/ ٤٠٨ «ورجاله رجال الصحيح».

يفلت من السم مرارًا إذا كان مدبر العملية هو معاوية أو يزيد؟ نعم إن عناية الله وقدرته فوق كل شيء، ولكن كان باستطاعة معاوية أن يركّز السم في المرة الأولى، ولا داعي لهذا التسامح مع الحسن المرة تلو المرة!!

٤-ثم إذا كان معاوية يريد أن يُصفِّي الساحة من المعارضين حتى يتمكّن من مبايعة يزيد بدون معارضة، فإنه سيضطر إلى تصفية الكثير من أبناء الصحابة، ولن تقتصر التصفية على الحسن فقط!!

٥-لعل بقاء الحسن من صالح معاوية في بيعة يزيد؛ فإن الحسن كان كارهًا للنزاع وفرقة المسلمين، فربما ضمن معاوية رضاه، وبالتالي يكون له الأثر الأكبر في موافقة بقية أبناء الصحابة.

٦-هناك الكثير الذين هم أعداء الحسن قبل أن يكون معاوية هو المتهم الأول؛ فهناك السبئية الذين وجَّه لهم الحسن صفعة قوية عندما تنازل عن الخلافة لمعاوية وجعل حدًّا لصراع المسلمين.

وهناك الخوارج الذين قتلهم أبوه علي بن أبي طالب في النهروان، وهم الذين طعنوه في فخذه، فربما أرادوا الانتقام من قتلاهم في النهروان وغيرها.

ويقدّم لنا ابن العربي تصورًا وردًّا مُقنعًا لاتهام معاوية بسم الحسن، فيقول: «هذا محال من جهتين:

١-أحدهما أنه ما كان معاوية ليخشى من الحسن بأسًا وقد سلَّم الأمر.

٢-أنه أمر مُغيّب لا يعلمه إلا الله، فكيف تحملون بغير بينة على أحد من خلقه، في زمان متباعد، لم نثق فيه بنقل ناقل، بين أيدي قوم ذوي أهواء، وفي حال

فتنة وعصبية، ينسب كل واحد إلى صاحبه ما لا ينبغي، فلا يقبل منها إلا الصافي، ولا يسمع فيها إلا من العدل الصميم...»(١).

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: «وأما ما ذكره بعض الناس، ولم يثبت ذلك ببيّنة شرعية، أو إقرار معتبر، ولا نقل يُجزم به، فهذا مما لا يُمكن العلم به، فالقول به قول بلا علم»(٢).

وقال الذهبي: «وهذا شيء لا يصح فمن الذي اطّلع عليه»(٣).

وقال ابن كثير: «إن هذا ليس بصحيح، وعدم صحته عن أبيه معاوية بطريق الأولى والأحرى»(٤).

وأما بالنسبة لسم الحسن فنحن لا ننكر هذا، فإذا ثبت أنه مات مسمومًا، فهذه شهادة له، وكرامة في حقه(٥).

أما ما يخص اتهام جعدة بنت الأشعث بن قيس فهذا أمر لا يمكن أن يحمل محمل الجزم، وحكم الإسلام فيه كما قال شيخ الإسلام:

«فمثل هذا لا يحكم به الشرع باتفاق المسلمين، فلا يترتب عليه أمر ظاهر: لا مدح ولا ذم»(٦).

---

(١) ابن العربي- العواصم من القواصم: ٢٢١.

(٢) منهاج في السنة النبوية: ٤/ ٤٦٩.

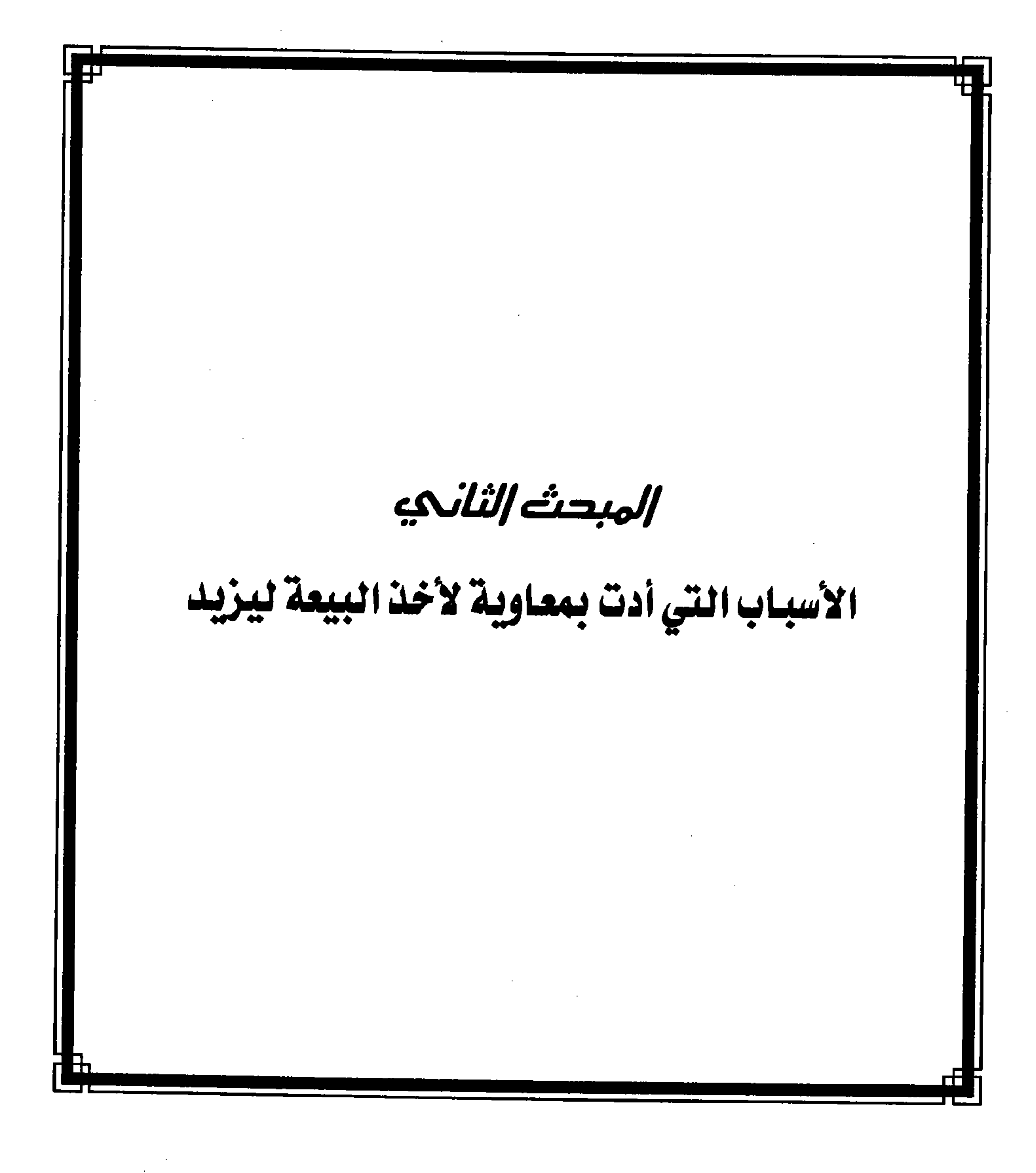
(٣) تاريخ الإسلام: (حوادث ٤١-٦٠) ص ٤٠.

(٤) البداية والنهاية: ٨/ ٤٤.

(٥) منهاج السنة: ٤/ ٤٢.

(٦) المصدر السابق ٤/ ٤٧٠.





المبحث الثاني

الأسباب التي أدت بمعاوية لأخذ البيعة ليزيد



المبحث الثاني

الأسباب التي أدت بمعاوية لأخذ البيعة ليزيد

أولا: السبب السياسي (الحفاظ على وحدة الأمة):

يجب أن نعرف أن الظروف التي بويع فيها أبو بكر وعمر وعثمان ﷺ تختلف اختلافًا واضحًا عن تلك الفترة التي أخذ فيها معاوية البيعة لولده يزيد.

فقد كان أبو بكر الصديق ﷺ لا يشك أحد في أنه أفضل شخص بعد رسول الله ﷺ، ولهذا لم يبرز خلاف في أفضليته وأهليته بالخلافة، وهو يحظى بتقدير واحترام المسلمين؛ وذلك لقاء ما قدَّمه من تضحيات، وتحملَّه من آلام في سبيل هذا الدين.

ثم أوصى أبو بكر بالخلافة لعمر بن الخطاب، وهو من هو في الفضل والمكانة، ويعرف المسلمون أنه أفضل شخص بعد أبي بكر، ولهذا انعقدت له البيعة وانقاد المسلمون له ولم يخالفه أحد.

ولما أصيب عمر ﷺ أوصى بأن يكون الخليفة أحد الستة المبشرين بالجنة؛ وهم: (عثمان بن عفان- وعلي بن أبي طالب- والزبير بن العوام- وعبد الرحمن بن عوف- وسعد بن أبي وقاص- وطلحة بن عبيد الله) ﷺ.

وهنا أصبحت الخلافة محصورة في واحد من هؤلاء الستة؛ حيث كان لهم من الفضيلة والسابقة المحمودة في الإسلام، والبشارة لهم بالجنة، ما يجعل الناس تُقرُّ لهم بالفضل والسابقة في الدين.

وبعد استشارة واستقصاء لأراء الصحابة ﷺ وقع الاختيار على عثمان ﷺ؛

وذلك باعتباره أفضل المرشَّحين الستة لخلافة المسلمين، وبرزت الفتنة في أواخر خلافته، وحُوصر، وقُتِلَ مظلومًا شهيدًا ﷺ.

وتولَّى الخلافة من بعده علي ﷺ، ولم يُجمع الناس على بيعته؛ حيث برزت التُّهم الموجَّهة له ولأهل المدينة بأنهم تواطؤوا، أو تساهلوا مع الثوار حتى قتل عثمان ﷺ بين أظهرهم[1].

وكانت بلاد الشام بقيادة معاوية ﷺ تمثل هذا التيار المعارض، وكان يسيطر على أهل الشام شعور جارف بوجوب الانتقام من قتلة عثمان الذين يمثلون قطاعًا من جيش علي ﷺ، وحدث القتال والفرقة، وقُتِل من قُتِل من المسلمين، وهنا ظهرت فرقة الخوارج[2] التي تكفِّر المسلمين وتستحل قتالهم، وفرقة الشيعة[3] التي بدأت تغالي في علي وأبنائه ﷺ.

---

(١) فتنة مقتل عثمان ﷺ من أصعب ما واجهه المسلمون في تاريخهم؛ وذلك بسبب الدور المتقن الذي خطَّط له اليهود(السبئية) مع المنافقين في إخراج تلك الحادثة في وسط ذهول واتهام الصحابة لبعضهم البعض، والكل منها بريء، وعلى رأسهم علي رضي الله عنهم أجمعين. وللاطلاع على تفصيل هذه الحادثة الشنيعة يرجع لمؤلفات الأخوة الزملاء: عبدالله الغبان، فتنة مقتل عثمان ﷺ؛ محمد العواجي،السياسة المالية في عهد عثمان ﷺ؛ عبد الحميد الفقيهي،خلافة علي ﷺ.

(٢) انظر عن معتقدات هاتين الفرقتين كلًا من: البغدادي: الفرق بين الفرق؛ الشهرستاني: الملل والنحل؛ ابن حزم: الفصل في الملل والأهواء والنحل، أبو الحسن الأشعري: مقالات الإسلاميين؛ اللالكائي: شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة؛ الدهلوي: مختصر التحفة الاثنى عشرية؛ د. عبد الرحمن بدوي: مذاهب الإسلاميين؛ عبد الله القصيمي: الصراع بين الإسلام والوثنية.

(٣) انظر الحاشية السابقة.

وأمام هذا التغير في بعض معتقدات وأفكار فئة من المجتمع الإسلامي، حتَّمت الظروف وواقع المجتمع - في تلك الفترة- على معاوية أن يعيد النظر ويتبصَّر فيمن سيكون خليفة للمسلمين من بعده.

فأهل الشام الذين انتصروا لقتل عثمان ﷺ أثبتوا أنهم أناس مخلصون لمبادئهم وأهدافهم، ولهذا حقّق بهم معاوية- بإرادة الله- انتصاراته على أهل العراق.

وأهل العراق -الذين ينضوي تحت قبائلهم الثوار المتهمون بقتل عثمان ﷺ- لم يربط بينهم روابط دينية محددة، فيوجد في صفوفهم الخوارج الذين يستحلون دماء المسلمين، ويوجد الشيعة الذين تبلورت لديهم نظرة متطرفة حول الإمامة، وأصبح البعض منهم يرى أن الخلافة إنما هي قصرٌ على آل البيت دون سواهم، وأصبح مذهبهم يميل إلى السرية[١] علاوة على كثرة أهل الشقاق، ومحبي الفتن في هذا الإقليم، والذين كانوا أحد الأسباب في خذلان علي ﷺ، وكانوا مصدر أذى وبلاء عليه وعلى أبنائه من بعده.

وأما أهل الحجاز، ففيهم الصحابة وكبار التابعين، أهل الفقه، والراسخون في العلم، ويعتبر الحجاز في تلك الفترة المكان الذي يمثل الإسلام أحسن تمثيل، فلا يوجد فيه أصحاب العقائد الفاسدة، ولم تظهر فيه المنكرات والبدع، وكانت بيئة أهل الحجاز بيئة علم ودين وتقى، لوجود الصحابة وأبنائهم في كل من مكة والمدينة.

ومن أهل الحجاز يبرز أبناء الصحابة الكبار أمثال: الحسين بن علي، وعبد الله

---

(١) انظر فصل: [مقتل الحسين ﷺ].

ابن الزبير، وعبد الله بن عمر، وعبد الرحمن بن أبي بكر، كأفضل المرشحين ليتولى أحدهم الخلافة بعد معاوية، ﷺ.

وهنا يظهر سؤال ملح وهو: لماذا إذا لم يرشح معاوية أحدًا من هؤلاء الأربعة؟

وللإجابة على هذا السؤال يلزمنا الرد على سؤال آخر يطرح نفسه، وهو: من هم أهل الحل والعقد الذين يمكن لهم اختيار الخليفة، ومن ثم مبايعته؟

ولكي لا نبعد عن الحقيقة يمكننا أن نقول: إن تطبيقات النظام السياسي في الإسلام لم تأخذ حقها من الممارسة الطويلة حتى تتضح الصورة بجلاء حول اختيار الخليفة، والخلافة وما يتعلق بها من أحكام.

فمن هم أهل الحل والعقد في عهد معاوية؟ أتراهم أهل الشام الذين يمثلون الثقل السياسي والعسكري والقيادي في الدولة؟ أم هم أهل الحجاز؟ وهل يدخل في نطاقهم الأنصار وغيرهم؟ أم هم قريش فقط؟

ومن هم أهل الحل والعقد في العراق، أتراه الأمير المعين من قبل الدولة وأمراء الجند؟ أم هم زعماء القبائل العربية مع ما يمثّلون من اختلاف في مشاربهم واتجاهاتهم؟

ومن يا ترى أهل الحل والعقد في مصر؟ هل هم العثمانية الذين برزوا كقوة مناصرة لمعاوية وأهل الشام أثناء النزاع بين علي ومعاوية؟ أم يكونوا أمراء الجند ومن ينضم معهم من علية القوم هناك؟

في الحقيقة إننا لا نستطيع أن نحدد بدقة أهل الحل والعقد في كل بلد؛ ومن ثم يبدو افتراض أن معاوية سينجح في جمع الكلمة على رجل واحد أشبه بالمستحيل.

فأهل الشام ينظرون لأهل العراق كموطن للثوار الذين اغتالوا عثمان، وليس من المعقول أن يتنازل أهل الشام عن مكاسبهم ومبادئهم التي قاتلوا من أجلها؛ وهي نصرة الخليفة المظلوم والأخذ بثأره.

فكيف يمكن لأهل الشام أن يسمحوا بترشيح شخص يحظى بدعم أهل العراق.

وأهل المدينة خصوصًا، وأهل الحجاز عمومًا، ينظر الشاميون لهم على أنهم يشتركون اشتراكًا فاعلاً في تحمُّل المسؤولية عن قتل عثمان ﷺ؛ فقد حُوصر الخليفة أكثر من شهر، ثم تسوَّر الثوار المنزل عليه، وقتلوه بين أظهر أهل المدينة، فإذًا ليس من المعقول- حسب نظرة أهل الشام- أن يقبلوا بمرشَّح من أهل المدينة[١].

هذا تقريب لنظرة أهل الشام لمن سيكون مرشحًا للخلافة من هذه الأقاليم؛ ولا تبعد كثيرًا نظرة أهل العراق عن نظرة أهل الشام فيمن سيكون خليفة بعد معاوية ﷺ.

أهل العراق يؤيدون بقوة الحسين بن علي ﷺ، ومن الصعوبة أن يقتنعوا بشخص آخر يحلُّ محلَّه.

ثم إن الأشخاص المرشحين لن يحظوا بتأييد كامل من أقرانهم؛ فالأمويون لا يرغبون في تحول الخلافة لشخص من غيرهم؛ فهم أكبر قبيلة في قريش، وهم أهل السيادة والإمارة[٢]، كما أنهم على خلاف مع بعض أبناء الصحابة في المدينة.

---

(١) لكشف هذه الشكوك والشبهات، انظر رسالة الأخ محمد عبد الله الغبان عن الفتنة ومقتل عثمان بن عفان ﷺ (رسالة ماجستير نوقشت عام ١٤١١هـ)، ورسالة الأخ عبد الحميد علي ناصر عن خلافة علي بن أبي طالب ﷺ التي نوقشت عام ١٤١٣هـ.

(٢) إن البيت الأموي يتمتع بمزايا عديدة جعلت النبي ﷺ يولي عددًا منهم، وأعطاهم مناصب إماراتية؛ «فلا خلاف بين الرواة وأصحاب التاريخ أن النبي ﷺ توفي وعتَّاب بن أسيد على=

ثم إن نفس المرشحين للخلافة، الذين يفترض أن الخلافة ستنحصر في أشخاصهم، لم يجمعوا أمرهم على شخص بعينه، بل إن كل واحد منهم يرى في نفسه الأحقية والأهلية التي تجعل منه خليفة للمسلمين.

وحتى ابن عمر الذي ربما اجتمعت عليه الآراء، ويجمع غالب المسلمين على ترشيحه، موقفه من الخلافة معروف، وهو من أزهد الناس فيها[(١)].

وحسمًا للخلاف الذي ربما أدى بالأمة إلى نزاعات جديدة، وفتح ثغرات في كيانات الدولة، نظر معاوية إلى ابنه يزيد على أنه المرشح الذي سيحظى بتأييد أهل الشام الذين يمثلون العامل الأقوى في استقرار الدولة. وقد أبرز معاوية ﷺ السبب الذي دعاه لاختيار ابنه يزيد؛ وذلك أثناء جمع التأييد له من كبار أبناء الصحابة أثناء رحلته الأخيرة للحج. إذًا كان الدافع لمعاوية ﷺ عندما سارع في

= مكة، وخالد بن سعيد على صنعاء، وأبو سفيان بن حرب على نجران، وأبان بن سعيد بن العاص على البحرين، وسعيد بن القشب الأزدي حليف بني أمية على جرش ونحوها، والمهاجر بن أبي أمية المخزومي على كندة والصدف، وعمرو بن العاص على عمان، وعثمان بن أبي العاص على الطائف، وهؤلاء كلهم من بني أمية. انظر البلاذري: أنساب الأشراف ١/ ٥٢٩-٥٣٠؛ أبو حيان التوحيدي: الامتاع والمؤانسة ٢/ ٧٤؛ ابن تيمية، منهاج السنة ٤/ ٤٦٠.

قال أبو حيان: «فإذا كان النبي ﷺ أسَّس هذا الأساس، وأظهر أمرهم لجميع الناس، فكيف لا يقوى ظنهم، ولا ينبسط رجاؤهم، ولا يمتد في الولاية أملهم» [الإمتاع والمؤانسة ٢/ ٧٣]. وقال المقريزي: «وقد ظهر أن ولاية رسول الله ﷺ بني أمية الأعمال كانت إشارة منه ﷺ إلى أن هذا الأمر سيصير إليهم» (النزاع والتخاصم ٦٣-٦٤).

(١) ابن سعد: الطبقات الكبرى ٤/ ١٤٩-١٥١.

أخذ البيعة ليزيد هو خوفه من الاختلاف[١]، الذي قد يطرأ على الأمة بعد موته، وربما تنخرط في قتال جديد لا يعلم سعته ومداه إلا الله ﷻ.

ثانيا: السبب الاجتماعي (قوة العصبية القبلية):

لقد خاض معاوية رضي الله عنه الحرب، وتولَّى الخلافة بنصرة من أهل الشام، وكانوا من أشد الناس طاعة لمعاوية ومحبة لبني أمية[٢].

كانت عندهم نظرة متأصلة تجاه أهل المدينة وأهل العراق بأنهم السبب في قتل خليفة المسلمين عثمان بن عفان رضي الله عنه.

ومن الدلائل على تلك الطاعة والمحبة أن معاوية رضي الله عنه لَمَّا عرض خلافة يزيد ابن معاوية على أهل الشام وافقوا موافقة جماعية، ولم يتخلف منهم أحد، وبايعوا ليزيد بولاية العهد من بعد أبيه.

هل كان أهل الشام يرضون بأن يتولَّى الخلافة أحد غير بني أمية؟ بالمقابل هل سيرضى كثير من أهل العراق أن يتولى الخلافة رجل من غير آل البيت؟ لقد كان هناك توجُّه قوي بأهمية بقاء الخلافة في بني أمية، وفي بلادهم.

---

(١) د. توفيق اليوزكي: دراسات في النظم ص ٤١.

(٢) يرجع فلهاوزن في تاريخ الدولة العربية ص١٣٦-١٣٧ طاعة أهل الشام إلى طبيعة معيشتهم في بلاد الشام، وأن هذه القبائل قد توطَّنت منذ قرون قبل مجيء الإسلام، وكانوا معرضين لتأثير الحضارة اليونانية والرومانية؛ فهذه العوامل تركت أثرها في الطاعة للدولة واتباعها للتنظيم. ثم كانت لهم أسرة قديمة من الأمراء دانوا لهم بالطاعة دهرًا طويلًا، فلمَّا جاء معاوية لم يواجهوا صعوبة في الانقياد له.ثم يفتري عليهم وعلى معاوية ويقول: «وكانوا يطيعون أميرهم أينما وجههم لأنهم لم يكونوا في داخل أنفسهم يبالون بالإسلام أكثر مما يبالي هو نفسه».. [المرجع السابق ص ١٢٧].

فمثلا لَمَّا بايع بعض أهل الشام لابن الزبير اعترض كثير من أشراف أهل الشام على ذلك، وقالوا: إن الملك كان فينا فينتقل إلى أهل الحجاز؟! لا نرضى بذلك[١].

وكانت الدولة الإسلامية في بدايتها -أي في عصر الخلفاء الراشدين- يسيطر عليها الوازع الديني، إلا أنه منذ خلافة معاوية كانت العصبية قد قويت، والوازع الديني قد ضعف في النفوس، واحتِيج إلى الوازع السلطاني والعصباني؛ فلو عهد إلى غير من ترتضيه العصبية لردت ذلك العهد وانتقض أمره سريعًا، وصارت الجماعة إلى الفرقة والاختلاف[٢].

إن نظرة ابن خلدون هذه واستنتاجه لجدير بالاهتمام والتأييد؛ خصوصًا وأن ابن خلدون خاض الحياة السياسية ودخل في غمارها، فاستنتاجه هذا مبني على تجربة ومعرفة بحال المجتمعات وتطوُّرِها السياسي والاجتماعي.

ثم لا ننسى قوة قبيلة كلب من حيث الوجود والكثرة بين قبائل أهل الشام، وهم أخوال يزيد.

وإذا أردنا أن نميِّز قوة القبيلة، وبالذات قبيلة كلب، ودورها في تقرير السلطة، فلننظر ما عمله حسّان بن مالك بن بحدل -سيد قبيلة كلب، وهو من أخوال يزيد- من إبقاء الخلافة داخل البيت الأموي فيما بعد[٣].

---

(١) الطبراني، المعجم الكبير ٧/ ٢٥٧ وإسناده منقطع.

(٢) ابن خلدون: المقدمة ٦/ ٢٦٥، وانظر د. محمد عايد الجابري، معالم نظرية ابن خلدون في التاريخ الإسلامي ص ٢٧٢ وما بعدها.

(٣) هشام بن محمد الكلبي: نسب معد واليمن الكبير ٢/ ٥٩٦، جمهرة النسب لابن الكلبي: =

ويذهب شعوط إلى إعذار معاوية فيما اتخذه من العمل على أخذ البيعة ليزيد، فيقول: «لما كانت العصبية والقوة في بني أمية، فقد أصبح تصرُّف معاوية بتولية يزيد أمرًا طبيعيًا يُقرُّه المنصفون، ويحرص عليه العقلاء»[(١)].

ثم إنه من الناحية العملية كان نقل الخلافة من الأمويين إلى غيرهم في ذلك الوقت مطلبًا يكاد يكون مستحيلاً؛ فالولاة على الأقاليم كانوا من بني أمية أو من أتباعهم، وإسناد الخلافة إلى أحد من أبناء الصحابة في الغالب هو عزل هؤلاء الولاة، وقد يرفض البعض قرار العزل، ثم ستتكرر معارك الجمل وصفين على نطاق واسع[(٢)].

ومن الدلالة على قوة العصبية في بلاد الشام لبني أمية، أن مروان بن الحكم تمكن من الانتصار بأهل الشام على عمال عبد الله بن الزبير، ثم تبعه بعد ذلك ابنه عبد الملك بن مروان؛ حيث تمكن من الانتصار بأهل الشام على ابن الزبير وقتله

= ١/ ١٨٣، المسعودي: التنبيه والإشراف ص ٢٨٣، قال عمرو بن مخلاة الكلبي في مرج راهط:

رددنا لمروان الخلافة بعدما ... جرى للزبيريين كل بريد

فإلا يكن منا الخليفة نفسه ... فما نالها إلا ونحن شهود

انظر ابن بدران، مختصر تاريخ دمشق ٤/ ١٤٩.

(١) شعوط- أباطيل يجب أن تمحى من التاريخ ص ٢٣٤. قال الإمام مالك: إن الذي منع عمر بن عبد العزيز أن يولي رجلًا صالحًا بعده هو أن البيعة كانت ليزيد بن عبد الملك، فخاف عمر إن بايع لغيره أن يقيم يزيد الهيج، ويقاتل الناس، فيفسد ما يصلح. انظر ترتيب المدارك للقاضي عياض ١/ ١٧٠؛ منهاج السنة ١/ ٥٥٠.

(٢) أحمد شلبي- موسوعة التاريخ الإسلامي ٥/ ٤٨.

عام ٧٣ هـ رضي الله عنه، ومع ذلك نجد أهل الشام لم ينقادوا لابن الزبير، بل إن أهل العراق غدروا بأخيه مصعب ابن الزبير ومالوا مع عبد الملك بن مروان؛ فَلِمَ لم تجتمع الأمة على ابن الزبير، وهو في ذلك الحين لا يشاركه أحد في فضائله ومكانته؟ بل نجد العكس؛ نجد أن عبد الملك بن مروان -الذي يُعتبر في السن كأحد أبناء عبد الله بن الزبير- تمكن من تولِّي زعامة المسلمين.

ثالثًا: أسباب شخصية في يزيد:

لقد تجلّت في يزيد بعض الصفات الحسنة من: الكرم، والمروءة، والشجاعة، والإقدام، والقدرة على القيادة؛ هذه المزايا جعلت معاوية ينظر ليزيد نظرة إعجاب وإكبار وتقدير.

وليس معاوية ذلك الرجل الذي يجهل صفات الرجال ومكانتهم، وهو ابن سلالة الإمارة والزعامة في مكة، ثم هو الذي قضى أربعين سنة من عمره وهو يسوس الناس، ويعرف مزايا القادة والأمراء والعقلاء، ويعرف لكل واحد منهم فضيلته.

لا شك أن الصحابة وأبناءهم أفضل من يزيد وأصلح، ولكن مع ذلك فإن معاوية ربما رأى في ولده مقدرة لم تكن لغيره في قيادة الأمة، بسبب عيشته المتواصلة مع أبيه، ومناصرة أهل الشام وولائهم الشديد له، ثم اطِّلاعه عن قرب على معطيات ومجريات السياسة في عصره.

وقد أنس معاوية ﷺ من ولده يزيد حرصًا على العدل، وتأسِّيًا بالخلفاء الراشدين؛ فقد كان يسأله عن الكيفية التي سيسير بها في الأمة، فيرد عليه يزيد

بقوله: «كنت والله يا أبه عاملًا فيهم عمل عمر بن الخطاب»[١].

لقد كان معاوية ﷺ يدرك أن كثيرًا من المزايا موزعة بين الشباب القرشي، وأن هذه المزايا مع تلك الطموحات الشخصية التي ظهرت فيما بعد ربما تدخل الأمة في حروب وفتن كثيرة، فمع أن يزيد يشارك بعضهم في بعض ما يمتازون به، إلا أنه يمتاز عليهم بأعظم ما تحتاج إليه الدولة؛ أي القوة العسكرية[٢].

«بيد أن معاوية يرى هذا التدبير على ما فيه من غمط حقوق الكفاءة للخلافة أضمن لسلامة الدولة، وتُتَّقى به شرور قد تستطير بين الناس، كلما مات لهم خليفة، أو قوي أعداؤه فأرادوا استلاب الخلافة منه، ويخشى إذا ظل المسلمون على تناحرهم، أن يجمع أعداؤهم شملهم، ويعيدوا الكرَّة عليهم في صميم جزيرة العرب، والله أعلم ما تكون النتيجة على الإسلام والمسلمين»[٣].

ولا يُتهم الإمام في هذا الأمر، وإن عهد إلى أبيه أو ابنه؛ لأنه مأمور بالنظر لهم في حياته، فأحرى أن لا يحتمل فيها تبعته بعد مماته، خلافًا لمن قال باتهامه في الولد والوالد، أو لمن خصَّص التهم في الولد دون الوالد.

فإنه بعيد عن الظن في ذلك كله، لا سيما إذا كانت هناك داعية تدعو إليه من:

---

(١) ابن عاصم: الآحاد- المثاني ١/ ٣٧٥ بسند حسن؛ ابن أبي الدنيا- الأشراف ص ١٢٧ بإسناد ضعيف إلا أن له شاهدًا حسنًا؛ ابن عساكر ترجمة يزيد، وفي السند تحريف؛ ابن كثير ٨/ ٢٣٢ وفي السند تحريف أيضًا. ١٨/ ق ٣٩٨ من طريق ابن أبي الدنيا.

(٢) محب الدين الخطيب- تعليقاته على كتاب العواصم لابن العربي ٢٢٢، ٢٢٣.

(٣) محمد كرد علي، الإسلام والحضارة العربية: ٢/ ٣٩٥.

إيثار مصلحة، أو توقع مفسدة؛ فتنتفي الظنة عند ذلك رأسًا؛ كما وقع في عهد معاوية لابنه يزيد، وإن كان فعل معاوية مع وفاق الناس له حجة في الباب[١].

وقال ابن بطال: «وعقد الخلافة من الإمام المتولي لغيره بعده جائز على عامة المسلمين؛ لإطباق الصحابة ومن معهم على العمل بما عهده أبو بكر لعمر، وكذا لم يختلفوا في قبول عهد عمر إلى الستة؛ وهو شبيه بإيصاء الرجل على ولده لكون نظره فيما يصلح أتم من غيره فكذلك الإمام»[٢].

لقد كان ابن عباس يشهد ليزيد بالفضيلة[٣]، وبايعه، وكذلك بايعه ابن عمر، ولم يبق إلا الحسين بن علي الذي كان رضي الله عنه يُغرِّر به أهل الفتن في حياة معاوية، ونهاه الحسن عنهم، وعزم على الذهاب لهم بعد وفاة معاوية، وقد حذَّره الصحابة ونَهَوْه عن ذلك فأبى عليهم، وحدث ما حدث.

أما ابن الزبير رضي الله عنه فكان معاوية يحذره من تصرفاته، ثم تمنَّى أخيرًا بعد الحصار أن معاوية حيٌّ فيخلصه مما هو فيه[٤]، وندور المخالف معروف[٥].

معاوية رضي الله عنه وولاية المفضول مع وجود الفاضل:

لقد عدل معاوية عن الفاضل إلى المفضول حرصًا على الاتفاق واجتماع

(١) ابن خلدون-المقدمة: ١/ ٢٦٤-٢٦٥.

(٢) فتح الباري: ١٣/ ٢١٨.

(٣) أنساب الأشراف: ٤/ ٢/ ٢٨٩-٢٩٠ بسند حسن.

(٤) أنساب الأشراف: ٤/ ٢/ ٣٤٦-٣٤٧ بسند حسن.

(٥) ابن خلدون- المقدمة: ١/ ٢٦٥.

الأهواء، الذي شأنه أهم عند الشارع، ولا يظن بمعاوية غير هذا فعدالته وصحبته مانعة من سوى ذلك»[١].

لقد كان من النجباء من أبناء الصحابة كثيرون، منهم: ابن عمر، وابن عباس، وابن الزبير، والحسين بن علي، وعبد الله بن عمرو بن العاص، وغيرهم[٢]، ولم يكن أبناء الصحابة فيما بينهم يُجمعون على شخصية واحدة؛ فهذا ابن عباس لم يبايع ابن الزبير بعد وفاة يزيد بن معاوية ومبايعة كثير من الأقطار له، بل كان يوجِّه إليه الانتقادات، ويلومه في بعض أعماله[٣].

وكذلك محمد بن الحنفية وابن عمر لم يبايعا ابن الزبير. إذًا فمن يضمن تراضي جميع الأطراف على شخصية واحدة.

---

(١) ابن خلدون: ١/ ٦٥، ولقد ثبت لمعاوية ﷺ دعاء النبي ﷺ له بالهداية، انظر الفتح الرباني: ٢٣/ ١٧٢-١٧٣؛ الترمذي: ٥/ ٦٨٧ (رقم ٣٨٤٢) وقال حسن غريب. ابن عساكر: ١٦/ ٢/ ٢٤٣. وقد أورد الألباني شواهد ومتابعات كثيرة، ثم قال: وبالجملة فالحديث صحيح، وهذه الطرق تزيده قوة على قوة. انظر السلسلة الصحيحة: ٤/ ٦١٤ رقم (١٩٦٩).
وشهد له بالفقه ابن عباس، انظر صحيح البخاري (فتح الباري ٧/ ١٣٠) وقال ابن حجر: «إن ظاهر شهادة ابن عباس بالفقه والصحبة دالة على الفضل الكثير» (٧/ ١٣١)، وشهد له أبو الدرداء بحسن الصلاة. (مجمع الزوائد ٩/ ٣٥٧) وقال: رواه الطبراني ورجاله رجال الصحيح. وانظر منهاج السنة: ٦/ ٢٣٥، وانظر فضائل معاوية لأبي نعيم برقم ١٥٦٤، مكتبة المخطوطات في الجامعة الإسلامية؛ ابن سعد ط (٤/ ١/ ١٤٩) بسند صحيح.

(٢) السبكي- طبقات الشافعية الكبرى: ١٠/ ٣٠٠.

(٣) عبد الرزاق، المصنف: ١١/ ٤٥٣ رقم (٢٠٩٨٥) بسند صحيح؛ ابن سعد، الطبقة الرابعة:/ ١/ ١٤٦ بإسناد صحيح؛ ابن أبي عاصم، الآحاد والمثاني: ٢/ ٣٧٨؛ الطبراني، المعجم الكبير: ٥/ ٣٣٧ بإسناد حسن؛ ابن عساكر: ١٦/ ق ٦٧٤، ٧٣٣؛ الذهبي، سير أعلام النبلاء: ٣/ ١٥٣.

لقد اشترط الفقهاء - فيما بعد - شروطًا عديدة فيمن يصلح للإمامة، من ضمنها: القرشية[١]، والاجتهاد، والعدالة، والعلم، والقوة، والسياسة، والحنكة، وحسن التدبير[٢]، وغيرها.

ويُروى عن الإمام أحمد إسقاط اعتبار العدالة والعلم والفضل[٣].

والذي يظهر من سيرة عمر في عماله الذين كان يؤمِّرهم في البلاد، أنه كان لا يراعي الأفضل في الدين فقط، بل يضم إليه مزيد المعرفة بالسياسة مع اجتناب ما يخالف الشرع منها، فلأجل هذا استخلف عمرو، ومعاوية والمغيرة بن شعبة، مع وجود من هو أفضل من كل منهم في أمر الدين والعلم؛ كأبي الدرداء في الشام وابن مسعود في الكوفة[٤].

---

(١) قال عياض: اشتراط كون الإمام قرشيًا مذهب العلماء كافة، وقد عُدَّ من مسائل الإجماع، ولم ينقل عن أحد من السلف فيها خلاف، كذلك من بعدهم في جميع الأمصار، وقال: "ولا اعتداد بقول الخوارج ومن وافقهم من المعتزلة لما فيه من مخالفة المسلمين.." فتح الباري (١٣/ ١٢٧) وقال ابن حجر: «ويحتاج من نقل الإجماع إلى تأويل ما جاء عن عمر من ذلك؛ فقد أخرج أحمد عن عمر بسند رجاله ثقات أنه قال: (إن أدركني أجلي وأبو عبيدة حي استخلفته) فذكر الحديث، وفيه: (فإن أدركني أجلي وقد مات أبو عبيدة استخلفت معاذ بن جبل...الحديث) ومعاذ بن جبل أنصاري لا نسب له في قريش، فيحتمل أنه قال: لعل الإجماع انعقد بعد عمر على اشتراط أن يكون الخليفة قرشيًا، أو تغيَّر اجتهاد عمر في ذلك. والله أعلم». (فتح الباري: ١٣/ ١٣٧)؛ وانظر عبد الوهاب خلاف، السياسة الشرعية: ٢٩.

(٢) ابن الوزير- الروض الباسم: ٢/ ٣٢، الباقلاني، الإنصاف ١١٢-١١٣؛ البغدادي أصول الدين ١٣٩.

(٣) أبو يعلى الفراء- الأحكام السلطانية: ص٢٠.

(٤) ابن حجر: فتح الباري: ١٣/ ٣١١.

ويروى عن النبي ﷺ أنه قال: (**إني لأبعث الرجل وأدع من هو أحب إليّ منه، ولكن لعله يكون أيقظ عينًا وأشد بأسًا، أو قال مكيدة**)[١].

ولهذا كان النبي ﷺ يستعمل خالد بن الوليد على الحرب مع أنه أحيانًا يعمل ما ينكره النبي ﷺ، وكان أبو ذر أصلح منه في الأمانة والصدق[٢]، ومع ذلك فقد قال النبي ﷺ: (**يا أبا ذر إني أراك ضعيفًا، وإني أُحبُّ لك ما أُحبُّ لنفسي: لا تأمَّرن على اثنين، ولا تولَّين مال يتيم**)[٣].

فنهى أبا ذر عن الإمارة والولاية لأنه يراه ضعيفا[٤].

وكذلك استعمل أبو بكر خالد بن الوليد، مع أنه يرى منه هفوات، ولم يعزله من أجلها، بل ذلك لرجحان المصلحة على المفسدة في بقائه[٥].

---

(١) عبد الرزاق، المصنف: ١١/ ٣٢٢ برقم (٢٠٦٥٨)؛ سعيد بن منصور: ٢/ ٢٣٧-٢٣٨ (٢٦٢١) (وكلا الروايتين عن الحسن البصري، ومحمد بن سيرين، وهما مرسلان ومرسل ابن سيرين صحيح. انظر المراسيل لأبي حاتم: ص ٣١، ١٨٦؛ قال أبو عمر في أوائل: «التمهيد» وكل من عرف أنه لا يأخذ إلا عن ثقة فتدليسه وترسيله مقبول فمراسيل سعيد بن المسيب ومحمد بن سيرين وإبراهيم النخعي عندهم صحاح. انظر (التمهيد: ١/ ٣٠)؛ ظفر أحمد التهانوي، قواعد في علوم الحديث: ص ١٥٤؛ وانظر العلائي، جامع التحصيل: ١٦٢-١٦٦-٢٦٤.

(٢) لقول النبي ﷺ في أبي ذر: (**ما أظلت الخضراء، ولا أقلت الغبراء، أصدق لهجة من أبي ذر**) الترمذي (٣٨٠٣)؛ أحمد، المسند: ٢/ ١٦٣-١٧٥؛ ابن ماجة: رقم (١٠٥٦) وقال الألباني: صحيح (صحيح الجامع رقم ٥٤١٣).

(٣) مسلم بشرح النووي: ١٢/ ٢٠٩، ٢١٠.

(٤) ابن تيمية: السياسة الشرعية: ٢٢-٢٣.

(٥) المصدر نفسه: ٢٤.

ونزع شرحبيل[(١)] بن حسنة وقال: «تحرَّينا من الله أن نقرك، وقد رأينا من هو أقوى منك»[(٢)].

وعن ثابت مولى سفيان قال: سمعت معاوية وهو يقول: «إني لست بخيركم، وإن فيكم من هو خير مني: عبد الله بن عمر، وعبد الله بن عمرو، وغيرهما من الأفاضل، ولكني عسيت أن أكون أنكاكم في عدوكم، وأعلمكم ولاية، وأحسنكم خلقًا»[(٣)].

فإذا تعيَّن رجلان أحدهما أعظم أمانة، والآخر أعظم قوة، قُدِّم أنفعهما لتلك الولاية، وأقلهما ضررًا فيها؛ فيقدم في إمارة الحرب الرجل القوي الشجاع، وإن كان فيه فجور، على الرجل الضعيف، وإن كان أمينًا[(٤)].

فالواجب في كل ولاية الأصلح بحسبها.

«وسئل الإمام أحمد عن الرجلين يكونان أميرين في الغزو: أحدهما قوي فاجر، والآخر صالح ضعيف، مع أيهما يغزى، فقال: أمّا الفاجر القوي، فقوته

---

(١) شرحبيل بن حسنة، وهو شرحبيل بن عبد الله بن المطاع بن عبد الله،من كندة حليف بني زهرة، نُسب إلى أمه حسنة، وكانت مولاة لمعمر بن حبيب بن وهب بن حذافة من جمح، وكان من مهاجرة الحبشة، معدود في وجوه قريش، وكان أميرًا على ربع من أرباع الشام لعمر بن الخطاب ﷺ، توفي في طاعون عمواس سنة ١٨ هـ وهو ابن سبع وستين سنة. (الاستيعاب: ٢/ ٦٩٩).

(٢) ابن أبي شيبة، المصنف: ١١/ ٩٨ بإسناد فيه ضعف.

(٣) ابن سعد، الطبقة الرابعة:/ ١/ ١٤١ من طريق ابن أبي مريم وهو ضعيف؛ ابن أبي عاصم، الآحاد والمثاني: ١/ ٣٧٧ من نفس الطريق؛ ابن عساكر: ١٦/ ق٣٣ من طريق ابن سعد؛ الذهبي، سير أعلام النبلاء ٣/ ١٥٠، تاريخ الإسلام: حوادث (٤١-٦٠) ص ٣١٣ من طريق ابن سعد.

(٤) ابن تيمية، السياسة الشرعية: ٢٢.

للمسلمين، وفجوره على نفسه، وأما الصالح الضعيف، فصلاحه لنفسه وضعفه على المسلمين؛ يُغْزَى مع القوي الفاجر»[١].

«ومعظم المقصود من نصب الأئمة: حياطة المسلمين، ودفع عدوهم، والأخذ على يد ظالمهم، وإنصاف مظلومهم، وتأمين سُبُلِهم، وتفريق بيت مالهم فيهم، على ما أوجبه الشرع، فمن كان ناهضًا بهذه الأمور ونحوها فبه يحصل مقصود الإمامة، وينتفع الناس بولايته، ويشملهم الأمن والدعة، ويطيب عيشهم، ويأمنون فيه على أنفسهم وأموالهم وحرمهم، وإن كان غيره أكثر علمًا منه، أو أوسع عبادة، أو أعظم ورعًا؛ فإنه إذا كان غير ناهض بالقيام بهذه الأمور، فلا يعود على المسلمين من علمه أو ورعه أو عبادته فائدة، ولا ينفعهم كونه مريدًا للصلاح، وإجراء الأمور مجاريها الشرعية مع عجزه عن ذلك، وعدم قدرته على إنفاذه»[٢].

وقال الجويني: «والذي صار إليه معظم أهل السنة أن يتعيَّن للإمامة أفضل أهل العصر، إلاّ أن يكون في نصبه هرج وهيجان فتن، فيجوز نصب المفضول إذا كان مُستحقًا للإمامة، كيف ولو تقدم المفضول في إمامة الصلاة لصحَّت الإمامة؟!»[٣].

---

(١) المصدر نفسه، ونفس الصفحة.

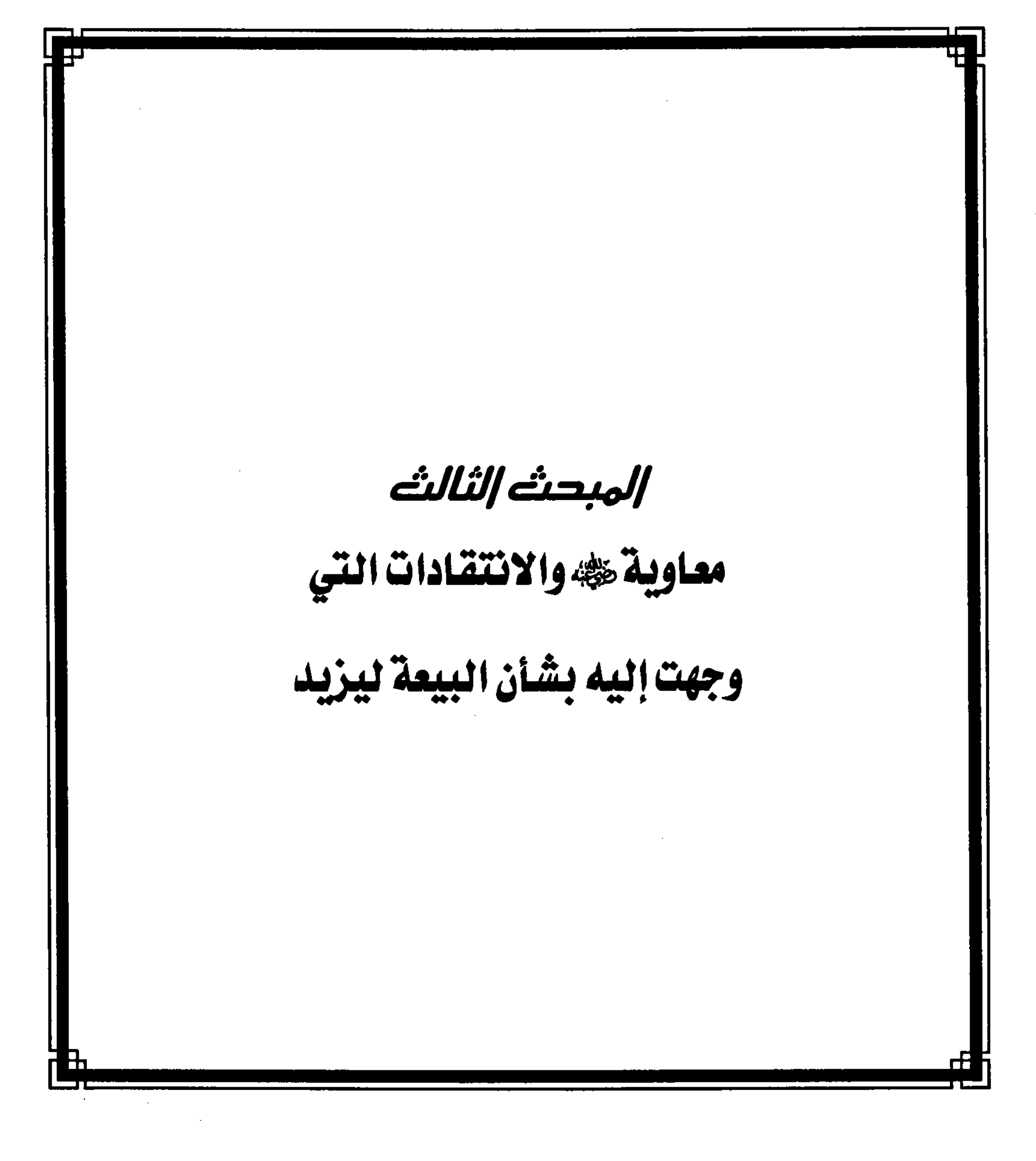
(٢) صديق حسن خان، العبرة مما جاء في الغزو والشهادة: ص ٣٥.

(٣) الجويني، الإرشاد: ص ٢٦٢؛ الجويني، غياث الأمم: ٨٠ وقال أيضًا: لا خلاف أنه إذا عَسُر عقد الإمامة للفاضل، واقتضت مصلحة المسلمين تقديم المفضول؛ وذلك لصَغْوِ الناس، وميل أولِي النجدة والبأس إليه، ولو فُرض تقديم الفاضل لاشرأبت الفتن وثارت المحن، ولم نجد عددًا وتفرَّقت الأجناد، فإذا كانت الحاجة تقتضي تقديم المفضول قُدِّم لا محالة؛ إذ الغرض =

وهكذا يتضح لنا من خلال النصوص السابقة أن ولاية المفضول ثابتة وجائزة شرعًا.

ويزيد بن معاوية لا شك أنه مفضول وليس بالأفضل، مع وجود كبار الصحابة وأبنائهم ﭬ. ولكن هناك بعض الأسباب التي حاولنا مناقشتها، والتي ظهرت لنا من عزم معاوية على تولية يزيد، وأيضًا هناك بعض الأمور التي قد تخفى علينا، والتي من أجلها أكَّد معاوية بيعة يزيد.

= من نصب الإمام استصلاح الأمة، فإذا كان في تقديم الفاضل اختباطُها وفسادُها، وفي تقديم المفضول ارتباطُها وسدادُها، تعيّن إيثار ما فيه صلاح الخليقة (غياث الأمم: ص ١٦٧).



المبحث الثالث

معاوية رضي الله عنه والانتقادات التي وجهت إليه بشأن البيعة ليزيد



المبحث الثالث

معاوية ﷺ والانتقادات التي

وجهت إليه بشأن البيعة ليزيد

لقد حمَّل كثير من المؤرخين السابقين والمعاصرين معاوية ﷺ مسؤولية البيعة الكاملة، وبالتالي حمَّلوه جميع الأخطاء التي يقع فيها الحكام من زمان معاوية حتى عصرنا الحاضر.

فمنهم من جعل معاوية هو المقرر الأصلي للمبدأ الوراثي في الملك[1]، ومنهم من اتهمه بالخروج على نظام الشورى في الإسلام، فكان أوّل محُطِّم لنظام الإسلام[2]، ومنهم من اتهم معاوية بأنه أقر هذا النظام الذي يعتمد على السياسة أولًا، ثم الدين ثانيًا[3]، والبعض شبَّه معاوية بالملوك الأقدمين من الفرس والروم[4].

والبعض يجعل معاوية بهذه البيعة هو رائد المدرسة (المكيافيلية)[5] في

---

(١) الخلافة لتوماس أرنولد: ص ١٠ نقلا عن هدارة في كتابه: اتجاهات الشعر العربي في القرن الثاني الهجري، ص ٣١.

(٢) مصطفى الشكعة، إسلام بلا مذهب: ص ٥٨؛ الثعالبي الفاسي، الفكر السامي: ١/ ٢٨٦.

(٣) علي إبراهيم حسن، نساء لهن في التاريخ الإسلامي نصيب: ٥٨؛ سيد أمير علي، مختصر تاريخ العرب: ٨٨، محمد جلال شريف، نشأة الفكر السياسي وتطوره: ص ٨٥؛ أنور الرفاعي، الإسلام في حضارته وأنظمته:٦٦٣٥.

(٤) أحمد أمين، يوم الإسلام ٦٦؛ أحمد رمضان أحمد، الخلافة في الحضارة الإسلامية ص ٨٤-٨٥؛ سعيد الأفغاني، عائشة والسياسة: ص ٢٧٨.

(٥) (جمع ميكافيلي ت ١٥٢٧م آراءه السياسية في كتابه الأمير، وقدَّمه هدية للأمير المرتشي (لورنزو العظيم) الإيطالي. وقد تأثر به كل سياسي القرن التاسع عشر في أوروبة، وفي طليعتهم=

السياسة القائمة على تسويغ الوسيلة من أجل الغاية[١]، والبعض حكم على معاوية بارتكابه كبيرة أضافها إلى كبائره السابقة[٢]، والبعض اعتبر معاوية خارجًا على إجماع المسلمين بهذه البيعة[٣].

ولمعرفة صحة هذه الاتهامات من عدمها يجدر بنا أن نعرف ماهيَّة الشورى وكيفية تطبيقها، وأبعاد سلطة أهل الحل والعقد، ودور الخلفاء الراشدين في الاستعانة بأهل الحل والعقد، وحتى نستطيع أن نخرج بتصوُّر صحيح عن الشورى، وعن معاوية ومدى مخالفته لنظام الشورى إن حدث نقول:

لا شك أن الشورى دعامة من دعائم الحكم في الإسلام، وقاعدة صلبة من قواعده، كما أن اختيار الحاكم في الإسلام وتولِّي أمر الأمة المسلمة لا تعطيه صفة مقدَّسة[٤]، أو سلطة مطلقة[٥].

= نابليون الأول (فرنسا)، ومترنيخ (النمسا)، وبسمارك (ألمانيا) وغيرهم. (محمد سيد أحمد المسير، المجتمع المثالي في الفكر الفلسفي: ص ٢٥٧-٢٦٢)، وانظر: الأمير. تعريب خيري حمادة نيقولا، ماكيافيلي ترجمة وتحليل وتعليق مختار الزقزوقي.

(١) إبراهيم بيضون، ملامح التيارات السياسية في القرن الأول الهجري: ص١٤٧؛ أحمد أمين، يوم الإسلام: ص ٦٧.

(٢) أحمد الشريف، دور الحجاز في الحياة السياسية: ٤١٧؛ وقريبا من هذا انظر أكبر شاه خان: تاريخ الإسلام: ٢/ ٤٨، وانظر أمين الريحاني، الأعمال العربية الكاملة: ٦/ ٣٦.

(٣) حسن إبراهيم حسن، زعماء الإسلام: ٢١٩.

(٤) إن صفة الإمام عند أهل السنة ليست صفة مقدّسة كما هو الحال عند الشيعة والباطنيين، انظر: كتاب الهمة في آداب اتباع الأئمة للقاضي النعمان بن محمد المغربي.

(٥) لقد غالط المستشرقون حينما تحدثوا عن طبيعة النظام السياسي الإسلامي. =

= يقول مرجيلوث «أيا كان الحاكم (الإمام) الذي يستقر الرأي على الاعتراف به، فإن الرعايا المسلمين ليست لديهم أية حقوق ضد رئيس الجماعة القائمة، وإن الإمام ليس مسؤولًا عن أحد». (حازم الصعيدي، النظرية الإسلامية: ص ٤٦٦-٤٦٧).
ويقول ماكدونالد: «لا يمكن أن يكون (الإمام) حاكمًا دستوريًا بالمعنى الذي نعرفه» (ص ٤٦٧)، ويقول موير: «المثال والنموذج للحكم الإسلامي هو الحكم المستبد المطلق».
ويقول أرنولد: «إن الخلافة التي اعترف بها علماء المسلمين كانت نوعًا من الحكومة المستبدة الجائرة التي يتمتع الحاكم فيها بسلطة غير مقيدة بقيود، ويطلب من الرعايا أن تطيعه بدون تردد» (ص٤٦٧).
وانظر مزيدًا من تلك المغالطات: حازم الصعيدي، النظرية الإسلامية في الدولة: ص ٤٦٦-٤٦٨، و محمد طه بدوي، بحث في نظام الإسلام السياسي ردًا على المستشرق أرنولد، ضمن كتاب مناهج المستشرقين في الدراسات الإسلامية: ٢/ ١١٧، ١١٨.
نعم نحن لا ننكر فساد بعض الحكام المسلمين، والبعض كانت سيرته سيرة استبدادية صرفة،ولكن هذا لا علاقة له بالنظام السياسي الاسلامي،وانما هو أمر شخصي يتعلق بالحاكم فقط دون تحميل الاسلام المسؤولية، بل ان هذا الحاكم المستبد وأمثاله لم يصل إلى السلطة إلا بعد أن دغدغ مشاعر الناس برفعه لشعارات الكتاب والسنة، وتطبيق الإسلام بعدالته المتكاملة في نواحي الحياة.
ولكن المؤكد أن الإسلام سبق إلى النظرية السياسية التي تقوم على التعاقد قبل أن يكتشفها المفكّرون الغربيون في مطالع القرن السابع عشر الميلادي.
(توماس هوبز الإنجليزي ١٤٨٨-١٦٧٩) يقرر: أن السيادة مستمرة من تعاقد بين الناس على اختيار حاكم يتولّى أمورهم؛ لأنهم يخشون بعضهم بعضًا لغلبة الشر والعدوان على طباعهم، ولا يحق لهم من تولي الحاكم أمرهم أن يخرجوا عليه؛ لأن التعاقد يلزمهم ولا يلزمه، إذ لم يكن طرفًا فيه بل كان منفذًا له بناء على التعاقد بينهم. وكان (جون لوك الإنجليزي ١٦٠٣-١٧٠٤) يقرر: أن العقد ملزم للحاكم لأن المحكومين طرف فيه والحاكم طرف آخر، وينفي أن الناس مفطورون في حالتهم الطبيعية على الشر والعدوان، عاجزون عن محاسبة الحاكم على أخطائه ومظالمه.
أما (جان جاك روسو ١٧١٢-١٧٧٨) فقد اشتهر بالعقد الاجتماعي حتى ظُنّ أنه مُنشئ هذه الفكرة، فعنده أن أفراد الرعية لا ينزلون للحاكم عن حريّتهم ولكنهم ينزلون بعضهم لبعض=

بل إن الحاكم مسؤول عن كل عمل يقوم به، وينفذ فيه ما ينفذ في شعبه، وأما طريقة الشورى، فلم يُحدَّد لها نظامٌ خاصٌ، فتطبيقها إذًا متروك للظروف والمقتضيات الجارية.

فقد كان رسول الله ﷺ يستشير المسلمين فيما لم ينزل فيه وحي، ويأخذ برأيهم فيما هم أعرف به من شؤون دنياهم، وكذلك سار الخلفاء الراشدون في استشارة المسلمين، واستشار أبو بكر في شأن مانعي الزكاة، وأنفذ رأيه في محاربتهم، وكان عمر يعارض أولاً، ولكن رجع إلى رأي أبي بكر، واستشار أهل مكة في حرب الشام على رغم معارضة عمر... وهكذا كانت الشورى لا على نظام مقرر مرسوم؛ لأن الظروف الواقعية كانت تعين أهل الشورى في كل فترة بحيث لا يلتبس الأمر في شأنهم.

ولكن عمومية الأمر تدع المجال مفتوحًا لأشكال متعددة من النظم والطرق لا يحددها الإسلام، اكتفاء بتقرير المبدأ العام[(١)].

ولكن على الرغم من ذلك، فإنه ليس من العسير على المرء أن يُخمِّن الأسباب التي حدَت بالخلفاء الراشدين أن يتساهلوا أحيانا في الأخذ بمبدأ الشورى الذي حضَّت عليه الشريعة.

= عنها، ويوكِلون الحاكم ليعمل باسمهم على رعاية حقوقهم ومصالحهم.
انظر: (عباس العقاد، الديمقراطية في الإسلام: ص٥٧-٥٨، وانظر للمؤلف نفسه، ساعات بين الكتب ص: ٥١٣-٥١٩، و عبد الخالق النواوي، العلاقات الدولية والنظم القضائية في الشريعة الإسلامية: ص ١٤-١٧).

(١) سيد قطب- العدالة الاجتماعية في الإسلام ٨٣. حبنكة الميداني- كواشف زيوف في المذاهب الفكرية المعاصرة ص ٦٦٥، ٦٦٩.

من هذه الأسباب أن التطوُّرَ السريع في كيان الدولة الإسلامية الأولى -كنتيجة لاتساع الفتوحات- جعل من المستحيل في بعض الأحيان أن تترك الكلمة الفاصلة في أمور الدولة لأناس، على الرغم من حكمتهم ونبل مقاصدهم، لم تتجمَّع لديهم المعلومات الصحيحة أولاً بأول عن هذه الدولة، التي ما فتئت تتسع دائرتها، وتترامى حدودها يوما بعد يوم.

ومن هذه الأسباب أيضًا أن الخلفاء الراشدين كانوا يعلمون أن الوعي السياسي بين جماهير العامة من المسلمين لا يزال في طفولة المهد، وأن هذه الحقيقة تُخفي وراءها خطر تلوُّن وجهات النظر في الأمور السياسية بألوان العصبيَّات القبلية.

وعلى هذا، فبينما أسَّس الخلفاء الراشدون مجالس شورى، وابتغوا النصح والمشورة منها كلما دعت الحاجة إلى ذلك، فإنهم قد احتفظوا لأنفسهم بالحرية في العمل بمشورة مستشاريهم، أو رفضها من حالة إلى أخرى[(١)].

ولكن نرى أن الشريعة الإسلامية لم تحدد أهل الشورى تحديدًا واضحًا، ولم تبيِّن شروطهم بيانًا شافيًا يميِّزهم عمَّن سواهم[(٢)]؛ فمعاوية رضي الله عنه طرح اسم

---

(١) محمد أسد، منهاج الإسلام في الحكم: ص ١٠٩؛ سعدي أبو جيب، دراسة في منهاج الإسلام السياسي: ٢٣٧-٢٣٩.

(٢) إسماعيل بدوي، الشورى في الإسلام: ص ٦٩، ولنفس المؤلف انظر: دعائم الحكم في الشريعة الإسلامية والنظم الدستورية المعاصرة.

وانظر عن الشورى: (منير البناني، الدولة القانونية والنظام السياسي الإسلامي: ص ٢٥٦-٢٧٩.

عبد الكريم زيدان، أصول الدعوة: ص ٢١٧-٢٢٥؛ د. عبد الحميد إسماعيل الأنصاري، الشورى وأثرها في الديمقراطية. يوسف أيبش، تصور الفكر السياسي الإسلامي، الإمامة عند=

المرشح (يزيد)، واستشار المسلمين، فأجمع أهل الشام، وكبار أهل العراق، وباقي الأمصار على قبوله، ولم يُخالف إلاّ بعض أهل المدينة؛ لأسباب: بعضها فقهية، والأخرى مصالح شخصية، وقد عبَّرت هذه المصالح الشخصية عن نفسها بصورة عمليّة في فترة لاحقة (١).

لقد قال عمر ﷺ في حديثه الطويل عن السقيفة: «.... فمن بايع أميرًا من غير مَشُورةٍ من المسلمين فلا يُبايَع هو ولا الذي بايعه، تَغرَّة أن يُقتلا...» (٢).

«إن معاوية لم يستبد بالأمر، بل طلب وفود الأمصار ورضوا بالبيعة»(٣).

إذًا ماذا يسمى طرح اسم يزيد كخليفة المستقبل بعد معاوية على أهل الشام، ثم موافقة أهل الشام على ذلك؟ أليست هذه شورى أم سوى ذلك؟

ماذا يُسمّى اجتماع الوفود عند معاوية، وطرح فكرة مبايعة يزيد؟ أليست هذه شورى؟

ماذا يسمى مجيء معاوية خصيصًا لأهل الحجاز واستشارة رؤوس المعارضة،

= السنة، عبد الغني محمد بركة، الشورى في الإسلام دراسة في النظم الإسلامية؛ حسين حنفي حسين، الفكر السياسي الإسلامي والاجتماعي في الإسلام ص ٢٦-٤٨؛ قحطان الدوري، الشورى بين النظرية والتطبيق؛ مصطفى حلمي، نظام الخلافة في الفكر الإسلامي؛ محمود الخالدي، قواعد نظام الحكم في الإسلام؛ عبد الكريم الخطيب، الخلافة والإمامة).

(١) حامد غنيم، الأسرة الأموية بين القيم الإسلامية والاعتبارات السياسية: ٢٩٥، بحث منشور في مجلة كلية العلوم الاجتماعية، العدد رقم (٤) عام ١٤٠٠هـ.

(٢) البخاري مع الفتح: ١٢/ ١٤٩ (٦٨٣٠) أحمد، المسند: ١/ ٣٢٧ (٣٩١) تحقيق أحمد شاكر.

(٣) يوجينا غيانة، تاريخ الدولة الإسلامية وتشريعها: ١٠٣.

وإقناعهم بصحة ما ذهب إليه؟ أليست هذه شورى؟ أم أن هـذه المشورة تُحْمَـل على أنها دس ومكيدة وتهديد وكذب؟.... كما يذهب إليه بعض الباحثين[١].

نعم إنا نستطيع أن نقول بأن يزيد بـن معاويـة هـو أول مـن عهـد إليـه أبـوه بالخلافة[٢]، فلا شك ولا ريب في ذلك.

ولكن لنتصور أن معاوية ﷺ سلك أحد الأمور الثلاثة الآتية:

١-ترك الناس بدون خليفة من بعده، مثلما فعل حفيده معاوية بن يزيد.

٢-نادى في كل مصر من الأمصار بأن يرشحوا لهـم نائبًـا ثـم يختـار مـن هـؤلاء المرشحين خليفة.

٣-جعل يزيد هو المرشح، وبايعه الناس كما فعل.

لنأخذ الأمر الأول:

كيف ستكون حالة المسلمين لو أن معاوية تناسى هذا الموضوع، وتركه حتى تُوفي؟

أعتقد أن الوضع سيكون أسوأ من ذلك الوضع الذي أعقب تصريح معاويـة ابن يزيد بتنازله عن الخلافة، وترك الناس في هرج ومرج، حتى استقرت الخلافـة أخيرًا لعبد الملك بن مروان، بعد حروب طاحنة، استمرت قرابة عشر سنوات.

---

(١) العمراني، الإسلام دين ودولة: ص٣١؛ سيد أمير علي، مختصر تاريخ العرب والإسلام: ص٨٨.

(٢) العسكري، الأوائل: ١/ ٣٢٧؛ ابن جزي الغرناطي، قوانين الأحكام الشرعية: ص ٤٥٦؛ السيوطي، الوسائل في مسامرة الأوائل: ص ٨٨.

ثم لنتصور الأمر الثاني:

نادى مناد في كل مصر بأن يرشحوا نائبًا عنهم، حتى تكون مسابقة أخيرة ليتم فرز الأصوات فيها، ثم الخروج من هذه الأصوات بفوز مرشح من المرشحين، ليكون خليفة للمسلمين بعد وفاة معاوية.

سيختار أهل الشام رجلاً من بني أمية بلا شك؛ ربما أنه يزيد وربما غيره.

وسيختار أهل العراق في الغالب: الحسين بن علي.

وسيختار أهل الحجاز: ابن عمر، أو عبد الرحمن بن أبي بكر، أو ابن الزبير.

وسيختار أهل مصر: عبد الله بن عمرو بن العاص.

هل سيرضى كل مصر بولاية واحد من هؤلاء، ويسلموا له؟ أم ستكون المعارضة واردة؟!

إنّ المعارضة – بالتأكيد – ستظهر، وفي هذه الحالة: كيف يُجمع الناس على مرشّح واحد؟ هل يستطيع معاوية أن يلزم كل مصر بما يختاره أهل المصر الآخر؟

ستجد الدولة نفسها في النهاية أمام تنظيمات انفصالية، وسيعمد أدعياء الشر الذين قهرتهم الدولة بسلطتها إلى استغلال هذه الفوضى السياسية، ومن ثم الإفادة منها في إحداث شرخ جديد في كيان الدولة الإسلامية.

نحن نورد هذه الاعتراضات، وربما حصل ما أشرنا إليه، وربما حدث عكس ذلك. ولكنا أوردنا ذلك حتى نتصوَّر مدى صحة الآراء التي أحيانًا يُطلقها

ويتحمَّس لها البعض دون الرجوع إلى الواقع التاريخي المحتَّم آنذاك.

لقد تعرّض المجتمع المسلم إلى هزَّة عنيفة بعد استشهاد عثمان ﷺ، وترك كيانات وتيارات سياسية وعقائدية خطيرة، استوجبت من معاوية أن يدرك خطورة الأمر والفرقة التي سوف تحصل للمسلمين إذا لم يسارع بتعيين ولي عهد له، ثم إن غلبة أهل الشام، وقوة تعصبِّهم لبني أمية، ووجود الشك عندهم ضد أهل المدينة،كل ذلك كان عاملاً مُرجِّحًا لمعاوية على إقدامه على هذا الأمر.

ويبقى **الأمر الثالث**: وهو ما فعله معاوية ﷺ، وقد أيَّده بعض الباحثين بسبب السلامة التي تنشأ من عدم التنازع على السلطة.

قال محمد كرد علي: «إن وضع قانون ولاية العهد في الإسلام يعطي بعض الحيطة، التي تُنجي من انقسام الكلمة، وقد يخطئ رأس الملة في تولية من يريد، وربما قَلَّ في رجال الخليفة أو من اصطنعهم لخدمته من يسعهم الإنكار عليه، أو إرجاعه إلى الصواب إن أخطأ. والعهد للأبناء أو الأخوة أو أبناء العم على شرط الكفاية في الجملة أقرب إلى سلامة الدولة من فتنة تنشب بين الأحزاب وأصحاب العصبيات؛ وكل حزب يرشح خليفة بالحق والباطل، حتى لا يكاد يجد الصالح من المستخلفين أدنى مما يجد الطالح من المعونة والمظاهرة...»(١).

ويقول شعوط: «ونحن نعلم أنه إذا كانت دائرة اختيار الخليفة ضيِّقة كان ذلك أدعى للحفاظ على الوحدة، كما يحفظ للدولة سيرها في طريق التقدُّم

---

(١) محمد كرد علي، الإسلام والحضارة الغربية: ٢/ ٣٩٥.

والنفوذ، كما أننا نعلم أنَّه كلَّما اتسعت دائرة الاختيار كثر الراغبون في ترشيح أنفسهم، وبخاصة إذا راعينا اتساع رقعة الدولة وشمولها عناصر مختلفة من أجناس مختلفة، مع صعوبة المواصلات بين هذه البلاد المفتوحة»(١).

كما أن ولاية العهد لا تُنافي حقَّ الأمَّة في الاختيار، والظاهر من أقوال الفقهاء: أن التكييف الشرعي لولاية العهد أنها لا تزيد على ترشيح من يصلح للخلافة لتبايعه الأمة بعد ذلك برضاها، فإن بايعته انعقدت له الإمامة، وإن رفضت بيعته أو بايعت غيره سقط الترشيح السابق له وكأنه لم يكن، وبهذا تبقى الأمة هي صاحبة القول الفصل في اختيار الحاكم(٢). ويدل على صحّة ما ذكرنا من أن ولاية العهد لا تعدو كونها ترشيحًا ما قاله أبو يعلى: «يجوز للإمام أن يعهد إلى إمام بعده... ولأن عهده إلى غيره ليس بعقد للإمامة؛ لأن الإمامة لا تنعقد للمعهود إليه بنفس العهد، وإنما تنعقد بعقد المسلمين؛ بدليل أنه لو كان عقدًا لها لأفضى ذلك إلى اجتماع إمامين في عصر واحد، وهذا غير جائز... إن إمامة المعهود إليه غير ثابتة ما دام العاهد باقيًا إمامًا، ...لأن الإمامة لا تنعقد للمعهود إليه بنفس العهد،وإنما تنعقد بعهد المسلمين...ويكون بعد موت المُوَلّي »(٣).

ولهذا قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: «ولا يصير الرجل إمامًا حتى

---

(١) شعوط، أباطيل يجب أن تمحى من التاريخ: ص ٣٣٤.

(٢) عبد الكريم زيدان، أصول الدعوة: ص ٢١١؛ منير حميد البياني، الدولة القانونية والنظام السياسي الإسلامي: ص ٤٦٨.

(٣) أبو يعلى، الأحكام السلطانية: ص ٢٥.

يوافقه أهل الشوكة الذين يحصل بطاعتهم له مقصود الإمامة؛ فإن المقصود من الإمامة إنما يحصل بالقدرة والسلطان، فإذا بُويع بيعة حصلت بها القدرة والسلطان صار إمامًا»[١].

وباعتبار ولاية العهد مجرد ترشيح، وأنه يُسْبَق بمشاورة أهل الحل والعقد وظهور رضاهم عن المرشَّح، فإنه لا شك مسلك سديد وحميد لاختيار الخليفة، ولا يناقض حق الأمة في اختيار الخليفة، بل قد يُرجَّح على طريقة انتخاب أهل الحل والعقد للخليفة دون عهد منه إلى أحد، لما في العهد من حسم لمادة الخلاف والنزاع[٢]، ولهذا رجَّح هذه الطريقة الإمام ابن حزم فقال: «وهذا -أي العهد- هو الوجه الذي نختار ونكره غيره، لما في هذا الوجه من اتصال الإمامة، وانتظام أمر الإسلام وأهله، ورفع ما يتخوف من الاختلاف والشغب مما يُتوقَّع في غيره، من بقاء الأمة فوضى، ومن انتشار الأمر... وحدوث الأطماع»[٣].

«ثم إن مسألة الأسلوب الذي يحسن اتباعه لاختيار الخليفة أو (رئيس دولة بوجه عام) هي من المسائل التي لم يعرض لها القرآن والسنة الصحيحة، ثم إن الخلفاء الراشدين لم يتم اختيارهم طبقًا لأسلوب واحد معين، بل جرى اختيارهم- كما هو معلوم- بناء على أساليب مختلفة.

فمسألة الأسلوب الواجب اتباعه لتطبيق مبدأ من المبادئ، أو لتحقيق هدف

---

(١) ابن تيمية، منهاج السنة: ١/ ٥٢٧؛ وقريبا من ذلك صديق حسن خان، إكليل الكرامة: ص ٣٤.

(٢) عبد الكريم زيدان، أصول الدعوة: ص ٢١٣.

(٣) ابن حزم- الفصل في الملل والنحل ٥/ ١٦.

من الأهداف هي من المسائل التي تتأثَّر وتتغيَّر بتغيُّر ظروف الزمان والمكان»[١].

ثم إن هذا العمل الذي عمله معاوية ليس بدعة خرج بها عن نصوص الشرع، بل اجتهاد اجتهده في أمر لم تجتمع الأمة على خلافه[٢].

وكان لتغيُّر الزمن والظروف أثر كبير في أخذ معاوية البيعة من الناس لولده يزيد؛ فالوقت الذي كان المجتمع الإسلامي فيه محصورًا في المدينة، وكان العدد قليلاً؛ حيث كان من الممكن اجتماع الناس وتشاورهم، وكانوا من التقوى والورع بالمكان الذي كانوا فيه، وكان من الميسور اتفاقهم أو إجماعهم؛ هذا الوقت قد انقضى وتفرَّق المسلمون في الأمصار، وكثرت الجماعات وتعددت المذاهب وظهرت العصبيات، فصار من المتعسِّر اجتماع الناس أو اتفاقهم على أمر أو شخص؛ فنظام الشورى، أو الاختيار والمبايعة العامة من كل فرد-وهو النظام المثالي والنظام الإسلامي الكامل- صار من الصعب تطبيقه في ذلك الزمن؛ إذ إن الشعوب في تلك الأزمان لم تكن قد تقدمت إلى المستوى الذي تستطيع فيه أن تضع تصورًا ثابتًا، له قواعد محددة يعرفها ويلتزم بها الجميع، وهيئة دائمة للترشيح، ونظامًا كفوءًا للإدارة، لإجراء الانتخابات العامة كما تفعل الشعوب في العصر الحديث.

إن الظروف الواقعية صارت تقتضي أو تُحتِّم إجراء مثل هذا العمل.

---

(١) عبد الحميد متولي- مبادئ في نظام الحكم ٢٠٩.

(٢) يوسف العش- الدولة الأموية ١٦٤.

ولكن المثال أو النظام المثالي ينبغي في الوقت ذاته أن يظل ماثلًا في الأذهان، ويُحافظ عليه على أنه الذي يمثل نظام الحكم الحقيقي للإسلام، وتظل قواعد ومبادئ هذا النظام مقرَّرة في النظريات الإسلامية، ومدروسة ومعروفة يجب العودة إليها وتطبيقها كُلَّما صار ذلك ممكنًا، وكلّما أتاحت الظروف[١].

«ومن يضع نفسه مكان معاوية، يُدرك الخطر المحدق بالأمة لو تُرك الأمرُ من غير اختيار، أو تُرك لأبناء علي بن أبي طالب أو غيره؛ فالفتنة المتربّصة بالأمة كانت تحتاج لامتداد حكم معاوية حتى تستقيم أمور الأمة، ولم يكن بدٌّ من اختيار ابن معاوية اجتهادًا من معاوية باستمرار عهده وحكمه، أملاً في موت الفتن، ولكن قدَرُ الله كان على غير ما اجتهد وقدَّر»[٢].

«وعلى كل تقدير فهذا لا يقدح فيما عليه أهل السنة؛ فإنهم لا يُنزِّهون معاوية ولا من هو أفضل منه من الذنوب، فضلًا عن تنزيههم عن الخطأ في الاجتهاد، بل يقولون: إن للذنوب أسبابًا تدفع عقوبتها من: التوبة، والاستغفار، والحسنات الماحية، والمصائب المكفِّرة، وغير ذلك. وهذا أمر يعم الصحابة وغيرهم»[٣].

«ومعاوية ﷺ من خيار الملوك الذين غلب عدلهم على ظلمهم، وما هو ببريء من الهنات، والله يعفو عنه»[٤].

---

(١) محمد الريس، النظريات السياسية الإسلامية: ص ١٩١.

(٢) عمارة نجيب، الشورى. (مجلة الجندي المسلم ص٥٨).

(٣) ابن تيمية، منهاج السنة: ٤/ ٣٨٥.

(٤) الذهبي، سير أعلام النبلاء: ٣/ ١٥٦.

والذي يجب أن نعتقده في معاوية: أن قلوبنا لا تنضوي على غلٍّ لأحد من أصحاب محمد ﷺ، بل نقول: ﴿وَٱلَّذِينَ جَآءُو مِنۢ بَعۡدِهِمۡ يَقُولُونَ رَبَّنَا ٱغۡفِرۡ لَنَا وَلِإِخۡوَٰنِنَا ٱلَّذِينَ سَبَقُونَا بِٱلۡإِيمَٰنِ وَلَا تَجۡعَلۡ فِي قُلُوبِنَا غِلّٗا لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ رَبَّنَآ إِنَّكَ رَءُوفٞ رَّحِيمٌ﴾ [الحشر: ١٠].

ونقول بأن معاوية اجتهد للأمة خوفًا عليها من الانقسام والفتن، ولا يمكن أن يحمل تبعات كل أخطاء الملوك والأمراء الذين جاؤوا بعده، كما قرَّره عبد القادر عودة؛ حيث يقول: «وأقام معاوية أمر الأمة الإسلامية على المحابات والظلم، وإهدار الحقوق، وقضى على الشورى، وعطَّل قوله تعالى: ﴿وَأَمۡرُهُمۡ شُورَىٰ بَيۡنَهُمۡ﴾، وحوّل الحكم العادل النظيف إلى حكم قذر قائم على الأهواء والشهوات، ووجَّه الناس إلى النفاق والذلة والصَّغار، ولا شك فيه أن كل من جاؤوا بعده إلى عصرنا هذا، قد عملوا بسنته، وتشبثوا ببدعته، حاشا عمر بن عبد العزيز، فعلى معاوية وقد استن هذه السنة السيئة إثمها وإثم من عمل بها إلى يوم القيامة»[1].

---

(١) عبد القادر عودة- الإسلام وأوضاعنا السياسية: ١٥٩. وهذا خطأ شنيع وقع فيه عبد القادر عودة وآخرون، بل تطرَّف المقبلي اليماني- حيث قال عن معاوية وبيعة يزيد: «الذي يزعم أن معاوية اجتهد فأخطأ، لا نقول اجتهد فأخطأ، لكنه إما جاهل لحقيقة الحال مقلّد، وإمّا ضال اتبع هواه (اللهم إنا نشهد بذلك)» العلم الشامخ ص ٢٣٨.(ولد صالح بن مهدي المقبلي في اليمن سنة ١٠٤٧هـ، وكان زيديًا على طريقة أهل تلك البلاد، ثم رحل بأهله إلى مكة،واستطاع أن يتحرَّر من التقليد،فهاجم المعتزلة والصوفية وعلى غلاة المحدّثين،وتوفي سنة ١١٠٨هـ) انظر مصادر ترجمته: (الشوكاني،البدر الطالع:١/ ٢٨٨؛ الزركلي، الأعلام ٣/ ٢٨٣).

عن قيس قال: سمعت معاوية في مرضه الذي مات فيه حسر ذراعيه كأنهما عسيبا نخل وهو يقول: «والله لوددت أن لا اعترفتكم فوق ثلاث، فقالوا: إلى رحمة الله ومغفرته، فقال: ما شاء الله أن يفعل، ولو كره أمرًا لغيره، وهل الدنيا إلا ما عرفنا أو جرَّبنا»[(١)].

والحقيقة أن بيعة يزيد قد قبلها الكثير، حتى من الصحابة رضوان الله عليهم؛ فقد بايعه ستون من أصحاب محمد ﷺ فيهم ابن عمر[(٢)].

ومع ذلك فقد كانت معارضة بيعة يزيد مثار انتقاد وتعجُّب من بعض الصحابة رضوان الله عليهم.

عن حميد بن عبد الرحمن قال: دخلنا على أُسَيْر[(٣)] -رجل من أصحاب محمد ﷺ-

---

(١) ابن سعد، الطبقة الرابعة: ١/ ١٥٣ بسند صحيح؛ مصنف ابن أبي شيبة: ١١/ ٩١ بإسناد صحيح؛ ابن أبي عاصم، الآحاد والمثاني: ١/ ١/ ٣٧٨؛ أنساب الأشراف: ٤/ ١/ ٥٠؛ وقد حاول الكَذَبة أن يُلفِّقوا على معاوية ﷺ تحسُّره من بيعة يزيد، فنقلوا عنه أنه قال: «لولا هواي في يزيد لأبصرت رشدي» أنساب الأشراف ٤/ ١/ ٢٨، والسند من طريق الواقدي وهو متروك. ونسبوا إليه أيضًا أنه قال ليزيد: «ما ألقى الله بشيء أعظم في نفسي من استخلافك» أنساب الأشراف ٤/ ١/ ٦٠، والسند من طريق الهيثم بن عدي وهو كذَّاب. ونسي أولئك أن معاوية باستطاعته أن يُبطل البيعة ويرتاح من هذا الألم والشعور بالذنب على حد نقل هؤلاء. ولقد اعتمد رشيد رضا -رحمه الله- على هذه الرواية، وتحامل على معاوية وعلى يزيد تحاملاً قاسيًا، انظر: (الخلافة: ص ٥٢-٥٣).

(٢) ابن طولون، القيد الشريد: ق ١٧.

(٣) أُسَيْر بن عمرو بن جابر المحاربي، ويقال: الكندي، له رؤية ت سنة ٨٥هـ. (الاستيعاب: ١/ ٩٩-١٠٠).

حين استخلف يزيد بن معاوية قال: يقولون: إن يزيد ليس بخير أمة محمد، ولا أفقهها فقهًا، ولا أعظمها شرفًا، وأنا أقول ذلك، ولكن والله لأن تجتمع أمة محمد ﷺ أحب إلي من أن تفترق؛ أرأيتكم بابًا لو دخل فيه أمة محمد ﷺ وسعهم أكان يعجز رجل واحد لو دخل فيه؟ قال: قلنا لا، قال: أرأيتكم لو أن أمة محمد ﷺ قال كل رجل منهم لا أهريق دم أخي ولا آخذ ماله أكان هذا يسعهم؟ قال: قلنا: نعم، قال: فذلك ما أقول لكم، ثم قال: قال رسول الله ﷺ: «**لا يأتيك من الحياء إلا خير**»[(١)].

توفي عبد الرحمن بن أبي بكر بعيد خروج معاوية من المدينة؛ أي حوالي سنة ٥٣هـ، ولم يبق من المعارضين إلا ثلاثة: ابن عمر، وابن الزبير، والحسين بن علي.

لما رأى ابن عمر الناس مجتمعة على يزيد بايعه، وأرسل بيعته بعد وفاة معاوية ﷺ، وقال: «إن كان خيرًا رضينا، وإن كان بلاء صبرنا»[(٢)]، وكذلك ابن عباس ومحمد بن الحنفية.

وانحصرت المعارضة في شخص ابن الزبير والحسين بن علي رضي الله عنهما.

---

(١) ابن سعد، الطبقات الكبرى: ٧/ ٦٧ بإسناد صحيح؛ تاريخ خليفة: ٢١٧ من نفس الطريق؛ ابن حجر الإصابة: ١/ ٦٥.

(٢) ابن أبي شيبة: ١١/ ١٠٠ بسند صحيح؛ ابن سعد: ٤/ ١٨٢ من نفس الطريق؛ خليفة: ٢١٧ بإسناد صحيح؛ ابن أبي خيثمة، التاريخ الكبير: ق ١٨أ.



الفصل الثالث

معارضة الحسين بن علي رضي الله عنه



تمهيد: نقد المصادر التي تناولت معارضة الحسين:

تمثل معارضة الحسين بن علي ليزيد بن معاوية نقطة تحوُّل خطيرة في تاريخ المسلمين، وقد جرَّت هذه الحادثة من التبعات والانقسامات الشيء الكثير، وتنبع أهمية هذه الحادثة - بالنسبة لهذا البحث - من أنها أول معارضة تخرج بشكل عملي على خلافة يزيد بن معاوية.

كما أنَّ الظروف والمسبِّبات التي تولَّدت عن هذه الحادثة، جعلت هناك تحاملاً أو تجافيًا؛ إمّا مع الحسين أو عليه.

وكان خطر هذه الحادثة لا يقتصر على تأثيرها المباشر على المجتمع المسلم في ذلك الوقت فقط، بل تعدَّاه ليؤثر خلال قرون طويلة من تاريخ الإسلام حتى يومنا هذا؛ حيث يُمثِّل نقطة خطيرة لانحراف طائفة ترى محبته وموالاته فقط، وتكفير الأمة بسببه.

ومن ثم تُتَّخذ من هذه الحادثة مادة لتأجيج المشاعر ضد أهل السنة أجمعهم، وكأنهم هم السبب الحقيقي لمأساته -رضوان الله عليه- أو كأنهم مُبغضين له ولأهل بيته رضوان الله عليهم(١).

لقد كان هناك تضخيم لهذه الحادثة حتى أخذت حجمًا أكبر من واقعها(٢)،

---

(١) كما هو الحال في يوم عاشوراء،حين يرفع الشيعة وينادون:«يا لثارات الحسين»؛ من يثأر؟ وممن يثأر بعد ١٤٠٠سنة تقريبًا؟أسأل الله أن يُبصِّر النفوس بالحق.

(٢) لقد قُتل قبل الحسين ﷺ أبوه علي بن أبي طالب،ومات جدّه رسول الله ﷺ، وقُتل الكثير من الأنبياء عليهم السلام.

وهذا أمر يُقصد من ورائه اتهام الخلافة الأموية، والتي أصبحت بسبب هذه الحادثة- في نظر الكثيرين- دولة لا تعترف إلا بمنطق العنف مع أحفاد النبي ﷺ.

كان لهذه الحادثة وغيرها مؤثرات عكسية على الدولة الأموية؛ حيث أضحت الدولة في قفص الاتهام.

ثم إن هذه الحادثة هي إحدى الروافد التي ساعدت على قيام الثورة ضد الأمويين، ولعل هذا هو الذي يفسر لنا سبب رفع ذلك الشعار: «**الرضا لآل البيت**» في محاربة الأمويين حتى تم القضاء على دولتهم.

فكأنَّ النظرة التي تبلورت، وبالأخص في بلاد المشرق - وهي البلاد الأعجمية (الموالي)- عن أهل البيت هي: المعاناة والمآسي التي يتعرضون لها على يد الأمويين.

ولمعرفة وإدراك هذا المنعطف الخطير في التاريخ الإسلامي، نحتاج إلى تعمُّق لمعرفة أبعاد هذه المعارضة، وسبر أغوارها من جميع الجهات؛ حتى نستطيع أن نقدم صورة أكثر وضوحًا من تلك الصورة التي قُدِّمت لمقتل الحسين رضي الله عنه.

إن الروايات التي وصلت إلينا عن معارضة الحسين رضي الله عنه، ثم خروجه إلى الكوفة ومقتله تتميز برواة شاركوا في الأحداث، أو عن آخرين قريبين منها، وهي تعرض لأوضاع الكوفة الاجتماعية، وتتضمَّن- في بعضها- أدق التفاصيل عن مواقع البيوت والأزقة، والأسواق.

ومن أهم الرواة الذين وصلت إلينا رواياتهم:

١-أبو مخنف:

لوط بن يحيى بن سعيد بن مخنف بن سليم الأزدي[١]. (المتوفى سنة ١٥٧هـ). وهو إخباري كوفي يتميز بغزارة تأليفه وتدوينه لأخبار العراق[٢]. وقد ذكر له ابن النديم أربعة وثلاثين كتابًا جلُّها في أخبار العراق[٣].

والذي يهمُّنا من كتب ورسائل أبي مخنف هو كتابه المسمى: «**مقتل الحسين**» وقد اعتمد الطبري على هذا الكتاب حينما أرّخ لمقتل الحسين رضي الله عنه.

وقد نقل عنه الطبري فيما يخص قتل الحسين رضي الله عنه أكثر من مئة ورقة: (من ص ٣٥١ إلى ص ٤٧٠)، وتتميز روايات أبي مخنف بالتسلسل الزمني وترتيب الأحداث، ولهذا فقد بيّن الطبري السبب الذي جعله يهتم برواية أبي مخنف، فقد قال:

«وأما أبو مخنف فإنه ذكر من قصة مسلم بن عقيل، وشخوصه إلى الكوفة، ومقتله، قصة هي أشبع وأتم من خبر عمّار الدّهني عن أبي جعفر التي ذكرناها»[٤].

لقد عرض أبو مخنف معارضة الحسين رضي الله عنه،ثم مقتله بكربلاء بصورة موسعة، وقد

---

(١) ابن النديم، الفهرست: ص ١٠٥-١٠٦؛ الذهبي، سير أعلام النبلاء: ٧/ ٣٠١-٣٠٢؛ ابن حجر، لسان الميزان: ٤/ ٤٩٢.

(٢) ابن النديم، الفهرست: ص ١٠٥؛ إسماعيل باشا، ذيل كشف الظنون: ٤/ ١٧١، ٥٤٠، وله هدية العارفين: ٤٤١-٤٤٢.

(٣) ابن النديم، الفهرست: ص ١٠٥-١٠٦.

(٤) الطبري، الأمم والملوك ٥/ ٣٥١.

ساعده في ذلك بيئته التي نشأ فيها؛ فهو عراقي كوفي، الأمر الذي أعطاه تفردًا بخصوص أخبار العراق[1]. ولقد تعدّدت مصادر أبي مخنف؛ فهو يروي في الغالب عن شهود حضروا المعركة من أمثال: زهير بن أبي الأخنس[2]، وحميد بن مسلم[3].

ولقد اتبع أبو مخنف منهجًا موثقًا خلال تناوله للروايات المتعارضة؛ فهو يورد الرواية بتمامها، ثم إذا كان هناك رواية أخرى معارضة لها يأتي بها، وأحيانًا يتدخّل في إبداء رأيه، ويرجّح ما يراه صحيحًا[4].

وبالرغم من أن علماء السنة يُضعِّفون أبا مخنف[5]، إلا أنهم اعتمدوا عليه في نقل الكثير من الأخبار، وبالأخص فيما يتعلق بقتل الحسين ﷺ، وقد نقل عنه الطبري، والبلاذري، وابن الأثير، والذهبي، وابن كثير، وغيرهم.

وقد أبدى الطبري السبب في النقل عنه، حينما ذكر أن روايته أكثر تفصيلًا، وأشبع من غيرها.

وقد بيَّن الذهبي السبب في النقل عنه حينما قال: «أبو مخنف ليس بثقة، لكن له اعتناء بالأخبار»[6].

---

(١) ابن النديم- الفهرست ١١٥.

(٢) الطبري ٥/ ٤٣١.

(٣) المصدر نفسه ٥/ ٤٥١.

(٤) الطبري ٥/ ٤١٣.

(٥) الذهبي، ميزان الاعتدال ٣/ ٤١٩؛ ابن حجر، لسان الميزان ٤/ ٤٩٢.

(٦) الذهبي، تاريخ الإسلام حوادث: (٦١-٨٠) ص١٩٥.

وهو ما أوضحه ابن كثير حين قال عن أبي مخنف: «وقد كان شيعيًا، وهو ضعيف الحديث عند الأئمة، ولكنه أخباري حافظ، عنده من هذه الأشياء ما ليس عند غيره، ولهذا يترامى عليه كثير من المصنفين في هذا الشأن ممن بعده، والله أعلم»(١).

ولقد وجَّه ابن كثير للإمام الطبري هجومًا لاذعًا حول تقديمه لروايات أبي مخنف على غيرها، ثم اتهم الطبري بميله إلى المختار ومحبَّته له، وقال: «ويظهر من غُبون كلامه قوّة وجده به وغرامه، ولهذا توسع في إيراده بروايات أبي مخنف لوط بن يحيى، وهو متهم فيما يرويه...»(٢).

والحقيقة أن ابن كثير -رحمه الله- لم يُصب في اتهامه للطبري حينما اعتمد في غالب رواياته عن قتل الحسين، وحركة المختار على أبي مخنف؛ وذلك لأن المتتبع لحركة التأليف التاريخية في صدر الإسلام، سيجد أنها قليلة جدًا إذا ما قُورنت بالاهتمامات الواسعة بالحديث النبوي وتتبع رواياته.

ويبرز أبو مخنف المتوفى سنة ١٥٧هـ كأخباري واسع التأليف في الحوادث التي وقعت في صدر الإسلام.

ولا أظن أن التآليف التي أُلِّفت عن قتل الحسين- والتي سنعرض لها بعد قليل- هي من الأهمية والوضوح وتتبع الأحداث بمثل رواية أبي مخنف عن قتل الحسين؛ فالطبري (ت ٣١٠هـ) وضع كتابًا تاريخيًا لفترة زمنية بعيدة عنه، فوجد

---

(١) ابن كثير، البداية والنهاية: ٩/ ٢٠٣.

(٢) المصدر نفسه: ٨/ ٢٧٧.

أن أبا مخنف يُقدِّم عرضًا مفصلاً ومُسْهبًا عن الحسين ﷺ منذ خروجه من المدينة إلى مكة، ثم إلى الكوفة، وحتى مقتله بكربلاء ﷺ. وهو ما تفتقده التآليف الأخرى التي ألَّفها ثقات من أهل السنة؛ حيث تبدو الفجوات، وعدم تسلسل الحدث واضحًا خلال بعض النصوص التي وصلت إلينا.

فالطبري -رحمه الله- كان مضطرًا حينما اعتمد على رواية أبي مخنف عن مقتل الحسين ﷺ، وخاصة أنه أوضح في مقدمة كتابه أنه لا يتحمل تبعة الأخبار التي يوردها، وتبقى المسؤولية على الراوي الذي نقل إليه الحدث[١].

وكذلك في إيراده روايات أبي مخنف عن حركة المختار بن عبيد الثقفي.

فأبو مخنف اهتم بحركة المختار، وله تأليف كامل تناول فيه هذه الحركة بإسهاب كبير[٢]، ثم إن مصادر أبي مخنف عن حركة المختار قريبة، وربما أن بعضها معاصر للحركة نفسها، الأمر الذي أعطى روايات أبي مخنف تميزًا عن غيرها من الروايات الأخرى التي تناولت حركة المختار.

كما أن إيراد الطبري لروايات أبي مخنف فيما يخص حركة المختار لا يعني إعجابه الشديد بالمختار بن عبيد كما ذهب إلى ذلك ابن كثير.

ثم إن الطبري أورد من طريق أبي مخنف وغيره قصة الكرسي الذي كان المختار يستنصر به كأحد الأدلة على كذب المختار بن عبيد الثقفي[٣]، الأمر الذي

---

(١) الطبري، مقدمة تاريخه (الأمم والملوك) ١/ ٦-٧.

(٢) انظر: مقدمة: هند غسان عن حركة المختار بن أبي عبيد الثقفي.

(٣) الطبري: ٦/ ٨٢-٨٣.

يدحض اتهام الطبري بميله الى المختار بن عبيد.

ومن الأدلة على غزارة المادة التي قدَّمها أبو مخنف: أن البلاذري قد اعتمد عليه خلال استعراضه لخروج الحسين من مكة وحتى استشهاده ﷺ.

ومن المؤكد أن البلاذري لم يجد من الروايات المسندة من غير طريق أبي مخنف ما يجعله يقدم صورة متكاملة وواضحة عن معارضة الحسين ﷺ، ومن اللافت للنظر أن البلاذري حاول أن يتجنَّب ذكر أبي مخنف عندما ينقل عنه، وكان يستعمل كلمة (قالوا) بدلاً من ذكر أبي مخنف. ومن خلال تتبعي لروايات البلاذري التي صدَّرها بكلمة (قالوا) ومقارنتها بروايات أبي مخنف عند الطبري وجدت أن الرواية هي نفسها رواية أبي مخنف، ويتدخّل البلاذري بالاختصار، أو بحذف بعض المقاطع من الرواية[1].

وهذا الصنيع من البلاذري يقودنا إلى التساؤل عن السبب الذي جعل البلاذري يلجأ إلى عدم ذكر أبي مخنف؟

ويبدو أن ذلك مردُّه إلى أمرين:

الأمر الأول: هو علاقة البلاذري بالخليفة العباسي المتوكِّل على الله؛ فكان أحد ندمائه[2].

---

(1) انظر البلاذري، أنساب الأشراف ٣/ ١٥٨-١٥٩ مقارنة مع الطبري ٥/ ٣٥٢-٣٥٣، و ٣/ ١٦٦-١٦٧ مع الطبري ٥/ ٣٩٤-٣٩٥، و ٣/ ١٦٨-١٧٢ مع الطبري ٥/ ٣٩٦، و٣/ ١٨٢-١٨٣ مع الطبري ٥/ ٤١٣-٤١٤، و ٣/ ١٨٧-١٩٣ مع الطبري ٥/ ٤٢٢-٤٢٣، و٣/ ١٩٧ مع الطبري ٥/ ٤٢٢.

(2) ياقوت، معجم الأدباء ٥/ ٩٠.

ويبدو أن البلاذري ترك ذكر أبي مخنف باعتباره أحد الأخباريين الشيعة الذين لهم اهتمام بالتأليف عن العلويين وأخبارهم، فإيراد اسمه في مواضع متعددة من كتابه تجعله عرضة للانتقاد، وبالأخص من السلطة السياسية في عصره.

ومما يدل على مراعاته لتلك العلاقات المتأزّمة بين العباسيين والعلويين، أنه يلجأ إلى اختصار روايات أبي مخنف، وخاصة تلك الروايات التي تحمل طابعًا مأساويًا وحزينًا للحسين ﷺ، وأفراد أسرته.

الأمر الثاني: أن البلاذري سلك منهج المحدثين خلال تأليفه لكتابه أنساب الأشراف؛ وذلك عن طريق توثيق الروايات، وتوثيق الرواية في ذلك العصر لا يتم إلا بالتحديث والسماع من الراوي نفسه، وذلك من أجل بقاء السلسلة متصلة حتى الحدث.

ولكي يستطيع البلاذري تقديم منهج مُوثَّق لرواياته فقد اعتمد على الإسناد في كل خبر يورده، ويبدو أن كتب أبي مخنف لم تصل إليه إجازة عن طريق السماع، وإنما تحصل عليها وجادة، لذا تحرَّج من ذكر أبي مخنف بدون إسناد موصل له، ولكنه حينما أورد خبر معركة الحرة ذكر أبا مخنف، ولكن قرنه بعوانة بن الحكم[1]. مما يدلل على عدم ثقته بكتب أبي مخنف التي تحصَّل عليها وجادة، خاصة أن التحريف قد طال كتب أبي مخنف.

ويعزو فؤاد سزكين السبب في ذلك إلى أن «كتب أبي مخنف كانت من الكتب

(١) البلاذري، أنساب الأشراف: ٤/ ٢٩٩، ٣٠٧.

التي كثر قُرّاؤها، ولا سيما بين الشيعة، وهناك مؤلفات وصلت إلينا منسوبة له، غير أنها تبدو بتعديلات متأخّرة، فيها تصرف في النص زاد بمضي الوقت زيادة مطردة، حتى أصبحت نصوصها بعيدة عن أصل المؤلف، ورغم هذا نجد فيها نواة من الحقيقة، وفي بعض المواضع نصوصًا لم تتغير، وهذا ما أثبته فستنفلد في دراسته لكتابين كانا معروضين في ذلك الوقت،وهما: مقتل الحسين، والمختار الثقفي»[1].

حتى أن علماء الشيعة أنفسهم شكّكوا في صحة ما ينسب لأبي مخنف، مثل: (كتاب مقتل الحسين...).

فقد قال عباس القمي: «كان أبو مخنف من أعاظم مؤرخي الشيعة، ومع اشتهار تشيعه اعتمد عليه علماء السنة في النقل عنه؛ كالطبري، وابن الأثير، وغيرهما، وكتاب: مقتل الحسين الذي نقل عنه أعاظم العلماء المتقدمين، ولكن للأسف أنه فقد ولا يوجد منه نسخة.

---

(١) تاريخ التراث العربي: ١/ ١٢٨؛ وانظر الدراسات باللغة الإنجليزية في تاريخ الأدب العربي لبروكلمان ١/ ٢٥٣.

وقد ذكر بروكلمان أن مما ينسب لأبي مخنف كتاب: «ذكر مقتل سيدنا ومولانا الحسين بن علي، أو: المصرع الشين في مقتل الحسين» وهو مخطوط في مكتبة (أمبروزيانا برقم ٢٢٣)، وفي (جوتنجن رقم ١٨٢٨)، وفي (ليون ٢، ٩٠٩)، وفي (بطرسبرج رابع ٧٨)، وبطرسبرج خامس ١٥١) وقد نشره عبد الله بن موسى بن جعفر بن محمد بن طاووس الحسيني على أساس نسخة أمبروزيانا في بومباي سنة ١٣١١هـ. ويوجد صورة لمخطوطة الأمبروزيانا بمكتبة إحياء التراث بجامعة أم القرى، وقد اطلعت عليها ووجدت أنها لا تمت بصلة لأبي مخنف، فالراوي يذكر حوادث في عهد هارون الرشيد رحمه الله، إضافة إلى ركاكة الأسلوب وضعف اللغة.

وأما المقتل الذي بأيدينا وينسب إليه فليس له، بل ولا لأحد من المؤرخين المعتمدين، ومن أراد تصديق ذلك فليقابل ما في هذا المقتل وما نقله الطبري وغيره عنه، حتى يُعلم ذلك»[1].

ولكن الذي يهمنا هي تلك المعلومات التي وصلت إلينا عن مقتل الحسين ﷺ لأبي مخنف من طريق الطبري.

فبالنظر إلى روايات أبي مخنف ومقارنتها مع رواية عمار الدهني عن مقتل الحسين، نجد أن التشابه القائم بين الروايتين كبير.

الأمر الذي يجعلنا نؤكِّد أن أبا مخنف لا يتدخل بالدس والتحريف في كل رواية يوردها، وذلك حتى توافق ميوله العقائدية والسياسية.

بل إنه في بعض الأحيان يُرجِّح أخبارًا لا تتفق مع ما يُنحى إليه[2].

ولعل هذا هو السبب الذي جعل الشيعة يضعِّفونه بالرغم من اعترافهم بأنه شيعي[3].

فقد قال عنه السيد هاشم معروف الحسيني - وهو شيعي - بعد أن ذكر رواية من طريق أبي مخنف: «ويكفي هذه الرواية عيبًا أنها من مرويات أبي مخنف - لوط بن يحيى - وقد ضعَّفه السنة والشيعة، ولم يثقوا بمروياته...»[4].

---

(١) عباس القمي، الكنى والألقاب: ١/ ١٥٥.

(٢) الطبري: ٥/ ٤١٣.

(٣) النجاشي، رجال النجاشي: ص ٢٢٤، الحر العاملي، خاتمة الوسائل: ص ٣٠٥ نقلا عن عبد الرحمن عبد الله الزرعي، رجال الشيعة في الميزان: ص ١٥١-١٥٢.

(٤) السيد هاشم معروف الحسيني، الموضوعات في الآثار والأخبار، ص ٢١٥، نقلا عن عبد الرحمن الزرعي، رجال الشيعة في الميزان: ص ١٥٢.

ولكن مع ذلك فإن الصفة التي قدمها أبو مخنف لاستشهاد الحسين ﷺ لا تخلو من العاطفة الشيعية التي طغت على بعض الحقائق الثابتة.

ولهذا قال ابن كثير: «وللشيعة والرافضة في صفة مصرع الحسين كذب كثير وأخبار باطلة...»[١].

وهذا هو الشيء الذي يجعلنا نتعامل مع تلك الروايات التي قدمها أبو مخنف عن قتل الحسين ﷺ بكل حذر.

٢- عمار الدهني:

من الرواة المهمين الذين شاركوا في نقل أخبار حركة الحسين بن علي ﷺ: أبو معاوية عمار بن معاوية الدُّهني البَجَلي الكوفي.

وتتضح أهمية رواية عمار باعتبارها رواية عن أهل الحدث نفسه؛ فقد نقل خروج الحسين إلى الكوفة، ثم مقتله ﷺ عن طريق أبي جعفر الباقر: محمد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب[٢].

وقد نقل الطبري عن عمار الدُّهني فيما يخص معركة الجمل[٣] ومعركة النهروان[٤]، ولما ترجم الذهبي لعمار الدُّهني وصفه بـ «الإمام المحدث»[٥].

---

(١) البداية والنهاية: ٩/ ٢٠٣.

(٢) ابن حجر، تقريب التهذيب: ص ٤٩٧، تهذيب التهذيب: ٧/ ٣٥٥-٣٥٦.

(٣) الطبري: ٤/ ٥١١.

(٤) المصدر نفسه: ٥/ ١٢٥.

(٥) الذهبي، سير أعلام النبلاء: ٦/ ١٣٨.

وقال عنه ابن حجر: «صدوق يتشيع»[١].

ولعل هذا هو السبب الذي جعل ابن حجر يعتمد على رواية عمار الدُّهني عن حركة الحسين رضي الله عنه[٢].

وبالرغم من ضعف طريق رواية عمار الدُّهني[٣]، إلا أنها تبقى مهمة من حيث الحكم على روايات أبي مخنف التي أوردها عن حركة الحسين رضي الله عنه، وذلك عند مقارنتهما مع بعضهما البعض.

٣- عوانة بن الحكم:

وهو أخباري صدوق[٤]، وقد نقل عنه الطبري في مقتل الحسين خمس روايات[٥] لا تخلو من الأهمية، ولعلَّه أخذها من كتابه «سيرة معاوية وبني أمية»[٦].

٤- الحصين بن عبد الرحمن السلمي:

أبو الهذيل الكوفي -وهو ثقة[٧]- المتوفى سنة ١٣٦هـ وله ثلاث وتسعون سنة.

---

(١) ابن حجر، التقريب: ص٤٠٨.

(٢) ابن حجر، تهذيب التهذيب: ٢/ ٣٠١-٣٠٥، وله أيضًا الإصابة: ٢/ ٧٨-٨١.

(٣) الطبري: ٥/ ٣٤٧، وفي سند الرواية خالد بن يزيد بن أسد بن عبد الله القسري، وهو ضعيف. (الذهبي، ميزان الاعتدال ١/ ٦٤٧).

(٤) الذهبي، سير أعلام النبلاء: ٣٨٦.

(٥) الطبري: ٥/ ٤٦٣، ٣٨٦، ٣٥٦، ٤٦٥-٤٦٧.

(٦) ابن النديم، الفهرست: ص ١٠٣. وانظر للتوسّع عن معاوية رسالة الأخ الزميل: عبد العزيز السلومي حول عوانة بن الحكم، رسالة ماجستير نوقشت بالجامعة الاسلامية عام ١٤١٠هـ.

(٧) ابن حجر، التقريب: ١٧٠.

وقد قدَّم عدة روايات مهمة بشأن القتال الذي جرى بين الحسين ﷺ وبين ابن زياد[١].

وتكمن أهمية الروايات التي أوردها كونه معاصرًا للحدث، إضافة إلى نقله عن أناس شاهدوا الحدث، واشتركوا فيه[٢].

٥- محمد بن عمر الواقدي:

المتوفى سنة ٢٠٧هـ، وكان من أوعية العلم، وسارت الركبان بكتبه في المغازي والسير[٣].

وقال عنه إبراهيم الحربي: «ناهيك به؛ إنه أمين الناس على أهل الإسلام، كان أعلم الناس بأمر الإسلام، فأمَّا الجاهلية فلم يعلم منها شيئًا»[٤].

وقال عنه الخطيب: «هو من طبق شرق الأرض وغربها»[٥].

ولكن مع ذلك فإنه مُجْمع على ضعفه، وأجود الروايات عنه رواية ابن سعد في الطبقات؛ فإنه كان يختار من حديثه بعض الشيء[٦].

والذي يهمّنا رواية الواقدي عند ابن سعد في كتاب الطبقات، وقد اعتمد ابن

---

(١) ابن حجر، تهذيب التهذيب: ٢/ ٣٠١-٣٠٥، وله أيضًا الإصابة: ٢/ ٧٨-٨١.

(٢) المصدر نفسه: ٥/ ٣٩٢، وقد نقل عنه البلاذري هذه الرواية في أنساب الأشراف: ٣/ ٢٢٤-٢٢٥.

(٣) السخاوي، التحفة اللطيفة: ٣/ ٦٩٧.

(٤) المصدر نفسه، ونفس الصفحة.

(٥) تاريخ بغداد: ٣/ ٣.

(٦) السخاوي، التحفة اللطيفة: ٣/ ٣٩٨.

سعد على رواية الواقدي فيما يخص قتل الحسين ﷺ، وذلك حينما ترجم للحسين في الطبقة الخامسة من الطبقات الكبرى[١].

ويبدو أن ابن سعد اعتمد في أخباره التي أخذها من الواقدي على كتابه المسمى (مقتل الحسين)[٢].

ولكن ابن سعد سلك في أخبار خروج الحسين ﷺ، ثم مقتله في كربلاء مسلكًا غريبًا قلَّما يلجأ إليه خلال كتابه الطبقات الكبرى.

فقام بحشد أسانيد الواقدي الأربعة، إضافة إلى خمسة أسانيد أخرى مستقلة، ومن ضمنها رواية أبي مخنف، وساق أخبار هذه الروايات بعدما أدخل بعضها في بعض، بحيث أصبحت وكأنها رواية واحدة[٣].

وبهذا العمل من ابن سعد فقد فوَّت علينا القدرة على تمييز رواية الواقدي من غيرها.

٦- أبو معشر السندي، واسمه نجيح بن عبد الرحمن السندي المدني:

توفي سنة ١٧٠هـ، وهو ضعيف[٤].

وقد شارك أبو معشر بروايات عدة عن الحسين ومقتله ﷺ.

وقد نقل عنه أبو العرب روايته المتعلقة بقتل الحسين ﷺ[٥]، إضافة إلى إبراهيم البيهقي، فقد احتوى روايته ونقلها- كما يبدو - كاملة[٦].

---

(١) وقد استغرقت ترجمة الحسين ﷺ من: ص ٣٠٠ إلى ٤٢٣ من الطبقة الخامسة.

(٢) ابن النديم، الفهرست ص ١١١.

(٣) طبقات ابن سعد: الطبقة: ٥/ ٣٥٤.

(٤) ابن حجر، التقريب: ٥٥٩.

(٥) أبو العرب، المحن: ص ١٤٨-١٥٤.

(٦) البيهقي، المحاسن والمساوئ: ٨٠-٨٦.

وقد نقل رواية أبي معشر هذه ابن عبد ربه في العقد الفريد، وإن لم يُصرِّح باسم أبي معشر، ولكنه أخذها من طريق أبي عبيد القاسم بن سلام[١]، وبالتأكيد فإن كل من نقل عن أبي معشر فيما يخص حركة الحسين ﷺ، كان اعتماده على كتاب: (تاريخ الخلفاء) لأبي معشر.

وهذا الكتاب كان موجودًا حتى أيام الخطيب -رحمه الله- المتوفى سنة (٤٦٣هـ)؛ حيث حصل على إجازة روايته[٢].

ولكن مما يُنتقد على رواية أبي معشر عن قتل الحسين ﷺ أنها خالية من الإسناد؛ حيث كان نقله عن «بعض مشيخته»، ولم يسمهم.

هذه تقريبًا الروايات التي وصلت إلينا عن حركة الحسين ﷺ، وبالرغم من أنها تفتقر إلى صحة الأسانيد -في معظمها- إلا أنّ ورود الرواية من طرق متعددة، وبمخارج مختلفة، يعطينا إحساسًا بأن هذه الرواية تحكي كثيرًا من الحقيقة، وبالتالي يداخلنا الاطمئنان في قبولها وتحليلها.

ولعل من الجدير ذكره ونحن نتحدث عن مصادر روايات حركة الحسين أن نشير إلى تلك الروايات التي فُقدت، ولم تصل إلينا، وحتى أن المصادر التاريخية المتقدمة لا تذكر شيئًا عن تلك الروايات، وإن كان من الراجح أنها متوفرة في زمنهم.

ومن أولئك الأخباريين والمؤلفين الذين كانت لهم مؤلفات عن حركة الحسين ﷺ ولم تصل إلينا، كل من:

---

(١) ابن عبد ربه، العقد الفريد: ٤/ ٣٧٦.

(٢) انظر: مشيخة الخطيب، الظاهرية مجموع ١٨، ١٢٦ب. نقلا عن فؤاد سزكين، تاريخ التراث: العربي ١/ ٢/ ٩٥.

١-جابر بن يزيد بن الحارث الجعفي، أبو عبد الله الكوفي، مُتوفى سنة (١٢٧هـ)، وقيل سنة (١٣٢هـ)[١].

ومن مؤلفاته كتاب: (مقتل الحسين)[٢].

وهذا الكتاب لم يقتبس أحد من المؤلفين والمؤرخين السابقين أي رواية عنه.

وقد يظن البعض أن الطبري تحاشى النقل عنه بسبب رافضيته[٣]، ولكن يندفع هذا الظن حينما نجد أن الطبري قد نقل عنه في مواضع متعددة[٤]، ولكن لا نجد له رواية واحدة في مقتل الحسين رضي الله عنه.

وهذا يدعونا إلى الشك في صحة نسبة هذا الكتاب لجابر الجعفي، وخاصة إذا عرفنا أن أبا مخنف لم ينقل عن جابر أيَّ رواية واحدة تتعلق بحركة الحسين رضي الله عنه، بالرغم أنه أحد مشايخه[٥].

٢-نصر بن مزاحم المتوفى سنة ٢١٢هـ[٦]. ذكر له ابن النديم كتاب: (مقتل

---

(١) ابن حجر، تهذيب التهذيب: ٢/ ٤٢، وهناك خطأ في ميزان الاعتدال للذهبي: ١/ ٣٨٤ حين جُعلت وفاته سنة ١٦٧هـ.

(٢) إسماعيل باشا، إيضاح المكنون: ص ٥٤٠؛ عمر رضا كحالة، معجم المؤلفين: ٣/ ١٠٦، فؤاد سزكين، تاريخ التراث العربي: ١/ ٢/ ١٢٦.

(٣) ابن حجر، التقريب: ص ١٣٧.

(٤) انظر فهارس تاريخ الطبري: ١٠/ ٢٠٤.

(٥) الذهبي، سير أعلام النبلاء: ٣/ ٣٠١-٣٠٢.

(٦) الخطيب، تاريخ بغداد: ١٣/ ٢٨٢-٢٨٣؛ ياقوت، معجم الأدباء: ١٩/ ٣٢٥.

الحسين)[١] ولكن لم تصل إلينا روايات عن هذا الكتاب.

٣-أبو بكر عبيد الله بن محمد القرشي الأموي البغدادي المشهور بابن أبي الدنيا[٢].

وهو من المحدثين الكبار، وقد خلف ثروة هائلة من المؤلفات المفيدة، التي تناولت غالب الفنون، خاصة فن التاريخ.

والذي يهمنا من مؤلفاته التاريخية كتابه: (مقتل الحسين)[٣].

ويبدو أن هذا الكتاب كان موجودًا أيام ابن الجوزي المتوفى سنة (٥٩٧هـ)، فقد نقل عنه في موضعين[٤].

وقد تحمَّل هذا الكتاب إجازة مسند عصره الإمام أبو علي الحسن بن أحمد بن الحسن بن محمد الأصبهاني الحداد المتوفى سنة (٥١٥هـ).

وقد أجاز له هذا الكتاب الإمام المحدث أبو نعيم الأصبهاني[٥].

ويمكن لنا من خلال تتبع كتب المشيخات والفهارس أن نصل إلى أي فترة كان هذا الكتاب موجودًا فيها.

وقد نقل عن هذا الكتاب ابن كثير[٦]، ولا نستطيع الجزم أنه نقل عنه مباشرة.

---

(١) ابن النديم، الفهرست: ص ١٠٦؛ ياقوت، معجم الأدباء: ١٩/ ٢٢٥.

(٢) الذهبي، تذكرة الحفاظ: ٢/ ٦٧٧-٦٧٩؛ ابن حجر، تهذيب التهذيب: ٦/ ١٢-١٣؛ وانظر ترجمته مفصلة في مقدمة كتابه: (كتاب الصمت وآداب اللسان) تحقيق فضيلة الدكتور نجم عبدالرحمن خلف.

(٣) الذهبي، سير أعلام النبلاء: ١٣/ ٤٠٣.

(٤) ابن الجوزي، المنتظم: ٥/ ٣٤٢، ٣٤٤.

(٥) الذهبي، سير أعلام النبلاء ١٩/ ٣٠٦.

(٦) ابن كثير، البداية والنهاية ٨/ ٢٠٢، ٢٠٦.

ولكن شيخ الإسلام ابن تيمية أشار إلى هذا الكتاب وغيره في معرض ردِّه على ابن مُطَهِّر الرافضي.

ومعروف أن شيخ الإسلام ابن تيمية له اطلاع واسع على الكتب والمؤلفات في شتى الفنون، ومن نظر في إحدى مؤلفاته الكثيرة يتأكَّد له ذلك.

فقال رحمه الله: «والذين نقلوا مصرع الحسين زادوا أشياء من الكذب كما زادوا في قتل عثمان، وكما زادوا فيما يراد تعظيمه من الحوادث، وكما زادوا في المغازي والفتوحات وغير ذلك.

والمصنفون في قتل الحسين منهم من هو من أهل العلم؛ كالبغوي وابن أبي الدنيا وغيرهم، ومع ذلك فيما يروونه آثار منقطعة وأمور باطلة،وأمَّا ما يرويه المصنفون في المصرع بلا إسناد، فالكذب فيه كثير»[١].

وهناك أمل كبير في أن يكون كتاب ابن أبي الدنيا (مقتل الحسين) لا يزال موجودًا، وذلك في إحدى خزائن الكتب التي لم تفهرس بعد.

ومما يساعد على ترقب هذا الأمل أن الكثير من كتب ابن أبي الدنيا لا تزال تصلنا، وقد اكتشف الكثير منها[٢].

---

(١) ابن تيمية، منهاج السنة ٤/ ٥٥٦.

(٢) إضافة إلى ما خرج من كتب ابن أبي الدنيا فإنه لا يزال له كتابان مهمان مخطوطان، الأول: بعنوان: (مقتل أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام)، في مكتبة الظاهرية برقم (٣٨٣١) والثاني بعنوان: (حلم معاوية) أيضًا في نفس المكتبة برقم (٣٢٤٩) انظر خالد الريان فهرس مخطوطات كتب الظاهرية (التاريخ وملحقاته) ٢/ ٦٤٢، ٦٩٠.

٤-محمد بن زكريا بن دينار الغلابي[١]؛ له مؤلف باسم: (مقتل الحسين)[٢]، ولكن هذا الكتاب لم يصل إلينا، وحتى أنه لم يصل من خلال الكتب الأخرى شيء أُخذ من هذا الكتاب.

٥-الحسين بن عبد الرحمن بن خلاّد الرّامَهُرْمُزِي[٣] (ت ٣٦٠هـ)، وهو إمام مُحدِّث، ذكر ياقوت أن له كتاب: (الريحانتين: الحسن والحسين)[٤].

وأظن أن هذا الكتاب لا يتناول الأحداث التاريخية التي جرت لكل من الحسن والحسين، وإنما هو عبارة عن جزء حديثي جمع فيه المصنف فضائل الحسن والحسين.

٦-أبو القاسم الحسين بن مسعود البغوي (ت ٥١٦هـ)[٥]، وهو إمام مُحدِّث له كتاب: (مقتل الإمام الحسين)[٦].

ويبدو أن هذا الكتاب قد فقد، وإن كانت هناك رواية عند ابن كثير صرَّح بأخذها من أبي القاسم البغوي، ولعلَّ ابن كثير أخذ هذه الرواية من طريق آخر، وليس من الكتاب مباشرة.

---

(١) وهو ضعيف جدًا: (الذهبي، ميزان الاعتدال: ٣/ ٥٥٠).

(٢) إسماعيل باشا، إيضاح المكنون: ٤/ ٥٤٠.

(٣) الذهبي، سير أعلام النبلاء: ١٦/ ٧٣-٧٤.

(٤) ياقوت، معجم الأدباء: ٩/ ٥.

(٥) الذهبي، سير أعلام النبلاء: ١٩/ ٤٣٩.

(٦) حاجي خليفة، كشف الظنون: ٢/ ١٧٩٤.

٧-أبو القاسم محمود بن المبارك بن الحسين البقرة، المعروف بالمحبر، (ت ٥٩٢هـ)[١]، وقد صنّف كتابًا في: (مقتل الحسين).

٨-ضياء الدين أبو المؤيد موفق الدين أحمد الخوارزمي؛ له كتاب عن (مقتل الحسين).

وكان هذا الكتاب عند ابن الوزير اليماني المتوفى سنة (٨٤٠هـ)، وقال: «وهو عندي في مجلدين»[٢].

ويبدو أن صاحب هذا الكتاب لم يأت بشيء جديد، وإلا لنقله ابن الوزير في كتابه حين تكلَّم عن الحسين ﷺ.

وكما يبدو أن هذا الكتاب وغيره من الكتب المؤلفة في مقتل الحسين ﷺ من أمثال: «نور العين بمشهد الحسين» للأستاذ السفراييني، وكتاب «دُرَرْ السمط من أخبار السِّبْط» لابن الأبَّار، ليس فيها شيء من التحقيق والنظرة الواقعية للحدث، بل غلب عليها الحزن والتباكي على الحسين ﷺ، وذكر فضائله، ولعن أعدائه، دون التعرُّض لجوهر القضية، ومناقشة الروايات، ثم الخروج بتصوُّر صحيح عن الحادثة. ولعل هذا هو السر في أنَّ الطبري وغيره من المؤرخين اعتمدوا فقط على رواية أبي مخنف، ورواية عمَّار بن معاوية الدُّهني، لقربهما من الحقيقة، ولأنها تقدّم سردًا واقعيًا للحادثة.

---

(١) هكذا وقع عند إسماعيل باشا في إيضاح المكنون: ٤/ ٥٤٠ وعند الذهبي: مجير الدين، انظر: (السير ٢١/ ٢٥٥-٢٥٦).

(٢) ابن الوزير، الروض الباسم: ٢/ ٣٩.

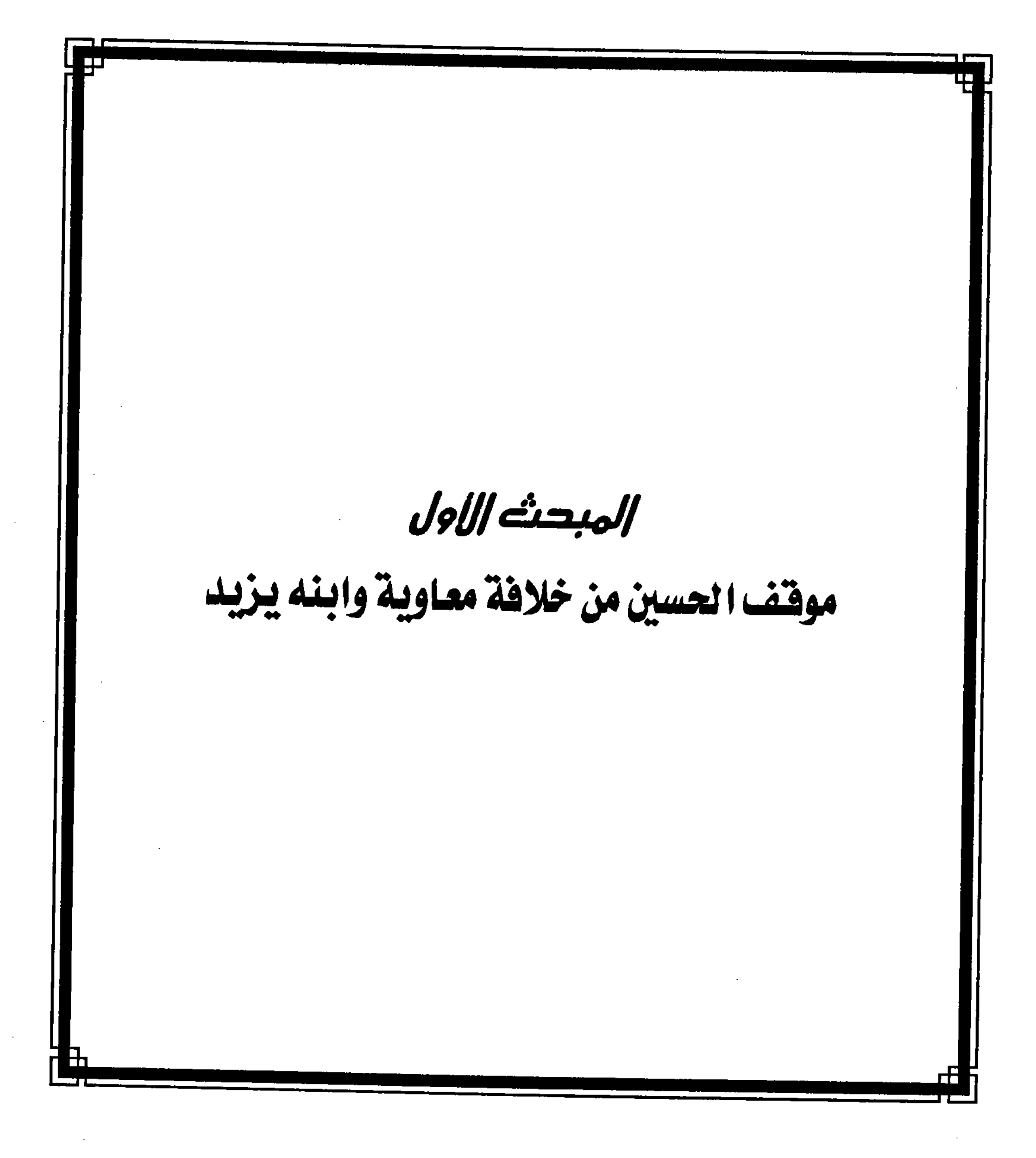
ولعلَّ من صنيع ابن حجر أيضًا دلالةً على ذلك، حينما اعتمد على رواية عمَّار ابن معاوية الدُّهني في حركة الحسين ﷺ، ثم قال:

«وقد صنَّف جماعة من القدماء في مقتل الحسين تصانيف فيها الغث والسمين، والصحيح والسقيم، وفي هذه القصة التي سقتها غِنىً»[١].

---

(١) ابن حجر، الإصابة: ٢/ ٨١.





المبحث الأول

موقف الحسين من خلافة معاوية وابنه يزيد



المبحث الأول

موقف الحسين من خلافة معاوية وابنه يزيد

أ- موقف الحسين من تنازل الحسن عن الخلافة لمعاوية ﷺ:

لقد كان الحسن بن علي من المعارضين لخروج أبيه من المدينة؛ لأنه يعرف ما يترتب على ذلك من حروب وفتن، ولمَّا أدرك علي ﷺ ما حدث من النتائج المروعة لمعركة الجمل، عرف أهمية نصح ولده في تلك اللحظة، فكان الحسن يقول:

«لقد رأيتني وهو يلوذ بي -أي أبوه علي- ويقول: ليتني مِتُّ قبل هذا بعشرين سنة»[١]. ولمَّا استشهد علي ﷺ، اجتمع أهل الكوفة وبايعوا الحسن بالخلافة.

وعندما اتضح للحسن أن حربه مع معاوية ﷺ ستُفضي إلى سفك الدماء، وتعطيل الجهاد في سبيل الله، ثم معرفته الأكيدة بأولئك الجند الذين ينضوون تحت لوائه، عزم على مبايعة معاوية بالخلافة والتنازل له بذلك[٢].

وهو الأمر الذي امتدحه عليه من قبل جده ﷺ، وقد جعل هذا الموقف الذي أقدم عليه الحسن؛ جعله مثالا للمسلم الصادق الزاهد، الذي يتنازل عن الدنيا ويُعرض عنها ابتغاء مرضاة الله وحده.

ولكن تنازل الحسن لم يحظ بموافقة الحسين، بل كان للحسين موقف مغاير لما أقدم عليه أخوه؛ فعندما عرض الحسن على الحسين رأيه الذي سيقرر بموجبه

---

(١) لقد سبق تخريجه في مبحث: تفكير معاوية في أخذ البيعة ليزيد... ص ١٣٢ هامش (٣).

(٢) انظر ذلك بالتفصيل في الفصل السابق.

التنازل عن الخلافة لمعاوية، جُوبه بمعارضة شديدة من الحسين؛ ولكن الحسن عزم على رأيه بكل حزم، وردَّ على أخيه محذرًا من المخالفة، قائلًا له:

«والله ما أردت أمرًا قط إلا خالفتني إلى غيره، والله لقد هممت أن أقذفك في بيت فأُطَيِّنه عليك، حتى أَقْضِي أَمْرِي». فلـمَّا رأى الحسين غضبه تابعه، وقال: أمرُنا لأمرِك تبع»[١].

ولم يكن هذا الصلح مُفرحًا بالنسبة للشيعة في الكوفة، بل أظهروا الندم والحسرة على ترك القتال[٢].

وحاولوا أن يُثنوا الحسن عن رأيه، ولكن الحسن رفض مطالبهم، وأجابهم بخلاف ما أرادوا[٣].

وأمام إصرار الحسن على رأيه في التنازل بالخلافة لمعاوية، لجئوا إلى الحسين وعرضوا عليه مباغتة معاوية وجيشه وهم غارُّون؛ وذلك بعد الصلح مباشرة. ولكن الحسين أقنعهم بأنه قد بايع لمعاوية، ومن الاستحالة الإقدام على هذا الأمر[٤].

وقد كان الحسين يعرب أمام مناصريه رفضه لذلك الصلح، ويُبيِّن لأنصاره

---

(١) ابن سعد: ط٥/ ٢٦٩،٢٧٠، بسند صحيح.

وابن عساكر: ٤/ ق ٣٥؛ المزي، تهذيب الكمال: ٦/ ٢٤٨؛ والذهبي ، سير أعلام النبلاء: ٣/ ٢٦٤-٢٦٥ وكلهم من طريق ابن سعد.

(٢) البلاذري، أنساب الأشراف: ٣/ ١٥٠ بسند جمعي (قالوا).

(٣) المصدر السابق: ٣/ ١٥٠ بسند جمعي.

(٤) المصدر السابق: ٣/ ١٥٠ بسند جمعي.

أن الحامل له على مبايعة معاوية هو متابعة أخيه، واحترام رأيه فقط.

ولما أراد الرحيل من الكوفة إلى المدينة دخل عليه جندب بن عبد الله الأزدي، والمسيَّب بن نَجبَة الفَزَاريّ، وسليمان بن صُرَد الخزاعي، وسعيد بن عبد الله الحنفي، فلما رأى ما بهم من الكآبة تحدث إليهم وقال:

«إن أمر الله كان قدرًا مقدورًا، وإن أمر الله كان مفعولًا. وذكر كراهة ذلك الصلح، وقال: كنت أُفَضِّل الموت على ذلك، ولكن أخي عزم عليَّ، وناشدني فأطعته، وكأنما يُحَزُّ في نفسي بالمواسي ويُشَرِّح قلبي بالمدي. وقد قال الله ﷻ: ﴿ فَعَسَىٰٓ أَن تَكۡرَهُواْ شَيۡـٔٗا وَيَجۡعَلَ ٱللَّهُ فِيهِ خَيۡرٗا كَثِيرٗا ﴾ [النساء:١٩]»[(١)].

ثم أكَّدوا له أنهم شيعته، وعرضوا عليه الرجوع عن الصلح مرة أخرى، ولكنه رفض هذا الطلب، ثم أبدى تحسُّره لفراقهم وفراق الكوفة[(٢)].

لقد كان الحسين كارهًا لحدوث هذا الصلح أصلاً، ولكن المبايعة لمعاوية قد تمت، وأصبحت خلافته خلافة شرعية، فهو لا يريد أن يشق عصا المسلمين، ولهذا فقد أشار على مناصريه بعدم المعارضة ما دام معاوية حيًا، وأخذ أنصار الحسين بنصيحته، واستمروا في الغزو، وأخذ العطاء من الدولة[(٣)].

وبهذا يتبين لنا أن شيعة الحسن والحسين قد اعترضوا على الصلح، ولكن الحسين هو الذي طلب منهم الهدوء والموادعة حتى يموت معاوية، ولهذا قال

---

(١) أنساب الأشراف: ٣/ ١٤٨-١٤٩ بإسناد جمعي (قالوا).

(٢) المصدر السابق: ٣/ ١٤٩ بإسناد جمعي.

(٣) المصدر السابق: ٣/ ١٥٠ بإسناد جمعي.

الذهبي: «بلغنا أن الحسين لم يعجبه ما عمل أخوه من تسليم الخلافة إلى معاوية، بل كان رأيه القتال، ولكنه كظم وأطاع أخاه وبايع»(١).

وإنما كان هدوء الشيعة ومتابعتهم للحسن نتيجة لما لمسوه من ممانعة الحسين لهذا الصلح، ولذلك الوعد الذي وعدهم به الحسين إذا توفي معاوية.

وليس الأمر ما ذهب إليه محمد كرد علي حينما يقول: «وأكبرت شيعة الحسن أمر هذا الصلح،ولم يسعها إلا أن تحمله على محمل الخير، لاعتقادهم بعصمة آل البيت في كل ما يصدر من أقوالهم وأفعالهم، لا يسألون عما يبدو منهم»(٢).

فإن ما ذهب إليه محمد كرد علي بعيد جدًا، وبالأخص إذا عرفنا أن الشيعة قد أبدو المعارضة،ثم اعتقاد الشيعة بعصمة آل البيت إنما هي متأخّرة نسبيًا عن هذا الحدث، حتى وإن كان هناك من يعتقد هذا الاعتقاد، فهي بلا شك حالات شاذة ولا يمكن أن تُعمَّم على المجتمع الكوفي بأكمله.

وبعد تنازل الحسن بالخلافة لمعاوية انتقل الحسين مع أخيه إلى المدينة(٣).

ويبدو أن صلات الحسين بمعاوية كانت طيبة، واستمرت العلاقات بين الطرفين بكل احترام وتقدير، وكان معاوية دائم الوصل للحسين، ويسارع في تلبية مطالبه وحاجاته، وكان يغدق عليه العطاء؛ حتى أنه أعطاه في بعض الأحيان أربعمائة ألف، وكان من ضخامة هذا المبلغ أنه لم يتحصل عليه أحد قبل

---

(١) سير أعلام النبلاء: ٣/ ٢٩١.

(٢) محمد كرد علي، الإسلام والحضارة الغربية: ٢/ ٣٩٣.

(٣) الإصابة: ٢/ ٧٨.

الحسين ولا بعده[1]. ولكن علاقة الكوفيين بالحسن والحسين لم تنقطع بعد خروجهما من الكوفة واستقرارهما في المدينة، بل استمرت العلاقة بين الجانبين عن طريق الرسائل التي يبعث بها الكوفيون باستمرار. ولقد كانت تلك الرسائل- كما يبدو- تحمل دعوة لمعارضة الحكم الأموي، كما تحمل تأكيدًا بأحقيتهما في الخلافة، واستنهاض هممهم إليها. وما كانت تلك الكتب لتؤثّر على الحسن، بل أعطته انطباعًا وتصورًا واضحًا عن أهل التشيُّع في الكوفة، وأنهم أهل شر وفتنة، ولا يريدون اجتماع الأمة ووحدة كلمتها.

«قال يزيد بن الأصم: جاءت الحسن إضبارة[2] من الكتب ، فقال: يا جارية هات المخضَّب، فصبّت فيه الماء وألقى الكتب في الماء، فلم يفتح منها شيئًا ولم ينظر إليها، فقلت: يا أبا محمد، ممن هذه الكتب؟ قال: من أهل العراق؛ من قوم لا يرجعون إلى حق ولا يقصرون عن باطل، أما أني لست أخشاهم على نفسي، ولكني أخشاهم على ذلك وأشار إلى الحسين»[3].

---

(١) ابن أبي شيبة، المصنف: ١١/ ٩٤ بسند حسن؛ وانظر قريبًا من ذلك: ابن سعد: ط٥/ ٣٢٣؛ والبلاذري: ٣/ ١٥٥ وابن عساكر ، ترجمة الحسين: ص ٧ (ط الباقوري).
ولقد اعترف الرافضة أنفسهم بعطايا معاوية للحسن والحسين وعبد الله بن جعفر. انظر: جلاء العيون للمجلسي: ص ٣٧٦؛ والكافي في الفروع ،كتاب العقيقة باب الأسماء والكنى: ٦/ ١٩. الأمالي للطوسي ٢/ ٣٣٤. شرح ابن أبي حديد: ٢/ ٨٢٣٧٨

(٢) إضبارة: الإضبارة الحُزمة من الصحف (لسان العرب ٤/ ٤٧٩).

(٣) المعرفة والتاريخ: ٢/ ٧٥٦ بإسناد حسن؛ وانظر: الطبراني، المعجم الكبير: ٣/ ٧٠(٢٦٩١) وقال الهيثمي: ورجاله رجال الصحيح غير عبد الله بن الحكم بن أبي زياد وهو ثقة (مجمع الزوائد: ٦/ ٢٤٣).

قال ابن عبد البر: «وروينا من وجوه أن الحسن بن علي لما حضرته الوفاة قال للحسين أخيه: يا أخي إن أبانا -رحمه الله تعالى- لما قُبِضَ رسول الله ﷺ استشرف لهذا الأمر، رجا أن يكون صاحبه، فصرفه الله عنه، ووليها أبو بكر، فلما حضرت أبا بكر الوفاة تشوَّف لها أيضًا، فصُرِفتْ عنه إلى عمر، فلما احتضر عمر جعلها شورى بين ستة هو أحدهم، فلم يَشك أنها لا تَعْدُوه، فصُرِفَتْ عنه إلى عثمان، فلما هلك عثمان بويع، ثم نوزع حتى جرَّد السيف وطلبها، فما صفى له شيء منها، وإني والله ما أرى أن يجمع الله فينا أهل البيت النبوة والخلافة، فلا أعرفن ما استخفَّك سفهاء أهل الكوفة فأخرجوك»[١].

ولما توفي الحسن بن علي اجتمعت الشيعة في دار سليمان بن صُرَد، وكتبوا إلى الحسين كتابًا بالتعزية في وفاة الحسن، وقالوا في كتابهم: «إن الله قد جعل فيك أعظم الخلف ممن مضى، ونحن شيعتك المصابة بمصيبتك، المحزونة بحزنك، والمسرورة بسرورك، المنتظرة لأمرك»[٢].

فرد الحسين على كتابهم: «إني لأرجو أن يكون رأي أخي -رحمه الله- في الموادعة ورأيي في جهاد الظلمة رشدًا وسدادًا، فالصقوا بالأرض، واخفوا الشخص، واكتموا الهوى، واحترسوا من الأظنَّاء، ما دام ابن هند حيًا، فإن يحدث به حدث وأنا حيٌّ يأتكم رأيي إن شاء الله»[٣].

ولقد كانت مكانة الحسين ﷺ من المسلمين بعد وفاة الحسن مكانة لا تنكر،

---

(١) الاستيعاب: ١/ ٣٩١.

(٢) أنساب الأشراف: ٣/ ١٥٢ بإسناد جمعي، الدينوري، الأخبار الطوال: ٢٢١، ٢٢٢ بدون إسناد.

(٣) المصدر السابق: ٣/ ١٥٢؛ وانظر قريبا من هذا ابن سعد: ط٥/ ٣٥٧.

وأصبح هناك شعور قوي بأن المرشَّح الوحيد بعد وفاة معاوية للخلافة هو الحسين بن علي، وقد كان يزوره كبار أهل الحجاز وزعماء الكوفة وهم لا يشكُّون في أنه سيكون الخليفة بعد معاوية(١).

ولم تقتصر محاولة الكوفيين على طلب الحسين فقط، بل إنهم طلبوا من محمد بن الحنفية القدوم عليهم، فانتبه إلى خطورة أهل الكوفة عليه وعلى آل علي بن أبي طالب، فأخذ يُحذِّر الحسين من الانجرار وراءهم، وتصديق مزاعمهم، ومما قاله للحسين: «إنَّ القوم يريدون أن يأكلوا بنا، ويَشِيطُوا دماءنا»(٢).

لقد أثارت تلك الرسائل المتبادلة بين الحسين وأهل الكوفة مخاوف بني أمية في المدينة، فكتبوا إلى معاوية يستشيرونه بشأن الحسين. فكتب إليهم بأن لا يتعرَّضوا له مطلقًا(٣).

ولا يمكن أن تَخْفى تلك الرسائل على معاوية، ولا العلاقات الوثيقة التي تربط بين الحسين وبين الكوفيين، ولهذا فقد طلب معاوية من الحسين أن يتقي الله ﷻ، وأن لا يشق عصا المسلمين، ويذكره بالله في أمر المسلمين(٤).

ولعل تلك التأكيدات المتتابعة من أهل الكوفة، والتي تؤكد جميعها مناصرة

---

(١) أنساب الأشراف: ٣/ ١٥٢ بإسناد جمعي.

(٢) ابن سعد: ط٥/ ٣٥٦ بسند جمعي، ومعنى يشيطوا دماءنا: يسفكوا دماءنا. يقال: (أشاط السلطان بدمه) عرَّضه للقتل وأهدر دمه (القاموس المحيط: ٨٧١).

(٣) أنساب الأشراف: ٣/ ١٥٢ بسند جمعي.

(٤) أنساب الشراف: ٣/ ١٥٢ بإسناد جمعي؛ ابن سعد: ط٥/ ٣٥٧ بإسناد جمعي؛ الكشي: ص ٤٨ ترجمة عمرو بن الحمق.

الحسين والوقوف معه، قد أثَّرت على الحسين، وجعلته في حيرة من أمره أمام إغراءات زعماء الكوفة له[١].

ومهما يكن من أمر تلك العلاقة الوطيدة بين الحسين وبين أهل الكوفة، فإن معاوية كان يتوقع خروج الحسين إلى الكوفة، ولهذا فقد أوصى يزيد بقوله:

«انظر حسين بن علي، بن فاطمة بنت رسول الله ﷺ، فإنه أحب الناس إلى الناس، فَصِلْ رحمه، وارفق به يَصْلُح لك أمره، فإن يك شيء فإني أرجو أن يكفيكه بمن قتل أباه وخذل أخاه»[٢].

ب- رفض الحسين بن علي البيعة ليزيد بن معاوية:

لقد كان موقف الحسين من بيعة يزيد بن معاوية هو موقف المعارض، وشاركه في المعارضة عبد الله بن الزبير.

ولم يُبْدِيا أسبابًا واضحة لممانعتهما بالبيعة[٣]، في حين أن ابن عمر وضَّح السبب، وبالفعل أرسل البيعة مباشرة عندما توفي معاوية رضي الله عنه[٤].

إن تلك الممانعة الشديدة من قبل الحسين وابن الزبير، قد عبَّرت عن نفسها بشكل عملي فيما بعد.

---

(١) ابن سعد: ط ٥/ ٣٥٦ بإسناد جمعي.

(٢) المصدر السابق: ط ٥/ ٣٨ بإسناد جمعي.

(٣) أقصد بذلك، أنهما لم يتهما يزيد في سلوكه، ولم يأتيا بأمور واضحة تطعن في تأهُّله للخلافة. ويبقى السبب الرئيسي: إرادة الشورى، وأن يتولَّى الأمة أصلحها، كما مر معنا في محاورتهما لمعاوية في مكة رضي الله عنه.

(٤) انظر فصل البيعة من هذا البحث، ص ١٢٢ .

فالحسين ﷺ كما مر معنا، كان معارضًا للصلح، والذي حمله على قبوله هو متابعة أخيه الحسن بن علي.

ثم إن الحسين بن علي استمر على صلاته بأهل الكوفة، وقد كان يعدهم بالمعارضة ولكن بعد وفاة معاوية، والدليل على ذلك أنه بمجرد وفاة معاوية سارع زعماء الكوفة بالكتابة إلى الحسين، وطلبوا منه المسير إليهم على وجه السرعة.

لقد كان منطلق الممانعة من الحسين: هو أنه أحق بالخلافة من غيره، وكان يرى أن الخلافة صائرة إليه بعد وفاة معاوية، وكان مُؤَدّى هذا الشعور تلك المكانة التي يتبوّأها الحسين من قلوب المسلمين؛ وذلك بوصفه ابن بنت رسول الله ﷺ. ثم اطْمئنانه بالقاعدة العريضة من المؤيدين له في الكوفة وغيرها.

فليس من الغريب أن يقف الحسين في وجه بيعة يزيد، ويرفضها رفضًا شديدًا، وبكل قوة.

ولما قابله معاوية بمفرده أخذ الحسين - فيما يبدو - يؤكِّد على حقه في الخلافة، وكان رد معاوية على ابنه يزيد حين استفسر عن واقع الأمر: «لعله يطلبها من غيري فلا يسوغه فيقتله»[١]؛ ولهذا قال الذهبي: «ولما بايع معاوية ليزيد تألَّم الحسين»[٢].

ولقد كان معاوية ﷺ يوصي يزيد بالحسين والرفق به؛ وذلك لقرابته من الرسول ﷺ، ولا نعلم إن كانت هذه الوصية قد تعدَّدت أكثر من مرة، أم هي التي كانت عند وفاة معاوية.

---

(١) ابن سعد: ط ٥/ ٣٥٧ بإسناده حسن؛ ابن عساكر (ترجمة الحسين): ص ١٩٩ من طريق ابن سعد.

(٢) سير أعلام النبلاء: ٣/ ٢٩١.

وسبب ذلك: أن بعض المصادر التي ذكرت وصية معاوية أشارت إلى وجود يزيد بجانب معاوية وهو في النزع عند الموت[١].

بينما الثابت والصحيح أن يزيد كان غائبًا عن دمشق حين وفاة معاوية، وقد كان بحَوَّارِين[٢].

وقد أُبلغت الوصيَّة إلى يزيد عن طريق الضحاك بن قيس الفهري، ومسلم ابن عقبة[٣].

---

(١) ابن سعد: الطبقة الرابعة ١/ ١٦٥ (رسالة دكتوراه مكتوبة بالآلة الطابعة) بسند فيه الواقدي. وابن سعد: ط ٥/ ٣٥٨ بسند جمعي؛ الطبري: ٥/ ٣٢٢ عن أبي مخنف؛ العقد الفريد: ٤/ ٢٧٣ عن الهيثم بن عدي؛ تهذيب الكمال: ٦/ ٤١٢ من طريق ابن سعد.
ولقد ورد عن أبي بردة أنه قال: دخلت على معاوية، حيث أصابته قرحته، فقال: هلم يا ابن أخي نحوي فانظر، فنظرت فإذا هي قد سَبُرت، فقلت: ليس عليك بأس يا أمير المؤمنين، فدخل يزيد فقال معاوية: إن وُليت من أمر الناس شيئًا فاستوص بهذا، فإن أباه كان لي خليلاً، أو نحو ذلك..». (الطبري: ٥/ ٣٣٢ بسند صحيح، والسند عند الطبري فيه سقط، فإن الواسطة بين عبد الله بن أحمد وأبي صالح هو الإمام أحمد، وقد أُسقط الإمام احمد من السند، بينما صرَّح عبد الله بن أحمد في أكثر من موضع أنه يروى عن أبيه عن أبي صالح؛ وانظر أيضًا ابن سعد: ط ٤/ ١/ ١٧٢ بسند حسن، ولكن الرواية لم تذكر يزيد ودخوله على معاوية، بل توقفت عند قول أبي بردة «فإذا هي قد سَبرُت». السير للذهبي: ٣/ ١٦٠ بنفس القدر الذي ذكره ابن سعد).
ويمكن أن توجه رواية الطبري على أن دخول يزيد على والده كان في بداية مرضه، وخرج يزيد إلى حوَّارين، ثم أتاه خبر وفاة أبيه هناك.

(٢) حوَّارين: من قرى حلب معروفة. (ياقوت، معجم البلدان: ٢/ ٣١٥).

(٣) ابن سعد: ط٤/ ١/ ١٧٤-١٧٦ بسند حسن ؛ البلاذري، أنساب الأشراف: ٤/ ١/ ١٥٤-١٥٦؛ الطبري: ٥/ ٣٢٣ عن عوانة؛ وله أيضًا: ٥/ ٣٢٨ بسند لا بأس به إن كان إسحاق بن خليد هو مولى سعيد بن العاص؛ ابن عبد ربه، العقد الفريد: ٤/ ٢٧٣، ابن عساكر ، تاريخ =

قال عوانة: «إن معاوية لما حضره الموت، وذلك سنة ستين وكان يزيد غائبًا، فدعا بالضحاك بن قيس الفهري- وكان صاحب شرطته- ومسلم بن عقبة المري، فأوصى إليهما، فقال: «بَلِّغا يزيد وصيتي: انظر أهل الحجاز؛ فإنهم أصلك، فأكرم من قدم عليك منهم، وتعاهد من غاب، وانظر أهل العراق؛ فإن سألوك أن تعزل عنهم كل يوم عاملاً فافعل؛ فإنَّ عزل عامل أحب إليَّ من أن تشهر عليك مئة ألف سيف، وانظر أهل الشام فليكونوا بطانتك ورعيَّتك، فإن نابك شيء من عدوك فانتصر بهم، فإن أصبتهم فاردد أهل الشام إلى بلادهم؛ فإنهم إن أقاموا بغير بلادهم أخذوا بغير أخلاقهم، وإنِّي لست أخاف من قريش إلا ثلاثة: حسين بن علي، وعبد الله بن عمر، وعبد الله بن الزبير؛ فأمّا ابن عمر فرجل قد وقذه الدين، فليس ملتمسًا شيئًا قبلك، وأمّا الحسين بن علي فإنه رجل خفيف، وأرجو أن يكفيكه الله بمن قتل أباه وخذل أخاه، وإن له رحمًا ماسة، وحقًّا عظيمًا، وقرابة من محمد ﷺ، ولا أظن أهل العراق تاركيه حتى يُخرجوه، فإن قدرت عليه فاصفح عنه، فإني لو أني صاحبه عفوت عنه، وأما ابن الزبير فإنه خِبٌّ[1] ضب، فإذا شخص لك فالبد له، إلا أن يلتمس منك صلحًا، فإن فعل فاقبل، واحقن دماء قومك ما استطعت»[2].

= دمشق: ١٦/ ق٣١٠، الذهبي، تاريخ الإسلام: حوادث ٤١-٦٠هـ) ص ٣١٦-٣١٧؛ وله أيضًا سير أعلام النبلاء: ١٣/ ١٦١ عن أبي مسهر بسند صحيح.

(١) خِبٌّ: الخِبُّ: الخداع (لسان العرب: ١/ ٣٤١).

(٢) الطبري: ٥/ ٣٢٣ عن عوانة؛ العقد الفريد: ٤/ ٣٧٢، ٣٧٤ عن الهيثم بن عدي.

وينفرد الدينوري في الأخبار الطوال: ص ٢٢٦ بالقول: إن معاوية أوصى الضحاك ليزيد، وكان غائبًا، ثم قَدِم عليه فأعاد عليه الوصية، وهذا يُعارض عدم وجود يزيد بجانب أبيه عند وفاته ﷺ.

لقد كان تصوُّر معاوية لما يجري في دولته تصورًا صحيحًا؛ فإنه عندما أوصى يزيد بهذه الوصية جعل في اعتباره الأقاليم الثلاثة التي تمثل ثقل الدولة؛ وهي: الحجاز، والعراق، والشام، ثم ذكر له العلاج المناسب في التعامل مع ميول تلك الأقاليم؛ فأهل الحجاز هم: أهله وأصله وعشيرته، فأوصاه أن يرفق بهم، وأن يجزل لهم العطاء وأن يكرمهم ويجلَّهم.

وأما أهل العراق فقد رسم معاوية ليزيد سياسة التعامل مع هذا الإقليم المضطرب غير المستقر، نظرًا لوجود القبائل العربية بشكل كبير في هذا الإقليم، وتنامي النزاعات القبلية فيما بينها، ثم وجود شريحة كبيرة من الأعراب الذين لم يكن لهم نصيب وافر من تعاليم الإسلام ومعرفة أحكامه.

وعلاوة على ذلك فإن وجود الفكر الخارجي والشيعي في هذا الإقليم -واللذين كان لهما من الأتباع والمناصرين والمؤيدين العدد الكثير- أثر على زعزعة استقرار العراق.

وهذه العقبات في العراق جعلت معاوية يشير على يزيد بأن يتعامل مع العراقيين تعامل الحذر والمستجيب لمطالبهم، حتى وإن بلغ الأمر ذروته في تنصيب أمير وعزل أمير كل يوم- اقتداء بسياسة عمر بن الخطاب ﷺ- كما أشار عليه أن يجدد صلته ويقوِّيها بأهل الشام؛ حيث إنهم يمثلون مركز الثقل للدولة، والمناصرين لها منذ بدايتها، علاوة على حسن طاعتهم لأمرائهم، ولأنهم مأمونون من الغدر، بعيدون عنه.

هذه الصفات التي تميَّز بها أهل الشام عن غيرهم جعلت معاوية يوصي يزيد بأن لا يستعين في أي حرب ضد أعدائه إلا بأهل الشام.

كما أمره بأن يحرص على أن تكون إقامة الشاميِّين في بلادهم (الشام)، وأن لا يستقروا في الأقاليم الأخرى خشية عليهم من أن يتأثَّروا بالتيارات الفكرية التي بدأت تؤثِّر في بعض الأقاليم، ومن ثم يفقدون ميزتهم التي اشتهروا بها؛ وهي حسن الطاعة.

ثم بيَّن معاوية ليزيد حالة المعارضين الثلاثة:

- فأما ابن عمر الصحابي الجليل، فإن معاوية لا يخشاه على الدولة، لما هو معروف عنه من ورع وعبادة، وبعد عن الدنيا وزخرفها، وخوفه من أن يراق دم امرئ مسلم بسببه(١).

إن هذه الصفات التي يتميز بها ابن عمر عن غيره، تجعله من الزاهدين في طلب الخلافة، الأمر الذي جعل معاوية يُطَمْئن ولده يزيد من جهته.

- وأما ابن الزبير، فقد وصفه معاوية بالدهاء، ولا يأمن على يزيد من معارضته، لهذا نصحه معاوية بأن يتعامل معه بحرص، وأن لا يخدعه، ونصح يزيد بأن يتعامل معه بحزم أيضًا؛ وذلك في حالة إبدائه المعارضة. ولكن في حالة طلبه للصلح وجنوحه إليه فقد أمر معاوية ولده يزيد بأن يقبله منه.

- وأما الحسين بن علي، فقد وصفه معاوية بأنه سريع التأثُّر، ونظرًا لتلك

---

(١) ابن سعد: ٤/ ١٤٢-١٨٨.

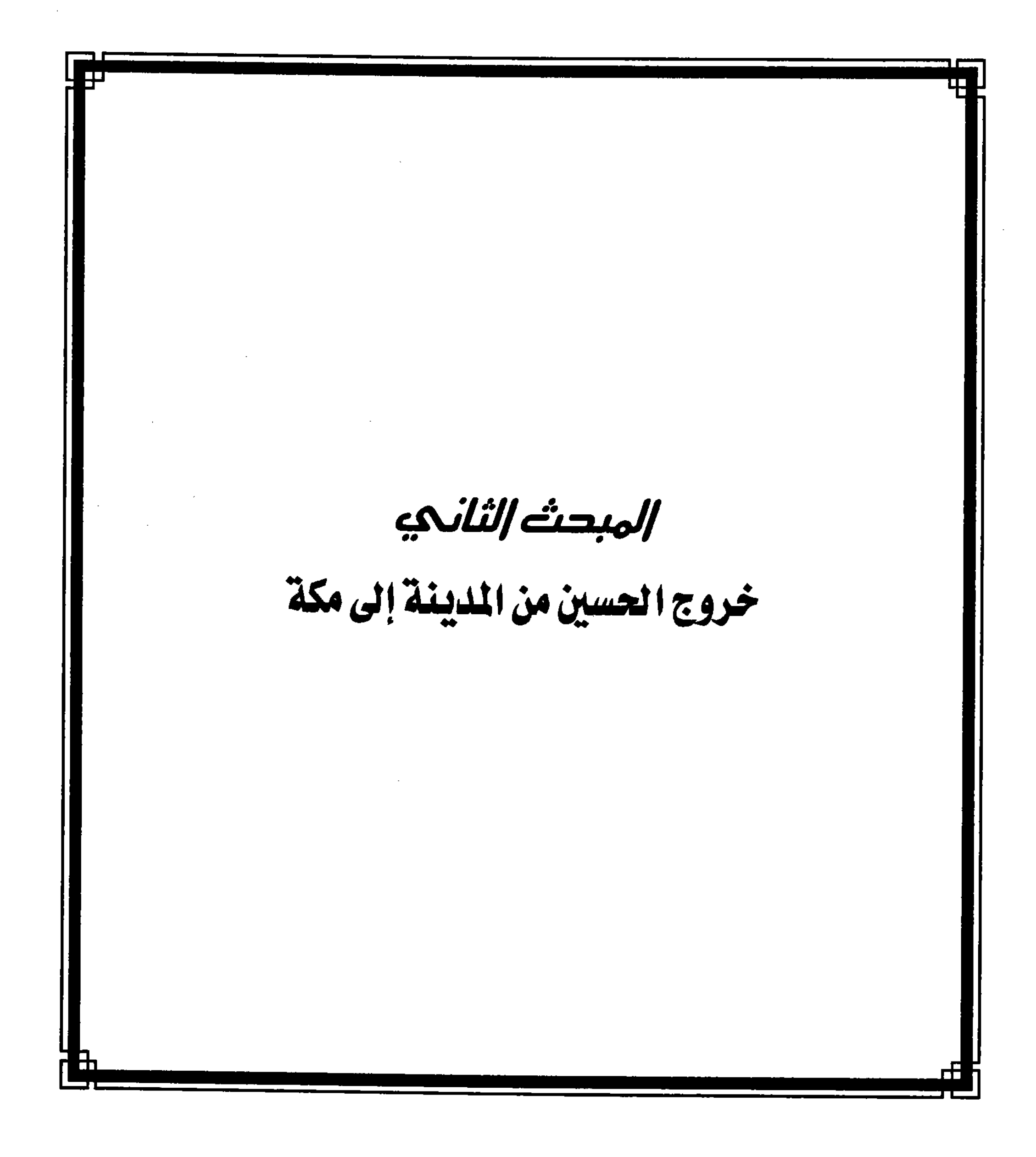
المعلومات التي وصلت معاوية عن علاقته بالكوفيين وبزعماء التشيُّع بها، فقد توقَّع معاوية خروجه للعراق بعد أن يقع تحت تأثيرهم.

ثم أكَّد على يزيد أن يُراعي في معاملته للحسين قرابته من رسول الله ﷺ، وأن يعفو عنه في حالة قيامه بالمعارضة.

كما توقع معاوية أن يلقى الحسين من أهل العراق - في حالة خروجه ومعارضته - كل خذلان، كما لقي من قبل أبوه وأخوه منهم.

ثم كان التوجيه الأخير من معاوية ليزيد بأن يسعى في المحافظة على قومه، وأن يحقن دماء المسلمين ما استطاع إلى ذلك سبيلا.

لقد كانت وصية معاوية ليزيد تنمُّ عن معرفة أكيدة وخبرة لمعاوية ﷺ في مجال العمل السياسي، وليس هذا غريبًا على معاوية؛ فهو السياسي البارع الذي بلغت الدولة في عهده أوجها وقوتها.



المبحث الثاني

خروج الحسين من المدينة إلى مكة



المبحث الثاني

خروج الحسين ﷺ من المدينة إلى مكة

توفي معاوية ﷺ في رجب من سنة ستين للهجرة[(١)].

وقام الضحاك بن قيس فخطب، وأثنى على معاوية وترحَّم عليه، ثم صلَّى عليه، وأرسل إلى يزيد وقد كان بحوَّارين، فجاء إلى قبر أبيه وصفَّ من كان معه وصلَّى على أبيه، ثم ذهب إلى داره وقال: قصيدته المشهورة التي يقول فيها[(٢)]:

جاء البريد بقرطاس يخب به ... فأوجس القلب من قرطاسه فزعا

قلنا لك الويل ماذا في صحيفتكم ... قال الخليفة أمس مثبتًا وجعا

فمادت الأرض أو كادت تميد بنا ... كأن أغبر من أركانها انقطعا

لما انتهينا وباب الدار منصفق ... لصوت رملة ريع القلب فانصدعا

من لا تزل نفسه توفي على شرف ... توشك مقادير تلك النفس أن تقعا

أودى ابن هند وأودى المجد يتبعه ... كأن يكونا جميعًا قاطنين معا

أغر أبلج يستسقى الغمام به ... لو قارع الناس عن أحلامهم فزعا

---

(١) ابن سعد: ط٤/ ١/ ١٧٦ ؛ خليفة، التاريخ: ٢٢٦؛ الطبري: ٥/ ٣٣٨؛ ابن عبد البر، الاستيعاب: ٣/ ١٤٢٠؛ ابن حجر، الإصابة: ٦/ ١٥٥ . وشذ ابن العمراني حينما قال: وبويع ليزيد في ربيع الأول سنة إحدى وستين (الأنباء في تاريخ الخلفاء: ص ٤٩).

(٢) ابن سعد: ط٤/ ١٧٦ بسند حسن؛ البلاذري، أنساب الأشراف: ٤/ ١/ ١٥٤؛ الطبري: ٥/ ٣٢٧-٣٢٨ من طريق أبي مخنف؛ ابن عبدربه، العقد الفريد: ٤/ ٣٧٣-٣٧٤؛ الأغاني: ١٧/ ٢١٢؛ ابن عساكر، ترجمة معاوية: ١٦/ ٧٥٦. شعر يزيد جمع صلاح الدين المنجد: ١٢، ١٣ وذكر ابن عبد البر نقلا عن الشافعي أن يزيد سرق البيتين ٧، ٩ من الأعشي. انظر الاستيعاب: ٣/ ١٤١٩؛ ابن كثير ٨/ ١٤٨.

وما أبالي إذا أدركت مهجته من مات منهم بالبيداء أو ظلعا
لا يرقع الناس ما أوهى وإن جهدوا أن يرقعوه ولا يوهون ما وقعا

وأمر فنودي بالصلاة جامعة، فاغتسل ولبس ثيابًا حسنة، ثم خرج وخطب الناس، فقال بعد أن حمد الله وأثنى عليه:

«أيها الناس، إن معاوية كان عبدًا من عبيد الله، أنعم الله عليه ثم قبضه إليه، وهو خير ممن بعده ودون من قبله، ولا أزكيه على الله عز وجل فإنه أعلم به، إن عفى عنه فبرحمته، وإن عاقبه فبذنبه، وقد وليت الأمر من بعده، لست أسعى على طلب، ولا أعتذر من تفريط، وإذا أراد الله شيئًا كان، اذكروه واستغفروه»[(١)].

ثم قال: «وإن معاوية كان يغزيكم في البحر، وإني لست حاملاً أحدًا من المسلمين في البحر، وإن معاوية كان يشتيكم بأرض الروم، ولست مُشتيًا أحدًا بأرض الروم، إنَّ معاوية كان يخرج لكم العطاء أثلاثًا، وأنا أجمعه كله»[(٢)].

وافترق الناس عنه وهم لا يُفضِّلون عليه أحدًا[(٣)].

وكانت هذه أول خطبة خطبها يزيد وهو أمير المؤمنين.

وكان الولاة على كل من: المدينة: الوليد بن عتبة بن أبي سفيان، والكوفة: النعمان بن

---

(١) ابن سعد: ط ٤/ ١/ ١٧٦ بسند حسن؛ ابن قتيبة، عيون الأخبار: ٢/ ٢٦٠؛ ابن عبد ربه، العقد الفريد: ٤/ ٣٧٤، ٣٧٥. ابن كثير: ٨/ ١٤٦.

(٢) ابن عساكر: ١٦/ ق ٣٦٠؛ الذهبي، السير: ٣/ ١٦٢ بسند حسن عن أبي مسهر. ابن كثير: ٨/ ١٤٦.

(٣) نفس الحاشية السابقة.

بشير، وأمير البصرة: عبيد الله بن زياد، وأمير مكة: عمرو بن سعيد بن العاص[١].

وقد كتب يزيد بن معاوية إلى الوليد بن عتبة -والي المدينة- في أول عمل له: «أن ادع الناس فبايعهم، وابدأ بوجوه قريش، وليكن أول من تبدأ به الحسين بن علي؛ فإن أمير المؤمنين عهد إليَّ في أمره بالرفق به واستصلاحه»[٢]، وطلب منه أيضًا أن يأخذ البيعة من ابن الزبير، وابن عمر[٣].

ولكن ثمة روايات تذكر أن خبر وفاة معاوية لما وصل الوليد بن عتبة والي المدينة، استشار مروان بن الحكم فيما يتخذه من ترتيبات واحتياطات لقاء هذا الحدث، فأشار عليه مروان بأن يدعو ابن الزبير والحسين بن علي ويأمرهما بالبيعة[٤].

فكان الوليد بن عتبة هو صاحب هذه المبادرة؛ أي أخذ البيعة من هؤلاء النفر.

ولكنَّا نستطيع أن نجمع بين الروايات التي تذكر أن يزيد بن معاوية هو الذي أرسل إلى الوليد بن عتبة وطلب منه أن يأخذ البيعة من الحسين وابن الزبير وابن عمر، وبين الروايات التي تجعل هذا التصرف تصرفًا شخصيًا محضًا من الوليد بن عتبة، أملته عليه الظروف، والتطوُّرات التي حدثت.

---

(١) الطبري: ٥/ ٣٣٨.

(٢) ابن سعد: ط ٥/ ٣٥٩ بإسناد جمعي.

(٣) خليفة، التاريخ: ٢٣٢ بإسناد فيه محمد بن الزبير الحنظلي وهو متروك؛ البلاذري، أنساب الأشراف: ٤/ ٢٩٩-٣٠٠ عن أبي مخنف وعوانة؛ وله أيضًا ٣٠٩ من طريق محمد بن الزبير الحنظلي؛ الطبري: ٥/ ٣٣ عن أبي مخنف؛ الشجري، الأمالي الخميسية: ١/ ١٧٠.

(٤) خليفة، التاريخ: ٣٣٢، ٢٢٣، عن جويرية عن أشياخ في المدينة؛ ابن عبد ربه، العقد الفريد: ٤/ ٣٧٦ عن القاسم بن سلام؛ البيهقي، المحاسن والمساوئ: ٨٠-٨١ عن أبي معشر.

نستطيع أن نجمع بينهما: على أن خبر وفاة معاوية لما ورد إلى الوليد بن عتبة استشار مروان، فأشار عليه مروان بأن يأخذ البيعة من الحسين وابن الزبير.

وذلك لأن رواية أبي معشر تشير إلى هذا؛ فقد قال: «إن معاوية مات للنصف من رجب سنة ستين، وورد خبره على أهل المدينة في أول شعبان...»[(١)].

وبهذا يكون البريد قد نقل الخبر بوفاة معاوية من بلاد الشام إلى الحجاز، خلال خمسة عشر يومًا تقريبًا. وهو وقت مناسب لوصول الخبر في ذلك الوقت[(٢)].

ثم بعد أن تولَّى يزيد الخلافة، أرسل رسالته التي طلب فيها من الوليد بن عتبة أن يأخذ الحسين، وابن عمر، وابن الزبير، ليبايعوا.

وخصوصًا إذا أخذنا في الحسبان أن يزيد كان غائبًا عن دمشق حين وفاة والده، ثم رجع إلى دمشق واستقبل المعزِّين، وربما استمرت التعزية مع البيعة ثلاثة أيام أو أكثر، ثم بعدها أخذ يدبِّر شؤون الدولة.

وهذا - في نظري - يستغرق وقتًا طويلاً نسبيًا؛ فليس من المعقول أن يزيد بمجرد حضوره إلى دمشق كتب إلى الوليد، وطلب منه أن يأخذ البيعة من أولئك النفر الذين حدَّد أسمائهم.

فيكون الوليد طلب البيعة ابتداء عندما بلغه خبر وفاة معاوية، ثم جاء خطاب يزيد يطلب منه أخذ البيعة من هؤلاء النفر.

---

(١) البيهقي، المحاسن والمساوئ: ص ٨٠.

(٢) انظر وصفًا للطريق من دمشق إلى المدينة عند: ابن خرداذبه، المسالك والممالك: ص ١٥٠.

ومما يدلِّل على صواب هذا الرأي: أن رسالة يزيد إلى الوليد بن عتبة فيها أمر بوجوب أخذ هؤلاء الثلاثة، ولا يُتركوا حتى يبايعوا[١]، الأمر الذي يختلف معه سلوك الوليد مع المبايعين، حين أذن لهم بالانصراف، ثم غادروا المدينة دون أن يتمكَّن الوليد من أخذ البيعة منهما، كما سنرى فيما بعد.

استشار الوليد بن عتبة بن أبي سفيان مروان بن الحكم، فأشار عليه مروان بأن يبعث في طلب الحسين وابن الزبير، فإن بايعا يخلِّ سبيلهما، وإن رفضا يقتلهما مباشرة[٢].

وتتضارب الروايات بعد ذلك، بينما تؤكد رواية البلاذري[٣] أن الوليد لما بعث في طلب ابن الزبير والحسين تشاغلا عنه، ورحلا في جوف الليل إلى مكة، وامتنعا امتناعًا قويًا من الوليد بن عتبة[٤].

ولكن رواية خليفة[٥] تذكر أن ابن الزبير حضر عند الوليد ورفض البيعة، واعتذر بأن وضعه الاجتماعي يحتِّم عليه مبايعته علانية أمام الناس، وطلب منه

---

(١) الطبري: ٥/ ٣٣٠، عن أبي مخنف.

(٢) خليفة: ٢٣٢، ٢٣٣ عن جويرة بن أسماء عن مشايخ المدينة. العقد الفريد: ٤/ ٣٧٦ عن القاسم بن سلام؛ البيهقي، المحاسن والمساوئ: ٨٠-٨١ عن أبي معشر. لا شك في حزم وقوة مروان بن الحكم، ولكن أن يطلب بقتل هؤلاء فهذا بعيد تمام البعد، وخاصة أن مروان يعدُّ من الفقهاء في عصره.

(٣) البلاذري، أنساب الأشراف: ٤/ ٣٠٠ عن عوانة وأبي مخنف.

(٤) المصدر السابق مع نفس الصفحة.

(٥) خليفة: ٢٣٣، وانظر نفس الرواية مع قليل من الاختلاف عند ابن عساكر: ص ١٤٦-١٤٧ تراجم العين (عبد الله بن جابر-عبد الله بن زيد) عن الزبير بن بكار؛ وانظر نفس رواية الزبير هذه في العقد الثمين: ٥/ ١٥٧.

أن يكون ذلك من الغد في المسجد.

ولكن ذلك الطلب من ابن الزبير قابله رفض من مروان، وأمر مروان الوليد أن يكون حازمًا معه، فاستبَّا: ابن الزبير، ومروان.

ونظرًا لأخلاق الوليد بن عتبة وسماحته، والتي وصفته الرواية بأنه كان: «رجلاً رفيقًا وسريًا كريمًا»[1] فقد أمر بأن يخرج مروان وابن الزبير من مجلسه.

واستدعى الحسين بعد ذلك، ويبدو أن الوليد تحاشى أن يناقش معه موضوع البيعة ليزيد، فغادر الحسين مجلس الوليد من ساعته.

فلما جنَّ الليل خرج ابن الزبير والحسين، متجهين إلى مكة؛ كل منهما على حدة.

ورواية خليفة هي الأقرب إلى الحقيقة؛ فإضافة إلى تسلسل الأحداث فيها، فإن الرواية نفسها عن جويرة بن أسماء؛ وهو مدني، ثم روايته عن مدنيين، وقال: «سمعت أشياخنا من أهل المدينة ما لا أحصي يحدِّثون».

ثم إن ورودها من طريق آخر عن أبي معشر السندي يزيدها أهمية ووضوحًا[2].

وتذكر رواية خليفة أن تسامح الوليد وثقته المطلقة بالحسين وابن الزبير قد أغضبت مروان بن الحكم، وذكَّر الوليد بأنه سيندم على فعلته، وقال: «لئن خرجا من البيت لا تراهما أبدًا إلّا في شر»[3].

---

(١) خليفة، التاريخ: ٢٣٣.

(٢) المحاسن والمساوئ: ص ٨٠.

(٣) خليفة: ص ٢٣٣.

وتُجْمِع غالب الروايات على أن ابن الزبير والحسين بن علي خرجا من ليلتهما إلى مكة،ولكن عوانة وأبا مخنف يذكران أمرًا غريبًا بشأن خروج الحسين ﷺ.

فقد ذكرا أن الحسين مكث ليلته تلك في المدينة، ثم يومه ذلك حتى إذا كانت الليلة الثانية خرج بأهله جميعًا،ولم يبق إلا محمد بن الحنفية[١].

وهذا أمر مستبعد بالكلية؛ وذلك لأن الحسين استمهل الوليد بن عتبة حتى الصباح ليبايع، وليس من المعقول أن يبقى في المدينة ذلك اليوم حتى المساء، ثم أيضًا لا يمكن أن يرتحل بكلِّ أهله على مرئى ومسمع من الوليد بن عتبة أمير المدينة.

كان خروج الحسين وابن الزبير من المدينة مفاجأة للوليد بن عتبة، فأرسل في أثرهما ثلاثين راكبًا من موالي بني أمية، ولكنهم فشلوا في اللحاق بهما[٢].

وقد كان لسماحة الوليد بن عتبة أثر في ضعف شخصيته أمام أهل المدينة، فعندما حاول أن يتدارك الموقف ويحتوي الوضع، أخذ أحد الشخصيات البارزة المناوئة للدولة من كبار المؤيدين لابن الزبير وهو ابن مطيع[٣]، فأودعه السجن، فاجتمع فتية من بني عدي من عشيرة ابن مطيع، فانطلقوا حتى اقتحموا السجن فأخرجوه فلحق بابن الزبير[٤].

---

(١) البلاذري، أنساب الأشراف: ٤/ ٣٠٣؛ الطبري: ٥/ ٣٤١.

(٢) البلاذري، أنساب الأشراف: ٤/ ٣٠٠.

(٣) عبد الله بن مطيع بن الأسود العدوي، المدني: له رؤية، وكان رأس قريش يوم الحرة، وأمَّره ابن الزبير على الكوفة، ثم قتل سنة ثلاث وسبعين (التقريب: ٣٢٤).

(٤) أنساب الأشراف: ٤/ ٣٠٢.

إن سياسة اللين التي اتبعها الوليد بن عتبة مع الحسين وابن الزبير جعلت مروان بن الحكم يسارع بالكتابة إلى يزيد بن معاوية، ينبهه على خطورة الوضع في الحجاز بشكل عام، وأدرك يزيد ضعف الوليد بن عتبة فعزله على أثر هذه الحادثة عن المدينة، وولّى بدلاً منه عمرو بن سعيد بن العاص في رمضان سنة ستين[١].

خرج الحسين من ليلته تلك التي طلبه فيها الوليد بن عتبة. ويبدو أن الحسين وابن الزبير قد تواعدا على أن يلتقيا في مكان معين في الطريق إلى مكة، ولقد لقيهما ابن عمر وعبد الله بن عياش[٢] بالأبواء[٣]، وهما منصرفَيْن من العمرة قادمَيْن إلى المدينة، فقال لهما ابن عمر:

«أذكِّركما الله إلّا رجعتما، فدخلتما في صالح ما يدخل فيه الناس، وتنظران فإن اجتمع الناس عليه لم تشذا، وإن افتُرِقَ عليه كان الذي تريدان»[٤].

---

(١) أنساب الأشراف: ٤/ ٣٠٧ عن أبي مخنف وعوانة، الطبري: ٥/ ٣٤٣.

(٢) عبد الله بن عَياش بن أبي ربيعة المخزومي المكي، المديني القارئ، سمع من أبيه، وابن عمر، وابن عباس، قرأ على أبي بن كعب، وكان أقرأ أهل المدينة، واستشهد بسجستان سنة ٧٨هـ. (العقد الثمين: ٥/ ٢٣٠).

(٣) الأبواء: بينها وبين الجحفة مما يلي المدينة ثلاثة وعشرون ميلا، وبها قبر آمنة أم رسول الله ﷺ. (ياقوت:١/ ٧٩)٣٠٢.

(٤) ابن سعد: ٥/ ٣٦٠؛ ابن عساكر: ٢٠١ من طريق ابن سعد؛ والمزي، تهذيب الكمال: ٦/ ٤١٦ من طريق ابن سعد؛ والطبري: ٥/ ٣٤٣ ولكنه ذكر أن الذي لقيهما: ابن عمر وابن عباس. ولعلّه تحريف في اسم ابن عياش. والصحيح أن ابن عباس كان موجودًا بمكة حينذاك، (ابن عساكر: ١٥/ ق٧٣٢-٧٣٣؛ و ابن العديم، بغية الطلب: ٦/ ق١١٩)

فلما قدما مكة - ابن الزبير والحسين بن علي - اتخذ الحسين بن علي من دار العباس بن عبد المطلب سكنًا له، ولزم ابن الزبير الحجر، ولبس أداة الحرب، وجعل يحرِّض الناس على بني أمية[١].

ولما علمت شيعة الكوفة بموت معاوية، وخروج الحسين إلى مكة،ورفض البيعة ليزيد، تذكَّروا وصيّة الحسين بأن لا يحدثوا أمرًا حتى يموت معاوية.

فاجتمعوا في منزل سليمان بن صُرَد الخزاعي[٢]، فقال سليمان بن صُرَد:

«إنَّ معاوية قد هلك، وإنَّ حسينًا قد تقبَّض على القوم ببيعته، وقد خرج إلى مكة، وأنتم شيعته وشيعة أبيه، فإن كنتم تعلمون أنكم ناصروه فاكتبوا إليه، وإن كنتم تعلمون أنكم وإن خفتم الوهن والفشل فلا تَغُرُّوا الرجل من نفسه».

فاجتمع أمرهم على نصرته، ثم كتبوا إليه:

«إنا لا نصلِّي مع النعمان بن بشير جمعة، ولا نخرج معه إلى عيد، فأقبل علينا، فإن أقبلت أخرجنا النعمان إلى الشام».

وهذا الكتاب من: سليمان بن صُرَد،والمسيّب بن نجبة، ورفاعة بن شداد، وحبيب بن مظاهر.

وقد أرسلوا هذا الكتاب مع: عبد الله بن سَبع الهمداني، وعبد الله بن وال.

---

(١) ابن سعد الطبقة ٥ / ٣٦٠؛ وابن عساكر ١٩٩ من طريق ابن سعد.

(٢) سليمان صُرَد بن الجَون الخزاعي، أبو مُطرِّف الكوفي، صحابي، قتل بعين الوردة سنة ٦٥هـ (التقريب: ٢٥٢).

ثم بعد يومين أرسلوا قيس بن مُسْهر الصيداوي، وعبد الرحمن الأرحبي، وعمارة بن عُبيد السلولي، وحملوا نحوًا من ثلاث وخمسين صحيفة، وأرسلوها مع هانئ بن هانيء السبيعي، وسعد بن عبد الله الحنفي؛ وهذه الصحائف الثلاث والخمسون هي قوائم بأسماء المبايعين، والذين يطلبون من الحسين القدوم عليهم. فكل صحيفة من رجل أو اثنين أو ثلاثة أو أربعة. ثم أتبعوا ذلك برسالة مع هانئ بن هانئ.

ثم كتب شبث بن ربعي، وحجار بن أبجر، ويزيد بن الحارث، وعزرة بن قيس، وعمرو بن الحجاج الزبيدي، ومحمد بن عمر التميمي وكتبوا إليه: «أما بعد فقد اخضر الجناب، وأينعت الثمار، وطمت الجمام، فإذا شئت فاقدم على جند لك مجند، والسلام»[1].

وبمقدورنا التعرف على كثرة عدد تلك الرسائل إذا علمنا أن الحسين لما خرج إلى العراق ونصحه ناصح، أشار إلى عيبته وقال: «هذه كتب وجوه أهل المصر»[2].

وبعد توافد الكتب على الحسين وهو بمكة، وجميعها يؤكِّد الرغبة في حضوره

---

(١) الطبري: ٥/ ٣٥٢، ٣٥٣ من طريق أبي مخنف؛ الأصفهاني، مقاتل الطالبين: ٩٥، ٩٦ مختصرًا؛ المزي، تهذيب الكمال: ٨/ ٤٢٢ من طريق الدهني؛ تهذيب التهذيب: ٢/ ٣٠١ من نفس الطريق.

(٢) ابن سعد: ط ٥/ ٣٧١ بإسناد ضعيف جدًا كما قال محققه. ابن عساكر: ٢١٠ من طريق ابن سعد. ابن عساكر: ٢٠٩، من طريق يعقوب الفسوي وكل رجاله ثقات ما عدا بُحَيرًا الأسدي، ذكره ابن ماكولا، وقال: ذكر أنه أدرك الحسين بن علي بن أبي طالب، روى عنه سفيان بن عيينة (الإكمال: ١/ ٢٠٣).

ومبايعته، قام الحسين فكتب كتابًا قال فيه: «بسم الله الرحمن الرحيم: من حسين بن علي إلى الملأ من المؤمنين والمسلمين، أما بعد، فإن هانئًا وسعيدًا قَدِما عليَّ بكتبكم، وكانا آخر من قدم علي من رسلكم، وقد فهمت كل الذي اقتصصتم وذكرتم، ومقالة جلِّكم: (إنه ليس علينا إمام، فأقبل لعل الله أن يجمعنا بك على الهدى والحق)، وقد بعثت إليكم أخي وابن عمي وثقتي من أهل بيتي، وأمرته أن يكتب إليَّ بحالكم وأمركم ورأيكم، فإن كتب إليَّ أنه قد أجمع رأي ملئكم وذوي الفضل والحِجَى منكم على مثل ما قَدِمَتْ عليَّ به رسلكم، وقرأتُ في كتبكم، أُقْدِمُ عليكم وشيكًا إن شاء الله، فلعمري ما الإمام إلا العامل بكتاب الله، والآخذ بالقسط، والدائن بالحق، والمحاسب نفسه على ذات الله، والسلام»[١].

ويتبيَّن من خلال رسالة الحسين لأهل الكوفة، أن الحسين قد فهم من تلك الرسائل المتلاحقة من الكوفة الرغبة الصادقة، والمحبة الجامحة لشخصه في نفوس الكوفيين، وأنهم قد نابذوا إمامهم، ولم يعترفوا بيزيد، وأنهم سيُخْرِجون أمير الكوفة -النعمان بن بشير- وأنهم في حاجة لإمام يجتمعون عليه، وهذا الإمام الذي يرغبون فيه هو الحسين بن علي.

إن الحسين لم يفكِّر في الخروج إلى الكوفة إلا عندما جاءته الرسل من الكوفة ليعترفوا له: «إنه ليس علينا إمام»[٢] وأنهم يدعونه مرحبين به طائعين مسلمين

---

(١) الطبري: ٥/ ٣٥٣ من طريق أبي مخنف.

(٢) الطبري: ٥/ ٣٥٣ من طريق أبي مخنف.

إليه: «فأقبِل لعل الله يجمعنا بك على الهدى والحق»[١].

ومع ذلك فإن الحسين بن علي قد توقَّف، واحتاط من تلك الرسائل وأولئك الرسل، وأراد أن يتأكد من صحة هذه الأقوال ومدى مطابقتها لما ورد في الرسائل على ألسنة زُعماء الكوفة،فقام بإرسال مسلم بن عقيل بن أبي طالب -ابن عمه- وكما قال عنه: «ابن عمي وثقتي من أهل بيتي»[٢]. وأمره أن ينظر في أهل الكوفة، ويقف على الحقائق بنفسه،ويعطيه تفصيلاً وتجلية للوضع السائد في الكوفة[٣].

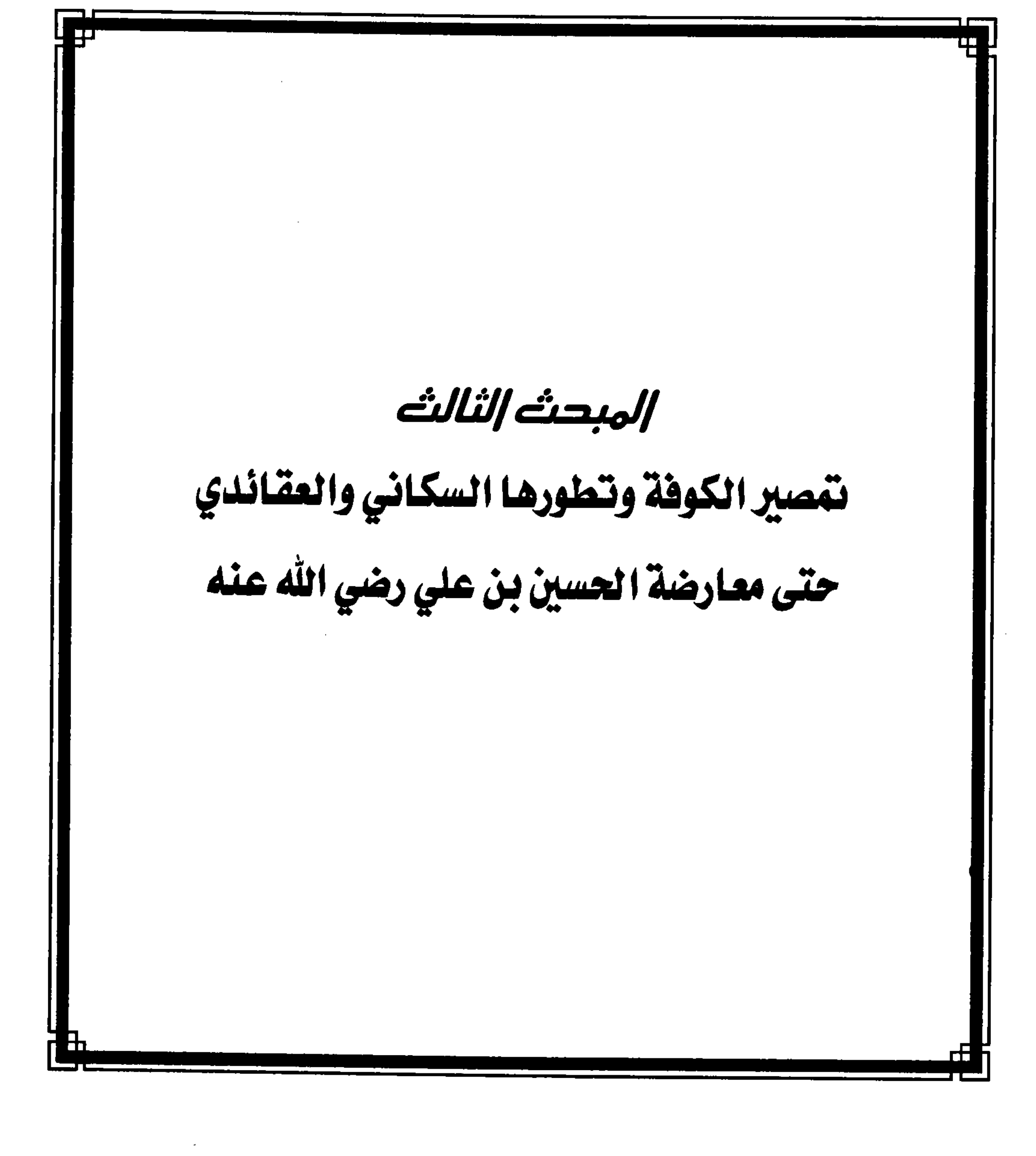
وما دمنا نتحدث عن مراسلات الحسين وعلاقته بالكوفيين، فلعلَّ من المفيد أن نتعرَّف على الكوفة، وتمصيرها، وتركيبة بنيتها الاجتماعية والعقائدية؛ وذلك لكي تتوفر لنا نظرة أوسع، وتحليل أكبر للحدث نفسه.

---

(١) المصدر السابق ومن نفس الطرق.

(٢) المصدر السابق ومن نفس الطرق.

(٣) المصدر السابق ومن نفس الطريق: ٥/ ٤٣٧؛الأصفهاني، مقاتل الطالبيين: ٩٥،٩٦ من طريق المدائني من طريق أبي معاوية الدهني والسند ضعيف؛ والمزي، تهذيب الكمال: ٨/ ٤٢٣ من طريق الدّهني؛ وابن حجر، تهذيب التهذيب: ٢/ ٣٠١ من نفس الطريق.



المبحث الثالث

تمصير الكوفة وتطورها السكاني والعقائدي حتى معارضة الحسين بن علي رضي الله عنه



المبحث الثالث

تمصير الكوفة وتطورها السكاني والعقائدي حتى معارضة الحسين بن علي رضي الله عنه

١- تمصير الكوفة:

ألَّف الأخباريون في القرن الثاني والثالث عدة كتب عن الكوفة منذ تمصيرها، إلَّا أن كتبهم لم تصل إلينا[١]، ويسد النقص في هذا المجال المادة الواسعة التي تركها الأخباريون والجغرافيون والنسَّابون.

الكوفة في اللغة تحمل أكثر من معنى[٢]، ويبدو أن أقرب معانيها هي

---

(١) منها كتاب «خطط الكوفة» للهيثم بن عدي الطائي، والذي استفادت منه المصادر الأولية، انظر: (الفهرست لابن النديم: ص ١١٢)، وهناك كتاب عمر بن شبة عن الكوفة. (الفهرست ١٢٥). وانظر: مواضع الاستفادة عند فتوح البلدان: ص ١٧٦، ١٧٧، ٣٤١، ابن الفقيه: مختصر البلدان: ص ١٥٨، تاريخ الكوفة لابن النجار: (٣٠٣-٤٠٢هـ)، وانظر مواطن استفادة ياقوت من هذا الكتاب: إرشاد الأديب: ١/ ٤١٠، ٣/ ٦٩، ٤/ ٢٤٥، ٥/ ١١٣، ٦/ ٤٦٧، وفي معجم البلدان: ٢/ ٥٦٨، ١١٧؛ واستفاد منه ابن حجر في لسان الميزان: ١/ ٤١٣، ١٦٨، ١٤١، ٣/ ١٤٧، ٢٠٥. وهناك كتاب في فضل الكوفة لأبي علي محمد بن علي بن الحسين الكوفي العلوي ت٤٤٥هـ، ومنه نسخة مخطوطة في المكتبة الظاهرية بدمشق مجموع ٩٣ ص ٢٨٢-٣٠٧، انظر: صالح العلي، مصادر دراسة تاريخ الكوفة في القرون الإسلامية الأولى: ص ١٤٢، بحث ضمن مجلة المجمع العلمي العراقي، المجلد الرابع والعشرون ١٣٩٤هـ

(٢) ياقوت، معجم البلدان: ٤/ ٤٩٠-٤٩٤؛ البكري، معجم ما استعجم: ٤/ ١١٤١، ١١٤٢؛ الفيروزبادي، القاموس المحيط: ١١؛ ابن منظور، لسان العرب: ٩/ ٣١١؛ الزبيدي، تاج العروس: ٦/ ٢٤٠ (مادة كوف).

التجمُّع أو الرَّملة المستديرة المتجمِّعة[١]، ويذكر المفضل الضبي أن التسمية جاءت حينما قال سعد بن أبي وقاص لرجاله: «كَوِّفوا هذا الرمل» أي نحُّوه وأنزلوه[٢]، ومن معانيها أيضًا: «الموقع المليء بالقصب والخشب»[٣]، وتسمى كوفة الجند؛ أي تجمُّعه.

وينسب الزبيدي التسمية إلى تل يقال له: «كوفان»، أهاله المسلمون واختطُّوا عليه[٤].

ويذكر الأثرم اللغوي أن الكوفة تعني الأرض التي فيها الحصباء مع الرمل والطين[٥].

أ- موقع الكوفة:

تقع الكوفة بالقرب من نهر الفرات الأوسط، على الضفة الغربية منه، وكان بينها وبين النهر لسان من الرمل يقترب عموديًا من الفرات يسمى الملطاط، ويقع بالقرب منه سهل خصيب، محصور بين الفرات شرقًا، والبادية الواسعة المطلة على مشارف الشام غربًا[٦].

---

(١) ابن الفقيه، مختصر البلدان: ١٦٢؛ ابن منظور،لسان العرب: ٩/ ٣١١.

(٢) البلاذري، فتوح البلدان: ٢٧٤.

(٣) الزبيدي، تاج العروس: ٦/ ٢٤٠.

(٤) المصدر السابق: ٦/ ٢٤٠.

(٥) البلاذري، فتوح البلدان: ص ٢٧٤؛ الزبيدي، تاج العروس: ٦/ ٢٤٠؛ مصطفى الموسوي،العوامل التاريخية لنشأة المدينة: ص ٨٢-٩٤.

(٦) البلاذري، فتوح: ص ٣٤١؛ الطبري: ٤/ ٤٢.

وكان موضعها كما يقول البلاذري: «يدعى خدّ العذراء، ينبت الخزامى والأقحوان والشيح والقيصوم والشقائق...»[١].

ب- سبب تأسيسها:

لما جاء عمرَ بنَ الخطاب وفدٌ من عند سعد بن أبي وقاص بخبر فتح المدائن، رأى ألوانهم قد تغيَّرت، فسألهم عن ذلك، فذكروا له وُخُومَة البلد، «فكتب إليه عمر: إن العرب لا يوافقها إلا ما وافق إبلها من البلدان، فابعث سلمان رائدًا وحذيفة - وكانا رائدي الجيش - فليرتادوا منزلاً بريًا ليس بيني وبينهم فيه بحر ولا جسر»[٢].

«وهناك عامل أساسي من عوامل تأسيس الكوفة، هو العامل العسكري؛ حيث إن المسلمين توغَّلوا في فتوحاتهم في بلاد فارس، فأصبحوا بعيدين عن العاصمة (المدينة)، وعلى هذا كان لا بد من وجود قاعدة عسكرية تكون مرتبطة بالجزيرة، وفي نفس الوقت قريبة من ساحات المعارك التي يتَّجهون إليها، تضمن لهم الحماية، وتؤمِّن لهم وصول الإمدادات وما يلزمهم من مواد تموينية»[٣].

جـ-تاريخ بناء الكوفة:

يذكر اليعقوبي أنها بُنيت سنة ١٤هـ/ ٦٣٤م[٤]، في حين يجعلها أبو عبيدة سنة

---

(١) البلاذري، فتوح: ص ٣٤١.

(٢) البلاذري، فتوح: ص ٣٣٨، ٣٣٩؛ الطبري: ٤/ ٤١؛ أبو يوسف، الخراج: ص ٣٠.

(٣) السلومي، ديوان الجند: ٣١٤، ٣١٥؛ شلبي، تاريخ الحضارة الإسلامية: ٢٣٦-٢٣٩.

(٤) اليعقوبي، البلدان: ص ٦٩؛ ابن رسته، الأعلاق النفيسة: ص ٣٠٩.

١٨هـ/ ٦٣٨م[(١)].

وتتفق روايات كل من سيف والواقدي على أنها بنيت سنة ١٧هـ/ ٦٣٧م[(٢)].

وينفرد الحموي بالقول إنها مُصِّرت سنة ١٩هـ/ ٦٣٩م، دون أن يشير إلى مصادره[(٣)].

وربما يعود هذا الاختلاف إلى أنها أقيمت أول أمرها لخدمة غرض عسكري، فالتبس الأمر على الرواة، كما لعب التنافس بين البصريين والكوفيين دوره في ذلك[(٤)].

د- تخطيط الكوفة:

كان تنظيم المدن الإسلامية يقوم على بناء المسجد، ثم تقسم الأرض المحيطة بالمسجد على القبائل، وكان المسجد هو نقطة الارتكاز في المدينة.

فأول ما بُني في الكوفة المسجد الجامع، وبجواره ساحة مربعة لاجتماع الناس تعرف «بالرحبة».

وبُنِيَتْ دار الإمارة، وكان المسجد يتصل بدار الإمارة عبر باب يعرف بـ(باب السدة)[(٥)].

ويضاء ليلا بالشموع والقناديل[(٦)]، وتحمل في ساحات القصبات الملوية التي تجعل فيها النيران وتسمى: (الهراوي)[(٧)].

---

(١) البلاذري، فتوح: ٢٧٦؛ الحموي، معجم البلدان: ٤/ ٤٩٠.

(٢) خليفة: ١٣٨؛ الطبري: ٤/ ٤٣.

(٣) معجم البلدان: ٤/ ٤٩٠.

(٤) ابن الفقيه، مختصر البلدان: ١٦٣، ١٦٤؛ هند غسان، المختار بن عبيد: ٤٠-٤٩.

(٥) الطبري: ٥/ ٣٧٢.

(٦) المصدر السابق: ٥/ ٣٧٢.

(٧) المصدر السابق: ٦/ ٢٠.

وبُنيت دار الإمارة بحذاء المسجد الجامع، وتقع على الجهة الجنوبية منه[١]. ومن باب السدة يستطيع أن يصل الأمير إلى المسجد الجامع من طريق دار الإمارة نفسها.

وكان في قصر الإمارة بئر للشرب، وأماكن لتخزين البر والمؤونة في حال الحصار.

ومن المساحات الخالية في الكوفة الجبانات، وهي المقابر التي يواري فيها الكوفيون موتاهم، وهي مواقع خالية يحشدون فيها مقاتلتهم[٢]. وهي كثيرة وموزعة في أنحاء المدينة. ومن المساحات المعروفة في الكوفة: الكناسة؛ وهي موقع للحشد والتجمع[٣]، وتقع بين المسجد الجامع والسهلة باتجاه البادية[٤]. وفي الكناسة كانت تصلب أجساد ورؤوس الخارجين على السلطة. ويذكر في الكوفة عدد من الأبواب؛ منها: باب الجسر[٥]، وباب دمشق[٦]، وباب القادسية[٧]، وباب القبلة[٨]. وكانت بيوت الكوفة متقاربة جدًا، متراصة يسهل التنقُّل بينها، إمَّا عن طريق الأزقَّة، أو عن طريق السطوح، ويمكن الدخول فيها عن طريق باب صغير للأزقَّة يُسمى خوخة، يمكن عن طريقه التنقل بين البيوت[٩].

---

(١) البلاذري، فتوح: ٣٣٩؛ ياقوت، معجم البلدان: ٤/ ٤٩١.

(٢) البلاذري، أنساب الأشراف: ٥/ ٢٤٥-٢٧٦؛ الطبري: ٥/ ٣٧٩.

(٣) المصدر السابق: ٥/ ٢٢٢، ٢٢٥، ٢٢٧؛ الطبري: ٥/ ٣٥٠.

(٤) البلاذري، أنساب الأشراف: ٥/ ٢٣٤؛ المقدسي، أحسن التقاسيم: ص ١١٧.

(٥) الطبري: ٦/ ٤٦.

(٦) ابن الفقيه، مختصر: ص ١٨٤؛ الحموي، معجم البلدان: ٤/ ٤٩٢.

(٧) البلاذري، فتوح ص ٢٨١.

(٨) المصدر السابق: ص ٢٨٨، وانظر هند غسان، المختار بن عبيد: ص٤٢-٤٥.

(٩) الطبري: ٦/ ٥٧، هند غسان: ص ٦١.

٢- التنظيم القبلي والاجتماعي في الكوفة:

كانت البصرة والكوفة هما القاعدتين اللتين صدرت عنهما كل العمليات الحربية بعد استقرار المسلمين بهما، وأصبحت كل منهما مركزًا لاستقطاب القبائل العربية التي هاجرت لأجل الاشتراك في الجهاد والفتوحات. وتحقيقًا للأهداف العسكرية من وجود هاتين القاعدتين العسكريتين قام عمر فبعث قومًا من نُسَّاب العرب، وذوي الرأي والعقل لدراسة وضع القبائل وإعادة تنظيمهم، فجعلوا القبائل أسباعًا[1]، والأسباع وحدات عسكرية تجاوزت الأنساب أحيانًا؛ وكانت الأسباع على النحو التالي:

السبع الأول: كنانة وحلفاؤهم من الأحابيش وغيرهم، وجديلة وهم بنو عمرو بن قيس غيلان؛ ويقال لهم: العالية[2].

السبع الثاني: قضاعة وبجيلة وخثعم وكندة وحضرموت والأزد؛ وهم اليمانية[3].

السبع الثالث: مذحج وهمذان وحلفاؤهم؛ وهم يمانية أيضًا.

السبع الرابع: تميم وسائر الرباب وهوازن؛ وهم مضرية.

السبع الخامس: أسد وغطفان ومحارب والنمر وضبيعة وتغلب.

السبع السادس: وهم من بكر بن وائل وربيعة، ويضم إيادًا وعكًّا وعبد

(١) الطبري: ٤/ ٤٨.

(٢) الطبري: ٤/ ٤٨.

(٣) يحيى بن آدم، الأموال: ٦٠؛ هند غسان، المختار: ص ٥٥.

القيس وأهل هجر ومعهم الحمراء[١].

السبع السابع: لم توره المصادر، ولكن يمكننا التعرف على السبع الأخير من خلال رواية أبي مخنف، وأنه يتكون من بكر بن وائل، وتغلب وسائر ربيعة، عدا عبد القيس[٢].

ويذهب ماسنيون إلى أن هذا السبع يتألف من قبيلة طيء[٣].

وهذا التنظيم يشمل توزيعًا عدديًا دون مراعاة للتنظيم القبلي، ولكن الملاحظ أن هذا التنظيم روعي فيه الناحية والجهة إلى حد كبير، ولعل هذا يكون أنسب في التعارف والتآلف.

ولم يستمر هذا التنظيم طويلاً، فقد أُدخل عليه تعديل جديد أيام سعد أيضًا، قُصد به مراعاة النسب ما أمكن، مع الأخذ بعين الاعتبار ضرورات التعبئة والعطاء[٤].

ولذا نجد السبع الأول كان للعالية، والسبع الثاني والثالث يمانية، والرابع مضرية، والخامس من ربيعة، والسادس شمل إيادًا وعكًّا وعبد القيس والحمراء.

واستمرَّت تعبئة القبائل الكوفية على الأسباع، وظلّ الأمر كذلك حتى أيام زياد بن أبي سفيان، فقام بتقليص الأسباع وجعلها أرباعًا كالآتي:

---

(١) الحمراء: وهم حمراء ديلم، من الفرس المحاربين، استسلموا بعد موقعة القادسية، وكان يرأسهم رجل اسمه (ديلم) فسموا (حمراء ديلم) وقد نزلوا الكوفة، وتحالفوا مع قبيلة تميم (البلاذري، فتوح البلدان: ٣٤٣).

(٢) هند غسان: ص ٥٦؛ جمال جودة، العرب والأرض في العراق: ١٦٨-١٦٩.

(٣) ماسنيون، خطط الكوفة: ٤٨.

(٤) هند غسان: ص ٥٦.

الربع الأول: أهل العالية.

الربع الثاني: تميم وهمدان (نزارية ويمانية).

الربع الثالث: ربيعة وكندة (نزارية ويمانية).

الربع الرابع: مذحج وأسد (نزارية ويمانية).

ويعود هذا التنظيم إلى التطور الذي شهدته حياة الكوفة القبلية أيام زياد بن أبي سفيان، وإلى سياسته في جمع اليمانية والنزارية في كل ربع[(١)].

كما أن زيادًا حاول أن يقلل من نفوذ رؤساء القبائل على أفرادها، فلم يعتمد على رؤساء القبائل في هذا التنظيم الجديد، بل عيَّن على كل ربع رجلاً من الموالين للدولة[(٢)].

ويبدو أن غرض زياد من هذا التنظيم الجديد هو تذويب القبائل المناوئة للأمويين، وتخفيف حِدَّة العصبية القبلية، وصولًا إلى ممارسة الدولة لسلطاتها ومسؤوليتها في تنظيم الجيوش، وترتيب القيادات والسيطرة على توزيع العطاء، وهم المكلَّفون بالدعوة للجهاد لتأمين سرعة استنفار الجند[(٣)].

لقد حتَّمت ضرورة تنظيم العطاء والانتداب وجود نظام إداري متكامل على رأسه رؤوس الأسباع والأرباع، وهم وسطاء بين أسباعهم أو أرباعهم وبين الولاة، ويتمتَّعون بسلطة كبيرة، واحترام واسع من قبائلهم[(٤)].

---

(١) هند غسان: ص ٥٧.

(٢) فلهاوزن، الدولة العربية: ص ١٢٠.

(٣) العلي، التنظيمات الإدارية في البصرة: ص ٩٧؛ خالد الجنابي، تنظيمات الجيش العربي الإسلامي في العصر الأموي: ٢٩.

(٤) البلاذري، أنساب الأشراف: ٥/ ٢١٠؛ الطبري: ٤/ ٤٩؛ وانظر بتوسع جمال جودة، العرب والأرض: ٢٠١-٢٠٩.

ويليهم العُرفاء، وقد نظَّم سعد بن أبي وقاص الناس في عرافات ابتداءً ليسهل عليه توزيع العطاء[١]، ونظام العرافات قديمٌ عرفه العرب في الجاهلية[٢]، وكان عددهم أيام سعد مئة عريف.

وقد تحوَّل هذا النظام في الكوفة إلى نظام إداري مرتبط بالوالي؛ يحمل أوامره للقبائل، أو يُحمِّل العُرفاء مسؤولية النظام أمامه بشكل مباشر، مما جعل لهم صلاحيات واسعة[٣].

وقد توسَّعت سلطة العريف وشملت القبيلة بكاملها، وكانت مسؤولية العُرفاء تشمل كتابة أسماء الناس المسؤولين عنهم للوالي، وكانوا يتولَّون الإتيان بالغرباء والمشبوهين منهم إلى السلطة[٤].

ويلي العرفاء: المناكب، ثم يتبع المناكب: النقباء[٥].

هذه السلسلة من الوظائف الإدارية هي الواسطة بين الوالي والقبائل، وقد توسَّعت صلاحياتهم منذ أيام سعد بن أبي وقاص، حتى أصبح لهم دور كبير أيام زياد بن أبي سفيان وعبيد الله بن زياد[٦].

وإذا أردنا أن نتعرف على طبيعة التقسيم القبلي فسنجد أنه تقسيم دقيق،

---

(١) الطبري: ٤/ ٤٩.

(٢) السمعاني، الأنساب: ١/ ٤٧-٤٨ وهذا يبدو من أرباع القبائل ورؤسائها.

(٣) الطبري: ٥/ ٣٧٣؛ المبرد، الكامل ٣/ ٩١٣، ١٢١؛ ابن بدران، تهذيب تاريخ ابن عساكر ٧/ ١٥٣.

(٤) الطبري: ٥/ ٣٧٢؛ ابن الأثير، الكامل: ٤/ ٢٤.

(٥) الطبري: ٥/ ٣٧٢.

(٦) هند غسان: ص ٦٠.

يبتدئ بالفرد وينتهي بالقبيلة.

«ولقد قسم الزبير بن بكار -في كتابه: (النسب)- الناس إلى: شعب، ثم قبيلة، ثم عمارة، ثم بطن، ثم فخذ، ثم فصيلة، وزاد غيره قبل الشعب: الجذم، وبعد الفصيلة: العشيرة، ومنهم من زاد بعد العشيرة: الأسرة، ثم العترة، فمثال الجذم: عدنان، ومثال الشعب: مضر، ومثال القبيلة: كنانة، ومثال العمارة: قريش، وأمثلة ما دون ذلك لا تخفى.

ويقع في عباراتهم أشياء مرادفة لما تقدَّم؛ كقولهم: حيّ، بيت، وعقيلة، وأرومة، وجرثومة، ورهط، وغير ذلك.

ورتبها محمد بن سعد النسَّابة المعروف بالحراني جميعها، وأردفها فقال: جذم، ثم جمهور، ثم شعب، ثم قبيلة، ثم عمارة، ثم بطن، ثم فخذ، ثم عشيرة، ثم فصيلة، ثم رهط، ثم أسرة، ثم عشرة ، ثم ذرية، وزاد غيره في أثنائها ثلاثة وهي: بيت، وحي، وجماع، فزادت على ما ذكر الزبير عشرة.

وقال أبو إسحاق الزجاج: القبائل للعرب، والأسباط لبني إسرائيل، ومعنى القبيلة الجماعة، ويقال لكل ما جُمِع على شيء واحد: قبيلة، أخذًا من قبائل الشجرة وهي غصونها، أو من قبائل الرأس وهي أعضاؤها، سُمّيت بذلك لاجتماعها.

ويقال المراد بالشعوب في الآية: بطون العجم، وبالقبائل: بطون العرب»[1].

---

(١) ابن حجر، فتح الباري: ٦/ ٦١٠، ٦١١؛ وانظر بتوسع القلقشندي، نهاية الأرب: ص ٢٠-٢٢. العقد الفريد: ٣/ ٢٨٣ فما بعدها؛ المقريزي، النزاع والتخاصم: ص ٦٥؛ النويري، نهاية الأرب: ٣/ ٣٦٢ فما بعده؛ جوادعلي ، المفصل: ٤/ ٣١٣-٣٢٠.

«ولقد كانت المؤسسات السياسية في القبيلة محددة العدد، ولكن تكوينها السياسي كان ممتزجًا مع تكوينها الاجتماعي، فكان يقوم على رابطة الدم، وهو أساس لينفذ إلى أعماق المجتمع ويمتد إلى كافة أطرافه»[(١)].

«على أن القبيلة ظلت، دون العشائر، أهم وحدة في الحوادث والأزمات السياسية الكبرى التي تمرّ بها المدينة.

وذلك نظرًا لكثرة عدد أفرادها، ولأنها أقدر من العشيرة الصغيرة العدد على الدفاع عن أفرادها، هذا إلى أنه كان أسهل للدولة أو الأمير أن يتعامل مع ما للقبائل الكبيرة من الممثلين الأقوياء القليلين، من أن يتعامل مع ما للعشائر الصغيرة من ممثلين كثير وضعفاء نسبيًا»[(٢)].

إلا أن السلطة القبلية السياسية، وروابطها القائمة على أساس علاقة الدم، تأثّرت كثيرًا بعد استقرارها في المصر وخضوعها لسلطة الأمير العليا، التي لم تكن تستمد قوتها من رابطة الدم.

وهناك عامل آخر مهم هو الذي أدى إلى إضعاف الروابط القبلية؛ ألا وهو الدين الإسلامي الذي يدعو إلى الأخوة والمساواة بين معتنقيه بصرف النظر عن أصلهم، أو جنسهم، أو خلقهم.

حيث أوجد الإسلام روابط جديدة واسعة تربط بين من يدينون به، وأخذ

---

(١) صالح العلي، التنظيمات الاجتماعية والاقتصادية في البصرة: ص ٥٥.

(٢) المرجع السابق: ص ٥٥-٥٦.

يؤثر على نظرات الناس الاجتماعية، وكان أوضح تأثيرًا في الدوائر الدينية[١].

ويمكن أن نتعرف على كثافة الوجود القبلي في الكوفة إذا عرفنا أن المسجد في عهد عمر رضي الله عنه يسع لأربعين ألف شخص[٢]، ولقد ازداد عدد مقاتلة الكوفة ما بين ١٧هـ/ ٦٣٧م وسنة ٢٥هـ/ ٦٤٥م من عشرين ألفًا إلى أربعين ألفًا[٣]، ويذكر الشعبي أن عدد المقاتلة المشتركين مع علي في صفِّين بلغ خمسين ألفا[٤].

وذكر أبو الحسن محمد بن علي الكندي البزَّار: أن في الكوفة خمسين ألف دار للعرب من ربيعة ومضر، وأربعة وعشرين ألف دار لسائر العرب، وستة آلاف دار لليمن[٥].

وربما كان هذا التعداد متأخِّرًا غير أنه يُعرِّفنا على الكثافة العددية لقبائل ريبيعة ومضر.

وذكر الشعبي أن أهل اليمن اثنا عشر ألفًا. ونزارًا ثمانية آلاف[٦]، وقد كان هانئ بن عروة شيخ مراد يركب في أربعة آلاف دارع وثمانية آلاف رجل، وإذا انضاف لها أحلافها من كندة وغيرها كان في ثلاثين ألف دارع[٧].

---

(١) صالح العلي، التنظيمات الاجتماعية في البصرة: ٥٦.

(٢) الحموي، معجم البلدان: ٤/ ٩١.

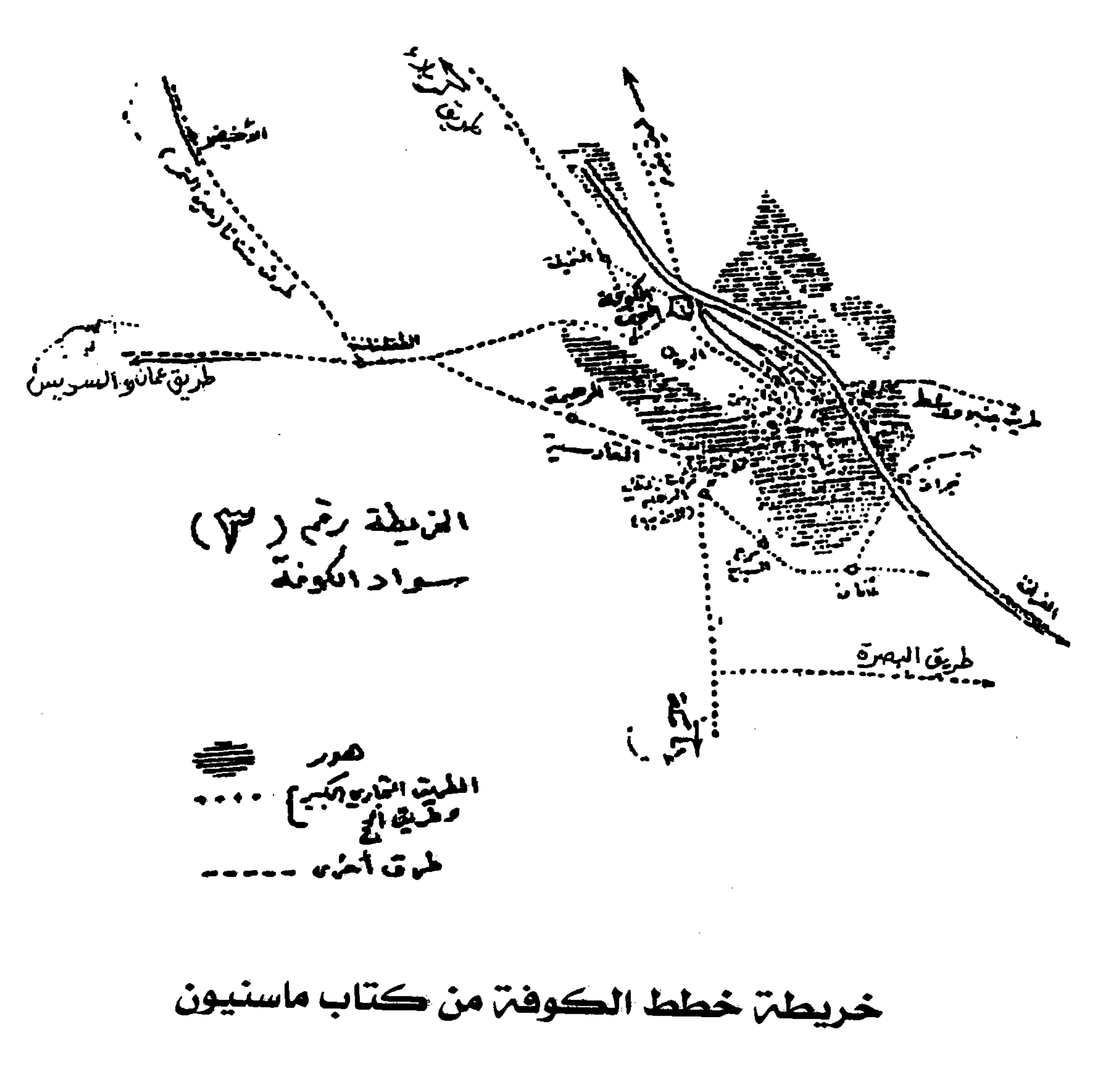
(٣) البلاذري، فتوح: ٣٣٩؛ ياقوت، معجم البلدان: ٤/ ٤٩٢؛ هند غسان: ص٤٢.

(٤) خليفة، التاريخ: ١٩٣.

(٥) ياقوت، معجم البلدان: ٤/ ٤٩٢.

(٦) ياقوت، معجم البلدان: ٤/ ٤٩٢.

(٧) المسعودي، مروج الذهب: ٣/ ٦٩.



خريطة خطط الكوفة من كتاب ماسنيون

٣- النواحي العقائدية والاختلافات الفكرية في الكوفة:

أ- الاتجاهات الدينية بين القبائل العربية وأسبابها:

إن الجهة التي تقع بإزائها الكوفة تحدِّد نوعية القبائل التي تسكنها؛ وذلك على حسب امتداد الأرض المتصلة بها من جزيرة العرب.

فالقبائل التي تسكن نجدًا والبحرين والشمال الشرقي من شبه الجزيرة العربية يكون امتدادها الطبيعي ووجهتها الجهادية نحو الكوفة إبان الفتوح.

وقد واجه المسلمون مقاومة شديدة من عرب العراق، وكان موقفهم من المسلمين عدائيًا.

وكان غالب العرب الذي يسكنون العراق يعتنقون النصرانية، وكانت النصرانية قد انتشرت في العراق في غضون المئة الأولى للميلاد، فترك سكَّانه المتنصِّرون اسمهم القديم وسموا أنفسهم: (سريانًا) تمييزًا لهم عن الوثنيين[1] وكانوا على المذهب النّسْطوري، ومن تلك القبائل: إياد التي سكنت منطقة الحيرة[2]، وما بين عين تمر والأنبار والجزيرة الفراتية[3]، وبكر بن وائل التي سكنت بادية الكوفة

---

(١) سهيل قاشا، لمحات من تاريخ نصارى العراق: ص ٥.

(٢) اليعقوبي، تاريخ: ٢/ ٢٥٧؛ البلاذري، فتوح البلدان: ص ٣٤٧؛ المسعودي، التنبيه والأشراف: ص ١٧٥؛ الألوسي، بلوغ الأرب: ٢/ ٢٤١؛ جورجي زيدان، العرب قبل الإسلام: ص ٢٦٥، ٢٦٧؛ وانظر أيضًا بتوسع جواد علي، المفصل في تاريخ العرب: ٢/ ٥٨٢-٦٩٠؛ صالح العلي، محاضرات في تاريخ العرب: ١/ ٧٩؛ الدوري، (بحث) العرب والأرض في بلاد الشام: ص ٢٦-٢٧ (ضمن أبحاث المؤتمر الدولي لتاريخ بلاد الشام عام ١٩٧٤).

(٣) البكري، معجم ما استعجم: ١/ ٧٥.

وكان لها نفوذ وعدد[١]، وتميم التي سكنت بادية البصرة[٢]، والنمر بن قاسط وتغلب -وهما من ربيعة- وسكنتا ما بين الأنبار وعين التمر والجزيرة الفراتية حول هيت وتكريت[٣]، وكلب وقضاعة سكنتا في نواحي هيت وشمال الأنبار[٤]، وبنو أسد سكنوا في بادية الكوفة وبادية الشام[٥].

وكانت الحيرة أهم مراكز النصرانية في العراق، وسكنها ناس من طيء، وكلب، وتميم، والأزد، ولخم، وغسان، وكندة، ومذحج، وحمير، وبني، الحارث بن كعب، وسليم، وتنوخ[٦]، وهم في معظمهم من أصل يماني عدا تميم وسليم، ولِتغَلُّب النصرانية عليهم أُطلق عليهم اسم العُبَّاد[٧].

وبعد أن تم القضاء على قوة الفرس، ونصارى العراق من العرب، بُنيت الكوفة - كما مرَّ معنا - واستوطنتها القبائل العربية التي في العراق، وكانت هذه

---

(١) المقدسي، البدء والتاريخ: ٣/ ٢٠٢؛ شكري فيصل، حركة الفتح الإسلامي في القرن الأول الهجري: ص ٩٠.

(٢) طبقات ابن سعد: ٧/ ٢٤.

(٣) نصر بن مزاحم، صفين: ١٤٦؛ البلاذري، فتوح البلدان: ٣٠٤.

(٤) البلاذري فتوح البلدان: ٣٠٢؛ الطبري: ٣/ ٣٨٥.

(٥) الهمداني، صفة جزيرة العرب: ص ١٣١.

(٦) اليعقوبي، تاريخ: ١/ ٢٥٧؛ المقدسي: البدء والتاريخ: ٣/ ١٩٦؛ البلاذري، فتوح البلدان: ١٧؛ ابن قتيبة: المعارف: ٦٢١؛ الطبري: ٢/ ١٩٦؛ الطبري: ٢/ ١٩٦؛ المسعودي ، التنبيه والأشراف: ١٥٨.

(٧) الطبري: ٢/ ٤٣؛ وانظر: جميل المصري، أثر أهل الكتاب: ١٩٢، ١٩٣ مع التنبّه إلى بعض المجازفات، والمبالغات، وتحميل الأمور مالا تحتمل في كثير من هذا الكتاب.

القبائل في غالبها دخلت في الإسلام.

وسكن -الكوفة إضافة إلى قبائل العرب العراقية- قبائل المرتدين التي في غالبها تسكن في وسط نجد، والشمال الشرقي والشرق من شبه الجزيرة العربية، فكان من الطبيعي أن تتَّجه إلى الكوفة خلال نشاط الفتوحات الإسلامية. ولقد كان أبو بكر ﷺ صاحب موقف واضح من المرتدين، فكان يكتب إلى عُمَّاله أن لا يستعينوا بمرتد في جهاد عدو[١].

وكان يؤكّد على خالد بن الوليد، وعياض بن غنم ألا يغزو معهم أحد قد ارتد حتى يرى رأيه فيهم، فلم تشهد أيامه مرتدًا[٢].

ويقول الشعبي: «وكان أبو بكر لا يستعين في حروبه بأحد من أهل الردة حتى مات»[٣].

وبعد ما استخلف عمر ﷺ دأب على نفس النظرة التي كان ينظر بها أبو بكر للمرتدِّين، ولكن عمر أبدى قليلاً من المرونة مع بعض المرتدين، بسبب الحاجة الماسة، فلم يكن عمر يستعمل أحدًا من المرتدين إلا بعد أن لا يجد من الصحابة من يجزئه في حربه، وبعد أن يتعذَّر عليهم سواهم من التابعين[٤].

وفي حالة استعماله لهم فإنه لا يُطعمهم في الرئاسة بل يكونون من عرض الناس.

---

(١) الطبري: ٥/ ٣٤١.

(٢) المصدر نفسه: ٤/ ٢٥.

(٣) المصدر نفسه: ٤/ ٢٥.

(٤) المصدر نفسه: ٤/ ٢٥؛ العودة، عبد الله بن سبأ: ١٥٧.

ومن هنا يكون في مقدورنا أن نقرِّر حقيقة واضحة، وهي: أن القبائل التي سكنت الكوفة قد حوت قبائل الأعراب - الذين كان نصيبهم من معرفة الإسلام وفهمه نزرًا يسيرًا - وقبائل المرتدين الذين حاربهم أبو بكر ﷺ وانتصر عليهم، إضافة إلى القبائل الأصلية العراقية من نصارى العرب.

وكان استقرار القبائل العربية في الكوفة قد صاحبه استقرار لتلك الفئات الخطرة على المجتمع الإسلامي.

ولما تولَّى الخلافة عثمان بن عفان ﷺ تجاوز سياسة التقييد التي فرضها الخليفتان قبله تجاه المرتدين، وقد ارتأى أن عامل الزمن الذي مضى على أهل الردة كاف لأن يتخلَّص من كان قد ارتد من رواسبها.

وقد شكَّل المرتدون مع وجود بعض الطوائف من الناقمين على الإسلام خطرًا كبيرًا، وكان الجميع يلبس لباس الغيرة على الإسلام.

وكانت الكوفة هي أول البلدان التي أعلنت خلع عثمان ﷺ؛ فحين بَدَتْ في أفق السياسة أحقِّية علي ﷺ بالخلافة - وذلك بفضل تلك الأفكار التي أخذ يدسُّها ابن سبأ في صفوف رعاع الناس وأهل الهوى والزيغ - قام عمرو بن زرارة ابن قيس (من بني قيس بن سعد من النخع) بخلع عثمان في الكوفة ومبايعة علي، وكان هو أول من تجرَّأ على مثل هذا الفعل[1].

---

(١) ابن الكلبي، الأنساب: ١/ ٢٩٠؛ ابن حزم، جمهرة أنساب العرب: ٤١٤، محمد جابر عبد العال، حركات الشيعة المتطرفين: ص ١١٢.

وتضافرت قوى الشر، وكمّل بعضه بعضًا، حتى انتهت بقتل الخليفة الشهيد عثمان ﷺ، ولا غرابة حينما نجد في أسماء المتهمين بقتل عثمان ﷺ رجالًا يُنسبون إلى قبائل كانت في عداد المرتدين؛ أمثال: سودان بن حمران السكوني، وقتيرة بن فلان السكوني، وحكيم بن جبلة العَبْدي[1].

وبعد ذلك انفتح باب الفتن، وقام الخلاف المستحكم في السياسة الإسلامية ثم في مجال الاعتقاد، ونشأت المتاعب المختلفة في ذلك[2].

والحقيقة أن السبئية وجدت في المجتمع الكوفي مكانًا خصبًا لدس أفكارها حتى تغلغلت في رؤوس الشر من أهلها. قال ابن خلدون: «بينما المسلمون قد أذهب الله عدوهم، وملَّكهم أرضهم وديارهم، ونزلوا الأمصار على حدودهم بالبصرة والكوفة والشام ومصر، وكان أكثر العرب الذين نزلوا هذه الأمصار جُفاة لم يستكثروا من صحبة النبي ﷺ، ولا هذَّبتهم سيرته وآدابه، ولا ارتاضوا بخُلُقِه، مع ما كان فيهم في الجاهلية من الجفاء والعصبية والتفاخر، والبعد عن سكينة الإيمان، وإذا بهم عند استفحال الدولة قد أصبحوا في ملكة المهاجرين والأنصار من قريش وكنانة وثقيف وهذيل وأهل الحجاز ويثرب السابقين الأولين إلى الإيمان، فاستنكفوا عن ذلك وغصُّوا به، لما يرون لأنفسهم من التقدُّم بأنسابهم، وكثرتهم، ومصادمة فارس والروم؛ مثل قبائل بكر بن وائل، وعبد القيس بن ربيعة... وأمثالهم، فصاروا إلى الغض من قريش والأنفة عليهم،

---

(١) الطبري: ٤/ ٣٤٨؛ العودة: ١٥٧.

(٢) أبو زهرة، المذاهب الإسلامية: ٢٩-٣٠.

والتمريض في طاعتهم، والتعلُّل في ذلك بالتظلُّم منهم، والاستعداء عليهم، والطعن فيهم بالعجز عن السوية، والعدل في القسم عن التسوية...»[(١)].

وتتضح هذه الحقيقة أكثر فأكثر حينما نعرض لأقوال الصحابة والتابعين عن أهل الكوفة:

- فقد كان عمر ﷺ يشكو من المجتمع الكوفي، فكان يقول: «أعياني وأعضل بي أهل الكوفة؛ ما يرضون أحدًا، ولا يرضى بهم، ولا يصلحون، ولا يصلح عليهم»[(٢)].

- ولقد اتهموا سعد بن أبي وقاص عندما كان أميرًا عليهم من قبل عمر، واتهموه بعدم إحسان الصلاة وهو أحدالعشرة المبشرين بالجنة، وخال رسول الله ﷺ[(٣)].

- ولما أراد عمر ﷺ أن يأتي العراق نصحه كعب الأحبار[(٤)] وقال: «لا تأتِ العراق؛ فإن فيه تسعة أعشار الشر»[(٥)]، وقال له: « إن بها عصاة الحق، وكل داء

---

(١) المقدمة: ١/ ٢٦٩-٢٧٠.

(٢) المعرفة والتاريخ ٢/ ٧٥٤ بسند حسن؛ ابن سعد٥/ ٥٨ بدون سند.

(٣) المسند: ١/ ١٧٥، ١٧٦، ١٧٧، ١٧٩، ١٨٠؛ صحيح البخاري مع الفتح: ٢/ ٢٧٦ رقم (٧٥٥).صحيح مسلم: ١/ ٤٣٤ رقم (٤٥٣)؛ النسائي: ٢/ ١٧٤؛ أبو داود: رقم (٨٠٣)؛ يعقوب، المعرفة والتاريخ: ٢/ ٧٥٤؛ الطبراني: ١/ ١٣٧، ١٤٠ رقم (٢٩٠، ٣٠٨)؛ابن أبي الدنيا، مجابو الدعوة: ص ٤٤، ٤٥ رقم ٣٢.

(٤) كعب بن ماتع الحميري، أبو إسحاق، المعروف بكعب الأحبار، ثقة من الثانية، مخضرم، كان من أهل اليمن فسكن في الشام، توفي في آخر خلافة عثمان، وقد زاد على المائة (التقريب: ٤٦١).

(٥) ابن أبي شيبة، المصنف: ١٥/ ١١٢ بسند كله ثقات إلا أنه مرسل، الهندي، كنز العمال: ٧/ ١٦٤ من طريق ابن أبي شيبة.

عضال، فقيل له ما الداء العضال؟ قال: أهواء مختلفة ليس لها شفاء»[١].

- ويبدو أن محبة الفتن بين صفوفهم هي خاصية عُرفوا بها من بين الأقاليم الإسلامية؛ ولذلك قال الشعبي: «الكوفة أول مصر نزغ الشيطان بين أهله»[٢].

- وعندما خرج أبو ذر إلى الرَّبَذَة[٣] لقيه ركب من أهل العراق فقالوا: «يا أبا ذر، قد بلغنا الذي صنع بك، فاعقد لواء يأتيك رجال ما شئت قال: مهلاً مهلاً يا أهل الإسلام، إني سمعت رسول الله ﷺ يقول: (**سيكون بعدي سلطان فأعِزُّوه، من التمس ذلةً ثغر ثغرةً في الإسلام، ولم يقبل منه توبة حتى يعيدها كما كانت**)»[٤].

- «جاء رجل إلى حذيفة وإلى أبي مسعود الأنصاري وهما جالسان في المسجد، وقد طرد أهل الكوفة سعيد بن العاص، فقال: ما يحبسكم وقد خرج الناس؟ فوالله إنا لعلى السنة، فقال: وكيف تكونون على السنة وقد طردتم إمامكم؟! والله لا تكونون على السنة حتى يشفق الراعي وتنصح الرعية، قال: فقال الرجل: فإن لم يشفق الراعي وتنصح الرعية فما تأمرنا؟ قال: نخرج وندعكم»[٥].

---

(١) يعقوب، المعرفة والتاريخ: ٢/ ٧٥١ بسند حسن إذا ثبت أن فراتًا أدرك كعب الأحبار. وانظر أحمد بن عبد الله الرازي: تاريخ صنعاء: ص ٣٣٥.

(٢) الطبري: ٤/ ٢٥١.

(٣) الرَّبَذة: قرية إلى الشرق من المدينة بحوالي ١٥٠كم، على طريق الحج العراقي. (البلادي، معجم المعالم الجغرافية ١٣٥).

(٤) أحمد، المسند: ٥/ ١٦٥؛ ابن أبي عاصم، السنة: ٢/ ٥١٣ وقال محققه (الألباني): إسناده صحيح، ورجاله رجال الصحيح غير ابن حلبس، وهو يونس بن ميسرة، وهو ثقة.

(٥) ابن أبي شيبة، المصنف: ١٥/ ٢٥ بسند صحيح، وأبو صالح الحنفي (عبد الله بن قيس، الراوي)، قال ابن حجر: «قيل إن روايته عن حذيفة مرسلة»، (التقريب: ٣٤٩). وانظر قريبًا من ذلك في شرح أصول أصول اعتقاد أهل السنة للالكائي: ٧/ ١٢٦٥.

- ولقد عانى منهم عليٌّ ﷺ أشد المعاناة؛ فمِنْ مُؤَلِّه له،ومِنْ خارج عليه، حتى كان يقول في أهل الكوفة: «من يصول بهؤلاء فقد صال بالسهم الأخْيب»[(١)].

- وقال أبو صالح الحنفي: «رأيت علي بن أبي طالب أخذ المصحف فوضعه على رأسه حتى لأرى ورقه يتقعقع، ثم قال: اللهم إنهم منعوني أن أقوم في الأمة بما فيه فأعطني ثواب ما فيه، ثم قال: اللهم إني قد مللتهم وملوني، وأبغضتهم وأبغضوني، وحملوني على غير طبيعتي وخلقي وأخلاق لم تكن تعرف لي، فأبدلني بهم خيرًا منهم، وأبدلهم بي شرًا منيِّ، اللهم أمت قلوبهم ميت الملح في الماء- قال إبراهيم: يعني أهل الكوفة»[(٢)]. قال علي ﷺ لأهل الكوفة: «اللهم كما ائتمنتهم فخانوني، ونصحت لهم فغشوني، فسلِّط عليهم فتى ثقيف الذَّيَّال الميَّال؛ يأكل خضرتها، ويلبس فروتها، ويحكم فيها بحكم الجاهلية»[(٣)].

- وكان موقفهم من الحسن بن علي موقفًا سيئًا، يدل على خِسَّة وحقارة لا مثيل لها؛ فقد طعنوه واستلبوا متاعه، حتى أخذوا بعض جواريه، ولذلك قام الحسن خطيبًا بعدما بايع لمعاوية بالخلافة وقال: «يا أهل العراق لو لم تذهل نفسي عنكم إلا لثلاث لذهلت: بقتلكم أبي، ومطعنكم إياي، واستلابكم متاعي، اتقوا الله فينا فإنا أمراؤكم، وضيفانكم، ونحن أهل البيت الذي قال الله ﷻ عنهم:

---

(١) يعقوب،المعرفة والتاريخ: ٢/ ٧٥٢ بسند لا بأس به،فجميع رجال الإسناد ثقات، ما عدا مجالد بن سعيد ليس بالقوي، وقد تغير آخر حياته، ولكن يشهد له ما بعده.

(٢) يعقوب يعقوب، المعرفة والتاريخ: ٢/ ٧٥١ بسند صحيح؛ ابن عساكر ، تاريخ مدينة دمشق: ١/ ٣١٤ بسند صحيح.

(٣) البيهقي، دلائل النبوة: ٦/ ٤٨٨؛وقال ابن كثير: ٦/ ٣٢٨ منقطع.

﴿إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجْسَ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ﴾ [الأحزاب: ٣٣] فما زال يتكلم حتى ما يُرى في المسجد إلا باكيًا»[١].

- بل إنَّ بعض الصحابة والتابعين أصبح ينظر إلى أهل الكوفة نظرة ارتياب، في دينهم وصدقهم، وأصبحوا يحملون أقوالهم وأفعالهم على محمل الشر، وأنهم للخير مُجانبون؛ فهذه عائشة -رضي الله عنها- تقول: «يرحم الله عليًا ﷺ؛ إن كان من كلامه لا يرى شيئًا يعجبه إلا قال: صدق الله ورسوله، فيذهب أهل العراق يكذبون عليه ويزيدون عليه في الحديث»[٢].

وتقول عائشة أيضًا رضي الله عنها: «يا أهلَ العراق، أهلُ الشام خير منكم؛ خرج إليهم نفر من أصحاب رسول الله ﷺ قليل فحدثونا بما نعرف، وخرج إليكم نفر من أصحاب رسول الله ﷺ قليل فحدثتمونا بما نعرف وما لا نعرف»[٣].

وقال عبد الله بن عمرو بن العاص ﷺ لبعض أهل العراق: «إنكم معاشر أهل العراق، تأخذون الأحاديث من أسافلها، ولا تأخذونها من أعاليها...»[٤].

---

(١) سبق تخريجه في فصل البيعة، ص ١٣٨.

(٢) أحمد، المسند: ٢/ ٨٦(٦٥٦)، وقال المحقق: إسناده حسن؛ الساعاتي، الفتح الرباني: ٢٣/ ١٥٩-١٦٠؛ وأورده الحافظ ابن كثير في البداية: (٧/ ٢٩٢) وقال: تفرَّد به أحمد وإسناده صحيح، واختاره الضياء؛ يعني: في المختارة؛ وأخرجه أبويعلى: ١/ ٢٥٢(٤٦٩)؛ وأورده الهيثمي في المجمع: (٦/ ٢٣٥) وقال: رواه أبو يعلى ورواته ثقات.

(٣) يعقوب، المعرفة والتاريخ: ٢/ ٧٥٦ بسند حسن، إلا أنه من مراسيل الزهري.

(٤) قال الهيثمي في المجمع: ٧/ ٣٥٠: رواه الطبراني ورجاله ثقات.

- وقال سليمان بن الربيع: «لقينا عبد الله بن عمرو بن العاص في مكة، فقال لنا: ممّن أنتم؟ فقلنا: من أهل العراق، فقال: إن أهل العراق قوم يَكْذِبون ويُكَذِّبون ويسخرون»[(١)].

ولقد تجسّدت تلك النظرة السيئة لأهل العراق عند التابعين وعلماء المسلمين:

- فهذا الزهري يقول: «إذا سمعت بالحديث العراقي فاردد به ثم اردد به»[(٢)].

- ويقول طاووس: «إذا حدثك العراقي مئة حديث فاطرح منه تسعة وتسعين»[(٣)].

- وقال هشام بن عروة: «إذا حدثك العراقي ألف حديث فاطرح تسع مائة وتسعًا وتسعين حديثًا، وكن مع الباقي في شك»[(٤)].

- وقال الأوزاعي: «كانت الخلفاء بالشام، فإذا كانت بليَّة سألوا عنها علماء أهل الشام وأهل المدينة، وكانت أحاديث أهل العراق لا تجاوز جدر بيوتهم، فمتى كان علماء أهل الشام يحملون عن خوارج أهل العراق»[(٥)].

- وقال سالم بن عبد الله بن عمر في أهل الكوفة: «بئس القوم من سبأي وحروري»[(٦)].

- وقال الإمام مالك: «أنزلوا أحاديث أهل العراق منزلة أحاديث أهل الكتاب»[(٧)].

---

(١) ابن سعد، الطبقات: ٤/ ٢٦٧ بسند كل رجاله ثقات.
(٢) المعرفة والتاريخ: ٢/ ٧٥٧، ابن بدران، تهذيب تاريخ ابن عساكر: ١/ ٧٠.
(٣) المصدر السابق ونفس الصفحة.
(٤) المصدر السابق ونفس الصفحة.
(٥) المصدر السابق ونفس الصفحة؛ ابن بدران، تهذيب تاريخ ابن عساكر: ١/ ٧٠.
(٦) المصدر السابق ونفس الصفحة.
(٧) ابن عدي، الكامل في الضعفاء: ١/ ٩٤.

- وقال أبو مسلم الخولاني: «ما رأيت أسألَ عن صغيرة، ولا أركبَ لكبيرة منكم يا أهل العراق»(١).

- وقال محمد بن مسلم الطائفي: «إذا رأيت سفيان الثوري فاسأل الله الجنة، وإذا رأيت عراقيًا فاستعذ بالله من شره»(٢).

- وقال أبو حنيفة: «لقيت عطاءً فقال لي: ممن أنت؟ فقلت: من أهل الكوفة، فقال: من أهل القرية الذين فرقوا دينهم وكانوا شيعًا؟ قلت: نعم»(٣).

- وقال أحمد حين سُئل عن مسروق بن أجدع، وأنه لم يحضر الجمل، وأهل الكوفة يُصرُّون على أنه مشارك؛ قال: «أمَّا أهل الكوفة، فلو قدروا أن يلطخوا كل أحد لفعلوا»(٤).

وفي المجتمع الكوفي نبت مذهبان خطيران، لكلٍ منهما أثره الفكري والسياسي ضد الإسلام والمسلمين حتى هذه الأيام، وهما: المذهب الشيعي، والمذهب الخارجي.

والذي يهمُّنا ونحن نتحدث عن البنية الاجتماعية للمجتمع الكوفي، هو المذهب الشيعي الذي كان له الدور الكبير في أحداث المرحلة التي نحن بصددها، وبالأخص في قتل الحسين ﷺ.

---

(١) عبدالجبار الخولاني، تاريخ داريا: ص ٦٠.

(٢) ابن عدي، الكامل في الضعفاء: ١/ ٩٤.

(٣) المقري، نفح الطيب: ٥/ ٣٠٨؛ وانظر بتوسع حول الوضع في الحديث ومشاركته بعض أهل الكوفة في ذلك: كتاب بحوث في تاريخ السنة المشرفة ٢٢-٣٠، لأستاذنا الكبير: أكرم العمري.

(٤) السنة للخلال: ٤٦٧ بإسناد صحيح؛ مسائل الإمام أحمد لابن هانيء: ٢/ ٢٠١.

ب- المذهب الشيعي وتطوره:

قَسَّمت السياسة أهل الكوفة إلى قسمين: قسم ظاهر قضية علي ﷺ وتبنَّاها، وهم الأغلبية، وقسم وقفوا إمّا على الحياد، أو مع بني أمية، وهم قلَّة، وظهر المجتمع حزبين: شيعة وسنة، وظل هذا الانقسام قرونًا[1].

وأصبحت الأقاليم ذات اتجاهات سياسية واضحة؛ إذا ذُكِرَ إقليمٌ تغلب صفته عليه؛ فمثلا البصرة عثمانية، والكوفة علوية، والشام كلها أموية، والجزيرة خارجية، والحجاز سنية[2].

بل وأصبح كل إقليم له خاصية وصفة غلبت على أهله؛ فمثلاً يقول ابن قتيبة في وصف اتجاه أهل البصرة: «تدين بالكف؛ تقول: كن عبد الله المقتول ولا تكن عبد الله القاتل»[3].

ولكن المهم عندنا بيئة الكوفة الاجتماعية، وعلاقتهم بالتشيع، ومدى تطور العقائد الشيعية خلال القرن الأول الهجري.

تعريف التشيع:

الشيعة كما يقول الزبيدي: «كل قوم اجتمعوا على أمرٍ فهم الشيعة، وكل من عاون إنسانًا وتحزَّب له فهو شيعة له، وأصله المشايعة، وهي المطاوعة والمتابعة»[4]. وقال تعالى: ﴿وَإِنَّ مِن شِيعَتِهِۦ لَإِبْرَٰهِيمَ﴾ [الصافات: ٨٣].

---

(١) محمد جابر عبد العال، حركات الشيعة المتطرفين: ص ١٢.

(٢) ابن عبد ربه، العقد الفريد: ٦/ ٢٤٨.

(٣) عيون الأخبار: ١/ ٢٠٤.

(٤) الزبيدي، تاج العروس: ٥/ ٤٠٥.

وقال ابن منظور: «الشيعة: القوم الذين يجتمعون على أمر، وكل قوم اجتمعوا على أمر فهم الشيعة، وقد غلب هذا الاسم على من يتولَّى علي وأهل بيته»[١].

وقال محمد بن إسحاق: لما خالف طلحة والزبير عليًا رضي الله عنه، وذهب علي لقتالهما تسمَّى من اتبعه على ذلك الشيعة، فكان يقول: شيعتي[٢].

وقال النوبختي الشيعي: «الشيعة هم فرقة علي بن أبي طالب عليه السلام، المسمَّون بشيعة علي عليه السلام»[٣].

وقال مغنية: «الشيعة من أحب عليًا وتابعه، أو من أحبّه وتولّاه»[٤].

ولم يكن استعمال هذه اللفظة في العصر الأول من الإسلام إلّا في معناه الأصلي والحقيقي هذا، كما لم يكن استعمالها إلّا لأحزاب سياسية وفئات متعارضة في بعض المسائل التي تتعلَّق بالحكم والحكام؛ فحزب معاوية رضي الله عنه، وحزب علي رضي الله عنه، كان الاختلاف بينهما في وجهات النظر وأخذ الطابع السياسي؛ أي لم يكن بين القوم خلاف ديني يرجع إلى الكفر والإسلام.

«وأصل الشيعة: الفرقة من الناس، وتقع على الواحد والاثنين، والجمع والمذكر والمؤنث بلفظ واحد، وقد غلب هذا الاسم على كل من يزعم أنه يتولَّى عليًا رضي الله عنه وأهل بيته، حتى صار لهم اسمًا خاصًا؛ فإذا قيل: فلان من الشيعة، عُرف

---

(١) ابن منظور، لسان العرب: ٨/ ١٨٨.

(٢) ابن النديم، الفهرست: ٢٣٩.

(٣) فرق الشيعة: ص ٣٩.

(٤) الشيعة في الميزان: ص ١٧، ١٩؛ إحسان إلهي ظهير، الشيعة وأهل البيت: ٢١، ٢٣.

أنه منهم، وفي مذهب الشيعة كذا؛ أي عندهم. وتُجْمَع الشيعة على شِيَع، وأصلها من المشايعة؛ وهي المتابعة والمطاوعة»[١].

«وأما من يدَّعي بأن هذه اللفظة كانت شائعة في عهد النبي ﷺ كما كان التشيُّع موجودًا في عصره، والشيعة موجودة في زمنه، فلا ينهض به دليل، ولا يقوم به برهان»[٢].

لقد كان التشيُّع في بدايته يعني محبة علي ﷺ وخوض الحرب معه، ومعرفة فضل آل البيت، وهذا أمر معترف به حتى عند أهل السنة، ولا يشكك فيه أحد.

قال الذهبي: «كان الناس أمة واحدة، ودينهم قائمًا في خلافة أبي بكر وعمر، فلما استشهد قُفْل باب الفتنة: عمر بن الخطاب ﷺ ،وانكسر الباب، قام رؤوس الشر على الشهيد عثمان حتى ذُبح صبرًا، وتفرَّقت الكلمة، وتمت وقعة الجمل، ثم وقعة صفين»[٣].

«وكان الناس في الصدر الأول بعد وقعة صفين على أقسام: أهل السنة، وهم أولو العلم، وهم مُحبّون للصحابة، كافُّون عن الخوض فيما شجر بينهم؛ كسعد، وابن عمر، ومحمد بن مسلمة، وأمم. ثم شيعة يتولَّون وينالون ممن حاربوا عليًا، ويقولون إنهم مسلمون بغاة ظلمة. ثم نواصب؛ وهم الذين حاربوا عليًا يوم صفين، ويقرُّون بإسلام علي وسابقته، ويقولون: خذل الخليفة عثمان. فما علمت

---

(١) ابن الأثير: النهاية في غريب الحديث: ٢/ ٢٤٤.

(٢) إحسان إلهي ظهير، الشيعة والتشيع: ص ١٩.

(٣) الذهبي ،السير: ١١/ ٢٣٦.

في ذلك الزمان شيعيًا كفَّر معاوية وحزبه، ولا ناصبيًا كفَّر عليًا وحزبه، بل دخلوا في سب وبغض»[١].

وكان شيعة علي في أول الأمر هم أهل العراق في الجملة؛ وذلك في مقابل أهل الشام: شيعة معاوية. ولم يكن تشيُّع أهل العراق يعدو أن يكون تعبيرًا عن شعور العداء لبني أمية من جانب ولاية العراق المغلوبة، خصوصًا الكوفة التي نزلت مكانتها[٢].

وبعد استشهاد علي رضي الله عنه واصطلاح الحسن ومعاوية -رضي الله عنهما- أجبر أهل الكوفة على الخضوع للسلطان الأموي، فانطوت صدور المتشيعين على بغض بني أمية،ولكنهم لم يكونوا يستطيعوا الجهر بذلك، وظلوا على ولائهم للبيت العلوي، وحقِّهم في الخلافة، ولم يعترفوا بتنازل الحسن عن الخلافة، وكان لموته رنَّة في نفوسهم[٣].

وبذلك ارتفع في الكوفة شأن لحزب كان حتى ذلك الحين متواريًا في الظلام، واتخذ السبئية من واقع الكوفيين فرصة لبث أفكارهم، ولَمَّا كان الكوفيون يحملون البغض لبني أمية وأهل الشام -كما قال معاوية: أظهروا ذلًا تحته حقدًا[٤]- وقلوبهم وميولهم مع علي وبنيه، أصبح تقبُّل أفكار السبئية أمرًا سهلاً

---

(١) السير: ٥/ ٣٧٤.

(٢) فلهاوزن، تاريخ الدول العربية: ص ٦٣.

(٣) محمد عبد العال، حركات الشيعة المتطرفين: ص ١٢.

(٤) البلاذري، أنساب لأشراف:٤/ ١/ ١٢٥.

من جانبهم، ولذلك لم يجد السبئيون صعوبة في إيصال ما يريدون، وإقناع أهل الكوفة بتلك الأفكار المنحرفة، لذا نجد من ذلك الحين انحرافًا عقائديًا خطيرًا بدأ مبكرًا، وجاهروا به، ولعل في الشواهد التي سنسوقها خير دليل على ذلك:

لقد بدأ الكذب على علي ﷺ بعد وفاته، واستطاع أولئك الزنادقة أن يصلوا إلى الأقضية التي قضى بها علي، وأخذوا يحرِّفون بها كيفما يخدم مذاهبهم الفاسدة.

- فعن ابن أبي مليكة ﷺ قال: «كتبت إلى ابن عباس أسأله أن يكتب لي كتابًا ويخفي عني، فقال: ولد ناصح، أنا أختار له الأمور اختيارًا وأُخفي عنه. قال: فدعا بقضاء علي، فجعل يكتب منه أشياء، ويمرُّ به الشيء فيقول: والله ما قضى بهذا علي إلا أن يكون ضل»[١].

- وقال طاووس: «أُتي ابن عباس بكتاب فيه قضاء علي ﷺ فمحاه إلا قدرَ، وأشار سفيان بن عيينة بذراعه»[٢].

ولما أحدثوا تلك الأشياء، قال أحد أصحاب علي ﷺ: «قاتلهم الله؛ أيَّ علم أفسدوا».

قال النووي شارحًا لهذه العبارة: «فأشار بذلك الى ما أدخلته الروافض والشيعة في علم علي ﷺ وحديثه، وتقوَّلوه عليه من الأباطيل، وأضافوه إليه من الروايات والأقاويل المفتعلة والمختلقة، وخلطوه بالحق، فلم يتميز ما هو صحيح عنه مما اختلقوه»[٣].

---

(١) صحيح مسلم بشرح النووي: ١/ ٨٢.

(٢) صحيح مسلم بشرح النووي: ١/ ٨٣.

(٣) المصدر السابق ونفس الصفحة.

ولهذا فقد احتاط المحدثون في قبول الروايات الحديثية التي تُروى بالسند إلى علي ﵁، وجعلوا روايات أصحاب ابن مسعود عن علي -رضي الله عنهما- هي الصحيحة والمقبولة، وماعداها فهي موضع للشك والرد(١).

ويبدو أن أتباع ابن سبأ وجدوا ملأمة لهم في المجتمع الكوفي، وبدأت أفكارهم تنتشر، وأصبح التصريح بها أمرًا مألوفًا في غير وجل ولا خوف من أحد:

- فهذا رجل دخل على ابن عباس فقال: «متى يُبعث ذلك الرجل؟ فقال ابن عباس: أي رجل؟ فقال:علي، فقال ابن عباس: لا يُبعث حتى يَبعث الله من في القبور، قال: فقال: تقول ما يقول هؤلاء الحمقى، فأمر ابن عباس بإخراجه من داره»(٢).

- وقال عمران بن أبي عاصم للحسن بن علي ﵁: «إن هذه الشيعة تزعم أن عليًا مبعوث قبل يوم القيامة. قال: كذبوا والله؛ لو علمنا أنه مبعوث ما زوَّجنا نساءه، ولا قسمنا ماله»(٣).

على أنه يجب أن نميز خلال إطلاقنا اسم الشيعة بين من يعتقد هذه الاعتقادات، التي لا شك أنها من أفكار السبئية، وبين أولئك الذين يُطلق عليهم اسم الشيعة من المحدِّثين والصحابة وغيرهم.

---

(١) مسلم بشرح النووي: ١/ ٨٣.

(٢) ابن أبي شيبة، المصنف (كتاب الأمراء): ١١/ ٩٠ بسند صحيح؛ ابن عساكر، تاريخ دمشق: ٦/ ق ٥٠٣؛ ابن عبد ربه، العقد الفريد: ٢/ ٤٠٨.

(٣) ابن سعد، ط ٥/ ٢٥٦ وسنده فيه ضعف؛ لأن زهير بن معاوية سمع من أبي إسحاق بعد الاختلاط؛ الطبراني، الكبير: ١/ ٢٦ وإسناده حسن؛ وقال الهيثمي: (١٠/ ٢٢) إسناده جيد؛ ابن عساكر: ٤/ ق ٥٣٤؛ ابن كثير، البداية والنهاية: ٨/ ٤١؛الذهبي،السير: ٣/ ١٦٣.

فالمسميات لم تكن واضحة في تلك الفترة، فكل من يعتقد مثلًا بأفضلية علي على عثمان -رضي الله عنهما- بدون تنقّص لعثمان، فإنه يُطلق عليه شيعي، كما يطلق على من يعتقد أن عليًا هو الوصي بعد محمد ﷺ، أو يرى أن أبا بكر وعمر قد اغتصبا الخلافة، أو بغضهما ولعنهما، أو التبرُّؤ من جميع الصحابة، أو ما سوى ذلك من اعتقادات الشيعة المعروفة.

فَمُسمّى الرافضة إنما خرج في وقت متأخر نسبيًا أيام زيد[1] بن علي بن الحسين.

فأصبح كل من يقدح في أي صحابي، أو يرفض الاعتراف بخلافة وفضل أبي بكر وعمر، فهو رافضي[2].

ثم عندما صُنِّفت المصنَّفات في مختلف الفنون، حدَّد علماء الإسلام تلك المسميات تحديدًا دقيقًا: فتجد مُسمى السبئية واعتقاداتها، ومُسمى الشيعة واعتقاداتها، ونجد مُسمى الروافض كأصل لجميع الفرق الداخلة تحته، وهكذا.

ويمكن لنا أن نعرف حقيقة تشيُّع طائفة كثيرة من علماء الإسلام أو بعض الصحابة من أمثال سليمان بن صُرَد الخزاعي وحجر بن عدي وغيرهما، على أن المقصود بهذا التشيع هو شدة المحبة لعلي ﷺ وبنيه، أو تفضيل علي على عثمان،

---

(١) زيد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب، أبو الحسين المدني، ثقة من الرابعة، وهو الذي ينسب إليه الزيدية، خرج في خلافة هشام بن عبد الملك، فقتل بالكوفة سنة ١٢٢هـ وكان مولده سنة ثمانين (التقريب: ٢٢٤).

(٢) اللالكائي: ٧/ ١٢٦-١٢٧؛ ابن تيمية، الصارم المسلول: ٥٦٩؛ وانظر بتوسع عيادة الكبيسي، صحابة رسول الله: ﷺ ص ٣٣٣-٣٤٦.

وهذه في الغالب شُبَهٌ عرضت لهم، ولم يتبين لهم الحق فيها، وأما أن يعتقدوا تلك الاعتقادات الشنيعة التي يعتقدها (الرافضة) فمعاذ الله أن يكونوا بتلك الصفة.

وبالنظر لكتب المحدِّثين، نجد أن أسانيدهم تحتوي على رواة رُموا بالتشيع، ومع ذلك أخرجوا لهم(١).

ولا يمكن أن يُخْرِج البخاري ومسلم أو بقية أصحاب الستة والمسانيد لرافضي أبدًا؛ فدل ذلك على أن التشيع الذي كان يطلق عليهم لا علاقة له بالرفض وتطوره.

وليس أدل على تطور التشيع السريع في الكوفة مما ذكره أبو إسحاق السبيعي الكوفي(٢)، حينما قال: «خرجت من الكوفة وليس أحد يشك في فضل أبي بكر وعمر وتقديمهما، وقدمت الآن وهم يقولون، ولا والله ما أدري ما يقولون....»(٣).

قال أبوداود الطيالسي: «ما كتبت عن أحد بالكوفة إلا وهو يفضِّل أبا بكر وعمر على علي رضي الله عنهم»(٤).

وقال ليث بن أبي سليم: «أدركت الشيعة الأول وما يُفَضِّلون على أبي بكر

---

(١) انظر إلى القائمة التي وضعها أ. د. محمد مصطفى الأعظمي في كتابه منهج النقد عند المحدثين: ص ٣٤-٣٥.

(٢) هو عمرو بن عبد الله بن عبيد ابن أبي شعيرة الهمداني، أبو إسحاق السبيعي، ولد لسنتين بقيتا من خلافة عثمان رضي الله عنه، ثقة مكثر عابد، من الثالثة، اختلط بآخره، ت ١٢٩ هـ، وقيل قبل ذلك (التقريب: ٣٢٣).

(٣) الذهبي، المنتقى من منهاج الاعتدال: ص ٣٦٠.

(٤) ابن الأعرابي، المعجم: ١/ ٣٣٠ بسند كل رجاله ثقات.

وعمر أحدًا»[١].

وقال القفطي في ترجمة يحيى بن يعمر العدواني: «وكان شيعيًا، من الشيعة الأول القائلين بفضل أهل البيت»[٢].

وقال ابن عبد ربه: «الشيعة هم الذين يفضلون عليًا على عثمان ويتولَّون أبا بكر وعمر[٣]، إلا أنه قد نُقل عن بعض الأئمة التشدد في إطلاق لفظ شيعة أو روافض بحسب اعتقاد الشخص، قال الحسن بن علي البربهاري: «قال طعمة ابن عمرو وسفيان بن عيينة: من وقف عند عثمان وعلي فهو شيعي لا يُعَدَّل ولا يُكَلَّم ولا يُجالس، ومن قدَّم عليًا على عثمان فهو رافضي قد رفض آثار أصحاب رسول الله ﷺ. ومن قَدَّم الأربعة على جميعهم وترحَّم على الباقين، فهو على طريق الاستقامة والهدى في هذا الباب»[٤].

«وكان يزيد بن هارون الواسطي لا يرى بأسًا أن يُقدَّم عليٌّ على عثمان، فأنكر ذلك أحمد وقال: إن أهل واسط يتشيَّعون»[٥].

وكان أهل الكوفة يُفضِّلون عليًّا على عثمان[٦]. ولذا قال أحمد: «إذا أَصبت الكوفي صاحب سُنّة فهو يفوق الناس»[٧].

---

(١) المنتقى: ص ٣٦٠-٣٦١.

(٢) القفطي، إنباه الرواة: ٢/ ٢٥.

(٣) العقد الفريد: ٢/ ٤٠٤.

(٤) البربهاري، شرح السنة: ص٥٨.

(٥) السنة للخلال: ص٣٩٤.

(٦) السنة للخلال: ص ٣٩٥.

(٧) السنة للخلال: ص٣٩٥.

وقال الذهبي في رده على عبدالله بن محمد الأنصاري حين قال عن الحاكم: رافضي خبيث، فقال: «ولم يُصب؛ فإن الحاكم ليس برافضي، بل هو شيعي مُعظِّم للشيخين بيقين، ولذي النورين، وإنما تكلَّم في معاوية ﷺ فأُوذي»[١].

لقد كانت عقائد السبئية مواكبة للتشيُّع منذ بدايته، ولكن ظهور سب الصحابة رضوان الله عليهم، و التبرِّي من أبي بكر وعمر أصبح أمرًا سائدًا عند الشيعة أنفسهم، وظلَّت الكوفة مركزًا أساسيًا للرفض فيما بعد[٢]، لقد رَوى ابن حبان عن ابن عباس قوله: «يا غلام، إيّاك وسب أصحاب النبي ﷺ، فإن سبَّهم مفقرة»[٣].

ومحمد بن الحنفية يقول للشيعة: «إنَّا لا نحب اللعَّانين ولا المفرِّطين،ولا المستعجلين بالقدر»[٤].

وقام علي بن الحسين بطرد نفر من أهل الكوفة عندما علم أنهم يسبّون أبا بكر وعمر[٥].

---

(١) معجم الشيوخ (المعجم الكبير): ٢/ ٢٨١.

(٢) ذكر ابن الجوزي في المنتظم: ٨/ ١٤٣ حادثة تدل على أن الكوفة أصبحت مهدًا ومسرحًا للرفض، كما أنه لا يستطيع أحد أن يُبيح بعقيدة أهل السنة فيها، وإلّا كان جزاؤه القتل؛ قال في ترجمة محمد بن علي الصوري ت ٤٤١هـ: «أظهر السنة في الكوفة، وكان يترحَّم على أبي بكر وعمر، فكاد أن يقتله أهل الكوفة، ففرَّ والتجأ إلى أبي طالب بن عمر العلوي، وكان يسب الصحابة فأجاره، فقال: احضر كل يوم عندي واروِه لي كل ما سمعت في فضائل الصحابة، فقرأ عنده فضائلهم، فتاب أبو طالب وقال: «قد عشت أربعين سنة أسب الصحابة وأشتهي أن أعيش مثلها حتى أذكرهم بخير...».

(٣) الثقات: ٨/ ٣.

(٤) ابن أبي شيبة، المصنف: ١١/ ١٠٣-١٠٤.

(٥) ابن عساكر: ١٢/ ق ٤٤ من كلا الطريقين.

ولم يقتصر الأمر على سب أبي بكر وعمر، بل تعداهما إلى أمر خطير؛ حيث أخذوا يؤلِّفون الروايات الكاذبة التي تخدم مذهبهم الفاسد، وينسبون ذلك إلى آل البيت.

وقد استشرى هذا الأمر الخطير، والذي جعل آل البيت أنفسهم يتبرؤون من ذلك الكذب الذي يُروى ويُنسب إليهم.

قال مسعود بن مالك: قال لي علي بن الحسين: «إنَّه ليس عندنا ما يرمينا به هؤلاء وأشار بيده إلى العراق»[1]. وقال علي بن الحسين: «يا معشر أهل العراق، يا معشر أهل الكوفة: أحبونا حب الإسلام ولا ترفعونا فوق حقِّنا»[2].

ولما رأى علي بن الحسين تنامي الكذب عليه من قبل أهل الكوفة (الشيعة)، وتذكّر المصائب التي حلَّت بأبيه وجده -رضي الله عنهم- وذلك بسبب خيانات وكذب أهل الكوفة، قال لهم: «يا أهل العراق: أحبونا حُبّ الإسلام، فما برح بنا حبكم حتى صار علينا عارًا، وبغَّضتمونا إلى الناس»[3].

ويبدو أن تقديس آل البيت أصبح ظاهرة أخرى تميز الشيعة في ذلك الوقت المبكّر، حتى وصل الأمر إلى الغلو.

قال عبد الله بن موهب: «جاء نفر إلى علي بن الحسين، فأثنوا عليه، فقال: ما أكذبكم،

---

(١) ابن سعد: ٥/ ٢١٦ بسند صحيح.

(٢) ابن سعد: ٥/ ٢١٦؛ أبو نعيم، حلية الأولياء: ٣/ ١٣٧.

(٣) ابن سعد: ٥/ ٢١٤ بإسناد صحيح؛ الخلال، السنة: ٥٠٠ بإسناد صحيح ؛ الدولابي، الذرية الطاهرة: ٨٩-٩٠ بإسناد حسن ؛ الطبراني: ٣/ ٣٨-٣٩، وقال الهيثمي عنه في المجمع ٩/ ٢١: إسناده حسن؛ المستدرك: ٣/ ١٧٩، وقال الحاكم: هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه، ووافقه الذهبي؛ العصامي، سمط النجوم العوالي: ٢/ ٢٩٩.

وما أجر أكم على الله! نحن من صالحي قومنا، وبحسبنا أن نكون من صالحي قومنا»[١].

قال الحافظ أبو يعلى الخليلي في كتابه الإرشاد: «تأمَّلت ما وضعه أهل الكوفة في فضائل علي ﷺ وأهل البيت، فزاد على ثلاث مئة ألف حديث»[٢].

وقال ابن القيم: «وأما ما وضعه الرافضة في فضائل علي فأكثر من أن يعد»[٣].

كما أن من ظواهر الاعتقاد التي عند الشيعة في ذلك الوقت مسألة: **التَقِيَّة**؛ فقد أخذوا يفسرون أعمال آل البيت وصلتهم مع المسلمين وأمرائهم على أنها تقية:

فهذا أبو جعفر الباقر[٤] يقول لبعضهم: «إنا نُصلِّي خلفهم في غير تقيَّة، وأشهد على علي بن الحسين أنه كان يُصلِّي خلفهم في غير تقيّة»[٥].

وبهذا نستطيع أن نعرف إلى أي مدى بلغ تطور معتقدات الشيعة، ومن ثم كان ذلك التطور سريعًا، وكان يقف وراءه أيد حانقة على الإسلام والمسلمين، اتخذت من الكذب ومحبة آل البيت سلاحًا فتاكًا للوصول إلى مقاصدها.

ولذلك قال الشافعي: «لم أر أحدًا من أصحاب الأهواء أكذب في الدعوى، ولا أشهد بالزور من الرافضة»[٦].

---

(١) ابن سعد: ٥/ ٢١٤ بسند لا بأس به، وانظر ابن عساكر: ١٢/ ق ٤٤ من طريق ابن سعد وأبي نعيم.

(٢) الإرشاد: ١/ ٤٢٠.

(٣) ابن القيم، المنار المنيف: ص ١١٦.

(٤) محمد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب، أبو جعفر الباقر، ثقة فاضل، من الرابعة، مات سنة بضع عشرة ومئة (التقريب ٤٩٧).

(٥) ابن سعد: ٥/ ٢١٣ بسند لا بأس به.

(٦) ابن بطة، الإبانة عن شريعة الفرقة الناجية: ٢/ ٥٤٥؛ البيهقي، السنن الكبرى: ١٠/ ٢٠٨، وله مناقب الشافعي: ١/ ٤٦٨؛ اللالكائي، شرح أصول اعتقاد أهل السنة: ٧/ ١٤٥٧.

وقال الشعبي يصف الرافضة: «لو أردت أن يعطوني رقابهم عبيدًا، وأن يملؤوا بيتي ذهبًا،على أن أكذب لهم على عليٍّ كذبة واحدة لقبلوا... وإنِّي درست الأهواء كلَّها فلم أر قومًا أحمق من الرافضة؛ فلو كانوا من الدواب لكانوا حميرًا، ولو كانوا من الطير لكانوا رخمًا»[١].

وقال المأمون: «وجدت أربعة في أربعة: الزهد في المعتزلة، والكذب في الرافضة، والمروءة في أصحاب الحديث،وحب الرياسة في أصحاب الرأي»[٢].

وقال القاسم بن سلام: «عاشرت الناس وكلَّمتُ أهل الكلام، وكذا ، فما رأيت أوسخ وسخًا، ولا أقذر قذرًا، ولا أضعف حجة،ولا أحمق من الرافضة»[٣].

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية: «إن الرافضة لجهلهم لا يحسنون أن يحتجوا، ولا يحسنون أن يكذبوا كذبًا ينفق»[٤].

وقال أيضًا:«الشيعة أقل الطوائف عقلاً ودينًا، وأكثرهم جهلاً»[٥]

وقال أيضًا: «والرافضة من فرط جهلهم يكذبون الكذب الذي لا يخفى على من له بالسيرة أدنى علم»[٦].

---

(١) العقد الفريد: ٢/ ٤٠٩؛ اللالكائي، شرح أصول اعتقاد أهل السنة: ٥/ ١٤٦١؛الخلال، السنة: ص ٤٩٦ ؛ ابن الأعرابي، المعجم: ٢/ ٢٦.

(٢) العصامي، سمط النجوم العوالي: ٢/ ٢٦.

(٣) الخلال، السنة: ص ٤٩٩.

(٤) منهاج السنة: ٦/ ٦٣.

(٥) المصدر السابق: ٦/ ٣٤٢.

(٦) المصدر السابق: ٢/ ٢٧٦.

ونظرًا لكون الرفض أحد المعتقدات التي يُقصد بها هدم الإسلام، وإبطال أحكامه وشرائعه، فقد حذَّر علماء الإسلام من ذلك، وقالوا بأن الرفض باب الزندقة؛ كما حكاه القاضي أبو بكر بن الطيب عن الباطنية وكيفية إفسادها دين الإسلام، فقال: «قالوا للداعي: يجب عليك إذا وجدت من تدعوه مسلمًا، أن تجعل التشيُّع عنده دينك وشعارك، واجعل المدخل من جهة ظلم السلف لعلي وقتلهم الحسين، والتبرؤ من تيم وعدي، وبني أمية وبني العباس، وأن عليًا يعلم الغيب، يُفوَّض إليه خلق العالم... فإذا أنِست من بعض الشيعة عند الدعوة إجابة ورشدًا أوقفه على مثالب علي وولده رضي الله عنهم»[(١)].

وبالتأمُّل في عقائد الرافضة وعقائد اليهود نجد أن التشابه بين العقيدتين كبير، الأمر الذي يؤكد أن السبئية هم المحرك لعقائد الروافض، والمطوِّر لها، حتى وصلت إلى حالتها تلك، وإلى الآن.

قال الشعبي: «...الرافضة يهود هذه الأمة؛ يُبغضون الإسلام كما يُبغض اليهود النصرانية، ولم يدخلوا الإسلام رغبة ولا رَهْبة من الله، ولكن مقتًا لأهل الإسلام، وبغيًا عليهم... ومحنة الرافضة محنة اليهود؛ قالت اليهود: لا يكون الملك إلا في آل داود، وقالت الرافضة: لا يكون الملك إلا في آل أبي طالب، وقالت اليهود: لا يكون جهاد حتى يخرج المسيح المنتظر ويُنادي مُنادٍ من السماء، وقالت الرافضة: لا يكون الجهاد في سبيل الله حتى يخرج المهدي، وينزل سبب

---

(١) العقيدة الطحاوية: ٤٩٠-٤٩١.

من السماء، واليهود يؤخِّرون صلاة المغرب حتى تشتبك النجوم، وكذلك الرافضة،...واليهود تستحل دم كل مسلم، وكذلك الرافضة، واليهود حرَّفوا التوراة، وكذلك الرافضة حرَّفت القرآن، واليهود تبغض جبريل وتقول: هو عدوُّنا من الملائكة، وكذلك الرافضة تقول: غلط جبريل في الوحي إلى محمد بترك علي بن أبي طالب، واليهود لا تأكل لحم الجزور، وكذلك الرافضة. ولليهود والنصارى فضيلة على الرافضة في خصلتين؛ سُئِل اليهود من خير أهل ملَّتكم؟ فقالوا: أصحاب موسى، وسُئِلت النصارى، فقالوا: أصحاب عيسى، وسئلت الرافضة: من شرُّ أهل ملَّتكم؟ فقالوا: أصحاب محمد، أمرهم الله بالاستغفار لهم فشتموهم ... كلما أوقدوا نارًا للحرب أطْفأها الله»[1].

ولقد أكّد تأثير اليهودية على العقيدة الشيعية ولهوسن[2].

وعند النظر إلى معتنقي عقيدة الرافضة نجد أن غالبيتهم من أصول فارسية، أو من الشعوب التي كانت تحت سلطانهم، ودافع ذلك: البغض للإسلام وأهله.

قال المقريزي: «كان للفرس سعة من الملك وعلو اليد، وكانوا يعدُّون العرب أقل الأمم خطرًا، فلما زالت دولة الفرس على يد العرب، تعاظم لديهم الأمر وتضاعفت المصيبة، وراموا الكيد للإسلام، ورأوا أن الكيد له بالحيلة أنجع، فأظهر

---

(١) العقد الفريد: ٢/ ٤٠٩ - ٤١٠،وانظر مختصر (التحفة الاثنا عشرية ص٢٩٨-٣٠٠. السنة للخلال ٤٩٧-٤٩٨؛ وانظر في مقارنة اليهود بالرافضة-رسالة في الرد على الرافضة للمقدسي، ورسالة ماجستير في الجامعة الإسلامية بعنوان: أوجه الشبه بين اليهود والرافضة، لـ د. إبراهيم الرحيلي.

(٢) أحمد أمين، فجر الإسلام: ص ٢٧٧.

قوم منهم الإسلام، واستمالوا أهل التشيُّع، بإظهار محبة أهل البيت واستبشاع ظلم علي، ثم سلكوا بهم مسالك شتى، حتى أخرجوهم عن طريق الهدى»(١).

وكان التشيّع يتخذه الانتهازيون لتحقيق أهدافهم في محاربة الإسلام ومحاولة القضاء عليه(٢).

وقد استرعى انتباه المستشرقين ذلك الغلو في آل البيت، ورأوا أن الكذب هو الأسلوب الذي استخدمه الرافضة في تقديس آل البيت، وقد قال داويت دو فلوش: «إننا لو درسنا حياة الأئمة دراسة دقيقة وافية لانكشف لنا حقيقة هامة هي: أن رجالها لا يزيدون عن مستوى الشخص العادي بشيء، وقد رُفِعُوا إلى مصاف الخالدين، لقد كانت حياتهم الحقيقية مجردة عن التمجيد والتقديس، فأحاطتهم القصص المتأخرة بهالة من الجلال، وجعلتهم قدِّيسين وأنبياء وآلهة»(٣).

والحق أن التشيُّع كان مأوى يلجأ إليه كل من أراد هدم الإسلام لعداوة أو حقد؛ من كان يريد إدخال تعاليم آبائه من اليهودية والنصرانية والزردشتية والهندية، ومن كان يريد استقلال بلاده والخروج على مملكته؛ كل هؤلاء كانوا يتخذون حب أهل البيت ستارًا يضعونه وراء كل ما شاؤوا من أهوائهم(٤).

ويبدو أن استغلال اليهود للتشيع لم يقتصر عليهم فقط، بل شاركهم فيه النصارى؛ يقول شاعرهم الموصلي النصراني في علي رضي الله عنه:

---

(١) السلوك: ١/ ٣٦٢.

(٢) بروكلمان، الشعوب الإسلامية: ٢/ ١٣٧.

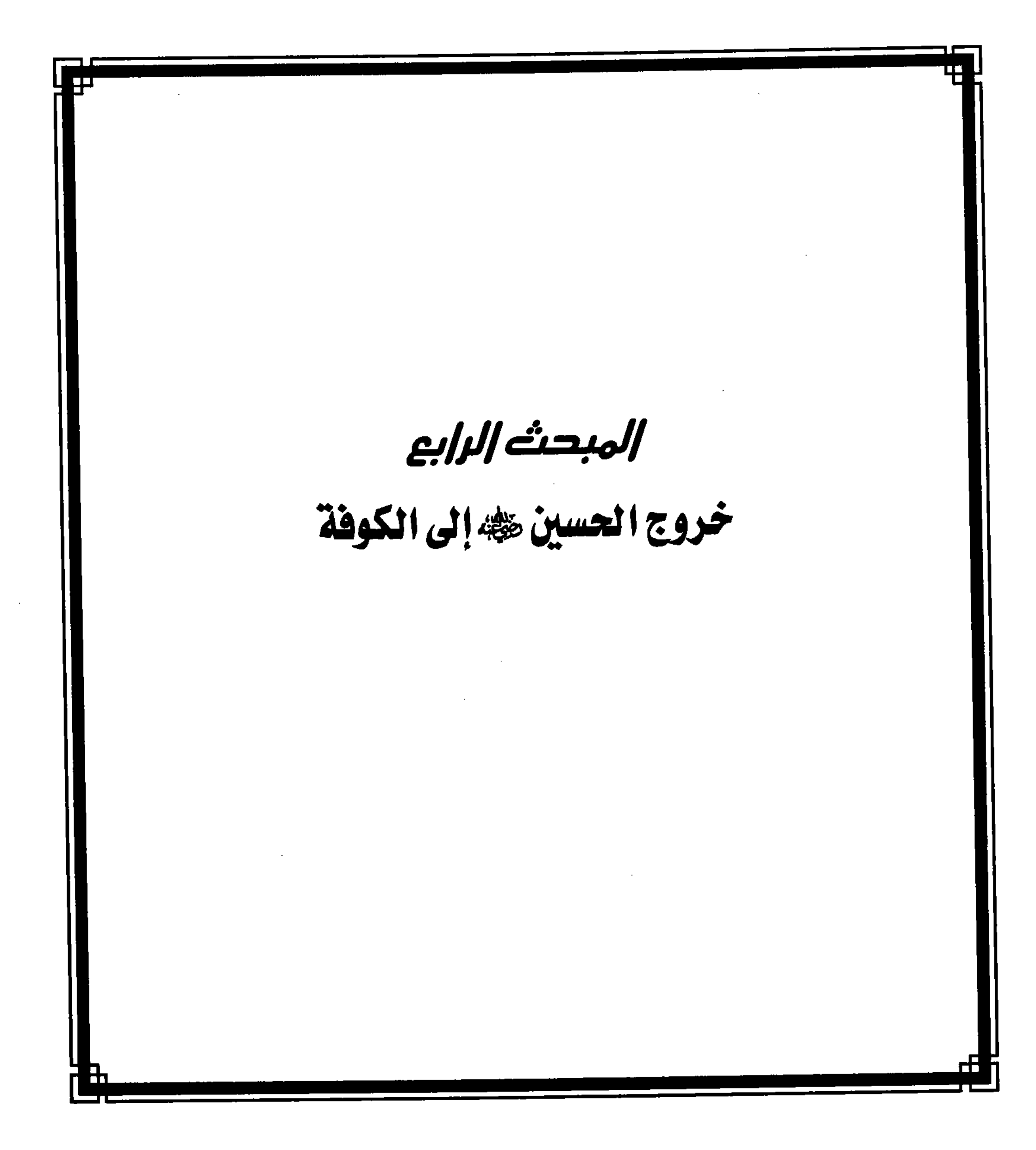
(٣) أحمد شلبي، موسوعة التاريخ الإسلامي: ٢/ ١٥١.

(٤) أحمد أحمد أمين، فجر الإسلام: ١٧٦.

وهـل تأخـذني في عـلي وحبـه إذا لم أعـش يومـًا ملائمـة لائـم
ويقولون مـا بـال النـصارى تحبـه وأهل التقى مـن معـرب وأعـاجم
فقلـت لهـم إني لأحـب حبـه طـوا لهـب في قلـوب البهـائم(١)

(١) البيهقي: المحاسن والمساوئ ٩٢.





المبحث الرابع

خروج الحسين رضي الله عنه إلى الكوفة



المبحث الرابع

خروج الحسين ﷺ إلى الكوفة

أ- عزم الحسين على الخروج إلى الكوفة:

بعد توافد الرسائل من زعماء الكوفة على الحسين ﷺ، والتي تطلب منه المسارعة في القدوم إليهم، ولما كان العدد مشجعًا- أكثر من مئة ألف مبايع- أراد أن يطَّلع على حقيقة الأمر، فبعث ابن عمه مسلم بن عقيل بن أبي طالب ليستجلي له حقيقة الخبر، ثم يكتب إليه بواقع الحال، فإن كان ما يقولون حقًا قدم عليهم[(١)].

خرج مسلم بن عقيل بصحبة عبد الرحمن بن عبد الله الأرحبي، وقيس بن مسهر الصيداوي، وعمارة بن عبيد السلولي. فلمَّا وصل مسلم المدينة أخذ معه دليلين، وفي الطريق إلى الكوفة تاهوا في البرية ومات أحد الدليلين عطشًا، وكتب مسلم إلى الحسين يستعفيه؛ وذلك بسبب إحساسه النفسي لمدى الصعوبات التي تنتظره في الكوفة، ولكن الحسين رفض طلبه، وأمره بمواصلة المسير نحو الكوفة[(٢)].

وذكر أبو مخنف أن مسلم بن عقيل لما دخل الكوفة نزل عند المختار بن أبي عبيد الثقفي[(٣)]، بينما تؤكِّد رواية حصين بن عبد الرحمن السلمي- الراوي- على

---

(١) البلاذري ، أنساب الأشراف: ٣/ ١٥٩؛ الطبري: ٥/ ٣٥٤؛ البياسي، الإعلام بالحروب: ٢/ ٦٠؛ المزي، تهذيب الكمال: ٦/ ٤٢٢.

(٢) الطبري: ٥/ ٣٤٧؛ المزي، تهذيب الكمال: ٦/ ٤٢٢؛ ابن حجر، تهذيب التهذيب:٢/ ٣٠١، وذكر البلاذري والطبري أن كلا الدليلين ماتا عطشًا، البلاذري، أنساب الأشراف: ٣/ ١٥٩؛ الطبري: ٥/ ٣٥٤.

(٣) الطبري: ٥/ ٣٦١.

أن مسلمًا نزل عند هانئ بن عروة[١].

وأما رواية أبي معاوية الدُّهني فتذهب إلى أن مسلمًا نزل على رجل يقال له ابن عوسجة[٢].

ويمكن أن يزول الإشكال والتضارب بين هذه الروايات، إذا عرفنا أن مسلم بن عقيل قد أقام عند أولئك النفر على فترات معينة، ولأسباب أمنية ملحة.

فقد نزل عند المختار[٣] بن أبي عبيد في أول قدومه إلى الكوفة، فلما جاء ابن زياد وتولى إمارة الكوفة، وأخذ يشدد على الناس، انتقل مسلم عند هانئ بن عروة؛ وذلك خشية انكشاف أمره، ثم لمكانة هانئ وأهميته كأحد أعيان الكوفة[٤].

وبعد أن تم القبض على هانئ بن عروة، أو بالأحرى لَمَّا بدا الشك يساور ابن زياد من هانئ بن عروة خشي مسلم بن عقيل على نفسه، وانتقل أخيرًا ولفترة قصيرة جدًا عند مسلم بن عوسجة الأسدي؛ أحد دعاة الشيعة[٥].

---

(١) البلاذري، أنساب الأشراف: ٣/ ٢٢٤، بسند صحيح؛ الطبري: ٥/ ٣٩١.

(٢) الطبري: ٥/ ٣٤٧.

(٣) المختار بن أبي عبيد الثقفي الكذَّاب، كان والده الأمير أبو عبيد صاحب معركة الجسر أيام خلافة عمر بن الخطاب، ونشأ المختار فكان من كبراء ثقيف، وذوي الرأي، والفصاحة، والشجاعة، والدهاء، وقلة الدين، وهو الكذَّاب الذي جاء ذكره في الحديث الصحيح؛ ادعى محبة آل البيت، وتولَّى على العراق بعد وفاة يزيد، ثم ادَّعى أن الوحي ينزل عليه، ووجَّه له ابن الزبير أخاه مصعبًا وقتله. (سير أعلام النبلاء: ٣/ ٥٣٩-٥٤٤).

(٤) سير أعلام النبلاء: ٥/ ٣٦١.

(٥) الطبري: ٥/ ٣٦١.

ولما بلغ أهل الكوفة قدوم مسلم بن عقيل قدموا إليه فبايعه اثنا عشر ألفًا[1]؛ وتذكر بعض الروايات أن عدد المبايعين أكثر من ثلاثين ألفًا[2].

لقد تمت تلك المبايعة بصورة سرية مع تحرُّص شديد، ولما تأكَّد لمسلم بن عقيل رغبة أهل الكوفة في الحسين وقدومه إليهم كتب إلى الحسين: «أمَّا بعد، فإن الرائد لا يكذب أهله؛ إن جميع أهل الكوفة معك، فأقبل حين تنظر في كتابي»[3].

وهنا تأكَّد للحسين صدق نوايا أهل الكوفة، وأنه ليس عليهم إمام كما ذكروا من قبل[4].

فلا بد في هذه الحالة أن يفي لهم بما وعدهم به، حين كتب إلى أهل الكوفة: «وقد بعثت إليكم أخي وابن عمي وثقتي من أهل بيتي، وأمرته أن يكتب إليَّ بحالكم وأمركم ورأيكم، فإذا كتب إليَّ أنه قد أجمع رأي ملئكم وذوي الفضل والحِجى منكم على مثل ما قدمت به رسلكم، وقرأْتُه في كتبكم، أقدم عليكم إن شاء الله...»[5].

فلما وصل إلى الحسين كتاب مسلم بن عقيل الذي طلب منه القدوم إلى الكوفة، وأن الأمر مهيأ لقدومه، تجهَّز الحسين بن علي، وعزم على المضي إلى الكوفة بأهله وخاصته.

---

(١) ابن عساكر، تاريخ دمشق (ترجمة الحسين بن علي ﷺ)؛ المزي، تهذيب الكمال: ٦/ ٤٢٣؛ ابن حجر، تهذيب التهذيب: ٢/ ٣٠١.

(٢) العقد الفريد: ٤/ ٣٧٦-٣٧٨.

(٣) البلاذري،أنسا الأشراف: ٣/ ١٦٧.

(٤) الطبري: ٥/ ٣٥٣.

(٥) المصدر نفسه ونفس الصفحة.

نصائح الصحابة والتابعين ورأيهم في خروج الحسين إلى الكوفة:

لما بلغ محمد بن الحنفية عزم أخيه الحسين على الخروج إلى الكوفة قدم عليه وقال: «يا أخي أنت أحب الناس إليَّ، وأعزهم عليَّ، ولست أدَّخر النصيحة لأحد من الخلق أحق بها منك؛ تنحّ ببيعتك عن يزيد بن معاوية وعن الأمصار ما استطعت، ثم ابعث رسلك إلى الناس فادعهم إلى نفسك، فإن بايعوا لك حمدت الله على ذلك، وإن أجمع الناس على غيرك لم يُنقص الله بذلك دينك وعقلك، ويذهب به مروءتك ولا فضلك؛ إني أخاف أن تدخل مصرًا من الأمصار وتأتي جماعة من الناس ، فيختلفون بينهم، فمنهم طائفة معك، وأخرى عليك، فيقتتلون فتكون لأول الأسنَّة، فإذا خير هذه الأمة كلها نفسًا وأبًا وأمًا، أضيعها دمًا، وأذلها أهلًا، فقال له الحسين: فإني ذاهب يا أخي، قال: فانزل مكة ، فإذا اطمأنَّت بك الدار فسبيل ذلك، وإن نبت بك لحقت بالرمال وشعف الجبال، وخرجت من بلد إلى بلد حتى تنتظر إلى ما يصير أمر الناس، وتعرف عند ذلك الرأي؛ فإنك أصوب ما تكون رأيًا وأحزمه عملاً حين تستقبل الأمور استقبالاً، ولا تكون الأمور عليك أبدًا أشكل منها حين تستدبرها استدبارًا، قال: يا أخي قد نصحت فأشفقت، وأرجو أن يكون رأيك سديدًا»[1].

ولما بلغ خبر عزمه على الخروج إلى ابن عمه عبد الله بن عباس أتاه وقال: «يا ابن عم إنك قد أرجف الناس أنك سائر إلى العراق، فبيِّن لي ما أنت صانع؟ قال:

---

(١) البلاذري، أنساب الأشراف: ٤/ ١٥-١٦ من رواية أبي مخنف وعوانة؛ الطبري: ٥/ ٣٤١ من طريق أبي مخنف.

قد أجمعت المسير في أحد يومي هذين إن شاء الله تعالى.

فقال له ابن عباس: فإني أعيذك بالله من ذلك؛ أخبرني رحمك الله أتسير إلى قوم قتلوا أميرهم، وضبطوا بلادهم، ونفوا عدوهم، فإن كانوا قد فعلوا ذلك فسر إليهم، وإن كانوا إنما دعوك إليهم، وأميرهم عليهم، وعمّاله تجبي بلادهم، فإنهم إنما دعوك إلى الحرب والقتال، ولا آمن عليك أن يغرُّوك ويكذِّبوك ويخالفوك ويخذلوك، وأن يستنفروا إليك فيكونوا أشد الناس عليك، فقال له حسين: وإني أستخير الله وأنظر ما يكون.

قال: فلما كان العشي من الغد، أتى الحسين ابن عباس فقال: يا ابن عمي إني أتطيَّر ولا أصبر، وإني أتخوَّف عليك في هذا الوجه الهلاك والاستئصال، وإن أهل العراق يريدونك كما زعموا فاكتب إليهم، فلينفوا عدوهم، ثم اقدم عليهم، فإن أبيت إلا أن تخرج فسر إلى اليمن فإن بها حصونًا وشعابًا، وهي أرض عريضة طويلة، ولأبيك بها شيعة، وأنت عن الناس في عزلة، فتكتب إلى الناس وترسل، وتبث دعاتك، فإني أرجو أن يأتيك عند ذلك الذي تحب في عافية، فقال الحسين: يا ابن عم، والله إني أعلم أنك ناصح مشفق، ولكن قد أزمعت وأجمعت المسير، فقال له ابن عباس: فإن كنت سائرًا فلا تسِر بنسائك، وصبيتك، فوالله إني لخائف أن تُقتل كما قُتل عثمان، ونساؤه وولده ينظرون إليه»[1].

وابن الزبير ﷺ الذي اتهمته بعض الروايات أنه أحد المتسببين في إقناع

---

(١) الطبري: ٥/ ٣٨٣-٣٨٤ من طريق أبي مخنف؛ ابن عساكر، تاريخ دمشق (ترجمة الحسين ﷺ ص٢٠٤)؛ المزي، تهذيب الكمال: ٦/ ٤٢٠.

الحسين بالخروج إلى الكوفة، هو نفسه ثبت عنه أنه قد أسدى النصائح للحسين، وحذَّره من مغبَّة مغادرة مكة والذهاب إلى الكوفة.

وقد نصح الحسين قائلاً: «أين تذهب؟ إلى قوم قتلوا أباك وطعنوا أخاك؟ فقال له الحسين: لأن أُقتل بمكان كذا وكذا أحب إلي من أن تُسْتَحَلَّ بي- يعني مكة..»[1].

وجاءه عمر[2] بن عبد الرحمن بن الحارث بن هشام المخزومي وقال: «يا ابن عم، إنك تأتي بلدًا فيه عماله وأمراؤه، ومعهم بيوت الأموال، وإنما الناس عبيد لهذا الدرهم والدينار، ولا آمن عليك أن يقتلك من وعدك ونصرك»، ثم دعا له بخير وانصرف، ولمَّا أخبر الحارث بن خالد بن العاص بن هشام بما قاله للحسين قال: «نصحته ورب الكعبة»[3].

وقد نظر بعض الصحابة إلى العمل الذي سيقدم عليه الحسين على أنه في حقيقته خروج على الإمام صاحب البيعة، كما نظروا إلى خروج الحسين وما يحمله

---

(١) ابن أبي شيبة: ١٥/ ٩٥ بسند حسن؛ المعرفة والتاريخ: ٢/ ٧٥٣ بنفس السند؛ الطبري: ٥/ ٣٨٤-٣٨٥ من طريق أبي مخنف؛ وأمّا ما ذكر من أن ابن الزبير كان حريصًا على حمل الحسين على الخروج إلى الكوفة فلم يثبت في ذلك شيء صحيح، وجاءت من طرق ضعيفة، (الطبري: ٥/ ٣٨٣ من طريق أبي مخنف، ابن سعد: ط٥/ ٤٠١ إسناد ضعيف مرسل) واعتمد على سند ابن سعد هذا كل من ابن عساكر، ترجمة الحسين: ٢٦٤-٢٦٥؛ المزي، تهذيب: الكمال ٦/ ٤٤٠، ابن الشجري، الأمالي الخمسية: ١/ ١٧٤؛ ابن كثير: ٨/ ١٨٣ من طريق يعقوب الفسوي.

(٢) عمر بن عبد الرحمن بن الحارث بن هشام المخزومي، المدني، أخو بكر، ثقة، من الثانية، ولد يوم مات عمر، فعاش إلى أن ولاه ابن الزبير الكوفة، ثم صار مع الحجاج، مات بعد السبعين (التقريب ٤١٥).

(٣) البلاذري، أنساب الأشراف: ٣/ ١٦١؛ الطبري: ٥/ ٣٨٢ من طريق أبي مخنف.

خروجه على أنه نذر شر وبلاء على الأمة؛ مهما كانت النتائج لأي من الطرفين.

فقال أبو سعيد الخدري ﷺ: «غلبني الحسين على الخروج، وقد قلت له: اتق الله في نفسك، والزم بيتك، ولا تخرج على إمامك»(١).

وقال جابر بن عبد الله: «كلَّمت حسينًا فقلت له: اتق الله ولا تضرب الناس بعضهم ببعض، فوالله ما حمدتم ما صنعتم، فعصاني»(٢).

ونصحه ابن مطيع، وابن عيَّاش، وحذَّراه من أهل الكوفة وغدرهم(٣).

ولم يقتصر الأمر على نصح الصحابة والتابعين المجاورين له في مكة، بل تعدَّاه إلى أن أهل الرأي والحكمة في الأقاليم الأخرى، لما سمعوا بعزمه على الخروج، أرسلوا له الرسائل ونصحوه.

فقد كتب يزيد(٤) بن الأصم إلى الحسين قائلا: «أمَّا بعد، فإن أهل الكوفة قد أبوا إلا أن ينغصوك، وقلَّ شيء نغص إلا قلق، وإني أعيذك بالله أن تكون كالمغتر بالبرق، أو كالمسبق للسراب، واصبر إن وعد الله حق، ولا يستخفنك الذين لا يوقنون»(٥) وكتب

---

(١) ابن سعد: ط ٥/ ٣٦١؛ المزي، تهذيب الكمال: ٦/ ٤٦١؛ ابن كثير، البداية والنهاية: ٩/ ١٦٥.

(٢) ابن سعد: ط ٥/ ٣٦١؛ المزي، تهذيب الكمال: ٦/ ٤١٦؛ ابن كثير: ٩/ ١٦٥.

(٣) ابن سعد: ٥/ ١٢٤-١٤٥؛ الطبري: ٥/ ٣٥١ من طريق أبي مخنف؛ ابن عساكر، تاريخ دمشق: ١٥٥ ، طريق ابن سعد والسند عن الواقدي.

(٤) يزيد بن الأصم، واسمه عمرو بن عبيد بن معاوية البكائي، أبو عوف، كوفي نزل الرقة، وهو ابن أخت ميمونة أم المؤمنين، يقال له رؤية، ولا يثبت، وهو ثقة، من الثالثة مات سنة ١٠٣هـ (التقريب: ٥٩٩).

(٥) القشيري، تاريخ الرقة: ص ١٧؛ أبو نعيم، حلية الأولياء: ٤/ ٩٨، من طريق القشيري.

إليه الأحنف بن قيس: «اصبر إن وعد الله حق، ولا يستخفنك الذين لا يوقنون»[١].

على أن هذه النصائح الغالية الثمينة لم تؤثر في موقف الحسين حيال خروجه إلى الكوفة، بل عقد العزم على الخروج، فأرسل إلى المدينة، وقدم عليه من خفَّ من بني عبد المطلب -وهم تسعة عشر رجلاً ونساءً وصبيانًا من إخوته وبناته ونسائه- فتبعهم محمد بن الحنفية، وأدرك الحسين قبل الخروج من مكة، فحاول مرة أخرى أن يثني الحسين عن خروجه هذا، ولكن محاولته أخفقت، فأمر محمد بن الحنفية أبناءه بعدم الخروج إلى الكوفة، فقال له الحسين: «أترغب بولدك عن موضع أُصاب فيه، فقال محمد: وما حاجتي أن تُصاب ويُصابوا معك، وإن كانت مصيبتك أعظم عندنا منهم»[٢].

وجاءه ابن عباس ونصحه فأبى إلا الخروج إلى الكوفة، فقال له ابن عباس: لولا أن يزري بي وبك، لنشبت يدي في رأسك، فقال: لأن أقتل بمكان كذا وكذا أحب إلي من أن أستحل حرمتها، يعني مكة، فقال ابن عباس -فيما بعد-: «وكان ذلك الذي سلَّى نفسي عنه». وكان ابن عباس من أشد الناس تعظيمًا للحرم[٣].

---

(١) البلاذري- أنساب الأشراف: ٣/ ١٦١ بإسناد حسن ولكنه مرسل.

(٢) ابن سعد: ط ٥/ ٢٦٦-٢٦٧؛ المصنف: ص ٣٦٦؛ المزي: ٦/ ٤٢١، المحاملي، الأمالي: ٢٦٦-٢٦٧ وقال محققه إسناده صحيح.

(٣) ابن أبي شيبة، المصنف: ٥/ ٩٦-٩٧ بإسناد صحيح؛ الطبراني، المعجم الكبير: ٩/ ١٩٣ وقال الهيثمي في المجمع: (٩/ ١٩٢): ورجاله رجال الصحيح؛ الذهبي، السير: ٢/ ٢٩٢؛ الهندي، كنز العمال ٧/ ١١٠؛ السيوطي، جمع الجوامع، ٢/ ٣٧١ وكلاهما من طريق أبي شيبة؛ البلاذري، أنساب الأشراف، ٣/ ١٤٧؛ ابن حجر، تهذيب التهذيب: ٢/ ٣٠٧؛ ابن عساكر، تاريخ دمشق، ١٩٠-١٩١ (ترجمة الحسين).

أخذ الحسين ﷺ يجهِّز ويعد العدة، فخرج يوم التروية -الثامن من ذي الحجة- من سنة ستين للهجرة، وخرج معه أهل بيته، وقيل: خرج معه ستون شيخًا من أهل الكوفة.

ولكن المحاولات الهادفة للحيلولة بين الحسين وبين الكوفة لم تتوقف، فكتب إليه عبد الله[1] بن جعفر بن أبي طالب ﷺ مع ابنيه محمد وعون: «أما بعد، فإني أسألك بالله لما انصرفت حين تنظر في كتابي؛ فإني مشفق عليك من الوجه الذي توجَّهت له أن يكون فيه هلاكك، واستئصال أهل بيتك...»[2].

ولكن الحسين رفض الرجوع، وهنا ظن عبد الله بن جعفر أن سبب خروج الحسين هو خوفه من الوالي عمرو بن سعيد بن العاص، فذهب إلى عمرو بن سعيد ابن العاص وطلب منه أن يكتب كتابًا إلى الحسين يؤمِّنه فيه ويعده بالخير، وكان رد عمرو بن سعيد أن قال لعبد الله بن جعفر: «اكتب ما شئت وائت به أختمه».

فكتب ابن جعفر: «بسم الله الرحمن الرحيم، من عمرو بن سعيد إلى الحسين ابن علي، أمَّا بعد، فإني أسأل الله أن يصرفك عما يوبقك، وأن يهديك لما يرشدك؛ بلغني أنك قد توجَّهت إلى العراق، وإني أعيذك بالله من الشقاق، فإني أخاف عليك فيه الهلاك، وقد بعثت إليك عبد الله بن جعفر، ويحيى بن سعيد، فأقْبِل إليَّ معهما؛ فإن لك عندي الأمان والبر والصلة وحسن الجوار لك، والله بذلك شهيد

---

(١) عبد الله بن جعفر بن أبي طالب أحد الأجواد، ولد بأرض الحبشة، وله صحبة، مات سنة ثمانين، وهو ابن ثمانين (التقريب: ٢٩٨).

(٢) الطبري: ٥/ ٣٨٧ من طريق أبي مخنف؛ أبو العرب، المحن: ص ١٥٨.

وكفيل، ومراع ووكيل، والسلام عليك»[١].

ولكن الحسين رفض هذا العرض وهذا الرجاء أيضًا وواصل مسيره نحو الكوفة.

ولما سمع أبو واقد الليثي[٢] ﷺ باقتراب الحسين من المدينة خرج إليه وأدركه بملل[٣]، وناشده الله أن لا يخرج، وأكَّد له أن خروجه هذا فيه مقتله، ورفض الحسين هذا الطلب أيضًا[٤].

ولما علم ابن عمر -شيخ الصحابة في عصره ﷺ- بخروج الحسين أدركه على بعد ثلاث مراحل من المدينة فقال للحسين: أين وجهتك؟ فقال: أريد العراق؛ ثم أخرج إليه كُتُبَ القوم، ثم قال: هذه بيعتهم وكتبهم، فناشده الله أن يرجع، فأبى الحسين، ثم قال ابن عمر: أحدِّثك بحديث ما حدَّثتُ به أحدًا قبلك: إن جبريل أتى النبي ﷺ يخيِّره بين الدنيا والآخرة، فاختار الآخرة، وإنكم بضعة منه، فوالله لا يليها أحد من أهل بيته، ما صرفها الله عنكم إلا لما هو خير لكم، فارجع أنت تعرف غدر أهل العراق وما كان يلقى أبوك منهم، فأبى، فاعتنقه، وقال: استودعتك من قتيل[٥].

---

(١) الطبري: ٥/ ٣٨٧ من طريق أبي مخنف؛ أبو العرب، المحن: ص ١٥٨.

(٢) أبو واقد الليثي، صحابي، الحارث بن مالك، وقيل ابن عوف، وقيل اسمه عوف بن الحارث، مات سنة ٦٨هـ، وهو ابن ٨٥ سنة (التقريب: ٦٨٢).

(٣) اسم موضع في طريق مكة بين الحرمين. وبين ملل والمدينة ليلتان (انظر ياقوت: ٥/ ١٩٤-١٩٥) وهو بالتأكيد غير ملل الذي يقع غرب المدينة والذي ورد ذكره في غزوة ذات قرد.

(٤) ابن سعد: ط ٥/ ٣٦١؛ ابن عساكر، ترجمة الحسين: ص ٢٠١؛ ابن كثير: ٩/ ١٦٥.

(٥) ابن سعد: ط ٥/ ٣٦٠؛ وابن حبان، الإحسان بترتيب صحيح ابن حبان: ٩/ ٥٨ رقم ٦٩٢٩؛ وموارد الظمآن رقم (٢٤٢) والهيثمي: كشف الأستار ٣/ ٢٣٢-٢٣٣ قال الهيثمي=

وكان ابن عمر يقول بعد ذلك: غلبنا حسين على الخروج، فلعمري لقد رأى في أبيه وأخيه عبرة، ورأى من الفتنة وخذلان الناس لهم ما كان ينبغي له أن لا يتحرَّك ما عاش، وأن يدخل في صالح ما دخل فيه الناس؛ فإن الجماعة خير[1].

ولكن هذه النصائح والتحذيرات لم تثن الحسين عن إرادته وعزمه على الخروج نحو الكوفة.

وهنا يبرز سؤال ملح، وهو: كيف يجمع عدد من الصحابة، وكبرائهم، وكبار التابعين، وأصحاب العقل منهم، ومن لهم قرابة بالحسين، على رأي واحد هو: الخوف على الحسين من الخروج، وأن النتيجة معروفة سلفًا؟ وفي المقابل: كيف يُصرُّ الحسين على رأيه، ويترك نصائح الصحابة وكبار التابعين؟

والإجابة على هذا السؤال تكمن في سببين اثنين:

السبب الأول: هو إرادة الله جل وعلا، وأن قدره سيكون وإن أجمع الناس كلهم على ردِّه فسيُنْفِذُه الله، لا رادَّ لحكمه ولا لقضائه سبحانه وتعالى.

السبب الثاني: وهو السبب الواقعي الذي تسبب في وجود الأمر الأول، وهو أن الحسين ﷺ أدرك أن يزيد بن معاوية لن يرضى بأن تكون له حرية التصرف والبقاء بدون حمله بالقوة على البيعة، ولا يمكن أن يسمح يزيد بأكثر مما حدث،

= في مجمع الزوائد (٩/ ١٩٨): ورجال البزار ثقات؛ الطبراني، الأوسط: ١/ ٣٥٥؛ قال الهيثمي (٩/ ١٩٢): رواه الطبراني في الأوسط ورجاله ثقات؛ البلاذري: ٣/ ١٦٣؛ وابن عساكر ١٩٢؛ والمزي، تهذيب الكمال: ٦/ ٤١٦؛ السيوطي، الخصائص الكبرى: ٢/ ٤٥١.

(١) ابن عساكر: ٢٠١، المزي، تهذيب الكمال: ٦/ ٤١٦.

فرسل تأتي إليه، ورسل تذهب من عنده، ودعوة عريضة لـه بالكوفـة، كـل هـذا سوف يجعل له يزيد حدًا، وفي أقرب وقت ممكن.

ولربما أحس الحسين بـأن موقفـه في مكـة يـزداد حرجًـا، وهـو يمانـع البيعـة للخليفة دون أن يكون هناك ما يبرر موقفه بشكل واضح.

ثم إن خشية الحسين مـن وقـوع مجابهـة بينـه وبـين أتباعـه مـن جهـة، وبـين الأمويين من جهة أخرى في مكة، جعله يفكر في الخروج من مكة سريعًا، وهو ما أكّده لابن عباس عندما برَّر لـه سـبب خروجـه، وأراد أن تكـون أرض المجابهـة الكوفة وليست مكة.

ولعل الأمر الذي جعل الحسين يسارع في الخـروج إلى الكوفـة هـو الـصورة المشرقة والمشجعة التي نقلها له ابن عمه مسلم بن عقيل لحالة الكوفة؛ فقد أظهـر مسلم بن عقيل للحسين أن الكوفـة كلهـا مبايعـة، وأن النـصر قـاب قوسـين أو أدنى، ولاستثمار هذا الإنجاز فلا بد من أن يسارع الحسين بالذهاب إلى هناك.

إن الحسين ربما فكَّر وخَلُص إلى أن الوضع العام في الكوفة سيكون لـصالحه؛ حيث وجود أمير مسالم هو النعمان بن بشير، مع وجود تلـك الرغبـة لآلاف مـن الناس يتلهفون لرؤية الحسين، والتّشرُّف بنصرته.

وفي نظري أن مسلم بن عقيل والحسين بن علي رضي الله عنه يجهلـون كثـيرًا مـن أمـور السياسة، ولقد جهلوا تلك التحولات السكانية في المجتمع الإسلامي.

فمسلم بن عقيل وثـق في تلـك الآلاف المبايعـة للحـسين، وظـن أن هـؤلاء

سيكونون مخلصين أوفياء، ولم يجعل في حساباته أن العاطفة هي المسيِّر لتلك الأعداد، وأن الأحلام الجميلة هي التي ساقتهم للبيعة.

فكان يتوجب على مسلم بن عقيل أن يستثمر الوضع لصالحه، وأن يعايش الواقع الفعلي، حتى يخرج بتصور صحيح، فهو بمثابة النائب عن الحسين. فكان عليه أن يقود أولئك المبايعين للسيطرة على الكوفة والتحكم بمقدَّرات العراق، وحينئذ يرسل للحسين حتى لا يكون في واجهة الأحداث مباشرة.

وأما أن يرسل للحسين منذ الوهلة الأولى ويوهمه بأن الوضع يسير لصالحه، فهذا خطأ كبير وقع فيه مسلم بن عقيل، ثم إن الحسين ﷺ وثق بكلام مسلم بن عقيل، وصدَّق أن الكوفة ستقف معه بمجرد مجيئه إليها، ونسي أن الكوفة نفسها هي التي عانى أبوه منها أشد المعاناة من التخاذل والتقاعس، وعدم الامتثال لأوامره،ثم كانت النهاية باغتياله ﷺ.

ثم إن أخاه الحسن واجه الغدر والمكيدة من أهل الكوفة، وكان يحذره منهم حتى على فراش الموت، ثم إن الذين نصحوه يحملون حسًّا سياسيًا واضحًا؛ فالكل حذَّره وبيَّن خطأه الذي سيقدم عليه.

من المستحيل أن يكون كل الناصحين على خطأ، وأن فردًا واحدًا هو على الحق، وبالأخص إذا عرفنا من هم الناصحون.

وكان على الحسين ﷺ أن يتريَّث حتى يتم الأمر في الكوفة، ويأتيه أهل الكوفة بأنفسهم- كما أشار عليه محمد بن الحنفية، وابن عباس- ويأخذوه، لا أن يعتمد

على تلك الرسائل ويجعلها الأصل في خروجه إلى الكوفة[١].

(١) لا يزال الشيعة في جهلهم حينما يظنون أن خروج الحسين إنما كان بأمر إلهي ديني، حيث هو الإمام بعد أبيه وأخيه – على حسب زعمهم – وإذا أردنا أن نُجاري هؤلاء، وقلنا بأن خروج الحسين رضي الله عنه لأمر ديني يتعلَّق بالإمامة! كيف يمكن أن نفهم ترك علي رضي الله عنه هذا الحق، ويتنازل لثلاثة خلفاء، ويترك الأمة على ضلالة بإغفال هذا الجانب العقائدي المهم؟ هل السبب يعود للخوف؟ معاذ الله أن يكون هذا هو الظن في رجل يحبه الله ورسوله،وبطل مغوار أبيّ الأنف؛ وإن كان المقصود جمع شمل المسلمين فقد خان الأمانة المناطة به،ومعاذ الله أن يكون كذلك، وهو الفقيه العالم الذي لا تأخذه في الله لومة لائم.

وكذلك تنازل الحسن رضي الله عنه عن الخلافة (الإمامة) لا يمكن أن يفهم أن سببه خذلان أهل الكوفة؛لأنه لا يمكن أن يتنازل المسلم عن فرض ديني من أجل موقف عابر مثل الذي فعله الحسن رضي الله عنه،ولو كان الحسن يرى – دينًا – أنه الإمام المعصوم بعد أبيه فليس من حقَّه التنازل؛ لأنه جعل الأمة(أي أهل السنة في نظر الشيعة) تعيش في ضلالة منذ ذلك الحين، وفي ذات السياق تأتي حركة الحسين رضي الله عنه ، فلم يخرج الحسين لأمر ديني يتعلَّق بالإمامة – كما يقول الشيعة – ولا لأن الأمة على ضلالة، فلم يعبد الناس الأوثان، ولم يتخلُّوا عن دينهم،وكان الجهاد قائم، والشرع مطبَّق، والإسلام وأهله في عزٍّ ومنعة،والكفر وأهله في ذلٍّ وشتات، وخروجه مثله مثل خروج عبد الله بن الزبير -رضي الله عنهم أجمعين- لما يرونه في نفسيهما من قدرة على إدارة الدولة، وأحق بالخلافة من يزيد، وقد عنون ابن كثير:«قصة الحسين بن علي،وسبب خروجه من مكة في طلب الإمارة»(البداية والنهاية ٨/ ١٥٢).

المبحث الخامس

يزيد بن معاوية وموقفه من أحداث الكوفة



المبحث الخامس

يزيد بن معاوية وموقفه من أحداث الكوفة

لم يغب عن يزيد بن معاوية تحركات الحسين، وخروجه من المدينة رافضًا البيعة، ثم استقراره بمكة وعلاقته مع الكوفيين.

ولكنه كان يجنح إلى استخدام الرفق مع الحسين ومع ابن الزبير، أولاً لمكانتهما، وثانيًا لنصيحة أبيه باستخدام الرفق وبالأخص مع الحسين.

لذا تجد يزيد لم يحرك ساكنًا، واكتفى بمراقبة الموقف عن بعد.

ولما تأكَّد ليزيد أن الحسين بدأت علاقته تتأكد بزعماء التشيُّع في الكوفة، وأنهم بدأوا يراسلونه ويطلبون منه القدوم الحثيث عليهم، الأمر الذي أوجد رغبة صادقة عند الحسين، وتأكيدًا من جهته على الخروج إليهم، متى ما تهيأ الأمر في أقرب فرصة تلوح.

لما تأكد ليزيد ذلك كله، كتب إلى ابن عباس -لأنه شيخ بني هاشم في عصره، وعالم المسلمين، ولما فيه من صفات العقل ورجحان الرأي- قائلا: «نحسب أن رجالًا أتوه من المشرق فمنّوه الخلافة، فإنهم عندك منهم خبرة وتجربة، فإن كان فعل فقد قطع واشج القرابة، وأنت كبير أهل بيتك والمنظور إليه، فاكففه عن السعي في الفرقة»[1].

ثم كتب بهذه الأبيات إليه وإلى من بمكة والمدينة من قريش:

---

(١) ابن عساكر، ترجمة الحسين: ٢٠٣-٢٠٤؛ تهذيب الكمال: ٦/ ٤١٩.

يـا أيهـا الراكـب الغـادي لطيتـه ... عـلى عُـذَافِرة في سـيرها قحـم

أبلـغ قريـشًا عـلى نـأي المـزار بهـا ... بينـي وبـين حـسين الله والرحـم

وموقـف بفنـاء البيـت أنـشده ... عهـد الإلـه ومـا يـوفي بـه الذمـم

عنـيم قـومكم فخـرًا بأمكـم ... أم لعمـري حـصان بـرة كـرم

هـي التـي لا يـداني فـضلها أحـد ... بنت النبي وخير الناس قـد علمـوا

وفـضلها لكـم فـضل وغـيركم ... من قـومكم لهـم في فـضلها قـسم

إني لأعلـم أو ظنـا كعـالمه ... والظـن يـصدق أحيانـا فينتظـم

أن سوف يـترككم مـا تـدعون بهـا ... قـتلى تهـاذاكم العقبـان والرخـم

يا قومنا لا تشبوا الحـرب إذ خمـدت ... وأمسكوا بحبال السلم واعتصموا

لا تركبوا البغي إن البغـي مـصرعه ... وإن شارب كـأس البغـي يتخـم

قد غرَّت الحـرب مـن كـان قـبلكم ... من القرون وقد بـادت بهـا الأمـم

فأنصفوا قـومكم لا تهلكـوا بـذخًا ... فـرب ذي بـذخ زلـت بـه القـدم

فكتب إليه ابن عباس: «إني لأرجو أن لا يكون خروج حسين لأمـر تكرهـه، ولست أدع النصيحة له في كل ما يجمع الله به الألفة وتُطْفى بها الثائرة»[1].

---

(١) ابن سـعد: ط ٥/ ٣٦٤-٣٦٥؛ الطبري: ٨/ ٢٠٢؛ ابـن الـشجري ١/ ١٨٢؛ ابـن عـساكر، تاريخ دمشق (ترجمة حسين): ٢٠٣-٢٠٤؛ المزي، تهذيب الكمال: ٦/ ٤١٩.
وذكر الطبري أن السبب لقول هذه القصيدة - فيما نقل عن الفـضل بـن عبـاس الهاشـمي - هو: أن يزيد كتب هذا الشعر يعتذر به لأهل المدينة مـن قتـل الحـسين. ولم يـأت بـدليل عـلى ذلك، وبالنظر إلى القصيدة فإنها لا تحمل شيئا من ذلك. ثم إن مطلع القـصيدة فيهـا ذكـر إلى وجود الاحتكام إلى الله بين كل من الحسين ويزيد، الأمر الذي يُشعر بوجود الحسين.

وتبين هذه القصيدة حذر يزيد من أن يحدث بينه وبين الحسين مصادمة تؤدي لأمور لا تحمد عقباها.

كما يتبين أن يزيد يحاول أن يذكِّر الهاشميين بأنه يعترف بفضلهم، وبالأخص فضل الحسين لأمه، التي هي فاطمة ابنة رسول الله ﷺ، وأن يحذروا من استخدام هذه الخصيصة في الوصول إلى الملك.

ثم نجد أن يزيد يطالب القرشيين بتحكيم العقل، ويذكرهم بالحروب وأثرها الخطير، ويدعوهم للتروي، ويحذرهم مغبة استمرار الحسين في طريقه هذا.

والقصيدة في مجملها تحمل اعتذارًا عن كل ما يحدث فيما بعد، وكأن يزيد يحاول أن يُلقي باللائمة والمسؤولية عن كل حدث يحدث متأخرًا على الحسين بن علي رضي الله عنه.

وفي تلك الأثناء كانت الأحداث تتلاحق بسرعة عجيبة، وذلك بعدما أخذ الشيعة يختلفون على مسلم بن عقيل ويبايعونه.

وعندما أحس النعمان بن بشير الأنصاري -والي الكوفة- بخطورة الوضع، قام فخطب في الناس وقال: «اتقوا الله عباد الله، ولا تسارعوا إلى الفتنة والفرقة؛ فإن فيها يهلك الرجال، وتُسفك الدماء، وتُغصب الأموال. وقال: إني لم أقتل من لم يقاتلني، ولا أثب على من لا يثب علي، لا أشاتمكم، ولا أتحرَّش بكم، ولا آخذ بالقرف ولا الظنة والتهمة، ولكن إن أبديتم صفحتكم لي، ونكثتم بيعتكم، وخالفتم إمامكم، فوالله الذي لا إله غيره لأضربنكم بسيفي ما ثبت قائمه في يدي، ولو لم يكن لي منكم ناصر. أما إني أرجو أن يكون من يعرف الحق منكم

أكثر ممن يرديه الباطل»[١].

ويبدو من خلال خطاب النعمان بن بشير إلى أهل الكوفة، أنه رجل مسالم فكان رضي الله عنه: «حليمًا ناسكًا يحب العافية».

ويبدو أن النعمان بن بشير قد حاول من خطابه أن يبيِّن خطته في مواجهة أحداث الكوفة،وأعتقد أن النعمان بن بشير لم يكن ليكتفي بهذا الموقف لولا ورعه وتقواه التي منعته من المجازفة في استعمال الشدة التي ربما ينتج من جرائها سفك الدماء، وأخذ الأموال بالباطل، وحينئذ يصعب احتواءها والقضاء عليها.

ومهما يكن من أمر، فإن سياسة النعمان بن بشير هذه أثارت حفيظة أحد الناصحين للأمويين، وأحد الموالين لهم في الكوفة، وهو عبد الله بن مسلم بن سعيد الحضرمي، حليف بني أمية، فقام إلى النعمان بن بشير وبيَّن له أن طريقته هذه إنما هي طريقة المستضعفين، وأنه يجب عليه أن ينهج سياسة البطش والقوة حيال المتربصين بأمن الكوفة، ولكن رد النعمان بن بشير كان واضحًا بأنه يراقب الله في سياسته[٢].

فما كان من عبد الله بن مسلم إلا أن كتب إلى يزيد بن معاوية يحذِّره من تساهل النعمان بن بشير، ويطلعه على حقيقة الموقف، ثم كتب إليه عمارة بن عقبة، وعمر بن سعد بن أبي وقاص بنفس ما كتب به عبد الله بن مسلم[٣].

---

(١) الطبري: ٥/ ٣٥٥ بإسناد عن أبي مخنف.

(٢) المصدر السابق: ٥/ ٣٥٥؛ وله أيضا: ٥/ ٣٤٨ من طريق عمار الدهني؛ ابن حجر، تهذيب التهذيب: ٢/ ٣٠١.

(٣) الطبري: ٥/ ٣٥٦. تذكر بعض الروايات: أن النعمان بن بشير قال لأهل الكوفة «يا أيها الناس،=

فلما اجتمعت كتبهم عند يزيد بن معاوية، استدعى سرجون[1] بن منصور مولى معاوية -وكان مستشاره الخاص[2]- فأشار عليه سرجون أن يولي عبيد الله بن زياد على الكوفة إضافة إلى البصرة التي كان أميرًا عليها؛ فكتب إلى ابن زياد بتعيينه على كل من البصرة والكوفة معًا.

وتذكر الروايات التاريخية أن يزيد كان ساخطًا على ابن زياد حتى أنه أراد عزله عن البصرة قبل الأحداث[3]، وتذكر بعض المصادر أن معاوية كان قد كتب صكّ إمارة ابن زياد على العراق قبل وفاته، وكان معاوية قد ولَّى ابن زياد على البصرة سنة ٥٥هـ[4].

وبالنظر إلى الأحداث المتلاحقة أصبح ابن زياد هو المهيَّأ لولاية الكوفة في هذه الأزمة.

= ابن بنت رسول الله أحب إليَّ من ابن بنت بحدل»انظر العقد الفريد: ٤/ ٣٧٧، المحن: ١٥٠، وهو أمر مستبعد، والدليل على ذلك أن النعمان بن بشير تبوَّأ مكانة عالية عند يزيد بعد عزله عن الكوفة. ثم كيف يخون أمانته ويغدر بمن ولّاه على الكوفة.

والحسين ﷺ أفضل من يزيد، ولكن مناسبة الحديث لا يمكن أن تكون صحيحة بأي حال من الأحوال.

(١) سرجون بن منصور الرومي، كاتب معاوية وابنه يزيد، وعبد الملك بن مروان، كان نصرانيا فأسلم (تهذيب تاريخ دمشق: ٦/ ٧٣).

(٢) البلاذري، أنساب الأشراف: ٤/ ٦٠.

(٣) الطبري: ٥/ ٣٥٧؛ ابن حجر، تهذيب التهذيب: ٢/ ٣٠١.

(٤) الطبري: ٥/ ٣٥٠؛ ابن عساكر، تاريخ دمشق: ١٠/ ق٦٥٦؛ ولقد أخرج الإمام أحمد في العلل ومعرفة الرجال: ٢/ ٢٥ بسند صحيح عن عمر بن سعيد قائمة بأسماء من تولوا الكوفة من الأمراء منذ توفي معاوية ﷺ.

فبالرغم من أن ابن زياد لم يتجاوز الثامنة والعشرين من عمره[١]، إلا أنه يتمتع بسياسة وشخصية قوية. كما أنه كان يملك من الدهاء والشجاعة الشيء الكثير؛ فقد أثبت من خلال حروبه التي خاضها في المشرق الإسلامي كفاءته القيادية[٢].

كان أمرًا محتمًا على يزيد أن يبحث عن قيادي حازم، يضبط الأمور في الكوفة، قبل أن يتفاقم الوضع ويزداد خطره.

إن يزيد لا يفكِّر في تلك اللحظة عن الرجل الذي يبحث عن العافية، أو عن الرجل المسالم الذي لا يريد أن يتحرَّش بأحد؛ فإن يزيد في تلك الأثناء لا يُنتظر منه أن يبحث عن مثل هذا الشخص، وإلّا لأبقى النعمان بن بشير في منصبه.

لقد كان يريد أن يولِّي الكوفة شخصية تضبط هذه المدينة التي بدأت تجنح نحو الانفصال، وإلى المعارضة العلنية مع الدولة نفسها، وهو أمر لا يمكن أن يوافق عليه يزيد أو أي شخصية أخرى في الدولة الأموية، وكان يزيد ينظر إلى الكوفة ويعتقد أنه لا يصلحها إلا الشدة، وتلك الشدة متمثلة في شخص ابن زياد.

اتخذ يزيد قراره، وكتب على عجل إلى ابن زياد، وطلب منه الشخوص إلى الكوفة في أسرع وقت ممكن.

وقد أورد الطبري نص كتاب يزيد إلى ابن زياد، حيث كتب لابن زياد:

«إن شيعتي من أهل الكوفة قد كتبوا إليَّ يخبرونني أن ابن عقيل بالكوفة يجمع

---

(١) ابن عساكر: ١٠/ ق٦٥٥.

(٢) قال عبادة بن حصين: ما رأيت أشد بأسًا من عبيد الله بن زياد، لقينا زحفٌ من الترك بخراسان، فرأيته يقاتل فيحمل عليهم فيطعن فيهم، ويغيب عنا، ثم يرفع رايته تقطر دمًا (الطبري ٥/ ٢٩٨).

الجموع ليشق عصا المسلمين، فسر حين تقرأ كتابي هذا حتى تأتي أهل الكوفة فتطلب ابن عقيل كطلب الخرزة، حتى تثقفه فتوثقه أو تقتله أو تنفيه، والسلام»[١].

فلما وصل الكتاب إلى ابن زياد تهيَّأ وسار من الغد إلى الكوفة.

وهنا لا بد وأن نقف عند خطاب يزيد لابن زياد؛ فيزيد ينظر إلى مسلم بن عقيل على أنه خارج على الخلافة يريد شق عصا المسلمين. ومع ذلك كله فإن يزيد يطلب من ابن زياد القبض عليه، ويخيِّره بين قتله، أو أسره، أو نفيه عن العراق.

ولعل هذا يعتبر تسامحًا من جانب يزيد؛ فرجل يخرج عليه ويدعو الناس لترك بيعتهم ليزيد، ثم هو أولاً وأخيرًا يريد إسقاط يزيد والقضاء عليه، ومع ذلك نجد هذا الخطاب الذي يحمل في طياته بعض التسامح مع عدوه مسلم بن عقيل.

لقد اتخذ عبيد الله بن زياد عدة احتياطات عند مغادرته للبصرة؛ لأنه خشي من اضطراب الأمور فيها بعد مغادرته لها.

فقام خطيبًا في أهل البصرة وهدَّدهم وتوعَّدهم إن لمس منهم شقًا لعصا الطاعة، ثم أخبرهم أن أمير المؤمنين يزيد قد ولاه الكوفة، وأعلمهم أنه قد أناب عنه في البصرة أخاه عثمان بن زياد بن أبي سفيان[٢].

ثم خرج من البصرة ومعه وجوه أهل البصرة، أمثال: مسلم بن عمرو الباهلي، وشريك بن الأعور الحارثي، وحشمه وأهل بيته[٣].

---

(١) الطبري: ٥/ ٣٥٧ بإسناد عن عوانة.

(٢) الطبري: ٥/ ٣٥٨.

(٣) المصدر السابق: ٥/ ٣٥٨.

وأقبل ابن زياد إلى الكوفة، ودخلها متلثمًا والناس قد بلغهم إقبال الحسين إليهم، فهم ينتظرون قدومه، فظنوا حين قدم عبيد الله أنه الحسين بن علي، فأخذ لا يمر على جماعة من الناس إلا سلَّموا عليه، وقالوا: مرحبًا بك يا ابن رسول الله، قَدِمتَ خير مقدم.

فلما أكثروا عليه صاح فيهم مسلم بن عمرو وقال: تأخروا هذا الأمير عبيد الله بن زياد.

فلما نزل في القصر نودي الصلاة جامعة، فاجتمع الناس، فخرج إليهم ثم خطبهم ووعد من أطاع منهم خيرًا، وتوعَّد من خالف وحاول الفتنة منهم شرًا[1].

---

(١) الطبري: ٥/٣٥٨-٣٥٩.



المبحث السادس

عبيد الله بن زياد وطريقته في مواجهة الأحداث في الكوفة



المبحث السادس

عبيد الله بن زياد وطريقته في مواجهة الأحداث في الكوفة

كان أهم ما يواجه ابن زياد في الكوفة هو حصر تحركات الفئات المعارضة، وبالأخص تلك الفئات التي تساعد مسلم بن عقيل، وتؤمِّن له السكن والمأوى للالتقاء برؤساء التنظيم الشيعي في الكوفة.

لذا عمد ابن زياد إلى حصر جميع العرفاء، وطلب منهم كتابة من يناوئ الدولة؛ سواء كان شيعيًا أو حروريًا، أو من الذين يطلبهم أمير المؤمنين، أو من الغرباء.

ثم بيَّن للعرفاء أن الذي لا يستجيب لهذا الطلب فسيكون عقابه الذي ينتظره: أخذ ماله ومصادرته وقتله، ومن أخلَّ بهذا الطلب ووُجِدَ في عرافته أحد المشبوهين أو المطلوبين من قبل الدولة، أو كان غريبًا، فإن عقاب ذلك الشخص المطلوب هو صلبه على باب بيته[1].

وقد نجح ابن زياد من خلال هذا الإجراء الذي اتخذه في ضبط الوضع الأمني في الكوفة، وأن يُدخل الخوف في قلوب المناوئين للدولة، وكذالك نجح ابن زياد في عرقلة خطط مسلم بن عقيل؛ حيث اختلَّت خططه وترتيباته بسبب هذه الإجراءات الصارمة.

ثم كان الأمر الثاني -وهو المهم في نظر ابن زياد- هو: القبض على مسلم بن

(١) الطبري: ٥/ ٣٩٥.

عقيل، السبب المباشر لهذه الأحداث؛ لأن ابن زياد يعرف أن مسلمًا بن عقيل متنكِّر ومختف عند واحد من أهل الكوفة، ومن الصعوبة القبض عليه، لذا عمد ابن زياد إلى الحيلة في الكشف عن مكان ابن عقيل.

ولكي يستطيع ابن زياد الوصول إلى مسلم بن عقيل، فقد كلَّف أحد رجاله بهذه المهمة، فأعطاه مبلغًا من المال، وطلب منه أن يتنكَّر ويظهر نفسه أنه أحد الشيعة الغرباء حتى يصل إلى مسلم بن عقيل.

وبالفعل استطاع هذا الرجل أن يصل إلى مسلم بن عوسجة الأسدي -أحد دعاة مسلم بن عقيل- وذلك بعد أن ذكر الناس أنه يُبايع للحسين.

فجاء إليه وقال: أنا من أهل الشام أريد أن أبايع مسلم بن عقيل، وبعد أن اطمأن له مسلم بن عوسجة أخذه إلى مسلم بن عقيل(١).

وهكذا استطاع ابن زياد أن يصل إلى معرفة مسلم بن عقيل، ومكان اختبائه.

وتذكر الروايات أن شُريك بن الأعور الحارثي -أحد أعيان أهل البصرة، والذي قدم مع ابن زياد من البصرة- كان شيعيًا، فنزل عند هانئ بن عروة، ثم إن شريكًا اشتكى من مرض أصابه، وكان ابن زياد يزوره في منزل هانئ، ومسلم بن عقيل عند هانئ، دون أن يعلم ابن زياد بذلك.

فدبَّروا مؤامرة للخلاص من ابن زياد، فأعدُّوا ثلاثين رجلاً بقيادة مسلم بن عقيل، وجعل شريك كلمة السر هي: اسقوني، وطلب منهم إذا ما سمعوا هذه الكلمة أن يخرجوا إلى ابن زياد فيقتلوه.

---

(١) الطبري: ٥/ ٣٦١.

فلما حضر ابن زياد كعادته لزيارة شريك وأخذ مجلسه، قال شُريك: اسقوني. فكرّرها مرارًا، وأحس ابن زياد بحركة غريبة في البيت، فخرج مُسرعًا من الدار[1].

ويذكر الطبري: أن هانئًا مرض أولاً قبل شريك، فعاده ابن زياد، فطلب أحد الشيعة -ويقال له عمارة بن عبيد السلولي- من هانئ أن يقتل ابن زياد، فرفض هانئ بحجة أنه لا يريد أن يُقتل أحد في داره، ثم بعد أسبوع واحد مرض شُريك الذي كان ضيفًا عند هانئ، فطلب شريك من مسلم أن يقتل ابن زياد عند مجيئه للزيارة، وإذا قتله يتجه للقصر ويسيطر على زمام الأمور، وتكفَّل شُريك بالبصرة في حال شفائه وعودته إليها، ولكن هانئًا طلب من مسلم بن عقيل أن لا يقتل ابن زياد في بيته.

وأمام هذه الإلحاح من هانئ استجاب مسلم لمطلبه، وكفَّ عن التفكير باغتيال ابن زياد[2].

ولا شك أنّ هذه الروايات قد صدرت عن تصور عاطفي شيعي، فالروايات أظهرت أن ابن زياد في موقف ضعيف جدًا، حتى إن اغتياله كاد أن يتم، مما يبرهن – كما تصور الرواية – على أن الكوفة أصبحت في يد مسلم بن عقيل وزعماء الشيعة، في حين أنها تعزو سبب فشل تنفيذ الاغتيال إلى مكارم الأخلاق، والمروءة وشدة التدين عند هانئ بن عروة، الذي كره أن يقتل الرجل في بيته، أو لعله خشي تحمل مسؤولية ما ينجم عن ذلك، وعند مسلم بن عقيل الذي رفض

---

(١) ابن سعد: ط٥/ ٣٧٤، وذكر الطبري قريبًا من هذا، إلا أنه لم يذكر عدد الثلاثين (٥/ ٣٥٩).

(٢) الطبري: ٥/ ٣٤٧-٣٦٢، ابن سعد: ط٥/ ٣٧٣.

قتله مستدلاً بحديث رسول الله ﷺ [الإيمان قيد الفتك[1]][2].

بينما مسلم بن عقيل وهانئ قد استحلّا الخروج على الخليفة يزيد. وابن زياد ما هو إلا ممثِّل الخليفة وأميره، ثم هو ابن عمه، وبالتالي فإن القضاء عليه لهو أعظم المنى عند مسلم وهانئ.

ومن جهة أخرى فإن ابن زياد لا يمكن أن يتحرّك بمفرده وبدون حرس شخصي، وبالأخص في تلك الظروف الخطيرة، وإذا كان ابن زياد يتحرَّك تحت حراسة مشددة فمن المحال تنفيذ اغتيال بشخصه.

وتذكر الروايات أن شُريكًا مكث بعد فشل هذه المؤامرة ثلاثًا فمات.

وكان عيْن ابن زياد قد استطاع الوصول إلى مسلم بن عقيل، حيث قابله ذلك الرجل وتعرَّف عليه، ثم أعطاه المال الذي بحوزته، حتى يُبعد الشك عن نفسه، وأعطاه مسلم بدوره إلى أبي ثمامة الصَّائدي، وكان أحد الفرسان، وقد أوكل إليه شراء السلاح.

وهكذا استطاع ابن زياد أن يعرف أخبار مسلم بن عقيل وتحركاته[3].

ويبدو أن هانئًا أخذ يشك في أن ابن زياد عرف أنه على علاقة بمسلم بن

---

(١) أحمد، المسند: ١/ ١٦٦، ١٦٧، ٤، ٩٢، ابن أبي عاصم، الديات: ص٢١-٢٢، وانظر الألباني صحيح الجامع: ١/ ٤١٧ (٢٧٩٩) وتخريج مشكاة المصابيح: ٢/ ١٠٥٣ (٣٥٤٨)، خالد الجميلي، الومضات في تخريج أحاديث الديات: ص٧١.

(٢) الطبري: ٥/ ٣٦٣.

(٣) المصدر نفسه: ٥/ ٣٦٤.

عقيل، فأخذ يتغيَّب عن السلام على ابن زياد، وتمارض.

وأخذ ابن زياد يسأل عنه، وهنا أشار بعض رجال الكوفة من أمثال عمرو بن الحجاج الزبيدي - أخته عند هانئ - ومحمد بن الأشعث الكندي، وأسماء بن خارجة؛ أشاروا على هانئ بوجوب الذهاب لابن زياد والسلام عليه، وطمأنوه فاستجاب هانئ، ورضخ لإلحاحهم، وهم مع ذلك لا يعلمون بأن هانئًا على علاقة بمسلم بن عقيل[1].

خرج هانئ بن عروة من بيته واتجه إلى ابن زياد للسلام عليه، وبرفقته بعض الثلاثة النفر، فلما رآه ابن زياد قال لشُريح القاضي متمثلاً: «أتتك بحائن رجلاه»[2].

وحين سلَّم هانئ على ابن زياد، فاجأه ابن زياد بالتستر على مسلم، فأنكر في البداية أن تكون له علاقة بمسلم، فاستدعى ابن زياد عينه الذي استطاع الوصول إلى دار هانئ، وعرف أن مسلمًا يختبئ عنده، فلما رآه هانئ تأكَّد له أن ابن زياد قد عرف كل شيء، فأُسقِطَ في يده، وحاول أن يبرِّر موقفه بالقول أنه لم يدع مسلمًا إلى منزله، وأن مسلمًا فرض نفسه عليه، وأمام سيف الحياء أدخله وآواه بمنزله.

ولما أراد ابن زياد أن يتأكَّد من صحة كلام هانئ، طلب منه أن يذهب ويأتي بمسلم بن عقيل، ورفض هانئ هذا الطلب رفضًا قاطعًا بحجة أنه ضيفه، وهنا أخذ ابن زياد يذكره بأفضال أبيه زياد عليه[3].

---

(١) المصدر نفسه: ٥/ ٣٤٩، ٣٦٣، ٣٦٤، ٣٦٧.

(٢) القاسم بن سلام، كتاب الأمثال: ٣٢٨.والحائن:الهالك.

(٣) الطبري: ٥/ ٣٦١، ٣٩١، البيهقي، المحاسن والمساوئ: ٨٢-٨٣.

وردَّ عليه هانئ بلهجة تنم عن التحدّي، وذلك ظنًا منه أن مسلمًا بن عقيل، وقبيلته (مرادًا) ستنتصر له.

ولما سمع ابن زياد هذا التحدِّي وذلك التهديد، تناول قضيبًا بجواره، وطلب من الحرس أن يُدْنُوه له، فضربه على وجهه حتى سال دمه، وأمر بسجنه[1].

فبلغ الخبر عمرو بن الحجاج الزبيدي، أن هانئًا قد قُتل، فأقبل في قبيلة مَذْحِج، وأحاط بالقصر، ونادى بأنه لم يخلع الطاعة، وإنما أراد الاطمئنان على سلامة هانئ.

فأمر ابن زياد القاضي شُريحًا[2] أن يدخل على هانئ، وينظر إليه ويخبرهم أنه بخير، وبالفعل أخبرهم شريح بأن هانئًا بخير، وانصرفوا[3].

بعدها قام ابن زياد خطيبًا ووعد أهل الكوفة خيرًا إن تركوا الفتنة، وتوعَّد من يخالف، فلما نزل جاءته الشرطة يخبرونه بمجيء ابن عقيل، فدخل القصر وأغلق الأبواب[4].

---

(١) الطبري: ٥/ ٣٦١، ٣٩١، أنساب الأشراف: ٣/ ٢٢٤ بسند صحيح انظر؛ البيهقي، المحاسن والمساوئ: ٨٢-٨٣، أبو العرب، المحن: ١٥١-١٥٢ عن أبي معشر.

(٢) شُريح بن الحارث بن قيس بن الجهم النخعي الكندي، قاضي الكوفة، ويقال من أولاد الفرس الذين كانوا باليمن، أسلم في حياة النبي ﷺ، وانتقل من اليمن زمن الصديق، ولّاه عمر قضاء الكوفة، وتوفي سنة ثمانين، وله مائة وثمان سنين. (وكيع، أخبار القضاة ٢/ ١٨٩-٤٠٢؛التقريب:٢٦٥).

(٣) الطبري: ٥/ ٣٦٧، ٣٥٧، ٣٦١، وتذكر رواية أخرى أنَّ عمرو بن الحجاج كان عند ابن زياد في تلك اللحظة، وأن الخبر وصل إلى القبيلة، فقدموا ليستجلوا حقيقة الخبر. (الطبري: ٥/ ٣٥١).

(٤) الطبري: ٥/ ٣٥٧، ٣٦٨.

القبض على مسلم بن عقيل، والقضاء على تمرد الكوفة:

لما بلغ مسلم بن عقيل خبر ضرب وجه هانئ بن عروة، أمر أن ينادى في أصحابه الذين بايعوه، واستخدم كلمة السر في ذلك وهي: يا منصور أمت.

فتنادى أهل الكوفة فاجتمعوا إليه، وكان عدد الذين حضروا أربعة آلاف رجل[1].

فعقد مسلم لعبيد الله بن عمرو بن عزيز الكندي على ربع كندة وربيعة، وأمره أن يسير أمامه بالخيل، ثم عقد لمسلم بن عوسجة الأسدي على ربع مذحج وأسد وأمَّره على الرجَّالة.

وعقد لأبي ثمامة الصائدي على ربع تميم وهمدان، وعقد لعباس بن جعدة الجدلي على ربع المدينة، ثم تَقَدَّم نحو القصر، ولما بلغ ابن زياد إقباله تحرَّز وتمنَّع بقصره[2].

وكان ابن زياد يملك قدرًا كبيرًا من حسن المناورة، فلما دخل ابن زياد القصر جمع وجوه الكوفة واحتفظ بهم عنده، حتى يكونوا وسيلة ضغط مهمة ستثمر عن نتائج إيجابية لصالح ابن زياد.

تقدَّم مسلم بهذه الجموع صوب قصر الإمارة التي يتحصّن بها ابن زياد، وهنا طلب ابن زياد من أشراف الناس وزعماء الكوفة الذين معه أن يعظوا الناس ويُخذِّلوهم ويُخوِّفوهم بقرب جند أهل الشام.

وصار هؤلاء الأمراء والزعماء يُثبِّطون الناس، ويذكِّرونهم بالسلامة والأمن،

---

(١) الطبري: ٥/ ٣٥١ من رواية عمار الدهني، وله أيضًا: ٥/ ٣٦٨ من رواية أبي مخنف، ولقد ذكر أبو معشر أنهم ثلاثون ألفًا، وهو أمر مستبعد جدًا (أبو العرب، المحن: ص١٥٠).

(٢) الطبري: ٥/ ٣٦٨ عن أبي مخنف.

وأنهم إن لم ينصرفوا سيُحرمون مـن العطـاء، وسيُساقون إلى الثغـور، وسـيناهم العقَاب الشديد(١).

ولم يكن التثبيط مقصورًا على الأمـراء فقـط، بـل إن النسـاء كـان لهـن دور كبـير في إضعاف عزيمة المناصرين لمسلم، إضافة إلى الآباء وكبار السن؛ فقد كان لهم نفس الدور.

وكانت المرأة تأتي ابنها وأخاها وتقول: انصرف، الناس يكفونك، ويجيء الرجل إلى ابنه وأخيه ويقول غدًا يأتيك أهل الشام فما تصنع بالحرب والشر، انصرف(٢).

وأخذت هذه الحرب النفسية التي جُوبه بها المؤيدون لـمسلم بـن عقيـل، مـن التهويل والتخويف، تعمل عملها بين صـفوف النـاس، فبـدؤوا ينـصرفون عـن مسلم بن عقيل.

وأخذ العدد يتضاءل سريعًا، حتى أنه لمَّا اقترب المـساء لم يبـق مـع مـسلم بـن عقيل إلّا عدد بسيط يتراوح بين الثلاثمائة والخمسمائة رجل(٣).

وكان غالبية الذين بقوا مع مسلم بن عقيل من قبيلة مَذْحَج، فأمر ابـن زيـاد، عبيد الله بن كثير بن شهاب الحارثي أن يخرج فيمن أطاعـه مـن مـذحج، ويـسير بالكوفة ويُخذِّل الناس عن ابن عقيل، ويُخوِّفهم من الحرب وعقوبة السلطان(٤).

وهنا يبرز دهاء ابن زياد؛ حيث استخدم الهجوم النفسي المضاد من قبـل أحـد

---

(١) المصدر السابق:٥/ ٣٧٠ عن أبي مخنف وله أيضًا: ٥/ ٣٥٠ من رواية عمار الدهني.

(٢) المصدر السابق: ٥/ ٣٧١ عن أبي مخنف.

(٣) الطبري: ٥/ ٣٥٠ من رواية عمار الدهني: ٥/ ٣٦٩ من رواية أبي مخنف.

(٤) المصدر السابق: ٥/ ٣٦٩.

زعماء مذحج، وبرجال مذحج أنفسهم.

ثم أمر ابن زياد محمد بن الأشعث أن يخرج فيمن أطاعه من كندة وحضرموت، ويرفع راية الأمان لمن يأتيه من الناس.

وقال مثل ذلك للقعقاع بن شَوْر الذُّهلي، وشَبَت بن ربعي التميمي، وحَجَّار بن أَبْجَر العجلي، وشَمْر بن ذِي الجَوْشَن العامري، وأبقى سائر وجوه الناس معه[1].

وأمام هذه الإجراءات السريعة من ابن زياد، وأمام الشدِّ النفسي الذي نازع غالبية من انضموا إلى مسلم بن عقيل، أخذ هذا العدد يتضائل حتى وصل إلى ستين رجلًا[2].

ثم حدثت معركة بين مسلم وأتباعه وبين ابن الأشعث، والقعقاع بن شَوْر، وشَبث بن ربعي عند الرَّحبة.

ويبدو أن هذه المعركة لم تدم طويلاً عندما تنبَّه القعقاع بن شَوْر إلى أن المقاتلين إنما يقاتلون لأجل النجاة ، عند ذلك أمر بإفساح الطريق لهم، فهربوا نحو المسجد، ولما أمسى المساء تفرَّق الناس، وبقي مسلم بن عقيل وحيدًا في طرقات الكوفة[3].

وأمام هذا الفزع والإحباط الذي أصيب به مسلم بن عقيل، لم يجد بدًا من طرق أحد أبواب المنازل لعله يحصل على إرواء عطشه.

---

(١) المصدر السابق:٥/ ٣٦٩.

(٢) ابن سعد: ط٥/ ٣٧٤.

(٣) الطبري: ٥/ ٣٨١.

وهنا طرق أحد الأبواب وكان المنزل لامرأة من كندة يقال لها طَوْعة - أم ولد كان للأشعث بن قيس ثم تزوجها أسيد الحضرمي وولدت له بلالاً- وطلب منها الماء فأسقته. فلما شرب طلبت منه أن يغادر منزلها، وعندما ألحّت عليه بوجوب المغادرة صرّح لها بحاله وكشف لها عن اسمه، ثم اشتكى لها بمرارة من خيانة أهل الكوفة له[١].

فرقّت لحاله وأدخلته بيتًا في دارها، فلمّا قدم ولدها أخبرته بخبر مسلم بن عقيل وطلبت منه أن لا يخبر أحدًا، ويبدو أن هذا الابن قد رغب في المال وخاف على نفسه، فانطلق إلى محمد بن الأشعث فأخبره الخبر، وذهب ابن الأشعث إلى ابن زياد، وأخبره بأمر مسلم بن عقيل[٢].

وكان ابن زياد قد خطب الناس بعد فشل خطة مسلم بن عقيل ودعا الناس للاجتماع، وتوعّد من وجد عنده ابن عقيل بأنه حلال الدم، وجعل جائزة لمن يقبض عليه[٣]، ثم أمر أحد قواده بتفتيش دور الكوفة والقبض على مسلم[٤].

ولما بلغ ابن زياد خبر مسلم، أرسل أحد قواده ليقبض عليه، وبعد معركة قصيرة مع مسلم بن عقيل تمكّنوا من أسره بعدما جُرح.

فلما أتى به إلى ابن زياد واجهه بتهمة الخروج على الخليفة، وذكر أنه سيقتله.

وعندما أحسّ مسلم بن عقيل بحزم ابن زياد، وأنه لن يتراجع عن قتله،

---

(١) ابن سعد: ط٥/ ٣٧٤، البلاذري، أنساب الأشراف: ٣/ ٢٢٤، الطبري: ٥/ ٣٧١.

(٢) الطبري: ٥/ ٣٥٠، ٣٧٢، ٣٧٣.

(٣) المصدر السابق: ٥/ ٣٧٢.

(٤) المصدر السابق:٥/ ٣٧٢.

خشي على الحسين بن علي الذي هو في الطريق إلى الكوفة.

فطلب من ابن زياد أن يَسُرَّ لعمر بن سعد بن أبي وقاص بأمر، وذلك لقرابته منه، فأخذ عمر جانبًا وقال له: «يا عمر، إن حسينًا قدم ومعه تسعون إنسانًا بين رجل وامرأة في الطريق إلى الكوفة، فاكتب إليه بما أصابني» وطلب منه أن يدفن جثته، ويقضي عنه دينه[1].

ثم أمر ابن زياد به فقُتِل.

واتخذ إجراءً أكثر حزمًا حيث أمر بهانئ فأخرج إلى السوق وقتل، وظل هانئ يصيح لقبيلته مذحج ولكن لم ينصره أحد، ثم صلب هانئ ومسلم في السوق أمام الناس[2].

ثم أمر بضرب أعناق اثنين من الذين كانوا يخططون لنصر مسلم بن عقيل، وصلبهما في السوق أيضًا[3].

وهكذا استطاع ابن زياد أن يثبت للناس أن الدولة لا تزال قوية، ، وأنها متحكمة بالوضع دون أن يخالطها ضعف، كما أنه استطاع أن يُحطِّم القوى المعنوية في نفوس الشيعة؛ حيث إنهم يرون قادتهم مقتولين ومصلوبين في السوق.

وهكذا فقد تبين الآن أن جميع المناصرين الذين ناصروا مسلم بن عقيل وسجَّلوا أسماءهم كمبايعين، كانت تدفعهم العاطفة فقط، بل إن المناصرين كانوا

---

(١) ابن سعد: ط٥/ ٣٥٤، البيهقي، المحاسن والمساوئ: ص٨٣.

(٢) ابن سعد: ط٥/ ٣٧٤، الطبري: ٥/ ٣٧٦، المسعودي، مروج الذهب: ٣/ ٦٩، البياسي، الإعلام بالحروب الواقعة في صدر الإسلام: ٢/ ٥٦، الثعالبي، التمثيل والمحاضرة: ص٤١.

(٣) الطبري: ٥/ ٣٧٩ من طريق أبي مخنف.

على العكس من ذلك؛ فقد كانوا مصدر تغرير وخذلان لمسلم بـن عقيـل، الـذي راح ضحية لاعتماده على أولئك المناصرين.

ومن هنا نستطيع أن نقول: إن ما اعتمد عليه مسلم بن عقيل وهانئ بن عروة من حسابات كانت خاطئة وفاشلة.

فظن مسلم بن عقيل أن العاطفة المحركة لكثير من العامة هي السبيل الوحيد للنصر، ولم يأخذ في الاعتبار تأييد زعماء الكوفة أو الاتصال بهم.

ولم يحاول مسلم بن عقيل أن يُنَظِّم تلك الجموع وفق اختصاصات معيَّنة، تُسيطر عليها منظمة سرية تستطيع أن تتحرك في الخفاء وبدون قيود.

كما أنه أخفق في توظيف الإمكانات التي توفَّرت له؛ حيث إن العاطفة المسيطرة على المجتمع الكوفي كفيلة بأن تقلب الأمور لصالحه؛ وذلك بعد إرادة الله، فيما لو استخدمت وأرشدت تلك العاطفة إرشادًا صحيحًا مميزًا.

ونجد الطرف الآخر النصير، وهو هانئ بن عروة - والذي يُعتبر من أبرز الناس الذين أيَّدوا مسلمًا وناصروه- اعتمد على قوة وكثرة قبيلته، وظن أنه بمنأى عن العقاب، وذلك باعتباره زعيمًا لمراد، التي ذكر المسعودي: أنه كان يركب في أربعة آلاف دارع وثمانية آلاف راجل منهم.

وإذا انضاف لهذه القبيلة أحلافها من كندة بلغ العدد ثلاثين ألف دارع، سوى الرجالة[1].

---

(١) المسعودي، مروج الذهب: ٣/ ٦٩.

ولكن حسابات هانئ بن عروة كانت خاسرة؛ فالناس قد ضَعُفت بينهم الروابط القديمة التي تعتبر القبلية فيها هي محور الارتكاز، وزعيم القبيلة هو القائد المهيمن الذي ينصاع لأوامره الجميع بدون تردُّد، وكان لتقسيمات الأرباع في ولاية زياد بن أبيه أثر في هذا الضعف، كما أن نظام العطاء ربط مصالح القبائل بالسلطة الأموية.

ثم إن القبيلة العربية مرَّت بتربية طويلة في الإسلام؛ بدءًا بالرسول ﷺ، ومرورًا بالخلفاء الراشدين -رضي الله عنهم- ثم سياسة معاوية -رضي الله عنه- التي اعتمدت على الاستقرار ورفاهية المجتمع،وتطوُّره، فارتبط الناس بالدولة، وقُدِّمت مصلحة الدولة على القبيلة.

ثم إن المفاهيم القبلية التي كانت سائدة قبل بعثة محمد ﷺ قد أخذت في التلاشي والاضمحلال، وذلك بعد مبعث الرسول ﷺ.

ومن ثم كانت الحسابات التي اعتمد عليها هانئ بن عروة، والتي كان محور ارتكازها على القبلية، قد أثبتت خسارتها وإخفاقها.

لقد أدرك مسلم بن عقيل أن أولئك الذين بايعوه قد خذلوه وسلَّموه إلى ابن زياد، وبسهولة تامة، فأخذ يدعو عليهم عند قتله، ويقول: «اللهم احكم بيننا وبين قوم غرُّونا، وكذبونا، ثم خذلونا، وقتلونا»[1].

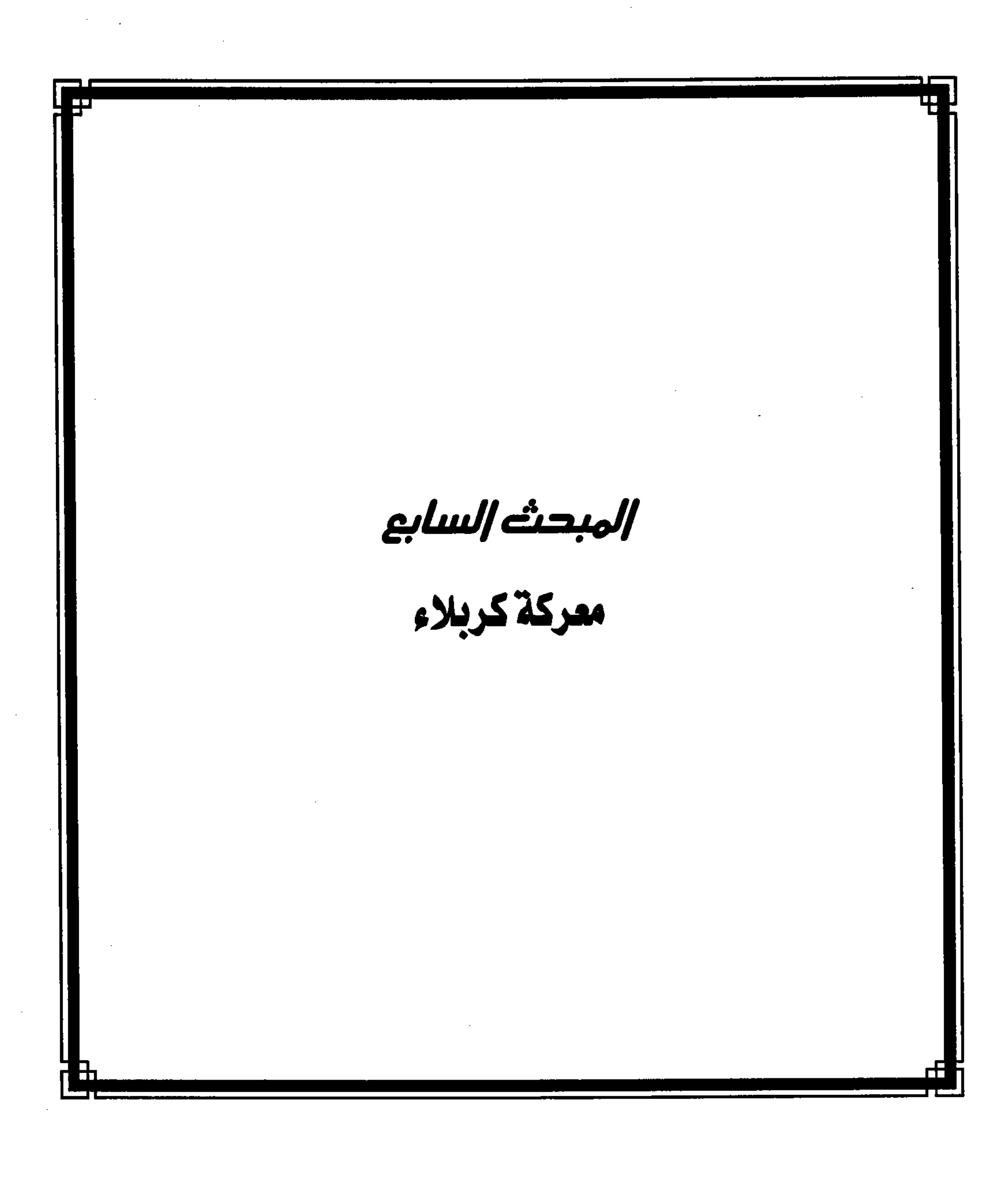
كما جسَّد أحد الشعراء المعاصرين تلك النهاية البائسة الحزينة لكلٍّ من هانئ ابن عروة، ومسلم بن عقيل في قصيدته التي يقول فيها:

---

(١) المسعودي، مروج الذهب: ٣/ ٦٩.

إن كنت لا تدرين ما الموت فـانظري   إلى هـانئ في الـسوق وابـن عقيـل
إلى بطل قـد هـشَّم الـسيف وجهـه   وآخـر يهـوي في أطمـار قتيـل
أصـابهما أمـر الأميـر فأصبحـا   أحاديث من يـسري بكـل سـبيل[1]

(١) ابن سعد: ط٥/ ٣٨٠، ونسبها إلى عبد الله بـن الـزبير الأسـدي، ونـسبها الطـبري لعبـد الله أيضًا، ثم قال: ويقال: إنها للفرزدق: ٥/ ٣٨٠، وقال الطبري في موضع آخر: ٥/ ٣٥٠ وقال شاعرهم، والشعر في مقاتل الطالبيين: ص١٠٨ منسوبًا لابـن الـزبير الأسـدي، وفي تـاريخ دمشق: ص٥٠٨ تراجم حرف العـين (مطبـوع) في ترجمـة ابـن الـزبير الأسـدي، وفي لـسان العرب: ٤/ ٥٠٢ منسوبًا لسليم بن سـلام الحنفـي (مـادة طمـر). انظـر مـصادر ترجمتـه في: معاهد التنصيص: ٣/ ٣١٠-٣١٧، الخزانة: ١/ ٣٤٥، الأغاني: ١٤/ ٢٠٨-٢٤٦.



المبحث السابع

معركة كربلاء



المبحث السابع

معركة كربلاء

كان مسلم بن عقيل قد بعث إلى الحسين كتابًا يقول فيه: «أما بعد فإن الرائد لا يكذب أهله، إنَّ جميع أهل الكوفة معك، فأقبل حين تقرأ كتابي، والسلام عليك».

وكان مسلم قد بعث بهذا الكتاب قبل أن يُعتقل ويقتل بسبع وعشرين ليلة(١).

وكان خروج مسلم بالكوفة في ثمان من ذي الحجة سنة ستين، ويقال يوم الأربعاء لتسع مضين من ذي الحجة، أي بعد خروج الحسين من مكة إلى الكوفة بيوم(٢).

ولما خرج الحسين من مكة يوم التروية الموافق لثمان من ذي الحجة سنة ستين، أدرك والي مكة عمرو بن سعيد بن العاص خطورة الموقف، فأرسل وفدًا إلى الحسين وعلى رأسهم أخوه يحيى بن سعيد بن العاص، فحاولوا أن يُثنوه عن عزمه، ولكنه رفض، فنادوه: يا حسين، ألا تتقي الله؛ تخرج عن جماعة المسلمين، وتُفرِّق بين هذه الأمَّة، فتأوَّل الحسين قول الله عز وجل: ﴿لِّي عَمَلِي وَلَكُمْ عَمَلُكُمْ أَنتُم بَرِيٓـُٔونَ مِمَّآ أَعْمَلُ وَأَنَا۠ بَرِيٓءٌ مِّمَّا تَعْمَلُونَ﴾ [يونس: ٤١](٣).

فخرج الحسين متوجهًا إلى العراق في أهل بيته وستين شيخًا من أهل الكوفة.

---

(١) الطبري ٥/ ٣٩٥ عن أبي مخنف.

(٢) الطبري ٥/ ٣٨١، ٣٩٤ عن أبي مخنف، أنساب الأشراف ٣/ .

(٣) الطبري ٥/ ٣٨٥ عن أبي مخنف، أبو العرب، المحن ١٤٩، عن أبي معشر عن بعض مشيخته، ابن عساكر ترجمة الحسين ٢٤٠.

وبعد أن فشل كبار بني أمية في إقناع الحسين بعدم الخروج إلى الكوفة، كتبوا إلى ابن زياد يُحذِّرونه من مَغَبَّة الغلط والخطأ في تقدير التعامل مع الحسين ﷺ.

فكتب مروان إلى ابن زياد: «أما بعد فإن الحسين بن علي قد توجَّه إليك، وهو الحسين بن فاطمة، وفاطمة بنت رسول الله ﷺ، وتالله ما أحد يُسلمه الله أحبَّ إلينا من الحسين، وإيَّاك أن تُهيج على نفسك ما لا يَسُدُّه شيء ولا ينساه العامة، ولا يدع ذكره، والسلام عليك»[1].

وكتب إليه عمرو بن سعيد بن العاص ينهاه عن التعرُّض للحسين، ويأمره بأن يكون حذرًا في تعامله مع الحسين. قائلاً له: «أما بعد، فقد توجَّه إليك الحسين، وفي مثلها تُعتق أو تعود عبدًا تُسترقُّ كما يُسترقُّ العبيد»[2].

وفي الطريق إلى الكوفة قابل الحسين الفرزدق -الشاعر المشهور- بذات عرق[3]، فسأله الحسين بن علي عن تصوره لما يقوم به أهل الكوفة حياله، ثم أراد أن يُعطي الفرزدق إيضاحًا أكثر، وقال: هذه كتبهم معي، فرد عليه الفرزدق: «يخذلونك فلا تذهب، فإنك تأتي قومًا قلوبهم معك وأيديهم عليك»[4].

---

(١) ابن سعد: ط ٥/ ١٦٧، ابن عساكر، تاريخ دمشق، ترجمة الحسين: ص٢٤٠، المزي، تهذيب الكمال: ٦/ ٤٢٢، ابن كثير، البداية والنهاية: ٩/ ١٦٧.

(٢) نفس المصادر السابقة.

(٣) ذات عرق: ميقات أهل العراق، وهو الحد بين نجد وتهامة (معجم البلدان).

(٤) ابن سعد: ط٥/ ٣٧١ بإسناد حسن حتى الفرزدق (وذكر أنه لقيه بالصفاح)؛ خليفة، التاريخ بدون إسناد؛ يعقوب، المعرفة والتاريخ: ٢/ ٦٧٣، البلاذري، أنساب الأشراف: ٣/ ١٦٥ بسند صحيح حتى الفرزدق؛ الطبري: ٥/ ٣٨٦ من طريق أبي مخنف، ومن طريق عوانة؛ =

وهذا السؤال من الحسين يدل على الحيرة التي تملَّكته، وكأن التحذيرات التي حذَّره منها الصحابة أقلقت نفس الحسين -رضي الله عنه- ثم كأنه يريد إجابة تشفي قلقه وتزيح همومه.

لقد صوَّر الفرزدق -وهو الشاعر المرهف الحس الذكي البليغ- الوضع في الكوفة صورة صادقة مُعبِّرة، تدلُّ على حقيقة الموقف في الكوفة، كما تدلُّ على طباع أهلها الذين يريدون مناصرة الحسين بن علي.

وعندما علم يزيد بن معاوية بخروج الحسين من مكة، واتجاهه صوب الكوفة، كتب إلى ابن زياد يحذّره ويقول: «بلغني أن حسينًا قد سار إلى الكوفة، وقد ابتُلِيَ به زمانك من بين الأزمان، وبلدك من بين البلاد، وابتُليت به من بين العمال، وعندها تُعتق أو تعود عبدًا كما تُعْتَبَد العبيد»[1].

= (وفي رواية عوانة ذكر أنه لقيه بالحرم) ابن عساكر، تاريخ دمشق (ترجمة الحسين): ص٢٠٥ من طريق ابن سعد؛ الذهبي، تذكرة الحفاظ: ١/ ٣٧٢ من طريق أبي عبيدة بن معمر بن المثني. الشجري، الأمالي الخمسة: ١/ ١٦٦، أبو الفرج، الأغاني ١٩/ ٦٦ وغالب الروايات جاءت من طريق لبطة بن الفرزدق عن أبيه. ولبطة - بفتح اللام والباء الموحدة - ابن الفرزدق بن غالب التميمي المجاشعي، روى عن أبيه وروى عنه ابن عيينة، والقاسم بن الفضل الهمداني. سكت عنه البخاري في التاريخ الكبير: ٧/ ٢٥١؛ وأبو حاتم في الجرح والتعديل: ٧/ ١٨٣؛ وذكره ابن حبان في الثقات: ٧/ ٣٦١. والفرزدق هو همام بن غالب بن صعصعة التميمي أبو فراس الشاعر، لأبيه رؤية ولجده صحبة، قال الذهبي في المغني في الضعفاء: ٢/ ٥٠٩ ضعفه ابن حبان وقال: كان قذافًا للمحصنات فيجب مجانبة روايته (الجرح والتعديل: ٧/ ٩٣، ومعجم الشعراء: للمرزباني ٤٦٥؛ وسير أعلام النبلاء: ٤/ ٥٩٠؛ ولسان الميزان: ٤/ ٤٣٣).

(١) الطبراني، المعجم الكبير: ٣/ ١١٥. قال الهيثمي في المجمع: ٩/ ١٣٩): ورواه الطبراني ورجاله ثقات=

وهنا اتخذ ابن زياد بعض التدابير لكي يحول بين أهل الكوفة وبين الحسين، ويحكم سيطرته عل الكوفة، فقام بجمع المقاتلة، وفرَّق عليهم العطاء حتى يضمن ولاءهم.

ثم بعث الحصين بن تميم الطهوي -صاحب شرطته- حتى نزل القادسية، وقام بتنظيم الخيل ما بين القادسية إلى خفان[1]، وما بين القادسية إلى القطقطان[2]، وإلى لعلع[3].

ثم أصدر أوامره إلى الحصين بن تميم بأن يقبض على كل من يُنْكِره[4].

ثم أمر ابن زياد بأخذ كل من يجتاز بين واقصة[5] إلى طريق الشام، إلى طريق البصرة، فلا يترك أحدًا يلج ولا يخرج[6]. وأراد ابن زياد من الإجراء الأخير قطع الاتصال بين أهل الكوفة وبين الحسين بن علي.

= إلا أن الضحاك لم يدرك القصة؛ ابن عبد ربه، العقد الفريد: ٤/ ٣٨٢ بنفس سند الطبراني، ابن عساكر ترجمة الحسين: ٢٠٨ من طريق الزبير بن بكار؛ ابن كثير: ٩/ ١٦٧ من طريق الزبير بن بكار..

(١) خفان: هو موضع بقرب الكوفة يسلكه الحاج أحيانًا. وقيل: هي فوق القادسية (المعجم: ٢/ ٣٧٩).

(٢) القطقطان: موضع قرب الكوفة من جهة البرية بالقرب من القادسية (المعجم: ٤/ ٣٧٤).

(٣) لعلع: منزل بين البصرة والكوفة بينها وبين البصرة عشون ميلاً. (المعجم: ٥/ ١٨).

(٤) ابن سعد: ط٥/ ٣٧٦، وانظر وصفًا للطريق من مكة إلى الكوفة عند: ابن خرداذبه، المسالك والممالك: ص١٢٥-١٢٧، البلاذري، أنساب الأشراف ٣/ ١٦٦، الطبري: ٥/ ٣٩٤ عن أبي مخنف.

(٥) واقصة: منزل بطريق مكة لبني شهاب من طيء وهو دون زبالة بمرحلتين (المعجم: ٥/ ١٥٤).

(٦) البلاذري، أنساب الأشراف: ٣/ ١٧٣؛ ٢٢٥، الطبري: ٥/ ٣٩٢.

ومضى الحسين بن علي في طريقه إلى الكوفة، ولم يكن يعلم بتلك التغيرات التي حدثت في الكوفة بعد خروجه من مكة.

ولما بلغ الحاجر من بطن الرمة بعث قيس بن مسهر الصيداوي إلى أهل الكوفة وكتب معه إليهم:

«بسم الله الرحمن الرحيم، من الحسين بن علي إلى إخوانه من المؤمنين والمسلمين، السلام عليكم ورحمة الله وبركاته، فإني أحمد الله إليكم الذي لا إله إلا هو، أما بعد: فإن كتاب مسلم بن عقيل جاءني يخبرني فيه بحسن رأيكم، واجتماع ملئكم على نصرنا، والطلب بحقّنا، فسألنا الله أن يحسن لنا الصنع، وأن يثيبكم على ذلك أعظم الأجر، وقد شخصت إليكم من مكة يوم الثلاثاء لثمان مضين من ذي الحجة يوم التروية، فإذا قدم عليكم رسولي فاكمشوا أمركم، وجدُّوا فإني قادم إليكم في أيامي هذه إن شاء الله، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته»[١].

ولكن الحصين بن تميم قبض على قيس بن مسهر مبعوث الحسين، حين وصوله إلى القادسية[٢]، ثم بعث به إلى ابن زياد فقتله مباشرة[٣].

ثم بعث الحسين عبد الله بن بقطر[٤] إلى مسلم، فوقع في يد الحصين بن تميم، وبعث به إلى ابن زياد فقتله أيضًا[٥].

---

(١) الطبري: ٤/ ٣٩٤ عن أبي مخنف.

(٢) الطبري: ٥/ ٣٩٥ عن أبي مخنف.

(٣) ابن سعد: ط ٥/ ٣٧٦؛ أنساب الأشراف: ٣/ ١٦٧.

(٤) ابن حجر، الإصابة: ٥/ ٨.

(٥) البلاذري، أنساب الأشراف: ٣/ ٢٢٤، الطبري: ٥/ ٣٩٢.

وكان لتلك الإجراءات الصارمة التي اتخذها ابن زياد أثر كبير على نفوس الشيعة؛ فهم يرون أن من كان له علاقة بالحسين فإن مصيره القتل، وعلى أبشع صوره، فأصبح من يُفكِّر في نصرة الحسين عليه أن يتصوَّر نهايته على ذلك النحو المؤلم.

كان الحسين رضي الله عنه يحس أن الأمور تسير سيرًا غامضًا في الكوفة، وخاصة عندما أخبره الأعراب أن أحدًا لا يلج ولا يخرج من الكوفة مُطلقًا[(١)].

واستمر التحذير من بعض رجال القبائل العربية الذين مرَّ بهم، وبيَّنوا له ذلك الخطر الذي يُقدم عليه، ولكن الحسين كان يُدَلِّل على نجاح مهمته بالإشارة إلى ذلك العدد الهائل من أسماء المبايعين التي كانت بحوزته[(٢)].

لما بلغ الحسين زبالة[(٣)] وقيل شراف[(٤)] جاءه خبر مقتل مسلم بن عقيل، وهانئ بن عروة، وعبد الله بن بقطر، إضافة إلى تخاذل أهل الكوفة عن نصرته[(٥)].

وهنا يُختلف فيمن أوصل إليه الخبر؛ فرواية تذكر أن الذي أوصل الخبر هو رسول ابن الأشعث إلى الحسين؛ ذلك أن مسلم بن عقيل لما قُبض عليه طلب من ابن الأشعث أن يُخبر الحسين على لسانه بقوله: «ارجع بأهل بيتك، ولا يغرّك أهل الكوفة؛

---

(١) البلاذري، أنساب الأشراف: ٣/ ٢٢٤، الطبري: ٥/ ٣٩٢.

(٢) ابن سعد: ط ٥/ ٣٧١، ابن عساكر ترجمة الحسين: ٢١٠.

(٣) زبالة: منزل معروف بطريق مكة من الكوفة بين واقصة والثعلبين، وهي لبني غاضرة من بني أسد (المعجم: ٣/ ١٢٩).

(٤) شراف: بين واقصة والقرعاء، على ثمانية أميال من الأحساء، ومن شراف إلى واقصة ميلان (المعجم: ٣/ ٣٣١).

(٥) الطبري: ٥/ ٣٩٨ عن أبي مخنف، البلاذري، أنساب الأشراف: ٣/ ١٦٨ بإسناد جمعي.

فإنهم أصحاب أبيك الذي كان يتمنَّى فراقهم بالموت أو القتل؛ إن أهل الكوفة قد كذّبوك وكذّبوني وليس لمكذب رأي»، فقال ابن الأشعث: والله لأفعلن [١].

وتذكر رواية أخرى أن الذي أخبر الحسين هم رجال من قبيلة بني أسد[٢].

وليس هناك إشكال بين الروايتين؛ فقد يكون رسول ابن الأشعث هو من قبيلة بني أسد، ولكن المشكل حقًا هو: لماذا لم تصل الرسالة إلى الحسين عن طريق عمر بن سعد الذي أوصاه مسلم وكلَّفه بهذه المهمة قبل قتله؟ ثم لماذا رسول ابن الأشعث يتأخر في إبلاغ الخبر إلى الحسين حتى بلغ الحسين منطقة زبالة، ومعروف أن زبالة أو شرافًا من الكوفة؟

ولا نعلم إن كان سبب التأخير يعود إلى صعوبة تجاوز تلك التدابير الحازمة من ابن زياد، والتي منع خلالها الخروج والدخول إلى الكوفة، أم يعود سبب التأخير إلى تأخُّر ابن الأشعث نفسه في إرسال رسوله إلى الحسين رضي الله عنه.

وكان لهذا الخبر المفجع المؤلم وقعه الشديد على الحسين رضي الله عنه؛ فهؤلاء أقرب الناس إليه قد قتلوا، والشيعة في الكوفة تخاذلوا في نصرته.

وقام الحسين نفسه بإعلان هذا الخبر على أصحابه، وأَذِن لمن أراد الانصراف، فانصرف أكثر الناس الذين معه، ولم يبق معه إلا أصحابه الذين قدموا معه من الحجاز[٣].

---

(١) الطبري: ٥/ ٣٧٣ عن أبي مخنف.

(٢) المصدر السابق: ٥/ ٣٩٧.

(٣) ابن سعد: ط٥/ ٣٧٦، البلاذري، أنساب الأشراف: ٣/ ١٦٩ بإسناد جمعي، الطبري: ٥/ ٣٩٨ عن أبي مخنف.

وأمام هذه الفاجعة أخذ الحسين ﷺ يراجع حساباته، وتوصَّل إلى وجوب الرجـوع، وترجَّى أصحابه وبيَّن لهم أهمية الرجوع، وشاركه في الرأي ولده الأكبر علي[١].

ولكن أبناء عقيل أخذوا موقفًا مغـايرًا مـن طلـب الحـسين؛ حيـث أصروا عـلى المضي إلى الكوفة، وذلك بدافع الألم الذي يعتصرهم، ورغبة في إدراك ثأر أخيهم[٢].

وأمام هذا الضغط النفسي تنازل الحسين عن رأيه وقـال: «لا خـير في العـيش بعد هؤلاء»[٣]، ويقصد أبناء عمومته. لقد أدرك الحـسين أنـه إذا تخـلَّى عـن بنـي عقيل فإن القتل سيكون من نصيبهم، ثـم كيـف يـتخلَّى عـنهم وهـو المتسبِّب في مقتل أخيهم، بعد أن بعثه إلى الكوفة ليوجِّه الدعوة هناك.

ولعل الحسين ظن أن يكون في بقائه معهم فرصة ليجنبهم مخاطرة المجابهة مع ابن زياد، فضلاً على أن احترام الحسين ربما قد يكون مانعًا من وقوع الكارثة.

ومما شجَّع الحسين لأن يواصل مسيره نحو الكوفة، أن أصحابه قالوا له: «إنـك لست مثل مسلم بن عقيل، ولو قَدِمت الكوفة لكان الناس إليك أسرع»[٤].

لقد أقدم ابن زياد على اتخاذ إجـراء خطـير لم يكـن لـه أي داع سـوى إثبـات الذات والرغبة في الانتقام: فقد أمر الحرَّ بن يزيد -الذي كـان يقـود ألـف فـارس- بأن يعسكر في شراف، وعند رؤيته للحسين فعليه أن يلازمه، ولا يأذن له بالانـصراف

---

(١) ابن سعد: ط٥/ ٣٩٧.

(٢) ابن سعد: ط٥/ ٣٧٦، الطبري ٥/ ٣٩٧، أبو العرب، المحن: ص١٥٣.

(٣) الطبري: ٥/ ٣٩٨.

(٤) المصدر السابق: ٥/ ٣٩٨ عن أبي مخنف.

حتى يدخله الكوفة[١].

وقد أدرك الحرُّ بن يزيد الحسينَ ومن معه قريبًا من شراف، ولَّما طلب منه الحسين الرجوع منعه الحرُّ، وذكر له أنه مأمور بملازمته حتى الكوفة.

وقام الحسين وأخرج خِرْجَيْن مملوءة بالكتب التي تطلب منه القدوم إلى الكوفة، فأنكر الحرُّ والذين معه أي علاقة لهم بهذه الكتب[٢].

وهنا رفض الحسين الذهاب مع الحر إلى الكوفة وأصرَّ على ذلك. فاقترح عليه الحرُّ أن يسلك طريقًا يُجنِّبه الكوفة ولا يُرجعه إلى المدينة، وذلك من أجل أن يكتب الحرُّ إلى ابن زياد بأمره، وأن يكتب الحسين إلى يزيد بأمره[٣].

وبالفعل تياسر الحسين عن طريق العذيب والقادسية، واتجه شمالاً على طريق الشام[٤].

وأخذ الحرُّ يساير الحسين وينصحه بعدم المقاتلة، ويُذكِّره بالله، وبيَّن له أنه إذا قاتل فسوف يُقتل لا محالة[٥].

ولما وصل الحسين إلى كربلاء أدركته خيل عمر بن سعد، ومعه شمر بن ذي الجوشن، والحصين بن تميم[٦].

---

(١) ابن سعد: ط٥/ ٣٧٧، ٥/ ٤٠١، ٤٠٢.

(٢) الطبري: ٥/ ٤٠٢.

(٣) المصدر السابق: ٥/ ٤٠٢، ٤٠٣.

(٤) المصدر السابق: ٥/ ٤٠٣، ٣٩٢، البلاذري، أنساب الأشراف: ٣/ ١٧٣.

(٥) المصدر السابق: ٥/ ٤٠٣.

(٦) أنساب الأشراف: ٣/ ١٦٦.

وكان هذا الجيش الذي يقوده عمر بن سعد مكونًا من أربعة آلاف مقاتل، وكان وجهة هذا الجيش في الأصل إلى الريِّ لجهاد الدّيْلَم، فلما طلب منه ابن زياد أن يذهب لمقاتلة الحسين رفض عمر بن سعد في البداية هذا الطلب، ولكن ابن زياد هدَّده بالعزل، وهدم داره وقتله، إن لم يُنفِّذ أمره، وأمام هذا الخيار الصعب رضخ للأمر(١).

ولما بلغ الحسين كربلاء وأحاطت به الخيل، قال ما اسم هذه الأرض قالوا: كربلاء، قال: صدق رسول الله ﷺ؛ إنها أرض كرب وبلاء(٢)، ويطلق على

---

(١) ابن سعد: ط٥/ ٣٧٧، الطبري: ٥/ ٤٠٩، يعقوب، المعرفة والتاريخ: ٣/ ٣٢٥، ابن عساكر، ترجمة الحسين: ٢٠٩، ٢١٠.

(٢) قال الهيثمي: «رواه الطبراني وفيه يعقوب بن حميد بن كاسب، وهو ضعيف وقد وُثّق. المحن: ١٥٣ بدون نسبة ذلك إلى الرسول ﷺ عن أبي معشر عن بعض مشيخته، وهو إسناد ضعيف جدًا، وأما ما ورد عند أبي نعيم في دلائل النبوة ٢/ ٥٨١. أن عليًا ﷺ لما مرّ بكربلاء قال: هذا مناخ ركابهم.. قال المحقق: وفيه سعد بن طريف، وأصبغ بن نباتة، وكلاهما متروك. وانظر: الخصائص ٢/ ٤٥٣، وقال البوصيري: رواه إسحاق بسند ضعيف.وقال المحقق: رجل من بني ضبة لا يعرف، والراوي عن أبي يحيى -وهو عندي مصدع- لم أر فيه توثيقًا. (المطالب العالية ٤/ ٣٢٦)؛ وأما قول ابن عباس: ما كنا نشك وأهل البيت متوافرون أن الحسين بن علي يُقتل بالطف.قال الذهبي: وفيه حجاج بن نصير تُرك (المستدرك: ٣/ ١٧٩).

وأما ما ذكره ابن عساكر بإسناده عن أم سلمة: أن جبريل أخبر النبي ﷺ أنه سيُقتل، وأراه التربة التي سيقتل بها فإذا الأرض يقال لها: كربلاء (ابن عساكر ترجمة الحسين: ١٧٦)؛ ففي الإسناد أبان بن أبي عياش، قال الذهبي في ميزان الاعتدال: ١/ ١٣ بعد أن ساق خبره هذا، قال: أبان، قال أحمد: تركوا حديثه. وانظر: (المغني في الضعفاء: ١/ ٧) . وقال الدار قطني: متروك. (الضعفاء والمتروكين: ص٦٤). وانظر السيوطي، الحبائك في أخبار الملائك: ص٤٤، أبو زرعة. طرح التثريب: ١/ ١١)؛وانظر باستفاضة حول كربلاء والأحاديث الواردة فيها:الألباني،السلسلة الصحيحة ٣/ ١٥٩(١١٧١).

المنطقة كلها اسم الطّف.[١]

لقد بدأ الحسين بن علي بالتفاوض مع عمر بن سعد، وبيَّن الحسين أنه لم يأت إلى الكوفة إلّا بطلب من أهلها.

وأبرز لعمر بن سعد الدليل على ذلك، وأشار إلى حقيبتين كبيرتين تتضمَّنان أسماء المبايعين والداعين للحسين، وكتب عمر بن سعد لابن زياد بما سمعه من الحسين، وقال: «بسم الله الرحمن الرحيم، أما بعد: فإني حيث نزلت بالحسين بعثت إليه رسولي، فسألته عما أقدمه وماذا يطلب، فقال: كتب إليَّ أهل هذه البلاد وأتتني رسلهم، فسألوني القدوم ففعلت، فأمَّا إذا كرهوني، فبدا لهم غير ما أتتني به رسلهم، فأنا منصرف عنهم. فلما قُرِئ الكتاب على ابن زياد تمثَّل قول الشاعر:

الآن إذا علقت مخالبنا به ... يرجو النجاة ولات حين مناص

ثم كتب ابن زياد لعمر بن سعد:

«بسم الله الرحمن الرحيم، أمَّا بعد، فقد بلغني كتابك، وفهمت ما ذكرت، فاعرض على الحسين أن يبايع ليزيد بن معاوية هو وجميع أصحابه، فإذا فعل ذلك رأينا رأينا، والسلام».

ولما اطلع عمر بن سعد على جواب ابن زياد ساءه ما يحمله الجواب من تعنُّتٍ وصلف، وعرف أن ابن زياد لا يريد السلامة[٢].

---

(١) الطف: في اللغة ما أشرف من أرض العرب على ريف العراق، وهي أرض بناحية الكوفة (ياقوت: ٤/ ٣٥-٣٦) (سعيد على المرصفي، رغبة الآمل:٣/ ٣٤).

(٢) الطبري: ٥/ ٤١١، ٤١٢ من طريق أبي مخنف.

وللحسين الحق في أن يرفض هذا العرض؛ فالحسين قد رفض البيعة ليزيد وهو في المدينة مُعزَّز مُكرَّم، وإنما اختار ما ختار من أمر، وأدَّى ذلك إلى قتل ابن عمه مسلم بن عقيل، ثم أعرض عن رأي الذين نصحوه، وبعد ذلك كله يُبايع تحت تهديد السلاح.

رفض الحسين هذا العرض، ثم لمَّا رأى جهامة الموقف وخطورته طلب من عمر بن سعد مقابلته[1]، وعرض على عمر بن سعد عرضًا آخر يتمثَّل في إجابته واحدة من ثلاث نقاط[2]:

١- أن يتركوه فيرجع من حيث أتى.

٢- وإما أن يتركوه ليذهب إلى الشام فيضع يده في يد يزيد بن معاوية.

٣- وإما أن يُسيِّروه إلى أي ثغر من ثغور المسلمين، فيكون واحدًا منهم؛ له ما لهم وعليه ما عليهم[3].

وقد أكَّد الحسين ﷺ موافقته للذهاب إلى يزيد[4].

لقد أدخل هذا العرض السرور على عمر بن سعد، وتمنَّى أن يوافق ابن زياد

---

(١) أبو العرب، المحن: ١٥٤ عن أبي معشر عن بعض مشيخته.

(٢) المحن: ٥٦، أبي معشر عن بعض مشيخته.

(٣) ابن سعد: ط٥/ ٣٧٨، بإسناد جمعي، الطبري: ٥/ ٤١٣ عن أبي مخنف وقال: «حدثنا المجالد بن سعيد والصقعب بن زهير الأزدي وغيرهما من المحدثين، وهو ما عليه جماعة المحدثين؛ أبو العرب، المحن: ص١٥٤، العقد الفريد: ٤/ ٣٧٨، البيهقي المحاسن والمساوئ: ٨٣-٨٤.

(٤) البلاذري، أنساب الأشراف: ٣/ ١٧٣-١٧٤، بإسناد صحيح، وقد توبع عند الطبراني: ٥/ ٣٩٢، بإسناد صحيح.

وينتهي هذا الموقف الخطير، بل وكتب إلى ابن زياد بكتاب أظهر فيه أن هذا الموقف المتأزِّم قد حُلَّ، وأن السلام قد أوشك، وما على ابن زياد إلا الموافقة(١).

وبالفعل فقد أوشك ابن زياد أن يوافق ويرسله إلى يزيد، لولا تدخُّل شمر بن ذي الجوشن الذي كان جالسًا في المجلس حين وصول الرسالة؛ فقد اعترض على رأي ابن زياد في أن يرسله إلى يزيد، وبيَّن لابن زياد أن الأمر الصائب هو أن يطلب من الحسين أن ينزل على حكمه - أي ابن زياد - حتى يكون هو صاحب الأمر والمتحكِّم فيه(٢).

وأعجب هذا الرأي ابن زياد، وتابع شمر بن ذي الجوشن على رأيه، فأمر شمر بن ذي الجوشن أن يكون رسوله إلى عمر بن سعد، ويعرض على عمر بن سعد أن ينزل الحسين على حكم ابن زياد، ولا يقبل منه غير هذا، كما أعطى الصلاحيات لشمر بأن يقتل القائد عمر بن سعد ويتولى القيادة بدلاً منه في حالة رفض عمر بن سعد لأمر ابن زياد(٣).

وأصبح عمر بن سعد بين ثلاث خيارات: إما أن يرفض أمر ابن زياد فيُقتل، وإما أن ينزل الحسين على حكم ابن زياد ويرضى بذلك، وهو ما يتمناه عمر بن سعد، وإما أن يرفض الحسين فيقاتله.

---

(١) الطبري: ٥/ ٤١٤ عن أبي مخنف.

(٢) المصدر نفسه: ٥/ ٤١٤ من طريق أبي مخنف، أبو العرب، المحن: ١٥٤ عن أبي معشر، البيهقي المحاسن والمساوي: ص٨٤.

(٣) ابن سعد: ط٥/ ٣٧٨، أبو العرب، المحن: ١٥٤هـ أبي معشر.

فعرض عمر بن سعد على الحسين طلب ابن زياد، فكان رد الحسين رفضه القاطع لهذا العرض.

وأراد الحسين أن يبين لقواد ابن زياد أنه راغب في السلام ولا يريد الحرب، وطلب منهم أن ينزل على حكم يزيد، ولكنهم رفضوا وطلبوا منه النزول على حكم ابن زياد فقط[١].

فالحسين رضي الله عنه يعرف ابن زياد، ويعرف قسوته، وهو الذي قتل ابن عمه، وهانئ، وعبد الله بن بقطر،وقيس بن مسهر، ثم إن الحسين رضي الله عنه لم يُحْدِثْ أمرًا جليلاً حتى يطلب منه النزول على حكم ابن زياد؛ فلم يقتل ولم يقُدْ الجيوش في مناصبة الدولة، كان رأيه صريحًا في سبب ذهابه للكوفة، بل وعرض عليهم الانصراف منذ أن رأى الجيش وخشي من القتال، فكان رضي الله عنه ورعًا في هذا الجانب؛ فقد خشي أن يراق محجم دم بسببه. إذًا ما هو المسوغ لنزوله على حكم ابن زياد؟ ثم كيف وهو ابن فاطمة وفاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم، وابن علي بن أبي طالب رابع الخلفاء الراشدين رضي الله عنهم؟ ثم هو قد أشرف عمره على الستين، ومقامه ومركزه يمنعه من النزول على حكم شاب يبحث عن الشهرة، فكان طلب الحسين أن ينزل على حكم يزيد، لأنه يعرف الذي ينتظره من يزيد، ويعرف أخلاقه وصفاته، وإلاّ ما طلب منذ البداية الذهاب إلى يزيد.

وليس الأمر كما ذهب إليه بروكلمان حينما جعل السبب المفضي لامتناع الحسين

---

(١) البلاذري، أنساب الأشراف: ٣/ ٢٢٧، بإسناد صحيح حتى جويرية بن حازم، و جويرية ت١٧٠هـ.

من التسليم لابن زياد هو: ما يتمتع به من حصانه بوصفه حفيد رسول الله ﷺ[١].

ونظرًا لخشية عمر بن سعد من وقوع القتال مع الحسين فقد حاول أن يمهل الحسين، فجاءه من يخبره أن ابن زياد قد بعث إليه جويرية بن بدر التميمي، وأمره بضرب عنقه - أي عمر بن سعد - إن لم يُقاتل الحسين[٢].

فقام عمر بن سعد وعرض على الحسين أن ينزل على حكم ابن زياد وإلا القتال، وكان ذلك يوم الخميس التاسع من المحرم، فطلب الحسين مهلة حتى الصباح.

وأدرك الحسين أنه إن لم يوافق فسيكون مصيره القتل، عند ذلك عرض على أصحابه أنهم في حل من طاعته.

فأصرَّ أصحابه على المقاتلة معه حتى النهاية[٣].

وأمَّا ابن زياد فقد اتخذ إجراء احترازيًا حين خرج إلى النخيلة[٤]، واستعمل على الكوفة عمرو بن حريث، وضبط الجسر، ولم يترك أحدًا يجوزه، وخاصة أنه

---

(١) بروكلمان. تاريخ الشعوب الإسلامية: ص١٢٨. لأنه في شرع الله لا توجد حصانة لأحد كائنًا من كان، والرسول ﷺ توعَّد كل من يخالف أوامر الشرع بتطبيق حكم الله فيه، حتى ولو كانت فاطمة بنت محمد ﷺ.

(٢) ابن سعد: ط٥/ ٣٧٩ بإسناد جمعي؛ المحن: ١٥٤ من طريق أبي معشر؛ الطبري: ٥/ ٣٩٣ بإسناد كل رجاله ثقات ما عدا شيخ الطبري محمد بن عمر الرازي لم أجد له ترجمة. أبو زرعة: ١/ ٦٢٧ بسند صحيح، والبلاذري، أنساب الأشراف: ٣/ ٢٢٦.

(٣) ابن سعد: ط٥/ ٣٧٩ بإسناد جمعي.

(٤) النخيلة: تصغير نخلة - موضع قرب الكوفة على سمت الشام (ياقوت: ٥/ ٢٧٨).

علم أن بعض الأشخاص من الكوفة بدؤوا يتسللون من الكوفة إلى الحسين[(١)].

لقد أثارت مواقف ابن زياد المتشددة أمام طلبات الحسين المرنة استياءً عند الحُرّ بن يزيد الحنظلي - أحد القواد الكبار لجيش ابن زياد - فانضمَّ إلى الحسين ابن علي، وخاطب جيش عمر بن سعد قائلاً: «ألا تقبلون من هؤلاء ما يَعرِضون عليكم، والله لو سألكم الترك والدَّيلم، ما حل لكم أن تَرُدُّوه»[(٢)].

وكان الحرُّ بن يزيد قد انضم إلى الحسين ليكفِّر عن عمله؛ حيث كان هو المتسبِّب في منع الحسين من الرجوع إلى المدينة.

وانضم إلى الحسين أيضًا ثلاثون رجلاً من جيش عمر بن سعد[(٣)].

فلما أصبح الصباح، عزم الحسين على المقاتلة، فنظَّم أصحابه، وكان معه اثنان وثلاثون فارسًا، وأربعون راجلاً، فجعل زُهير بن القَيْن في ميمنته، وحبيب بن مُظاهر في الميسرة، وأعطى رايته العباس بن علي، وجعل البيوت وراء ظهورهم، وأمر بحطب وقصب وراء البيوت فأشعل فيها النار مخافة أن يأتوهم من خلفهم[(٤)].

وأمَّا عمر بن سعد فقد نظَّم جيشه، وجعل على الميمنة عمرو بن الحجاج

---

(١) ابن سعد: ط٥/ ٣٧٨.

(٢) أنساب الأشراف: ٣/ ١٧٣، ٣٢٥، بإسناد صحيح حتى البلاذري، الطبري: ٥/ ٤٢٧، عن أبي مخنف، الطبري: ٥/ ٣٩٢، بإسناد صحيح.

(٣) المحن: ١٥٤ من طريق أبي معشر عن بعض مشيخته، ابن عساكر ترجمة الحسين: ص٢٢٠.

(٤) الطبري: ٥/ ٤٢٢ عن أبي مخنف، وتنفرد رواية الدهني بأن عددهم كان ٤٥ فارسًا و١٠٠ رجل، ولعل هذا بعد انضمام الثلاثين من جيش عمر بن سعد، إضافة إلى بعض المتسلّلين من الكوفة (الطبري: ٥/ ٣٨٩).

الزبيدي، بدلاً من الحُرّ بن يزيد الذي انضم إلى الحسين، وجعل على الميسرة شَمر بن ذي الجوشن، وعلى الخيل عَزْرة بن قيس الأحمسيّ، وعلى الرّجالة شَبَث بن رِبْعيّ الرياحيّ، وأعطى الراية ذُوَيدًا مولاه[١].

وبدأت المعركة سريعة، وكانت مبارزة في بداية الأمر، وجوبه جيش عمر بن سعد بمقاومة شديد من قبل أصحاب الحسين؛ حيث إن مقاتلتهم اتسمت بالفدائية فلم يَعُدْ لهم أمل في الحياة[٢].

وكان الحسين ﵁ في البداية لم يشترك في القتال، وكان أصحابه يدافعون عنه، ولمَّا قُتِل أصحابُه لم يجرؤ أحد على قتله، وكان جيش عمر بن سعد يتدافعون، ويخشى كل فرد أن يبوء بقتله، وتمنَّوا أن يستسلم.

ولكن الحسين ﵁ لم يبد شيئًا من الليونة، بل كان ﵁ يقاتلهم بشجاعة نادرة، عندئذ خشي شمر بن ذي الجوشن من انفلات زمام الأمور، فصاح بالجند وأمرهم بقتله، فحملوا عليه، وضربه زرعه بن شريك التميمي، ثم طعنه سنان بن أنس النَّخْعِي واحتزّ رأسه[٣].

ويقال: إن الذي قتله عمرو بن بطار التغلبي، وزيد بن رُقاد الجنبيّ[٤].

ويقال: إن المتولي للإجهاز عليه شمر بن ذي الجوشن الضبي، وحمل رأسه إلى

---

(١) الطبري: ٥/ ٤٢٢ عن أبي مخنف.

(٢) المصدر السابق: ٥/ ٤٢٩ وما بعدها.

(٣) الطبري: ٥/ ٤٥٣ عن أبي مخنف، القضاعي، الأنباء: ٦٣/ ب.

(٤) الطبري: ٥/ ٤٥٣ عن أبي مخنف.

ابن زياد خَوْلي بن يزيد الأصبحيّ[(١)].

ولا تعارض بين هذه الروايات إذا استطعنا الجمع بينها؛ فهؤلاء الذين ذكرتْهم الروايات قد اشتركوا في قتل الحسين، ولكن الثَّابت أن الذي تولى عملية قتل الحسين هو سنان بن أنس؛ قال أسلم المنقريّ: «دخلت عل الحجاج، فدخل سنان بن أنس -قاتل الحسين- فإذا شيخ آدم في حناء، طويل الأنف، في وجهه برش، فأوقف بحيال الحجاج، فنظر إليه الحجاج، فقال: أنت قتلت الحسين؟ قال: نعم، قال: وكيف صنعت به؟ قال: دَعَّمْته بالرمح، وهبَّرته بالسيف هَبْرًا، فقال له الحجاج: أما إنكما لن تجتمعا في دار»[(٢)].

وكان قتله ﷺ في محرم، في العشر منه، سنة إحدى وستين[(٣)].

وقُتل مع الحسين ﷺ اثنان وسبعون رجلاً، وقُتل من أصحاب عمر ثمانية وثمانون رجلاً[(٤)].

وبعد انتهاء المعركة أمر عمر بن سعد بأن لا يدخل أحد على نساء الحسين

---

(١) الطبراني، المعجم الكبير: ٣/ ١١٧ قال في المجمع: (٩/ ١٤٩) ورجاله ثقات. البياسي: ٢/ ٨٥ عن أبي بشر الدولابي.

(٢) الطبراني، المعجم الكبير: ٣/ ١١١، ١١٢، قال في المجمع (٩/ ١٩٤-١٩٥) ورجاله ثقات. البياسي: ٢/ ٨٥ عن أبي بشر الدولابي.

(٣) يعقوب، المعرفة والتاريخ: ٣/ ٣٢٥، الطبري: ٥/ ٣٩٤؛ أبو العرب، المحن: ١٥٨، معجم الطبراني: ٣/ ١٠٣ بإسناد صحيح حتى الليث؛ ابن قنفذ الوفيات: ص٧٤؛ الخطيب، تاريخ بغداد: ١/ ١٤٢.

(٤) ابن سعد: ط٥/ ٣٨٦، بإسناد جمعي. الطبري: ٥/ ٤٥٥، عن أبي مخنف. وقام بدفن الحسين والذين معه أهل الغاضرية بعد المعركة بيومين.

وصبيانه، وأن لا يتعرّض لهم أحد بسوء[١].

وأرسل عمر بن سعد برأس الحسين ونساءه ومن كان معه من الصبيان إلى ابن زياد[٢].

وكان عدد الذين قُتلوا مع الحسين من آل أبي طالب سبعة عشر شابًا[٣]، ولعل أدق قائمة هي التي ذكرها أبو مخنف[٤]، وهي الموافقة للأسانيد الصحيحة، وكذلك القائمة التي أوردها خليفة[٥].

وهي لا تشمل المختلف فيهم؛ فقد قُتل مع الحسين خمسة من إخوته، وهم:

---

(١) ابن سعد: ٥/ ٣٥٨، الطبري: ٥/ ٤٥٥.

(٢) الطبري: ٥/ ٤٥٤.

(٣) ابن سعد: ط٥/ ٤٠٥ بإسناد حسن؛ الطبراني المعجم الكبير: ٣/ ١١٩ وقال الهيثمي: ٩/ ١٩٨ رواه الطبراني بإسنادين رجال أحدهما رجال الصحيح؛ خليفة، التاريخ: ٢٣٥؛ أبو العرب، المحن: ١٥٧، ابن عبد ربه العقد الفريد: ٤/ ٣٨٥، السيوطي، تاريخ الخلفاء: ٢٠٧، ابن الشجري، الأمالي الخمسية ١/ ١٦٤، عن الحسن البصري، وذكر أن عددهم ستة عشر، وأمّا ما ورد عن الدولابي في الذرية الطاهرة: ص ١٧٩ من أن العدد ثلاثة وعشرون رجلاً فإن إسناده معضل ضعيف . وكذلك ما ورد في جمهرة الأنساب لابن الكلبي: ص١٨٢٢، وطبقات ابن سعد: ٥/ ٢١١ بدون إسناد، وأمّا ما رواه ابن عساكر: ١٢/ ق٤١ عن ابن أبي الدنيا بإسناده عن علي بن الحسين: أنه سئل عن كثرة بُكائه فقال: «لقد رأيت أربعة عشر رجلاً من آل بيتي ذُبحوا أمامي» فلم أعثر على ترجمة لبعض رواته، ثم هو مخالف للأسانيد الصحيحة والتي تحدد العدد بسبعة عشر شابًا.

(٤) الطبري: ٥/ ٤٦٨-٤٦٩.

(٥) خليفة، التاريخ: ٢٣٤-٢٣٥ وانظر مقاتل الطالبيين: ٥٣-٥٦، المزي، تهذيب الكمال: ٦/ ٤٣٧، وتعليقات د. بشار عواد على النص.

١- العباس ٢- جعفر ٣- عبد الله ٤- عثمان ٥- محمد.

ومن أولاد الحسن:

٦- علي الأكبر ٧- عبد الله.

ومن أولاد أخيه الحسين:

٨- أبو بكر ٩- عبد الله ١٠- القاسم.

وقتل من أبناء عقيل:

١١- جعفر ١٢- عبد الرحمن ١٣- عبد الله.

ومن أبناء مسلم بن عقيل:

١٤- عبد الله ١٥- محمد بن سعيد بن عقيل.

ومن أبناء عبد الله بن جعفر بن أبي طالب:

١٦- عون ١٧- محمد.

وقد حمل عمر بن سعد ذرية الحسين من نساء وصبيان إلى ابن زياد، وكان من ضمن ذرية الحسين ابنه علي بن الحسين الذي لم يشترك في المعركة بسبب المرض الذي كان ملازمه، وكان أثناء احتدام المعركة طريح الفراش، فحمل إلى ابن زياد مع بقية الصبيان والنساء[(١)].

---

(١) ابن سعد: ط٥/ ٢١١ بدون إسناد، الطبري: ٥/ ٤٥٤، عن أبي مخنف، ابن حجر، تهذيب التهذيب: ٧/ ٢٧٠.

فلمّا وصل نساء الحسين وصبيانه كان أحسن ما صنع بهم ابن زياد أن أمر لهم بمنزل في مكان معتزل، فأجرى عليهم الرزق وأمر لهن بالكسوة والنفقة[١].

وتذكر بعض الروايات التي لها ميول شيعية: أن ابن زياد أمر بقتل كل من أنبت، ولعل مما يُظهر كذب هذه الروايات ما تذكره من أنَّ علي بن الحسين كشفوا عنه فوجوده قد أنبت، فأمر ابن زياد بقتله، ولكن شفاعة أخته زينب وتعلقها به حالت دون قتله[٢].

ومن المعلوم أن علي بن الحسين توفي عام ٩٤هـ، في سنة الفقهاء، الأمر الذي يدل على أنه عندما قُتِل والده كان فوق العشرين وإلاّ لما حاز على تلك المنزلة الرفيعة باعتباره أحد فقهاء المدينة المشهورين، ثم كيف لم يُنبت وقد وُلد له أبو جعفر محمد بن علي بن الحسين، وأبو جعفر هذا قد لقي جابر بن عبد الله المتوفى سنة ثمان وسبعين، وروى عنه[٣]، وقد جزم ابن حجر بأن عمر علي بن الحسين حين قُتل والده ٢٣ سنة[٤].

ومن الكذب السمج ما يُنقل عن أثر قتل الحسين ﷺ على الطبيعة، وعلى

---

(١) البلاذري، أنساب الأشراف: ٣/ ٢٢٦ بإسناد صحيح، الطبري: ٥/ ٣٩٣ من نفس الطريق.

(٢) الطبري: ٥/ ٤٥٧-٤٥٨، أبو العرب، المحن: ١٥٧، أبو الحسن الأشعري مقالات الإسلاميين: ص٧٥..

(٣) ابن سعد: ط٥/ ٢٢١، من طريق الواقدي، ابن عساكر: ١٢/ ق ٣٢، سير أعلام النبلاء: ٤/ ٣٨٦، ٣٨٧.

(٤) ابن حجر تهذيب التهذيب: ٧/ ٢٧، وقد حدّد يعقوب ولادته سنة ٣٣هـ (المعرفة والتاريخ: ٣/ ٣١٠).

السماء والأرض، حتى يَظنّ الجاهل عندما يقرأ تلك الروايات أن الحسين ﷺ أعظم من الأنبياء والمرسلين وأبي بكر وعمر وعثمان وعلي، وغيرهم من صحابة رسول الله ﷺ، معاذ الله أن نتقص من حقّ الحسين ﷺ باعتباره حفيد رسول الله ﷺ، وثبت أن رسول الله ﷺ كان يحبُّه، ونحن والله نحبُّه ويحزننا غاية الحزن مقتله ﷺ، ولكن نحن أهل السنة والجماعة لا نُغالي فيمن نُحب، ولا نُجافي فيمن نكره، ومقياسنا دائمًا وأبدًا الكتاب والسنة.

ولقد تنبَّه علماء الأمة لتلك الأكاذيب التي تُتناقل، وتَسبَّب بها مقتله ﷺ[1].

فقال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: «وأكثر ما رُوي في قتله - أي الحسين - من الكذب من كون السماء أمطرت دمًا، وأن الحُمرة لم تظهر في السماء إلا بعد ذلك اليوم، فهذا من التُّرّهَات؛ فإن الحُمرة لها سبب طبيعي، وما رُفع حجر إلا وُجد تحته دم عبيط، فهذا من الكذب البيِّن، وأمّا قول الزهري: ما بقي أحد من قتلة الحسين إلا عُوقب في الدنيا، فهذا ممكن، وأسرع الذنوب عقوبة البغي، والبغي على الحسين من أعظم البغي»[2].

وقال ابن كثير: «وقد بالغ الشيعة في يوم عاشوراء، فوضعوا أحاديث كثيرة كذبًا وفحشًا، من كون الشمس كسفت يومئذ حتى بدت النجوم، وما رُفع حجر

---

(١) ومن العجيب أن محب الدين الطبري ذكر في كتابه ذخائر العقبى بعض الخرافات التي نتجت عن قتل الحسين ﷺ، وهي ورايات في غاية السخف والركاكة، وأحاديث موضوعة مكذوبة، وانظر مثال ذلك: ص٩٥،٩٦.

(٢) منهاج السنة: ٤/ ٥٦٠.

إلا وجد تحته دم عَبيط ، وأنَّ أرجاء السماء احمرَّت، وأنَّ الشمس كان يطلع شعاعها كأنّه الدم، وصارت السماء كأنها عَلَقة، وأنَّ الكواكب ضرب بعضها بعضًا، وأمطرت السماء دمًا أحمر، ولم يُرفع حجر من أحجار بيت المقدس إلا وُجد تحته دم... إلى غير ذلك من الأكاذيب، والأحاديث الموضوعة التي لا يصح فيها شيء»[1].

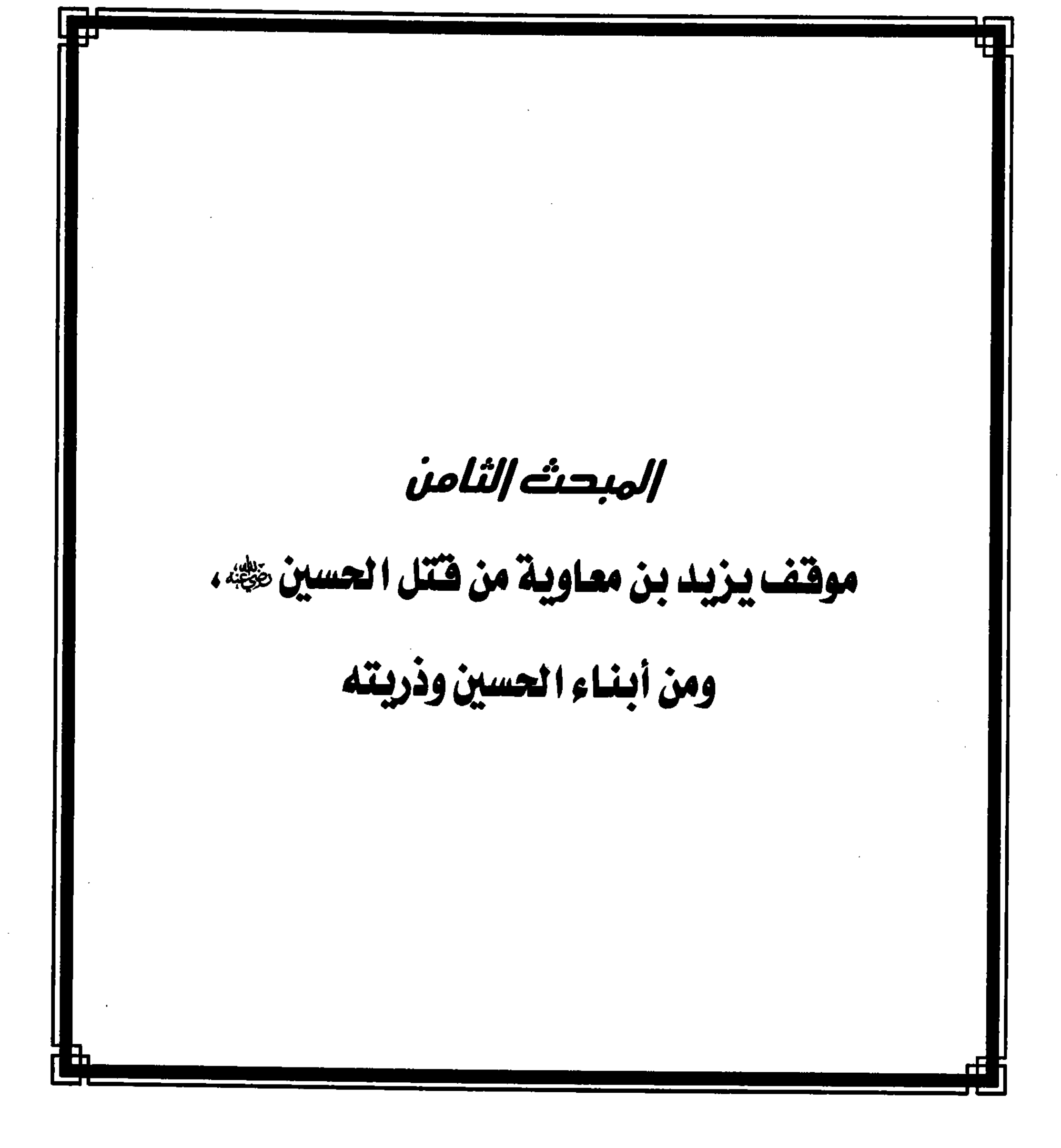
ونود أن نشير إلى معجزة النبي ﷺ التي أخبر عنها بخصوص هذه الحادثة؛ فقد أخبر ﷺ أن الحسين سوف يقتل بشط الفرات[2].

---

(١) ابن كثير: ٨/ ٢٠٣. والشيعة لهم في الكذب في هذه الحادثة أمر عجيب عظيم غريب، فيقول محمد بن جرير بن رستم الطبري: «إن الله تعالى أهبط إليه أربعة آلاف ملك، وهم الذين هبطوا على رسول الله ﷺ يوم بدر، وخير بين النصر وبين لقاء رسول الله، فاختار لقاء رسول الله، فأمرهم الله بالمقام عند قبره، فهم شعث غبر ينتظرون قيام المهدي» في كتابه دلائل الإمامة ص٧٢.
وانظر أمثلة للأحاديث الموضوعة في هذه الحادثة؛ (ابن الجوزي، الموضوعات: ١/ ٤٠٧؛ السخاوي، المقاصد الحسنة: ٣٠٢).

(٢) ابن أبي شيبة، المصنف: ١٥/ ٩٧؛ البزار، المسند: ١/ ١٠١؛ أبو يعلى، المسند: ١/ ٢٠٦-٢٠٧؛ الطبراني، المعجم الكبير: ٣/ ١٠٧؛ الساعاتي، الفتح الرباني: ٢٣/ ١٧٥-١٧٦، وقال مؤلفه: أورده الحافظ ابن كثير في البداية، وقال تفرد به أحمد، وأورده الهيثمي: ٩/ ١٨٧؛ وقال: رواه أحمد وأبو يعلى والبزار والطبراني، ورجاله ثقات، ولم يتفرد نجي بهذا، وعبد الله ابن نجي بن مسلمة الحضرمي ثقة، أبو نعيم، دلائل النبوة: ٢/ ٥٥٣؛ ابن بلبان، الإحسان بترتيب صحيح ابن حبان: ٨/ ٢٦٢ (٦٧٠٧). ابن عساكر، تاريخ دمشق ترجمة الحسين: ١٦٥؛ الهندي، كنز العمال: ٧/ ١٠٥.





المبحث الثامن

موقف يزيد بن معاوية من قتل الحسين رضي الله عنه، ومن أبناء الحسين وذريته



المبحث الثامن

موقف يزيد بن معاوية من قتل الحسين ﷺ، ومن أبناء الحسين وذريته

أ- موقف يزيد من مقتل الحسين ﷺ:

كتب عبيد الله بن زياد إلى يزيد بن معاوية يخبره بما حدث، ويستشيره في شأن أبناء الحسين ونسائه، فلمَّا بلغ الخبر إلى يزيد بن معاوية بكى، وقال: «كنت أرضى من طاعتكم -أي أهل العراق- بدون قتل الحسين، كذلك عاقبة البغي والعقوق، لعن الله ابن مرجانة لقد وجده بعيد الرحم منه، أما والله لو أني صاحبه لعفوت عنه، فرحم الله الحسين»[(١)]. ولم يَصِلْ مُبْلغ الخبر بشيء.

وفي رواية أنه قال: «...أما والله لو كنت صاحبه، ثم لم أقدر على دفع القتل عنه إلا ببعض عمري لأحببت أن أدفعه عنه»[(٢)].

فجاء رد يزيد على ابن زياد يأمره بإرسال الأسارى إليه، وبادر ذكوان أبو خالد فأعطاهم عشرة آلاف درهم، فتجهَّزوا بها[(٣)].

ومن هنا يُعلم أن ابن زياد لم يحمل آل الحسين بشكل مؤلم، أو أنه حملهم

---

(١) الطبري: ٥/ ٣٩٣ بسند كل رجاله ثقات ما عدا مولى معاوية وهو مُبهم؛ الجوزقاني. الأباطيل والمناكير: ١/ ٢٦٤ بنفس إسناد الطبري؛ ابن عبد ربه العقد الفريد: ٤/ ٣٨١ من نفس الطريق؛ البلاذري أنساب الأشراف: ٣/ ٢١٩، ٢٢٠ بسند حسن.

(٢) الجوزقاني، الأباطيل والمناكير: ١/ ٢٦٥ بسند كل رجاله ثقات إلا أن فيه انقطاعًا بين الشعبي والمدائني.

(٣) ابن سعد: ط ٥/ ٣٩٣ بإسناد جمعي.

مُغلَّلين كما ورد في بعض الروايات[١].

وقد مرَّ معنا كيف أن ابن زياد قد أمر للأسارى بمنزل منعزل، وأجرى عليهم الرزق والنفقة وكساهم[٢].

فكيف يعقل أنه يحملهم بعد إنعامه عليهم بتلك الصورة التي ذُكرت، ثم إن ردَّ يزيد كان مخالفًا لما يطمع إليه ابن زياد، فلم يقرُّه على عمله، بل سبَّه ونال منه بسبب تصرُّفه مع الحسين، وهنا يكون الدَّاعي أكبر لأن يحمل ابن زياد أساري الحسين على صورة لائقة لعلها تُخفِّف من حِدَّة وغضب يزيد عليه.

ولذا قال شيخ الإسلام ابن تيمية: «وأمّا ما ذُكر من سبي نسائه والذراري والدوران بهم في البلاد، وحَمْلهم على الجمال بغير أقتاد، فهذا كذب وباطل، ما سبى المسلمون -ولله الحمد- هاشمية قط، ولا استحلَّت أمة محمد ﷺ سبي بني هاشم قط، ولكن كان أهل الجهل والهوى يكذبون كثيرًا»[٣].

وتذكر رواية عوانة أن محفّز بن ثعلبة هو الذي قدم بأبناء الحسين على يزيد[٤].

ولما دخل أبناء الحسين على يزيد قالت فاطمة بنت الحسين: «يا يزيد: أبنات رسول الله ﷺ سبايا؟ قال: بل حرائر كرام، ادخلي على بنات عمِّك تجديهن قد فعلن

---

(١) أبو العرب، المحن: ١٥٥ عن أبي معشر؛ محمد بن يحيى الأندلسي. التمهيد والبيان في مقتل الشهيد عثمان: ٢٣٧.

(٢) انظر: ص٣٥١.

(٣) منهاج السنة: ٤/ ٥٥٩.

(٤) الطبري: ٥/ ٤٦٣.

ما فعلن، قالت فاطمة: فدخلت إليهن فما وجدت فيهن سفيانية إلا مُلْتزمة تبكي»[١].

وعندما دخل علي بن الحسين على يزيد قال: «يا حبيب إن أباك قطع رحمي وظلمني فصنع الله به ما رأيت، فقال علي بن الحسين: ﴿ مَآ أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا فِىٓ أَنفُسِكُمْ إِلَّا فِى كِتَـٰبٍ مِّن قَبْلِ أَن نَّبْرَأَهَآ ۚ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ ﴾ [الحديد: ٢٢].

ثم طلب يزيد من ابنه خالد أن يجيبه، فلم يدْر خالد ما يقول، فقال يزيد: قل له: ﴿ وَمَآ أَصَـٰبَكُم مِّن مُّصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُوا۟ عَن كَثِيرٍ ﴾ [الشورى: ٣٠]»[٢].

وتحاول بعض الروايات ذات النزعات والميول الشيعية أن تصور أبناء الحسين وبناته وكأنهم في مزاد علني، وجعل أحد أهل الشام يطلب من يزيد أن يعطيه إحدى بنات الحسين[٣].

فهذا من الكذب البين الذي لم يدعمه سند صحيح أو واقعة واحدة في تاريخ المسلمين، ثم إنها مغايرة لما ثبت من إكرام يزيد لآل الحسين، ثم إن يزيد لم

---

(١) الطبري: ٥/ ٤٦٤ من طريق عوانة، وله أيضًا ٥/ ٤٦١ من طريق أبي مخنف؛ ابن عبد ربه العقد الفريد ٤/ ٣٨٣.

(٢) الطبري من طريق عوانة ٥/ ٤٦٤، البلاذري، أنساب الأشراف: ٣/ ٢٢٠ بإسناد حسن؛ المحن: ١٥٥، ١٥٦ بإسناد ضعيف عن أبي معشر عن يزيد بن أبي زياد الأشجعي.

وانظر قريبًا من هذا في المعجم الكبير للطبراني: ٣/ ١١٦ بسند ضعيف عن محمد بن الحسن بن زبالة.

(٣) أوردها ابن سعد في الطبقات الكبرى: ٥/ ٢١١ بدون إسناد، البلاذري، أنساب الأشراف: ٣/ ٢١٦ بإسناد فيه مجاهيل؛ الطبري: ٥/ ٤٦١.

يستعرض النساء ويجعلهن عرضة للجمهور ليختر ما يشاء[١].

ثم كيف يحدث هذا في الصدر الأول، ومع مسلمات، بل أعزّ المسلمات لقرابتهن من رسول الله ﷺ، مع وجود الصحابة والتابعين.

وأرسل يزيد إلى كل امرأة من الهاشميات يسأل عن كل ما أُخِذَ لهن، وكل امرأة تدَّعي شيئًا بالغًا ما بلغ إلا أضعفه لهن في العطية[٢].

وكان يزيد لا يتغدَّى ولا يتعشَّى إلا دعا علي بن الحسين[٣].

ولا نعرف كم مكث أبناء الحسين عند يزيد في دمشق، إلا أن ابن سعد يذكر أن يزيد بعث إلى المدينة، فقدم عليه ذوو السن من موالي بني هاشم، ومن موالي بني عليّ[٤].

---

(١) ذكر مطهر بن طاهر المقدسي في البدء والتاريخ: ٦/ ١٢ «أن يزيد أمر الأسارى من ذرية الحسين أن يوقفن وينظر الناس إليهن». وكذلك ابن العبري في تاريخ مختصر الدول: ١١٠، ١١١ نقل هذه القول.

ومع ذلك فقد شكَّك المؤلفان في صحة هذا الخبر وغيره عن مقتل الحسين؛ فقال المقدسي ٦/ ١٣: «واعلم أن للروافض في هذه القصة من الزيادات والتهاويل شيئًا غير قليل».

وقال ابن العبري ص١١١: «للروافض في هذه القصة زيادات وتهاويل كثيرة».

ولكن العجيب كيف يُقدم القرطبي -على جلالة قدره وعلمه- على الاسترسال ورواية هذه الروايات الكاذبة، كما فعل في التذكرة: ٢/ ١٩٤، وكذلك دافع محمد العربي التباني عن هذه الأكاذيب وجعلها عمدة في رده على الخضري. انظر: تحذير العبقري: ٢/ ٢١٦-٢١٧.

(٢) ابن سعد: ط ٥/ ٣٩٧ بإسناد جمعي؛ الطبري: ٥/ ٤٦٤ عن أبي مخنف.

(٣) ابن سعد: ط ٥/ ٣٩٧ بإسناد جمعي.

(٤) المصدر السابق: ط ٥/ ٣٩٧.

وبالطبع فإن المسافة بين المدينة، ودمشق تستغرق وقتًا طويلاً، أي: أنهم مكثوا عند يزيد قرابة الشهر.

ولعل يزيد أراد باستقدامه لهؤلاء الموالي إظهار مكانة الحسين وذريته، ويكون لهم موكب عزيز عند دخولهم المدينة.

وبعد أن وصل الموالي أمر يزيد أبناء الحسين وبناته أن يتجهَّزوا، وأعطاهم كل ما طلبوا، حتى أنه لم يدع لهم حاجة بالمدينة إلا أمر بها[(١)]، ثم أمر النعمان بن بشير أن يقوم بمصاحبتهم[(٢)].

وقبل أن يُغادروا قال يزيد لعلي بن الحسين: «إن أحببت أن تُقيم عندنا فنصل رحمك، ونعرف لك حقَّك فعلت»[(٣)]. ولكن علي بن الحسين اختار الرجوع إلى المدينة.

وقال شيخ الإسلام: «وأكرم أبناء الحسين وخيَّرهم بين المقام عنده والذهاب إلى المدينة، فاختاروا الرجوع إلى المدينة»[(٤)].

وعند مغادرتهم دمشق كرَّر يزيد الاعتذار من علي بن الحسين وقال: «لعن الله ابن مرجانة، أما والله لو أني صاحبه ما سألني خصلة أبدا إلا أعطيته إياها، ولدفعت الحتف عنه بكل ما استطعت، ولو بهلاك بعض ولدي، ولكن الله قضى ما رأيت، كاتِبْني بكل حاجة تكون لك»[(٥)].

---

(١) المصدر السابق: ط ٥/ ٣٩٧.
(٢) الطبري: ٥/ ٤٦٢ عن أبي مخنف.
(٣) ابن سعد: ط ٥/ ٣٩٧ بإسناد جمعي، الذهبي، سير أعلام النبلاء: ٤/ ٣٨٦، ٣٨٧.
(٤) منهاج السنة: ٤/ ٥٥٩.
(٥) الطبري: ٥/ ٤٦٢ عن أبي مخنف.

وأمر يزيد بأن يرافق ذرية الحسين وفد من موالي بني سفيان[١]، وكان عددهم ثلاثين فارسًا[٢].

وأمر المصاحبين لهم أن ينزلوا بهم حيث شاءوا، ومتى شاءوا، وبعث معهم أيضًا محرز بن حريث الكلبي ورجلاً من بهرا، وكانا من أفاضل أهل الشام[٣].

وخرج آل الحسين من دمشق محفوفين بأسباب الاحترام والتقدير حتى وصلوا إلى المدينة.

قال ابن كثير في يزيد: «وأكرم آل بيت الحسين، وردَّ عليهم جميع ما فُقد لهم وأضعافه، وردَّهم إلى المدينة في محامل وأبهة عظيمة، وقد ناح أهله في منزله على الحسين...»[٤].

٢- من المسؤول عن قتل الحسين ﷺ؟

كما هو معلوم فإن الحكم على الشيء إنما هو فرع عن تصوره.

ولكي نستطيع الوصول إلى الحكم الصحيح بشأن المتسبب في مقتل الحسين فإنه يلزمنا أن نعرض لكل طرف من الأطراف المسؤولة عن قتله.

فالحسين ﷺ اشتركت في مقتله عدة أطراف، فإذا تناولنا كل طرف على حدة،

---

(١) ابن سعد: ط ٥/ ٣٩٧ بسند جمعي.

(٢) أحمد التلمساني. الجمان في مختصر أخبار الزمان: ق١٤٢ ب.

(٣) ابن سعد: ط ٥/ ٣٩٧ بسند جمعي؛ والطبري: ٥/ ٤٦٢ عن أبي مخنف؛ والتيمي الأصبهاني؛ الحجة في بيان المحجة: ٢/ ٥٢٥-٥٢٦.

(٤) ابن كثير: ٨/ ٢٣٥، وانظر خبر رجوعهم إلى المدينة، عند أحمد، العلل: ٢/ ٢٨٥.

ثم حدَّدنا المسؤوليات التي ارتكبها، فإننا بعون الله سنوفَّق إلى الحقيقة.

وهذه الأطراف المشتركة في مقتله ﷺ تتألف من ثلاث فئات، وهم:

١ - **أهل الكوفة**[(١)]:

إن أهل الكوفة هم الذين كاتبوا الحسين بن علي وهو في المدينة، ومنَّوه بالخروج حتى خرج إليهم بالرغم من تحذيرات الصحابة له بعدم الخروج.

ولما عُيِّن ابن زياد أميرًا على الكوفة تأخر الناس عن نصرة الحسين وعن تأييده، بل وانخرطوا في الجيش الذي حاربه وقتله.

ولذا عبَّر الحافظ ابن حجر عن موقف أهل الكوفة من الحسين بالقول: «فخُذِل غالب الناس عنه، فتأخَّروا رغبة ورهبة»[(٢)].

ولما تقابل الحسين ومن معه مع جند الكوفة، نادى الحسين زعماء أهل الكوفة قائلاً لهم: «يا شبث بن ربعي، ويا حجر بن أبجر، ويا قيس بن الأشعث، ويا يزيد بن الحارث، ألم تكتبوا إليَّ أنه قد أينعت الثمار، وأخضرَّ الجناب، وطمت الجمام، وإنما تقدم على جند لك مجند، فأقبل».

قالوا: لم نفعل: فقال سبحان الله بلى والله لقد فعلتم، ثم قال: «يا أيها الناس إذا كرهتموني فدعوني أنصرف عنكم إلى مأمني»[(٣)].

---

(١) بالطبع: لا نقصد كل فرد في الكوفة، ولا شك أن الكوفة تحوي في ذلك الوقت الكثير من الصالحين والأخيار، بل المقصود في ذلك أهل الفساد الذين كان لهم الدور الأكبر في تحريك الأحداث.

(٢) فتح الباري: ٧/ ١٢٠.

(٣) البلاذري. أنساب الأشراف ٣/ ٢٢٧؛ الطبري ٥/ ٤٢٥ عن أبي مخنف وله أيضًا ٥/ ٤١١ عن عوانة.

نعم قد تكون تلك الكتب التي أُرسلت بأسمائهم إلى الحسين مزوَّرة عليهم، ولكن ماذا نقول في تلك الأعداد الغفيرة التي بايعت مسلم بن عقيل، والتي بسببها كتب إلى الحسين يستحثُّه على القدوم؟!

ولعلَّهم بهذا التصرف الذي انتهجوه مع الحسين ﷺ يستحقُّون وصف المختار بن أبي عبيد الثقفي حين جاء إلى ابن الزبير بعد مقتل الحسين، وسأله ابن الزبير عن أهل الكوفة، فقال: هم لسلطانهم في العلانية أولياء وفي السر أعداء.

فقال له ابن الزبير: «هذه صفة عبيد السوء؛ إذا رأوا أربابهم خدموهم وأطاعوهم، وإذا غابوا عنهم شتموهم ولعنوهم»[(١)].

وليس غريبًا من أهل الكوفة أن يتَّصفوا بهذه الصفة من الغدر والخيانة، وخاصة إذا عرفنا أن الكوفة تحوي فئات كثيرة من الأعراب، والزنادقة، والناصبة، والشيعة، والغلاة.

فهذه أم سلمة -رضي الله عنها- تقول لوفد من أهل الكوفة: «أنتم الذين تشتمون النبي ﷺ؟ فقالوا: ما علمنا أحدًا يشتم النبي ﷺ؟ قالت: بلى، أليس تلعنون عليًا، وتلعنون من يحبه، وكان رسول الله ﷺ يحبه؟!»[(٢)]. فهؤلاء صنف

---

(١) يوسف البياسي. الأعلام ٢/ ٣٠٠.

(٢) الطبراني، المعجم الوسيط ١/ ٢٢٨، قال الهيثمي ٩/ ١٣٠، رواه الطبراني في الثلاثة وأبو يعلى، ورجال الطبراني رجال الصحيح غير أبي عبد الله، وهو ثقة، ثم قال: وروى الطبراني بإسناد رجاله ثقات إلى أم سلمة عن النبي ﷺ قال مثله.

الناصبة منهم.

ومن الدلالة أيضًا على وجود فئات من الزنادقة، ومن الجهلة الذين لا يعرفون حق الحسين ﷺ في جيش ابن زياد: ما قام به رجل من الجيش؛ حيث قال لمعسكر الحسين رضي الله عنه: أمنكم حسين؟ قالوا: نعم. قال: أبشر بالنار، فقال الحسين: بل أبشر برب رحيم وشفيع مطاع. فقالوا: من أنت قال: أنا ابن حَوَيزة، فقال الحسين ﷺ: «اللهم أحزه إلى النار، فنفرت به الدابة، فتعلقت رجله في الركاب. قال: فوالله ما بقي عليها منه إلا رجله»[1].

بل إن أفرادًا من جيش ابن زياد أخذوا يرشقون الحسين بالسهام قبل أن يقدموا على قتله[2].

ولما أحسَّ الحسين أنهم عازمون على قتله نادى في أصحابه أن يأتوه بثوب لا يرغب فيه حتى يلبسه تحت ثيابه، وذلك خشية أن يقدموا على تجريده من ثيابه.

ولما أتوه بالثوب خرَّقه ولبسه تحت ثيابه، ثم لما استشهد ﷺ تجرؤوا عليه

---

(١) ابن أبي شيبة، المصنف: ١٥/ ٩٨-٩٩، بإسناد كل رجاله ثقات ما عدا عطاء بن السائب، صدوق إلا أنه تغيَّر حفظه واختلط؛ الطبراني، المعجم الكبير: ٣/ ١١٧، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد: ٩/ ١٩٣: رواه الطبراني، وفيه عطاء بن السائب، وهو ثقة، ولكنه اختلط؛ والطبري: ٥/ ٤٣١ من طريق أبي مخنف عن عطاء بن السائب وفيه حوزة، اللالكائي، كرامات الأولياء: ١٣٨، وابن عساكر تاريخ دمشق (ترجمة الحسين): ص٢١٩، والهندي، كنز العمال: ٧/ ١١١ من طريق ابن أبي شيبة.

(٢) أبو زرعة، التاريخ: ١/ ٦٢٦ بسند صحيح؛ وابن عساكر، تاريخ دمشق (ترجمة الحسين): ص٢٢١ من طريق أبي زرعة؛ وابن العديم، بغية الطلب: ٦/ ق٩٦٦، ٩٦٧.

وجردُّوه من ثيابه(١).

ومما يدلِّل أيضًا على صحة ما ذكرنا من فشو الزندقة والجهل بين أفراد الجيش الذي ذهب لمقاتلة الحسين، وحتى أهل الكوفة أنفسهم: ما ذكره أبو رجاء العطاردي من أن جارًا لهم قدم من الكوفة فقال: «ألم تروا إلى هذا الفاسق ابن الفاسق؟! إن الله قتله -يعني الحسين بن علي رضي الله عنهما- قال: فرماه الله بكوكبين في عينه، فطمس بصره»(٢).

وبالنظر إلى أقوال الصحابة -رضوان الله عليهم- فإن الاتهام موجَّه إلى أهل العراق؛ وذلك في المسؤولية المتعلقة بقتل الحسين ﷺ، فهذه أم سلمة -رضي الله عنها- لما جاء نعي الحسين بن علي لعنت أهل العراق، وقالت: «قتلوه قتلهم الله -عز وجل- غرُّوه وذلُّوه لعنهم الله»(٣).

---

(١) الطبراني: ٣/ ١١٧، قال الهيثمي: ٩/ ١٩٣: ورجاله ثقات إلى قائله. قلت: وقائله هو عبد الرحمن بن أبي ليلى الأنصاري المدني الكوفي، ثقة ت٨٣. انظر: (التقريب: ٣٤٩)، والذي روى هذا الخبر عنه هو جبير بن عبد الحميد بن قرط. وهو ثقة، ولكنه ولد بعد ١١٠. انظر: (التقريب ١٣٩).
ولهذا فالسند ضعيف لوجود الانقطاع؛ ابن سعد: ط ٥/ ١٨٩ بإسناد جمعي؛ ابن عساكر: ٢٢١ بنفس إسناد الطبراني.

(٢) ابن سعد: ط ٥/ ٤٠٩ بإسناد صحيح؛ الطبراني: ٣/ ١١٢؛ قال الهيثمي: ٩/ ١٩٦ رواه الطبراني ورجاله رجال الصحيح؛ الشجري: ١/ ١٦٤ بإسناد صحيح.

(٣) الفتح الرباني: ٢٣/ ١٧٦؛ أحمد فضائل الصحابة: ٢/ ٧٨٢ بإسناد حسن؛ الطبراني: ٣/ ١٠٨، قال الهيثمي: ٩/ ١٩٤ رواه الطبراني ورجاله مُوثَّقون.

وابن عمر -رضي الله عنهما- يقول لوفد من أهل العراق حينما سألوه عن دم البعوض في الإحرام: «عجبًا لكم يا أهل العراق! تقتلون ابن بنت رسول الله ﷺ وتسألون عن دم البعوض»[(١)].

وفي تلك الخطبة التي ألقاها سليمان بن صُرَد ﷺ، والتي اعترف فيها بأن المتسبب في قتل الحسين هم أهل الكوفة، دلالةٌ واضحة على عظم المسؤولية التي يتحمَّلها أهل الكوفة بشأن قتل الحسين[(٢)].

وقد حاول عبد المنعم ماجد أن يبرِّر موقف الكوفيين الانتهازي والضعيف من قتل الحسين ﷺ، فقال: «ولا نلقي باللوم على أهل الكوفة لتقاعسهم؛ إذ لم يكونوا يستطيعون شيئًا أمام الحكم الأموي القوي»[(٣)].

وكيف يكون ذلك وأهل الكوفة هم الذين كانوا قد قطعوا على أنفسهم عهدًا أن ينصروا الحسين ويؤازروه، فلمّا حضر إليهم وقفوا مُتفرجين وعيونهم تذرف بالدمع عليه؟! كما عبَّر عنهم الفرزدق الشاعر حين قال للحسين: الناس معك

---

(١) البخاري مع الفتح: ٧/ ١١٩. مسند أحمد: ٧/ ٢٧١ برقم (٥٥٦٨)، وقال محققه رحمه الله: إسناده صحيح؛ الترمذي: ٥/ ٦٥٧ كتاب المناقب رقم ٧٣٧٠. قال الترمذي: هذا حديث صحيح؛ ابن بلبان، ترتيب صحيح ابن حبان: ٩/ ٥٨ رقم (٦٩٣٠)، أبو يعلى، مسنده: ٥/ ٢٨٧ رقم (٥٧١٣).

أنساب الأشراف: ٣/ ٢٢٧؛ أبو نعيم حلية الأولياء: ٥/ ٧٠، ابن عساكر ترجمة الحسين: ٣٦-٤٠؛ الشجري، الأمالي الخمسية: ١/ ١٦٥.

(٢) الطبري: ٥/ ٥٥٢-٥٥٣.

(٣) عبد المنعم ماجد. تاريخ الدولة العربية: ص٧٩.

وسيوفهم عليك[١].

وأهل العراق لم ينفعوا والد الحسين - رضي الله عنهما - وهم مُبايعون له، وكانت له بيعة في أعناقهم، وهو عندهم أكثر من الحسين وجاهة.

وأمَّا الحسين فلم تكن له بيعة، وكان في العراق عُمَّاله وأمراؤه، فاغتر ببعض الكتب التي كتبها دُعاة الفتن ومحبُّو الشر، فحمل أهله وأولاده ولم يقاتله إلا أهل العراق وحدهم، الذين يرفعون عقيرتهم بأنهم شيعة علي[٢].

وقال محمد كرد علي مُلقيًا بالمسؤولية في قتل الحسين على أهل الكوفة:

«إن أهل الكوفة بعدما خذلوا عليًا وابنه الحسن، عادوا يُزيِّنون للحسين الرحيل إليهم ليعاونوه على إخراج الأمر من يزيد، فاغترَّ بهم، فلما بلغ كربلاء غدروا به...»[٣].

وقد أبدت يوجينا غيانة تعجُّبَها الشديد من إقدام الحسين على الذهاب إلى الكوفة ومجازفته بالتضحية بنفسه، وقد بدا له سلوك الكوفيين مع أبيه وأخيه من قبله؛ وتؤكِّد يوجينا أن روح الغدر هي المسيطرة على الكوفيين، حتى عندما أتاهم الحسين، والدليل على ذلك «أن الجيش الذي حاربه كلَّه من العراق الذين يفتخرون بأنهم شيعة علي...»[٤].

---

(١) ثابت الراوي: العراق في العصر الأموي: ١٩٤؛ وانظر لنفس المؤلف تاريخ الدولة العربية: ١٥٣.

(٢) الخضري، محاضرات في الدولة الأموية: ٢/ ١٢٩.

(٣) محمد كرد علي، الإسلام والحضارة العربية: ٢/ ٣٩٧.

(٤) يوجينا غيانة، تاريخ الدولة الإسلامية وتشريعها: ١٠٩؛ وانظر أيضًا قريبًا من ذلك: الطيب=

وأما محمد جابر عبد العال فيرى أنه بالإضافة إلى غدر الكوفيين بالحسين إلا أن الخوف من ابن زياد حمل الكوفيين على تسليم الحسين وعدم نصرته[1].

ولا نجد بحق تعامل الكوفيين مع الحسين ﷺ وسلوكهم معه حتى قُتل ﷺ أصدق من تلك الشهادة التي سجَّلها البغدادي، واصفًا شيعة الكوفة، فقال: «روافض الكوفة موصوفون بالغدر والبخل، وقد سار المثل بهم فيهما، حتى قيل: أبخل من كوفي، وأغدر من كوفي، والمشهور من غدرهم ثلاثة أمور:

١- بعد مقتل علي ﷺ بايعوا الحسن، وغدروا به في ساباط المدائن، فطعنه سنان الجعفي.

٢- كاتبوا الحسين ﷺ ودعوه إلى الكوفة لينصروه على يزيد، فاغتر بهم وخرج إليهم، فلما بلغ كربلاء، غدروا به وصاروا مع عبيد الله يدًا واحدة عليه، حتى قُتل الحسين وأكثر عشيرته بكربلاء.

٣- غدرهم بزيد بن علي بن الحسين؛ نكثوا بيعته، وأسلموه عند اشتداد القتال»[2].

٢- أصحاب القيادة

أ- عبيد الله بن زياد:

لا شك أن عبيد الله بن زياد يتحمل قسطًا كبيرًا من المسؤولية؛ لأنه هو

= النجار: الدولة الأموية في المشرق: ص٩٢.

(١) محمد جابر عبد العال، حركات الشيعة المتطرفين: ١٢.

(٢) البغدادي. الفرق بين الفرق: ص٣٧.

السبب المباشر فيها.

فعبيد الله بن زياد جاء إلى الكوفة بناء على طلب يزيد بن معاوية، وعند دخوله الكوفة وجد أن الأمر مضطرب، وأن انفلات زمام الأمور من يد الدولة أصبح وشيكًا، فعمل ابن زياد وفق خطة ترمي إلى استعادة هيبة الدولة؛ وذلك بالقضاء على مفتعل الأزمة الداخلية.

وقد تمَّ له القبض على زعيمي الدعوة في الكوفة، وهما: مسلم بن عقيل؛ النائب الأول عن الحسين بالكوفة، وداعيته هانيء بن عروة؛ الزعيم القبلي لقبيلة مراد المشهورة.

ونفَّذ ابن زياد حكم الإعدام بهاتين الشخصيتين، الأمر الذي كان له أثر كبير في استعادة هيبة الدولة، كما أن هذا الإقدام والحزم من ابن زياد كان بمثابة التحذير لأولئك المناصرين للحسين في الكوفة، وأن مصيرهم سوف يكون أسوأ من مصير زعيميهما في حالة انكشاف تخطيط محتمل، أو افتعال دعوة ونشاط جديدين.

لقد استحسن يزيد بن معاوية ما فعله ابن زياد في الكوفة، بل إنه لم يخف إعجابه به وبحزمه على ما بينهما، فقال في رده على رسالته: «أما بعد، فإنك لم تعد أن كنت كما أحببت؛ عملت عمل الحازم، وصلت صولة الشجاع الرابط الجأش، فقد أغنيت وكفيت وصدقت ظني بك، ورأيي فيك...»(١).

وهذا النجاح الذي حققه ابن زياد في الكوفة يعتبر في نظره نجاحًا جزئيًا، وخاصة عندما علم أن الحسين في طريقه إلى الكوفة.

---

(١) الطبري: ٥/ ٣٨٠ عن أبي مخنف.

وتبقى إرادة الله فوق كل شيء؛ فإن ابن زياد قبض على مسلم بن عقيل وقتله بعد خروج الحسين إلى الكوفة بيوم واحد، وربما أن الحسين سوف يتخذ موقفًا مغايرًا لو علم بخبر القبض على مسلم وقتله قبل خروجه من مكة، ولكن قدَّر الله وما شاء فعل.

وأخذ ابن زياد يعمل ما في وسعه لصد الحسين عن دخول الكوفة؛ لأن ابن زياد يعلم أن الحسين إذا تمكَّن من دخول الكوفة فإنه قد تتطور الأمور بصورة يصعب تصورها.

ولهذا فقد أخذ في إعداد الترتيبات المناسبة للحيلولة بين الحسين وبين الكوفة، وأعدَّ ابن زياد خطته التي تمكَّن خلالها من إيقاف الحسين على مسافة بعيدة من الكوفة، وعدَّ هذا إنجازًا وانتصارًا كبيرًا.

ولما بدأ الحسين يُقدِّم حلولًا واقعية: بأن يرجع إلى المدينة، أو يذهب إلى ثغر من الثغور، أو يذهب إلى يزيد، أخذت ابن زياد نشوة الانتصار، وكاد بالفعل أن يجيبه إلى مطالبه، لولا تدخُّل شمر بن ذي الجوشن[1] الذي أشار عليه بأن يرفض

---

(١) قال ابن دريد في الاشتقاق: ص٢٩٧ (وشمر إما من التشمير في الأمر والجد فيه، أو من تشمير الثوب). انظر ترجمته في تهذيب ابن عساكر: ٦/ ٣٤٠-٣٤١؛ وهو جد الصميل بن حاتم أحد أمراء الأندلس (لسان الدين ابن الخطيب. الإحاطة في أخبار غرناطة ٣/ ٦/ ٣٤٦)؛ وقد ذكر لسان الخطيب: أن المختار لما قدم لأخذ ثأر الحسين، فرَّ شمر، ولحق بالشام، فأقام بها في عز ومنعة، ولكن ابن عساكر أورد خبر مقتله على يد المختار. انظر: (تهذيب ابن عساكر ٦/ ٣٤١).

مطالب الحسين هذه، وأن يطلب منه النزول على حكم ابن زياد.

وهنا أراد ابن زياد أن يسجِّل انتصارًا آخر، وإنجازًا جديدًا في إمارته، فطلب من قائده عمر بن سعد أن يُلجئ الحسين إلى مطلبه هذا، وإن رفض يقتله.

ولا شك أن إشارة شمر بن الجوشن على ابن زياد قد صادفت هوى في نفس ابن زياد، ورغبة في التسلط والقهر، وإلا لما انقاد إليها بتلك الصورة وبهذه السهولة.

لقد كان يتوجَّب على ابن زياد أن يُلبِّي مطالب الحسين، وأن يتركه يذهب إلى يزيد أو أي مكان آخر، خاصة أنه لن يدخل الكوفة.

ولهذا قال ابن كثير: «ومن جرأته: إقدامه على الأمر بإحضار الحسين بين يديه وإن قُتل دون ذلك، وكان الواجب عليه أن يجيبه إلى سؤاله الذي سأله...»[1].

وقال ابن الصلاح في فتاويه: «والمحفوظ أن الآمر بقتاله المفضي إلى قتله إنما هو ابن زياد»[2].

قال يوسف العش: «وينبغي لنا أن نقول: أن المسؤول عن قتل الحسين هو أولاً شمر، وثانيًا عبيد الله بن زياد»[3].

بل إن ابن زياد قد وُجِّه له اللوم على فعلته الشنيعة هذه من أقرب الناس إليه، فقال له أخوه عثمان بن زياد: «لوددت أنه ليس من بني زياد رجل إلا وفي أنفه خزامة

---

(١) ابن كثير: ٨/ ٢٨٨.

(٢) القيد الشريد: ق ١٣ ب.

(٣) يوسف العشي الدولة الأموية: ١٧٢.

إلى يوم القيامة، وأنَّ حسينًا لم يقتل. قال: فوالله ما أنكر ذلك عليه عبيد الله»[(١)].

وكان لإقدامه على قتل الحسين ردَّة فعل كبيرة عند المسلمين، وقد دفع حياته ثمنًا لهذه الفعلة؛ فقد انتقم الله منه بنفس القتلة وفي ظروف مشابهة[(٢)].

ب- عمر بن سعد بن أبي وقاص:

إذا كان ابن زياد هو أمير الكوفة، وهو صاحب القرار الأخير، فإن عمر بن سعد هو القائد المنفِّذ لأوامر ابن زياد.

فأبوه غني عن التعريف، وهو الصحابي الجليل أحد العشرة المبشرين بالجنة، وأحد فرسان الصحابة، وكان من أحبِّ الناس إلى رسول الله ﷺ.

وعمر بن سعد هذا لم يولد في عهد النبي ﷺ، وكان سعد عام حجة الوداع ليس له وريث إلا بنت واحدة، كما هو ثابت في الحديث المشهور[(٣)].

ويبدو أن عمر بن سعد قد ترقَّى في قيادة الجند، وكان أحد نصحاء الأمويين، ومن الموالين لهم، وكان قبل مجيء الحسين قد تجهَّز على رأس أربعة آلاف مقاتل من أهل الكوفة يريدون جهاد الديلم، فصرف ابن زياد هذا الجيش لمقاتلة الحسين.

وبالرغم من قرابته من الحسين ﷺ إلا أن حبَّ الإمارة والرياسة كانت هي الغالبة على موقفه.

---

(١) الطبري: ٥/ ٤٦٧ عن عوانه.

(٢) الطبري: ٦/ ٨٦ وما بعدها.

(٣) البخاري بالفتح: ٥/ ٤٣٤-٤٣٥؛ مسلم: ٣/ ١٢٥٠، رقم (١٦٢٨)، وهو من الأحاديث الشهيرة في باب الأحكام، وبالأخص في الوصية.

وقد حاول أحد النصحاء أن يثنيه عن قيادة الجيش، ويبدو أنه اقتنع وعرض على ابن زياد أن يعفيه من إمارة الجيش المتجه إلى الحسين، ويعين بدلاً منه أحد أشراف الكوفة. ولكن ابن زياد لم يكن مُغفلاً حتى يقبل عرض عمر بن سعد هذا؛ فإنَّ وجود قائد كعمر بن سعد على رأس الجيش المتجه إلى الحسين يحمل الكثير من الدلائل المهمة بالنسبة لذلك الجيش.

ولأجل أن يثنيه ابن زياد عن التفكير في الاستقالة من إمارة الجند، فقد هدَّده بسحب القيادة منه إلى الأبد، وعند ذلك رضخ عمر بن سعد لمطالب ابن زياد وسار إلى الحسين.

ومما يؤكِّد محبة عمر بن سعد للرئاسة وطموحاته في القيادة، ما جرى بينه وبين والده ﷺ؛ فعندما حدثت فتنة مقتل عثمان ﷺ دخل المسلمون في حروب ونزاعات بعد شهادته ﷺ، واعتزل سعد كلا الفريقين – فريق عليّ وفريق معاوية رضي الله عنهما– وخرج في إبل له عن المدينة، فأتاه ابنه هذا عمر بن سعد، فلما رآه سعد قال: أعوذ بالله من شر هذا الراكب، فلما نزل قال لأبيه: نزلت في إبلك وغنمك، وتركت الناس يتنازعون الملك بينهم؟ فضرب سعد ﷺ في صدره فقال: اسكت؛ سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**إن الله يحبُّ التقيَّ الغنيَّ الخفيَّ**»[١].

ويبدو من خلال الروايات التي وصلت إلينا أن عمر بن سعد كان شديد الحرص على أن يصل الحسين وابن زياد إلى حلٍّ مُرضٍ يتجنب فيه عمر بن سعد قتال الحسين.

---

(١) صحيح مسلم: ٤/ ٢٢٧٧ رقم (٢٩٦٥) كتاب الزهد؛ وانظر قريبًا منه في حلية الأولياء: ١/ ٩٤.

بل إن عمر بن سعد قد حاول التهرب من مسؤولية قتل الحسين، وجعلها ملقاة على ابن زياد، ورواية عوانة تصوِّر هذا الأمر: «قال عبيد الله بن زياد لعمر ابن سعد بعد قتله الحسين: يا عمر أين الكتاب الذي كتبت به إليك في قتل الحسين؟ قال: مضيتُ لأمرك وضاع الكتاب، قال: لتجيئن به، قال: ضاع، قال: والله لتجيئن به، قال: تُرك والله يُقرأ على عجائز قريش اعتذارًا إليهن بالمدينة، أما والله لقد نصحتك في حسين نصيحة لو نصحتها لأبي سعد بن أبي وقاص كنت قد أدركت حقَّه»[1].

وبالتأمل في رواية ابن سعد، والتي تذكر أن ابن مطيع عاتب عمر بن سعد على فعلته، فردَّ عليه عمر بقوله: «كانت أمورًا قُضيت من السماء، وقد أعذرتُ إلى ابن عمي قبل الوقعة فأبى إلا ما أبى»[2].

وليس هناك من عذر يمكن أن يُقدِّمه عمر بن سعد إلى الحسين، سوى أن يعرض عليه أن ينسحب تحت جناح الظلام، ويذهب حيث شاء، على أن يتعهَّد عمر بن سعد بعدم تعقبِّه؛ ومما يُعزِّز هذا الرأي أن الحسين قابل عمر بن سعد بعض الليالي وتحدَّثا طويلاً[3].

ولكن كل هذا الندم الذي أظهره عمر بن سعد لا يعفيه من مسؤولية قتل الحسين كقائد منفذ للأمر، ويعتبر أقرب شخص في ذلك الحين إلى الحسين ﷺ، ولكن محبة

---

(١) الطبري: ٥/ ٤٦٧ عن عوانة.

(٢) ابن سعد: ٥/ ١٤٨ بإسناد ضعيف جدًا.

(٣) الطبري: ٥/ ١٤٨ عن أبي مخنف.

الرياسة والقيادة والطاعة العمياء لابن زياد حملته على هذه الجريمة. قال عنه أحمد: «لا ينبغي أن يُحدَّث عنه؛ لأنه صاحب الجيوش وصاحب الدماء»(١).

وقد انتقم الله من قتلة ابن بنت رسول الله ﷺ، فسلَّط الله عليهم طاغية كذَّابًا هو المختار بن أبي عبيد الثقفي، فتتبع قتلة الحسين فقتلهم. وتحققت بذلك رؤيا الشعبي التابعي الشهير؛ حيث قال: «رأيت في النوم كأن رجالاً من السماء نزلوا معهم حراب يتبعون قتلة الحسين، فما لبثت أن نزل المختار فقتلهم»(٢).

٣- يزيد بن معاوية:

إن الاتهام الموجه إلى يزيد بن معاوية بأنه المتسبب الفعلي في قتل الحسين رضي الله عنه، يجعلنا أشدّ دقّة في التحقّق من هذا الاتهام.

فيزيد بن معاوية -كما هو معروف- أصبح خليفة المسلمين، وانقاد له الناس، وظلَّ مُعترفًا به من غالب الصحابة والتابعين، وأهل الأمصار حتى وفاته.

ولقد امتنع عن بيعته اثنان من الصحابة هما: الحسين بن علي، وعبد الله بن الزبير رضي الله عنهما.

وكان الشيعة في العراق يطالبون الحسين بالقدوم عليهم.

وخرج الحسين إلى العراق بعد أن كتب إليه مسلم بن عقيل بكثرة المبايعين،

---

(١) السنة للخلال: ص٥١٨-٥١٩.

(٢) الطبراني، الكبير: ٣/ ١١٣؛ قال الهيثمي: ٩/ ١٩٥: رواه الطبراني وإسناده حسن. وانظر خبر مقتل عمر بن سعد في السير: ٤/ ٣٥٠.

وأن الأمور تسير لصالحه.

ولو أننا لاحظنا موقف يزيد بن معاوية من الحسين بن علي طوال هذه الفترة، التي كان خلالها الحسين معلنًا الرفض التام للبيعة ليزيد، وهي الفترة التي استمرت طوال شهور: شعبان، ورمضان، وشوال، وذي القعدة، لوجدنا أن يزيد لم يحاول إرسال جيش للقبض على المعارضين: (الحسين، وابن الزبير)، بل ظل الأمر طبيعيًا، وكأنَّ يزيد لا يهمُّه أن يُبايعا أو يَرْفُضا.

وكما يبدو، فإن يزيد حاول أن يترسَّم خُطى والده في السياسة، ويكون حليمًا حتى آخر لحظة، وأن يعمل بوصيَّة والده؛ وذلك بالرفق بالحسين، ومعرفة حقَّه وقرابته من رسول الله ﷺ.

وقد وجَّه يزيد اهتمامه نحو العراق، وبالأخص الكوفة التي بدأت مُؤشِّرات الأحداث فيها تزداد سوءًا، وتُنذر بانفتاح جبهة داخلية في الدولة[(١)].

ولهذا تدارك الأمر، وعيَّن ابن عمه عبيد الله بن زياد أميرًا على الكوفة، واستطاع ابن زياد بما وُهب من حِنكة ودهاء وحزم أن يسيطر على الكوفة، وأن يقتل دعاة التشيع بها.

لقد كان إنجاز ابن زياد هذا إنجازًا رائعًا في نظر يزيد[(٢)].

وفي المقابل فإن يزيد بن معاوية لم يكن غافلاً عن تحركَّات الحسين، ولهذا لَّما

---

(١) ثابت الراوي: العراق في العصر الأموي: ١٦١.

(٢) الطبري: ٥/ ٣٨٠ عن أبي مخنف.

عزم الحسين على التوجه إلى الكوفة، كتب يزيد إلى ابن زياد رسالة قائلاً له فيها: «بلغني أن حسينًا سار إلى الكوفة، وقد ابتلِي به زمانك بين الأزمان، وبلدك بين البلدان، وابتُليت به بين العمال، وعنده تُعتق أو تعود عبدًا كما تُعتبد العبيد»[١].

«وضع المناظر والمسالح، واحترس على الظن، وخذ على التهمة، غير ألا تقتل إلا من قاتلك، واكتب إليَّ في كل ما يحدث من الخبر، والسلام عليك ورحمة الله»[٢].

وعند النظر إلى المقطع الأول من كلام يزيد، فإنا نحس بأن يزيد يوجِّه ابن زياد إلى مكانة الحسين وعلو قدره، وإلا فما معنى: «قد ابتلى به زمانك بين الأزمان وبلدك بين البلدان، وابتليت به بين العمال».

ولو كان يزيد حريصًا على قتل الحسين لما أطراه لعامله بهذا الشكل المخيف، وحذَّره منه، كما أنه لا يعني أن هذا التضخيم من شأن الحسين، هو حمل ابن زياد على الاستعداد له بكل ما يستطيع؛ وذلك لأن الحسين خرج في عدد قليل، ويزيد يعرف هذا.

وفي نفس الوقت الذي يوجه فيه يزيد عامله ابن زياد إلى أهمية الحسين، يوجهه أيضًا إلى أخذ الحيطة والحذر؛ لأنه إذا تساهل في الأمر ولم يعالجه بالحكمة، وتمكَّن الحسين من دخول الكوفة فإن السلطان سيكون بيده، وترجع إلى أصلك وأم أبيك

---

(١) الطبراني: ٣/ ١١٥، قال الهيثمي في المجمع: ٩:١٩٣: رواه الطبراني ورجاله ثقات، إلا أن الضحاك لم يدرك القصة؛ العقد الفريد: ٤/ ٣٨٢ بنفس الإسناد؛ ابن عساكر ترجمة الحسين: ٢٠٨ من طريق الزبير بن بكّار، ولكن عن الضحاك أيضا؛ ابن كثير ٩/ ١٩٤ من نفس الطريق، فالضعف في عدم معرفة مصدر الضحاك.

(٢) الطبري: ٥/ ٣٨٠ عن أبي مخنف؛ ابن كثير: ٩/ ١٩٤.

التي هي عبدة في الأصل، وستفقد هذه المميزات الأمارية وغيرها.

وليس في عبارات يزيد ما يدل على أنه طلب من ابن زياد الإجهاز والقضاء على الحسين.

بل إن رسالة يزيد الأخرى تلزم ابن زياد بعدم قتل أحد إلا في حالة مقاتلة المعتدي. كما أن فيها طلبًا أكيدًا من ابن زياد بوجوب الرجوع إلى يزيد في كل حدث يحدث، ويكون المقرِّر الأخير فيه هو يزيد نفسه.

إن تلك الرسالة التي ناقشنا مضمونها كانت مرسلة إلى ابن زياد أثناء مسير الحسين إلى الكوفة.

وبعد أن اقترب الحسين من الكوفة، واجهه ابن زياد بالتدابير التي سبق أن ذكرناها، حتى أرسل إلى الحسين عمر بن سعد قائدًا على أربعة آلاف مقاتل، وألجئوا الحسين إلى كربلاء، وكان وصول الحسين إلى كربلاء هو يوم الخميس الموافق الثالث من المحرم(١).

واستمرت المفاوضات بين ابن زياد والحسين حتى قُتل في العاشر من المحرم.

أي: أن المفاوضات استمرت أسبوعًا واحدًا تقريبًا، ومن المعلوم أن المسافة التي تفصل بين دمشق والكوفة تحتاج إلى وقت قد يصل إلى أسبوعين.

أي أن ابن زياد اتخذ قراره الذي يقضي بقتل الحسين دون الرجوع إلى يزيد، أو أخذ مشورته في هذا العمل الذي أقدم عليه.

---

(١) الطبري: ٥/ ٤٠٩.

ويكون قرار ابن زياد قرارًا فرديًا خاصًا به لم يشاور يزيدًا فيه.

وهذا الذي يجعل يزيد يؤكد لعلي بن الحسين أنه لم يكن يعلم بقتل الحسين، ولم يبلغه خبره إلا بعد ما قتل.

ولعل ما ذكرنا من أدلة يُبين عدم معرفة يزيد بما أقدم عليه ابن زياد من قتل الحسين ﷺ، إضافة إلى أقوال الصحابة التي ذكرناها سابقًا، والتي تحمِّل المسؤولية في قتل الحسين على أهل العراق، ولم نجد أحدًا من الصحابة وجَّه اتهامًا مباشرًا إلى يزيد، لعل في ذلك كله دليلاً واضحًا على أن يزيد لا يتحمَّل من مسؤولية قتل الحسين شيئًا فيما يظهر لنا، أمَّا الذي في الصدور فالله وليُّه وهو أعلم به، ولسنا مُخوَّلين للحكم على الناس بما في صدورهم، بل حكمنا على الناس بما يثبت لنا من ظاهرهم، والله يتولَّى السرائر، وهو عليم بكل شيء.

ولذا قال شيخ الإسلام ابن تيمية في يزيد: «ولم يأمر بقتل الحسين، ولا أظهر الفرح بقتله»[1].

وقال أيضًا: «إن يزيد لم يأمر بقتل الحسين باتفاق أهل النقل، ولكن كتب إلى ابن زياد أن يمنعه عن ولاية العراق، والحسين ﷺ كان يظن أن أهل العراق ينصرونه ويفُون له بما كتبوا إليه... فلما أدركته السرية الظالمة طلب أن يذهب إلى يزيد، أو يذهب إلى الثغر، أو يرجع إلى بلده، فلم يمكِّنوه من شيء من ذلك حتى يستأسر لهم، فامتنع، فقاتلوه حتى قُتِل شهيدًا مظلومًا ﷺ.

(١) الوصية الكبرى: ص٤٥.

ولما بلغ ذلك يزيد أظهر التوجع على ذلك، وأظهر البكاء في داره، ولم يسب له حريمًا أصلاً، بل أكرم أهل بيته وأجازهم حتى ردَّهم إلى بلدهم»[١].

وقال أيضًا: «والذي نقله غير واحد أن يزيد لم يأمر بقتل الحسين، ولا كان له غرض في ذلك، بل كان يختار أن يُكْرمه ويُعظِّمه كما أمره بذلك معاوية ﷺ»[٢].

وقال ابن طولون عن يزيد: «وما صح قتله للحسين، ولا أمر به، ولا رضاه بذلك، ولا كان حاضرًا حين قُتل، ولا يصح ذلك منه، ولا يجوز أن يظن ذلك أبدًا»[٣].

وقال يوسف العش: «وقد أخذ التدابير - أي يزيد- التي تحول بين الحسين وبين أنصاره في الكوفة، لكنه لم يرد قتله، ولا تمنَّى ذلك، فالله يغفر لهما، ويتجاوز عن خطئهما»[٤].

وقال الطيب النجار: «وتقع تبعية قتله - أي الحسين- على عبيد الله بن زياد، وشمر بن ذي الجوشن، وعمر بن سعد بن أبي وقاص، ولا يتحمَّل يزيد بن معاوية شيئًا من هذه التبعية، وهو بريء من تهمة التحريض على قتل الحسين»[٥].

ولكن يزيد بن معاوية انتُقِدَ على عدم اتخاذ موقف واضح من ابن زياد، أو من الذين شرعوا في قتل الحسين ﷺ.

---

(١) منهاج السنة: ٤/ ٤٧٢.

(٢) المصدر السابق: ٤/ ٥٥٧.

(٣) القيد الشريد: ق ١٣ أ.

(٤) الدولة الأموية: ٦٩.

(٥) الدولة الأموية: ص١٠٣.

فهذا شيخ الإسلام يقول: «ولكنه مع ذلك - أي مع إظهار الحزن على الحسين- ما انتصر للحسين، ولا أمر بقتل قاتله، ولا أخذ بثأره»(١).

وقال ابن كثير: «...ولكنه لم يعزله على ذلك ولا عاقبه، ولا أرسل يعيب عليه ذلك، والله أعلم»(٢).

ويوسف العش بعدما ذكر ندم يزيد على قتل الحسين ﷺ، وإكرام أهل الحسين قال: «ولكنَّ أمره وقف عند هذا الحد؛ فلم يعمل شيئًا لتنحية عبيد الله بن زياد الذي خرج عن أمره، ولم يؤنبه برسالة نُقلت إلينا، واستبقاه على الكوفة...»(٣).

وكل الذي أبداه شيخ الإسلام وغيره من هذه الاعتراضات لها قدر كبير من الوجاهة والأهمية، ولكن معرفة ظروف العصر الذي حدثت به الحادثة تُحتِّم علينا مناقشة هذا الرأي.

فالكوفة -كما هو معروف- هي مركز التشيُّع في تلك الفترة، وهي بلدة غير مستقرة، معروفة بثوراتها وفتنها وطوائفها وأحزابها، وعندما كان أمير الكوفة النعمان بن بشير ﷺ كادت الأمور أن تنفلت من يده، فلما أرسل يزيد ابن زياد أميرًا على الكوفة استطاع ابن زياد في مدة قصيرة أن يعيد الأمور إلى نصابها، وأن يكبح جماح الثورة، وسيطر سيطرة كاملة على الكوفة.

---

(١) منهاج السنة: ٤/ ٥٥٨.

(٢) البداية والنهاية: ٩/ ٢٠٤.

(٣) الدولة الأموية: ١٧٥.

وحتى بعد مقتل الحسين ﷺ فإن الوضع الأمني في الكوفة ازداد خطورة، ولا أظن أن يزيد سيجد قائدًا بحزم ابن زياد وبقوته، ثم إن الشيعة لن ترضى سواء عزل ابن زياد أم بقي، ولن يتغير ما في قلوب الشيعة من حقد على الدولة نفسها.

ولو أقدم يزيد على إقالة ابن زياد، فإنه سيدفع تكاليف هذه الخطوة كثيرًا، وربما سوف يتحول الوضع إلى ثورة كبرى يقودها الشيعة أنفسهم، والمتأسِّفون لقتل الحسين، كما حدث بعد ذلك بفترة وجيزة، والمعروفة بحركة التوابين.

وأما بالنسبة إلى تتبع قتلة الحسين ﷺ، فإن هذا ليس من السهولة بمكان؛ فنفس الصعوبات التي اعترضت عليًا ﷺ في عدم قدرته على تتبُّع قتلة عثمان ﷺ سوف تعترض يزيد بن معاوية لو أنه أراد تتبُّع قتلة الحسين.

ولعل تصرف سليمان بن صُرد ﷺ الذي قاد التوابين ضد ابن زياد يوضِّح هذه المسألة بوضوح؛ فقد أدرك سليمان بن صُرد أن قتلة الحسين ﷺ في الكوفة، ومع ذلك اتجه لمقاتلة ابن زياد بدلاً من مُقاتلة قتلة الحسين في الكوفة، قائلاً لأصحابه: «إني نظرت فيما تذكرون، فرأيت أن قتلة الحسين هم أشراف أهل الكوفة، وفرسان العرب، وهم المطالبون بدمه، ومتى علموا ما تريدون، وعلموا أنهم المطلوبون، كانوا أشدَّ عليكم، ونظرت فيمن تبعني منكم فعلمت أنهم لو خرجوا لم يدركوا ثأرهم ولم يشفوا أنفسهم، ولم ينكوا في عدوهم وكانوا لهم حذرًا...»[(١)].

وبهذا يتضح السبب أكثر في عدم تتبع قتلة الحسين، وبالأخص من قبل

---

(١) الطبري: ٥/ ٥٥٨-٥٥٩؛ ابن الأثير، الكامل ٤/ ١٦٢.

الدولة الأموية؛ فليس هذا بالأمر الهين وهم يتبعون قبائل كبيرة لها وزنها الاجتماعي والسياسي، ثم إن ما قام به هؤلاء إنما هو في خدمة الدولة نفسها.

فربما أدى تصرف مثل هذا إلى زعزعة أمن الدولة، وبالأخص في منطقة العراق كلها، ثم إن يزيد لم يتفرَّغ لمحاسبة ولاته، بل كانت الثورات متتابعة، فمعارضة ابن الزبير أخذت تكبر وتنمو، وأهل الحجاز قلوبهم ليست مع يزيد، إلى غير ذلك من مشاكل الدولة الخارجية، والتي تجعل يزيد عاجزًا عن اتخاذ موقف قوي مع ولاته، أو الذين أخطأوا في حق الحسين رضي الله عنه.

ثم لا ننسى أن يزيد ينظر للحسين على أنه خارج على سلطته،ولو تمكَّن أنصاره (الشيعة) لكان مصير يزيد وبني أمية أشدّ شناعة مما لقي الحسين؛ ولعلَّ فيما فعل آل البيت أنفسهم (العباسيون) من إبادة وسحل وقتل الأمويين - فيما بعد - بشكل مُخيف - يذكّرنا بفعل البرابرة في العصور الوسطى في أوروبا - ما يوضِّح الأمر، ويُجلِّي الموقف.



المبحث التاسع

التحقيق في مكان رأس الحسين



المبحث التاسع

التحقيق في مكان رأس الحسين

إن منشأ الاختلاف في موضع رأس الحسين رضي الله عنه عند عامة الناس إنما هو ناتج عن تلك المشاهد المنتشرة في ديار المسلمين - والتي أُقيمت في عصور التخلُّف الفكري والعقدي- وكلها تدَّعي وجود رأس الحسين.

ثم إن الجهل بموضع رأس الحسين جعل كل طائفة تنتصر لرأيها في ادعاء وجود الرأس عندها.

وإذا أردنا التحقيق في مكان الرأس فإنه يلزمنا تتبُّع وجود الرأس منذ انتهاء معركة كربلاء.

لقد ثبت أن رأس الحسين حُمل إلى ابن زياد، فجعل الرأس في طست وأخذ يضربه بقضيب كان في يده، فقام إليه أنس بن مالك رضي الله عنه، وقال: «لقد كان أشبههم برسول الله صلى الله عليه وسلم»(١).

ثم بعد ذلك تختلف الروايات والآراء اختلافًا بيِّنًا بشأن رأس الحسين رضي الله عنه.

---

(١) البخاري مع الفتح: ٧/ ١١٩؛ أحمد، المسند ٣/ ١٦١؛ الفتح الرباني: ٢٣/ ١٧٦؛ الترمذي: ٥/ ٦٥٩ كتاب المناقب، وقال: (هذا حديث حسن صحيح غريب)؛ مسند أبي عوانة: ٤/ ١٠٨؛ أبو يعلى، المسند: ٢/ ١٤٢؛ الهيثمي، زوائد البزار: ٣/ ٢٣٤؛ الطبراني الكبير: ٣/ ١٣٥، وقال الهيثمي: ٩/ ١٩٥ رواه البزار والطبراني بأسانيد ورجاله وُثّقوا؛ موارد الظمآن: (٢٢٤٣)؛ أنساب الأشراف: ٣/ ٣٢٢، ٣٢٣.

ولتحقيق الأمر لا بد من دراسة الروايات التي ذكرت أن ابن زياد أرسل الرأس إلى يزيد بن معاوية؛ فقد وردت على النحو التالي:

هناك روايات ذكرت أن الرأس أُرسل إلى يزيد بن معاوية، وأخذ يزيد ينكت بالقضيب في فم الحسين، الأمر الذي حدا بأبي برزة الأسلمي رضي الله عنه إلى أن ينكر على يزيد فعلته.

ولكن هذه الرواية التي ذكرت وصول الرأس، وتعامل يزيد معه بهذا النحو، ضعيفة[1].

ولعل هذه الأسانيد هي التي اعتمد عليها شيخ الإسلام في إنكاره أن يكون الرأس قد وصل إلى يزيد أصلاً.

---

(١) المعجم الكبير للطبراني: ٣/ ١٠٤، قال في المجمع ٩/ ١٩٥: رجاله ثقات. قلت: ولكنه منقطع؛ فالراوي هو الليث بن سعد ت١٧٥هـ وبينه وبين الحادثة أمد بعيد؛ الطبري ٥/ ٤٦٥ عن أبي مخنف. وفي إسناده أيضًا أبو حمزة الثمالي: ثابت بن أبي صفية، واسم أبيه دينار، وقيل: سعيد؛ كوفي ضعيف رافضي (التقريب: ١٣٢)؛ وقال ابن حبان: كان كثير الوهم في الأخبار حتى خرج عن حدِّ الاحتجاج به إذا انفرد، مع غلوِّه في تشيُّعه (المجروحين ١/ ٢٠٦).

ابن الشجري، الأمالي الخمسية: ١/ ١٧٨ من طريق الطبراني عن الليث؛ المحن: ١٥٨، وفي إسناده: حرام بن عثمان الأنصاري. حرَّموا الروايات عنه، وقال ابن حبان: كان غاليًا في التشيع، يقلب الأسانيد ويرفع المراسيل (المجروحين: ١/ ٢٦٩)، (ميزان الاعتدال: ١/ ٤٦٨)؛ ابن كثير: ٩/ ١٩٤ من طريقين عن ابن أبي الدنيا، وفي إسناد الأول: خالد بن يزيد بن أسد البجلي القسري: قال ابن عدي: أحاديثه كلها لا يتابع عليها لا إسنادًا ولا متنًا، وهو عندي ضعيف. (الكامل في الضعفاء: ٣/ ٨٨٧-٨٨٨).

وقال أبو حاتم: ليس بالقوي (الجرح والتعديل: ٣/ ٣٥٩).

وفي الإسناد الآخر مسلمة بن شبيب لم أعثر له على ترجمة. وسالم بن أبي حفص قال عنه ابن حجر: صدوق في الحديث إلا أنه شيعي غال (التقريب: ٢٢٦).

وكان استدلال شيخ الإسلام على ضعف هذه الرواية: «بأن الذين حضروا نكته بالقضيب من الصحابة لم يكونوا بالشام، وإنما كانوا بالعراق»[(١)].

ونحن نشارك شيخ الإسلام ابن تيمية في نقده لمتن هذه الرواية؛ بل ونضيف أمرًا آخر يدل على فساد متن هذه الرواية؛ وهو: أن متنها مخالف لتلك الروايات الصحيحة، التي بيَّنت حُسن معاملة يزيد لآل الحسين، وتألُّمه وبكاءه على قتل الحسين ﷺ.

ثم قال بعد ذلك شيخ الإسلام ابن تيمية: «ورأس الحسين إنما حُمِلَ إلى ابن زياد، وهو الذي ضربه بالقضيب كما ثبت في الصحيح»[(٢)].

«وأمَّا حمله إلى عند يزيد فباطل، وإسناده منقطع»[(٣)].

وكان اعتماد شيخ الإسلام على نفس الرواية وعدم ثبوت سندها هو اطلاعه -كما يبدو- على رواية حصين بن عبد الرحمن السلمي، والتي قال فيها حصين: فحدثني مولى ليزيد بن معاوية قال: لما وُضع رأس الحسين بين يدي يزيد رأيته يبكي ويقول: «ويلي على ابن مرجانة، فعل الله به، أما والله لو كانت بينه وبينه رحم ما فعل هذا».

وهذه الرواية ذكرها البلاذري[(٤)] والطبري[(٥)] والجوزقاني[(٦)].

---

(١) منهاج السنة: ٤/ ٥٥٧.

(٢) المصدر السابق: ٨/ ١٤١.

(٣) المصدر السابق: ٨/ ١٤٢؛ رأس الحسين: ١٨٠.

(٤) أنساب الأشراف: ٣/ ٢٢٦ بإسناد صحيح حتى حصين بن عبد الرحمن السلمي.

(٥) الأمم والملوك: ٥/ ٣٩٣ من طريقين للحصين، أحدهما هو إسناد البلاذري السابق.

(٦) الأباطيل والمناكير: ١/ ١٦٥ بإسناد حسن إلى حصين بن عبد الرحمن السلمي.

وهذه الرواية إذا نظرنا إلى متنها نجد أنها متوافقة مع ما ثبت من حُسن تعامل يزيد مع أبناء الحسين، ومع ما أبداه يزيد من الحسرة والندامة على قتل الحسين.

وأما إسناد هذه الرواية فإن الرجل المبهم فيه هو الذي جعل شيخ الإسلام ينكر صحة هذه الرواية ويقول: «في إسناده مجهول»[(١)].

ولكن هناك رواية حسنة الإسناد في أنساب الأشراف، تُفيد بأن ابن زياد قد حمل الرأس إلى يزيد بن معاوية[(٢)].

ثم إن هناك رواية أخرى ذكرها الطبراني[(٣)] على الرغم من ضعفها إلا أنها تزيد رواية البلاذري قوة، إضافة إلى الروايات الحديثية والتاريخية الأخرى التي ذكرت حمل الرأس إلى يزيد[(٤)].

وبإعادة النظر في الرواية التي ذكرها البلاذري والطبري والجوزقاني -رواية حصين- نجد أن الرجل المبهم يذكره البلاذري على أنه مولى يزيد بن معاوية.

وفي رواية الطبري والجوزقاني ذكر أنه مولى معاوية بن أبي سفيان.

وهذا الاختلاف في نسبة ولائه بين معاوية وبين يزيد بن معاوية لا يضر، وهو

---

(١) منهاج السنة: ٤/ ٥٥٧.

(٢) أنساب الأشراف: ٣/ ٢٢٠ بإسناد حسن إلى الوليد بن رباح.

(٣) المعجم الكبير: ٣/ ١١٥. قال الهيثمي: ٩/ ١٩٣، ورجاله ثقات إلا أن الضحاك لم يدرك القصة.

(٤) الطبراني: ٣/ ١١٦، قال صاحب المجمع (٩/ ١٩٨-١٩٩)، فيه محمد بن الحسن بن زبالة ضعيف. ابن عساكر. المجلد الأربعون (عبد الحميد بن حبيب -عبد الله بن عبد الله) ص٢٢٢ من طريق ابن زبالة أيضًا. أنساب الأشراف: ٣/ ٢١٨ عن عوانة، الحاكم، الكنى بإسناد فيه ضعف. انظر: السير ٣/ ٣١٤.

الأمر الذي جعلني أميل إلى أنه القاسم بن عبد الرحمن الدمشقي مولى يزيد بن معاوية، وهو صدوق[١].

والدليل على ذلك أن أبا مخنف روى نفس الرواية مع قليل من الاختلاف، فقال أبو مخنف: حدثني الصقعب بن زهير[٢] عن القاسم بن عبد الرحمن مولى يزيد بن معاوية قال: لما وُضعت الرؤوس بين يدي يزيد -رأس الحسين وأصحابه- قال:

نفلق هامًا من رجال أعزة ... علينا وهم كانوا أعق وأظلما

أما والله يا حسين لو كنت صاحبك ما قتلتك»[٣].

وهذه الرواية تتفق مع الروايات الصحيحة في نظرة يزيد لمقتل الحسين، وتألمه لما حدث له.

الأمر الذي يجعل من البعيد جدًا أن يكون أبو مخنف قد حرَّف الرواية، أو زاد فيها شيئًا من عنده.

فإذا ثبت أن المولى هو القاسم بن عبد الرحمن الدمشقي، فعندئذ تكون رواية الطبري والبلاذري والجوزقاني حسنة. ثم إذا أضفنا لها الروايات السابقة تجعلنا نؤكّد أن الرأس قد حُمل إلى يزيد، ولعل هذه الروايات هي التي جعلت ابن كثير يُغيِّر رأيه أخيرًا بشأن رأس الحسين؛ فبعد أن كان يميل إلى رأي شيخه: شيخ الإسلام ابن

---

(١) التقريب: ٤٥٠.

(٢) الصقعب بن زهير: يروي عنه ابن أخته لوط بن يحيى (أبو مخنف) وهو ثقة. (التقريب: ٢٧٧).

(٣) الطبري: ٥/ ٤٦٠.

تيمية، فقال: والصحيح «أنه-أي ابن زياد- لم يبعث برأس الحسين إلى الشام»[(١)]، ناقض نفسه في مكان آخر وقال: «وقد اختلف العلماء في رأس الحسين: هل سيَّره ابن زياد إلى الشام أم لا؟ على قولين، الأظهر منهما أنَّه سيَّره إليه؛ فقد ورد في ذلك آثار كثيرة، والله أعلم»[(٢)]. وهو ما ذهب إليه أيضًا الذهبي[(٣)].

وبعد أن ترجّح لدينا الآن: أن ابن زياد قد بعث برأس الحسين إلى يزيد، وأنَّ الرأس وصل إلى دمشق، فإنَّا سنواجه باختلاف كبير حول المكان الذي قُبِرَ فيه رأس الحسين رضي الله عنه.

فالأماكن التي ذكرت أن رأس الحسين مقبور بها ستة مدن، وهي:

١ - دمشق؛ ٢ - الرقّة؛ ٣ - عسقلان؛ ٤ - القاهرة؛ ٥ - كربلاء؛ ٦ - المدينة.

ولكي نصل إلى تحديد دقيق بشأن مكان رأس الحسين، فإنَّا سنعرض إلى كل هذه المدن التي ذُكر أن رأس الحسين موجود بها، ثم نناقش الروايات التي ذكرت ذلك، ومن ثم نُحدِّد مكان الرأس بعد النقد والتمحيص لهذه الروايات.

أولاً: دمشق:

ذكر البيهقي في المحاسن والمساوئ: أن يزيد أمر بغسل الرأس، وجعله في حرير، وضرب عليه خيمة، ووكَّل به خمسين رجلاً[(٤)].

---

(١) ابن كثير ٩/ ١٩٧.

(٢) ابن كثير: ٩/ ١٩٤؛ العيني، عقد الجمان ق ٢٨٣ أ.

(٣) تاريخ الإسلام: (٦١-٨١) ص١٠٦.

(٤) المحاسن والمساوئ: ٨٤ بدون إسناد.

وقال ابن كثير: «وذكر ابن أبي الدنيا من طريق عثمان بن عبد الرحمن، عن محمد بن عمر بن صالح -وهما ضعيفان- أن الرأس لم يزل في خزانة يزيد بن معاوية حتى توفي، فأُخذ من خزانته، وكُفِّن، ودُفن داخل باب الفراديس من مدينة دمشق.

قلت: ويعرف مكانه بمسجد الرأس اليوم، داخل باب الفراديس»[١].

وقد ذكر النعيمي من مساجد دمشق: «مسجد الرأس، ويقال بأن فيه رأس الحسين رضي الله عنه»[٢].

وأمَّا ابن عساكر فقد ساق بإسناده عن ريّا حاضنة يزيد بن معاوية: «أن الرأس مكث في خزائن السلاح حتى ولي سليمان، فبعث فجيء به فبقي عظمًا فطيَّبه وكفَّنه، فلما وصلت المسوّدة[٣] سألوا عن موضع الرأس ونبشوه، فالله أعلم ما صُنع به»[٤]

قال الذهبي مُعقبًا على هذه القصة: «وهي قوية الإسناد»[٥].

ويبدو أن الذهبي لم يتراجع عن تقويته لإسناد هذه القصة كما نقله عنه تلميذ ابن أيبك الصفدي[٦].

---

(١) ابن كثير، البداية والنهاية: ٩/ ٢٠٥. ونفس الإسناد عند ابن الجوزي في الرد على المتعصب العنيد ق ١٧ ب، وقال ابن الجوزي: وعثمان ومحمد ليسا بشيء عند أهل الحديث (ق ١٨ أ).

(٢) الدارس في تاريخ المدارس: ٢/ ٣٣٠.

(٣) المسوّدة: جنود العباسيين، وهو الشعار الذي رفعه العباسيون خلال ثورتهم على الأمويين.

(٤) ابن عساكر، تراجم النساء: ص١٠١-٣٣٠؛ ابن الشجري. الأمالي الخمسية: ١/ ١٧٥-١٧٦ من طريق أحمد بن يحيى بن حمزة الخضري، وهو نفس طريق ابن عساكر؛ ابن حجر، تهذيب التهذيب: ٢/ ٣٠٨ من نفس الطريق.

(٥) السير: ٣/ ٣١٩، تاريخ الإسلام حوادث: (٦١-٨٠) ص١٠٧.

(٦) خليل بن أيبك الصفدي، تمام المنون في شرح رسالة ابن زيدون: ص٢٠٥.

ولكن عند النظر في إسناد هذه القصة نجد أن ابن عساكر قد جاء بها أثناء ترجمة «ريا» حاضنة يزيد، واعتمد في إسناده على طريق واحد فقط، وهو: أحمد بن محمد بن حمزة الحضرمي، عن أبيه، عن جده، عن أبي حمزة ابن يزيد الحضرمي[١].

وسند ابن عساكر هذا سند ضعيف، ولا أعلم على أي شيء اعتمد الذهبي في تقويته له. مع أنه سوف يُضعِّف الراوي، فالراوي أحمد بن محمد بن يحيى بن حمزة الحضرمي البَتَلْهي: ضعيف.

قال ابن حبان عن والده: محمد بن يحيى. ثقة في نفسه، ويتقى حديثه ما روى عنه أحمد بن محمد بن يحيى بن حمزة وأخوه عبيد، فإنهما يدخلان عليه كل شيء[٢].

وهذه القصة من رواية ابنه أحمد، فهو مما يُتَّقى ويترك.

وقال عنه الذهبي: له مناكير، وقال أبو أحمد الحاكم: فيه نظر[٣]. ثم إنَّ جد أبيه ابن يزيد الحضرمي لم أعثر له على ترجمة.

هذا من جهة السند، وأما بالنسبة للمتن، فإن هذه الرواية يبدو فيها الكذب واضحًا، وفي

---

(١) ابن عساكر، ترجمة النساء: ص١٠١.

(٢) ثقات ابن حبان: ٩/ ٧٤. وانظر كلام ابن حبان أيضًا في المجروحين: ١/ ٧٧ عن حكم ما يدخل عليه ولده الحديث.

(٣) ميزان الاعتدال: ٤/ ١٥١، ووضعه ابن عراق في تنزيه الشريعة ١/ ٤ مع قائمة المتهمين بالوضع.

(لسان الميزان: ١/ ٢٩٥) (الأنساب للسمعاني: ٤/ ١٨١)، والبَتَلْهي نسبة إلى «بيت لهيا» من أعمال دمشق بالغوطة (انظر: اللباب في تهذيب الأنساب: ١/ ١١٩؛ ياقوت، معجم البلدان: ١/ ٥٢٢).

سياقها نكارة ظاهرة؛ حيث مخالفتها للروايات الصحيحة التي تؤكِّد حسن معاملة يزيد لأبناء وأسرة الحسين.

ثم إن في المتن نزعة رافضية واضحة؛ حيث ورد في الرواية: «ولقد جاء رجل من أصحاب رسول الله ﷺ فقال له - أي يزيد- : لقد أمكنك الله من عدو الله، وابن عدو أبيك، فاقتل هذا الغلام - أي علي بن الحسين - ...فاقطع أصل هذا البيت...»[(١)].

وأخيرًا، فإن راوية القصة (ريًّا) هذه ذكرها ابن عساكر ولم يذكر فيها جرحًا ولا تعديلاً؛ فهي مجهولة الحال. وبهذا تكون رواية ابن عساكر التي قوَّاها الذَّهبي هي رواية ساقطة لا يُعتمد عليها بأي حال من الأحوال، وقد أورد الذهبي بإسناده عن أبي كريب قال: «كنت فيمن توثَّب على الوليد بن يزيد بدمشق، فأخذت سِفْطًا وقلت فيه غنائي، فركبت فرسي، وخرجت من باب توما، قال: ففتحه، فإذا فيه رأس مكتوب عليها، هذا رأس الحسين بن علي، فحفرت فيه بسيفي، فدفنته؟»[(٢)]. وهي رواية ضعيفة جدًا. وفي سند هذه الحكاية من لم أعثر لهم على ترجمة، وقد علَّق المحقق على هذه الحكاية بقوله: «لا يصح؛ فيه من لا يعرف».

ومن ناحية أخرى: ما هي فائدة يزيد من احتفاظه برأس الحسين وجعله في خزائن سلاحه!

ثانيًا : كربلاء:

لم يقل أحد بأن الرأس في كربلاء إلا الإمامية؛ فإنهم يقولون بأن الرأس أُعيد

---

(١) ابن عساكر، ترجمة النساء: ص١٠٢.

(٢) السير: ٣/ ٣١٦، العصامي، سمط النجوم العوالي: ٣/ ٨٦ عن طريق الذهبي.

إلى كربلاء بعد أربعين يومًا من القتل، ودُفن بجانب جسد الحسين[١] رضي الله عنه، وهو يوم معروف عندهم يُسمُّون الزيارة فيه: زيارة الأربعين[٢].

ويكفي أن هذا القول إنما تفرد به الإمامية (الشيعة)، وقد أنكر أبو نعيم (الفضل بن دكين) على من زعم أنه يعرف قبر الحسين، فضلاً عن رأسه رضي الله عنه[٣].

وقد ذكر ابن جرير وغيره أن موضع قتله عفى أثره حتى لم يطلع أحد على تعيينه[٤].

ثالثًا: الرقة:

لقد انفرد سبط ابن الجوزي بإيراد خبر يذكر أن الرأس دُفن بالرقَّة، وقال: إن الرأس بمسجد الرقَّة على الفرات، وأنه لما جيء به بين يدي يزيد بن معاوية قال: «لأبعثنه إلى آل أبي معيط عن رأس عثمان»، وكانوا بالرقَّة، فدفنوه في بعض دورهم، ثم أُدخلت تلك الدار بالمسجد الجامع، وهو إلى جانب سور هناك[٥].

وهذا خبر مُستبعد؛ فالرواية ليست مُسندة، ولا نعلم أي مصدر اعتمد عليه سبط ابن الجوزي حينما نقل هذا الرأي، ثم إن سبط ابن الجوزي متأخر جدًا عن

---

(١) القرطبي، التذكرة: ٢/ ٢٩٥؛ مؤمن بن حسن الشبلنجي، نور الأبصار في مناقب آل بيت النبي المختار: ص١٢١؛ ومصطفى الصفوي، مشاهد الصفا في المدفونين بمصر من آل المصطفى: ق١٠ ؛ حسين محمد يوسف، الحسين بن علي سيد شباب أهل الجنة: ص١٤٥.

(٢) التذكرة: ٢/ ٢٩٥.

(٣) تاريخ بغداد: ١/ ١٤٣-١٤٤؛ ابن عساكر ترجمة الحسين: ٢٧٦؛ ابن كثير: ٩/ ٢٠٥؛ تاريخ الإسلام: حوادث (٦١-٨٠) ص١٠٨.

(٤) ابن كثير: ٩/ ٢٠٥.

(٥) العقاد، شخصيات إسلامية: ٣/ ٢٩٨.

الحدث (ت٦٥٤هـ)، ثم إضافة إلى ما سبق فإن الخبر فيه نكارة واضحة لمخالفته النصوص الصحيحة، والتي ثبت فيها حسن معاملة يزيد لأسرة الحسين وتحسُّره وندمه على قتله، ثم إن سبط ابن الجوزي هذ قال عنه الذهبي: «ورأيت له مُصنَّفًا يدل على تشيُّعه»[(١)].

رابعًا: عسقلان:

قال الشبلنجي: «ذهبت طائفة إلى أن يزيد أمر أن يُطاف بالرأس في البلاد، فطيف به حتى انتهى إلى عسقلان فدفنه أميرها بها»[(٢)].

ولعل الشبلنجي هو الوحيد الذي قدّم تفسيرًا عن كيفية وصول الرأس إلى عسقلان، وأما غيره فقد ذكروا بدون مُسبِّبات أن الرأس في عسقلان فقط[(٣)].

وتعتبر رواية الشبلنجي رواية مُنكرة، بعيدة عن التصوُّر، فكيف بالواقع المحتَّم في تلك الفترة الذات.

فهي بالإضافة إلى مخالفتها للروايات الصحيحة التي تفيد أن يزيد تعامل مع أسرة الحسين تعاملا حسنًا، فإن الرواية تعطي تصورًا بعيدًا جدًا عن واقع المسلمين في ذلك الحين.

فكيف يُعقل أن يزيد يُقْدم على هذا العمل؛ من أن يطوف برأس الحسين رضي الله عنه في

---

(١) السير: ٢٣/ ٢٩٧.

(٢) نور الأبصار: ص١٢١؛ مصطفى الصفوي، مشاهد الصفا: ق٨.

(٣) الفارقي، تاريخ ميارفين: ص٧٠؛ السائح الهروي؛ القلقشندي، مآثر الأناقة: ص١١٩؛ أبو الفدا، المختصر في أخبار البشر: ١/ ١٩١؛ المقريزي، الخطط: ٢/ ١٨٣.

بلاد المسلمين، والمسلمون لا يتأثَّرون من هذا الصنيع برأس الحسين ﷺ؟

ثم أي غرضٍ لهم في دفنه بعسقلان، وكانت إذ ذاك ثغرًا يُقيم بها المرابطون؟ فإن كان قصدهم تعفية أثره، فعسقلان تُظهره لكثرة من يرتادها للرِّباط في سبيل الله، وإن كان قصدهم بركة البقعة، فكيف يقصد هذا ممن يقول: إنه عدو له- أي يزيد- مستحل لدمه، ساع في قتله؟ [(١)]

وهكذا فقد ثبت من الجهة النظرية والعملية استبعاد، بل استحالة دفن الرأس بعسقلان.

ولقد أنكر جمع من المحققين هذا الخبر، فقال القرطبي: «وما ذكر أنه في عسقلان فشيء باطل»[(٢)].

وأنكر شيخ الإسلام وجود الرأس بعسقلان[(٣)]، وتابعه على ذلك ابن كثير[(٤)].

خامسًا: القاهرة:

يبدو أن اللعبة التي قام بها العبيديون (الفاطميون) قد انطلت على الكثير من الناس؛ فبعد أن عزم الصليبيون على الاستيلاء على عسقلان سنة تسع وأربعين وخمسمائة، خرج الوزير الفاطمي صالح طلائع بن زريك؛ خرج هو وعسكره

---

(١) ابن تيمية. رأس الحسين: ١٨٢-١٨٣.

(٢) التذكرة: ٢/ ٢٩٥.

(٣) ابن ابن تيمية، تفسير سورة الإخلاص: ص٢٦٤.

(٤) البداية والنهاية: ٩/ ٢٠٥.

حُفاة إلى الصالحية، وتلقَّى الرأس، ووضعه في كيس من الحرير الأخضر على كرسي من الأبنوس، وفرش تحته المسك والعنبر والطيب، ودُفن في المشهد الحسيني قريبًا من خان الخليلي في القبر المعروف. وكان ذلك في يوم الأحد الثامن من جمادى الآخرة سنة ثمان وأربعين وخمسمائة[(١)].

وقد ذكر الفارقي أن الخليفة الفاطمي نفسه قد خرج وحمل الرأس[(٢)].

وذكر الشبلنجي أن الوزير الصالح طلائع افتدى الرأس من الإفرنج، ونجح في ذلك بعد تغلبِّهم على عسقلان، وافتداه بمال جزيل[(٣)].

وقد حاول بعض المؤرخين أن يؤكِّدوا على أن الرأس قد نقل فعلًا من عسقلان إلى مصر، وأن المشهد الحسيني في مصر إنما هو حقيقة مبني على رأس الحسين ﷺ.

والعجيب أن القلقشندي استدل على صحة وجود الرأس بمصر بالحادثة التالية:

«أن القاضي محب الدين بن عبد الظاهر ذكر في كتابه خطط القاهرة أن السلطان صلاح الدين الأيوبي حين استولى على قصر الفاطميين أمسك خادمًا من خُدَّام القصر، وعذَّبه بأن حلق رأسه وكفى عليه طاسًا، وجعل فيه خنافس فأقام ثلاثة أيام لم يتأثَّر بذلك، فدعاه السلطان وسأله عن شأنه، هل معه طلسم وقاه ذلك؟ فقال: لا أعلم شيئًا، غير أني حملت رأس الحسين على رأسي حين أُتي

---

(١) المقريزي ١/ ٤٢٧، وله أيضًا: اتعاظ الحنفاء ٣/ ٢٢؛ ابن أياس، بدائع الزهور ١/ ٢٢٧، الفاسي، العقد الثمين ٤/ ٢٠٣. ابن الزيات، الكوكب السيارة ص١٦٤؛ نخلة بك. تاريخ الخلفاء ص٤٦؛ العقاد شخصيات إسلامية ص٧٠.

(٢) الفارقي. تاريخ ميافين ص٧٠.

(٣) الشبلنجي. نور البصائر ص١٢١؛ مصطفى الصفوي، مشاهد الصفا ق٨.

به إلى المشهد، فخلَّى سبيله، وأحسن إليه»[١].

وأما الصوفية فيرون أن رأس الحسين هو بالمشهد القاهري، ويذكرون سمجًا من الخرافة. حيث يرون أن القطب يزوره كل يوم بالمشهد القاهري[٢].

وأمّا أحد المتأخرين -وهو حسين محمد يوسف- فقد أثبت أن الرأس الموجود في المشهد الحسيني هو حقيقة رأس الحسين، وخطَّأ من يقول بغير ذلك.

وكان الاستدلال الذي جاء به: هي تلك المنامات والكشوفات التي تجلَّت لبعض المجاذيب (الصوفية)، والتي جاء فيها أن الرأس هو في الحقيقة رأس الحسين.

ثم أورد تأييدًا لهذا القول باستحداث قاعدة قال فيها: «أن الرأس يوجد في القاهرة، وذلك بسبب الشك الذي تعارض مع اليقين، واليقين (هم أصحاب الكشف)»[٣].

وكما يبدو فإن الوطنية لعبت دورًا كبيرًا في هذا التأكيد على أن رأس الحسين موجودة في القاهرة، وذلك لما ذكره السخاوي بهذا الصدد[٤].

وهكذا فإن الاستدلال على وجود الرأس في القاهرة كان مبنيًا على استناده

---

(١) القلقشندي، مآثر الأناقة ١/ ١٢٠؛ الخطط المقريزية ١/ ٤٢٧؛ وقال: «سمعت من يحكي حكاية...».

(٢) مصطفى الصفوي، مشاهد الصفا ق١٠.

(٣) حسين محمد يوسف، الحسين سيد شباب أهل الجنة: ص١٤٩-١٥٣.

(٤) السخاوي. التحفة اللطيفة: ١/ ٥١٣. وانظر ما ذكره الشبلنجي في نور الأبصار. حينما نقل سمجًا من الكلام بالدعوة إلى زيارة المشهد الحسيني بالقاهرة...وما هي إلا دعوة للشرك والضلال.

بأن الرأس كان في عسقلان، وقد أثبتنا قبل قليل بطلان وجود الرأس بعسقلان، وبالتالي يكون الرأس الذي حُمل إلى القاهرة، والمشهد المعروف اليوم، والمقام عليه، والمسمى بالمشهد الحسيني هو كذب، وليس له أي علاقة برأس الحسين ﷺ.

وإذا ثبت أن الرأس الذي كان مدفونًا بعسقلان هو ليس في الحقيقة برأس الحسين، فإذًا متى أدُّعِي أن رأس الحسين بعسقلان، وإلى من يعود ذلك الرأس؟

يقول النويري: أن رجلاً رأى في منامه، وهو بعسقلان أن رأس الحسين في مكان بها، عُيِّن له في منامه، فنبش ذلك الموضع، وذلك في أيام المستنصر بالله العبيدي صاحب مصر، ووزارة بدر الجمالي، فابتنى له بدر الجمالي مشهدًا بعسقلان(١).

وقام الأفضل بعد ذلك بإخراجه، وعطَّره، ووضعه في مكان آخر من عسقلان، وابتنى عليه مشهدًا كبيرًا(٢).

فلعلَّك تعجب من إسراع العبيدين لإقامة المشهد على هذا الرأس، لمجرَّد رؤية رجل فقط؟ ولكن إذا عرفت تاريخ العبيديين فإن الأمر لا يُستغرب لهذا الحد.

فإحساسهم بأن الناس لا يُصدِّقون نسبتهم إلى الحسين، جعلهم يلجؤون إلى تغطية هذا الجانب باستحداث وجود رأس الحسين بعسقلان، ويُظهرون من الاهتمام به وبناء المشهد عليه والإنفاق على ترميمه وتحسينه من الأموال الشيء الكثير حتى يصدِّقهم الناس، ويقولون: إنه لو لم يكن لهم نسب فيه لما اهتمُّوا به إلى هذا الحد؟

---

(١) النويري، نهاية الأرب: ٢٠/ ٤٧٨.

(٢) المقريزي. اتعاظ الحنفاء: ٣/ ٢٢.

ثم إن هناك بعدًا سياسيًا آخر باستحداث وادعاء وجود رأس الحسين بعسقلان دون غيرها من المناطق التي تقع تحت سيطرتهم، وهو محاولة مجابهة الدويلات السنية التي قامت في بلاد الشام، ومن المعروف أن حكومة المستنصر بالله العبيدي قد صادفت قيام دولة السلاجقة السنية التي تمكَّن قائدها طغرلبك السلجوقي من دخول بغداد سنة سبع وأربعين وأربعمائة[1].

وأيضًا فإن العبيديين يرمون من استحداث قبر الحسين بعسقلان حماية مصر بوضع أقصى خط لها في شمالها، ثم يكون قبر الحسين مُحفِّزًا لجنودهم للقتال والدفاع عنه، وذلك إذا انحسر نفوذهم من بلاد الشام، وخاصة إذا تعرَّضوا لهجوم شامل من دولة السلاجقة السنية البالغة القوة في ذلك الحين.

ولما أن غزى الصليبيون بلاد الشام، واستطاعوا اكتساح الدويلات السنية، وسيطروا على فلسطين، واستولوا على القدس، خشي العبيديون من استيلاء الصليبيين على عسقلان، فأرادوا أن يجعلوا من القاهرة المكان المناسب لهذا الرأس، وحتى يبدو أمام الناس بأنهم حريصون على رأس جدهم، مما يدفع الشبهة عنهم أكثر فأكثر.

ومما يدل على أن استحداث وجود الرأس بعسقلان ونقله إلى مصر ما هو إلا خطة عبيدية، أنه لم يرد بأن رأس الحسين وُجد في عسقلان في أيّ كتاب قبل ولاية المستنصر الفاطمي. وهذا مما يُعزِّز كذب العبيديين، وتحقيق أغراض خاصة لهم بذلك.

---

(١) الأتابكي، النجوم الزاهرة: ٥/ ٥٧.

وقد ذكر شيخ الإسلام ابن تيمية: أن هذا الرأس المزعوم بأنه رأس الحسين ليس في الأصل سوى رأس راهب[١].

وأنكر عمر بن أبي المعالي أن يكون رأس الحسين قد وُجد بعسقلان أو مصر، وذلك: «لأنه لم يوجد في تاريخ من التواريخ أنه - أي الرأس- نقل إلى عسقلان أو إلى مصر، ويُقوِّي ذلك أن الشام ومصر لم يكن فيهما شيعة علوية ينقل إليهم...»[٢].

وقد نقل ابن دحية في كتابه «العلم المشهور» الإجماع على كذب وجود الرأس بعسقلان أو بمصر، ونقل الإجماع أيضًا على كذب المشهد الحسيني الموجود في القاهرة، وذكر أنه من وضع العبيدين، وأنه لأغراض فاسدة وضعوا ذلك المشهد، وقد أزال الله تلك الدولة وعاقبها بنقيض قصدها[٣].

وقد أنكر وجود الرأس في مصر كل من: ابن دقيق العيد، وأبي محمد بن خلف الدمياطي، وأبي محمد بن العسقلاني، وأبي عبد الله القرطبي، وغيرهم[٤].

وقال ابن كثير: «وادّعت الطائفة المسمّاة بالفاطميين -الذين ملكوا مصر قبل سنة أربعمائة إلى سنة ستين وخمسمائة- أن رأس الحسين وصل إلى الديار المصرية، ودفنوه بها، وبنوا عليه المشهد بمصر، الذي يقال له تاج الحسين، بعد سنة خمسمائة.

---

(١) ابن تيمية، تفسير سورة الإخلاص: ص٢٦٥؛ وانظر رأس الحسين: ص١٨٧، ونقله عن القسطلاني.

(٢) النويري نهاية الأرب: ٢٠/ ٤٨١. وحتى أن مُوفَّق الدين المكي الشافعي لم يشر إلى وجود رأس الحسين بالقاهرة في كتابه «مرشد الزوّار إلى قبور الأبرار». (عارف حكمت رقم ٢٠٣/ ٩٠٠).

(٣) ابن تيمية، رأس الحسين: ١٨٦.

(٤) المصدر السابق: ١٨٦، ١٨٧.

وقد نص غير واحد من أئمة أهل العلم على أنه لا أصل لذلك، وإنما أرادوا أن يُروِّجوا بذلك بطلان ما ادَّعوه من النسب الشريف، وهم في ذلك كَذَبة خَوَنة، وقد نصَّ على ذلك القاضي الباقلاني وغير واحد من أئمة العلماء في دولتهم. قلت: والناس أكثرهم يَرُوج عليهم مثل هذا؛ فإنهم جاءوا برأس فوضعوه في مكان هذا المسجد المذكور، وقالوا: هذا رأس الحسين، فراج ذلك عليهم واعتقدوا ذلك، والله أعلم»[1].

وقد كانت هذه المشاهد هي الطريق الموصلة إلى الشرك بالله، ولذا قال شيخ الإسلام: «وما أُحدث في الإسلام من المساجد والمشاهد والآثار فهو من البدع المحدثة في الإسلام، ومن فعل من لم يعرف شريعة الإسلام، وما بعث الله به محمدًا ﷺ من كمال التوحيد وإخلاص لدين الله سبحانه، وسد أبواب الشرك التي يفتحها الشيطان لبني آدم، وذلك يُوجد في الرافضة أكثر مما يُوجد في غيرهم وأكثر شركًا وبدعًا، ولهذا يُعظِّمون المشاهد أعظم من المساجد، ويُخرِّبون المساجد أكثر من غيرهم؛ فالمساجد لا يُصلُّون فيها إن صلُّوا إلا أفذاذًا، وأمَّا المشاهد فيعظِّمونها أكثر من المساجد، حتى قد يرون أن زيارتها أولى من حج بيت الله الحرام، ويُسمُّونها الحج الأكبر، وصنَّف ابن المفيد[2] منهم كتابًا سماه: (مناسك حج

(١) البداية والنهاية: ٩/ ٢٠٥؛ العيني، عقد الجمان: ق ٢٨٣ ب.

(٢) أبو عبد الرحمن محمد بن النعمان العكبري، يعرف بابن المعلم، انتهت إليه رئاسة الشيعة في وقته؛ انظر: تاريخ بغداد: ٣/ ٢٣١؛ السير: ١٧/ ٣٤٢، لسان الميزان: ٤/ ٣٠٠؛ الأعلام: ٧/ ٢١، معجم المؤلفين: ١١/ ٣٠٦.

المشاهد) وذكر فيه من الأكاذيب والأقوال ما لا يوجد في سائر الطوائف، وإن كان في غيرهم أيضًا نوع من الشرك والكذب والبدع؛ لكنه فيهم أكثر...»[١].

وبالفعل، فإن الذي يرى أولئك الناس، الذين يطوفون بقبر رأس الحسين المزعوم في القاهرة، والذين يرجونه من دون الله، ويستغيثون به من دون الله، يعلم إلى أي حد بلغ الشرك في ديار المسلمين، ويعلم أيضًا إلى أيّ حدٍّ بلغ تقاعس العلماء عن تبيين الحق وتوضيحه. قال شيخ الإسلام ابن تيمية: «وكان بعض النصارى يقول لبعض المسلمين: لنا سيِّد وسيِّدة، ولكم سيِّد وسيِّدة، لنا السيد المسيح والسيدة مريم، ولكم السيد الحسين والسيدة نفيسة»[٢].

سادسًا: المدينة المنورة:

إن المدن التي مرَّ ذكرها لم يثبت لدينا أدنى دليل على وجود الرأس بها، ولم يبق أمامنا إلا المدينة.

لقد ذكر ابن سعد بإسناد جمعي: أن يزيد بعث بالرأس إلى عمرو بن سعيد والي المدينة، فكفَّنه ودفنه بالبقيع إلى جنب قبر أمه فاطمة بنت رسول الله ﷺ[٣].

وقال البلاذري: «حدثنا عمر بن شبّة، حدثني أبو بكر عيسى بن عبد الله بن

---

(١) ابن تيمية تفسير سورة الإخلاص: ص٢٦٤؛ رأس الحسين: ص١٨٩.

(٢) ابن تيمية، رأس الحسين: ١٦٤. وأما مايفعله الشيعة عند البقيع، وفي كربلاء، وقم، من تعظيم القبور والاستغاثة بها، فهو أمر يخرج عن الوصف، نسأل الله لهم الهداية والتوفيق الى الحق.

(٣) ابن سعد: ٥/ ٢٣٨، ط٥/ ٣٩٨-٤٠٠؛ تاريخ الإسلام: حوادث (٦٠-٨١) ص٢٠؛ تمام المنون: ص٢٠٥. السمهودي: ٣/ ٩٠٩.

محمد بن عمر بن علي بن أبي طالب، عن أبيه قال: إن الرأس بعث به يزيد إلى عمرو بن سعيد والي المدينة»[1].

وهذه الرواية عن واحد من أهل البيت، ولا شك أن أحفاد الحسين هم أعلم الناس برأس الحسين ﷺ، وبذلك يكون كلامهم مُقدَّمًا على كلام غيرهم بشأن وجود الرأس.

ثم بالنظر إلى حسن تعامل يزيد مع آل الحسين، وندمه على قتل الحسين ﷺ يكون من المتمات لما أبداه يزيد تجاه آل الحسين هو احترام رأس أبيهم، فبإرسال رأس الحسين إلى والي المدينة، وأمره بأن يُدفن بجانب قبر أمِّه يكون يزيد قد أدَّى ما يتوجَّب عليه حيال رأس الحسين وحيال آل الحسين، بل وحيال أقارب الحسين في المدينة، وكبار الصحابة والتابعين.

«ثم إن دفنه بالبقيع هو الذي تشهد له عادة القوم؛ فإنهم كانوا في الفتن، إذا قتل الرجل منهم -لم يكن منهم- سلموا رأسه وبدنه إلى أهله، كما فعل الحجاج بابن الزبير لَمَّا قتله وصلبه، ثم سلَّموه إلى أهله، وقد عُلم أن سعي الحجاج في قتل ابن الزبير، وأن ما كان بينهما من الحروب أعظم بكثير مما كان بين الحسين وبين

---

(١) أنساب الأشراف: ٣/ ٢١٧ بإسناد ضعيف، لأن فيه أبو بكر عيسى بن عبد الله العلوي،قال الدارقطني: متروك(الذهبي،الضعفاء ٢/ ٤٩٨(٤٨٠٦)؛ قال عنه ابن حبان: في حديثه بعض المناكير(الثقات ٨/ ٤٩٢)،وقال عنه في موضع آخر:يروي عن أبيه عن آبائه أشياء موضوعة، لا يحلّ الاحتجاج، به كان يهم ويخطيء حتى كان يَجيء بالأشياء الموضوعة عن أسلافه، فبطل الاحتجاج به (المجروحين:١/ ١٢١؛ ميزان الاعتدال ٣/ ٣١٧(٦٥٢)؛ ابن حجر، لسان الميزان ٤/ ٤٠٠).

خصومه»[١]. كما أننا لا نجد انتقادًا واحدًا انتقد فيه يزيد سواء من آل البيت، أو من الصحابة، أو من التابعين فيما يتعلّق بتعامله مع الرأس، فظنّي أن يزيد لو أنه تعامل مع الرأس كما تزعم بعض الروايات من الطوفان به بين المدن، والتشهير برأسه، لتصرَّف الصحابة والتابعون تصرفًا آخر على أثر هذا الفعل، ولما رفض كبارهم الخروج عليه يوم الحرَّة، ولرأيناهم ينضمُّون مع ابن الزبير المعارض الرئيسي ليزيد.

ويؤيِّد هذا الرأي قول الحافظ أبي يعلى الهمداني: «إن الرأس قُبر عند أمّه فاطمة -رضي الله عنها- وهو أصحُّ ما قِيل في ذلك»[٢].

وهو ما ذهب إليه علماء النسب؛ مثل: الزبير بن بكّار، ومحمد بن الحسن المخزومي[٣].

وذكر عمر ابن أبي المعالي أسعد بن عمّار في كتابه: «الفصل بين الصدق والمين في مقرّ رأس الحسين»: أن جمعًا من العلماء الثقات؛ كابن أبي الدنيا، وأبي المؤيد الخوارزمي، وأبي الفرج بن الجوزي قد أكّدوا أن الرأس مقبور في البقيع بالمدينة[٤].

وتابعهم على ذلك القرطبي[٥]، وقال الزرقاني: قال ابن دحية: ولا يصح غيره[٦].

---

(١) ابن تيمية، رأس الحسين: ص١٨٣.

(٢) القرطبي، التذكرة: ٢/ ٢٩٥.

(٣) القرطبي، التذكرة: ٢/ ٢٩٥؛ الشبلنجي، نور الأبصار: ١٢١.

(٤) ابن الجوزي، الرد على المتعصب العنيد: ق١٧ ب؛ النويري، نهاية الأرب: ٢٠/ ٤٨٠-٤٨١؛ السمهودي، جواهر العقدين: ق١٧ ب.

(٥) التذكرة: ٢/ ٢٩٥.

(٦) مصطفى الصفوى: مشاهد الصفا: ق١٠.

وشيخ الإسلام يميل إلى أن الرأس قد بعث به يزيد إلى واليه على المدينة عمرو بن سعيد، وطلب منه أن يقبره بجانب أمِّه فاطمة رضي الله عنها، والذي جعل شيخ الإسلام يرى ذلك هو:

«أن الذي ذكر أن الرأس نُقل إلى المدينة هم من العلماء والمؤرخين الذين يُعتمد عليهم، مثل: الزبير بن بكار، صاحب كتاب الأنساب، ومحمد بن سعد كاتب الواقدي صاحب الطبقات، ونحوهما من المعروفين بالعلم والثقة والاطلاع، وهم أعلم بهذا الباب، وأصدق فيما ينقلونه من المجاهيل والكذَّابين، وبعض أهل التاريخ، الذين لا يُوثق بعلمهم، وقد يكون الرجل صادقًا، ولكن لا خبرة له بالأسانيد، حتى يميز بين المقبول والمردود، أو يكون سيِّئ الحفظ، أو مُتَّهما بالكذب أو بالتزيد في الرواية؛ كحال كثير من الأخباريين والمؤرخين»[1].

وبذلك يكون رأس الحسين مقبورًا بجانب أمه فاطمة -رضي الله عنها- وهو الموافق لما ثبت في الروايات من حسن تعامل يزيد مع آل الحسين، ثم هو الأقرب إلى الواقع الذي يملي على يزيد إرساله إلى المدينة ليُقبر بجانب أمه رضي الله عنها وأرضاه.

ومما يؤسف له أن بعض العلماء تابع الشيعة في سردهم لقصة الحسين، ولم يتثبَّت في هذه الحادثة الخطيرة، وقد حذَّر الله من تصديق الفُسَّاق، فقال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَإٍ فَتَبَيَّنُوا أَن تُصِيبُوا قَوْمًا بِجَهَالَةٍ فَتُصْبِحُوا عَلَىٰ مَا فَعَلْتُمْ نَادِمِينَ﴾.

ولا شك أن الحذر في هذه الحالة يتضاعف، وينبغي للعالم أن يحتاط في فتواه،

---

(١) رأس الحسين: ص١٧٠.

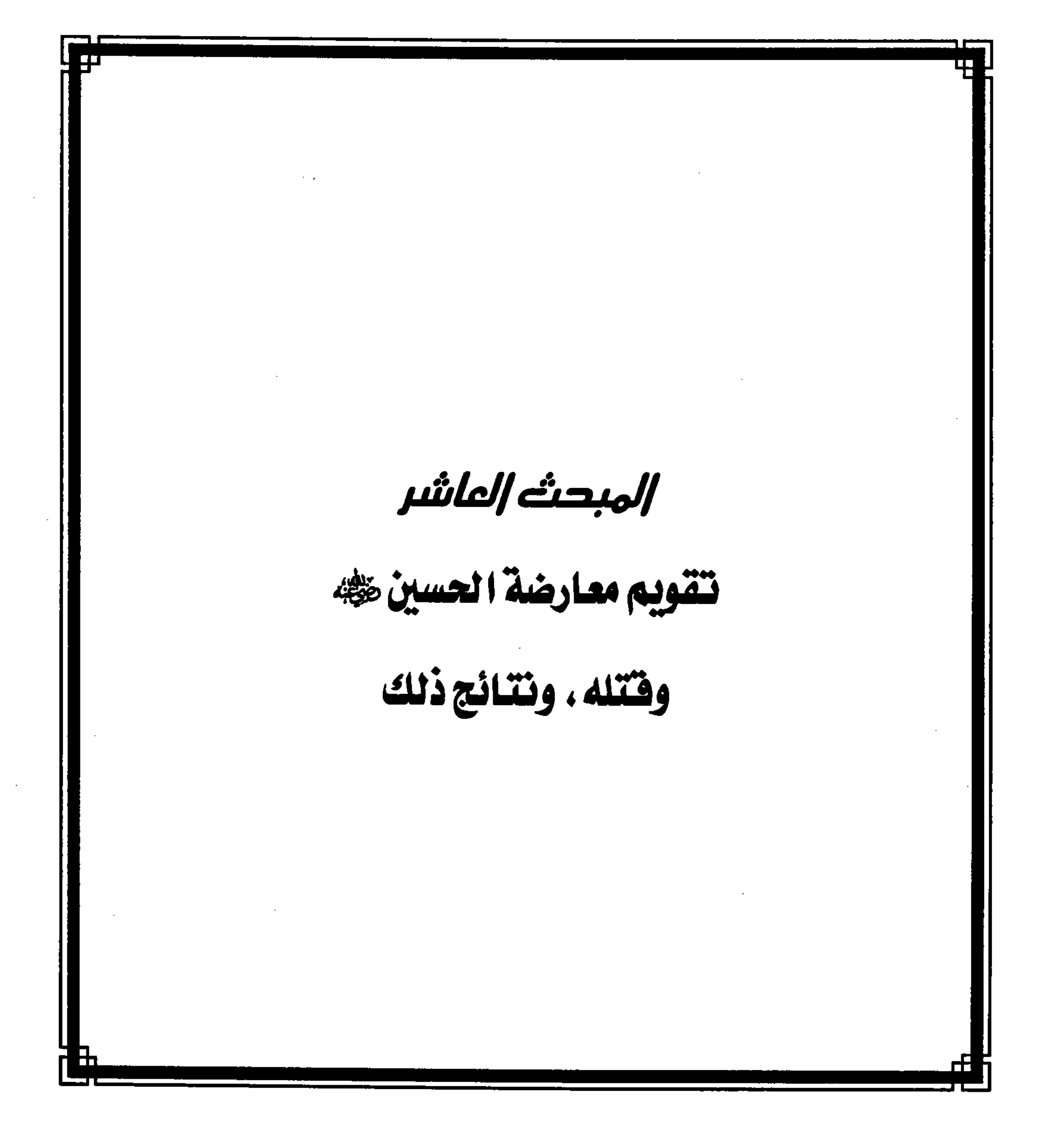
وفي كلامه، وفي أحكامه التي يصدرها على الآخرين.

فمثلا: ابن الجوزي -رحمه الله- على جلالة قدره وعلمه يقول: «ليس العجيب من قتال ابن زياد للحسين، وإنما العجب من خذلان يزيد، وضربه بالقضيب ثنايا الحسين، وحمله آل رسول الله ﷺ سبايا على أقتاب الجمال، وردِّه الرأس إلى المدينة، وما كان قصده إلا الفضيحة وإظهار الرأس، ولو لم يكن في قلبه أحقاد جاهلية، وأضغان بدرية لاحترم الرأس لَمَّا وصل إليه، وأحسن إلى آل رسول الله ﷺ»(١).

وقد بنوا على هذا الكلام أحكامًا شرعية، فاستحلوا تكفير المسلم، وحكموا عليه بالردَّة بسبب هذه الأقوال وغيرها من الأكاذيب، نسأل الله السلامة.

(١) ابن الجوزي، الرد على المتعصب العنيد: ق١٨ ب؛ السمهودي، جواهر العقدين: ق ١٧ ب؛ ابن حجر الهيثمي، الصواعق المحرقة: ٣٣٠.





المبحث العاشر

تقويم معارضة الحسين رضي الله عنه وقتله، ونتائج ذلك



المبحث العاشر

تقويم معارضة الحسين ﷺ

وقتله، ونتائج ذلك

١- تقويم معارضة الحسين رضي الله عنه:

إن كل فتنة ومصيبة حلَّت بالمسلمين لا بد لها من دراسة وتحليل؛ وذلك ليتبين لنا ما وقع فيها من اجتهاد، وما حدث فيها من مبالغات وأخطاء، والتفريق بين أصول تطبيق المنهج الإسلامي الحق، وبين العواطف السطحية، والمحبة الجامحة التي ليس لها عِقَال.

وكانت معارضة الحسين ليزيد بن معاوية وخروجه إلى العراق طالبًا الخلافة، ثم مقتله ﷺ بعد ذلك، قد ولَّدت إشكالات كثيرة، ليس في الكيفية والنتيجة التي حدثت بمقتله ﷺ، بل في الحكم الشرعي الذي يمكن أن يُحكم به على معارضته؛ وذلك من خلال نصوص السنة النبوية.

وإن عدم التمعُّن في معارضة الحسين ليزيد، والتأمُّل في دراسة الروايات التاريخية الخاصة بهذه الحادثة، قد جعلت البعض يجنح إلى اعتبار الحسين خارجًا على الإمام، وأن ما أصابه كان جزاءًا عادلاً؛ وذلك وفق ما ثبت من نصوص نبوية تُدين الخروج على الولاة.

فقد قال ﷺ: (من أراد أن يفرّق بين المسلمين وهم جميع، فاضربوه بالسيف

كائنًا من كان)[١].

قال السيوطي: «أي فاضربوه شريفًا أو وضيعًا على إفادة معنى العموم»[٢].

وقال النووي مُعلقًا على هذا الحديث: «الأمر بقتال من خرج على الإمام، أو أراد تفريق كلمة المسلمين، ونحو ذلك، ويُنهى عن ذلك، فإن لم ينته قُوتل، وإن لم يندفع شرُّه إلا بالقتل قُتِل، وكان دمه هدرًا»[٣].

وفي هذا الحديث وغيره من الأحاديث المشابهة له، جاء تأكيد النبي ﷺ على أن الخارج على سلطان المسلمين يكون جزاؤه القتل؛ وذلك لأن قصده تفريق كلمة المسلمين.

كان التعلُّق المبدئي بهذه النصوص قد جعل الكثيرين يظنون أن أبا بكر بن العربي يقول: «إن الحسين قُتل بسيف جدِّه رسول الله ﷺ»[٤].

---

(١) مسلم بشرح النووي ١٢/ ٢٤١؛ أحمد، المسند ٤/ ٢٦١، أبن أبي عاصم، السنة ٢/ ٥٢٦، النسائي، السنن ٢/ ١٦٦؛ مسند الطيالسي (١٢٢٤).

(٢) السيوطي، عقد الزبرجد ١/ ٢٦٤.

(٣) مسلم بشرح النووي ١٢/ ٢٤١.

(٤) ابن العربي، العواصم من القواصم: ص٢٤٤-٢٤٥، وكان الهيثمي قد ظن أن ابن خلدون هو صاحب هذا القول، وكان يلعنه ويسبه ويبكي. (الضوء اللامع ٣/ ١٤٧)، وقال الحافظ ابن حجر معقبًا على كلام الهيثمي: «ولم توجد هذه الكلمة في التاريخ الموجود الآن، وكان ذكرها في النسخة التي رجع عنها (رفع الإصر، القسم الثاني/ ٣٤٧). وقد علَّق المحقق أحمد باشا تيمور على حاشية نسخته بقوله: «والصواب أن ابن خلدون نقل هذا القول عن أبي بكر ابن العربي، وذكره في فضل ولاية العهد من مُقدِّمة تاريخه، وردَّ عليه، ونسب قائله للغفلة، =

وإنَّ الجمود على هذه الأحاديث جعلت الكرامية مثلاً يقولون: «إن الحسين ﷺ باغٍ على يزيد، فيَصدق بحقه من جزاء وقتل»(١).

وأمّا البعض: فقد ذهبوا إلى تجويز خروج الحسين ﷺ، واعتبروا عمله هذا مشروعًا، وجعلوا المستند في ذلك إلى أفضلية الحسين، وإلى عدم التكافؤ مع يزيد(٢).

وأما البعض: فقد جعل خروج الحسين خروجًا شرعيًّا بسبب ظهور المنكرات من يزيد(٣).

ولكن إذا أتينا لتحليل مخرج الحسين ﷺ ومقتله، نجد أن الأمر ليس كما ذهب إليه هذان الفريقان؛ فالحسين لم يُبايع يزيد أصلاً، وظل معتزلاً في مكة حتى جاءت إليه رسل أهل الكوفة تطلب منه القدوم.

وعندما رأى الحسين كثرة المبايعين، وأكَّد له ذلك ابن عمه مسلم بن عقيل، ظن أن أهل الكوفة لا يريدون يزيد، فخرج إليهم.

وإلى الآن فإن الحسين لم يقم بخطأ شرعي مخالف للنصوص، وخاصة إذا

= فانظر كيف ينسب للرجل ما لم يَقُل ويُشَنَّع عليه هذا التشنيع الذي لا يستحقه...». انظر: الإعلان بالتوبيخ: ص٧١. قلت: وهو الموجود في المقدمة: ١/ ٢٧٢. وكلام ابن العربي في العواصم لا يُشعر بهذا الفهم العجيب. وقد خطَّأ الخضري ما ذهب إليه ابن العربي(محاضرات في تاريخ الدولة الأموية ٢/ ١٢٩). وانظر كذلك: الطيب النجار، الدول الأموية في الشرق: ص٩٢.

(١) نيل الأوطار: ٧/ ٣٦٢.

(٢) الشوكاني، نيل الأوطار: ٧/ ٣٦٢.

(٣) ابن حزم، الدّرة فيما يجب اعتقاده: ٣٧٦، ابن خلدون، المقدمة: ١/ ٢٧١.

عرفنا أن جزءًا من الأحاديث جاء مبينًا لنوع الخروج.

فعن ابن عمر -رضي الله عنهما- عن النبي ﷺ قال: (**من نزع يدًا من طاعة فلا حجة له يوم القيامة، ومن مات مفارقًا للجماعة فقد مات ميتة جاهلية**)[١].

وعن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: (**الصلاة المكتوبة إلى الصلاة التي بعدها كفارة لما بينهما، والجمعة إلى الجمعة، والشهر إلى الشهر** -يعني رمضان- **كفارة لما بينهما**، قال: ثم قال بعد ذلك: **إلا من ثلاث** - قال: فعرفت أن ذلك الأمر حدث : **إلا من الإشراك بالله، ونكث الصفقة، وترك السنة**. قال: **أما نكث الصفقة: أن تبايع رجلا ثم تخالف إليه، تقاتله بسيفك، وأما ترك السنة فالخروج من الجماعة**)[٢].

وبالرغم من أن الحسين ﷺ حذَّره كبار الصحابة ونصحوه، إلا أنه خالفهم، وقد عرفوا أنه سيُقتل وسيُعرِّض نفسه للخطر، وذلك لمعرفتهم بكذب أهل العراق.

والحسين ﷺ ما خرج يريد القتال، ولكن ظنَّ أن الناس يُطيعونه، فلـمَّا رأى انصرافهم عنه، طلب الرجوع إلى وطنه أو الذَّهاب إلى الثغر، أو إتيان يزيد[٣].

ولقد تعنَّت ابن زياد أمام تنازلات الحسين وسهولته، وكان من الواجب عليه

---

(١) مسلم بشرح النووي: ١٢/ ٢٣٣-٢٣٤؛ مسند أحمد: ٧/ ٢٠٥، ١١/ ٦٢ بإسناد صحيح، واللفظ له.

(٢) مسند أحمد: ١٢/ ٩٨ بإسناد صحيح.

(٣) ابن تيمية، منهاج السنة: ٤/ ٤٢.

أنه يجيبه لأحد مطالبه.

ولكن ابن زياد طلب أمرًا عظيمًا من الحسين، وهو أن ينزل على حكمه، وكان من الطبيعي أن يرفض الحسين هذا الطلب، وحُقَّ للحسين أن يرفض ذلك؛ ذلك لأن النزول على حكم ابن زياد لا يعلم نهايته إلا الله، ولربما كان حكمه فيه القتل، ثم إنَّ فيه من إذلال الحسين وإهانته الشيء الكبير.

ثم إن هذا العرض إنما كان يعرضه رسول الله ﷺ على الكفَّار المحاربين أعداء الإسلام، والحسين ﷺ ليس من هذا الصنف، بل هو من أفاضل المسلمين وسيِّدهم. ولهذا قال شيخ الإسلام: «وطلبه أن يستأسر لهم، وهذا لم يكن واجبًا عليه»[١].

وقد حاول محمد دروزة أن يُوجد مُسوِّغًا لابن زياد في إقدامه على قتل الحسين ﷺ حين قال: «فلمَّا قاوم الحسين ﷺ بالقوة، فمقابلته وقتاله صار من الوجهة الشرعية والوجهة السياسية سائغًا»[٢].

والحقيقة أن ابن زياد هو الذي خالف الوجهة الشرعية والسياسية حين أقدم على قتل الحسين ﷺ.

فقول الرسول ﷺ في حديث ابن عمر: (...**فإن جاء آخر ينازع فاضربوا عنق الآخر**)[٣] لا يتناوله؛ بسبب أنه عرض عليهم الصلح فلم يقبلوا، ثم كان مجيئه بناء على طلب أهل البلد، وليس ابتداعًا منه.

---

(١) ابن تيمية، منهاج السنة: ٤/ ٥٥٠.

(٢) دروزه، تاريخ الجنس العربي: ٨/ ٣٨٣-٣٨٤. وكأن محب الدين الخطيب -رحمه الله- يميل إلى هذا الرأي ويُدافع عنه. انظر: العواصم ٢٣٣-٢٣٤.

(٣) صحيح مسلم بشرح النووي: ١٢/ ٢٣٣-٢٣٤.

قال النووي مُعلقًا على هذا الحديث وشارحًا له: «قوله: فاضربوا عنق الآخر معناه: ادفعوا الثاني فإنه خارج على الإمام، فإن لم يندفع إلا بحرب وقتال فقاتلوه، فإن دعت المقاتلة إلى قتاله جاز قتله، ولا ضمان فيه؛ لأنه ظالم متعدٍّ في قتاله»(١).

وبذلك يكون الظالم هو ابن زياد وجيشه، الذين أقدموا على قتل الحسين ﷺ بعد أن رفضوا ما عرض الحسين من الصلح.

ثم إنَّ نصح الصحابة للحسين يجب أن لا يُفهم على أنهم يرونه خارجًا على الإمام، وأنَّ دمه حينئذ يكون هدرًا كما ذهب لذلك يوسف العش(٢). بل إن الصحابة -رضوان الله عليهم- أدركوا خطورة أهل الكوفة على الحسين، وعرفوا أن أهل الكوفة كذبة، وقد حملت مضامين نصائحهم هذه المفاهيم.

«فتبين بذلك غلط الحسين، إلا أنه في أمر دنيوي لا يضرُّه الغلط فيه، وأما الحكم الشرعي فلم يغلط فيه؛ لأنه منوط بظنِّه، وكان ظنُّه القدرة على ذلك»(٣).

وأما الصحابة -رضوان الله عليهم- الذين كانوا بالحجاز، ومصر، والعراق، والشام، والذين لم يُتابعوا الحسين -رضوان الله عليه- فلم يُنكروا عليه ولا أثَّموه؛ لأنه مجتهد، وهو أسوة للمجتهدين به(٤).

قال شيخ الإسلام: «وأحاديث النبي ﷺ التي يأمر فيها بقتل المفارق للجماعة لم تتناوله، فإنه ﷺ لم يفارق الجماعة، ولم يُقتل إلا وهو طالب للرجوع إلى بلده، أو

---

(١) صحيح مسلم بشرح النووي: ١٢/ ٢٣٤.

(٢) يوسف العش، الدولة الأموية: ١٦٨.

(٣) ابن خلدون، المقدمة: ١/ ٢٧١.

(٤) المصدر السابق: ١/ ٢٧١.

إلى الثغر، أو إلى يزيد، داخلاً في الجماعة، مُعرضًا عن تفريق الأمة، ولو كان طالب ذلك أقلَّ الناس لوجب إجابته إلى ذلك، فكيف لا تجب إجابة الحسين»[١]، «ولم يقاتل وهو طالب الولاية، بل قُتل بعد أن عرض الانصراف بإحدى ثلاث...بل قُتل وهو يدفع الأسر عن نفسه، فقتل مظلومًا»[٢].

٢- اعتقادنا في قتل الحسين رضي الله عنه:

وبعد أن توصَّلنا إلى تقرير الحقيقة السابقة من أن الحسين ﷺ قُتل مظلومًا شهيدًا، فإن اعتقادنا في قتله ﷺ كما قال شيخ الإسلام:

«وأما قتل الحسين –رضي الله عنه– فلا ريب أنه قُتل مظلومًا شهيدًا، كما قتل أشباهه من المظلومين الشهداء، وقَتل الحسين معصية لله ولرسوله ممن قتله، أو أعان على قتله، أو رضي بذلك، وهو معصية أُصيب بها المسلمون من أهله وغير أهله، وهو في حقِّه شهادة له، ورفعة درجة، وعلوُّ منزلة.

فإنه هو وأخاه سبقت لهما من الله السعادة، التي لا تُنال إلا بنوع من البلاء، ولم يكن لهما من السوابق ما لأهل بيتهما؛ فإنهما تربَّيا في حِجْر الإسلام في عزٍّ وأمان، فمات هذا مسمومًا، وهذا مقتولاً، لينالا بذلك منازل السعداء وعيش الشهداء»[٣].

---

(١) منهاج السنة: ٤/ ٥٥٦. (بتصرف).

(٢) المصدر السابق: ٦/ ٣٤٠. (بتصرف).

(٣) منهاج السنة: ٤/ ٥٥٠.ولعلّ في هذا وغيره من كلام شيخ الاسلام ابن تيمية ردًّا على أولئك الذين يتّهمون شيخ الاسلام بالنَّصب،ولكن كيف بمن قاده هواه،وتابع أسلافه بغير عقل ولا تدبّر، وأعماه التعصّب والحقد،وعاش ولا يزال على أطلال النحيب والعويل أن يفهم ويعقل تلك الدرر التي يتحدّث بها ابن تيمية؟!

وهذا هو قول أهل السنة، وهو القول الوسط في هذه المسألة بين الغلو والتفريط [١].

ونعتقد أن الحسن والحسين **سيدا شباب أهل الجنة** [٢] كما ثبت عنه ﷺ.

ونعتقد أن رسول الله ﷺ كان يحب الحسن والحسين ويقول: (**حسين مني وأنا منه، أحبَّ الله من أحبَّه. الحسن والحسين سبطان من الأسباط**) [٣]. ونحن نحب ما يحب رسول الله ﷺ.

قال البغدادي عن عقيدة أهل السنة والجماعة في آل البيت: «وقالوا بموالاة الحسن والحسين، والمشهورين من أسباط رسول الله ﷺ، كالحسين بن الحسن،

---

(١) منهاج السنة: ٤/ ٥٥٣.

(٢) أحمد، المسند: ٣/ ٣، ٦٢، ٦٤، ٨٢، ٥/ ٣٩١، ٣٩٢؛ الترمذي، السنن: ٥/ ٥٥٦. وقال: (هذا حديث صحيح)؛ ابن بلبان، الإحسان بترتيب صحيح ابن حبان: ٩/ ٥٥ رقم (٦٩٢٠)؛ الحاكم، المستدرك: ٣/ ١٦٧؛ الخطيب، تاريخ بغداد: ٢/ ١٨٥، ٤/ ٢٠٧، ٦/ ٣٧٢، ٩/ ٢٣٢، ١١/ ٩٠؛ الهيثمي، مجمع الزوائد: ٩/ ١٨٢؛ السخاوي، المقاصد الحسنة ٤٠٧؛ العجلوني، كشف الخفاء: ١١٣٩. وهذا الحديث من الأحاديث المتواترة، انظر: المناوي، فيض القدير: ٣/ ٤١٥؛ الكتاني، نظم المتناثر: ٢٣٥.

(٣) أحمد، المسند: ٤/ ١٧٢، وله أيضًا فضائل الصحابة: ٢/ ٧٧٢؛ البخاري، الأدب المفرد: ص١٣٣ رقم (٣٦٦)؛ وله أيضًا التاريخ الكبير: ٤/ ٢/ ٤١٤-٤١٥؛ الترمذي، السنن: ٥/ ٦٥٩، وقال: (هذا حديث حسن)؛ ابن ماجه، السنن: ١/ ٥١؛ ابن بلبان، الإحسان بترتيب صحيح ابن حبان: ٩/ ٥٥ رقم (٦٩٣٢)؛ الطبراني، المعجم الكبير: ٣/ ٣٢، وقال الهيثمي، في مجمع الزوائد: ٩/ ١٨١ (رواه الطبراني في الكبير وإسناده حسن)؛ الحاكم، المستدرك: ٣/ ١٧٧، وانظر قريبًا منه في المسند: ٢/ ٢٨٨، ٤٤٠، ٥٣١؛ أحمد، فضائل الصحابة: ٢/ ٧٧١ (١٣٥٩)؛ ابن ماجه ١/ ٥١؛ الطبراني، الكبير: ٣/ ٤١؛ الحاكم: ٣/ ١٧١، كلها بأسانيد صحيحة عن أبي هريرة.

وعبد الله بن الحسن، وعلي بن الحسين (زين العابدين)، ومحمد بن علي بن الحسين المعروف بالباقر... وجعفر بن محمد المعروف بالصادق...

وكذلك قولهم في سائر أولاد علي من صلبه؛ كالعباس، وعمر، ومحمد ابن الحنفية، وسائر من درج على سنة آبائه الطاهرين، دون من مال منهم إلى الاعتزال، أو الرفض، ودون من انتسب إليهم وأسرف في عدوانه وظلمه»[١].

وقال صديق حسن خان: «ويحبُّون أهل بيت رسول الله ﷺ، ويتولَّونهم، ويحفظون فيهم وصيَّة رسول الله ﷺ، حيث قال يوم غدير خم[٢]: (**أذكّركم الله في أهل بيتي. مرتين**)[٣].

وقال للعباس عمَّه حين اشتكى من بعض قريش لا يلقونه بوجه طلق: (**والذي نفسي بيده لا يؤمنون حتى يحبوكم لله ولقرابتي**)»[٤][٥].

وقال ابن كثير: «وكل مسلم ينبغي أن يحزنه قتله ﷺ؛ فإنه من سادات المسلمين، وعلماء الصحابة، وابن بنت رسول الله ﷺ، التي هي أفضل بناته، وقد كان عابدًا شجاعًا سخيًا»[٦].

---

(١) البغدادي، الفرق بين الفرق: ٣٦٠.

(٢) غدير خم: بين مكة والمدينة، بينه وبين الجحفة ميلان. (معجم البلدان ٤/ ١٨٨).

(٣) مسلم: ص٢٤٠٨.

(٤) أحمد، المسند: ١/ ٢٠٧-٢٠٨، ٤/ ٦٥، قال أحمد شاكر: إسناده صحيح رقم ١٧٧٣، وانظر قريبًا منه في مسند أحمد الأموي (مسند أبي بكر الصديق): ص٦٤.

(٥) الصديق حسن خان، قطف الثمر في بيان عقيدة أهل الأثر: ص١٠١-١٠٢.

(٦) البداية والنهاية: ٩/ ٢٠٥.

ولا شك أن قتل الحسين رضي الله عنه من أعظم الذنوب، وأن فاعل ذلك والراضي به، والمعين عليه مستحق لعقاب الله الذي يستحقه أمثاله.

وقد استشنع السلف قتل الحسين رضي الله عنه، فقال إبراهيم النخعي: «لو كنت فيمن قتل الحسين، ودخلت الجنة، لاستحييت أن أنظر إلى وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم»[(١)].

لكن هناك أمرًا يجب التفطُّن له؛ فإن قتله رضي الله عنه ليس بأعظم من قتل الأنبياء، السابقين الأولين، ومن قُتل في حرب مسيلمة، وكشهداء أحد، والذين قتلوا ببئر معونة، وكقتل عثمان، وقتل علي[(٢)]. كما أن اعتقادنا في الحسين يختلف عن اعتقاد الشيعة فيه؛ فإن الشيعة يعتبرون أن قتل الحسين أعظم مصيبة، ويُظهرون الجزع، والحزن الذي لعلّ أكثره تصنُّع ورياء[(٣)]، وقد كان أبوه علي رضي الله عنه أفضل منه، وقد قُتل يوم الجمعة، وهو خارج إلى صلاة الفجر، في السابع عشرة من رمضان سنة أربعين، ومع ذلك لا يتخذون مقتله مأتمًا كيوم مقتل الحسين.

وعثمان كان أفضل من علي عند أهل السنة والجماعة، وقد قُتل وهو محصور في داره في أيام التشريق من شهر ذي الحجة سنة ست وثلاثين، وقد ذُبح من الوريد إلى الوريد[(٤)]، وظُلم عثمان كان أعظم من ظلم الحسين، وصبره وحلمه كان أكمل، وكلاهما

---

(١) الطبراني، الكبير: ٧/ ١٩٥، وقال الهيثمي: ٩/ ١٩٤، ورجاله ثقات؛ ابن عساكر ترجمة الحسين: ٢٦٠؛ ابن عبد ربه، العقد الفريد: ٤/ ٣٨٣؛ المزي، تهذيب الكمال: ٦/ ٤٣٩؛ ابن حجر تهذيب التهذيب: ٢/ ٣٠٦.

(٢) ابن تيمية، منهاج السنة: ٤/ ٥٥٩-٥٦٠ (بتصرف).

(٣) ابن كثير: ٩/ ٢٠٤.

(٤) المصدر السابق: ٩/ ٢٠٥.

مظلوم شهيد[١].

«وإنكار الأمة لمقتل عثمان ﷺ أعظم من إنكار الأمة لمقتل الحسين، ولا انتصرت للحسين ﷺ من الجيوش مثل ما انتصرت لعثمان، ولا انتقم أعوانه من أعدائه كما انتقم أعوان عثمان من أعدائه، ولا حصل بقتله من الفتنة والشر والفساد ما حصل بقتل عثمان، ولا كان قتله أعظم إنكارًا عند الله وعند رسوله وعند المؤمنين من قتل عثمان؛ فإن عثمان من أعيان السابقين للإسلام، وهو خليفة المسلمين، أجمعوا على بيعته، بل لم يُشهر في الأمة سيفًا، ولا قتل على ولايته أحدًا.

وكان يغزو بالمسلمين الكفار بالسيف، وكان السيف في خلافته كما كان في خلافة أبي بكر وعمر مسلولاً على الكفار، مكفوفًا عن أهل القبلة، ثم إنه طُلب قتله وهو خليفة فصبر، ولم يقاتل دفاعًا عن نفسه حتى قُتل، ولا ريب أن هذا أعظم أجرًا، وقتله أعظم إثمًا ممن لم يكن متوليًا فخرج يطلب الولاية، ولم يتمكن من ذلك حتى قاتله أعوان الذين طلب أخذ الأمر منهم، فقاتل عن نفسه حتى قتل.

ولا ريب أن قتال الدافع عن نفسه وولايته أقرب من قتال الطالب؛ لأنه يأخذ الأمر من غيره. وعثمان ترك القتال دفعًا عن ولايته، فكان حاله أفضل من حال الحسين، وقتله أشنع من قتل الحسين...

والمنتصر لعثمان: معاوية وأهل الشام، والمنتصرون من قتلة الحسين: المختار ابن أبي عبيد الثقفي وأعوانه، ولا يشك عاقل أن معاوية ﷺ خير من المختار؛

(١) منهاج السنة: ٢/ ٦٧ (بتصرف).

فإن المختار كذّاب ادعى النبوة»(١).

«وكذلك عمر بن الخطاب - وهو أفضل من عثمان وعلي - قُتل وهو قائم يصلِّي بالمحراب صلاة الفجر، ولم يتخذ الناس يوم قتله مأتمًا. وكذلك الصدّيق كان أفضل منه، ولم يتّخذ الناس يوم وفاته مأتمًا. ورسول الله ﷺ سيد ولد آدم في الدنيا والآخرة، وقد قبضه الله إليه كما مات الأنبياء قبله، ولم يتخذ أحد يوم موتهم مأتمًا يفعلون فيه ما يفعله هؤلاء الجهلة (الرافضة) يوم مصرع الحسين»(٢).

ومن تدبَّر الكتاب والسنة الثابتة عن رسول الله ﷺ، واعتبر ذلك بما يجده في نفسه وفي الآفاق علم تحقيق قول الله تعالى: ﴿ سَنُرِيهِمْ ءَايَٰتِنَا فِى ٱلْءَافَاقِ وَفِىٓ أَنفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ ﴾[فصلت:٥٣].

فإن الله سبحانه وتعالى يُري عباده آياته في الآفاق وفي أنفسهم حتى يتبين لهم أن القرآن حق، فخبره صدق، وأمره عدل: ﴿ وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ صِدْقًا وَعَدْلًا ۚ لَّا مُبَدِّلَ لِكَلِمَٰتِهِۦ ۚ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴾ [الأنعام: ١١٥].

«ومما يتعلق بهذا الباب أن يُعلم أن الرجل العظيم في العلم والدين، من الصحابة والتابعين ومن بعدهم إلى يوم القيامة، أهل البيت وغيرهم، قد يحصل منه نوع من الاجتهاد مقرونًا بالظن، ونوع من الهوى الخفي، فيحصل بسبب

(١) منهاج السنة ٤/ ٣٢٨-٣٢٩ (بتصرف).

(٢) ابن كثير ٩/ ٢٠٥. ابن رجب، لطائف المعارف ٥٢-٥٣.

ذلك ما لا ينبغي اتباعه فيه وإن كان من أولياء الله المتقين.

ومثل هذا إذا وقع يصير فتنة لطائفتين: طائفة تعظِّمه وتريد تصويب ذلك الفعل واتباعه عليه، وطائفة تذمُّه فتجعل ذلك قادحًا في ولايته وتقواه...بل في إيمانه، حتى تخرجه عن الإيمان، وكلا هذين الطرفين فاسد»(١).

٣- نتائج قتل الحسين رضي الله عنه:

عند الحديث عن نتائج قتل الحسين ﷺ يجب أن نأخذ في الاعتبار ذلك الأثر الكبير الذي ولَّده هذا الحدث عند الشيعة، الأمر الذي أعطى أتباع الشيعة بعدًا جديدًا وكبيرًا في صياغة فلسفتهم حول التشيُّع. وقد جعلوا للتشيُّع نظامًا وطقوسًا، تختلف في أصولها ومنابعها وأحكامها عن أهل السنة والجماعة.

وعند دراستنا لتلك النتائج التي أسفر عنها هذا الحدث، نجد أن النتائج تنحصر في أمرين اثنين، وهما: ١- **الجانب السياسي** ٢- **الجانب الفكري العقدي**.

أولاً: الجانب السياسي:

إن من تأمّل الأحاديث الصحيحة الثابتة عن النبي ﷺ في هذا الباب - الخروج على الطاعة وعلى الإمام- علم أن الذي جاءت به النصوص النبوية خير الأمور.

«ولهذا لما أراد الحسين ﷺ أن يخرج إلى أهل العراق بعد أن كاتبوه، أشار عليه أفاضل أهل العلم والدين؛ كابن عمر، وابن عباس، وأبي بكر بن عبد الرحمن بن الحارث بن هشام، أن لا يخرج، وغلب على ظنِّهم أنه يُقتل، حتى أنَّ بعضهم

---

(١) منهاج السنة: ٤/ ٥٤٢-٥٤٣ (بتصرف).

قال: أستودعك الله من قتيل.

وهم في ذلك قاصدون نصيحته، طالبون لمصلحته ومصلحة المسلمين. والله ورسوله إنما يأمر بالصلاح لا بالفساد، ولكن الرأي يصيب تارة ويخطئ أخرى.

فتبين أن الأمر على ما قاله أولئك، ولم يكن في الخروج لا مصلحة دين ولا مصلحة دنيا، بل تمكَّن أولئك الظلمة الطغاة من سبط رسول الله ﷺ حتى قتلوه مظلومًا شهيدًا، وكان في خروجه وقتله من الفساد ما لم يكن حصل لو قعد في بلده؛ فإن ما قصده من تحصيل الخير ودفع الشر لم يحصل منه شيء، بل زاد الشرُّ بخروجه وقتله، ونقص الخير بذلك، وصار ذلك سببًا لشرٍّ عظيم، وكان قتل الحسين مما أوجب الفتن، كما كان قتل عثمان مما أوجب الفتن.

وهذا كلّه مما يبين أن ما أمر به النبي ﷺ من الصبر على جور الأئمة، وترك قتالهم والخروج عليهم هو أصلح الأمور للعباد في المعاش والمعاد، ومن خالف ذلك متعمدًا أو مخطئًا لم يحصل بفعله صلاح بل فساد.

ولهذا أثنى النبي ﷺ على الحسن بقوله: (**إن ابني هذا سيِّد، وسيصلح الله به بين فئتين عظيمتين من المسلمين**)، ولم يثن على أحد لا بقتال في فتنة، ولا بخروج على الأئمة، ولا نزع يد من طاعة، ولا مفارقة للجماعة»[1].

ومن هنا يتبيّن فساد رأي البعض من الذين يُحبُّون الثورات والفتن، وسفك الدماء؛ حيث يقول أحدهم: «وإذا كان الحسين قد هزم في معركة حربية أو خسر

---

(١) منهاج السنة: ٤/ ٥٣٠-٥٣١.

قضية سياسية، فلم يعرف التاريخ هزيمة كان لها من الأثر لصالح المهزومين كما كـان لدم الحسين؛ فلقد أثار مقتله ثورة أهل المدينة، وثورة عبـد الله بـن الـزبير، وخـروج المختار والتوابين، ولم ينقض ذلك حتى أفضى الأمر إلى ثورات أخرى...»[١].

والحسين ﷺ قد أبدى الرجوع، بل والذهاب إلى يزيد ليبايعـه، ولكـن خطـأ ابن زياد وجريمته قد جرَّت على الدولة نكبـات كثـيرة وحـروب طاحنـة، حتـى تسبَّبت في إقصاء الدولة الأموية، والقضاء عليها.

ولعلّ من أبرز النتائج المباشرة بعد مقتل الحسين: التفـاف النـاس حـول ابـن الزبير، وتصويب خروجه على يزيد، حتى قاد حركة المعارضة في الحجاز.

ومن النتائج أيضًا: قيام حركات ثأرية في الكوفة وغيرها؛ مثل حركة التوَّابين سنة ٦٤-٦٥هـ، وحركة المختار بن أبي عبيد الثقفي سـنة ٦٧هـــ. وكلهـا نـادت بالثأر لمقتل الحسين رضي الله عنه[٢].

ثانيًا: الناحية الفكرية والعقائدية:

إنّ المهم من النتائج التي أعقبت مقتل الحسين ﷺ، واستشهاده بكـربلاء هـو ذلك الغلو الكبير الذي ولَّده استشهاده لدى الشيعة.

ويُعتـبر استـشهاد الحـسين نقطـة تحـوُّل هامـة في التـاريخ الفكـري والعقـدي

---

(١) مقال م عطا الله عابـد في مجلـة أفغانـستان: ص٤٣؛ وأيّ خـير جـرى للمـسلمين مـن تلـك الثورات، سوى سفك الدماء، وضياع الأمن، وذهاب المال، وتوقّف الجهاد في سبيل الله!

(٢) العقيلي، يزيد بن معاوية: ص٥٣؛ هند غسان، حركة المختار: ١٢٤.

للتشيُّع؛ إذ لم يقتصر أثر هذه الحادثة الأليمة على إذكاء آثار التشيع في نفوس الشيعة وتوحيد صفوفهم، بل ترجع أهمية هذه الحادثة إلى أن التشيُّع كان قبل مقتل الحسين مجرد رأي سياسي لم يصل إلى عقائد الشيعة، فلمَّا قتل الحسين امتزج التشيُّع بدمائهم، وتغلغل في أعماق قلوبهم، وأصبح عقيدة راسخة في نفوسهم[(١)].

بل اعتبر البعض أن الطائفة الشيعية إنما اتضحت ونشأت إثر مقتل الحسين وأسرته[(٢)].

لقد نظر الشيعة إلى استشهاد الحسين على أنه أهم من استشهاد علي بن أبي طالب نفسه؛ لأن الحسين ابن بنت رسول الله ﷺ[(٣)].

وقد اعتنق الفرس مبدأ التشيُّع، وبذلك تمركزت العقيدة الشيعية حول الحسين وسلالته دون الحسن وذريته، وإلى اعتناق مبدأ حق الحسين بن علي الإلهي وذريته في الخلافة، وأن الإمامة بالنص لا بالاختيار[(٤)].

بل اعتبر الشيعة سفك دم الحسين في سهل كربلاء ذا قيمة في التضحية تشبه سفك دم المسيح المزعومة عند المسيحية[(٥)].

---

(١) أحمد محمود صبحي: نظرية الإمامة: ص٤٧؛ كامل مصطفى الشيبي، الفكر الشيعي: ص٢٢؛ فلهاوزن، تاريخ الدولة العربية: ص١٤٤؛ محمد ماهر حمادة، الوثاق السياسية للجزيرة العربية: ص١٩؛ موسى الموسوي، الشيعة والتصحيح: ص١٣.

(٢) ول ديورانت، قصة الحضارة: ٢/ ٣٢.

(٣) فلهاوزن، الخوارج والشيعة: ١٨٨.

(٤) محمد ماهر حمادة، الوثاق السياسية للجزيرة العربية: ص١٩-٢٠.

(٥) عبد المنعم ماجد، التاريخ السياسي: ٢/ ٧٧.

ولم يقتصر التمايز الفكري والعقدي بين أهل السنة والشيعة بعد مقتل الحسين، بل إن الشيعة أنفسهم قد أثَّر فيهم مصرع الحسين، وانقسموا على أنفسهم، وافترقوا بعد مقتله إلى فرق[1].

ولكي يكون لمقتل الحسين أهمية خاصة عند الشيعة فقد أكَّدوا على أهمية يوم عاشوراء، وتفنَّنوا في إظهار الحزن في ذلك اليوم، كما ابتدعوا لفضائل ذلك اليوم من الأحاديث والآثار ما لا يقع عليه الحصر، وقد جعلوا البكاء على الحسين يوم عاشوراء يمسح الذنوب ويغفر ما تقدَّم منها، مما جعل الاحتفال بيوم عاشوراء واجبًا دينيًا يقوم به الحكَّام والمحكومون على السواء، ويُبالغون في إظهار عواطفهم المذهبية في هذا اليوم الحزين[2].

لقد أراد واضعو أصول التشيُّع وعقائده التأكيد على يوم عاشوراء[3]، ويكون

---

(١) النوبختي، فرق الشيعة: ص٢٣ وما بعدها.

(٢) عبد المنعم حسنين، إيران في ظل الإسلام: ص١٠٤.

(٣) قال شيخ الإسلام: «وصار الشيطان بسبب قتل الحسين ﷺ يحدث للناس بدعتين: بدعة الحزن والنوح يوم عاشوراء من اللطم والصراخ والبكاء والعطش وإنشاء المراثي، وما يفضي إلى سب السلف، وكذلك بدعة السرور والفرح.

(منهاج السنة: ٤/ ٥٥٤-٥٥٦، ابن عبد الوهاب، رسالة في الرد على الرافضة: ص١٩).

ومن المعلوم أن الأحاديث التي وردت بفضل الاكتحال والتزيُّن والتوسعة يوم عاشوراء، إلى غير ذلك من الفضائل لا يصح منها شيء، ولا يثبت فيها من النبي ﷺ سوى أحاديث صيامه، وأما ما عداها فهو باطل. (ابن القيم، والمنار المنيف: ١١١-١١٢)، وانظر إلى نماذج من الأحاديث الموضوعة في يوم عاشوراء (السخاوي، المقاصد الحسنة: ٤٤١؛ السيوطي، اللآلئ المصنوعة: ٢/ ١١١-١١٤؛ ابن عراق، تنزيه الشريعة: ٢/ ١٥٧-١٥٨؛ المناوي، =

التشيع عقيدة ملتهبة في نفوس أتباعها.

وكانت دولتهم تهتم بهذا الأمر؛ فمثلاً في الدولة البويهية: كانت الدبادب تضرب ببغداد ونحوها من البلاد في يوم عاشوراء، ويُذر الرَّماد والتبن في الطرقات والأسواق، وتُعلَّق المسوح في الدكاكين، ويُظهر الناس الحزن والبكاء، وكثير منهم لا يشرب الماء ليلة إذ، موافقة للحسين، لأنه قُتل عطشان.

ثم تخرج النساء حاسرات عن وجوههن ينحن ويلطمن وجوههن وصدورهن، حافيات في الأسواق، إلى غير ذلك من البدع الشنيعة، والأهواء الفظيعة، والهتائك المخترعة[1].

وكان مثل هذا الأمر يحصل في أيام بني عبيد عند حكمهم لمصر[2]، وقد بالغ الشيعة في الإهتمام بقبر الحسين - حسب زعمهم - حتى جعلوا قصده بالزيارة أفضل من الحج إلى الكعبة[3]، بل إن معتقدهم ينصُّ على أن من يزور قبر الحسين

= فيض القدير: ٦/ ٢٣٥-٢٧٦؛ العجلوني، كشف الخفاء: ٢/ ٢٨٣-٢٨٤؛ اللكنوي، الآثار المرفوعة: ص٢٢٥-٢٣١. الزركشي، التذكرة: ١٨٨؛ الألباني، السلسلة الضعيفة: ٢/ ٨٩ رقم (٦٢٤). والعجيب أن الحكيم الترمذي يورد الأحاديث الموضوعة في فضل يوم عاشوراء والتزين فيه ويشرحها؛ انظر: نوادر الأصول: ٢٤٦.

(١) ابن كثير: ٩/ ٢٠٤.

(٢) المقريزي؛ الخطط: ١/ ٤٣١. وكانت الفتن في مصر بسبب يوم عاشوراء من أيَّام الإخشيديين، وكان عبيد كافور يتعصبون على الشيعة، ويقفون على الطرقات يوم عاشوراء، ويقولون للرجل «من خالك؟» فإن قال: معاوية أكرموه، وإن سكت لقي المكروه، وأُخذت ثيابه وما معه. (المقريزي، اتعاظ الحنفاء: ١/ ١٤٦).

(٣) أبو جعفر الطوسي، تهذيب الأحكام: ٦/ ٤٧.

فكأنه زار الله فوق عرشه[١]. تعالى الله عن هذا علوًا كبيرًا.

وأصبح تكفير معاوية ويزيد إضافة إلى الخلفاء الراشدين أصلاً عند أهل التشيُّع، ولربما جاهر أحدهم بهذه العقيدة أمام أهل السنة، وتحصَّل القتل الذي يعتبره بحقِّه شهادة[٢].

وكان للشعراء الأثر الخطير في تحريك المشاعر؛ وذلك بإلقاء القصائد التي تذكِّر بقتل الحسين وظلمه[٣].

---

(١) المصدر السابق: ٦/ ٤٦. ولكي نطَّلع على حقيقة الغلو في الحسين فسنعرض إلى أقوالهم واعتقاداتهم في ذلك:
«زيارة قبر الحسين تعدل عشرين حجة، وأفضل من عشرين عمرة وحجة»(تهذيب الأحكام ٦/ ٤٧). «من زار قبر الحسين يوم عرفة كتب الله له ألف ألف حجة مع القائم، وألف ألف عمرة مع رسول الله ﷺ، وأعتق ألف ألف نسمة، وحملان ألف ألف فرس في سبيل الله، وسمّاه الله عز وجل عبدي الصديق آمن بوعدي، وقالت الملائكة: فلان صديق زكّاه الله فوق عرشه، وسُمّي في الأرض كروبيًا».(تهذيب الأحكام ٦/ ٤٩-٥٠).
«إن الله يبدأ بالنظر إلى زوار قبر الحسين عشية عرفة قبل نظره إلى أهل الموقف؟ قال: نعم، قلت: وكيف ذلك؟ قال: لأن في أولئك أولاد زنا وليس في هؤلاء أولاد زنا». تهذيب الأحكام ٦/ ٥٠-٥٧..

(٢) ابن حجر الهيثمي، الصواعق المحرقة: ص٣٧٦. وانظر معتقدات الباطنية بهذا الشأن في مشكاة الأنوار ليحيى العلوي: ص٦٤-٧٣، ابن فضل الله العمري، المصطلح الشريف: ص٢٠٢، سبط ابن الجوزي، مرآة الزمان: ١/ ١٢٦.

(٣) أبو بكر الصولي؛ الأوراق في أخبار الشعراء المحدثين: ١٨١-١٨٢؛ ابن المعتز، طبقات الشعراء: ٣٢، ٣٤، ٢٤٣؛ الأصفهاني، خريدة القصر، القسم العراقي الجزء الثاني: ٣٠٣؛ العيني، عقد الجمان: ص١٣٤. ابن كثير: ١٢، النعيمي، الدارس في تاريخ المدارس: ١/ ٤٧٩؛ المقري، نفح الطيب: ٥/ ٧٠، ٧/ ٣٦٥.

وربما اتخذ الشعراء من إلقاء شعرهم الذي يُظهر حزنهم وأسفهم على الحسين طريقًا سهلاً للكسب[١]، وحتى المنامات أصبح لها نفس الدور كذلك[٢].

ولكن معتقدات الشيعة لم تقف عند هذا الحدّ فقط، بل أصبح الشيعة لديهم الاستعداد للتعاون مع أي عدوٍّ لضرب المسلمين السنة، مهما كانت طبيعة هذا العدو.

ولقد أورثهم مقتل الحسين حقدًا عظيمًا على أهل السنة والجماعة، مع أنهم هم الذين غرَّروا وفرَّطوا بالحسين رضي الله عنه.

وقد أصبح التشفِّي من أهل السنة والتنكيل بهم قربة إلى الله، وتذكيرًا لهم بما فُعِلَ بالحسين وأهل بيته.

فعندما حدثت الفتنة بين الشيعة والسنة في بغداد قُبيل مقدم هولاكو كتب الوزير ابن العلقمي إلى نائب الخليفة بأربد: وهو تاج الدين محمد بن حلايا، وهو شيعي، رسالة يقول فيها:

نهب الكرخ المكرم والعترة العلوية، وحسن التمثيل بقول الشاعر:

أمور تضحك السفهاء منها ويبكي من عواقبها اللبيب

فلهم أسوة بالحسين؛ حيث نُهب حريمه، وأُريق دمه[٣].

ثم قام الوزير ابن العلقمي بمراسلة التتار وأطمعهم في غزو بغداد، وهيَّأ

---

(١) ياقوت، إرشاد الأريب: ٤/ ٥٧-٥٨.

(٢) إحسان عباس، شذرات من كتب مفقودة: ص١٥٨.

(٣) السبكي، طبقات الشافعية: ٨/ ٢٦٣؛ ابن الوردي، المختصر: ٢/ ٢٨٢.

للتتار الأمر حتى غرر بالخليفة ومن معهم، فقتلهم التتار، ثم كانت المصيبة والفجيعة الكبيرة: تدمير بغداد تدميرًا كاملًا بيد التتار، وكل ذلك فعله ابن العلقمي بزعمه أنه ينتقم للحسين وأهله(١). وقال شيخ الإسلام:

«ومن العجيب أن هؤلاء الرافضة يدَّعون تعظيم آل محمد عليه الصلاة والسلام، وهم سعوا في مجيء التتار الكفار إلى بغداد دار الخلافة، حتى قَتلت الكفار من المسلمين ما لا يحصيه إلا الله تعالى من بني هاشم وغيرهم، وقتلوا بجهات بغداد ألف ألف وثمانمائة ألف ونيفًا وسبعين ألفًا، وقتلوا الخليفة العباسي، وسبوا النساء الهاشميات وصبيانهم، فهذا هو البغض لآل محمد ﷺ بلا ريب.

وكان ذلك من فعل الكفار وبمعاونة الرافضة، وهم الذين سعوا في سبي الهاشميات ونحوهم إلى يزيد وأمثاله - على حدِّ زعمهم- فما يعيبون على غيرهم بعيب إلا وهو فيهم أعظم»(٢).

بل إن علماء الشيعة حرَّضوا الطاغية تيمورلنك على الانتقام من أهل دمشق؛ لأن يزيد كان في دمشق، وكانت دمشق عاصمة الدولة الأموية، فلا بد -في نظرهم- أن يدفعوا ثمن مقتل الحسين ﷺ، فعذَّب وقتل الكثيرين من أهل دمشق بسببهم(٣).

ويبقى قتل الحسين ﷺ مصيبة من المصائب، وخطأ شنيعًا ارتكبه ابن زياد

---

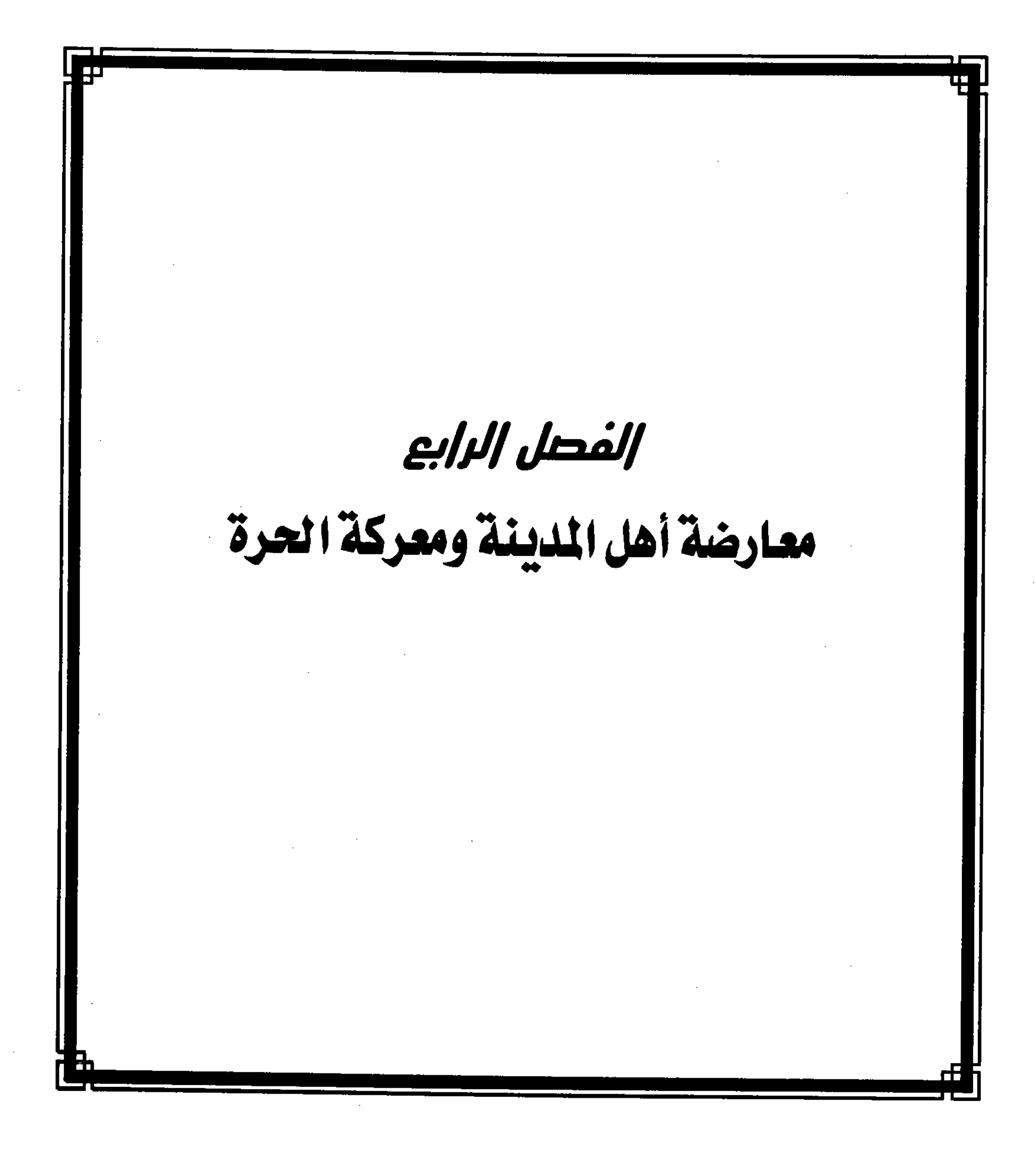
(١) ابن كثير: ١٣/ ٢١٤-٢١٦.

(٢) منهاج السنة: ٤/ ٩٢.

(٣) ابن عربشاه، عجائب المقدور في نوائب تيمور: ١٥٩-١٦٠؛ ابن تغري، المنهل الصافي: ٤/ ١٢٤؛ فامبري، تاريخ بخارى: ٢٤١.

بحقه، وليس هو بأعظم من مصيبة المسلمين بالرسول ﷺ ،وبأبي بكر، وبعمر، وبعثمان، وبعليّ -رضي الله عنهم- وأحسن ما يُقال عند ذكر هذه المصائب وأمثالها: ما رواه عليٌّ بن الحسين عن جده رسول الله ﷺ أنه قال: (**ما من مسلم يصاب بمصيبة فيتذكَّرها وإن تقادم عهدها، فيُحدث لها استرجاعًا إلا أعطاه الله من الأجر مثل يوم أُصيب فيها**)[1].

(١) أحمد، المسند. وقال أحمد شاكر: ٣/ ١٧٣٥ رقم (١٧٣٥)، إسناده ضعيف جدًا، ابن ماجه،السنن: ١/ ٥١٠ رقم (١٦٠٠).



الفصل الرابع

معارضة أهل المدينة ومعركة الحرة



الفصل الرابع

معارضة أهل المدينة ومعركة الحرة

تمهيد: عرض مصادر معركة الحرة:

تعتبر معركة الحرة من أكبر النكبات التي ابتُليت بها الأمة الإسلامية في القرن الأول الهجري؛ حيث تعتبر الثانية بعد معارك الجمل وصفين من حيث الخطورة واقتناع كل فريق بصحة ما أقدم عليه.

ومع تلك الأهمية لهذه المعركة، فإن ما وصل إلينا عنها من خلال الكتب التاريخية قد لا يتناسب مع منزلة هذه المعركة، إذا ما قورنت مثلاً بمقتل الحسين ﷺ.

ولعل السبب في ذلك يعود إلى عدم وجود دوافع عقائدية أو حزبية، تجعل من التأليف لهذه المعركة ودراستها سببًا في التقرب إلى الله، أو المساهمة في إحداث وبلورة معتقد معين، كما هو الحال في مقتل الحسين ﷺ.

ومع ذلك فإن ما وصل إلينا من تلك التآليف عن معركة الحرة يمكن أن يعطينا خطوطًا عريضة، نستطيع من خلالها التحدُّث بشيء من التفصيل عن تلك الحادثة.

* ولعل أقدم الأخباريين الذين وصلت إلينا رواياتهم عن معركة الحرة هو: عوانة[1] **بن الحكم**. وبالرغم من عدم ذكر مؤلَّف له باسم **«معركة الحرة»** إلا أن ابن النديم، قد عدَّ من كتب عوانة بن الحكم كتابًا سمَّاه: **«سيرة معاوية وبني أمية»**[2]. فلعل النقولات التي استقاها المتأخرون عن عوانة فيما يخص معركة

---

(١) انظر ترجمته في كل من ياقوت: معجم الأدباء ١٦/ ١٣٤؛ الذهبي، السير: ٧/ ٢٠١؛ ابن حجر، لسان الميزان: ٤/ ٣٨٦.

(٢) ابن النديم، الفهرست: ص١٠٣.

الحرة، مصدرها هذا الكتاب الآنف الذكر.

وبالطبع فإن كتاب عوانة لم يصل إلينا، ولعله فُقد منذ فترة متقدمة جدًا، ولكن النصوص التي استقاها الطبري[١]، والبلاذري[٢]، وخليفة[٣] من كتاب عوانة - على الرغم من قلتها- حافظة إلى حد كبير لمواضع مهمة من هذا الكتاب.

* ويبرز أبو مخنف[٤] كأحد الأخباريين القدماء الذين ألَّفوا كتبًا تتعلق بمعركة الحرة، وقد كان لأبي مخنف مؤلف يشتمل على: «وفاة معاوية، وولاية ابنه يزيد، ووقعة الحرة، وحصار ابن الزبير»[٥].

وعلى الرغم من أن أبا مخنف كان تركيزه على أحداث العراق، إلا أنه استطاع أن يقدم أخبارًا مفيدة تتعلق بمعركة الحرة؛ فقد قدَّم تفصيلاً واضحًا لمعاناة الأمويين في المدينة حين محاصرتهم[٦].

وقد وصلت إلينا بعض الاقتباسات من كتاب أبي مخنف عن طريق الطبري[٧]، والبلاذري[٨].

---

(١) تاريخ الأمم والملوك: ٥/ ٤٨٧، ٤٩١، ٤٨٩، ٤٩٢، ٤٩٣، ٤٩٤.

(٢) أنساب الأشراف: ٤/ ٣٢٧، ٣٢٩، ٣٣١.

(٣) تاريخ خليفة: ٢٣٩، ٢٥٠.

(٤) الذهبي، السير: ٧/ ٣٠١، ٣٠٢، وميزان الاعتدال: ٣/ ٤١٩، ابن حجر، لسان الميزان: ٤/ ٣٩٢.

(٥) ابن النديم، الفهرست: ص١٠٥.

(٦) الطبري: ٥/ ٤٨٢-٤٨٥.

(٧) الأمم والملوك: ٥/ ٤٨٥، ٤٨٧، ٤٨٩، ٤٩١، ٤٩٢، ٤٩٣.

(٨) أنساب الأشراف: ٤/ ٣٢٠، ٣٣٢.

* ومن الأخباريين القدماء الذين اهتموا بجوانب عن معركة الحرة: **«أبو اليقظان النسابة»**(١).

ولم تذكر المصادر لأبي اليقظان أي تآليف تتعلق بمعركة الحرة، ومن المرجَّح أن النصوص التي اقتبسها خليفة من طريق أبي اليقظان كانت ضمن كتابه «النسب الكبير»(٢)، وذلك بدليل خلوِّ الرواية من الأسانيد، على عادة مؤلفي الأنساب في الغالب.

* ومن الأخباريين الذين كان لهم اهتمام بمعركة الحرة: **الهيثم بن عدي**(٣)، وقد وصلت إلينا بعض الروايات له من طريق البلاذري فقط. ويلاحظ أنها روايات جانبية(٤)، أو روايات أخذها من طريق عوانة(٥)، الأمر الذي يعني أن الهيثم بن عدي لا يحظى بالتوثيق في أخباره عند المؤرخين القدماء.

وقد ألف الهيثم بن عدي مجموعة من الكتب التي ربما كان لها علاقة بمعركة الحرة؛ مثل: كتاب بيوتات قريش، وكتاب تاريخ الأشراف الكبير، وكتاب

---

(١) انظر مصادر ترجمته في كل من: ياقوت، معجم الأدباء: ١١/ ١٨٠، إسماعيل باشا، هدية العارفين: ١/ ٤٣٥-٤٣٦، كحالة، معجم المؤلفين: ٥/ ٥٣، وانظر دراسة مفصلة عنه لأستاذنا أكرم العمري في مقدمة تحقيقه لكتاب الطبقات لخليفة: ١٥م-٢٣م.

(٢) ابن النديم، الفهرست: ص١٠٧.

(٣) انظر مصادر ترجمته عند ابن الخطيب، تاريخ بغداد: ١٤/ ٥٠-٥٢، ابن حجر، لسان الميزان ٦/ ٢١٠.

(٤) أنساب الأشراف: ٤/ ٣٣٣، ٣٣٥.

(٥) المصدر السابق: ٤/ ٣٢٩.

الأشراف الصغير، وكتاب تاريخ الخلفاء، وكتاب التاريخ على السنين[١].

* ومن المؤرخين المهتمين بمعركة الحرة: **محمد بن عمر الواقدي**[٢]؛ حيث خصَّ معركة الحرة بتفصيل كامل، ويظهر ذلك من خلال رواياته التي وصلت إلينا، ويتَّضح من تلك الروايات تمكُّن الواقدي ودقَّته في إعطاء صورة متكاملة لمعركة الحرة، تتضمن تفصيلاً لأسماء قتلى الحرة[٣].

ولعل الذي ساعد الواقدي على ذلك هو دأبه ونشاطه ونشأته في المدينة، واهتمامه بأخبار السيرة، وأخبار الخلفاء الراشدين، الأمر الذي جعله يستحق الاعتراف من العلماء بأنه المتخصص الأول في أخبار الحجاز والسيرة[٤].

ويعتبر أبو العرب المتوفى سنة ٣٣٣هـ، هو أكثر من حافظ على مادة الواقدي المتعلقة بمعركة الحرة، ويعود له الفضل - بعد الله - في حفظ النصوص والاقتباسات الكثيرة التي أخذها من كتاب الواقدي[٥].

وقد شارك أبا العرب في حفظ نصوص الواقدي المتعلقة بالحرة ابنُ سعد

---

(١) أنساب الأشراف: ٤/ ٣٢٩.

(٢) انظر مصادر ترجمته في طبقات ابن سعد: ٧/ ٣٣٤، تاريخ بغداد: ٣/ ٣، ميزان الاعتدال: ٣/ ٦٦٢، ابن سيد الناس مقدمة عيون الأثر: ١/ ١٧-٢١.

(٣) أبو العرب، المحن: ص١٨٧-٢٠٠.

(٤) ابن النديم، الفهرست: ص١٠٦.

(٥) أبو العرب، المحن: ١٧١، ١٧٣، ١٧٤، ١٧٥، ١٧٦، ١٧٧، ١٧٨، ١٧٩، ١٨٠، ١٨١، ١٨٢، ١٨٤، ١٨٧، ٢٠٠، ٢٠١.

-تلميذ الواقدي- في كتابه الطبقات الكبرى[١].

وقد نقل عنه البلاذري في ثلاثة مواضع[٢]، وإن كنت أُرجِّح أن البلاذري يقصد حين استعماله لصيغة «قالوا»[٣]: الأسانيد الجمعية التي يرويها الواقدي.

وقد نقل عنه الطبري في موضع واحد جانبي لا تعلق له بالحرة[٤].

لقد خلَّف الواقدي نتاجًا ضخمًا في مجال التأليف التاريخي، ويبدو ذلك واضحًا من خلال قائمة مؤلفاته التي ذكرها ابن النديم[٥].

ويُحتمل أن كتاب الواقدي الذي تحدَّث فيه عن معركة الحرة، هو كتاب: التاريخ الكبير[٦]، إن لم يكن قد أفردها بكتاب.

وكتب الواقدي المتعلقة بالتاريخ الأموي مكثت إلى فترة لاحقة؛ فابن أبي أصيبعة المتوفى سنة ٦٦٨هـ ينقل عن أحد هذه الكتب وجادة[٧].

ويبدو أن التاريخ الكبير الذي ألفه الواقدي قد تعرَّض فيما بعد إلى التجزئة؛ حيث استُلَّت أجزاء منه تخص حادثة الحرة؛ فالسمهودي المتوفى سنة ٩١١هـ

---

(١) ابن سعد، الطبقات الكبرى: ط٥/ ٦٦، ٦٨، ٧١، ٥/ ١٠٠، ١٢٥، ١٤٦، ٢١٥، ٥٢٥، ٤/ ٢٨٤، الجزء المتمم: ص١٠٤، ١٠٥، ط٥/ ٢٧٤، ٢٧٣.

(٢) أنساب الأشراف: ٤/ ٣٢٦، ٣٢٧، ٣٣٧.

(٣) المصدر السابق: ٤/ ٣١٤، ٣٢٥، ٣٢٦، ٣٢٧، ٣٣٠، ٣٧١، ٣٣٣.

(٤) الأمم والملوك: ٥/ ٤٩٦.

(٥) الفهرست: ص١١١.

(٦) المصدر نفسه ونفس الصفحة.

(٧) طبقات الأطباء: ١٧٤.

ينقل من كتاب الواقدي، واسمه «كتاب الحرة»(١).

والذي يظهر من نقل السمهودي عن هذا الكتاب أنه كان موجودًا في حوزته، وأنه نقل عنه مباشرة(٢).

ولا يعرف تاريخ فقدان الكتاب بالتحديد.

* ولعل المدائني(٣) يعتبر المؤلف الأول الذي كتب مؤلفًا كاملاً عن معركة الحرة وسمّاه: «كتاب حرة واقم»(٤).

والمعروف أن المدائني من المكثرين في التأليف التاريخي(٥)، وعامة أخبار المدائني ينقلها عن عوانة بن الحكم(٦)، ولكن تخصصه ومعرفته أكثر ما تكون بأمر خراسان والهند وفارس(٧).

وبالرغم من كثرة مؤلفات المدائني إلا أنه لا يُعرف له كتاب محفوظ باسمه سوى كتاب التعازي والمراثي(٨)، ولكن وصلت إلينا بعض النصوص المهمة

---

(١) السمهودي، وفاء الوفاء: ١٢٤، ١٢٥، ١٢٧.

(٢) المصدر نفسه: ١/ ١٢٧، ١٣٢، ٤/ ١٢٠٥.

(٣) تاريخ بغداد: ١٢/ ٥٥، سير أعلام النبلاء: ١٠/ ٤٠٠-٤٠١.

(٤) ابن النديم، الفهرست: ١١٥، ياقوت، معجم الأدباء: ١٤/ ١٣٤.

(٥) انظر قائمة مؤلفاته في الفهرست لابن النديم: ص١١٣-١١٧.

(٦) ياقوت، معجم الأدباء: ١٦/ ١٣٧.

(٧) ابن النديم، الفهرست: ١١٥.

(٨) نشره: بدري محمد فهد.

لمعركة الحرة، عند كل من خليفة[١]، والبلاذري[٢]، وابن عساكر[٣].

ولعل اقتباس تلك النصوص من المدائني كانت من كتابيه: «كتاب حرة واقم»، وكتاب «أخبار الخلفاء الكبير»، والذي تحدَّث فيه عن يزيد بن معاوية ضمن بقية الخلفاء الذين ذكرهم في كتابه[٤].

* ومن الرّواة الذين شاركوا في إعطائنا معلومات إضافية عن معركة الحرة: **وهب بن جرير بن حازم**[٥] المتوفى سنة ٢٠٦هـ.

فقد نقل عنه خليفة[٦] وابن أبي خيثمة في التاريخ الكبير[٧]، والبلاذري[٨]، نصوصًا مهمة عن معركة الحرة، وهو يرويها عن أبيه[٩]، عن جويرية بن أسماء[١٠]

---

(١) تاريخ خليفة: ٢٣٩، ٢٥٠.

(٢) أنساب الأشراف: ٤/ ٣٣١.

(٣) تاريخ دمشق (ترجمة عبادة بن أوفى - عبد الله بن ثوب): ص٨٧.

(٤) الفهرست: ١١٥.

(٥) وهب بن جرير بن حازم بن زيد، أبو عبد الله الأزدي، البصري، ثقة، من التاسعة، مات سنة ٢٠٦، (التقريب: ٥٨٥).

(٦) تاريخ خليفة: ٢٣٧، ٢٣٨، ٢٣٩.

(٧) وقد وصلت إلينا روايات وهب بن جرير من طريق ابن أبي خيثمة، وقد نقل عنه خليفة في تاريخه: ص٣٣٣، ٣٣٤، ٣٣٥، ٣٣٦، وعند الطبري: ٥/ ٤٩٥، والبلاذري، أنساب الأشراف: ٤/ ٣٣٣.

(٨) أنساب الأشراف: ٤/ ٣٣٤.

(٩) جرير بن حازم بن زيد الأزدي البصري، والد وهب، ثقة، وله أوهام إذا حدث من حفظه ت سنة ١٧٠هـ بعدما اختلط، ولكنه لم يحدّث بعد اختلاطه (التقريب: ١٣٨).

(١٠) جويرية بن أسماء بن عبيد الضبعي البصري، صدوق (التقريب: ١٧٣).

عن مشايخ من المدينة. وقد ورد أن جرير بن حازم له كتاب الأزارقة[(١)].

* وكانت هناك مؤلفات مهمة عن المدينة قد فُقدت، مثل كتاب: «**تاريخ المدينة وأخبارها**»[(٢)] لمحمد بن الحسن بن زَبَالَة[(٣)].

ولقد نقل الطبري[(٤)] عن هذا الكتاب، ولكن لفترة متأخرة من تاريخ المدينة؛ حيث نقل عنه في مواضع متعددة تتعلق بحركة: محمد النفس الزكية.

ولا نعلم في أي زمان فُقد هذا الكتاب، وإن كنت أُرجّح أن هذا الكتاب موجود في القرن التاسع الهجري، وذلك من خلال تلك النقولات الكثيرة التي أخذها المراغي ت٨١٦هـ من طريق محمد بن الحسن بن زبالة؛ حيث بلغت عدد النقولات أربعة وتسعين موضعًا[(٥)]. وقد ذكر السخاوي أنه في مجلد ضخم،

---

(١) الأصفهاني، الأغاني: ١/ ٢١.

(٢) ابن النديم، الفهرست: ١٢١، كشف الظنون: ١/ ٣٠٢، وقد ذكر فهيم شلتوت في مقدمة تحقيقه لكتاب أخبار المدينة لابن شبة أن المستشرق فستفليد، قد أفرد النقول التي أخذت من كتاب محمد بن الحسن بن زبالة، وسماه «تاريخ المدينة لابن زبالة».

(٣) انظر مصادر ترجمته في كل من الذهبي، ميزان الاعتدال: ٣/ ٥١٣، السخاوي، التحفة اللطيفة: ٣/ ٥٥٦-٥٥٧.
وقد كتب د. صالح العلي عن ابن زبالة ضمن «مصادر تاريخ المدينة والحجاز»، ووصلت إلينا قطعة من كتاب له نشرها أكرم العمري بعنوان: «أزواج النبي ﷺ». وانظر عن المؤلفات في تاريخ المدينة، حمد الجاسر: ج/ ٢ من مجلة العرب: ص٩٧-١٠٠، وفي ج/ ٣ من نفس المجلة: ص٢٦٢-٢٦٦. وفي ج/ ٥ من نفس المجلة: ص٣٨٥-٣٨٨.

(٤) الأمم والملوك: ٧/ ٥٣٦، ٥٣٩-٥٤١، ٥٤٦، ٥٦١، ٥٨٢، ٥٨٩، ٥٩١، ٥٩٥، ٦٠٦، ٦١٢.

(٥) انظر فهارس كتاب المراغي، تحقيق النضرة بمعالم دار الهجرة: ص٢٢١-٢٢٢.

ولعل عبارته تدلّ على أنه رآه[١].

ونقل عنه السمهودي، ولكن فيما يخص فضائل المدينة وتاريخها القديم[٢].

* ومن الكتب المهمة التي أُلّفت عن المدينة كتاب: «**أخبار المدينة**»[٣] **لعمر ابن شبة**. وتنبع أهمية هذا الكتاب من كون مؤلفه حافظًا وعالمًا بالسير والأخبار، وله مشاركة في رواية الأحاديث النبوية[٤].

وهو لم يكتف بالتأليف عن تاريخ المدينة فقط، بل كانت له كتب تتعلّق بتاريخ مكة، والكوفة، والبصرة[٥].

ويبدو من خلال الأجزاء التي وصلت إلينا من تاريخ المدينة، والتي تتوقف عند استشهاد عثمان ﷺ أن عمر بن شبة يهتم اهتمامًا شاملاً بالأخبار السياسية، والاجتماعية، والاقتصادية.

ولقد ذهب السلمي إلى أن ثمة جزء من تاريخ المدينة قد فُقد، واستدلَّ على ذلك بأن الطبري قد نقل في مواضع متعدّدة عن تاريخ المدينة طوال العهد

---

(١) الإعلان بالتوبيخ عن ذم التاريخ: ٢٧٤.

(٢) وفاء الوفاء: ١/ ٦٠ وفي مواطن أخرى كثيرة.

(٣) الفهرست: ١٢٥، ياقوت، معجم الأدباء: ١٦/ ٦١.

(٤) تاريخ بغداد: ١١/ ٢٠٨، الذهبي تذكرة الحفاظ: ٢/ ٥١٦، وله سير أعلام النبلاء: ١٢/ ٣٧٧، السلمي، منهج كتابة التاريخ: ٣٩٩ وما بعدها.

(٥) انظر: حاشية رقم: (٢).

الأموي، والفترة الأولى من العهد العباسي[١].

وعند متابعة روايات ابن شبَّة في تاريخ الطبري، وجدت أن الطبري لم ينقل خبرًا واحدًا عن عمر بن شبّة يتعلق بالمدينة فقط دون أن يكون له علاقة إما بالبصرة أو بالكوفة، ثم إن الروايات التي نقلها الطبري عن ابن شبّة طوال العهد الأموي، إنما كانت متعلقة بتاريخ البصرة أو الكوفة، ولابن شبّة تأليف عن تلك المدينتين.

والذي يظهر أن عمر بن شبة لم يكمل «أخبار المدينة»؛ إمّا لسبب الفتنة[٢]، أو لوفاته رحمه الله.

والذي يؤكّد ذلك أن الذهبي قال عن كتاب عمر بن شبّة «أخبار المدينة»: «رأيت نصفه يقضي بإمامته»[٣].

وقال السخاوي: «جمع في أخبار المدينة - أي عمر بن شبة- كتابًا حافلاً؛ قال شيخنا – لعله يقصد ابن حجر- وقد كتب منه بخطه نسخة: قال: إنه يقطع من أواخر الأوراق شيء كثير بيض له في النسخة. ونقل منها صاحبنا نجم الدين بن فهد نسخة ما نصه: ولم أر أكثر جمعًا منه؛ اهـ. وقد وقفت على النسخة المشار إليها، وفيها الشفاء لأيضّاح الأمور أتم أيضّاح، مع كونه من الأئمة الثقات»[٤].

---

(١) منهج كتابة التاريخ: ٤٠٣.

(٢) الخطيب، تاريخ بغداد: ١١/ ٢٠٩، وذكر أنهم مزّقوا كتبه، ومكث شهرًا لا يحدِّث بسبب القول بخلق القرآن.

(٣) سير أعلام النبلاء: ١٢٢/ ٣٧٩.

(٤) التحفة اللطيفة: ٣/ ٣٧٥.

* ومن الكتب التي فُقدت: كتاب «العقيق وأخباره»[١] للزبير بن بكـار[٢]، ويبـدو أن تسمية هذا الكتاب قد تعرَّضت فيما بعد للتحريف؛ فقد نقل عنـه الـسهيلي ت٥٨١هــ[٣]، والسيوطي المتوفى سنة ٩١١هـ وسمّاه «أخبار المدينة»[٤].

ونقل عن هذا الكتاب أيضًا، الصالحي في فضائل المدينة[٥].

والـذي يظهـر أن هـذا الكتـاب لم يتنـاول التـاريخ الـسياسي للمدينـة، وإلا لوصلت إلينا معلومات تتعلق بالمدينة من الناحية السياسية، خاصة وأن الكتـاب كان موجودًا في القرن العاشر الهجري.

* والكتابان المهمان اللّذان فُقد أكثرهما ولم يـصل إلينـا مـنهما سـوى القليـل، وهما للزبير ابن بكّار أيضًا: كتاب **«نسب قريش»** قال عنه الـذهبي: «هـو كتـاب كبير نفيس»[٦].

ولم يوجد منه سوى الجزء الخاص بأنساب آل الزبير، ومعهم بعض البيوتـات من قريش، وقد طبعه الشيخ محمود شاكر تحـت اسـم: «جمهـرة نـسب قـريش». والكتاب الآخر هو كتاب: «الموفقيات»؛ وهو كتاب جامع في التـاريخ والأدب،

---

(١) ابن النديم ، الفهرست: ١٢٣، ياقوت معجم الأدباء: ١١/ ١٦٤.

(٢) الخطيب، تاريخ بغداد: ٨/ ٤٦٧، تهذيب الكمال: ٩/ ٢٩٣-٢٩٩، الذهبي، السير: ١٢/ ٧١٢.

(٣) السهيلي، الروض الأنف: ٣/ ٢٥٧.

(٤) السيوطي، الحجج المبينة في التفضيل بين مكة والمدينة: ص٤٩.

(٥) محمد يوسف الصالحي، فضائل المدينة: ص٢٨.

(٦) الذهبي: ١٢/ ٣١٢.

ويسوق كل خبر بالإسناد، وقد ألَّفه للخليفة الموفَّق، ولم يصل إلينا كاملاً، وقد طُبع الجزء الذي وُجد بتحقيق الدكتور سامي مكي العاني.

* ومن الكتب المهمة التي فُقدت: كتاب «الحرة»[١] **لمحمد بن زكريا الغلابي**[٢]، ولم نجد أي نص أُخذ من هذا الكتاب يتعلَّق بمعركة الحرة.

* ومن الكتب التي فقدت أيضًا كتاب: **«أخبار الخلفاء»**[٣] **لأبي بشر الدولابي**[٤]، وقد حفظ البيّاسي نصوصًا مهمة من هذا الكتاب؛ حيث اعتمد عليها عندما أرّخ لمعركة الحرة[٥].

---

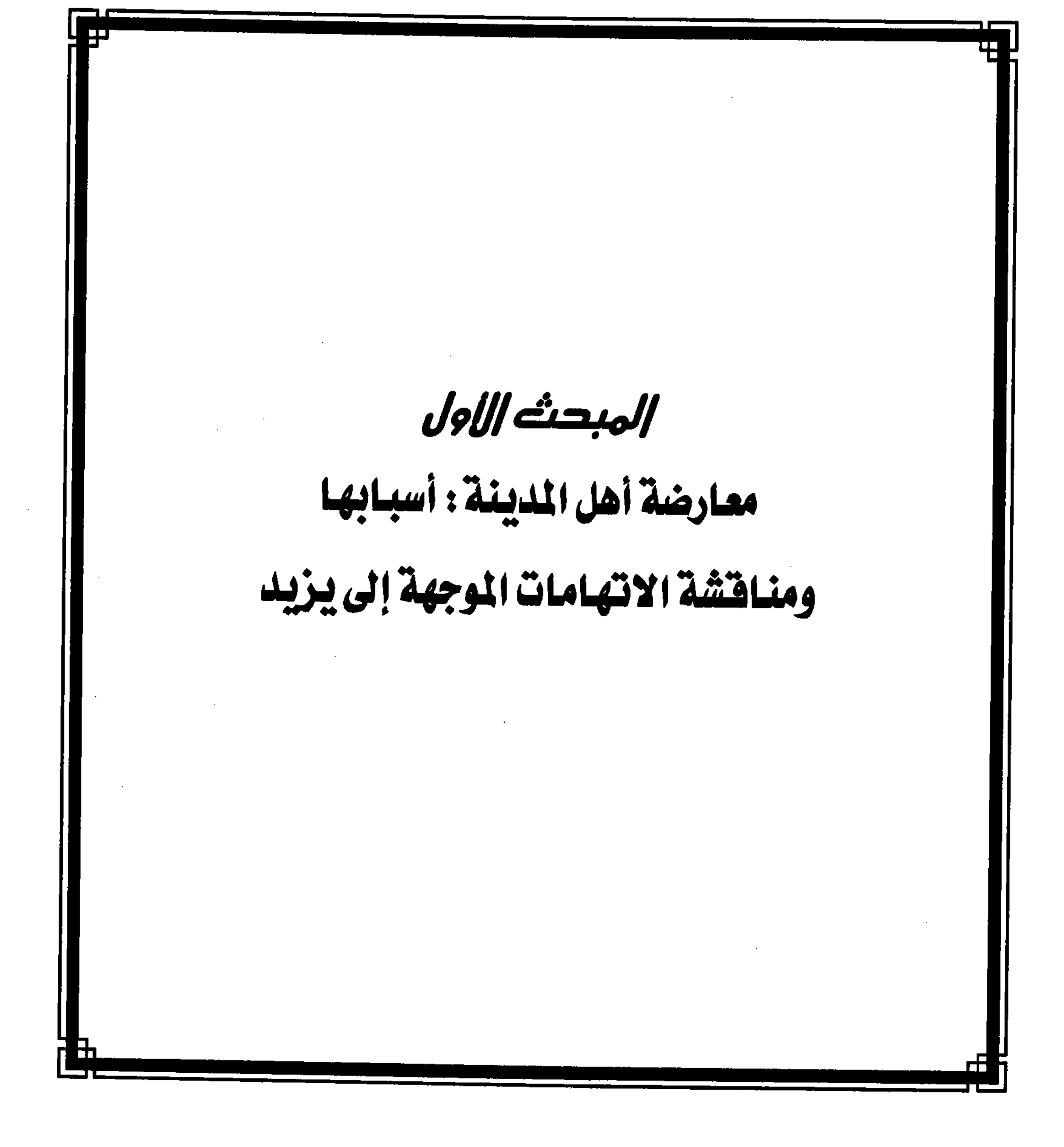
(١) ابن النديم، الفهرست: ١٢٧.

(٢) انظر ترجمته في ميزان الاعتدال: ٣/ ٥٠٠.

(٣) إسماعيل باشا، هدية العارفين: ٦/ ٣١.

(٤) ابن الجوزي، المنتظم: ٦/ ١٦٩، ابن خلكان، وفيات الأعيان: ٤/ ٣٥٢-٣٥٣، الذهبي السير: ١٤/ ٣٠٩.

(٥) البياسي، الإعلام بالحروب الواقعة في صدر الإسلام: ٢/ ١٢٥، ١٢٨، ١٢٩، ١٣٣، ١٣٥.



المبحث الأول

معارضة أهل المدينة: أسبابها ومناقشة الاتهامات الموجهة إلى يزيد



المبحث الأول

معارضة أهل المدينة: أسبابها ومناقشة الاتهامات الموجهة إلى يزيد

١- أسباب معارضة أهل المدينة:

لا يمكن بأي حال من الأحوال أن تُصنَّف معارضة ابن الزبير وأهل المدينة، على أنهما معارضتان مختلفتان؛ وذلك لأن القواسم المشتركة بين المعارضين تكاد تكون واحدة.

ولعل من خلال طرح المعارضتين تتأكَّد هذه الحقيقة وتتَّضح بكل جلاء.

لقد أدَّى تصلُّب ابن الزبير وفشل يزيد في إقناعه وتساهله معه؛ كل ذلك أدى إلى ظهور شعور قوي في الحجاز عمومًا، وفي المدينة خصوصًا، بأن يزيد ليس في مستوى المسؤولية، وكان للإشاعة التي انتشرت عن شربه للخمر، وما سوى ذلك، أثر كبير في تغذية هذا الشعور، مما دفع أهل المدينة إلى المناداة بسقوطه.

ومن ثم نستطيع القول: إن ثورة أهل المدينة ومعارضتهم للحكم الأموي وخلافة يزيد بن معاوية، ما هي إلا امتداد طبيعي لمعارضة ابن الزبير التي بدأها في مكة.

ثم إنه ليس من الغريب أن تحمل كلا المعارضتين في طيَّاتها نفس الأفكار التي كانت هي المؤجّج لمشاعر الجميع.

وقد يكون من الخطأ أن يُظنَّ أن مطالب أهل المدينة خلال معارضتهم لا تتفق مع مطالب عبد الله بن الزبير ﷺ. بل إن الشعارات التي رفعت في المدينة

هي نفس الشعارات التي رفعت في مكة.

ولعل من الجدير ملاحظته عند دراسة معارضة أهل المدينة، أن طابع المعارضة لم يتَّسم بهدف واحد، الأمر الذي يدل على حماس ديني اشرأبَّ بروح العاطفة، دون أن يتخذ نظامًا مُعينًا يحدد من خلاله أبعاد هذه المعارضة، والطرق الكفيلة لنجاحها.

ثم إن العفوية في اتخاذ القرار، والعفوية في محاربة الجيش الأموي كان لها أثر خطير على مواقف أهل المدينة حيال قوة الجيش الشامي، الذي جاء لأهداف محددة يسعى إلى تحقيقها، ومن ثم يبرز الفارق الكبير بين جيش مُنظم يسعى لهدف محدَّد، وبين أناس تجمَّعوا تحت شعارات عدَّة يدفعها الحماس، وتُحرِّكها العاطفة دون تبصُّر بحقائق الواقع، وعواقب الأمور، كما سيبرز ذلك واضحًا من خلال استعراض موقف أهل المدينة خلال الأبحاث الآتية.

وحينما نعرض لتلك الأسباب المباشرة التي أدَّت بأهل المدينة للخروج عن طاعة يزيد، يلزمنا التعرُّف على جذورها التي كانت هي الدافع لذلك الخروج.

فما من شك أن المدينة هي العاصمة الروحية للمسلمين؛ ففيها وجَدَ رسول الله ﷺ المأوى والأمن والتأييد من الأنصار رضوان الله عليهم، وأضحت المدينة قاعدة الإسلام الأولى ومهاجر المسلمين، كما شهدت المدينة ولادة الدولة الإسلامية على يد رسول الله ﷺ.

وبعد أن انتقل النبي ﷺ إلى الرفيق الأعلى استمرَّت المدينة عاصمة لخلفائه الراشدين الثلاثة: أبي بكر، وعمر، وعثمان، رضي الله عنهم.

وفي المدينة يوجد مسجده ﷺ الذي هو أحد المساجد التي تُشَدُّ الرِّحال إليها.

ولما آلت الخلافة لمعاوية ﷺ، واتخذ دمشق عاصمة له، ظلَّت المدينة تحتل مكانة سامية في قلوب المسلمين. ولم يُفقدها نقل الخلافة عنها تلك الميزة التي يشعر بها الناس تجاهها؛ حيث يغمر المسلمين شعور قوي بالحنين لها، ومحبَّة ساكنيها.

وكانت المدينة في عهد معاوية ﷺ يسكنها الصحابة، وأبناؤهم، والعبّاد، والزهّاد، والفقهاء، والصالحون.

وكان مجتمعها مجتمعًا محافظًا لم يتأثَّر بتلك التيارات الفكرية والاجتماعية، التي كان لها وجود في كل من بلاد العراق، والشام، ومصر.

وكان مصدر التلقِّي والاعتماد في العبادات والاعتقاد هما الكتاب والسنة فقط.

كان لوجود الكثير من الصحابة وأبنائهم الذين صاحبوا رسول الله ﷺ ورافقوا الخلفاء الراشدين، ووقفوا على أخلاقهم وأحكامهم أثر كبير في بلورة تلك الصورة التي أُخذت عن أهل المدينة في القرن الأول الهجري[1].

وكان معاوية يجلُّ أهل المدينة ويُكرمهم غاية الإكرام، ويعتبر برأيهم؛ لذا نجده يعرض على كبراء أهل المدينة، وأصحاب الفضل منهم الموافقة على بيعة يزيد.

وتُبرز وصية معاوية ليزيد أهمية أهل مكة والمدينة: «فإنهم أهلك، ومنصبك،

---

(١) انظر: المؤلفات التي ترجمت للصحابة، وبالأخص الذين عاشوا في المدينة، وكذلك تاريخ المدينة لابن شبة، وكذلك الطبقات الأولى لابن سعد، وكتب السنة، والتاريخ التي اهتمت بفترة الخلفاء الراشدين.

ومن أتاك منهم فأكرمه، ومن لم يأتك فابعث إليه بصلة..»[١].

ولما قام معاوية ﷺ بأخذ البيعة ليزيد أصابت المفاجأة بعض أبناء الصحابة الطامحين للخلافة؛ فقد تأكّد لديهم أنهم إذا وافقوا على بيعة يزيد فإن بقاء الخلافة في البيت الأموي أصبح أمرًا مُسلَّمًا ومُحتَّمًا، يلزمهم الاعتراف به.

لهذا فقد كان موقف ابن الزبير والحسين بن علي دلالة على صدق ذلك الشعور.

فالكثير من أبناء الصحابة السابقين يشعرون بالغبن لأنهم لم يأخذوا دورهم الذي ينبغي في دولة بني أمية، ولم يشتركوا في اتخاذ القرار السياسي، وأصبحت المهام تُسند إلى من هو أقل كثيرًا من مكانة وكفاءة أبناء الصحابة رضوان الله عليهم.

ولعل أبناء الصحابة في المدينة ومكة لم يُدركوا سياسة معاوية في اختيار الولاة؛ فقد أضاف إلى الكفاية والصحبة عنصر الولاء له، ومع أن هذا الاعتبار قد يكون مُلفتًا للنَّظر عند تقويم سياسة معاوية، فإن سياسة معاوية لا تُعدُّ بهذا الاعتبار وحده خارجة عن سياسة الخلفاء السابقين؛ إذ قد يكون الولاء سبيلَ المناصحة التي تستقيم بها الأمور[٢].

ولقد حرص معاوية ﷺ على تولية أهل الحنكة، والدراية، والسن من رجال بني أمية على الحجاز.

ولعل معاوية قصد من وراء ذلك الإفادة من قدرة هذين الواليين، وهما: مروان

---

(١) أنساب الأشراف: ٤/ ١/ ١٠٠ المدائني عن عوانة؛ ابن كثير: ٨/ ٢٣٢ عن الواقدي.

(٢) محمد ضيف الله بطاينة. دراسات وبحوث: ص١٢٤.

ابن الحكم، وسعيد بن العاص، في السيطرة على بلاد الحجاز وضبطها، وخاصة أنهما اكتسبا خبرة كبيرة في الإدارة منذ فترة سابقة، وبخاصة في خلافة عثمان ﷺ.

ومن ناحية ثانية: إظهار قدرة بني أمية، وأنهم قادرون على تولي هذا المنصب، ثم التأكيد على أهمية ومكانة البيت الأموي؛ وذلك من خلال جعل إمارة الحج وقيادة الحجيج في البيت الأموي(١).

وعندما ورد خبر وفاة معاوية ﷺ المدينة، وأراد واليها الوليد بن عتبة أخذ البيعة ليزيد، رفض الحسين بن علي وابن الزبير ﷺ وخرجا إلى مكة.

ولم يُنقل أن أحدًا من أهل المدينة تخلَّف عن البيعة ليزيد بن معاوية، إلا أن بيعة أهل المدينة لم تغير شعور الكثير من أبناء الصحابة، وخاصة أنهم يرون أن الخلافة قد آلت إلى يزيد بن معاوية، وليس هو بأفضل منهم.

ومما زاد من مشاعر المرارة عند الكثير من أبناء الصحابة إحساسهم بمدى التجاهل الذي عُوملوا به، وبالأخص في اختيار الولاة؛ حيث أصبح الوالي - في الغالب- يرتبط بعلاقة قرابة مع الخليفة، وهو الأمر الذي لم يكن مألوفًا في عهد الخلفاء الراشدين.

ثم إن قرب فترة يزيد بن معاوية (٦٠هـ) بالخلافة الراشدة، وخصوصًا خلافة عمر وصدقه ونزاهته، عمَّق ذلك الشعور أكثر، وجعل أبناء الصحابة أكثر تَوْقًا لإعادة الشورى، وتمكينها بين الناس.

وعندما قُتل الحسين ﷺ بتلك الصورة الشنيعة، ومعه إخوته وأبناء عمه، على

---

(١) محمد ضيف الله بطاينة. دراسات وبحوث: ص١٢٤.

يد عبيد الله بن زياد (وهو ابن عم يزيد بن معاوية) أحسّ الكثير من أبناء الصحابة بحجم الاستبداد والتسلُّط الذي بدأت تمارسه الدولة.

الأمر الذي جعل الناس في الحجاز يتعاطفون مع ابن الزبير ﷺ، ورفعه شعار الشورى، في الوقت الذي لم يُحاكم يزيد ابن عمه عبيد الله بن زياد كأحد المسؤولين المباشرين عن الجريمة النكراء التي لحقت بالحسين وأهله في كربلاء، واعتبر الناس هذا التصرُّف مُحاباة لابن زياد من قبل ابن عمه يزيد بن معاوية(١).

ويمكن التعرّف على مدى التذمُّر الذي يحمله أبناء الصحابة تجاه بني أمية، وذلك بعد مقتل الحسين ﷺ من تلك المحاورة التي جرت بين علي بن الحسين والمسور بن مخرمة: فعندما رجع علي بن الحسين ومن معه إلى المدينة بعد أن استضافهم يزيد عنده في دمشق، وذلك بعد فاجعة كربلاء، لقيه المسور بن مخرمة وقال: «هل لك إليّ من حاجة تأمرني بها؟ فقال علي بن الحسين: لا، فقال المسور: هل أنت مُعطني سيف رسول الله ﷺ؟ فإني أخاف أن يغلبك القوم عليه. وأيم الله لئن أعطيتنيه لا يُخلص إليه أبدًا حتى تبلغ نفسي...»(٢).

لقد أبدى المسور الاستعداد الكامل لمقارعة بني أمية، ولم يكن هذا الرأي مقتصرًا على المسور وحده، بل إن كثيرًا من أهل المدينة يشارك مسورًا هذا الشعور.

والمسور هذا لم يكن من الشباب الذين يمكن أن يُغرّر بهم الحماس والعاطفة

---

(١) هذه نظرة الناس ليزيد، ولكن الحقيقة ربما هي أصعب من هذا التصوُّر، انظر: فصل قتل الحسين.

(٢) صحيح مسلم ٤/ ١٩٠٣ رقم (٢٤٤٩)؛ ومسند أحمد: ٤/ ٣٢٦، والعلل ومعرفة الرجال: ٢/ ٢٨٥؛ والسير: ٣/ ٣٩٢.

دون التبصّر بالحقائق والنتائج، وهو من الصحابة الأجلاّء، وربما كان سنُّه في تلك اللحظة قريبًا من ستين سنة.

ولذا قال شيخ الإسلام: «وأهل المدينة لم يكونوا مائلين إلى بني أمية كما كان أهل الشام»[(١)].

ومما أَجَّج دوافع أهل المدينة ضد بني أمية: ذلك الكتاب الذي بعث به عمر ابن سعد قائد الجيش الذي قتل الحسين، وقد حوى هذا الكتاب أمر ابن زياد، وعنجهيته، وعدم مبالاته، وجرأته، على قتل الحسين ﷺ[(٢)].

ومما لا شك فيه أن مقتل الحسين ومن معه بتلك الصورة قد أهاج الناس جميعًا، وولَّد لديهم شعورًا بالحزن والأسى العميق على فقدانه بتلك الطريقة الشنيعة[(٣)].

وكان الكثير من أبناء الصحابة يرون أنهم أحقُّ بمنصب الخلافة من يزيد وبني أمية، ولقد كان ابن الزبير يُعرب عن هذا الرأي بصراحة، فكان يقول للحسين: «ما أدري ما تركنا هؤلاء، وكفَّنا عنهم، ونحن أبناء المهاجرين، وأولي الأمر منهم»[(٤)].

لقد كانت هذه عوامل مساعدة جعلت النفوس مهيأة للمعارضة حينما وجدت عوامل ظاهرة تُغذِّي ذلك الشعور المتولِّد من أخطاء السياسة الأموية.

ومن الأسباب المباشرة التي دفعت أهل المدينة للمعارضة ما ذكره الواقدي:

---

(١) منهاج السنة: ٢/ ٨٥.

(٢) ابن كثير: ٩/ ٢١٠ عن عوانة.

(٣) يوسف العش، الدولة الأموية: ١٧٣، وجلوب، إمبراطورية العرب: ص١٠٩.

(٤) البلاذري، أنساب الأشراف: ٤/ ١/ ٣٠١ عن أبي مخنف وعوانة.

من أن ابن مينا، وكان عاملاً على صوافي المدينة، وبها يومئذ صواف كثيرة، وكان لمعاوية ﷺ أموال كثيرة، واستعمل يزيد على المدينة عثمان بن محمد بن أبي سفيان، فأقبل ابن مينا على عادته ليُحصي النتائج، فلم يتعرّض له أحد حتى وصل إلى بلحارث من الخزرج، فاعترضوا عليه، وقالوا: هذا حدث وضرر علينا.

فأعلم ابن مينا الأمير عثمان بن محمد بالأمر، فحاول أن يُقنع بلحارث، وبالفعل فقد توصَّل إلى اتّفاق مع ثلاثة من كبرائهم بأن لا يتعرَّضوا لابن مينا.

وعندما بدأ ابن مينا في عمله تعرَّض للمنع مرة أخرى، فراجع ابن مينا الأمير مرَّة ثانية، فعزَّزه الأمير بعدد من الجند، وأمره أن يمضي في عمله ولو بالقوة.

ولما سمعت الأنصار بذلك ناصروا أبناء عمومتهم من بني حارثة، وساعدتهم قريش، فلم يستطع ابن مينا ومن معه أن يعملوا شيئًا، فرجعوا إلى الأمير عثمان بن محمد.

ولم يجد عثمان بن محمد من الأمر بدًا سوى الكتابة إلى يزيد بن معاوية، ليرى رأيه في هذا التحدِّي الكبير لسلطة الدولة.

ولما علم يزيد بعمل أهل المدينة غضب غضبًا شديدًا، وكتب إلى عثمان كتابًا، وأمره أن يقرأ هذا الكتاب عليهم.

فإذا فيه: «أما بعد، فإني لبستكم حتى أخلقتكم، ورقعتكم حتى أخلقتكم، ورفعتكم على رأسي، ووضعتكم على بطني، والله لئن ثرت بكم لأضعنَّكم تحت رجلي، ثم لأطأنَّكم وطْأةً أُقِلُّ فيها عددكم، وأتركك أحاديث كأحاديث عاد

وثمود. وأيم الله ما أرى أن يأتيني منكم أقلُّ من خلافكم، ولا يأتيكم مني أقلُّ من عقوبتي إياكم، ولا أفلح من ندم».

فلما قُرئ الكتاب تكلَّم عبد الله بن مطيع، وإبراهيم بن نعيم بن النحام، ومحمد بن أبي جهم، ومَعْقِل بن سنان الأشجعي، كلامًا قبيحًا»[١].

ومن الملفت للنظر في رواية الواقدي قوله: «إنَّ ابن مينا كان عاملاً على صوافي المدينة، وبها يومئذ صواف كثيرة»، والصوافي: هي الأرض التي ليس يملكها أحد سواء كانت خالية، أو مات صاحبها، ولا وارث له، أو فرَّ عنها أو قُتِل[٢].

قال أبو يوسف: «وذلك بمنزلة المال الذي لم يكن لأحد، ولا في يد وارث، فللإمام العادل أن يجيز منه ويعطي من كان له غناء في الإسلام، ويضع ذلك موضعه، ولا يُحابي به. فكذلك هذه الأرض»[٣].

---

(١) انظر نص الكتاب عند: أبي العرب، المحن: ص١٧٣ عن الواقدي بأسانيده؛ والزبير بن بكار، الموفقيات: ص١٩٧-١٩٨؛ ابن قتيبة، عيون الأخبار: ١/ ٢٠٢؛ ابن عبد ربه، العقد الفريد: ٤/ ٣٨٨؛ القلقشندي، صبح الأعشى: ٦/ ٣٨٠؛ السمهودي وفاء الوفاء: ١/ ١٢٧. وقد أورد صاحب كتاب الإمامة والسياسة (المنسوب لابن قتيبة) هذا الخبر ولكن مع بعض الاختلاف: ص٢٠٦. وأورد البلاذري نص الكتاب: ٤/ ٣٢١؛ البياسي: ٢/ ٢٠٣، ولكنهما ذكرا أن هذا الكتاب أرسله يزيد مع النعمان بن بشير، وذلك بعد أن خلع المدنيون يزيد بن معاوية.

(٢) أبو يوسف، الخراج: ٥٧-٥٨، يحيى بن آدم الخراج: ص٦٠-٦١ رقم ١٩٩، ابن رجب الحنبلي، الاستخراج لأحكام الخراج: ص٤٣٢، وانظر عن الصوافي: بحث صالح العلي، إدارة الحجاز في العصور الإسلامية الأولى: ص٣٣ (منشور في مجلة الأبحاث التي تصدرها الجامعة الأمريكية ببيروت عام ١٩٦٨).

(٣) أبو يوسف، الخراج: ص٥٨. وانظر قريبًا من ذلك عند أبي عبيد، الأموال: ص٢٩١، ٢٩٦.

ومن المعلوم أن هذه الصّوافي أحد الروافد التي تُغذّي بيت مال المسلمين. إذًا فما هو الداعي لأن يعترض أهل المدينة على عمل ابن مينا؟

لقد حصل خلط في تداخل الرواية، فبعد أن ذكرت أن ابن مينا مسؤول عن جباية الصوافي، ذكرت الرواية بعدها مباشرة: «وكان معاوية يَجُذُّ بالمدينة وأعراضها ألف وسق وخمسين ألف وسق تمرًا، ويحصد مئة ألف وسق حنطة»[١].

فالرواية توضح أن ابن مينا مسؤول عن الصوافي وعن مال معاوية الذي كان بالمدينة، وقد اتضح ذلك في رواية صاحب كتاب الإمامة والسياسة حيث قال: «وأقبل ابن مينا يريد الأموال التي كانت لمعاوية فمنع منها، وأزاحه أهل المدينة عنها، وكانت أموالًا اكتسبها معاوية»[٢].

وهكذا فإن اعتراض أهل المدينة على ابن مينا ليس بسبب جباية الصوافي، بل من أجل جباية أموال معاوية.

ولم تقدم الرواية سببًا مقنعًا لاعتراض أهل المدينة، فرواية أبي العرب تكتفي بالقول: «ومنعوه -أي ابن مينا- وقالوا: هذا ضرر علينا، فمكث ابن مينا شهرًا

---

(١) أبو العرب، المحن ص١٧١-١٧٢ عن الواقدي، اليعقوبي ٢/ ٢٣٤، ٢٥٠؛ السمهودي ١/ ١٢٧ عن الواقدي؛ الكتاني، التراتيب الإدارية ٢/ ٥٠ عن الواقدي. والوسق: هو مكيال أهل المدينة؛ يساوي ستين صاعًا، وهو ٣٢٠ رطلا عند أهل الحجاز قديمًا. انظر: الأموال لأبي عبيد ص٦٢٧. كما يساوي الوسق ١٩٤ كغم من القمح. انظر: فالتر هنتس، المكاييل والأوزان الإسلامية ص٧٩ ترجمة كامل العسلي، عمان ١٩٧٠م.

(٢) الإمامة والسياسة، المنسوب لابن قتيبة ص٢٠٦.

بعماله أحيانًا يمنعونه، وأحيانًا يتركونه»[1].

وينفرد صاحب كتاب الإمامة والسياسة بذكر سبب غريب وبعيد عن الواقع؛ حيث يقول: «ودخل نفر من قريش والأنصار على عثمان فكلموه فيها -أي في الأموال- فقالوا: قد علمت أن هذه الأموال كلها لنا، وأن معاوية آثر علينا في عطائنا، ولم يعطنا قط درهمًا فما فوقه، حتى مضَّنا الزمان، ونالتنا المجاعة، فاشتراها منَّا بجزء من مئة من ثمنها»[2].

وهنا لا بد من التوقف عند رواية صاحب كتاب الإمامة لنرى مدى صحة ما ذكره في كتابه.

لقد عُرفت الإقطاعات الواسعة لبعض الصحابة في عهد الخلفاء الراشدين رضي الله عنهم؛ فقد أقطع أبو بكر الصديق ﷺ الزبير ما بين الجرف[3] إلى قناة[4]، وهي منطقة واسعة، ولها أهمية زراعية كبيرة[5].

وأقطع عمر ﷺ العقيق بعض الصحابة رضوان الله عليهم[6].

---

(١) أبو العرب، المحن ١/ ١٧٢ والسمهودي ١/ ١٢٧.
(٢) الإمامة والسياسة ٢٠٦.
(٣) الجرف: موقع معروف مشهور إلى اليوم، يقع إلى الغرب من وادي العقيق محاذيًا لأحد.
(٤) قناة: من أشهر أودية المدينة، وهو يمر إلى الجنوب من أحد، ويفيض في وادي العقيق إلى الشمال من الجرف.
(٥) يحيى بن آدم، كتاب الخراج: ص٧٧ بإسناد صحيح. والبلاذري، فتوح البلدان: ١/ ١٣ من طريق يحيى بن آدم.
(٦) البلاذري، فتوح البلدان: ١/ ١٢ من طريق يحيى بن آدم بإسناد صحيح إلى عروة، وأبو يوسف الخراج: ص٦١، ابن شبة، تاريخ المدينة: ١/ ١٥٠، ١٥١.

ولم يقتصر الأمر على إقطاع الصحابة في المدينة، بل أُعطيت لهم قطائع في البلاد التي فتحها الله على المسلمين(١).

ونظرا لتدفُّق المال على الصحابة -رضوان الله عليهم- وذلك بعد الفتوح الواسعة لبلاد الشام وبلاد العراق ومصر، فمن الطبيعي أن يكون هناك توسُّع كبير في استصلاح الأراضي الزراعية في المدينة(٢).

هذا إضافة إلى الأُعطيات السخيَّة التي درج خلفاء بني أمية (معاوية، ويزيد) على إغداقها على الحجازيين، بالأخص أهل المدينة.

هذا عدا الرزق الذي تعوَّدت الدولة على صرفه لهم، وكان ديوان العطاء مددًا مستمرًا لا ينفد، ولم يُرو أنه انقطع عن أهل الحجاز إلا سنة واحدة، وذلك في عصر هشام بن عبد الملك الذي قطعه عنهم لتأييدهم ثورة زيد بن علي عندما خرج عليه، ولكنه لم يلبث أن مات فأعاده عليهم الوليد بن يزيد(٣).

وكان الفائض من خراج مصر يحمل إلى المدينة طوال فترة معاوية وابنه يزيد(٤).

---

(١) أبو عبيدة الأموال ص٢٩١؛ ويحيى بن آدم، الخراج ص٧٨-٧٩؛ وأبو يوسف الخراج ص٦١-٦٢. وانظر بحث د. صالح العلي، عن ملكيات الأراضي في القرن الأول الهجري، مجلة العرب عدد (١١) ص٩٦٦-١٠٠٥، وحميد الله، الوثائق السياسية في العهد النبوي: ١٢٤، ٢٢٢، ٢١٨، ٢١٦، ٢١٥، ٢٦٢، ٢٦٣، ٢٧٠، ٢٥٦، ٢٥٨، ٢٥٩، ٢٦١، ٢٧١، ٢٩٥، ٢٧٢.

(٢) ابن سعد الطبقات اكبرى: ٣/ ٢١٦، الجهشياري، الوزراء والكتاب: ص١٦-١٧، الماوردي، الأحكام السلطانية: ص١٩٩.

(٣) الطبري: ٧/ ٢١٧؛ الأزدي، تاريخ الموصل: ص٥٢؛ السيف، الحياة الاقتصادية: ص٤٥.

(٤) يحيى بن آدم، الخراج: ص٣٣٨، والبلاذري، فتوح البلدان: ١/ ٢٥٣.

ونتيجة لذلك فقد تملَّك عدد من الصحابة وأبنائهم الكثير من المزارع والقصور الواسعة، سواء في المدينة أو خارجها[١].

كما كان للصحابة وأبنائهم قطائع في بلاد الشام، والعراق، وفارس، وكان الصحابة يؤجِّرونها؛ إما بالثلث، أو الربع من النتاج[٢].

وأما عن كيفية حيازة معاوية ﷺ لأراضٍ في المدينة، فيعود ذلك لسببين:

السبب الأول: قد تكون حيازته لبعض الأموال في المدينة وراثة عن أبيه، أبي سفيان، الذي كان من سادة قريش في الجاهلية والإسلام، كما كان مشهورًا بالتجارة، فليس من المستبعد أن يملك أراضٍ واسعة ومزارع كبيرة، وخاصة أن معاوية له أملاك ومزارع كثيرة في مكة[٣].

السبب الثاني: اشترى معاوية بعض الأراضي والمزارع في المدينة من ماله الخاص، فأصبحت بالتالي مُلكًا له ولأهله من بعده.

فمثلاً نجد معاوية اشترى موضع «ثنية الشريد»، وكانت كما يقول ابن زبالة

---

(١) ابن أبي الدنيا، إصلاح المال: ص٢٩٠، الأغاني: ٢٤/ ١٢، السمهودي: ١/ ١٠٤٣-١٠٦٣، عبد القدوس الأنصاري، آثار المدينة: ص٢٢٢، اليف، الحياة الاقتصادية: ص٥٠-٥٤، محمد حسن شراب، المدينة في العصر الأموي: ص٣٤٣-٣٥٣.

(٢) أبو يوسف، الخراج: ص٦٢، وانظر بحث صالح العلي، تنظيم جباية الصدقات في القرن الأول الهجري ج١٠ مجلة العرب.

(٣) الأزرقي، تاريخ مكة: ٢/ ٢٢٧-٢٣٢ مثل حائط الحمام، وخيف الأرين، وحائط عوف، وحائط مورش، وحائط خرمان، وحائط مقيصرة، وحائط حراء، وحائط ابن طارق، وحائط فخ، وحائط بلدح. وانظر: الفاسي، شفاء الغرام: ١/ ٣٤٦؛ السيف: ص٥٠.

«أعنابًا ونخلاً لم ير مثلها»[١].

«واشترى عيونًا في ينبع كانت تعرف بـ(البغيبغات) من عبد الله بن جعفر بـ(مليوني درهم) »[٢].

واشترى معاوية موضع قصر بني جديلة من حسان بن ثابت الأنصاري بحوالي مئة ألف درهم[٣].

كما دفع معاوية ثلاثة ملايين درهم لعمرو بن سعيد بن العاص، أثمان أراض كان يملكها والده (سعيد) في عرصة البقل[٤].

فمعاوية ﷺ دفع أموالاً باهظة مقارنة بطبيعة الأرض التي لا تستحق تلك الأموال.

فهذا حسان بن ثابت الأنصاري ﷺ يعترف بمدى القيمة الكبيرة التي يدفعها معاوية مقابل تلك المزارع، فكان يقول: «ألا أبيع صاعًا من تمر بصاع من دراهم»[٥].

ومن هنا تبيّن شذوذ وكذب تلك الصورة المشوشة التي قدمها صاحب كتاب الإمامة والسياسة حول كيفية حيازة معاوية لتلك الأراضي.

---

(١) السمهودي: ٣/ ١٠٦-١٠٧.

(٢) الزبير بن بكار، جمهرة نسب قريش: ص٣٦٥؛ وياقوت، معجم البلدان: ١/ ٤٦٩؛ وفاء الوفاء: ٤/ ١١٥٠-١١٥١.

(٣) وفاء الوفاء: ٣/ ٩٦١-٩٦٣.

(٤) ياقوت، معجم البلدان: ٤/ ١٠١-١٠٢؛ السمهودي: ٣/ ١٠٥٤-١٠٥٥.

(٥) وفاء الوفاء: ٣/ ٩٦١-٩٦٣.

وبعد أن عرفنا الطريقة التي أوصلت تلك المزارع لحيازة معاوية يلح علينا سؤال مهم؛ وهو: ما الذي جعل أهل المدينة يمنعون ابن مينا من تنفيذ عمله؟

أظن أن السبب لا يمكن أن يخرج عن أمرين اثنين:

الأمر الأول: وهو أن المحاصيل الهائلة التي تنتجها هذه المزارع لها أثر كبير على تحطيم سعر السوق في المدينة؛ فمن المؤكد أنه في موسم الحصاد سيكون هناك فائض في عدد ونوعية المحاصيل المعروضة فتُسبّب كسادًا لمنتوجات الآخرين.

ولقد أفصح أهل المدينة عن هذا الأمر حينما أبدوا سبب اعتراضهم على عمل ابن مينا بقولهم: «إنه حدث وضرر علينا»(١).

والأمر الثاني: هو التحرش بالدولة وضياع هيبتها؛ حيث استغلت هذه الحادثة المحدودة للوصول إلى الهدف، وهو الاصطدام بالدولة. وقد اتضح ذلك من خلال الرواية: «فدعا ابن مينا بعمّاله فعمل شيئًا، ثم تداعوا فمشى المسور بن مخرمة، وعبد الرحمن بن الأسود بن عبد يغوث، وعبد الله بن مطيع، وعبد الرحمن ابن عبد الله بن أبي ربيعة، فمنعوهم»(٢). «وعدا من يذبّهم من الأنصار، ورَفَدتهم قريش فذبُّوهم»(٣).

---

(١) أبو العرب: ص١٧٢، والسمهودي: ١/ ١٢٧.

(٢) أبو العرب: ١/ ١٧٢.

(٣) السمهودي: ١/ ١٢٧. ولعلنا نستطيع أن نحدد تاريخ هذه الحادثة في أوائل سنة ثلاث وستين؛ وذلك لأن يزيد استعمل عثمان على المدينة وأمره أن يكون أمير حج سنة اثنتين وستين. انظر: ابن عساكر ترجمة ابن الزبير: ص٧٨ عن المدائني عن عوانة.

والرجال الذين ذكرتهم الرواية هم الذين اشتركوا في معركة الحرة، وكان لبعضهم القيادة في المعركة.

فعندما كتب عثمان بن محمد بخبرهم إلى يزيد بن معاوية كتب إليه يزيد كتابًا، وأمره أن يقرأ هذا الكتاب علنًا، فقرأ عثمان بن محمد كتاب يزيد وهو خائف منهم[١].

ونعرف إلى أي مدى بلغ تدنِّي مهابة الدولة عند أهل المدينة، فحينما فرغ عثمان ابن محمد من قراءة رسالة يزيد لأهل المدينة تكلم ابن مطيع، وإبراهيم بن نعيم بن النحام، ومحمد بن أبي جهم، ومعقل بن سنان الأشجعي كلامًا قبيحًا[٢].

ويتبيَّن من خلال خطاب يزيد لأهل المدينة أن صبر يزيد أوشك على النفاد، وأن يزيد اتبع كافة السبل التي تقرِّبه من أهل المدينة: «ورفعتكم على رأسي، ووضعتكم على بطني»[٣]، ولكن لم يفد ذلك شيئًا.

ولعل الدَّافع الرئيسي لإبراز هذا الشعور العدائي تجاه دولة بني أمية، هو قيام ابن الزبير بالمعارضة والدعوة إلى الشورى، مما كان له الأثر في إعطاء بعض أبناء الصحابة الجرأة على رفض الحكم الأموي، وإن كان هناك قطاع كبير لم يجرؤ على إعلان هذه الحقيقة، ولكنهم يحملونها بكثير من الصدق والعاطفة.

فكان عمرو بن سعيد بن العاص يعتذر ليزيد في عدم حسمه لمعارضة ابن الزبير ويقول: «إن جل أهل المدينة قد كانوا مالوا إليه، وهووه، وأعطوه الرضا،

---

(١) أبو العرب، المحن: ١/ ١٧٣، عن الواقدي.

(٢) المصدر السابق: ١/ ١٧٣، البياسي، الإعلام بالحروب: ٢/ ١٠٦ عن الواقدي وبنفس الإسناد.

(٣) أبو العرب، المحن: ١/ ١٧٣.

ودعا بعضهم بعضًا سرًّا وعلانية»[١].

فليس من المعقول أن تُؤدِّي هذه الحادثة أو غيرها إلى وقوف أهل المدينة ضد الحاكم الأموي، ويطالبوا بخلع يزيد بن معاوية.

وبعد حادثة ابن مينا وتوعُّد يزيد لأهل المدينة طلب أشراف أهل المدينة من أمير المدينة: عثمان بن محمد أن يبعث منهم وفدًا إلى يزيد ليعتذر إليه مما بلغه عنهم[٢]، وكان ذلك بعد أن رجع عثمان بن محمد من الحج بشهر[٣].

ولا نعلم سبب هذا التحول المفاجئ عند أهل المدينة، وإن كنت أظن أنهم أرادوا بهذا الوفد استكشاف حالة يزيد، والتعرف على صدق تلك الإشاعات من كذبها التي تتهمه بشرب الخمر، وغيرها من المنكرات.

«فأوفد عثمان بن محمد عشرة من أشراف أهل المدينة، منهم قرشيون وأنصار، فيهم: عبد الله بن جعفر بن أبي طالب، وعبد الله بن أبي عمرو بن حفص بن المغيرة المخزومي، ورجل من بني عدي من آل سراقة، وعثمان بن عطاء بن تويث، ومحمد بن عمرو بن حزم الأنصاري، وعبد الله بن حنظلة غسيل الملائكة، والعباس بن سهل بن سعد الساعدي، ومعقل بن سنان الأشجعي»[٤].

---

(١) الطبري: ٥/ ٤٧٨ عن أبي مخنف؛ البياسي، الإعلام: ٢/ ١٠١ من طريق أبي مخنف.

(٢) ابن عساكر (ترجمة عبادة بن أوفى – عبد الله بن ثوب): ص٨٧ بإسناده عن المدائني وإسناد المدائني جمعي أحدهما حسن حتى داود بن أبي هند عن مشايخ من المدينة، والآخر عن عوانة ويزيد بن عياض؛ ابن كثير: ٨/ ٢١٧.

(٣) خليفة، تاريخ: ٢٣٦.

(٤) ابن عساكر (ترجمة عبادة بن أوفى – عبد الله بن ثوب): ص٨٧–٨٨، ابن كثير: ٨/ ٢١٧.

فقدموا على يزيد وهو بحوارين، ونزلوا على الوليد بن عتبة، فأقاموا عشرة أيام، لم يصلوا إلى يزيد ولم يقابلوه، وبعد عشرة أيام استقبلهم يزيد يوم الجمعة وهو على سرير مادًّا رجليه، وقد غطاهما بغطاء، مما يبين المرض والألم الذي منعه من استقبالهم، وكان عنده الوليد بن عتبة وعمرو بن سعيد.

وتذكر الرواية أن يزيد رحَّب بهم، وتلقَّاهم ببشر حسن، واعتذر إليهم من تأخُّره عن مقابلتهم وقال: «لم أزل وَجعًا من رجلي، إنَّ الذباب يسقط عليها فيخيل إليّ أن صخرة سقطت عليها»[١].

ويبدو أن هذا الداء هو داء النقرس؛ فقد كان مصابًا به حينما جاءه خبر خلع أهل المدينة له، وإخراج بني أمية.

وأراد العباس بن سهل الساعدي أن يتأكَّد أن المانع ليزيد من مقابلتهم هو الدَّاء الذي اشتكى منه في رجله، فقام وجلس معه على السرير، واتكأ على رجله التي شكا منها يزيد، فاتضح التألم على وجه يزيد من شدة ما يعانيه، والعباس بن سهل يكلمه، وهو يقول: نعم، حتىّ أنه سأله عشرين حاجة[٢].

ولعل هذه مبالغة في أن يسأله العباس عشرين حاجة، وإن كانت الرواية تُفيد بمدى كرم يزيد، واحترامه لهذا الوفد.

ثم قام إليه عثمان بن عطاء بن تُويت، وألقى ثوبه عن ظهره، وقال: يا أمير

---

(١) ابن عساكر (ترجمة عبادة بن أوفى – عبد الله بن ثوب): ص٨٨.

(٢) المصدر السابق: ص٨٨.

المؤمنين، انظر إلى أثر هذا السفيه في ظهري، ويُقصد بذلك الوليد بن عتبة، وهنا أكَّد عمرو بن سعيد اتهام عثمان بن عطاء للوليد بن عتبة، فأنكر الوليد بن عتبة، ثم حدث نزاع بين عمرو بن سعيد والوليد بن عتبة، وتطور إلى تبادل الاتهام فيما بينهما، فكفَّهما يزيد عن المجادلة، والنِّزاع بين يديه.

ثم تمضي الرواية وتقول: إن يزيد أمر الوفد بأن يطلبوا حوائجهم، فلم يسألوا حاجة إلا قضاها(١).

ولم تذكر الرواية مطالب بقية الوفد، وإنما ذكرت أن مطالب الوفد قد أجيبت، ولم تبين أن ثمة خلافًا بين يزيد ووفد المدينة .

وكان مع هذا الوفد عبد الله بن حنظلة، ومعه ثمانية من أبنائه، فأعطاه يزيد مئة ألف درهم، وأعطى لكل واحد من أبنائه عشرة آلاف درهم، سوى كسوتهم وحملانهم(٢).

وأجاز المنذر بن الزبير بمئة ألف درهم(٣)؛ وأجاز معقل بن سنان الأشجعي بألف دينار(٤). فانصرف الوفد من عند يزيد ولم يتخلَّف إلا عبد الله بن جعفر رضي الله عنه(٥).

---

(١) ابن عساكر (ترجمة عبادة بن أوفى – عبد الله بن ثوب): ص٨٨؛ الطبري: ٥/ ٤٨٠ عن أبي مخنف.

(٢) خليفة: ٢٣٦ بإسناد صحيح حتى جويرية عن أشياخ من أهل المدينة ؛ والطبري: ٥/ ٤٩٥ بإسناد صحيح من طريق جويرية عن أشياخ من أهل المدينة ؛ ابن عساكر، (ترجمة عبد الله بن حنظلة): ٢٠٩-٢١٠ من طريق خليفة.

(٣) الطبري: ٥/ ٤٨٠ عن أبي مخنف.

(٤) البياسي، الإعلام بالحروب: ٢/ ١٢٨، عن أبي بشر الدولابي.

(٥) ابن عساكر (ترجمة عبد الله بن حنظلة): ص٨٨.

ومن العجيب حقًا بعد هذا كله أن الرواية تقول: «إنهم رجعوا ذامِّين له، مجمعين على خلعه»(١).

فلما قدموا المدينة أظهروا شتم يزيد، والبراءة منه، وخلعه.

واتجه الناس إلى عبد الله بن حنظلة يسألونه عن يزيد فقال: «أتيتكم من عند رجل والله لو لم أجد إلا بني هؤلاء لجاهدته بهم، قالوا: فإنه بلغنا أنه أكرمك وأجازك وأعطاك، فقال: قد فعل، وما قبلت إلا أن أتقوّى به عليه»(٢).

ولعلهم تقصَّدوا سؤال ابن حنظلة، نظرًا لفضله ومكانته.

وكان المنذر بن الزبير قد ذهب إلى البصرة، فقدم على ابن زياد، وكان ابن زياد يُجلُّه ويُقدِّره نظرًا لعلاقته بأبيه زياد بن أبي سفيان.

ولما بلغ يزيد ما فعل أصحابه في المدينة من شتمه، واتهامه، والمناداة بخلعه؛ كتب إلى عبيد الله بن زياد يأمره بحبس المنذر بن الزبير، ولكن ابن زياد تركه يخرج من البصرة لأنه ضيفه، ثم لعلاقته بأبيه من قبل.

ولما قدم المنذر بن الزبير المدينة : أخذ يحرِّض الناس على يزيد، وكان يُعيبه بمثل الذي عابه به أصحابه أو أشد(٣).

---

(١) ابن عساكر (ترجمة عبد الله بن حنظلة): ص٨٨.

(٢) الطبري: ٥/ ٤٨٠؛ ابن عساكر، (ترجمة مسلم بن عقبة): ١٦/ ق٤٧٧ من نفس الطريق.

(٣) مصعب الزبيري، نسب قريش: ص٢٤٥؛ ابن سلام، طبقات فحول الشعراء: ١/ ١٥٣ من طريق مصعب الزبيري؛ أنساب الأشراف: ٤/ ٣٢٠ من طريق أبي مخنف؛ الطبري: ٥/ ٤٨٠ من طريق أبي مخنف؛ البياسي: ٢/ ١٠٤ بدون إسناد.

لقد كان واضحًا من خلال الروايات التي ساقت سبب خروج أهل المدينة على يزيد، أن الشيء الحامل على ذلك هو قلّة دين يزيد بن معاوية، وبالتالي فإنه ليس جديرًا بقيادة الأمة(١).

ولم يكن دافع الخروج معركة كربلاء، حيث المرارة التي أصابت أهل المدينة من بشاعة الجريمة التي ارتكبها ابن زياد بحق الحسين وأهل بيته، وكذلك لم يكن سبب ذهاب الوفد إلى يزيد هو محاولة إنصاف آل الحسين على حدِّ زعم سيد أمير علي(٢).

نعم إن معركة كربلاء لها تأثير على أهل المدينة وغيرهم، ولكنها قطعًا لم تكن السبب الرئيسي الذي دفع أهل المدينة إلى خلع يزيد، وطرد بني أمية، وإلّا لحدث ذلك في سنة إحدى وستين، وليس في سنة ثلاث وستين للهجرة.

ولكن على الرغم من خلع يزيد، وطرد الأمويين من المدينة، وحدوث معركة الحرة، إلا أنه لم يثبت لدينا بأسانيد صحيحة الأمور التي لاحظها الوفد على يزيد، ومن ثم كانت هي الدافعة لخلع يزيد وإخراج بني أمية.

وقد وردت روايات أوضحت هذه الانتقادات، ولكنها بمجموعها ضعيفة،

---

(١) المسعودي، مروج الذهب: ٣/ ٧٨؛ الذهبي، تاريخ الإسلام حوادث: (٦١-٨٠) ص٢٤-٢٥، الذهبي، السير: ٤/ ٣٧-٣٨؛ ابن كثير: ٨/ ٢١٧؛ ابن حجر، فتح الباري: ١٣/ ٧٥؛ تعجيل المنفعة: ٤٥٣؛ تهذيب التهذيب: ١١/ ٣١٦؛ السيوطي، تاريخ الخلفاء: ٣٠٩؛ الأتابكي، النجوم الزاهرة: ١/ ١٦٣؛ ابن العماد الحنبلي، شذرات الذهب: ١/ ٧٠؛ العصامي، سمط النجوم العوالي: ٣/ ٨٨.

(٢) مختصر تاريخ العرب: ص٩٣، وقد تابعه على ذلك عبد المنعم ماجد في التاريخ السياسي للدولة العربية: ٢/ ٨٢.

و على الرغم من ذلك فإنا سنوردها للمناقشة؛ فمثلًا، قال أبو مخنف: «حدثنا محمد بن عبد العزيز بن عبد الرحمن بن عوف: أن المنذر بن الزبير لما رجع من البصرة سأله أهل المدينة عن يزيد فقال:

«إن يزيد والله لقد أجازني بمئة ألف درهم، وإنه لا يمنعني ما صنع إلي أن أخبركم خبره وأصدقكم عنه، والله إنه ليشرب الخمر، وإنه ليسكر حتى يدع الصلاة، وعابه بمثل ما عاب به أصحابه أو أشد».

وتقول الرواية: إن الخبر لما بلغ يزيد قال: «اللهم إني آثرته وأكرمته ففعل ما قد رأيت، فاذكره بالكذب والقطيعة»[١].

وفي رواية أخرى لأبي مخنف عن عبد الله بن نوفل بن مساحق عن حميد بن حمزة مولى لبني أمية قال: «لما قدم أولئك النفر -الوفد- المدينة قاموا فيهم فأظهروا شتم يزيد، وقالوا: إنا قد قدمنا من عند رجل ليس له دين، يشرب الخمر، ويعزف بالطنابير، ويضرب عنده القيان، ويلعب بالكلاب، ويسامر الخُرَّاب والقيان، وإنا نشهدكم أنَّا قد خلعناه، فتابعهم الناس»[٢].

وتبدو رواية جويرية بن أسماء أصح من غيرها على ما فيها من الضعف، (لأنها عن أشياخ أهل المدينة)، فحينما ذكر سؤال الناس لعبد الله بن حنظلة عن رأيهم في يزيد قال: «أتيتكم من عند رجل، والله لو لم أجد إلا بنيَّ هؤلاء

---

(١) الطبري: ٥/ ٤٨٠ عن أبي مخنف.

(٢) المصدر السابق: ٥/ ٤٨٠ من طريق أبي مخنف؛ ابن كثير: ٨/ ٢١٧.

لجاهدته بهم»[(١)].

وهذه الرواية هي التي اعتمد عليها خليفة[(٢)]، وابن كثير[(٣)]، والذهبي[(٤)]، وابن حجر[(٥)].

ويذكر الواقدي أن أهل المدينة لما أجمعوا على عبد الله بن حنظلة، وبايعوه على الموت قال: «يا قوم اتقوا الله وحده لا شريك له، فوالله ما خرجنا على يزيد حتى خفنا أن نُرمى بالحجارة من السماء؛ إنه رجل ينكح الأمّهات، والبنات، والأخوات، ويشرب الخمر، ويدع الصلاة، والله لو لم يكن معي أحد من الناس لأبليت الله فيه بلاء حسنًا»[(٦)].

وهذه الروايات التي ذكرناها لا يمكن الاعتماد على واحدة منها في تقرير موقف المدينة من يزيد، ثم إنه لا يمكن الاعتماد عليها في إدانة يزيد بن معاوية بناء على ما ذكرت هذه الروايات من أمور عظيمة.

ولكنّا نستطيع أن نقرر حقيقة ثابتة؛ وهي أن الدافع الذي دفع أهل المدينة

---

(١) خليفة: ٢٣٦ بإسناد صحيح حتى جويرية عن أشياخ من أهل المدينة ؛ والطبري: ٥/ ٤٩٥ من طريق جويرية؛ ، أبو الحسن العبدي، العفو والاعتذار: ١/ ١٣٨ من طريق جويرية؛ وابن عساكر (تراجم حرف العين - عبد الله بن حنظلة): ص٢٠٩ من نفس الطريق.

(٢) خليفة، التاريخ: ص٢٣٦.

(٣) ابن كثير ، البداية والنهاية: ٨/ ٢١٨.

(٤) الذهبي ، سير أعلام النبلاء: ٤/ ٣٢٢.

(٥) ابن حجر ، فتح الباري: ١٣/ ٧٥.

(٦) ابن سعد، الطبقات الكبرى: ٥/ ٦٦ بإسناد ضعيف (من طريق الواقدي بإسناد جمعي).

للخروج على يزيد هو: أخذهم تصورًا عن يزيد بأنه قليل الدين، ولكن ما هي حدود قلة هذا الدين؟ هل هي معاص، وذنوب صغيرة، أم كبائر كبيرة، أو كفر صريح؟ ولكي نصل إلى نتيجة مُقنعة يلزمنا مناقشة إحدى الروايات، من طريق الواقدي، والتي يقول فيها على لسان ابن حنظلة: «إنه - أي يزيد- رجل ينكح الأمهات والبنات والأخوات، ويشرب الخمر، ويدع الصلاة».

كيف يعقل أن يزيد ينكح الأمهات، والبنات، والأخوات؟ ما هو الدَّاعي لكي يقدم على هذا العمل؟

لقد كان الوثنيون ولا يزالون ممن لا دين لهم، والجاهليون العرب، وأكثر الناس همجية في عالم اليوم يتنزَّهون ويمقتون مثل هذا العمل، وهم أهل جاهلية وكفر، فكيف يمكن أن يقع يزيد في مثل هذه العظائم التي يقشعرُّ منها البدن؟! ثم ألم يكن يزيد سلطان المسلمين، وصاحب الجاه والمكانة والنسب؟ أفلا يستطيع أن يتزوَّج أجمل امرأة في زمانها؟ لماذا إذًا يترك ما أحل الله له، ويعمد إلى الزواج من أمه، وأخته، وبناته، على حد زعم الرواية؟!

ثم إن هذا العمل لا يمكن أن يخفى على أهل الشام، الذين يوجد بينهم الصحابة، والتابعون، والعلماء، والفقهاء، فلماذا لم يُنقل إلينا شاهدٌ واحد من أهل الشام على أن يزيد ارتكب مثل هذه القبائح؟

لا شك أن هذه الرواية لا تحمل أي معنى أو دلالة على الصدق، فضلاً عن أنها من طرق ضعيفة، إضافة إلى أن بعض رواتها مدنيون موتورون بقتل أقاربهم

في الحرة، فلا عجب أن تُضاف الإضافات، وتزوَّد الحوادث حتى يُظهروا أنهم على حق، وأن غيرهم على باطل.

ثم نأتي إلى رواية أبي مخنف، التي ذكرت عن يزيد: «أنه يشرب الخمر، ويدع الصلاة، ويعزف الطنابير...»، فإذا لاحظنا القاسم المشترك في التُّهم الموجهة ليزيد، لوجدنا أن شرب الخمر، وترك الصلاة من شدة السكر هي التي ذُكرت في كل الروايات، مما يدل على أهمية هذه التهمة، وبالأخص إذا عرفنا أن هذه التهمة لم تكن وليدة تلك اللحظة، أو جاءت على أثر زيارة ذلك الوفد، بل إن هناك دلائل، ومؤشِّرات سابقة لَمَّحت لمثل هذه التهمة.

فعندما قتل الحسين ﷺ، قام ابن الزبير خطيبًا في مكة، وترحَّم على الحسين، وذمّ قاتليه، وقال:

«أما والله لقد قتلوه طويلاً بالليل قيامه، كثيرًا في النهار صيامه، أحق بما هم فيه منهم، وأولى به في الدين والفضل، أما والله ما كان يُبدِّل بالقرآن الغناء، ولا بالبكاء من خشية الله الحداء، ولا بالصيام شرب الحرام، ولا بالمجالس في حِلَق الذكر الركض في طلب الصيد (يُعرِّض بيزيد)، فسوف يلقون غيًّا»[(١)].

واتهم المسور بن مخرمة يزيد بشرب الخمر، فضُرِبَ الحد[(٢)].

ولما فشلت المفاوضات التي دارت بين الوفد الذي أرسله يزيد، وبين ابن

---

(١) أنساب الأشراف: ٤/ ٣٠٤؛ والطبري: ٥/ ٤٧٥ من طريق أبي مخنف؛ والبياسي: ٢/ ١٩٦ من طريق أبي مخنف.

(٢) أنساب الأشراف: ٤/ ٣٢٠ عن عوانة.

الزبير، بسط ابن الزبير لسانه في يزيد وتنقَّصه، وقال: «لقد بلغني أنه يصبح سكران ويمسي كذلك»[1].

إذًا لقد كان لهذه الاتهامات علاقة بتذمُّر أهل المدينة، وإحساسهم بالغبن من أن يتولّاهم خليفة بمثل هذه الصفات، وبالأخص في تلك الفترة المبكرة والقريبة من عهد النبي ﷺ.

ولما تأكَّدت هذه الاتهامات على لسان كبرائهم، وصلحائهم، وشرفائهم سارعوا إلى نزعه، والخروج عليه.

وهنا يجب أن نناقش تهمة شرب الخمر، وترك الصلاة من شدة السكر، بشيء من التعمُّق والواقعية.

٢- مناقشة اتهام يزيد بشرب الخمر وترك الصلاة:

لقد ذكرنا قبل قليل أن ابن الزبير ذكر أن يزيد يشرب الخمر، وذلك بعد قتل الحسين رضي الله عنه. ولم نجد اتهامًا ليزيد بشرب الخمر قبل هذا، سوى ما ذكره الطبراني قال: حدثنا محمد بن زكريا الغلابي ثنا ابن عائشة عن أبيه قال: «كان يزيد في حداثته صاحب شراب، يأخذ مأخذ الأحداث، فأحسَّ معاوية بذلك، فأحبَّ أن يعظه في رفق، فقال: يا بنيَّ ما أقدرك على أن تصل إلى حاجتك من غير تهتُّك يذهب بمرؤتك وقدرك، ويشمت بك عدوك، ويسيء بك صديقك، ثم قال: يا بني إني مُنشدك أبياتًا، فتأدَّب بها، واحفظها:

---

(١) أنساب الأشراف: ٤/ ٣٠٨ عن الواقدي.

انـصب نهـارا في طلـب العـلا   واصبر على هجر الحبيـب القريـب
حتـى إذا الليـل أتـى بالـدجا   واكتحلت بالغمض عـين الرقيـب
فبـاشر الليـل بـما تـشتهي   فـإنما الليـل نهـار الأريـب
كـم فاسـق تحـسبه ناسـكًا   قـد بـاشر الليـل بـأمر عجيـب
غطـى عليـه الليـل أسـتاره   فبـات في أمـن وعـيش خـصيب
ولـذة الأحمـق مكـشوفة   يـسعى بهـا كـل عـدو مريـب»[1]

وفي سند هذه القصة محمد بن زكريا الغلابي، ذكره الذهبي في الضعفاء[2].

وقال الدارقطني: «كان يضع الحديث»[3]، وساق لـه الـذهبي حـديثًا وقـال: «فهذا كذب من الغلابي»[4].

والراوي للحدث هو محمد بن حفص بن عائشة، وقـد ذكـره أبـو حـاتم ولم يذكر فيه شيئا[5]، والبخاري وسكت عنه[6]. وذكره ابن حبان في الثقات[7].

---

(١) ابن عساكر ترجمة يزيد بن معاوية: ١٨/ ق٣٩٤ من طريق الطبراني، ابن كثير: ٩/ ٢٣١ من طريق الطبراني أيضًا، ابن طولون/ القيد الشريد: ق٣، وقال بعدها: محمد بن زكريا ضعيف، ولم أجده في المطبوع من كتب الطبراني الثلاثة، حتى أن الطبراني لم يذكر هذه القصة في ترجمة شيخه محمد بن زكريا الغلابي(المعجم الصغير: ٢/ ١٠٥).

(٢) الذهبي، الضعفاء: ٢/ ٥٨١.

(٣) الدارقطني، الضعفاء: ص٣٦٨.

(٤) ميزان الاعتدال: ٣/ ٥٥٠؛ ابن حجر، لسان الميزان: ٥/ ١٦٨.

(٥) الجرح والتعديل: ٧/ ٢٣٦.

(٦) التاريخ الكبير: ١/ ٦٥.

(٧) الثقات: ٩/ ٦٢.

ولم تحدد المصادر وقت وفاته، ولكن ابنه عبد الله الراوي عنه توفي سنة ٢٢٨هـ[١]. وبهذا فإن محمد بن حفص قد وُلد تقريبًا بعد المائة من الهجرة، ومن ثم فإن الراوي بينه وبين هذه القصة -على فرض حدوثها- أمد بعيد.

هذا من جهة السند، وأما من جهة المتن فالتناقض واضح بين ما ذكرته القصة، وبين سيرة معاوية ﷺ؛ فكيف يرضى معاوية ﷺ لولده بشرب الخمر؟! بل ويشجِّعه على ذلك، ولكن في الليل فقط!! فمن المعلوم أن كل أب يتمنى لولده الأفضل في حياته، فكيف يكون ذلك من معاوية لابنه يزيد؟! ثم كأن معاوية ﷺ لا يعرف حدَّ الخمر، ولا حكم الخمر، وما يترتب عليها من المصائب، وبكونها أكبر الكبائر والذنوب، فكيف يُظنُّ ويُعقل أن معاوية ﷺ يسلك مع ولده هذا المسلك؟ ومعاذ الله أن نعتقد في معاوية الصحابي الجليل، وأخي أم المؤمنين، وكاتب الوحي المبين غير الحق؛ فهو أعرف بأحكام الشرع، وأتقى لله وأطوع من أن يجهل حكم الخمر.

ثم إن معاوية ﷺ راوي الحديث الشهير الذي يتعلق بالخمر، وجزائها، وعقابها في الدنيا؛ قال معاوية ﷺ: قال رسول الله ﷺ: (**من شرب الخمر فاجلدوه**)، قالها ثلاثا: (**فإن شرب الرابعة فاقتلوه**)[٢].

---

(١) ابن حجر، التقريب: ٣٧٤.

(٢) عبد الرزاق، المصنف: (١١/ ٥٨٧)، أحمد، المسند: (٤/ ٩٥، ٩٦، ١٠١)، ابن ماجه السنن: (٢٥٧٣)، أبو داود، السنن: (٤٤٥٨)، الترمذي، السنن: (١٤٦٩)؛ أبو يعلى، المسند: (١/ ٣٤٧-٢/ ٣٤٦)؛ الطحاوي، شرح معاني الآثار: (٣/ ١٥٩)؛ الطبراني، الكبير: (١٩/ ٣٣٤)؛ ابن حبان: (١٥١٩)؛ ابن حزم، المحلى: (١١/ ٣٦٦)؛ البيهقي، السنن الكبرى: ٨/ ٣١٣)؛ الحاكم، المستدرك: (٤/ ٣٧٢).

فكيف يغفل أن يَروي حديث رسول الله ﷺ المتعلِّق بالخمر، ويشجع ولده على شربها وتعاطيها، ولكن بشرط أن لا يراه أحد من الناس؟!

ومن الغريب أن ابن كثير -رحمه الله- بعد إيراده لهذا الخبر تعقَّبه بقوله: «قلت: وهذا كما جاء في الحديث: **(من ابتلي بشيء من هذه القاذورات فليستتر بستر الله عز وجل)**[1]. ويُفهم من تعقيب ابن كثير كأنه مؤيد لهذه الرواية، التي لا تحظى بأي نسبة من الصدق.

وهناك رواية أخرى ذكرها عمر بن شبّة، تُشير إلى اتهام يزيد بشرب الخمر في فترة مبكرة وسابقة لتولِّيه الخلافة.

فقال: «إن يزيد لما حجَّ في خلافة أبيه جلس في المدينة على شراب، فاستأذن عليه ابن عباس، والحسين بن علي، فأمر بشرابه فرُفع، فدخل الحسين وابن عباس فوجد ريحة الشراب، ثم قال له الحسين: عليك شرابك ولا تخف».

---

(١) ابن كثير: ٥/ ٢٣١. وأما الحديث الذي ذكره فقد أورده مالك في الموطأ، كتاب الحدود: ٢/ ٧١٢. وانظر التمهيد ٥/ ٣٢١، وقال ابن عبد البر مبينًا ضعف هذا الحديث بهذا الإسناد: «هكذا روى هذا الحديث مُرسلاً جماعة الرواة للموطأ، ولا أعلمه يُسند بهذا اللفظ من وجه من الوجوه»، وقد قال ابن حزم في المحلى: (١١/ ٢٠٧) «إن الآثار في هذا الباب كلها مرسلة، وأضعفها حديث مخرمة بن بكير...».

قلت: ولكن معناه صحيح؛ فقد وردت عدة أحاديث قريبة من مقصد هذا الحديث؛ فقد أخرج مسلم عن أبي هريرة قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: **(كل أمتي معافاة إلّا المجاهرين، وإن من الإجهار أن يعمل العبد بالليل عملاً، ثم يُصبح قد ستره ربه، فيقول: يا فلان قد عملت البارحة كذا وكذا. وقد بات يستره ربه، فيبيت يستره ربه، ويصبح يكشف ستر الله عنه)**. مسلم: ٤/ ٢٢٩١ (٢٩٩٠).

وقد تكفّل ابن عساكر -رحمه الله- بالرد على هذه الرواية حيث قال: «وهذه حكاية منقطعة؛ فإن عمر بن شبة بينه وبين يزيد زمان»[١].

وهاتان الروايتان هما أقدم إشارة ليزيد بأنه شرب الخمر، ثم رأينا فيما سبق أن جميع الروايات التي ذكرت أن وفد المدينة لَمَّا خلع يزيد اتَّهمه بشرب الخمر روايات ضعيفة، لا يمكن الاحتجاج بها في حادثة كهذه الحادثة.

وتُعتبر رواية يعقوب بن سفيان - بالرغم من ضعفها- هي أفضل رواية بالنسبة لمجموع الروايات التي أوردت اتهام يزيد بشرب الخمر.

قال يعقوب بن سفيان الفسوي: «سمعت ابن عفير: نا ابن فليح أن عمرو بن حفص وفد على يزيد فأكرمه وأحسن جائزته، فلمّا قدم المدينة قام إلى جنب المنبر - وكان مرضيًا صالحًا - فقال: ألم أُجب؟ ألم أُكرم؟ والله لرأيت يزيد بن معاوية يترك الصلاة سكرًا. فأجمع الناس على خلعانه بالمدينة، فخلعوه»[٢].

وابن عفير اسمه: سعيد بن كثير بن عفير، وهو صدوق[٣].

وابن فليح : هو يحيى بن فليح بن سليمان؛ قال ابن حزم: مجهول. وقال مرة: ليس بالقوي[٤].

---

(١) ابن عساكر، ترجمة يزيد: ١٨/ ق٣٩٦.

(٢) البيهقي، الدلائل: ٦/ ٤٧٤ من طريق يعقوب؛ ابن عساكر (ترجمة عبادة بن أوفى – عبد الله بن ثوب): ص٣٠٨ من طريق يعقوب.

(٣) ابن حجر، التقريب: ٢٤٠.

(٤) العراقي، ذيل ميزان الاعتدال: ص٤٢٥. لسان الميزان: ٦/ ٢٨٣.

ومع ذلك فإن ابن فليح لم يدرك الحدث، بل كان بينه وبين الواقعة فترة طويلة، ومن ثم تبقى الرواية ضعيفة.

ويبدو أن متن هذه الرواية وغيرها من الروايات التي تتهم يزيد بشرب الخمر أمام الوفد ليست أحسن حالاً من أسانيدها، بل إن إمكانية حدوث ذلك تبدو وكأنها أشبه بالمستحيل؛ وذلك لأمور منها:

أنه كان من المؤكد أن يزيد على علم بأن وفدًا سيأتيه من أهل المدينة، وكانت الأوضاع في الحجاز وفي المدينة متأزِّمة، وهذا الوفد يمثِّل أشراف أهل المدينة، وخيارهم وصلحاءهم، الأمر الذي يحتم على يزيد أن يظهر أمام الوفد بمظهر الخليفة، العاقل، الحريص على رعيَّته، وأن يُظْهِر لهم البشاشة، وحسن التأدُّب ويُبالغ في إكرامهم. وهذا ما فعله يزيد، وأجمعت عليه الروايات، وهو الموافق لظروف الموقف، إذًا كيف يُعقل أن يُقدم يزيد على معاقرة الخمر، وشربها علنًا، حتى أنه لا يستطيع أن يصلِّي من شدّة السكر، على حسب سياق الرواية؟

لو أن يزيد كان مجنونًا، وذكرت لنا المصادر ذلك وأكدته، لربما صدقنا ذلك.

ولكن خليفة المسلمين الذي يتطلب منه مركزه محاسبة شديدة لنفسه ولتصرفاته، ولكل عمل يُقدم عليه؛ وذلك لشدَّة حساسيَّة موقفه، ولسهولة النقد الذي يمكن أن يوجَّه إليه، هل يُعقل أن يغفل يزيد كل هذه الأمور، ويشرب الخمر على مرأى ومسمع من أهل المدينة.

ومن القرائن المؤكِّدة التي تدل على أن اتهام يزيد بشرب الخمر غير صحيح، ولم يكن هو الدافع الوحيد الذي سيطر على أهل المدينة عند خلعهم ليزيد بن معاوية: أنهم لم يشيروا إلى هذه التهمة خلال الحوادث الآتية:

١ - لما جاء ابن عمر إلى عبد الله بن مُطيع، حينما نزعوا بيعة يزيد بن معاوية قال ابن مطيع: «اطرحوا لأبي عبد الرحمن وسادة. فقال: إني لم آتك لأجلس، أتيتك لأحدثك حديثًا؛ سمعت رسول الله ﷺ يقول: (**من خلع يدًا في طاعة لقي الله يوم القيامة لا حجة له، ومن مات وليس في عنقه بيعة مات ميتة جاهلية**)[1].

ولم يذكر ابن مطيع، والذين معه شيئًا عن شرب الخمر أو ما شابه ذلك، وإلا لبيَّنوا الحق في سبب خروجهم.

٢- أقام علي بن الحسين طويلاً عند يزيد (قرابة شهر)؛ وذلك بعد مقتل والده وأقاربه في كربلاء، وكان يتناول الطعام معه، ومع ذلك لم نجد رواية واحدة عن علي بن الحسين يتَّهم فيها يزيد بشرب الخمر.

كما أن علي بن الحسين لم يخرج مع أهل المدينة على يزيد، وهو الذي يُعتبر أكثر الناس تأثرًا بسياسة الدولة، ثم لا ننسى أنه رجل موتور بقتل والده وأقاربه، فلو أنه عرف أن يزيد يشرب الخمر، ويدع الصلاة لكان أوَّل المسارعين للخروج على يزيد.

٣- من الدلائل على أن تهمة شرب الخمر التي اتُّهم فيها يزيد هي من زيادة وإضافة أُناس ليس لهم أدنى علاقة، أو اطلاع على حالة يزيد: ما ذكره محمد بن

---

(١) صحيح مسلم: ٣/ ١٤٧٨ رقم (١٨٥١) وسيأتي مزيدًا من تخريجه.

الحنفية؛ فحينما وثب الناس وخلعوا يزيد مشى ابن مطيع إلى ابن الحنفية، فأرادوه على خلع يزيد فأبى، فقال ابن مطيع: إنه ليشرب الخمر، ويترك الصلاة، ويتعدَّى حكم الكتاب، قال: ما رأيت منه ما تذكر، وقد أقمت عنده فرأيته مواظبًا للصلاة، متحريًا للخير، يسأل عن الفقه، قال: ذلك تصنُّع ورياء[1].

وفي رواية أنهم قالوا له: «إنه كفر، وفجر، وشرب الخمر، وفسق في الدين، فقال لهم محمد بن الحنفية: ألا تتقون الله؟ هل رآه أحد منكم يعمل ما تذكرون؟ وقال: صحبته أكثر مما صحبتموه فما رأيت منه سوء. قالوا: إنه لم يكن ليُطلعك على فعله. قال: أفأطلعكم أنتم عليه؟ فلئن كان فعل إنكم لشركاؤه، ولئن كان لم يطلعكم لقد شهدتم على غير ما علمتم»[2].

ثم لا ننسى أن محمد بن الحنفية هو أخو الحسين بن علي، وقد فُجع بقتل إخوته وأقاربه في كربلاء، ومع ذلك فقد دافع عن يزيد، ولم يخلع بيعة يزيد بن معاوية، ولم يشترك في معركة الحرة، ولا أظن أنه سوف يقف بجانب يزيد إذا كان على علم مُسبق أن يزيد يشرب الخمر ويترك الصلاة، ولكان أول الخارجين عليه لما أصابه بسببه.

٤- حينما بعث يزيد بن معاوية النعمان بن بشير ﷺ وسيطًا لأهل المدينة، ليثنيهم عن عزمهم على الخروج على يزيد، وأن يؤثر عليهم، ويُبيِّن خطورة

---

(١) الذهبي، تاريخ الإسلام حوادث: (٦١-٨٠) ص٢٧٤ بإسناد حسن. وسير النبلاء: ٤/ ٤٠ من نفس الطريق.

(٢) أنساب الأشراف: ٣/ ٢٧٨-٢٧٩؛ ابن كثير: ٩/ ٢٣٦؛ العيني، عقد الجمان: ق/ ٢٨٧أ.

موقفهم، لم تشر المحاورة التي دارت بين النعمان بن بشير، وبين أهل المدينة إلى اتهام يزيد بشرب الخمر[١].

٥- من المعلوم أن النعمان بن بشير وعبد الله بن جعفر - رضي الله عنهما- يُعتبران من الذين لهم صلة قوية بيزيد بن معاوية؛ فالنعمان بن بشير كان أميره على الكوفة، ثم لَمَّا تفاقم الوضع وازداد خطورة عزله عن الكوفة ليولِّيها ابن زياد، واحتفظ بالنعمان بن بشير كمستشار خاص لما يَستجد من أمور في الدولة، وقام بوساطة بين يزيد وبين ابن الزبير، ثم قام بوساطة بينه وبين أهل المدينة وظلَّ معه حتى توفي يزيد.

وأما عبد الله بن جعفر فهو صحابي جليل، كان يحبه رسول الله ﷺ، وكان يقول: **(وأمَّا عبد الله فشبيه خَلقي وخُلقي)**[٢].

وكان ﷺ يتمتع بصفات عظيمة، وكان من أعظمها الكرم، والمروءة، ونُبل الأخلاق، وكان ﷺ صديقًا لمعاوية، ثم أوصى معاوية ولده يزيد بوجوب حفظ حقه وقدره، وكان يفد على يزيد ويبالغ في إكرامه، وكان قد تخلَّف عن الوفد المدني، ومكث عند يزيد حتى انقضت معركة الحرة.

ولم نر أن هذين الصحابيين ذكرا يزيد بالخمر، أو ترك الصلاة، ثم كيف يكون لهما من المنزلة ما ذكرنا، ولا يعرفون عن يزيد ما يطَّلع عليه ابن الزبير، وأهل

---

(١) الطبري: ٥/ ٤٨١ عن أبي مخنف؛ البياسي: ٢/ ١٠٥ بدون إسناد.

(٢) أحمد، المسند: (١/ ٢٠٤)، وقال أحمد شاكر: ٣/ ١٩٢-١٩٣ رقم (١٧٥٠) إسناد صحيح. وأخرجه مختصرا أبو داود: (٤١٩٢) والنسائي: ٨/ ١٨٢. وقال الهيثمي في مجمع الزوائد: ٦/ ١٥٦-١٥٧): «روى أبو داود وغيره بعضه، رواه أحمد والطبراني، ورجالهما رجال الصحيح».

المدينة من شرب الخمر وترك الصلاة؟!

ثم أين الغضب لله ولرسوله، الذي يجب أن يكونا عليه إذا رأيا يزيد يقوم بشرب الخمر وترك الصلاة، ولا يمنعهما ذلك من مصاحبته ومصادقته؟

ثم كيف يغفل النعمان بن بشير عن شرب الخمر وترك الصلاة، وهو راوي الحديث الصحيح الذي يُعتبر أحد ركائز الإسلام: (**الحلال بيّن والحرام بيّن...الحديث**)[(١)]؟!

وكان يزيد أيضًا محاطًا بالصالحين والتُّقاة من أمثال: خالد بن معدان الكلابي صاحب شرطته، وكان -رحمه الله- من كبار التابعين المشهود لهم بالعبادة والصلاح[(٢)].

وكان له من الأبناء معاوية، وكان صالحًا ناسكًا رحمه الله[(٣)].

وعبد الرحمن وكان من صالحي القوم[(٤)].

---

(١) البخاري مع الفتح: ١/ ١٥٣ رقم ٥٢. صحيح مسلم رقم: (١٥٩٩) وأحمد: (٤/ ٢٧٠) وأبو داود: (٣٣٢٩)، والنسائي: ٧/ ٢٤١)، والترمذي: (١٢٠٥)، وابن حبان: ١/ ٤٩٧ (٧٢١)، والبيهقي السنن الكبرى: (٥/ ٢٦٤)، والدارمي: (٢/ ٢٤٥)، وأبو نعيم، الحلية: (٤/ ٣٣٦)، والبغوي، شرح السنة: (٢٠٣١)، وتاريخ بغداد: ٩/ ٧٠، وابن المستوفي، تاريخ إربل : (١١/ ١٤٧، ٢٠٤). وانظر شرح الحديث يتوسع عند ابن رجب الحنبلي في جامع العلوم والحكم: ١/ ١٩٣-٢١٣.

(٢) ابن سعد الطبقات: ٧/ ٤٥٥، تهذيب تاريخ دمشق: ٥/ ٨٦، الأصفهاني تكملة خريدة القصر (قسم شعراء العراق: ص٨٠٧، الذهبي ، السير: ٤/ ٣٥٦-٥٤١.

(٣) ابن كثير: ٨/ ٢٤٠.

(٤) أبو زرعة، التاريخ: ١/ ٣٥٨؛ العقد الفريد: ٤/ ٣٧٥.

فلماذا إذن لم يطلع هؤلاء على ما اطلع عليه أهل المدينة؟!

وبهذا فقد ثبت لدينا بالقرائن والدلائل التي ذكرناها أن اتهام يزيد بشرب الخمر وترك الصلاة لم يثبت، ولذا قال شيخ الإسلام ابن تيمية: «ولم يكن يزيد مُظهرًا للفواحش كما يحكي عنه خصومه»[١].

ونحن لا نستطيع أن نحكم على يزيد بأنه لا يشرب الخمر؛ فهذا أمر لا يمكن تأكيده، ولكن ما دام لم يثبت دليل على صحة الشيء فيبقى مجرد ظن.

قال ابن العربي: «فإن قيل: كان يزيد خمّارًا، قلنا: لا يحل إلا بشاهدين، فمن شهد بذلك عليه؟»[٢].

ولكن لماذا لا تكن هناك شبهة جعلت من هذه التهمة محلَّ تنقُّل وتأكيد من أبناء الصحابة في المدينة ؟

فمن المعلوم أن أحكام الإسلام تضمَّنت تحريم الخمر، وعلى أنها كبيرة من الكبائر، وجاءت نصوص القرآن الكريم والسنة النبوية تنهى عن هذا المشروب المسكر الذي يُفقد العقل.

وقد كانت الخمر تُصنع في بلاد العرب من عدة أنواع الفواكه، وكان غالب العرب يشربون الخمر كمشروب مُفضَّل في المجتمع الجاهلي.

وكان الخمر يصنع في الغالب -في بلاد العرب- من عصير العنب، أو نقيع

---

(١) الوصية الكبير: ص٢٤.

(٢) ابن العربي، العواصم من القواصم: ص٢٣٣.

التمر، أو العسل، والحنطة، والشعير[١].

وكان النهي بالطبع عن المسكر فقط من هذه الأصناف أو غيرها.

قال الطحاوي: «اتفقت الأمة أن عصير العنب إذا اشتد وغلا وقذف بالزبد فهو خمر، ومستحلّه كافر، واختلفوا في نقيع التمر إذا غلا وأسكر، وهذا يدل على أن حديث يحيى بن أبي كثير عن أبي هريرة عن النبي ﷺ أنه قال: (**الخمر من هاتين الشجرتين: النخلة والعنبة**) غير معمول به عندهم، لأنهم لو قبلوا الحديث لكفّروا مستحل نقيع التمر...»[٢].

ويتبين من خلال كلام الطحاوي، أن هناك طائفة لا ترى في نقيع التمر إذا أسكر شيئًا.

وهذا الخلاف ناتج عن طبيعة المجتمع الإسلامي؛ وذلك خلال فترة مبكّرة من تاريخه، فمن المعلوم أن الفتوحات توسعت توسعًا كبيرًا بعد وفاة النبي ﷺ وتفرق الصحابة في البلدان المفتوحة يجاهدون ويعملون، فكان عند بعض الصحابة من الأحاديث ما ليس عند غيرهم، الأمر الذي ترتّب عليه بعض الاختلاف في بعض الأحكام، ومن ناحية أخرى فقد كان لمسألة الناسخ والمنسوخ شأن آخر في أسباب الخلاف، فربما كان أحد الصحابة يعتمد على

---

(١) البخاري مع الفتح: ١٠/ ٣٨ رقم (٥٥٨١) صحيح مسلم: رقم (٣٠٣٢)، ابن أبي شيبة المصنف: ٨/ ٩ (٤١٣٣)، أبو داود: رقم (٣٦٦٩)، النسائي: ٨/ ٢٩٥، الترمذي: رقم (١٨٧٤)، ابن أبي الدنيا، كتاب ذم المسكر: ص٦٦، أبو نعيم الأصبهاني: تسمية ما انتهى إلينا من الرواة عن الفضل بن دكين: ص٧١-٧٢.

(٢) ابن عبد البر، التمهيد: ١/ ٢٥٦.

حديث معين، وهذا الحديث قد نُسخ بحديث آخر وهو لا يعرف ذلك[١].

وقد كان ذلك من أسباب الخلاف، حتى بعد جمع الأحاديث بشكل مُوسع في القرن الثالث الهجري[٢].

لقد كانت الخمر تُعمل في أوان معينة لها فاعلية كبيرة في جودة الخمر.

وقد جاء النهي الصريح من النبي ﷺ عن استعمال هذه الأواني لعصير العنب، أو نقيع التمر؛ وذلك لسرعة تخمُّرها في هذه الأواني.

وكانت هذه الأواني هي: «الدبّاء التي كان يستعملها أهل ثقيف؛ فقد كانوا يأخذون الدُّباء فيخرطون فيها عناقيد العنب، ثم يدفنونها حتى تهدر ثم تموت، وأما النَّقير فإن أهل اليمامة كانوا ينقرون أصل النَّخلة، ثم يسرحون فيها الرطب والبسر، ثم يدعونه حتى يهدر ويموت، وأما الحنْتم فجرار حمر كانت تحمل فيها الخمر، وأما المزفَّت فهي الأوعية التي فيها الزِّفت»[٣].

وكان العصير من العنب، أو التمر، أو الحنطة، أو الشعير، أو العسل، يُسمى نبيذًا، والنبيذ قد يتحوَّل إلى خمر إذا جعله يتخمَّر، ولذا يكون الخمر أصله من النبيذ[٤].

---

(١) انظر أمثلة ذلك: كتاب ابن شاهين، الناسخ والمنسوخ في الحديث؛ والحازمي، كتاب الاعتبار في الناسخ والمنسوخ.

(٢) انظر: كتاب ابن تيمية: رفع الملام عن الأئمة الأعلام.

(٣) الهيثمي، مجمع الزوائد ٥/ ٦٤-٦٥. وقال: رواه البزار ورجاله ثقات. وانظر النهي عن هذه الأوعية في صحيح البخاري مع الفتح: ١٠/ ٥٩ رقم (٥٥٩٤، ٥٥٩٥)، أحمد: ١/ ١٨٦ رقم (١٨٥) تحقيق أحمد شاكر، ابن أبي شيبة: ٧/ ٥٢١-٥٢٢ (٤٠٠٩).

(٤) ابن منظور، لسان العرب: ٣/ ٥١١.

وقد كان النبي ﷺ يشرب النبيذ، ولكن إذا تجاوز ثلاثة أيام لا يشربه[1]، والحكمة واضحة حيث كان يخشى من تغيُّره وتحوُّله إلى خمر.

وقد كان هناك اختلاف حول جعل النبيذ في الجِرَار؛ فهذا قتادة يقول: «سألت أنسًا عن نبيذ الجرِّ قال: لم أسمع من النبي ﷺ فيه شيئًا، وكان أنس يكرهه»[2].

وعبد الله بن مغفل رضي الله عنه يقول: «أنا شهدت رسول الله ﷺ حين نهى عن نبيذ الجر، وأنا شهدته حين رخَّص فيه، وقال: **(اجتنبوا المسكر)**»[3].

وكانت صفيَّة بنت حُيي -رضي الله عنها- تقول لنسوة من الكوفة يسألنها عن نبيذ الجر: «أكثرتم علينا يا أهل العراق في نبيذ الجر، حرَّم رسول الله ﷺ نبيذ الجرِّ، وما على إحداكن أن تطبخ تمرها، ثم تدلكه ثم تُصَفِّيه، فتجعله في سقائها، وتُوكئ عليه، فإن طاب شَرِبت وسقت زوجها»[4].

ومن هنا يتبين الخلاف حول استعمال نبيذ الجر.

والنبيذ عمومًا كان يشربه الصحابة، ومنهم عمر رضي الله عنه، حتى أنه شربه بعدما طعن[5].

وقد كانت هناك آراء أوسع حول النبيذ إذا أسكر، وبالأخص في العراق،

---

(١) الهيثمي، مجمع الزوائد: ٥/ ٦٦-٦٧. وقال: رواه الطبراني وجاله ثقات عن ابن عباس.

(٢) الهيثمي، مجمع الزوائد: ٥/ ٦١، وقال: رواه أبو يعلى ورجاله رجال الصحيح.

(٣) ابن أبي شيبة، المصنف: ٧/ ٤٦٨ (٣٨١٦)، الهيثمي، مجمع الزوائد: ٥/ ٦٢، رواه أحمد ورجاله ثقات،وفي أبي جعفر الرازي كلام لا يضر وهو ثقة، والطبراني في الكبير والأوسط.

(٤) الهيثمي: مجمع الزوائد: ٥/ ٥٩، وقال: «رواه أحمد والطبراني وأبو يعلى، وصهبرة، ولم يروه عنها غير يعلى بن حكيم فيما وقفت عليه، وبقية رجاله رجال الصحيح».

(٥) صحيح البخاري مع الفتح: (٧/ ٧٥).

فكان إبراهيم النَّخعي -رحمه الله- يرى أن النبيذ إذا أسكر ليس فيه شيء. ولا شك أن هذه زلّة عالم(١).

والسبب الذي جعل إبراهيم النَّخعي يذهب إلى هذا الرأي، هو عدم بلوغه الأحاديث العامة، والناهية عن السكر في غير العنب والتمر(٢).

ثم اعتماده على القياس، وجعل النبيذ خارجًا عن دائرة الخمر حين يقصد بعمله صنع الخمر(٣).

وقد كان هذا المذهب - أي رأي إبراهيم النخعي- معمولاً به عند بعض العراقيين(٤).

قال ابن سحنون: «دخل عليَّ أبي وأنا أؤلِّف كتاب تحريم النبيذ، فقال: يا بني، إنك ترد على أهل العراق، ولهم لطافة أذهان، وألسنة حداد، فإياك أن يسبقك قلمك لما تعتذر منه»(٥).

وقد كان بعض المحدِّثين يشرب النبيذ إذا تغيَّر وتخمَّر ولا يرون به بأسًا.

---

(١) ابن أبي خيثمة: التاريخ الكبير ق١٦ب؛ ابن عبد البر: التمهيد ١/ ٢٥٥؛ النسائي: ٨/ ٣٣٥ بسند صحيح.

(٢) ابن تيمية، مجموع الفتاوى: ٣٤/ ١٨٦، وقال شيخ الإسلام: إن هذا الرأي تابعه عليه الشعبي، وأبو حنيفة، وشريك، وغيرهم. وانظر أيضًا ابن حزم، المحلى: ٧/ ٤٩١، فقد طرق هذا الموضوع بتوسع.

(٣) ابن حجر، الفتح: ١٠/ ٤٦؛ ابن أبي شيبة، المصنف: ٧/ ٥٠٣ (٣٩٣٤).

(٤) ابن عبد البر، التمهيد: ٧/ ١٢٦؛ ابن رجب الحنبلي: جامع العلوم والحكم: ٢/ ٤٦٠.

(٥) القاضي عياض، ترتيب المدارك: ٤/ ٢٠٧، ٢٠٨.

ففي ترجمة خلف بن هشام الرازي المقرئ قال فيه أبو جعفر النفيلي: كان خلف من أصحاب السنَّة لولا بليَّة فيه: شرب النبيذ، ثم تاب بعد ذلك، وقال هو عن نفسه: «أعدت الصلاة أربعين، كنت أتناول فيها الشراب على مذهب الكوفيين»(١).

وقال الخطيب في ترجمة الحسن بن أبي بكر: «وكان مُشتهرًا بشرب النبيذ...» (٢).

وقال علي بن خشرم: «قلت لوكيع: رأيت ابن علية يشرب النبيذ حتى يُحمل على الحمار يحتاج من يردُّه.

فقال وكيع: إذا رأيت البصري يشرب النبيذ فاتهمه، وإذا رأيت الكوفي يشربه فلا تتهمه.

قلت: وكيف ذاك؟ قال: الكوفي يشربه تديُّنًا، والبصري يتركه تديُّنًا»(٣).

ولم يكن شرب النبيذ يُجرح به اتفاقًا(٤).

وكذلك بلاد الشام؛ فقد كان مشتهرًا بها شراب الطِّلاء، وهو شراب من الدِّبس، وسُمِّي طلاء لأنه يشبه طلاء الإبل، وهو القطران الذي يدهن به(٥).

قال ابن كثير في تفسير قوله تعالى: ﴿وَمِن ثَمَرَٰتِ ٱلنَّخِيلِ وَٱلْأَعْنَٰبِ تَتَّخِذُونَ مِنْهُ

---

(١) تاريخ بغداد: ٨/ ٣٢٧؛ سير أعلام النبلاء: ١٠/ ٥٧٨؛ ابن مفلح: المقصد الأرشد: ١/ ٣٧٨.

(٢) تاريخ بغداد: ٧/ ٢٧٩.

(٣) ابن حجر، تهذيب التهذيب: ١/ ٢٤٣.

(٤) المعلمي، التنكيل: ٤٣٩.

(٥) ابن حجر، الفتح: ١٠/ ٦٦.

سَكَرًا وَرِزْقًا حَسَنًا إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴾ [النحل: ٦٧].

«...بذكر ما يتخذه الناس من الأشربة، من ثمرات النخيل والأعناب، وما كانوا يصنعون من النبيذ المسكر قبل تحريمه؛ ولهذا امتن به عليهم فقال: ﴿ وَمِن ثَمَرَاتِ النَّخِيلِ وَالْأَعْنَابِ تَتَّخِذُونَ مِنْهُ سَكَرًا ﴾ دل على إباحته شرعًا قبل تحريمه، ودلَّ على التسوية بين السَّكَر المتخذ من العنب، والمتخذ من النخل كما هو مذهب مالك والشافعي وأحمد وجمهور العلماء، وكذا حُكْم سائر الأشربة المتخذة من الحنطة والشعير والذرة والعسل، كما جاءت السنة بتفصيل ذلك، وليس هذا موضع بسط ذلك، كما قال ابن عباس في قوله: ﴿ سَكَرًا وَرِزْقًا حَسَنًا ﴾ قال: السَّكَر: ما حرم من ثمرتيهما، والرزق الحسن ما أحل من ثمرتيهما. وفي رواية: السَّكر حرامه، والرزق الحسن حلاله. يعني: ما يبس منهما من تمر وزبيب، وما عمل منهما من طلاء - وهو الدِّبس - وخل ونبيذ، حلال يشرب قبل أن يشتد، كما وردت السنة بذلك»[1].

«وكان عمر لما قدم الشام شكا إليه أهل الشام وباء الأرض وثقلها، وقالوا: لا يصلحنا إلا هذا الشراب، فقال عمر ﷺ: اشربوا العسل، فقالوا: لا يصلحنا إلا هذا الشراب. فقال عمر: اشربوا العسل، فقالوا: لا يصلحنا العسل، فقال رجل من أهل الأرض: هل لك أن نجعل لك من هذا الشراب شيئًا لا يسكر، فقال: نعم، فطبخوه، حتى ذهب منه الثلثان، وبقي الثلث، فأتوا به عمر، فأدخل عمر فيه إصبعه ثم رفع يده، فتبعها يمطمط، فقال: هذا الطلاء مثل طلاء الإبل

---

(١) ابن كثير،التفسير: ٤/ ٥٠٠.

فأمرهم عمر أن يشربوه.

فقال له عبادة بن الصامت: أحللتها والله، فقال عمر: كلا والله، اللهم إني لا أُحلُّ لهم شيئًا حرَّمتَه عليهم، ولا أُحرِّمُ شيئًا أحللتَه لهم»(١).

وكتب عمر إلى عمّار: «أما بعد، فإنه جاءتني عير تحمل شرابًا أسود، كأنه طلاء الإبل، فذكروا أنه يطبخونه حتى يذهب ثلثاه الأخبثان: ثلث بريحه، وثلث ببغيه، فمر مَنْ قِبَلَك أن يشربوه»(٢).

وكان أبو عبيدة بن الجراح، ومعاذ بن جبل، وأبو طلحة، يشربون بالشام من الطلاء مما طُبخ على الثلث(٣).

ومن هنا يتبين مدى الخلاف بين الصحابة أنفسهم حول نظرتهم للنبيذ، ولا شك أن من يحرمه كان يخشى من تحوله إلى الخمر، وسدًا للذرائع -حيث قد يستغل البعض هذا الترخيص في شرب الطلاء بعد الطبخ- فقد نهى عنه عمر بن عبد العزيز رحمه الله(٤).

---

(١) الموطأ كتاب الأشربة، باب جامع تحريم الخمر: ٢/ ٨٤٧ رقم ١٤، ٣/ ١٥٥-١٥٦، الزرقاني: شرح الموطأ: ٤/ ١٧٤ (١٦٤٥)، ٢٥٥ (١٧١٢٠)، ابن أبي شيبة: المصنف ٧/ ٥٣٤ (٤٠٦٢).

(٢) النسائي، السنن: كتاب الأشربة: ٨/ ٣٢٩. وقد ذكره الحافظ ابن حجر في التعليق: ٥/ ٢٤، وحكم المحقق على السند بالصحة.

(٣) عبد الرزاق: المصنف: ٩/ ٢٥٥ (١٧١٢٢)، ابن أبي شيبة: المصنف: ٧/ ٥٢٨ (٤٠٣٩) وسنده صحيح كما في تغليق التعليق لابن حجر ٥/ ٢٥.

(٤) ابن أبي شيبة: المصنف: ٨/ ٥٣٥ (٤٠٦٣)؛ البيهقي: السنن الكبرى: ٨/ ٢٩٥؛ الباجي: المنتقى بشرح الموطأ ٣/ ١٥٧. وقد عقد النسائي بابًا بعنوان: «ذكر ما يجوز شربه من الطلاء وما لا يجوز». أورد فيه الآثار عن الصحابة -رضوان الله عليهم- في الطلاء. (السنن: ٨/ ٣٢٨).

وكان شرب الطلاء يستعمل بكثرة في بلاد الشام، وقد أدَّت غيرة عبد الله بن عمرو ابن العاص ﷺ، وتحريمه لهذا الشراب؛ أدَّت إلى استغراب معاوية ﷺ(١).

وقد كان معاوية ﷺ لا يرى في مثل هذه الأشربة شيئًا، حين لم يُعر أيّ اهتمام لرأي بريدة بن الحصيب ﷺ؛ قال عبد الله بن بريدة: «دخلت أنا وأبي على معاوية، فأجلسنا على الفراش، ثم أتانا بالطعام فأكلنا، ثم أتانا بالشراب، فشرب معاوية، ثم ناوله أبي ثم قال: ما شربته منذ حرَّمه رسول الله ﷺ، ثم قال معاوية: كنت أجمل شباب قريش وأجوده ثغرًا، وما شيء كنت أجد له لذَّة كما كنت أجده وأنا شاب غير اللبن، أو إنسان حسن الحديث يحدثني»(٢).

كما كان شراب الطلاء يشرب في المدينة أيضًا، وربما أدَّى إلى السكر، ولذا قال عمر ﷺ: «إني وجدت من عبيد الله بن عمر ريح الشراب، فزعم أنه الطلاء، وإني سائل عمَّا شرب، فإن كان يُسكر جلدته، فجلده عمر الحدَّ تامًّا»(٣).

وهكذا رأينا أن شرب النبيذ هو مما اختلف فيه فقهاء ذلك العصر، وبالأخص

---

(١) الهيثمي: مجمع الزوائد: ٥/ ٧١-٧٢، وقال: رواه الطبراني عن شيخه إبراهيم بن محمد بن عرق، وضعفه الذهبي فقال: غير معتمد، ولم أر للمتقدمين فيه تضعيفًا، وبقية رجاله وثّقوا.

(٢) أحمد: ٥/ ٣٤٧، الفتح الرباني: ١٧/ ١١٥. وقال الهيثمي في المجمع: ٥/ ٤٢، رواه أحمد ورجاله رجال الصحيح.

(٣) الموطأ: ١/ ٨٤٢، عبد الرزاق: المصنف: ٩/ ٢٢٨ (١٧٠٢٨)، وذكره البخاري تعليقًا. انظره مع الفتح: ١٠/ ٦٥. وقال ابن حجر: «سنده صحيح». انظر: الفتح: ١٠/ ٦٧، وانظر: تغليق التعليق: ٥/ ٢٦.

في عهد الصحابة ﷺ، وإن كان منشأ ذلك الاختلاف هو الورع، وإلا فإن المسكر ليس موضع خلاف.

ولم لا يكون هذا الطلاء هو أحد الأشربة التي كان يتناولها يزيد وأهل الشام ولا يرون فيها شيئًا، ولعل هذا هو الموافق لحالة المصاحبين ليزيد أمثال: النعمان بن بشير، وعبد الله بن جعفر، وإلا لكانوا أسبق الناس إلى الإنكار عليه، وهجره، والبعد عنه.

وقد ظن من رآه يشرب ذلك الشراب أو غيره ظنه خمرًا.

وكان يزيد يسقي ضيوفه شرابًا عجيبًا في طعمه ومذاقه، قال زياد الحارثي: «سقاني يزيد شرابًا ما ذقت مثله، فقلت: يا أمير المؤمنين لم أُسلسل مثل هذا. قال: هذا رُمَّان حلوان، بعسل أصبهان، بسكَّر الأهواز، بزبيب الطائف، بماء بردى»[1].

ويبدو أن يزيد قد علم بتلك التهمة التي ألصقت به، وعرف أن ابن الزبير ﷺ هو المتسبب في إلصاق تلك التهمة به، مما جعل يزيد يُنكر ذلك، ويُؤكد النفي بأمر عملي حين جهز الجيوش لحرب ابن الزبير وأهل المدينة، وكأنه يقول لهم: إن الذي يشرب الخمر لا يجهز جيشًا ولا يرسل بعثًا، فقال في قصيدته:

أبلغ أبا بكر إذا الأمر انبرى ... وشارف الجيش على وادي القرى

أجمع سكران من القوم ترى ... أم جمع يقظان نفى عنه الكرى[2]

---

(١) الذهبي: سير أعلام النبلاء: ٤/ ٣٧.

(٢) ابن عساكر (ترجمة عباد بن أوفى – عبد الله بن ثوب): ص٣٠٨، وسيأتي مزيد من تخريجه.

ولا شك أن التصوُّر الذي أخذه مَعقل بن سنان الأشجعي ومن معه من الوفد المدني عن يزيد بن معاوية قد أعطى انطباعًا لدى المدنيين بأن يزيد فاسق شارب للخمر[1]، وقد رأينا أن بعض الصحابة كانت له نظرة حول تلك الأنبذة؛ مثل عبادة بن الصامت الذي أنكر على عمر ، واتهمه بتحليل شرب الخمر حين أذن لأهل الشام بشرب الطلاء، وكذلك موقف عبد الله بن عمرو بن العاص، وبريدة بن الحصيب من معاوية ، مما يجعل اتهام أهل المدينة ليزيد بشرب الخمر ناتج عن تلك الشبهة التي أدَّت إلى الخلاف.

وظنِّي أن وفد المدينة لم يروا يزيد وهو يشرب الخمر، وإن كانوا رأوا شرابًا يشربه فإنما هو نبيذ، ولعله يكون نبيذ الطلاء، أو غيره من الأشربة، الأمر الذي جعلهم يظنون فيه أنه يشرب المسكر.

وأما بالنسبة لاتهامه بعدم الصلاة، فكما رأينا في رواية المدائني تفصيلاً لحالة يزيد الصحية،؛ فقد أقاموا عشرة أيام ولم يدخلوا عليه، وكان طبيعيًا أن لا يروه في المسجد بسبب حالته، ثم إن الرواية تذكر أنه استقبلهم وهو ممدَّد على كرسيه، والذي يظهر من تصرُّف العباس بن سهل أنه تقصَّد إيلامه في رجله التي يشتكي منها، لكي يتعرَّف على مدى صدقه في ادعائه بأنها تُؤلمه، الأمر الذي يعطي انطباعًا لدى الوفد أن يزيد لا يصلي.

وبهذا نصل إلى أن اتهام يزيد بشرب الخمر لا يخرج عن أحد أمرين: إما أنها تهمة لُفِّقت

---

(١) الطبري: ٥/ ٣٩٢ عن عوانة، وسيأتي مزيد من تخريجه.

ضدَّه، وذلك لمقاصد ومآرب واضحة، وإما أن تكون شُبهة بُنيت على تصوُّر فاسد، وأُعطيت أكثر مما تستحق حتى راجت، وأصبح من الصعوبة التصدِّي لها أو نفيها.

قال ابن خلدون: «وكان يزيد يشرب نبيذ التمر على مذهب أهل العراق، وفتاويهم فيها معروفة، وأما الخمر الصرف فلا سبيل إلى اتهامه به، ولا تقليد الأخبار الواهية فيها. فلم يكن الرجل بحيث يواقع مُحرَّمًا من أكبر الكبائر عند أهل الملة. ولقد كان أولئك القوم كلهم بمنجاة من ارتكاب السرف والترف في ملابسهم، وزينتهم، وسائر متناولاتهم، لما كانوا عليه من خشونة البداوة وسذاجة الدين؛ لم يفارقوهما بعد، فما ظنك بما يخرج عن الإباحة إلى الحظر، وعن الحِلِّيَّة إلى الحرمة»[1].

ولعل من الأمور التي أدت إلى تذمُّر وفد المدينة من يزيد بن معاوية: لما رأوه من محبته للصيد والتنزه، فكما هو معلوم أن يزيد عاش حياة مرفَّهة بالقياس مع غيره؛ فقد وُلد وأبوه أمير الشام، ولَمَّا تجاوز العاشرة أصبح والده ﷺ خليفة المسلمين، وظل يعيش حياة أبناء الملوك عشرين سنة كاملة، الأمر الذي أعطاه مُتّسعًا من الوقت، وقدرة للحصول على كل ما يطلبه، وتهيَّأت الظروف له ليمارس هواياته، وكان من هوايات يزيد رياضة الصيد، ولعله كان يُتَّهم بهذه الرياضة، ويحرص عليها حتى جعلت الألسن تطاوله وتنال منه، وتتهمه بالاستهتار وتضييع أمر الأمة في مقابل محبته للصيد.

وكل هذه الأمور والشبهات التي رافقت زيارة الوفد المدني ليزيد قد ولَّدت لديهم إحساسًا، وأعطتهم إصرارًا قويًا بوجوب عزل يزيد، وأن ابن الزبير على

---

(١) ابن خلدون، المقدمة: ١/ ٤٧-٤٨.

حقٍّ في موقفه من يزيد، كما أصبح لديهم حنين جارف، وتوق كبير للرجوع بالأمة إلى حياة الشورى التي كانت سائدة إبان فترة الخلفاء الراشدين؛ وأن يجعلوا حدًّا لولاية العهد، وخاصة أن يزيد قد أخذ البيعة لولده معاوية.

وكان هذا الرأي مشتركًا بين أعضاء الوفد، وذلك قبل مغادرة بلاد الشام(١).

فقد أفصح أحد أعضاء الوفد، وهو مَعْقِل بن سنان الأشجعي ﵁، عن هذه الفكرة إلى قائد كبير من قوَّاد يزيد بن معاوية.

فقد قابل معقل بن سنان الأشجعي مسلم بن عقبة المري في طبريَّة، وذلك بعد رجوع الوفد من عند يزيد، فقال معقل: «نرجع إلى المدينة فنخلع هذا الفاسق، ونُبايع رجلًا من أبناء المهاجرين».

وبهذا فإن أهل المدينة لم يخرجوا على يزيد باعتباره كافرًا، أو مُتَّهما بالزندقة، وإنما خرجوا عليه لما ظنُّوه به من فسق، ولذا قال ابن كثير رحمه الله: «ولمَّا خرج أهل المدينة عن طاعته، وخلعوه، وولوا عليهم ابن مطيع، وابن حنظلة، لم يذكروا عنه -وهم أشد الناس عداوة له- إلا ما ذكروه عنه من شرب الخمر، وإتيان بعض القاذورات، ولم يتهموه بزندقة كما يقذفه بذلك بعض الروافض»(٢).

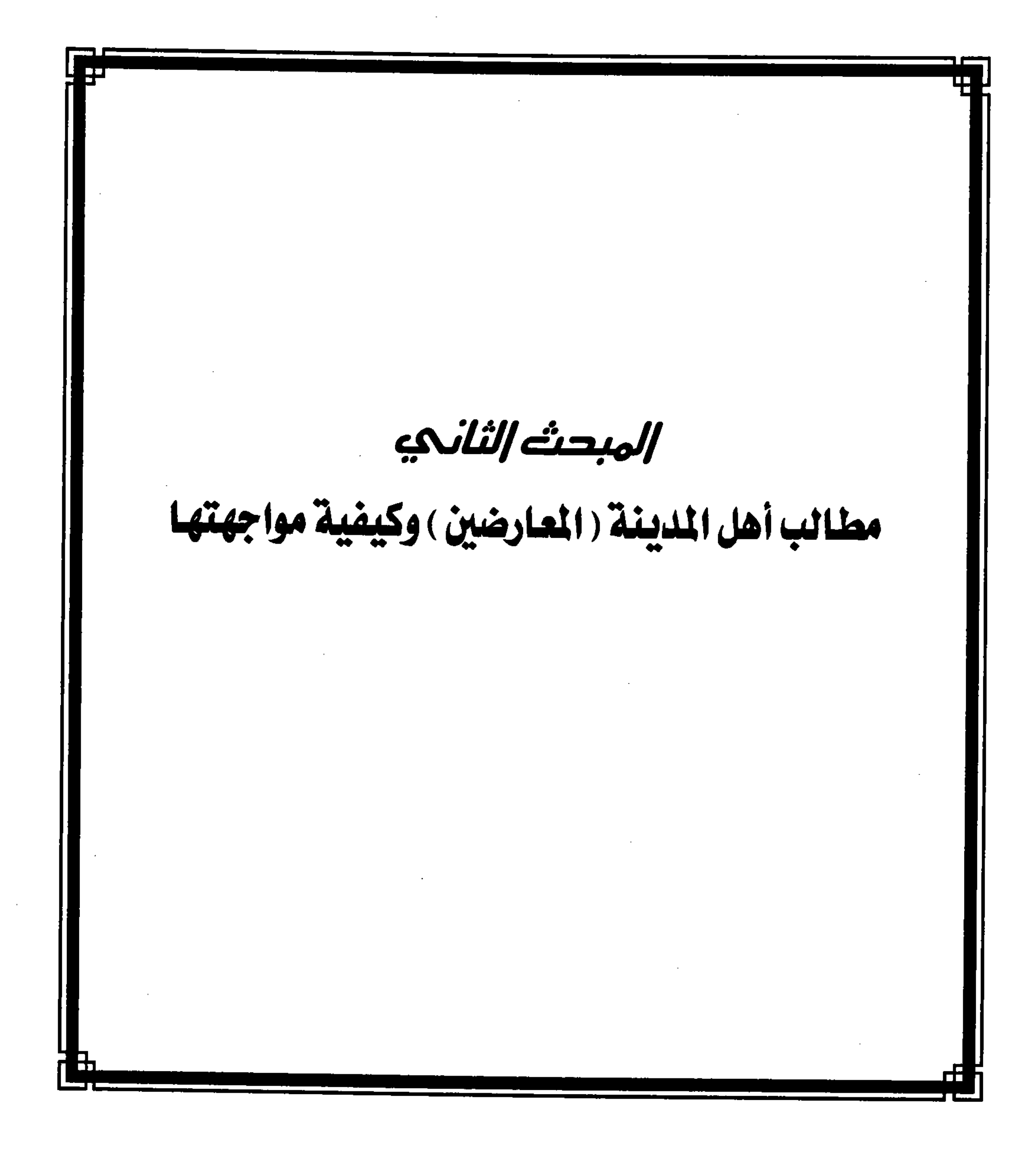
وقال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: «...ولا كان كافرًا، ولا زنديقًا...»(٣).

---

(١) الطبري: ٥/ ٣٩٢ عن عوانة وأبي مخنف؛ البياسي: الإعلام: ٢/ ١٢٩ عن أبي بشر الدولابي بإسناد حسن إلى عوانة، ابن سعد: الطبقات: ٤/ ٨٣، من طريق الواقدي؛ أبو العرب: المحن: ص١٨٢ من طريق الواقدي؛ الحاكم: المستدرك: ٣/ ٥٢٢ من نفس الطريق.

(٢) ابن كثير: البداية والنهاية: ٨/ ٢٣٥؛ ابن طولون: القيد الشريد: ق٧.

(٣) ابن تيمية: الوصية الكبرى: ص٤٤.



المبحث الثاني

مطالب أهل المدينة (المعارضين) وكيفية مواجهتها



المبحث الثاني

مطالب أهل المدينة (المعارضين) وكيفية مواجهتها

١- علاقة المعارضين في المدينة بابن الزبير رضي الله عنه:

كما ذكرنا من قبل، فإن قيام ابن الزبير بالمعارضة، واستمرار معارضته أكثر من ثلاث سنوات، قد أعطت الكثير من أبناء الصحابة الجُرْأة والصراحة على رفض الحكم الأموي.

ولكن يا ترى ما هي المطالب التي عرضها أهل المدينة في هذه المعارضة؟

لم تحدد لنا المصادر التاريخية مطالب المدنيين التي قدموها، ولكن الإشارات التي وصلت إلينا عن دوافع هذه المعارضة، تعرض لجانب مهم من جوانب المطالب التي رفعها المدنيُّون.

فقد كان ابن الزبير ﷺ يدعو للشورى في مكة، وأهل المدينة رفعوا هذا المبدأ خلال المعارضة[1].

إن رفع شعار الشورى في المدينة ليس بتأثير ابن الزبير وحده، بل لأن المنطلقات لدى الجانبين شرعية؛ فالمصدر الذي صدروا عنه جميعًا هو الكتاب والسنة.

وكان ما أفصح عنه معقل بن سنان حين قابل مسلم بن عقبة، يوضح جانبًا مهمًا من إرادة أهل المدينة ومطالبهم؛ فقد كانت مبايعة واحد من أبناء المهاجرين

---

(١) خليفة، التاريخ: ص٢٣٦.

مطلبًا أساسيًا لمعارضة أهل المدينة[١].

وأعتقد أن الطريقة التي تم بها خلع يزيد، وتلك المشاعر الجيَّاشة التي صاحبت الخلع، وتولي القيادة من أناس على قدر كبير من الصلاح والعبادة، يؤكد أهمية هذا الجانب الذي طالب به المعارضون.

ولا شك أن العلاقة التي تجمع بين معارضة أهل المدينة، وبين معارضة ابن الزبير، هي أكبر مما تبدو للوهلة الأولى من خلال النصوص.

فالمطالب التي طالب بها أهل المدينة، لا تخرج عن المطالب التي طالب بها ابن الزبير منذ أيام أخذ البيعة ليزيد، وذلك في حياة والده معاوية بن أبي سفيان.

فقد كانت الشورى هي المطلب الرئيسي الذي رفعه ابن الزبير خلال معارضته، وكذلك أهل المدينة رفعوا هذا المبدأ خلال المعارضة ليزيد.

ومن الأدلة القوية على عمق الرابطة بين المعارضتين، وأن معارضة أهل المدينة ما هي إلا تعبير قوي لميل أهل المدينة مع ابن الزبير، ما ذكره نافع مولى ابن عمر -رضي الله عنهما- المعاصر لتلك الفترة، والشاهد عليها، حين قال: «لَمَّا انتزى أهل المدينة مع ابن الزبير وخلعوا يزيد بن معاوية...»[٢].

وقد ورد في قصيدة أبي قطيفة (عمر بن الوليد بن عقبة بن أبي معيط) ما يؤيد

---

(١) الطبري: ٥/ ٤٩٢ عن عوانة وأبي مخنف؛ البياسي: الإعلام: ٢/ ١٢٩ عن أبي بشر الدولابي بإسناد حسن حتى عوانة.

(٢) أحمد، المسند: ٨/ ٦٦ بإسناد صحيح كما حكم عليه أحمد شاكر، ابن حجر: الفتح: ١٣/ ٧٥ عن أبي العباس السراج في تاريخه، والسند صحيح.

ارتباط معارضة أهل المدينة بابن الزبير ﷺ.

فأبو قطيفة أحد الأمويين الذين أخرجهم أهل المدينة إلى بلاد الشام، فقال مُتحسِّرًا على فراق المدينة:

«بكى أُحد لَما تحمَّل أهله ... فكيف بذي وجد من القوم آلفٍ

من أجل أبي بكر جَلَتْ عن بلادها ... أميةُ والأيام ذات تصارف»[1]

ويقصد بأبي بكر: عبد الله بن الزبير، حيث كان يُكنّى بأبي بكر.

وابن عمر ﷺ كان يتمنى قتال الفئة الباغية، وحين سُئل عن الفئة الباغية قال: «ابن الزبير بغى على بني أمية، فأخرجهم من ديارهم ونكث عهدهم»[2].

وكان ابن عمر يُحَمِّل ابن الزبير مسؤولية إخراج الأمويين من المدينة.

ومما يُوضِّح تلك العلاقة التي تربط بين معارضة المدنيين، ومعارضة ابن الزبير: أن الجيش الذي أرسله يزيد إلى أهل المدينة، ومن ثم إلى ابن الزبير، لم يسمح أهل المدينة له بالاجتياز لابن الزبير، ومنعوه حتى قاتلوه، ثم إن الذين فرُّوا من الحرة، ونجوا منها التجؤوا لابن الزبير، ثم إن المنظِّم لجيش أهل المدينة -وهو عبد الله بن مطيع- كان أحد أعوان ابن الزبير ومن المقربين له.

وحتى يزيد بن معاوية كان يعتبر الجيش الذي يتَّجه لأهل المدينة، إنما هو

---

(١) ابن شبة، تاريخ المدينة: ١/ ٢٩٨؛ أبو الفرج: الأغاني: ١/ ٢٦؛ البياسي: الإعلام: ٢/ ١١٢.

(٢) الذهبي: تاريخ الإسلام حوادث: (٦١-٨٠) ص٤٦٥ مكتفيًا بقوله: «قال الزهري: قال ابن عمر...»؛ ابن حجر، الفتح: ١٣/ ٧٧ مُحيلاً على تاريخ يعقوب. ولم أعثر على ذلك في تاريخه المطبوع. ولعل هذا الخبر في الجزء المفقود منه.

متَّجه لابن الزبير، وقد اتضح ذلك من خلال قصيدته التي قالها عند تجهيز الجيش، فقال:

أبلغ أبا بكر إذا الجيش سرى　　　وهبط القوم على وادي القرى

ويقصد بذلك ابن الزبير ﵁.

ولقد قال ابن حجر في ترجمة مروان بن الحكم: «ولم يزل بالمدينة حتى أخرجه ابن الزبير منها، وكان ذلك من أسباب وقعة الحرة»(١)، كما حمَّل البلاذري(٢)، وابن قتيبة(٣)، والقضاعي(٤)، عبد الله بن الزبير المسؤولية عن إخراج بني أمية من المدينة.

٢- إرسال الجيش إلى المدينة:

بعد رجوع الوفد إلى المدينة تلاحقت الأحداث بسرعة عجيبة؛ حيث تم إعلان خلع يزيد بن معاوية، وكان البادي بذلك: عبد الله بن عمرو بن حفص(٥).

وكان الجو الذي تم فيه إعلان الخلع يتميز بالعواطف الجيَّاشة، والأحاسيس المتدفِّقة، دون التبصُّر بعواقب الأمور، ونتائجها المرتقبة.

وذلك أمر طبيعي في مثل تلك الظروف؛ حيث يسيطر في الغالب المندفعون، والمتحمسون، وأصحاب المصالح، ولا يُلتفت لأصحاب الرأي، بل إن الذي

---

(١) ابن حجر، الإصابة: ٦/ ٢٥٨.

(٢) البلاذري، أنساب الأشراف: ٤/ ٣٢٧.

(٣) ابن قتية، المعارف: ٣٥١.

(٤) القضاعي، الأنباء: ق٦٤ أ.

(٥) ابن حزم، جمهرة أنساب العرب: ص١٤٩.

يعارضهم ربما يُتَّهم بالخيانة والعمالة.

وقام المعارضون بالوثوب على أمير المدينة -عثمان بن محمد- ومن معه من بني أمية ومواليهم، ومن عُرف بالميل لهم من قريش، فكانوا يُقاربون ألف رجل، فألجؤهم إلى دار مروان بن الحكم، وكان قصرًا واسعًا يقع بجانب الحرة في عرصة البقل[(١)].

وحاصرهم الناس في القصر، وهتفوا بخلع يزيد[(٢)]، ولم تُفد توسلات عثمان ابن محمد لأهل المدينة بالكف عن محاصرتهم، والاستماع إلى صوت العقل[(٣)].

وكتب مروان بن الحكم إلى يزيد بن معاوية كتابًا يصف فيه حالتهم قائلا فيه: «بسم الله الرحمن الرحيم: أما بعد، فإنه قد حُصرنا في دار مروان بن الحكم، ومُنعنا العذب، ورُمينا بالجبوب[(٤)]، فيا غوثاه، يا غوثاه».

وقام عبد الملك بدفع الكتاب إلى حبيب بن كره، وأمهله أربعًا وعشرين ليلة حتى يعود بالجواب من عند يزيد بن معاوية.

ويذكر حبيب بن كره أنه مضى بالكتاب حتى قدم على يزيد، وهو جالس على كرسي، وقد وضع قدميه في ماء، وذلك بسبب مرض يقال له: النقرس[(٥)].

---

(١) العرصة: كل شيء متسع، وعرصة البقل: الجانب الغربي من العقيق وتلتقي مع الجرف. انظر (وفاء الوفاء: ٣/ ١٠٥٥؛ معالم طابة: ص٢٥٧).

(٢) البلاذري: أنساب الأشراف ٤/ ٣٢١؛ السمهودي وفاء الوفاء: ٣/ ١٠٥٤ عن الواقدي.

(٣) البياسي: الإعلام: ٢/ ١٠٧.

(٤) الجبوب: الأرض الغليظة (القاموس المحيط: ص٨٣).

(٥) النّقرس: ورم ووجع في مفاصل الكعبين، وأصابع الرجلين (القاموس المحيط: ص٧٤٦).

فلما قرأ يزيد كتاب مروان بن الحكم تمثل بقول الشاعر:

لقد بدَّلوا الحلم الذي منِّي فبدَّلتْ قومي غلظةً بليانِ[(١)]

ثم تساءل يزيد عن بني أمية في المدينة، وعن عددهم وكيف أنهم لم يستطيعوا أن يواجهوا أهل المدينة ولو ساعة من النهار، وهنا اعتذر عنهم حبيب بن كره بكثرة الناس الذين تحزَّبوا ضدهم[(٢)].

ويذكر الواقدي أن عثمان بن محمد أرسل رسالة أخرى إلى يزيد، ولعل يزيد أدرك خطورة الوضع في المدينة فقام بإعداد الجيش، وعرض القيادة على عمرو بن سعيد، ولكنه اعتذر خوفًا من وقوع القتال، ثم إن الخارجين على السلطة هم في الغالب من أقاربه.

وقام يزيد بإسناد القيادة إلى مسلم بن عقبة، وكان شيخًا كبيرًا ضعيفًا مريضًا.

ويذكر جويرية بن أسماء (ت١٧٣هـ): أن معاوية قد أوصى يزيد بمسلم بن عقبة في حالة قيام أهل المدينة بالمعارضة[(٣)].

وهذه الرواية لا يمكن الاعتماد عليها؛ لأن فيها توقُّع معاوية بأن أهل المدينة سيخرجون على يزيد، ومن المعلوم أن أهل العراق كانوا أشد خطرًا على الدولة من أهل المدينة، فلماذا هذا التركيز على أهل المدينة دون غيرهم.

---

(١) الطبري: ٥/ ٤٨٣؛ ابن كثير: الكامل في التاريخ: ٤/ ١١١.

(٢) الطبري: ٥/ ٣٨٤ عن أبي مخنف؛ أنساب الأشراف: ٤/ ٣٢٢ عن أبي مخنف.

(٣) خليفة: التاريخ: ٣٧، البلاذري: ٤/ ٣٣٤؛ أبو الحسن العبدي، العفو والاعتذار: ١/ ٣٨ كلها من نفس الطريق؛ مجمع الزوائد: ٧/ ٢٤٩-٢٥٠، وفيه ابن رمانة: لا يُعرف.

كما يظهر أن فيها محاولة لإبراز قوة أهل المدينة، وإظهار مكانتهم ونفوذهم السياسي والعسكري، كما أن الرواية تعطي انطباعًا وشعورًا عامًا بأن معاوية يتحمَّل جزءًا من المسؤولية عن معركة الحرة؛ حيث إنه نصح يزيد بتولية مسلم بن عقبة.

ربما أن معاوية نصح يزيد باستعمال مسلم بن عقبة، والاعتماد عليه عند بروز أخطار تهدد أمن الدولة واستقرارها، باعتباره أحد المخلصين للقيادة الأموية؛ حيث شارك مع معاوية في معارك صفِّين ضد علي رضي الله عنه(١).

ولعل من الأسباب التي تجعلنا نشك في صحة رواية جويرية هو أن يزيد قد عرض القيادة على عمرو بن سعيد بن العاص، بل إن بعض الروايات تذكر أنه عرض القيادة أيضًا على عبيد الله بن زياد فرفض(٢).

ولقد خشي عبد الله بن جعفر ﷺ على أهل المدينة من هذا الجيش، فترجَّى يزيد بأن يصفح عنهم، وأن يكفَّ عن إرسال الجيش لأهل المدينة(٣)، وكذلك ترجَّاه صخر بن عامر بن أبي جهم رضي الله عنه، وهو من أهل المدينة، وكان عنده في تلك اللحظة(٤).

وكما يبدو أن يزيد قد تساهل في موقفه ضد أهل المدينة، وذلك بعد إلحاح

---

(١) ابن عساكر : التاريخ، (ترجمة مسلم بن عقبة): ١٦/ ق١٥.

(٢) البلاذري: أنساب الأشراف: ٤/ ٣٢٢؛ الطبري: ٥/ ٤٨٣ عن أبي مخنف، والسند الآخر فيه ابن حميد، وهو ضعيف.

(٣) ابن سعد، الطبقة الخامسة:/ ٤٧٣، نفس المصدر: ٥/ ٤٥ كلها من طريق الواقدي؛ البياسي: الإعلام ٢/ ١٠٨ عن الواقدي.

(٤) ابن بدران، مختصر تاريخ دمشق: ٦/ ٤١٠.

عبد الله بن جعفر رضي الله عنه، وقد قال يزيد لابن جعفر: «أنا أجيبك فيهم إلى ما تريد، إن ابن الزبير حيث رأيت، وقد نَصب لنا الحرب، وأنا أبعث الجيوش، وآمر صاحب أول جيش أبعثه أن يتخذ المدينة طريقًا ولا يقاتلهم، فإن أقر أهل المدينة بالسمع والطاعة تركهم وجاوزهم إلى ابن الزبير، وإن أبوا أن يُقرُّوا قاتلهم، ثم إن ظفر بهم نهبها ثلاثًا، هذا عهدي إليه وأمري».

يقول عبد الله بن جعفر: «فرأيت أن هذا فرج عظيم، فرجعت إلى منزلي فكتبت في ليلتي كتابًا إلى ابن حنظلة وغيره، أعلمتهم قول يزيد لي، وأن لا يعرضوا للجيش إذا مر بهم، ويدخلوا في السمع والطاعة، فإنا لا نرى شعارًا قط، ولا أمرًا خيرًا من الجماعة. وأمر رسوله بأن يسير عشرًا فقط حتى يصل إلى المدينة، ولكن أهل المدينة رفضوا ذلك. وقالوا: لا والله لا يدخلها علينا عنوة»[1].

وأخذ يزيد في تجهيز الجيش وإعداده، وقد بلغ عدد الجيش اثني عشر ألف مقاتل[2]، وهو جيش يستطيع أن يحقِّق مهامه مقارنة بأعداد أهل المدينة، ولكن قد اتضح من خلال شعر يزيد أن عدد الجيش عشرون ألفًا من الجند؛ حيث قال يزيد:

«أبلغ أبا بكر إذا الليل سرى ... وهبط القوم على وادي القرى

---

(١) ابن سعد، الطبقة الخامسة: ص٤٧٣، ٥/ ١٤٥ من طريق الواقدي؛ البياسي: ٢/ ١٠٨ من طريق الواقدي؛ ابن عساكر: ١٦/ ق٤٧٧ عن الواقدي.

(٢) أنساب الأشراف: ٤/ ٣٢٢، الذهبي: تاريخ الإسلام حوادث: (٦١-٨٠) ص٢٠ عن المدائني.

عشرون ألفًا بين كهل وفتى   أجمع سكران من القوم ترى
أم جمع يقظان نفى عنه الكرى   يا عجبًا من ملحد يا عجبا
مُخادع في الدين يقفوا بالعُرى»[١]

ولكن البلاذري قد أورد هذه الأبيات، ولم يذكر فيها شطر البيت الذي عيّن فيه العدد بل كان كالتالي:

«أبلغ أبا بكر إذا الجيش انبرى   وأشرف القوم على وادي القرى
أجمع سكران من القوم ترى   أم جمع يقظان إذا حث السرى
وا عجبًا من ملحد وا عجبًا   مخادع في الدين يقفوا بالفرى»[٢]

وبذلك يكون الشعر مستقيمًا بدون زيادة ذلك الشطر الذي أُقحم في الشعر إقحامًا كما يبدو من سبك الأبيات.

ثم إن الشعر الذي أورده البلاذري بدون ذلك الشطر الذي فيه عدد الجيش، قد تابعه عليه عدد من الذين ذكروا الأحداث، وذكروا شعر يزيد في تلك المناسبة[٣].

ولَّما علم أهل المدينة بقدوم الجيش، ضيَّقوا على بني أمية الحصار، وحاصروهم حصارًا شديدًا، وهدَّدوهم بالقتل إن لم يعطوهم العهود والمواثيق على أن لا يخونوهم، ولا يدلُّوا جيش الشام على عورات المدينة وثغراتها، وعلى

---

(١) الطبري: ٥/ ٤٨٤ عن أبي مخنف؛ البياسي: ٢/ ١١٤ بدون إسناد.
(٢) البلاذري أنساب الأشراف: ٤/ ٣٢٢.
(٣) ابن سعد: ٥/ ٣٨ بإسناد حسن؛ خليفة: ٣٢٧؛ الدينوري: الأخبار الطوال ٢٦٥؛ المسعودي، التنبيه والإشراف: ص٢٧٩، مروج الذهب: ٣/ ٧٩؛ ابن عساكر (ترجمة: عبادة ابن أوفى – عبد الله بن ثوب): ص٣٠٨.

أن لا يُساعدوا أهل الشام في حربهم ضد أهل المدينة(١).

ولم يكن أمام الأمويين إلا الرضوخ لمطالب أهل المدينة، طلبًا للسلامة، في وقت أصبح المنطق للقوة والعاطفة وليس للعقل.

وخرج الأمويون من المدينة ، وخرج السفهاء وراءهم يؤذونهم ويشتمونهم حتى بلغوا وادي القرى(٢).

وقد كان إخراج أهل المدينة للأمويين أمرًا مؤلمًا بالنسبة للأمويين؛ حيث إنه لا ذنب لهم حتى يخرجوا من ديارهم وأموالهم سوى قرابتهم من يزيد، وقد عبَّر أبو قَطِيفة في شعره عن اللوعة، والحزن الشديد، على فراق المدينة بتلك الصورة فقال:

«ألا ليت شعري هل تغيَّر بعدنا ... جنوب المصلى أم كعهدي

وهل أدور حول البلاط عوامر ... من الحي أم هل بالمدينة ساكن

إذا بَرَقَتْ نحو الحجاز سحابة ... دعا الشوق مني برقها المتيامن

فلم أتركنها رغبة عن بلادها ... ولكنه ما قدر الله كائن»(٣)

وتحوَّل الوضع الداخلي في المدينة إلى ما يشبه حالة استنفار عامة.

---

(١) البلاذري: ٤/ ٣٢٢ عن أبي مخنف؛ الطبري: ٥/ ٤٨٥ عن أبي مخنف؛ الأصفهاني، الأغاني: ١/ ٢٥، ٢٦.

(٢) البياسي: ٢/ ١١؛ الأغاني: ١/ ٢٧.

(٣) البياسي، الإعلام: ٢/ ١١٢، أبو الفرج الأصفهاني، الأغاني: ١/ ٢٧، ابن شبة، تاريخ المدينة: ١/ ٢٩٧. وأبو قطيفة: عمرو بن الوليد بن عُقبة بن مُعيط الأموي، يكنى بأبي قطيفة لكثرة شَعْر جسده، شاعر أموي حجازي، محسن في شِعر الحنين الى المدينة، توفي حوالي السبعين من الهجرة. (الأغاني: ١/ ١٢؛ ابن الجراح، من اسمه عمرو من الشعراء: ٢٣).

فقد كان عبد الله بن حنظلة، ومحمد بن عمرو بن حزم، وإبراهيم بن نعيم بن النحام يغدون إلى المسجد في الدروع ويروحون فيها [١].

وقد سيطرت على أهل المدينة مشاعر فياضة وروحانية كبيرة، وخاصة أنهم يظنون أن قول النبي ﷺ: (**يعوذ عائذ بالبيت، فيُبعث إليه بعث، فإذا كانوا ببيداء من الأرض خُسف بهم...**)- وفي رواية: أنها هي بيداء المدينة[٢]- ينطبق على جيش أهل الشام.

وقد أخذوا يأتون أم سلمة ويسألونها عن هذا الحديث.

ولم تكن مسألة القيادة قد حُسمت في ذلك الوقت؛ حيث إن الخلاف حول من يتولى قيادة قريش قد برز كمؤشر أوَّلي على التنافس بين الطموحين من سادات قريش[٣] فطرحت أسماء كل من: عبد الله بن مطيع، وإبراهيم بن نعيم[٤]، وعبد الرحمن بن عبد الله بن أبي ربيعة المخزومي[٥]، ومحمد بن أبي جهم[٦].

---

(١) أبو العرب: المحن ١٧٥، عن الواقدي.

(٢) صحيح مسلم: ٤/ ٢٢٠٩، ٢٢١٠ ح (٢٨٨٢)؛ ابن الجعد، المسند: ٢/ ٩٦٥، ٩٦٦؛ ابن شبة، تاريخ المدينة: ١/ ٣٠٩، ٣١٠؛ أبو داود، السنن مع عون المعبود: ١١/ ٣٨٠؛ تحفة الأحوذي بشرح سنن الترمذي: ٦/ ٣٩٢؛ الحاكم، المستدرك: ٤/ ٤٢٩؛ وخرجه ابن جمع الصيداوي في معجم شيوخه: ص١٩٠.

(٣) ابن سعد: ٥/ ١٤٦ عن الواقدي؛ أبو العرب: المحن: ص١٧٤ من رواية الواقدي.

(٤) إبراهيم بن نعيم بن النحام من بني عدي من قريش، له صحبة، كان عابدًا تقيًا، قتل يوم الحرة سنة ثلاث وستين للهجرة (ابن سعد: ٥/ ١٧٠-١٧١).

(٥) عبد الرحمن بن عبد الله بن أبي ربيعة المخزومي، كان من وجوه قريش، يقال له: «الأحول». (مصعب الزبيري نسب قريش: ص٣١٨).

(٦) محمد بن أبي جهم بن حذيفة من بني عدي من قريش، كان أحد رؤوس الحرة، قتله مسلم بن=

وأما قبائل المهاجرين من غير قريش فقد اختارت معقل بن سنان الأشجعي[١].

ورشح الأنصار عبد الله بن حنظلة أميرًا عليهم[٢].

ويبدو أن المعارضين للحكم الأموي أدركوا أنه من الصعوبة، بل من المستحيل، خوض معركة مع جيش الشام بهذا العدد من الأمراء، ولذا فقد استقرت الإمارة بعد تشاور على اثنين فقط، وهما: عبد الله بن مطيع على قريش، وانضم معهم معقل بن سنان ومن معه[٣]، وعبد الله بن حنظله على الأنصار.

وعُوِّض البقية من المرشحين للإمارة بإعطائهم قيادات ميدانية، يستطيعون من خلالها إدارة معاركهم بشيء من الاستقلالية.

والحقيقة أن بروز الخلاف على هذا النحو حول الإمارة، ثم الوصول إلى نتيجة ترشيح أميرين، ثم المفاصلة بين الفريقين، فالأنصار عليهم أمير، وقريش ومن معهم عليهم أمير، كلها تدل على عدم التجانس في المواقف، وعدم الوضوح في النتائج المترتبة على ما بعد المعركة، وكأن الفشل الذي سينتظر أهل المدينة في معركتهم قد أضحى باديًا للعيان، وهو ما عبَّر عنه ابن عباس الذي كان معتزلاً في الطائف بقوله: «هلك القوم»[٤].

= عقبة صبرًا. (مصعب الزبيري، نسب قريش: ص٣٧١).

(١) خليفة، التاريخ: ص٢٣٧.

(٢) المصدر السابق، ونفس الصفحة.

(٣) ابن حجر: الإصابة: ٥/ ٢٦ عن الزبير بن بكار.

(٤) خليفة: التاريخ: ص٢٣٧، بسند صحيح؛ ابن عساكر (ترجمة عبد الله بن الزبير): ص٢١٤ بسند صحيح عن يعقوب.

وينفرد البلاذري بالقول: إنَّ ابن الزبير خلع يزيد؛ وذلك بعد أن قتل أخاه عمرو بن الزبير، وكتب إلى أهل المدينة بذلك، فاجتمع أهل الحجاز على أمر ابن الزبير وطاعته، وأخذ البيعة له على أهل المدينة عبد الله بن مطيع العدوي[(١)].

وهذا القول أورده البلاذري ولم يتابعه عليه أحد، علاوة على أن ما حدث حول الاختلاف فيمن يتولى القيادة يدحض هذا القول ويخالفه.

والأمر الذي جعل البلاذري يفسر الأحداث التي جرت في المدينة على أنها تابعة لابن الزبير، هو التشابه الكبير بين حركة ابن الزبير، وبين حركة أهل المدينة، الأمر الذي يحمل الناظر لها منذ أوّل وهلة على أن الحركتين تمثلان حركة واحدة.

وكذلك فإن التقسيم الذي يفصل بين المعارضتين - من حيث الإمارة - هو الذي جعل محمد جمال سرور يظن أن ابن حنظلة يدعو لنفسه بالخلافة، ولهذا قال: «فثار الناس بالمدينة، وأعلنوا خلع يزيد، وبايعوا ابن حنظلة، وهكذا أصبح المبايعون بالخلافة ثلاثة: يزيد بن معاوية في دمشق، وعبد الله بن الزبير في مكة، وعبد الله بن حنظلة في المدينة»[(٢)].

وهذا الاستنتاج من محمد بن سرور بعيد عن كل من عرف طبيعة المعارضة، والأسباب التي أدَّت إلى قيامها[(٣)].

---

(١) أنساب الأشراف: ٤/ ٣١٩ عن الواقدي؛ ابن الأثير: أسد الغابة: ٣/ ٣٣٩.

(٢) محمد جمال سرور، الحياة السياسية في الدولة العربية الإسلامية: ١٠٧.

(٣) ولقد ظن التلمساني أن ابن حنظلة عامل لابن الزبير، وهذا الذي ذهب إليه إنما كان ناتجًا عن تشابه الحركتين، إضافة إلى العلاقة بين ابن الزبير وبين المدنيين (التلمساني،الجمان في أخبار الزمان: ق١٤٤ أ).

ولقد ذكرت بعض المصادر أن يزيد بن معاوية أرسل النعمان بن بشير الأنصاري وسيطًا بينه وبين أهل المدينة، وطلب منه أن يُقنعهم بلزوم الجماعة، وأن يحذِّرهم من الفتن وعواقبها.

وتقول الرواية: إن ابن مطيع اعترض على النعمان بن بشير وقال: «ما يحملك يا نعمان على تفريق جماعتنا، وفساد ما أصلح الله من أمرنا؟ قال النعمان: أما والله لكأني بك وقد نزلت تلك التي تدعو إليها، وقامت الرجال على الرُّكَب تضرب مفارق القوم وجباههم بالسيوف، ودارت رحى الموت بين الفريقين، وقد هربتَ على بغلتك تضرب جنبها إلى مكة، وقد خلَّفت هؤلاء المساكين -يعني الأنصار- يُقتلون في سككهم، ومساجدهم، وعلى أبواب دورهم، فعصاه الناس ولم يُلتفت إلى قوله»[1].

وهذه الرواية على ما تحمله من طابع مميز؛ حيث يتخيَّل النعمان بن بشير نتيجة المعركة سلفًا، إلا أنها لا تحدد الوقت الذي تمت فيه هذه الوساطة.

ولكن اعتراض عبد الله بن مطيع يوحي بأن تلك الوساطة قد تمَّت في وقت لاحق، ثم إن إيراد الطبري والبلاذري لها بعد خلع أهل المدينة ليزيد يوحي بأن الوساطة تمَّت بعد أن بلغ يزيد خلع أهل المدينة له.

ولعل من الطبيعي أن يُشَكَّك في الوساطة هذه، وبالأخص في ذلك التاريخ الذي ذكره الطبري والبلاذري.

---

(١) الطبري، الأمم والملوك: ٥/ ٤٨١ عن أبي مخنف؛ البلاذري، أنساب الأشراف: ٤/ ٣٢١ عن أبي مخنف؛ ابن كثير: البداية والنهاية ٨/ ٢١٧.

فقد تلاحقت الأحداث بسرعة عجيبة، وذلك بعد خلع يزيد بن معاوية؛ حيث حوصر الأمويون، واستنجدوا بيزيد بن معاوية، ولم يخرج الرسول الذي أرسل إلى يزيد حتى رأى تجهيز الجيش الذي سيتجه إلى المدينة[١].

بل وتذكر بعض الروايات أن تجهيز الجيش وإعداده لم يستغرق سوى ثلاثة أيام فقط[٢].

مما يجعل الوساطة في ذلك التاريخ أمرًا في غاية البعد، وقد كان يزيد مشغولاً بمحاصرة الأمويين في المدينة، علاوة على أنه لا يمكن أن ينتظر حتى يَبعث بوسيط إلى المدينة ليرجع له بعد شهر، فيخبره أن المدنيين رفضوا التنازل عن مطالبتهم.

ثم إن يزيد لا ينتظر من النعمان بن بشير أن يؤثِّر في أناس خلعوه، وحاصروا أهل عشيرته.

ولعل الأرجح أن هذه الوساطة تمَّت عندما بعث يزيد بن معاوية النعمان بن بشير وسيطًا لابن الزبير في مكة، وبالتالي فإن مروره بالمدينة مُحتَّم وفيها أقاربه وعشيرته من الأنصار، وكان الكثير من أهل المدينة قد مالوا مع ابن الزبير وأيَّدوه، فقام بنصحهم وتحذيرهم، وخاصة أنه أحس منهم ببوادر الاستقلال، والنزعة إلى الخروج على يزيد.

---

(١) الطبري، الأمم والملوك: ٥/ ٤٨٤ عن أبي مخنف.

(٢) محمد خليفة، التاريخ: ص٢٣٧ عن وهب بن جرير عن أبيه.

٣- التدابير التي اتخذها أهل المدينة لمواجهة الجيش الشامي:

لما فرغ أهل المدينة من العقبات التي واجهتهم فيمن يقودهم، وتوصَّلوا إلى أن يتولى القيادة عبد الله بن مطيع على قريش وقبائل المهاجرين، وعبد الله بن حنظلة على الأنصار، أصبح التفكير المسيطر على الغالبية من الناس هو: إلى أي حدٍّ يستطيع أهل المدينة مواجهة أهل الشام؟ ثم ما هي الطريقة التي يمكن أن يخوض بها المدنيون حربهم مع الجيش الشامي؟ ويبدو أن عبد الله بن حنظلة تملَّكه الإحساس بالخطورة التي يمكن أن تنتج من الصراع الذي سيدور مع جيش أهل الشام؛ حيث إنهم سيقابلون جيشا منظمًا مُرتبًا، يملك من الطاقات والخبرات ما يمكنه من إنزال هزيمة بالمدنيين، وفي المقابل فإن أهل المدينة تقودهم عاطفة قوية دون تنظيم مُسبق أو قدرة قتالية معينة، ولذا نجد أن ابن حنظلة بايعه الناس على الموت؛ وذلك حتى يجعل من الصراع مع جيش أهل الشام، صراع فناء أو بقاء[(١)].

ولقد رفض عبد الله بن زيد بن عاصم المازني ﷺ أن يبايع على الموت مُعلِّلاً ذلك: «لا أبايع عليه - على الموت- أحدًا بعد رسول الله ﷺ» بالرغم من مشاركته في الحرة[(٢)].

---

(١) خليفة، التاريخ: ٢٣٦ بإسناد صحيح حتى جويرية بن أسماء؛ الطبري، الأمم والملوك: ٥/ ٤٩٥ بإسناد صحيح حتى جويرية، ابن عساكر: ص٢٠٩ (ترجمة عبد الله بن حنظلة) من طريق خليفة.

(٢) البخاري مع الفتح: ٧/ ٥٨٣ (٤١٦٧)، أحمد، المسند: ٤/ ٤١ بسند صحيح، الحاكم، المستدرك: ٣/ ٥٢٠، وقال: هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه؛ ابن عساكر (ترجمة عبد الله بن حنظلة: ص٢١١) من طريق أحمد، ومن طُرق أخرى.

وكان ابن عمر -رضي الله عنهما- يعرف خطورة ما سُيقدم عليه أهل المدينة؛ فإنهم من ناحية قد وقعوا في محظور شرعي من خلع طاعة الخليفة، وشق عصا المسلمين، ومن ناحية أخرى: فإن القتال سوف يكون في المدينة وعلى رؤوس أهلها، وهنا تكمن الخطورة؛ فالحرب لها من العواقب والنكبات ما لا يتصوره المتحمس لها منذ الوهلة الأولى.

ونظرًا لقرابته بابن مطيع فقد وجَّه له النصح باعتباره قائدًا لطائفة كبيرة من الناس وقال له: «سمعت رسول الله ﷺ يقول: (**من خلع يدًا من طاعة لقي الله يوم القيامة لا حُجّة له، ومن مات وليس في عنقه بيعة مات ميتة جاهلية**)»[1].

ولكن ابن مطيع لم يستجب لنصح ابن عمر -رضي الله عنهما- فطلب منه أحد أبنائه أن يُعيد لهم النصح، وأن يحذِّرهم من الفتنة، فردَّ عليه ابن عمر قائلا: «لا يسمعون كلامي، وقد صنعوا ما صنعوا، إن هذا الذي نزل يا بني بعين الله، وإن أراد الله أن يُغيِّره غيَّره، ولن يتناهى هذا الأمر حتى يكون له آخر يقوم عليه، يا بني لم نر مثل الأمن والصبر على ما يُكره خير من الفتنة؛ تَقْصم الرجال قصمًا مع ذهاب المال»[2].

وكانت نظرة ابن عمر لخلع أهل المدينة ليزيد، واستعدادهم لمقاتلة جيشه على

---

(١) صحيح مسلم بشرح النووي: ١٢/ ٢٤٠، أحمد، المسند: ٨/ ٧١ (٥٧١٨) وقال أحمد شاكر: وإسناده صحيح، ابن أبي عاصم، السنة: ٢/ ٥١٤ (١٠٨١)، ابن كثير، البداية والنهاية: ٨/ ٢٣٦ من طريق أبي القاسم البغوي.

(٢) البياسي، الإعلام: ٢/ ١٠٧ من طريق الواقدي.

أنه غدر ليس له ما يُبرِّره، وكان يخشى أن ينضم أحد من أبنائه أو خدمه إلى هذه الفتنة فحذرهم قائلًا لهم بعد أن جمعهم: «إني سمعت رسول الله ﷺ يقول: (**ينصب لكل غادر لواء يوم القيامة**) وإنَّا قد بايعنا هذا الرجل على بيع الله ورسوله، وإني لا أعلم غدرًا أعظم من أن يُبايع رجل على بيع الله ورسوله ثم ينصب له القتال، وإني لا أعلم أحدًا منكم خلعه ولا بايع في هذا الأمر إلا كانت الفيصل بيني وبينه»(١).

ولم يكن ابن عمر هو الوحيد في نظرته لمغبة ما سيُقدم عليه أهل المدينة، بل كان يشاركه جابر بن عبد الله ﷺ، وكان يسترجع ويقول: «ستذهب هذه الوقيعة بخيار الناس»(٢).

لقد كانت الاستعدادات في المدينة تمضي على قدم وساق، وخاصة أنهم على علم بأن الجيش الشامي في طريقه إليهم، وكانت أول الخطوات تتمثل في إعاقة الجيش الشامي، وتأخيره بقدر الإمكان عن القدوم إلى المدينة.

فأرسل أهل المدينة مجموعات من الرجال، وأوكلوا لهم ردم الآبار والعيون التي في طريق الجيش الشامي بقدر الإمكان، أو تلويث المياه بالقطران لئلّا ينتفع منها الجيش الشامي.

---

(١) صحيح البخاري مع الفتح: ١٣/ ٧٤، أحمد، المسند: ٧/ ١١٢، ٨/ ٦٦. وقال أحمد شاكر: والسند صحيح؛ ابن سعد، الطبقات: ٤/ ١٨٣، الطبراني، المعجم الصغير: ١/ ٢٠٨ (٣٣٣) مختصرًا؛ الجوزقاني، الأباطيل: ١/ ٢٦٣، وقال: هذا حديث صحيح.

(٢) أبو العرب، المحن: ١٧٤ عن الواقدي.

ولكن الرواية تذكر أن هذا العمل قد كان نصيبه الفشل؛ فأهل الشام لم يستقوا بدلو حتى قدموا المدينة؛ وذلك بسبب الأمطار الغزيرة التي صاحبتهم(١)، مما يدل على أن هذه الحملة كانت في فصل أواخر الصيف الذي تكثر فيه الأمطار.

وكانت الخطوة الأخرى التي تشاور فيها أهل المدينة: هل مقابلة أهل الشام تكون في داخل المدينة، أم تكون خارجها؟ ويبدو أن البقاء في داخل المدينة وإحاطتها بخندق مُحكم كانت الفكرة المسيطرة على أهل المدينة، ولم تجابه معارضة تُذكر.

وكانت الدوافع لهذا العمل عدة أمور، منها:

الأمر الأول: هو الاقتداء بالنبي ﷺ حينما هاجمت المدينة جيوش الأحزاب في السنة الخامسة من الهجرة(٢). والمدينة درع حصينة كما وصفها النبي ﷺ(٣).

والأمر الثاني: هو عدم التكافؤ بينهم وبين جيش الشام؛ فعدد الجيش الشامي اثنا عشر ألفًا، بينما عدد أهل المدينة -كما ورد في رواية الواقدي- ألفا رجل(٤).

---

(١) خليفة، التاريخ: ٢٣٨ بإسناد صحيح حتى جويرية، الطبري: ٥/ ٤٩٥ بإسناد صحيح حتى جويرية.

(٢) أبو العرب، المحن: ١٧٤ عن الواقدي؛ السمهودي، وفاء الوفاء: ١/ ١٢٩ عن الواقدي.

(٣) ابن سعد، الطبقات الكبرى: ٢/ ٤٥، وقال أستاذنا أكرم العمري في تعليقه على هذا الحديث من طريق ابن سعد: «وإسناده رجاله ثقات، وفيه عنعنة أبي الزبير وهو مُدلِّس». انظر: المجتمع المدني في عهد النبوة: ص٦٧، أحمد: الفتح الرباني: ١٧/ ٢٢١. وقال الساعاتي: السند صحيح؛ أحمد: ٤/ ١٤٦ (٢٤٤٥)، وقال أحمد شاكر: وسنده صحيح؛ النسائي، السنن الكبرى: ٤/ ٣٨٩، وابن حجر، الفتح: ٧/ ٤٣٦، ونسب الحديث إلى النسائي، وأحمد، وابن سعد، بسند صحيح.

(٤) ابن سعد، الطبقات: ٥/ ١٤٦، من طريق الواقدي؛ البياسي، الإعلام: ٢/ ١٢٤ من طريق الواقدي.

ولعل أهل المدينة أدركوا أن وجودهم داخل المدينة، وتوفر الطعام والماء لهم، واطمئنان كل مقاتل على أهله، يُخوِّلهم قوة في الذب والدفاع عن أنفسهم وأموالهم وأهلهم، وفي المقابل: فإن الملل سيصل إلى جنود أهل الشام، مما يكون السبب في تدني الروح المعنوية لدى المقاتلين الشاميين.

ثم إن أهل المدينة أرادوا أن تطول الحرب وتطول المحاصرة، فلربما جاءتهم النجدات من باقي بلاد الحجاز، مما سيكون له الأثر البالغ في تغيُّر الصراع ونتائجه.

وبدأ المدنيُّون في حفر الخنادق حول المدينة خلال خمسة عشر يومًا، وكان تقسيم العمل على حسب كل قبيلة؛ فكانت قريش تعمل في المنطقة الواقعة بين راتج[١] حتى مسجد الأحزاب[٢]، والأنصار ما بين مسجد الأحزاب إلى بني سلمة[٣]، وللموالي ما بين راتج إلى بني عبد الأشهل[٤][٥]، وهو نفس خندق النبي ﷺ[٦].

وبينما العمل يجري بنشاط وحماس في المدينة النبوية، كان جيش مسلم بن عقبة

---

(١) راتج: اسم أطم من آطم المدينة، وهو جبل صغير غربي وادي بطحان، وهو شرقي ذباب، جانحًا إلى الشام (وفاء الوفاء: ٤/ ١٢١٥)، (المغانم المطابة: ١٤٩).

(٢) هو مسجد الفتح الى الغرب من سلع (ابن شبه: ١/ ٥٨؛ المطري ١٤٠:) بجوار المساجد السبعة.

(٣) بنو سلمة كانت مساكنهم ما بين مسجد القبلتين حتى طرف حرَّة الوبرة (السمهودي: ١/ ٢٠١).

(٤) بنو عبد الأشهل: كانت مساكنهم في الطرف الشمالي من الحرة الشرقية (حرة واقم) عند أجم الشيخين (السمهودي: ١/ ١٩١).

(٥) البياسي، الإعلام:١/ ١٢٩ عن الواقدي، السمهودي: ٤/ ١٢٠٥-١٢٠٦ عن الواقدي.

(٦) السمهودي، وفاء الوفاء: ٤/ ١٢٠٥ عن الواقدي.

يقترب من المدينة حتى إذا بلغ وادي القرى[١]، قابل بني أمية الذين أُخرجوا من المدينة.

ودعا مسلم بن عقبة عمرو بن عثمان بن عفان، فسأله عن المدينة وأهلها، فرفض أن يعطيه معلومة واحدة لأجل العهود والمواثيق التي أُخذت عليه، وهدَّده بالقتل لولا أنه ابن عثمان بن عفان، ثم أقسم بعد ذلك أن لا يقبل هذا الجواب من أحد غيره، واستدعى مروان بن الحكم، فطلب مروان من ابنه عبد الملك أن يدخل على مسلم بن عقبة، فدخل عبد الملك، وقال لمسلم: «أرى أن تسير بمن معك، فتنكَّب هذا الطريق إلى المدينة، حتى إذا انتهيت إلى أدنى نخل تنزل فيه ليستقيل الناس، ويأكلوا من رُطَبِه، حتى إذا كان الليل أذكيت الحرس، حتى إذا صلَّيت بهم الغداة، انصرفت وتركت المدينة ذات اليسار، ثم أدرت المدينة حتى تأتيهم من قبل الحرة مُشرقًا، ثم استقبلت القوم وقد أشرقت عليهم الشمس، وطلعت الشمس بين أكتاف أصحابك فلا تؤذيهم، وتقع في وجوههم فيؤذيهم حرُّها ويصيبهم أذاها، ويرون ما دمتم مشرقين من ائتلاف بيضكم، وحرابكم، وأسنة رماحكم، وسيوفكم، ودرقكم، وسلاحكم، ثم قاتلهم، واستعن بالله، فإن الله ناصرك، إذ خالفوا الإمام، وخرجوا من الجماعة»[٢].

وبهذا فإن عبد الملك لم يعط مسلم بن عقبة معلومات محددة عن المدينة

---

(١) وادي القرى: يُعرف اليوم بوادي العُلا،على مسافة ٣٠٠كم شمال المدينة، يصب وادي القرى في وادي الجزل،ثم يصب الجزل في وادي الحمض«إضم».(البلادي،معجم المعالم الجغرافية ٢٥٠).

(٢) ابن سعد: ٥/ ٢٢٥ من طريق الواقدي؛ البلاذري، أنساب الأشراف: ٤/ ٣٢٣ من طريق أبي مخنف؛ الطبري: ٥/ ٤٨٦ عن أبي مخنف؛ البياسي: الإعلام: ٢/ ١١٧؛ ابن كثير، البداية والنهاية: ٨/ ٢٢٢؛ العيني، عقد الجمان: ق٢٨٦ ب.

وثغراتها فحسب، بل وضع له خطة حربية مُحكمة، وراعى من خلالها النواحي النفسية التي يمكن أن تؤثر على المدنيين.

ولم يُخْف مسلم بن عقبة إعجابه بعبد الملك، وأخذ يثني عليه أمام والده: مروان بن الحكم[١].

فأقبل مسلم بن عقبة وفق خطة عبد الملك بن مروان حتى نزل بالجرف[٢]، وقام بإرسال مجموعات من رجاله للتعرف على طبيعة استعدادات المدينة، ولكنهم فوجئوا بقوة استحكاماتهم، والتيقُّظ والاستعداد على كافة أنحاء المدينة، كما أنهم لم يستطيعوا أن يحدِّدوا نقطة ضعيفة يستطيع الجيش من خلالها النفاد إلى وسط المدينة[٣].

ويبدو أن استعدادات المدنيين قد اشتملت على تقسيم مجموعات المقاتلين على أربعة أنحاء من المدينة، كل ربع يديره قائد مع جنده، وبهذا أصبحت المدينة أكثر تحصينًا وإحكامًا.

وكان ابن مطيع أميرًا على ربع من أرباع المدينة، وكذلك معقل بن سنان على ربع آخر في ناحية أخرى، وكذلك ابن حنظلة على ربع آخر، وعبد الرحمن بن أزهر[٤] بن عبد عوف- ابن عم عبد الرحمن بن عوف رضي الله عنه - على ربع آخر في خندق من الخنادق، وكان ابن حنظلة في الجهة الشرقية حيث نزل مسلم بن

---

(١) الطبري: ٥/ ٤٨٦ عن أبي مخنف ؛ البياسي: ٢/ ١١٨.

(٢) الجرف : موضع معروف مشهور إلى اليوم، يقع غرب وادي العقيق ويحاذي قبور شهداء أحد رضي الله عنهم.

(٣) السمهودي، وفاء الوفاء: ١/ ١٢٩ عن الواقدي.

(٤) عبد الرحمن بن أزهر بن عبد عوف الزهري: صحابي صغير. (التقريب: ص٣٣٦).

عقبة، والقيادة العامة تخضع لأميرين فقط هما ابن حنظلة وابن مطيع[١].

ولما توجَّه مسلم بن عقبة من الجرف نزل الحرة الشرقية من المدينة وهي حرة واقم[٢].

ودعا مسلم بن عقبة بعض أهل المدينة - ولعلهم القياديون- فقال: «يا أهل المدينة، إن أمير المؤمنين يزيد بن معاوية يزعم أنكم الأصل، وإني كاره هراقة دمائكم، وإني أوصيكم ثلاثًا، فإن اتبعتم الحق ودخلتم في الطاعة سرت إلى هذا الملحد الذي بمكة -ويقصد ابن الزبير- وإن أبيتم فقد أعذرنا إليكم»[٣].

ولما انقضت الأيام الثلاثة التي ضربها مسلم بن عقبة لهم أجلاً قال لهم: «يا قوم إن أمير المؤمنين يكره إراقة دمائكم، ولقد استدامكم منذ زمان لأنكم أصله، فاتقوا الله في أنفسكم فإن لكم عهد الله وميثاقه عطاءين في كل سنة: عطاء في الشتاء، وعطاء في الصيف، ولكم عندي في عهد الله أجعل سعر الحنطة عندكم بسعر الخبط - والخبط يومئذ سبعة أصواع بدرهم- فشتموه وشتموا يزيد وفجَّروه، وقالوا: بل نحارب ثم نحارب»[٤].

واجتمع أهل المدينة لمقابلة أهل الشام، ويبدو أن الكثير من تلك الأرباع

---

(١) البيهقي، المحاسن والمساوئ: ٧.-٨٨ عن أبي معشر، البلاذري: أنساب الأشراف: ٤/ ٣٣٣ بإسناد كل رجاله ثقات ما عدا ابن جعدبه كذبه مالك وغيره.

(٢) حرة واقم: لقد نقل ابن زبالة أنها سميت بذلك لأطم كان فيها لبني عبد الأشهل، بنوه وسموه واقمًا فَسُمِّيت به لناحيته (المراغي، تحقيق النضرة ص١٥٠).

(٣) البلاذري، أنساب الأشراف: ٤/ ٣٢٢-٣٢٣ عن أبي مخنف؛ الطبري: ٥/ ٤٨٧ عن أبي مخنف.

(٤) البلاذري، أنساب الأشراف: ٤/ ٣٢٥؛ الطبري: ٥/ ٤٨٧ عن أبي مخنف؛ البيهقي : المحاسن والمساوئ: ص٨٨.

الموزعة على أنحاء المدينة قد تم تجميعها في مقابلة الجيش الشامي، ولم يبق سوى أفراد للقيام بعمليات الحراسة.

وقد أدَّى تجمُّع المدنيين في مكان واحد إلى كثرتهم حتى هابهم أهل الشام[١].

٤- معركة الحرة:

وعندما رأى مسلم بن عقبة كثرة أهل المدينة، وعزمهم على القتال، لجأ إلى الحيلة، فطلب من مروان بن الحكم أن يحاول الاتصال بمن له بهم معرفة من أهل المدينة، حتى يسمحوا بفتح ثغرة في أي مكان من المدينة، يستطيع الجيش الشامي التسلُّل إلى داخلها، ومفاجئة المقاتلين المدنيين.

واستطاع مروان بن الحكم أن يُقنع رجالاً من بني حارثة، بعد أن رغَّبهم في أن يُعرِّف يزيد بفضلهم ومكانتهم[٢].

وكما يبدو فإن هذا الاتفاق الذي توصَّل له مروان بن الحكم مع بني حارثة قد تم قبل انتهاء المدة التي أعطاها مسلم بن عقبة لأهل المدينة، وذلك بدليل أن الاجتياز لداخل المدينة قد تم في الساعات الأولى من القتال.

ولما رأى مسلم بن عقبة إصرار المدنيين ورغبتهم في القتال، قام بوضع سريره بين الجيشين، وجلس عليه وطلب من جيشه أن يقاتل عنه أو يتركوه[٣]، وأراد مسلم بهذا العمل استثارة حميَّة جيشه لكي يدافعوا عن قائدهم بكل قوة.

---

(١) خليفة، التاريخ ٢٣٨ بسند صحيح إلى جويرية؛ البلاذري، أنساب الأشراف: ٤/ ٤٣٤ من نفس الطريق؛ الطبري: ٥/ ٤٩٥ من نفس الطريق؛ ابن عساكر (ترجمة ابن حنظلة): ٢٠٩ من طريق خليفة.

(٢) السمهودي، وفاء الوفاء: ١/ ١٣٠ من طريق الواقدي.

(٣) خليفة، التاريخ: ٢٣٨ بسند صحيح حتى جويرية؛ الطبري: ٥/ ٤٩٥ من نفس الطريق؛ ابن عساكر: (ترجمة ابن حنظلة): ٢٠٩ من طريق خليفة.

بدأ القتال عنيفًا شديدًا من كلا الطرفين، والشيء المحيِّر هنا: كيف يترك أهل المدينة التخندق داخل المدينة، ويخرجوا لمقابلة الجيش الشامي؟

ولا يمكن أن يجاب على هذا التساؤل إلا بأن أهل المدينة كانوا يهدفون من مقابلة أهل الشام أن يجرِّبوا الالتحام المباشر معهم، وهم في عُنفوان حماسهم، حتى إذا رأوا الأمور تسير لغير صالحهم رجعوا إلى المدينة، فتحصَّنوا بها؛ ثم لعلهم قد خشوا من أن إطالة مدة الحصار قد تؤدِّي إلى إضعاف حماس المدافعين عن المدينة، وبالتالي يسهل سقوطها في يد جيش الشام.

وقد أدرك بعض شجعان المدينة أن مقتل القائد مسلم بن عقبة سيؤدي إلى خلخلة في الجيش الشامي، وسينفرط عقد نظامه، ولهذا فقد قاموا بعمليات أشبه ما تكون بالانتحارية في محاولة منهم للوصول إلى مسلم بن عقبة، ولكن يقظة جنود مسلم بن عقبة أجهضت تلك الخطط، وقضت على المنفِّذين[(١)].

ويبدو أن المعركة التي أدراها مسلم بن عقبة لم يجعلها ترتكز في منطقة معينة، بل إن الجيش الشامي تَوَزَّع على طول (الخندق) حتى جبل ذباب[(٢)]، ووادي بطحان[(٣)(٤)]. وقد كان هدف مسلم بن عقبة تشتيت جيش أهل المدينة، وإشغاله

---

(١) البلاذري: أنساب الأشراف: ٤/ ٣٢٥ بإسناد جمعي: (قالوا)؛ الطبري: ٥/ ٤٨٨ عن أبي مخنف.

(٢) جبل ذباب: جبل صغير في شمال المدينة يقع إلى جنب سلع. (السمهودي، وفاء الوفاء: ٣/ ٨٤٧، العياشي، عمدة الأخبار: ١٨٦-١٨٧؛ عبد القدوس الأنصاري، آثار المدينة: ص١٢٨).

(٣) وادي بطحان: أحد أهم أودية المدينة، ويمر غرب الحرم ويفيض على العقيق عند بئر رومة (المطري، النعريف: ص٦٠).

(٤) السمهودي، وفاء الوفاء: ١/ ١٣٠.

في مساحة أوسع، يعينه على ذلك التفوّق العددي الذي يتمتّع به الجيش الشامي.

وقد وضع مسلم بن عقبة همَّه الأول: القضاء على قيادة الربع الذي يديره عبد الله بن حنظلة؛ وذلك لأنه يضم عددًا كثيرًا من القواد والمقاتلين، ولذا فقد عمد إلى تنسيق جيش الشام ليتقدم وفق خطة دقيقة، وبالفعل تقدَّم الجيش الشامي بقوة وانتظام، وهو الشيء الذي يفقده أهل المدينة.

واستطاع جيش مسلم بن عقبة اكتساح جموع المدنيين التي أمامه حتى وصل إلى عبدالله بن حنظلة ومن معه[١].

ولما كانت المعركة على أشدها، كان بنو حارثة قد سمحوا لخيل أهل الشام بالتسلل عن طريقهم، وذلك وفق ما توصل إليه مروان بن الحكم معهم من اتفاق مسبق[٢].

---

(١) البلاذري، أنساب الأشراف: ٤/ ١٣٦ (قالوا)، الطبري: ٥/ ٤٩٠ عن أبي مخنف.

(٢) خليفة، التاريخ: ٢٣٨ بإسناد صحيح حتى جويرية عن أشياخ من أهل المدينة، يعقوب، المعرفة والتاريخ: ٣/ ٣٢٧ بإسناد صحيح، كما ذكر ابن حجر في الفتح: ١٣/ ٧٦؛ الطبري: ٥/ ٤٩٥ من طريق جويرية بن أسماء؛ أبو العرب، المحن: ص١٧٦ من طريق الواقدي؛ البيهقي، دلائل النبوة: ٦/ ٤٧٤ من طريق يعقوب، ابن عساكر (ترجمة ابن حنظلة): ٢٠٩ من طريق خليفة، ابن عساكر (ترجمة مسلم بن عقبة): ١٦/ ق ٤٧٨ من طريق ابن أبي خيثمة بإسناد صحيح إلى جويرية؛ ابن كثير البداية والنهاية: ٦/ ٢٣٨، السمهودي، وفاء الوفاء: ١/ ١٣٠، ١٣١ من طريق جويرية، ومن طريق يعقوب. قال ابن عباس: جاء تأويل هذه الآية على رأس ستين سنة: ﴿ وَلَوْ دُخِلَتْ عَلَيْهِم مِّنْ أَقْطَارِهَا ثُمَّ سُئِلُوا الْفِتْنَةَ لَآتَوْهَا ﴾ [الأحزاب آية ١٤]: يعني: إدخال بني حارثة أهل الشام على أهل المدينة.

وكانت منازل بني حارثة عند أجمة الشيخين[١] حتى غرب شهداء أحد رضي الله عنهم[٢].

وبينما كان اهتمام أهل المدينة مُنصبًّا على الجبهة الأمامية، ومُولينها أكبر الاهتمام، فُوجئوا بالتَّكبير في جوف المدينة، وفي تلك اللحظة تغيَّر الموقف تمامًا.

فقد أحدث وجود أهل الشام بخيلهم في وسط المدينة، ومن خلف المقاتلين المدنيين، حالة من الذهول والفزع عند المقاتلين، الذين وضعوا كل اهتمامهم في التصدي لجيش مسلم بن عقبة، وتراجع أهل المدينة خوفًا على أبنائهم وأهليهم[٣].

وهذا التصرف من أهل المدينة ليس مُستغربًا في تلك الأثناء، فأيُّ جندي مهما كان مدى انضباطه العسكري إذا أحس أن أبناءه وأهله في خطر، سيهب للدفاع عنهم، وسيُخلي موقعه.

اختلَّ نظام الدفاع الذي أقامه أهل المدينة، حتى أن ابن حنظلة تراجع بسرعة من ناحية الصُّورين[٤] إلى الموقع الذي أخذ الشاميون يتدفَّقون منه، وكذلك تراجع ابن مطيع الذي كان بناحية ذباب، وكذلك أقبل يزيد بن هرمز في الموالي،

---

(١) أجمة الشيخين: موضع بين المدينة وجبل أحد على الطريق الشرقي مع الحرة إلى جبل أحد (السمهودي، وفاء الوفاء: ٤/ ١٢٤٩).

(٢) السمهودي، وفاء الوفاء: ١/ ١٩١.

(٣) خليفة، التاريخ: ٢٣٨ بإسناد صحيح إلى جويرية؛ البلاذري: ٦/ ٣٣٥، بإسناد صحيح حتى جويرية، الطبري: ٥/ ٤٩٥ من طريق جويرية؛ ابن حجر، الفتح: ١٣/ ٧٦ من طريق جويرية؛ السمهودي، وفاء الوفاء: ١/ ١٢٩ من طريق الواقدي.

(٤) الصّورين: ثنية صور بأقصى البقيع مما يلي طريق بني قريظة (السمهودي: ٤/ ١٢٥٥) (العياشي، عمدة الأخبار: ٣٥٦).

وأقبل ابن ربيعة وكان من ناحية بطحان، فاجتمعوا جميعًا في محاولة لسدِّ الثغرة التي يتدفق منها أهل الشام[١].

ولكن التراجع غير المنظَّم الذي قام به هؤلاء القادة ترك فراغًا كبيرًا في الأماكن التي انسحبوا منها، واستغلَّ أهل الشام تلك الثغرات الكبيرة التي تركها انحسار المدنيين عنها، ودخلت جيوشهم إلى المدينة، وانهزم الناس، وتساقط الكثيرون في الخندق، وقد كان الذي أُصيب في الخندق أكثر من الذين قُتلوا في المواجهة[٢].

واستماتت ابن حنظلة، ومحمد بن سعد بن أبي وقاص[٣]، وإبراهيم بن قارظ[٤]، وإبراهيم بن نعيم بن النحام، وقاتلوا قتالاً شديدًا، إلّا أن تقدُّمَ الشاميين وفرار الناس مكَّن الشاميين من القضاء عليهم بسهولة، وقتل عبد الله بن حنظلة بعد أن قدَّم بنيه وقُتلوا أمامه، وقُتل عبد الله بن زيد[٥]، ومحمد بن عمرو بن حزم[٦]، ووجوه الناس[٧].

---

(١) أبو العرب، المحن: ١٧٦، عن الواقدي؛ السمهودي، وفاء الوفاء: ١/ ١٣٠ عن الواقدي.

(٢) الطبري: ٥/ ٤٩٥ بإسناد صحيح حتى جويرية، ابن عساكر (ترجمة ابن حنظلة): ٢١٢، ٢١٣ من نفس الطريق؛ ابن كثير : البداية والنهاية: ٩/ ٢٢٤.

(٣) محمد بن سعد بن أبي وقاص الزهري، أبو القاسم المدني، نزيل الكوفة، ثقة من الثالثة، قتله الحجاج بعد الثمانين (التقريب: ٤٨٠).

(٤) إبراهيم بن عبد الله بن قارظ، صدوق من الثالثة (التقريب: ٩١).

(٥) عبد الله بن زيد بن عاصم بن كعب الأنصاري المازني، أبو محمد صحابي شهير، استُشهد بالحرة ﷺ (التقريب: ٣٠٤).

(٦) محمد بن عمرو بن حزم، أبو عبد الملك المدني، له رؤية وليس له سماع إلا من الصحابة. (التقريب: ٤٩٩).

(٧) ابن سعد، الطبقات: ٥/ ٦٧، ١٧١، يعقوب، المعرفة والتاريخ: ٣/ ٣٢٦، ابن عساكر (ترجمة ابن حنظلة): ٢١٢، ٢١٣؛ ابن حجر، الإصابة: ٦/ ٢٥٥؛ السمهودي، وفاء الوفاء: =

كان لخيانة بني حارثة لأهل المدينة الأثر الكبير في تحول المعركة لصالح أهل الشام، ثم إن العاطفة لا يمكن أن تُسيِّر معركة، أو تكسب حربًا؛ حيث إن أهل المدينة قد خلعوا بني أمية بدوافع عاطفية قوية، دون أخذ الاستعدادات الكفيلة بنجاح هذه المهمة.

وبالطبع فإن هناك قطاعًا كبيرًا من الذين أخرجوا بني أمية لم يفكروا في خوض حرب حقيقية مع جيش الخلافة.

ثم إن موقف أناس لهم موقع الصدارة في مجتمع المدينة من خلع يزيد، كان له أثر كبير في ضعف شرعية خروج المدنيين على يزيد، وبالتالي فإن الأثر نفسه قد انعكس على حرب المدنيين، كان لهذه الأسباب وغيرها الأثر المباشر لهزيمة المدنيين في ساعات معدودة.

ولقد أدى اختلاف ترتيبات المدنيين وصفوفهم إلى هزيمة ماحقة، قُتِلَ فيها خلق كثير من القادة ووجوه الناس.

ولم يُخْفِ مروان أسفه على ابن حنظلة، ومحمد بن عمرو بن حزم، وإبراهيم ابن نعيم بن النحام، وغيرهم، بل كان يثني عليهم ويذكرهم بأحسن صفاتهم التي اشتُهروا بها[1].

= ٣/ ٨٤٧؛ الحسن بن محمد الصنعاني، در السحابة في بيان مواضع وفيات الصحابة: ق٨ب، ٩ب، لمؤلف مجهول، رسالة فيمن دفن بالبقيع: ق٣، ٢٥، ٣١.

(١) ابن سعد، الطبقات: ٥/ ٦٨، ٧١ من طريق الواقدي؛ البلاذري، أنساب الأشراف: ٤/ ٣٢٧؛ الطبري: ٥/ ٤٩١ من طريق أبي مخنف، أبو العرب، المحن: ١٧٩ من طريق الواقدي؛ ابن عساكر (ترجمة ابن حنظلة): ص٢١٥ عن المدائني.

وكان القتل ذريعًا في المدنيين، وقد شبَّهتهم الرواية بالنعام الشُّرَّد، وأهل الشام يقتلونهم في كل وجه(١).

وقد قُتل في هذه المعركة عدد من الصحابة -رضوان الله عليهم- ويشهد لذلك ما ذكره سعيد بن المسيب حينما قال: «وقعت الفتنة الأولى -يعني مقتل عثمان- فلم تُبق من أصحاب بدر أحدًا، ثم وقعت الفتنة الثانية - يعني الحرة- فلم تُبق من أصحاب الحديبية أحدًا، ثم وقعت الثالثة فلم ترتفع وللناس طَبَاخٌ(٢)»(٣).

ولقد أورد خليفة قوائم بأسماء قتلى الحرة، ثم قال: «فجميع من أصيب من الأنصار مئة رجل وثلاثة وسبعين رجلا، وجميع من أصيب من قريش والأنصار ثلاثمئة رجل وستة رجال»(٤).

---

(١) ابن سعد، الطبقات: ٥/ ٦٨ من طريق الواقدي.

(٢) طَبَاخ: أصل الطَبَاخ: القوة والسمن. ثم استعمل في غيره، فقيل: فلان لا طباخ له، أي: لا عقل له ولا خير عنده؛ والمراد أنها لم تبق في الناس من الصحابة أحدًا. (ابن حجر، فتح الباري: ٧/ ٣٧٧).

(٣) أخرجه البخاري تعليقًا في الصحيح (كتاب المغازي، باب شهود الملائكة بدرا) مع الفتح: ٧/ ٣٧٥، وقال ابن حجر في الفتح: ٧/ ٣٧٧: «وصله أبو نعيم في المستخرج من طريق أحمد ابن حنبل عن يحيى بن سعيد القطان عن يحيى بن سعيد الأنصاري نحوه». وقد أورده في تغليق التعليق: ٤/ ١٠٥، وحكم المحقق على السند بالصحة، وهو عند عبد الرزاق في المصنف: ١١/ ٣٥٨-٣٥٩ مع بعض الاختلاف اليسير، وانظر الخلال: السنة: ٤٦٥ بإسناد صحيح؛ والحاكم، المستدرك: ٤/ ١١٢، وقال: وله شاهد من طريق أحمد إلا أن فيه «ولم يبق من المهاجرين أحد (أي: بعد الفتنة) ».

(٤) خليفة، التاريخ: ص٢٥٠، وانظر القوائم التي أوردها من: ص٢٤٠-٢٥٠.

وقد تابعه على ذلك أبو العرب[١]، والأتابكي[٢].

وبالنظر إلى القائمة التي أوردها أبو العرب عن قتلى الحرة نجد التشابه الكبير مع القائمة التي أوردها خليفة عن قتلى الحرة أيضًا، وفي الوقت الذي صرَّح أبو العرب بمصادر معلوماته،لم يذكر خليفة أي مصدر رجع إليه، واستقى منه معلوماته تلك، مما يجعلنا نؤكد أن كلا المؤلفين رجعا إلى مصدر واحد ونقلا عنه تلك القائمة، وبما أن أبا العرب[٣] قد أوضح مصدره الذي استقى منه معلوماته بشأن قتلى الحرة، حين أورد بإسناده إلى الواقدي قال: قرأت كتاب إبراهيم بن إسماعيل بن أبي حبيبة تسمية من قُتل بالحرة، وأخبرني إبراهيم أن الكتاب كتاب داود بن الحصين مولى آل عثمان بن عفان، فمن المؤكد أن خليفة قد رجع لهذه القائمة ونقل منها، ولكن السبب الذي دعا خليفة لحذف السند، وعدم ذكره هو أن راوي هذه القائمة هو الواقدي، وخليفة لم ينقل في تاريخه عن الواقدي إلا في موضعين فقط[٤]، وهذان الموضعان خارجان عن الأحداث المهمة، والمؤثِّرة في التاريخ، وهذه القائمة التي يرويها الواقدي تخص حادثة مهمة، فربما أن خليفة لم يرد ذكر اسمه في هذا الجزء المهم من الحادثة. وإبراهيم بن إسماعيل بن أبي حبيبة الأنصاري مولاهم أبو إسماعيل المدني، وثَّقه أحمد، وضعَّفه بقيَّة النُّقَّاد[٥]، وحكم

---

(١) أبو العرب، المحن: ١٨٧-٢٠٠.

(٢) الأتابكي، النجوم الزاهرة: ١/ ١٦٠.

(٣) أبو العرب، المحن: ١٨٧.

(٤) خليفة، التاريخ: ١٣٣، ٢٣٠.

(٥) ابن حجر، تهذيب التهذيب: ١/ ٩٠.

عليه الحافظ ابن حجر بأنه ضعيف[١]، ومن خلال جرح النقاد له يعتبر منكر الحديث، ولا يحتج به[٢].

وحتى داود بن الحصين الأموي مولاهم أبو سليمان المدني المتوفى سنة ١٣٥هـ، بالرغم من أن ابن حجر وثقه[٣] إلا أن ابن أبي حاتم قال عنه: لولا أن مالكًا روى عنه لتُرِكَ حديثه[٤].

وبذا يكون سند الواقدي الذي اعتمد عليه أبو العرب وخليفة ضعيفًا جدًا، لكنه يبقى صالحًا للتعريف بأسماء قتلى الحرة؛ إذ إن المعلومات اكتسبت شيوعًا، وعرفها المعاصرون من أهل المدينة، ولا بد أنهم أورثوها أبناءهم، وداود متَّهم برأي الخوارج، فلا يستحل الكذب، ويراه كبيرة - إذا صح الاتهام- ثم إن القائمة لا تعلُّقَ لها بالعقيدة والشريعة، بل هي محض أخبار تاريخية، فيُؤْخذ عن الواقدي وأمثاله ممن اكتسبوا شُهرة في التاريخ ولم يوثَّقوا في الحديث النبوي.

وهناك رواية مسندة عن الإمام مالك قال فيها: إن قتلى الحرة سبعمئة رجل من حملة القرآن، وقال الراوي: وحسبت أنه قال: وكان معهم ثلاثة أو أربعة من أصحاب رسول الله ﷺ[٥].

---

(١) تقريب: ٨٧.

(٢) التهذيب: ١/ ٩٠-٩١.

(٣) التقريب: ١٩٨.

(٤) التهذيب: ٣/ ١٥٧.

(٥) ابن حجر: الإصابة: ٣/ ٤٥٢ من طريق يعقوب؛ يعقوب، المعرفة والتاريخ: ٣/ ٣٢٥؛=

ورواية مالك[1] هي الأقرب إلى الصحة من الذي ذكر خليفة؛ وذلك لأن مالكًا المتوفى سنة ١٧٩ عاش في المدينة، واستقى روايته هذه عن شيخه يحيى بن سعيد الأنصاري[2] كما جاء ذلك مصرحًا به في رواية أبي بشر الدولابي[3].

ويحيى بن سعيد (ت ١٤٤هـ)، ويعتبر من أقرب الناس للحدث بحكم كونه مدنيًا وأنصاريًا، فروايته مقدمة على رواية غيره.

ثم إن ما ذكره موافق لما قاله الحسن البصري: «لما كان يوم الحرة قُتل أهل المدينة حتى كاد لا ينفلت أحد»[4].

ومن الغريب تلك المبالغات التي أوردها البعض في تقدير نسبة القتلى من المدنيين؛ فمثلاً هناك رواية الواقدي، والتي أخذ بها غالب المتقدِّمين والمتأخِّرين:

قال الواقدي عن عبد الله بن جعفر قال: «سألت الزهري: كم بلغ القتلى يوم الحرة؟ قال أما من قريش والأنصار، ومهاجرة العرب، ووجوه الناس فسبع مئة،

= البيهقي، دلائل النبوة: ٦/ ٤٧٤ عن يعقوب؛ أبو العرب، المحن: ٢٠٠ بإسناد صحيح؛ التلمساني: الجمان بأخبار الزمان: ق٤٤/ أ.

(١) مالك بن أنس بن مالك بن أبي عامر الأصبحي، أبو عبد الله، المدني، الفقيه، إمام دار الهجرة رأس المتقين، وكبير المتثبتين، حتى قال البخاري: أصح الأسانيد كلها: مالك عن نافع عن ابن عمر، من السابعة، مات سنة تسع وسبعين، وكان مولده سنة ثلاث وتسعين. وقال الواقدي: بلغ تسعين سنة (التقريب: ٥١٦).

(٢) يحيى بن سعيد الأنصاري المدني، أبو سعيد القاضي، ثقة ثبت، من الخامسة، مات سنة أربع وأربعين ومائة. (التقريب: ٥٩١).

(٣) البياسي، الإعلام: ٢/ ١٢٥ بإسناد حسن.

(٤) البيهقي، دلائل النبوة: ٦/ ٤٧٤ من طريق يعقوب بإسناد صحيح.

وسائر ذلك عشرة آلاف، وأُصيب بها نساء وصبيان بالقتل»[١].

والسند عن الواقدي وهو متروك، ثم إنه عُورض بسند أصحّ منه، وهي رواية مالك، فتُعتبر رواية الواقدي رواية منكرة لا يُعتمد عليها في تقدير عدد القتلى.

ثم إنه عند التدقيق في الرواية - رواية الواقدي- فإنَّا سنجد أن الشطر الأول مطابق تمامًا لرواية مالك: «أما من قريش والأنصار ومهاجرة العرب ووجوه الناس فسبع مئة...».

ومن المعروف أن الذين اشتركوا في الحرة هم من قريش، والأنصار، ومهاجرة العرب، ووجوه الناس من الموالي وغيرهم.

وبهذا يكون الشطر الآخر من رواية الواقدي والذي فيه أن القتلى «من سائر الناس عشرة آلاف، وأصيب بها نساء وصبيان بالقتل» يعتبر هذا الشطر من الزيادات والمبالغات والإضافات التي ربما أنها قد أُدخلت عمدًا على رواية الواقدي نفسه من طريق النسَّاخ، أو غيرهم.

ثم إذا جئنا لمناقشة الشطر الأخير من رواية الواقدي، لوجدنا أن الرقم الذي ذكره يعتبر رقما خياليًا إذا نظرنا إلى عدد السكان في المدينة حين وقوع المعركة.

فالرسول ﷺ استطاع أن يُجنِّد في معركة أحد حوالي ألفًا من الصحابة

---

(١) أبو العرب، المحن: ١٨٤، ابن الجوزي، الرد على المتعصب العنيد: ق٢٠أ، السمهودي، وفاء الوفاء: ١/ ١٣٢؛ كتاب الإمامة والسياسة المنسوب لابن قتيبة: ١/ ٢١٦. وانظر إلى التناقض في عدد القتلى في كل من البلاذري: أنساب الأشراف: ٤/ ٣٣٣؛ المسعودي، مروج الذهب: ٣/ ٧٩؛ ابن طاهر المقدسي، البدء والتاريخ: ٦/ ١٣؛ يحيى بن قاسم، غاية الأماني: ١/ ١٠٢.

بالمنافقين، ثم نراه يخرج للعمرة في صلح الحديبية بأصحابه الذين يتراوحون ما بين ألف وأربع مئة، وألف وست مئة.

حتى وإن سلَّمنا بأن المدينة كانت تحوي عند وفاة الرسول ﷺ عشرة آلاف مقاتل، فإن ما أعقب وفاة الرسول ﷺ من انتشار الجهاد في سبيل الله ضد الفرس والروم، وتوالي فتوح البلدان قد أثَّر بلا شك على عدد السكان - ليس في المدينة فحسب- بل وفي جزيرة العرب بأكملها.

وحتى إذا تصوَّرنا أن المدينة عند حدوث معركة الحرة كانت تحوي خمسة عشر ألف مقاتل، وكل مقاتل له أسرة تحوي خمسة أشخاص فقط، لوجدنا أن المدينة تحوي على أقل تقدير خمسة وسبعين ألفًا من الناس.

وهذا عدد كبير لو كان موجودًا في المدينة - على حسب تصور الرواية- لما أظن أن أهل المدينة انهزموا في الساعات الأولى[1].

---

(١) ولا أدري على أي شيء اعتمد المطري حين قال: إن سكان العقيق قد بلغوا في إمارة سعيد بن العاص الأموي أربعين ألف نسمة [المطري: ما أنست الهجرة، من معالم دار الهجرة، ٦٣]، وهو أمر لا يقبله عقل، وبالأخص في تلك الفترة، فالعقيق واد زراعي، فالساكنون فيه وعلى ضفافه إنما هم في الغالب من أصحاب المزارع، وإذا بالغنا مبالغة هائلة وقلنا: إن العقيق الذي يمتد من العرصة وحتى الجرف فيه مئة مزرعة، وكل مزرعة يديرها عشرون شخصًا، فإن العدد لن يتجاوز الألفين، فكيف يُعقل أن يسكن العقيق أربعون ألف شخص، وعلى افتراض صحة ما ذكر المطري فكم يكون عدد سكان المدينة الذين يسكنون بجانب المسجد النبوي، والذين يسكنون قباء والعوالي، والذين يسكنون الحرة الشرقية ووادي قناة، والذين يسكنون من المسجد إلى أحد؟

وحتى المطري نفسه يذكر عن وادي العقيق في عصره وهو متوفى سنة ٧٤١هـ: «ووادي العقيق =

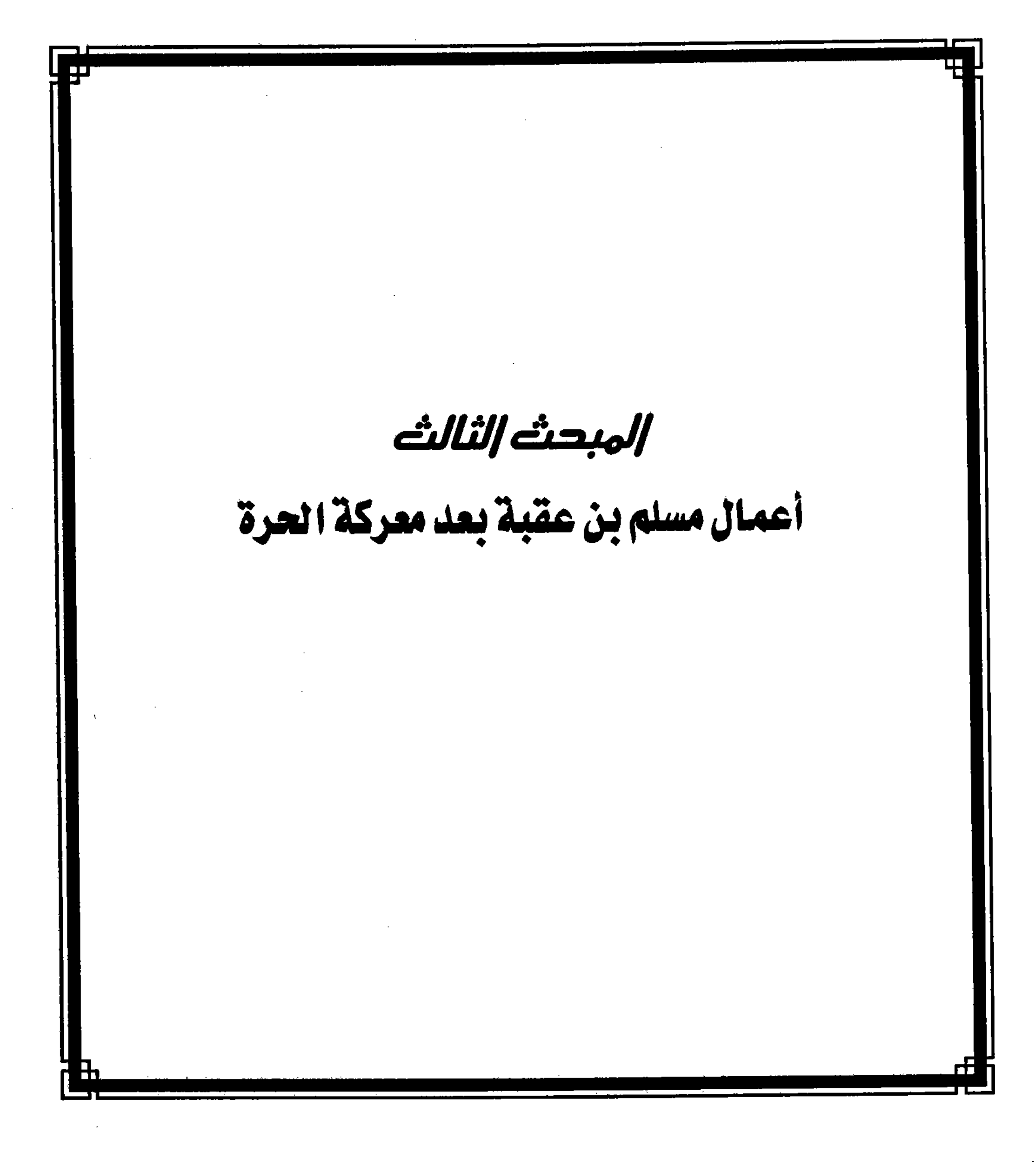
ولقد أنكر شيخ الإسلام صحَّة ما ذكره الواقدي، واستبعد أن يصل العدد إلى هذا الحد[1].

ثم إن عدد السبع مئة الذي ورد في رواية مالك، والشطر الأول من رواية الواقدي يتفق مع ما ذكره الواقدي نفسه بإسناده عن عبد الله بن مطيع حينما بيَّن أن عدد المدنيين الذين قابلوا مسلم بن عقبة هما ألفا رجل[2]، فإن كان قد قتل ثلث هذا الجيش، فذلك يعني أن القتل يعتبر ذريعًا في المدنيين، ويتفق مع رواية الحسن البصري المشار إليها سابقًا.

= اليوم ليس فيه ساكن، وفيه بقايا بنيان وخراب وآثار...». المصدر السابق، ونفس الصفحة. وهذا الكلام قاله ابن النجار ت سنة ٦٤٣هـ في كتابه (أخبار مدينة الرسول ﷺ ص٤٠). وقد حدَّد الكاتب فورستر سادلير عدد سكان المدينة في أواخر القرن التاسع عشر الميلادي، وبالتحديد عام ١٨١٩، بثمانية آلاف نسمة (فورستر سادلير، رحلة عبر شبه الجزيرة العربية: ١١٨). وأما ما أشار إليه ابن عبد الحكم من أن معاوية أمد علقمة بن يزيد عامله على الإسكندرية بأربعة آلاف من أهل المدينة وعليهم ابن مطيع. (ابن عبد الحكم، فتوح مصر: ص١٩٢)، فهذا لا يفهم منه أن الأربعة آلاف جندي كلهم من أهل المدينة، بل يعتبر من إطلاق الخاص على العام، فالمدينة هي أقرب مركز لبلاد الشام ومصر، وفيها يكتتب الجند، ليس من المدينة فقط بل كل من يقدم على المدينة ليسجل اسمه في ديوان الجند الموجود فيها، وهذا بسبب التمثيل الإداري الذي يحكم بلاد الجزيرة العربية، وكانت المدينة هي مركز انطلاق الجند إلى بلاد الشام، أو بلاد العراق، أو مصر، أو الشمال الإفريقي (خليفة: التاريخ ٢١٠). وانظر عن التطوُّر العمراني في المدينة : صالح لمعي، المدينة وتطورها العمراني وتراثها العمراني، وخليل السامرائي: المظاهر الحضرية للمدينة المنورة

(١) ابن تيمية : منهاج السنة ٤/ ٧٧٥.

(٢) ابن سعد، الطبقات: ٥/ ١٤٦، من طريق الواقدي؛ البياسي، الإعلام: ٢/ ١٢٤ من طريق الواقدي.



المبحث الثالث

أعمال مسلم بن عقبة بعد معركة الحرة



المبحث الثالث

أعمال مسلم بن عقبة بعد معركة الحرة

١- نهب المدينة:

لقد اشتُهر أنّ مسلم بن عقبة المرِّي، أمر بانتهاب المدينة، فمكثوا ثلاثة أيام من شهر ذي الحجة ينتهبون المدينة حتى رأوا هلال محرم، فأمر الناس فكفُّوا؛ وذلك لأن معركة الحرة كانت لثلاث بقين من ذي الحجة سنة ثلاث وستين للهجرة[١].

وتعتبر رواية نافع مولى ابن عمر هي أصح رواية نصَّت على حدوث الانتهاب؛ فقد قال: «... وظفر -أي مسلم بن عقبة- بأهل المدينة، وقتلوا وانتُهبت المدينة ثلاثًا...»[٢].

وقد وردت لفظة الاستباحة عند السلف لتعني النهب، كما ورد على لسان عبد الله بن يزيد بن الشخير حين قال: «ولما استبيحت المدينة - يعني يوم الحرة - دخل أبو سعيد الخدري غارًا ...»[٣].

ومن هنا يعلم أن الاستباحة والنهب جاءت بمعنى واحد؛ حيث جاءت

---

(١) يعقوب، المعرفة والتاريخ: ٣/ ٣٢٦؛ البلاذري، أنساب الأشراف: ٤/ ٣٣٢ عن الواقدي؛ أبو العرب، المحن: ١٨٤ عن الواقدي؛ ابن زبر، تاريخ مولد العلماء ووفياتهم: ١/ ١٧٥؛ ابن عساكر، ترجمة ابن الزبير: ص٣٠٩. ومنهم من قال: أنّ الحرة كانت لليلتين بقيت من ذي الحجة (تاريخ أبي زرعة: ١/ ٢٣٢ عن أحمد؛ الطبري: ٥/ ٤٩٤ عن أبي معشر وابن سعد؛ البرازلي، مشيخة قاضي القضاة ابن جماعة: ١/ ٨٦).

(٢) ابن سعد، الطبقات الكبرى: ٥/ ٣٨ بإسناد حسن.

(٣) المصدر السابق: ٧/ ٢٨ ، ط٥/ ٤٧٤ باسناد حسن.

هاتان اللفظتان في غالب المصادر المتقدمة(١).

ويبدو أنَّ الانتهاب بالشكل الكبير قد حصل في اليوم الأول، حينما دُخلت المدينة من جهة بني حارثة، وحلَّت الهزيمة بالمدنيين، فكان اليوم الأول هو يوم قتال ونهب(٢).

ولكن الذي يهمُّنا ونحن بصدد انتهاب المدينة، هو القرار الذي اتخذه مسلم بن عقبة بانتهاب المدينة ثلاثة أيام، أهو قرار فردي من تلقاء نفسه اتخذه بدافع الكره للمدينيين، أم أنَّ هذا القرار اتخذه يزيد بن معاوية، وأوصى به مسلم بن عقبة، ونفّذه في المدينة، وذلك بعد الهزيمة المنكرة التي لحقت بالمدينيين؟

وللإجابة على هذا التساؤل نستطيع أن نتوصَّل من خلال الدلائل المترتبة على معركة الحرة، ومسبِّباتها إلى أنَّ يزيد بن معاوية هو صاحب هذا القرار.

فبالنظر إلى وصية يزيد لمسلم بن عقبة حين سيرَّه إلى المدينة، حين قال: «ادع القوم ثلاثًا، فإن هم أجابوك وإلّا فاقتلهم، فإذا ظهرت عليهم فأبحها ثلاثًا، فما

---

(١) ابن سعد: ٥/ ٢٢٥، ط٥/ ٢٧٤ من طريق الواقدي، الهيثمي، مجمع الزوائد: ٧/ ٢٤٩-٢٥٠ وقال: «رواه الطبراني وفيه عبد الملك بن عبد الرحمن الذماري ضعَّفه أبو رزعة، ووثَّقه ابن حبان وغيره، وابن رمانة لا أعرفه»؛ أنساب الأشراف: ٤/ ٣٣٤، أبو العرب، المحن: ١٨٤ عن الزهري؛مروج الذهب:٣/ ٧٨؛البيهقي،المحاسن والمساويء: ٨٨؛البيهقي، الدلائل: ٦/ ٤٧٥ من طريق يعقوب؛ ابن عساكر: ١٦/ ق٤٧٨ من طريق يعقوب؛ ابن طاهر المقدسي، البدء والتاريخ: ٦/ ١٤؛ ابن كثير، البداية والنهاية: ٨/ ٢٢٣؛ الفاسي، العقد الثمين: ٢/ ٣٩-٤٠ عن الزبير بن بكار؛ ابن حجر، تعجيل المنفعة: ٤٥٣ بدون سند؛ السيوطي، تاريخ الخلفاء: ص٣٠٩.

(٢) البلاذري: أنساب الأشراف: ٤/ ٣٢٧ عن عوانة.

فيها من مال أو رقة، أو سلاح، أو طعام فهو للجند، فإذا مضت الثلاثة فاكفف عن الناس...»[١].

وفي رواية الواقدي: «...فإن ظفر بهم قتل من أشرف له، وأنهبها ثلاثًا ثم مضى إلى ابن الزبير»[٢].

ومع أنَّ أسانيد هاتين الروايتين أسانيد ضعيفة لا يمكن الاعتماد عليها في تقرير وتحميل مسؤولية إنهاب المدينة لأي شخص من الأشخاص، إلا أن يزيد كان قد أكرم وفد المدينة، وأعطاهم مطالبهم، ثم إنهم تحرَّشوا به وبولاته، ثم أخيرًا اتهموه بشرب الخمر وارتكاب الكبائر، فهذه الأمور لا شك أنها أثَّرت على تصرف يزيد فيما اتخذه من قرار بشأنهم، وكأنه أراد إيقاع أقسى ما يمكن من العقوبة على أهل المدينة.

ثم لو أنَّ مسلم بن عقبة اتخذ هذا القرار من تلقاء نفسه، لنُقل لنا تبرُّؤ يزيد من فعله كما تبرَّأ من فعل عبيد الله بن زياد حين قتل الحسين ﷺ.

وقد حمَّله الإمام أحمد مسؤولية انتهاب المدينة؛ فعندما سأله مهنا بن يحيى الشامي السلمي عن يزيد قال: «هو الذي فعل بالمدينة ما فعل. قلت: وما فعل؟ قال: نهبها»[٣].

---

(١) الطبري: ٥/ ٤٨٤ من طريق أبي مخنف؛ البلاذري، أنساب الأشراف: ٤/ ٣٢٢-٣٢٣ من طريق أبي مخنف.

(٢) ابن سعد، ط٥/ ٤٧٣ عن الواقدي مجموعة من الأسانيد؛ ابن عساكر: ١٦/ ق٤٧٧ عن الواقدي بنفس الإسناد.

(٣) الخلال، السنة: ٥٢٠؛ أبو يعلى، طبقات الحنابلة: ١/ ٣٤٧؛ ابن عبد الهادي، بحر الدم: ٤٧٤.

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية: «فبعث إليهم - أي أهل المدينة - جيشًا وأمره إذا لم يطيعوه بعد ثلاث أن يدخلها بالسيف، ويبيحها ثلاثًا...»[١].

وذهب إلى ذلك كل من ابن كثير[٢]، وأبي الفدا[٣]، وابن حجر[٤]، والتلمساني[٥].

ولا أدري على أي شيء اعتمد يوسف العش حين قال: «وهذه الوصية - وصية يزيد لمسلم بن عقبة - وصية شديدة في شطرها الأخير؛ ففيها نهب أموال المدينة ثلاثًا، هذا أمر يأباه الإسلام، غير أنَّ يزيد وضع شرطًا لذلك، وهو أن يكون أهل المدينة قد وضعوا السيف في بني أمية، وهذا يُظهر تعصبَّه لقومه، ونزوته، وطيشه»[٦].

ومن المعلوم أنه لم يُقتل من الأمويين أحد، فلماذا إذن يعمد مسلم بن عقبة إلى قتال أهل المدينة، وانتهابها إذا كان الشرط الذي ذكره يوسف العش لم يتعرض لأي نقض؟

ولقد أدَّى دخول أهل الشام المدينة، وانتهاب بعض أنحائها إلى تدنِّي النواحي

---

(١) ابن تيمية، الوصية الكبرى: ٤٥٢.

(٢) ابن كثير، البداية والنهاية: ٨/ ٢٢٣، ٢٢٥.

(٣) أبو الفدا، المختصر في أخبار البشر: ١/ ١٩٢.

(٤) ابن حجر، تهذيب التهذيب: ١١/ ٣١٦.

(٥) التلمساني، الجمان بأخبار الزمان: ق١٤٤ أ.

(٦) يوسف العش، الدولة الأموية: ١٧٥، وقد وجدت أن ابن أعثم قد ذكر هذا الشرط (انظر: الفتوح: ٤/ ٢٩٠). ولم يشر يوسف العش لمصدره، ولعل ابن أعثم هو الوحيد الذي تفرَّد بهذا القول، وهو يضاف إلى غرائبه الكثيرة التي خالف فيها كل المؤرخين.

المعيشية في المدينة، حتى أنَّ بعض سكانها استشاروا الصحابة في الجلاء عنها بسبب غلاء الأسعار[١].

وقد كانت المدينة في اليوم الأول مسرحًا للقتال والنهب، حيث أدّى انهزام المدنيين وتدفّقهم في شوارع المدينة إلى تعقّب وتتبع أهل الشام لأولئك المنهزمين.

ولا شك أنّ انعدام الأمن والخوف في المدينة قد أدّى بالبعض إلى الهروب من المدينة، والالتجاء إلى الجبال المجاورة، وربما حدث عدم تمييز بين المذنبين، والذين لا ذنب لهم إبان احتدام المعركة، كما حدث لأبي سعيد الخدري ﷺ، فقد هرب من المدينة ودخل غارًا والسيف في عنقه، ودخل إليه شامي فأمره بالخروج، فقال: لا أخرج، وإن تدخل إليَّ قتلتك، فدخل عليه فوضع أبو سعيد السيف، وقال: بؤ بإثمي وإثمك قال: أنت أبو سعيد الخدري، قال: نعم. قال: فاستغفر لي، فخرج[٢].

وقد ذكر الواقدي أنَّ أهل الشام نتفوا لحيته انتقامًا منه، ولكن هذا لم يرد من طريق صحيحة[٣].

ولكن الشيء الذي يجب التنبه إليه هو أنَّ النهب لم يشمل كل أهل المدينة، فلم

---

(١) صحيح مسلم: ٢/ ١٠٠٢، ١٠٠٤، الفتح الرباني: ٢٣/ ١٧٩، الترمذي، السنن: ٥/ ٧١٩ (٣٩١٨).

(٢) ابن سعد ٧/ ٢٨، ط٥/ ٤٧٥ إسناده حسن؛ خليفة، التاريخ: ٢٣٩ بإسناد صحيح؛ البلاذري، أنساب الأشراف: ٤/ ٣٣٥ بنفس إسناد خليفة؛ الطبري: ٥/ ٤٩١ من طريق أبي مخنف؛ ابن عبد ربه، العقد الفريد: ٤/ ٣٩٠، ابن حجر، الإصابة: ٣/ ٧٩ من طريق ابن سعد.

(٣) أبو العرب، المحن: ١٨١ من طريق الواقدي؛ الهيثمي، مجمع الزوائد: ٧/ ٢٥٠ وقال: رواه الطبراني وأبو هارون متروك؛ ابن عساكر: ١٦/ ق٤٧٨ من طريق الطبراني.

نسمع أنَّ ابن عمر قد انتُهبت داره، أو علي بن الحسين، أو غيره من الذين لم يقفوا بجانب المعارضين، وإنما كان الانتهاب في الأماكن التي يدور فيها القتال، وتُعرف بالمعارضة للحكم الأموي، ويمكن لأهل الشام أن يعرفوا أولئك الذين تولَّوا محاصرة بني أمية، والذين تولَّوا تأجيج المعارضة ضد الخلافة، عن طريق الأمويين الذين رجعوا مع الجيش حين قابلوهم بوادي القرى كما تقدم، ولا شك أنَّ الأمويين الذين أُخرجوا من المدينة يعرفون بيوت المدينة، وأفرادها معرفة تامة.

ثم إن الأمر الأخير الذي يجب الإشارة إليه: هو أنَّ الذي قام بالنهب من أهل الشام هم فئة محصورة، وكانت هذه الحملة يوجد فيها كبار التابعين والكثير من الصالحين، والذين يعرفون قدر أهل المدينة، ومكانتهم، ومكانة الصحابة -رضوان الله عليهم- وأبنائهم، وهو الأمر الذي يجعل هذا النهب محصورًا في نطاق معين، وحكْرًا على فئة لا تحمل معايير سلوكية وأخلاقية تتزامن مع صفات ذلك المجتمع الطاهر الصالح.

فالجيش الشامي تِعداده حوالي اثني عشر ألف مقاتل، فمن المؤكد أنَّ هذا الجيش يضم أخلاطًا من الناس، وفيهم البعض من أصحاب المنافع المادية الذين لا يتورَّعون عن السلب والنهب، وخاصة أنَّ الإذن قد أُعطي لهؤلاء الحمقى مُسبقًا.

ثم لا ننسى أنَّ أهل الشام ينظرون لأهل المدينة على أنَّهم ناكثون خالعون للخليفة، وهم السبب - في نظر أهل الشام - لمغادرة بلادهم وأسرهم.

٢- مناقشة ما قيل حول انتهاك الأعراض:

لم نجد في كتب السنة، أو في تلك الكتب التي أُلِّفت في الفتن[١] خاصة، أي إشارة لوقوع شيء من الانتهاك لأعراض المدنيات.

وكذلك لم نجد في المصدرين التاريخيين المهمين عن هذه الفترة، وهما: (الطبري، والبلاذري) أي إشارة لوقوع شيء من ذلك؛ وهما قد اعتمدا على روايات الإخباريين المشهورين؛ مثل عوانة بن الحكم، وأبي مخنف، وغيرهما.

وحتى تاريخ خليفة -على دقته واختصاره- لم يذكر شيئًا بهذا الصدد، وأيضًا تاريخ ابن أبي خيثمة -الذي فُقِد أغلبه ونقلت عنه غالب المصادر المتقدمة- لم ينسب إليه شيءٌ عن وقوع انتهاك للأعراض.

ثم إنَّ أهم كتاب للطبقات -وهو: طبقات ابن سعد- لم يشر إلى شيء من ذلك في طبقاته.

ومن المعلوم أنَّ ابن سعد قد اعتمد على كُتب شيخه (الواقدي)، وهو أهم مؤرخ لمعركة الحرة؛ حيث يوجد له كتاب بهذا الاسم[٢].

ولعل أقدم من أشار إلى انتهاك الأعراض: المدائني المتوفى سنة ٢٢٥هـ.

حيث قال المدائني عن أبي قرة عن هشام بن حسان؛ قال: «ولَدَت بعد الحرة ألف امرأة من غير زوج».

---

(١) انظر على سبيل المثال: الفتن لنعيم بن حماد، والفتن لأبي عمرو الداني.

(٢) السمهودي، وفاء الوفاء: ١/ ١٢٧، ١٣١.

ويعتبر ابن الجوزي هو أول من أورد هذا الخبر في تاريخه[(١)]، وفي رسالته الخاصة التي ألفها في الطعن على يزيد بن معاوية وإظهار مثالبه[(٢)].

وقد نقلها عن ابن الجوزي السمهودي مؤرِّخ المدينة المتوفى في القرن العاشر الهجري[(٣)].

وقد أورد هذا الخبر أيضًا ابن كثير، ولكن من طريق المدائني مباشرة[(٤)].

وعند الاطلاع على أسماء مؤلفات المدائني التاريخية نجد كتابًا يتعلق بمعركة الحرة[(٥)].

وقد ذكر ابن الجوزي حين نقل الخبر أنَّه نقله من كتاب الحرة للمدائني[(٦)].

وهنا يبرز سؤال ملح، وهو: لماذا الطبري، والبلاذري، وخليفة، وابن سعد، وغيرهم، لم يوردوا هذا الخبر في كتبهم، وهم قد نقلوا عن المدائني في كثير من المواضع من تآليفهم؟

قد يكون هذا الخبر قد أقحم في تآليف المدائني، وخاصة أنَّ كتب المدائني منتشرة في بلاد العراق، وفيها نسبة لا يُستهان بها من الشيعة، وقد كانت لهم دول سيطرت على بلاد العراق، وبلاد الشام، ومصر في آن واحد، وذلك في القرن

---

(١) ابن الجوزي، المنتظم: ٦/ ١٥.

(٢) ابن الجوزي، رسالة في جواز لعن يزيد: ق٢٠ أ.

(٣) السمهودي، وفاء الوفاء: ١/ ١٣٤.

(٤) ابن كثير، البداية والنهاية: ٨/ ٢٢٤.

(٥) ابن النديم، الفهرست: ١١٥.

(٦) ابن الجوزي، رسالة في جواز لعن يزيد: ق٢٠ أ.

الرابع الهجري، أي قبل ولادة ابن الجوزي -رحمه الله- ثم إن كتب المدائني ينقل منه وجادة بدون إسناد.

وقد يكون هذا الخبر وُجد بالفعل في كتاب الحرة للمدائني، ونظرًا لعدم اقتناع الطبري، والبلاذري، وخليفة، وغيرهم بصحة هذا الخبر، فإنهم قد أعرضوا عنه ولم يدخلوه في كتبهم.

ومما يجعلنا نميل إلى هذا الرأي الأخير: أنَّ هذا الخبر قد ورد ذكره في دلائل النبوّة للبيهقي من طريق يعقوب بن سفيان قال: «حدثنا يوسف بن موسى، حدثنا جرير، عن المغيرة قال: أنهب مسرف بن عقبة المدينة ثلاثة أيام، فزعم المغيرة أنَّه افتض فيها ألف عذراء»[1].

وبالنظر إلى ناقل الخبر في كلا الروايتين نجد أنَّ رواية المدائني تنتهي بهشام بن حسان البصري المتوفى سنة ١٤٨هـ، وفي رواية يعقوب تنتهي بـ المغيرة بن مقسم الضبِّي الكوفي المتوفى سنة ١٣٦هـ.

والتشابه بين مضمون الروايتين كبير؛ فالعدد هو ألف امرأة في كلا الروايتين، ولكن الاختلاف بينهم يتعلق بالألف امرأة أيضًا، حيث ذكر المدائني في روايته ولادة ألف امرأة، وفي رواية يعقوب افتضاض ألف عذراء، ولعل تحويل افتضاض ألف عذراء إلى ولادة ألف امرأة قد حدث عن طريق التزيّد في الرواية، إمّا من الرواة، أو من النسَّاخ.

---

(١) البيهقي، دلائل النبوة: ٦/ ٤٧٥، ابن عساكر، تاريخ دمشق: ١٦/ ق٤٧٨ من طريق البيهقي وبنفس الإسناد.

وبما أنَّ وفاة هشام بن حسن متأخرة عن وفاة المغيرة بن مقسم الضبِّي، فهناك ثمة احتمال قائم في أنَّ هشام بن حسان نقل الخبر عن المغيرة بن مقسم الضبِّي.

والذي يهمنا رواية المغيرة بن مقسم؛ وذلك لورودها من طريق محدِّث كبير وهو (يعقوب بن سفيان)، وهي بلا شك أثبت من رواية المدائني، وذلك لعدم اتضاح حال أبي قرَّة الذي روى المدائني الخبر من طريقه.

فالمغيرة بن مقسم الضبي: ثقة متقن، إلا أنه كان يدلِّس، وقد عدَّه ابن حجر في الطبقة الثالثة من المدلسين، وهم الطبقة الذين لا يحتج بحديثهم إلا بما صرَّحوا فيه بالسماع[1].

وقال إسماعيل القاضي: المغيرة بن مقسم ليس بقوي فيمن لقي؛ لأنه يُدلِّس فكيف إذا أرسل[2].

والمغيرة هنا لم يُصرّح باسم الراوي الذي نقل هذا الخبر عنه، فضلاً عن التدليس.

ثم إن الراوي عن المغيرة وهو جرير بن عبد الحميد بن قرط قد اختلط قبل موته، ولا نعلم متى نقل لنا هذا الخبر، هل هو قبل الاختلاط أم بعد الاختلاط[3].

وعند التأمُّل في متن الرواية نجد التشكيك بمدى مصداقيتها، فنجد الرواية تعبِّر عن خبر المغيرة هذا بالقول: «فزعم المغيرة...».

---

(١) ابن حجر، تعريف أهل التقديس: ١١٢.

(٢) ابن حجر، تهذيب التهذيب: ١٠/ ٢٤١، ٢٤٢.

(٣) ابن الكيال، الكواكب النيرات: ١٢٠.

وهذه من الألفاظ التي تستعمل للتضعيف والاحتمال.

ثم إن رواية يعقوب عن أحد الكوفيين وهو المغيرة، لم يذكر لنا مصدره الذي تلقَّى هذه الخبر عن طريقه، وبلده - الكوفة - هي البلدة المشهورة بالحقد والكراهية للأمويين.

وفي أمر خطير مثل هذا الجرم العظيم، فإن ثبوته يحتاج إلى أدلة صحيحة واضحة، واعتراف من أهل المكان والزمان أنفسهم، وأما أنَّ الخبر يصدر بالزعم فلا يمكن القول به أو الركون إليه.

وهناك إشارتان أيضًا لوقوع شيء من الاغتصاب.

الأولى: ما ذكره ابن الجوزي أنَّ محمد بن ناصر ساق بإسناده عن المدائني عن أبي عبد الرحمن القرشي عن خالد الكندي عن عمته أم الهيثم بنت يزيد قالت: «رأيت امرأة من قريش تطوف، فعرض لها أسود فعانقته وقبَّلته، فقلت: يا أمة الله، أتفعلين بهذا الأسود؟ فقالت: هو ابني؛ وقع علي أبوه يوم الحرة»(١).

وخالد الكندي(٢) وعمته أم الهيثم بنت يزيد لم أعثر لهما على ترجمة.

---

(١) ابن الجوزي، رسالة في جواز لعن يزيد: ق٢٠ب، وله أيضًا المنتظم: ٦/ ١٥، وفاء الوفاء: ١/ ١٣٤ من نفس الطريق.

(٢) لقد أورد البخاري ذكر خالد بن يحي الكندي،عن حماد بن أبي سليمان، روى عن معن بن عيسى، منقطع (التاريخ الكبير: ٢/ ١٨٤(٦٢٣)؛ وأورده ابن أبي حاتم ثم قال: محله الصدق يكتب حديثه، كان يرى الإرجاء (الجرح والتعديل: ٣/ ٣٦٢(١٦٤٠).وعند البحث الدقيق في ترجمة حماد بن أبي سليمان لم أعثر على راو بهذا الاسم، فقد يكون خالد الكندي المذكور في السند غير خالد بن يحي الكندي.

والثانية: قال الزبير بن بكار: «حدثني عمي قال: كان ابن مطيع من رجال قريش شجاعة، ونجدة، وجلدًا، فلما انهزم أهل الحرة، وقُتل ابن حنظلة، وفرَّ ابن مطيع ونجا، توارى في بيت امرأة، فلما هجم أهل الشام على المدينة في بيوتهم ونهبوهم دخل رجل من أهل الشام دار المرأة التي توارى فيه ابن مطيع، فرأى المرأة فأعجبته فواثبها، فامتنعت منه، فصرعها، فاطلع ابن مطيع على ذلك فخلَّصها منه، وقتله»[1].

وراوي هذه القصة هو مصعب الزبيري المتوفى سنة ٢٣٦هـ، والحرة كانت في سنة ٦٣هـ، فيكون بينه وبين الحرة زمان متباعد، والانقطاع واضح في سند هذه القصة، ثم إنَّ الزبير بن بكَّار وعمه مصعبًا الزبيري هما من سلالة ابن الزبير، وقد تعرَّض أجدادهم إلى القتل على يد الأمويين، فتكون روايتهم في الجانب الأموي يشوبها ضغائن وأحقاد عالقة في النفوس، هذا فضلاً عن عدم ثبوت هذه القصة بهذا النحو؛ حيث ذكر الواقدي نجاة ابن مطيع ولم يذكر فيها قصة الشامي مع المرأة.

قال الواقدي: «حدثني إسحاق بن طلحة[2]، عن عيسى بن طلحة[3] قال: قلت لعبد الله بن مطيع: كيف نجوت يوم الحرة قال: كنا نقول: لو أقاموا شهرًا ما فعلوا بنا شيئًا، فلما صُنِعَ بنا ما صنع وولَّى الناس، ذكرت قول الحارث بن هشام:

---

(١) ابن حجر، الإصابة: ٥/ ٢٦.

(٢) إسحاق بن يحيى بن طلحة بن عبيد الله التيمي من الخامسة، ضعيف (التقريب: ١٠٣).

(٣) عيسى بن طلحة بن عبد الله التيمي، ثقة فاضل توفي سنة ١٠٠هـ (التقريب: ٤٣٩).

وعلمت إن أقاتل واحدًا أقتل ولا يضرر عدوّي مشهدي[١]

فتواريت ثم لحقت بابن الزبير»[٢].

ولا أظن أن ابن مطيع يكتم قصة المرأة التي خلَّصها من الشامي عن عيسى بن طلحة، وخاصة أنه يتكلم عن كيفية نجاته، وهو يكره الأمويين، فكيف يغفل عن ذكر قصة المرأة التي من شأنها إبراز قلة دين جيش أهل الشام، وبعدهم عن الحق والهدى.

هذه الروايات الأربع التي ذكرناها هي أقدم ما ذُكر بشأن انتهاك الأعراض بعد معركة الحرة، وهي على قلتها وندرتها لا تثبت من طريق صحيح.

ومن الجدير بالذكر أنَّ كل من أورد خبر انتهاك أعراض أهل المدينة في معركة الحرة قد اعتمد على رواية يعقوب، أو رواية المدائني فقط.

فأحيانًا يختار البعض رواية المدائني؛ مثل ابن خلكان، حيث يقول: «قد ولدت أكثر من ألف بكر من أهل المدينة، ممن ليس لهم أزواج بسبب ما جرى فيها من الفجور»[٣].

والبعض يختار رواية يعقوب مثل السيوطي حيث قال: «وافتض في المدينة ألف عذراء»[٤].

---

(١) هذا بيت من قصيدة قاله الحارث بن هشام بن المغيرة المخزومي ﷺ اعتذارًا من فراره يوم بدر، (ابن هشام، السيرة النبوية: ٣/ ١٨؛ مصعب الزبيري: ٣٠٢؛ ابن دريد، الاشتقاق: ١/ ١٤٨).

(٢) ابن سعد، الطبقات الكبرى: ٥/ ١٤٦؛ البياسي: ١/ ١٢٤، الذهبي، تاريخ الإسلام حوادث: (٦١-٨٠) ص٤٦٩-٤٧٠.

(٣) ابن خلكان، الوفيات: ٦/ ٢٢٧.

(٤) السيوطي، تاريخ الخلفاء: ٢٠٩.

وهذا مؤلف آخر حاول أن يجمع بين الروايتين فقال: «ولدت بعد هذه الوقعة أكثر من ألف بكر من أهل المدينة ممن ليس لهم أزواج، بسبب ما جرى فيها من الفجور»(١).

والبعض يجعل عدد الحوامل من جراء الاغتصاب ثمانمئة حرة، وولدن، وكان يقال لأولئك الأولاد: أولاد الحرة(٢).

والبعض جعل الشيعة الموجودين في المدينة الآن، والذين يُطلق عليهم اسم النخاولة هم من أبناء الحرة غير الشرعيين(٣).

والبعض لم يكتف بذكر الفجور، بل ذهب إلى أنَّ أهل الشام أخذوا يبقرون بطون النساء(٤).

وهذه كلها أخبار مختلقة.

وذكر البعض أن أهل الشام سبوا الذرية(٥)، وسيقت إليهم السبايا من أبناء المهاجرين والأنصار(٦).

وأما العصامي فقد ذكر فِرية لم يُسبق إليها؛ حيث قال: «وافتُضَّ فيها ألف

---

(١) مؤلف مجهول، القول المختار في معرفة الصحابة الأبرار: ٤/ ق٢٣٠ب.

(٢) ياقوت، معجم البلدان: ٢/ ٢٤٩.

(٣) عبد الرحمن الأنصاري، تحفة المحبين والأصحاب: ٤٨٠.

(٤) ابن طاهر المقدسي، البدء والتاريخ: ٦/ ١٣.

(٥) السمهودي، وفاء الوفاء: ١/ ١٣٢.

(٦) أبو زهرة، الإمام زيد: ٩٧.

عذراء، وإن مُفتضَّها فعل ذلك أمام الوجه الشريف، والتمس ما يمسح به الدم فلم يجد، ففتح مصحفًا قريبًا منه، ثم أخذ من أوراقه ورقة فمسح بها، نعوذ بالله ما هذا إلّا صريح الكفر وأنتنه»[١].

وهؤلاء الذين أعطوا العنان لرغباتهم وأهوائهم لم يستندوا إلى أي دليل حتى وإن كان كذبًا في حقيقته؛ فلم يذكر أحد أنَّ أهل الشام قاموا بسبي الذرية، مما يدلل على أهداف وأطماع خاصة، تدفع أولئك إلى مثل هذا الافتراء المناقض لحقيقة المسلمين في القرن الأول الهجري.

ولكن شيخ الإسلام بن تيمية[٢]، والحافظ ابن حجر[٣] قد أقرَّا بوقوع الاغتصاب، ومع ذلك لم يوردا مصادرهما التي استقيا منها معلوماتهما تلك.

ونحن لم نجد من الروايات المتعلِّقة بذكر الاغتصاب سوى ما ذكرناه، وهي كما رأينا روايات لا يمكن الاعتماد عليها بخصوص هذه الحادثة.

ثم إنَّ القرائن المصاحبة لمعركة الحرة تنفي وجود أي نوع من الاغتصاب؛ فمن المعلوم أنَّ انتهاك العرض أعظم من ذهاب المال، وكانت العرب في الجاهلية تغار على نسائها أعظم ما تكون الغيرة، وجاء الإسلام ليؤكِّد هذا الجانب، ويزيده قوة إلى قوته، وعظَّم الإسلام جريمة الزنا، وجعل لها عقوبات قاسية تصل إلى الرجم في حق المتزوج، و الجلد والتغريب في حق الأعزب.

---

(١) سمط النجوم العوالي: ٣/ ٩٢.

(٢) ابن تيمية، الوصية الكبرى: ٤٥.

(٣) ابن حجر، الإصابة :٦/ ٢٩٥.

وقد رأينا أنَّ الروايات الحسنة التي ذكرت انتهاب المدينة وأثبتناها في موضعها، لم يرد فيها ذكر لانتهاك الأعراض، ومن المعلوم أنَّ وقوع حالات الاغتصاب الواسعة - على حد زعم الروايات الأخرى - هي أعظم من النهب من حيث كثرته، أو وقعها على النفس، ولا أظن أنَّ الرواة الذين ذكروا الانتهاب - وهم في الغالب مدينيُّون معاصرون للمعركة - يُغفلون حالات الاغتصاب تلك.

ومن ثم سيحرص الرواة المدينيُّون على التحدث عن حالات الاغتصاب التي تمّت – على حسب ما ذكر المدائني ويعقوب – لكي يصبح قتال المدينيين الشاميين له مُسوّغ من هذه الجهة، باعتباره جيشًا لا يقيم حرمة للنساء المسلمات.

وقد كانت المدينة عند حدوث معركة الحرة تضم الكثير من الصحابة والتابعين، وبعضهم لم يشترك في المعركة، وكان له موقف معين من المعارضين المدينيين، من أمثال: ابن عمر، وعلي بن الحسين، ومحمد بن الحنفية، وسعيد بن المسيب، وأبي سعيد الخدري، وغيرهم رضي الله عنهم.

وهؤلاء لن يقفوا مكتوفي الأيدي، وهم يرون النساء المؤمنات يُفجر بهنَّ، وبأعداد هائلة، حتى التبس بعد ذلك أولاد السفاح بأولاد النكاح على حد زعم بعض المؤلفين[1].

ثم إن ابن عمر رضي الله عنه لم ينقل إلينا أنه غيَّر موقفه من الأمويين بعد معركة الحرة، بل نُقل عنه أنَّه أتى لابن مطيع قبل أن يفرَّ عن المدينة، وذلك ليالي الحرة وسأله: «أين تريد يا ابن عم؟ فقال: لا أعطيهم طاعة أبدًا فقال: يا ابن عم. فقال: لا

---

(١) يحيى بن القاسم، غاية الأماني في أخبار القطر اليماني: ١/ ١٠٢.

أعطيهم طاعة أبدًا، فقال: يا ابن عم لا تفعل؛ فإني أشهد أني سمعت رسول الله ﷺ يقول: (**من مات ولا بيعة عليه مات ميتة جاهلية**)»[١].

ولقد ثبت أن ابن عمر استمر في موقفه هذا، بل ويرى أنَّ أهل المدينة وابن الزبير بُغاة على الأمويين؛ حيث قال: «ما وجدت في نفسي من أمر هذه الأمة ما وجدت في نفسي من أن أقاتل هذه الفئة الباغية كما أمر الله، فقيل له: ومن ترى الفئة الباغية؟ قال: ابن الزبير بغى على هؤلاء القوم، فأخرجهم من ديارهم ونكث عهدهم»[٢].

ثم لا نجد عن علي بن الحسين، أو سعيد بن المسيب، أو أبي سعيد الخدري، أو غيرهم، من كبار الصحابة والتابعين، ذكرًا لأحداث الاغتصاب التي ذُكر أنها جرت في المدينة بعد المعركة.

كما أننا لا نجد في كتب التراجم أو التاريخ ذكرًا لأي شخص قيل: إنه من سلالة أولاد الحرة (الألف) كما ذكر المدائني.

وإذا أردنا أن نناقش هذه القضية من جهة واقع ذلك العصر المتقدم في صدر

---

(١) ابن سعد: ٥/ ١٤٤ بإسناد حسن إلى العطاف بن خالد، وراوي الخبر أمية بن محمد بن عبد الله ابن مطيع، حفيد ابن مطيع لم أعثر له على ترجمة، ولكن لموافقة الخبر للأحداث، ولكونه صادر عن حفيد ابن مطيع نفسه، فهو مما يستأنس به.

(٢) الذهبي، تاريخ الإسلام حوادث: (٦٠-٨١) ص٤٦٥ مكتفيًا بقوله (قال الزهري)، ابن حجر، فتح الباري: ١٣/ ٧٧ مُحيلاً على يعقوب فقط، وقد ورد عند ابن سعد: ٤/ ١٨٥ بسند صحيح أنَّ ابن عمر قال: الفئة الباغية الحجاج، وقد عقَّب الذهبي في السير: ٣/ ٢٣٢ على ذلك بقوله: «وهو ظن من بعض الرواة، وإلا فهو قد قال: الفئة الباغية ابن الزبير».

الإسلام، فإنا سنصل إلى انتفاء وقوع انتهاك الأعراض.

فالمسلمون انطلقوا بفتوحاتهم الخارجية منذ وفاة رسول الله ﷺ، واستمروا على تلك الفتوحات، حتى في عهد يزيد بن معاوية، وما بعده.

وقد تمكَّنوا من فتح بلاد شاسعة، امتدت من أقصى بلاد المشرق وحتى حدود فرنسا غربًا، وفتحوا ودخلوا مدنًا وقرىً لا تقع تحت الحصر.

ومع ذلك سجَّل لنا المؤرخون وقائع تلك الفتوحات، وما اتسم به الجندي المسلم المجاهد من أخلاق عالية وسلوك إسلامي عظيم، حتى أنَّ هذه السمة التي اتصف بها المسلمون كانت من أكبر الأسباب التي أدَّت إلى انتصار المسلمين وترحيب السكان بهم، كفاتحين يحملون الأمن والسلام والعدل للناس[1].

ولم نجد من خلال ما نقل إلينا، أنَّ المسلمين عندما يفتحون مدينة من المدن الكافرة، يقومون باستباحة المدينة، وانتهاك أعراض نسائها!!

والأمر في ظاهره كان مهيأ لهم، فالبلاد فتحت بالسيف، والمجتمع الذي أمامهم مجتمع كافر، ولكن خشية الله، والتمسك والانضباط بأوامر الله سبحانه جعلتهم مثالاً عظيمًا للفاتحين المبشرين بالإسلام والسلام.

فكيف يتصور أن يسلك المسلم المجاهد هذا السلوك مع الأمم الكافرة، ثم يأتي هذا المجاهد لينتهك أعراض المسلمات المؤمنات، وبنات وأخوات وحفيدات الصحابة رضوان الله عليهم.

---

(١) غوستاف لوبون، حضارة العرب: ص١٣٤-١٣٥.

حتى وإن قاتلوا أهل المدينة، فإن قتالهم لهم على أنهم عصاة ناكثون لبيعة الإمام، وواجب إرجاعهم إلى الجماعة، ولم يقاتلوهم على أنهم كفار خارجون عن الإسلام.

وقد نقلنا ترحُّم مروان بن الحكم - الذي يعتبر من أكبر زعماء بني أمية - على قتلى الحرة من المدينيين، وثناءه عليهم، وذكره لهم بالصلاح والتقوى.

ولم تواجه أهل الشام صعوبة كبيرة في قتال أهل المدينة، ولم يتعرَّضوا لحروب طويلة معهم، بل إن المعركة لم تدم طويلاً - بضع ساعات فقط - وانتصر أهل الشام.

إذًا فما هو المبرر الذي يجعل أهل الشام يقومون باغتصاب النساء، وبشكل كبير، على حد زعم الرواية.

لقد أوذي المدينيُّون بنهب أموالهم، وكان أهل الشام يرون ذلك كافيًا لعقابهم، ثم إنَّ قيادات الجيش الشامي تتمتع بصفات حسنة، ويُعَدُّون من أفاضل أهل الشام.

فكان الجيش الشامي يتكون من عدة فرق، على كل فرقة أمير؛ فأهل دمشق يقودهم عبد الله بن مسعدة الفزاري، وعلى أهل حمص: حصين بن نمير السكوني، وعلى أهل الأردن: حبيش بن دلجة القيني، وعلى أهل فلسطين: روْح بن زنباع الجذامي وشريك الكناني، وعلى أهل قنسرين: طريف بن الحسحاس الهلالي، والقائد العام: مسلم بن عقبة من غطفان[1].

وعبد الله بن مَسْعدة الذي كان على جند دمشق من صغار الصحابة[2]،

---

(١) ابن كثير، البداية والنهاية: ٨/ ٢٢٠ عن المدائني.

(٢) ابن عساكر (ترجمة ابن مسعدة): ص٤٣٣-٤٣٥؛ ابن حجر، الإصابة: ٤/ ٣٣٠-٣٣١ عن عوانة.

ورَوْح بن زنباع الجذامي الذي كان على أهل فلسطين من العُبّاد والغزاة في سبيل الله، وكان من خيار التابعين وسادات أهل الشام[١].

والحصين بن نمير السكوني كان أميرًا على جند حمص، وهو من أمراء الشام وساداتهم[٢].

والقادة أنفسهم، والجيش الشامي غالبه من القبائل العربية الذين كان لهم أقارب وعلاقات، وأواصر مع المجتمع المدني، فكيف يرضون أن يقع شيء من ذلك على أهلهم، ونسائهم؟!

ثم كانت بلاد الشام تعجُّ بالصالحين والمجاهدين والعلماء والزهاد، وقد استحقت بذلك ثناء عائشة -رضي الله عنها- على أهل الشام[٣]، وثناء الأوزاعي كذلك[٤].

ثم كيف تخفى على المحدِّثين والفقهاء الإشارة إلى انتهاك الأعراض بعد معركة الحرة.

لقد ردَّ الإمام أحمد على السائل الذي سأله عن رواية يزيد بن معاوية وأهل الشام الذين شاركوا في معركة الحرة، فرد عليه بأعظم ذنب اقترفوه وهو انتهاب المدينة[٥].

ولو كان يعرف الإمام أحمد أن نساء المدينة اغتصبن لذكر ذلك، واعتبره

---

(١) السمعاني، الأنساب: ٣/ ٢٢٥؛ الذهبي، السير: ٤/ ٢٥١؛ ابن حجر، تعجيل المنفعة: ١٣١، ١٣٢.

(٢) ابن بدران، تهذيب تاريخ دمشق: ٤/ ٣٧٤-٣٧٦.

(٣) يعقوب، المعرفة والتاريخ: ٢/ ٧٥٦.

(٤) المصدر السابق: ٢/ ٧٥٧.

(٥) أبو يعلى، الطبقات: ١/ ٣٤٧، أبو اليمن العليمي، المنهج الأحمد: ١/ ٤٥١، ابن عبد الهادي، بحر الدم: ٤٧٥.

أعظم من ذنب الانتهاب.

وبهذه الأدلة والقرائن التي ذكرناها يتأكَّد لنا أنَّ انتهاك أعراض نساء المدينة لا أساس له من الصحة، وأنها روايات جاءت متأخِّرة، وبدافع حزبي بغيض، يتخذ من كره وتشويه التأريخ الأموي دافعًا له.

وتهدف إلى إظهار جيش الشام، الذي يمثِّل الجيش الأموي، جيشًا بربريًا لا يستند لأسس دينية أو عقائدية أو أخلاقية.

وهذا الاتهام لا يقصد به اتهام الجيش الأموي فقط، بل إنَّ الخطورة التي يحملها هذا الاتهام تتعدَّى إلى ما هو أعظم من مجرد اتهام الجيش الأموي؛ إلى اتهام الجيش الإسلامي الذي فتح أصقاعًا شاسعة في تلك الفترة.

وقد ذهب بعض الباحثين المعاصرين إلى إنكار ذلك، مثل فلهاوزن[١]، وتبعه كل من: نبيه عاقل[٢]، والعرينان[٣]، والعقيلي[٤].

٣- أخذه البيعة من أهل المدينة ليزيد بن معاوية:

تعتبر الكيفية التي تمَّ بها أخذ البيعة من المدينيين من أكبر الأمور التي انتُقد فيها يزيد بن معاوية.

فقد وردت الروايات لتبين أنَّ مسلم بن عقبة أخذ البيعة من أهل المدينة على

---

(١) فلهاوزن، تاريخ الدولة العربية: ١٥٤-١٥٥.

(٢) نبيه عاقل: تاريخ خلافة بني أمية: ١١٢.

(٣) العرينان، إباحة المدينة وحريق الكعبة.

(٤) عمر العقيلي، يزيد بن معاوية حياته وعصره: ص٦٩.

أنَّهم عبيد ليزيد بن معاوية، يتصرَّف في دمائهم وأموالهم كيفما يشاء.

ولا شك أنَّ البيعة إذا تـمَّت على هذا النحو تعتبر سابقة خطيرة في تاريخنا الإسلامي.

ولكي نستطيع الوصول إلى حكم معين بشأن هذه البيعة، فإنه يلزمنا التعرض للروايات التي وردت بشأن البيعة وكيفيتها.

فهناك رواية مجملة تفيد أنّ مسلم بن عقبة أخذ البيعة من أهل المدينة على أنهم عبيد ليزيد بن معاوية؛ وذلك بعد انتهاء معركة الحرة.

وتضيف الرواية: على أنَّ البيعة تضمَّنت الحرية الكاملة ليزيد بن معاوية للتصرف في دمائهم، وأموالهم، وأهلهم[(١)].

وتضيف إحدى الروايات صيغة أخرى لأخذ البيعة من أهل المدينة، فتذكر الرواية: أنهم بايعوا كعبيد ليزيد، في طاعة الله ومعصيته[(٢)].

وهذه الروايات أسانيدها ضعيفة جدًا، ثم إنَّ متونها يكتنفها الغموض؛ فليس هناك تفصيل وبيان عمَّن بايع على هذه الصفة، وهل كل المدينيين بايعوا هذه البيعة بمن فيهم ابن عمر، وعلي بن الحسين، وأبي سعيد الخدري، وسعيد بن

---

(١) خليفة، التاريخ: ٢٣٩ بإسناد صحيح حتى جويرية بن أسماء؛ البلاذري، أنساب الأشراف: ٤/ ٣٣٥ بإسناد صحيح حتى جويرية؛ الطبري: ٥/ ٤٩٥ بإسناد صحيح حتى جويرية؛ أبو الحسن العبدي، العفو والاعتذار: ١/ ١٤٢ من نفس الطريق؛ ابن عبد ربه، العقد الفريد: ٤/ ٤٨٩؛ ابن عساكر (ترجمة مسلم بن عقبة):١٦/ ق٤٨٧ من طريق جويرية.

(٢) الهيثمي، مجمع الزوائد: ٧/ ٢٤٩. وقال: «رواه الطبراني وفيه عبد الملك بن عبد الرحمن الذماري ضعفه أبو زرعة، ووثقه ابن حبان وغيره، وابن رمانة لم أعرفه».

المسيب، وغيرهم من الذين لم يشتركوا في محاربة أهل الشام؟! أم تكون هذه البيعة محصورة بأشخاص معينين؟ إلى ما سوى ذلك من التساؤلات الملحة.

والذي يبدو من خلال مجمل الروايات أنه فور انتهاء معركة الحرة، دعا مسلم ابن عقبة الناس للبيعة، وكما يبدو أنَّ البيعة أُخذت من جميع الناس[١].

ولعل بني أمية بايعوا ليزيد بن معاوية ليكونوا قُدوة للناس، وتأكيدًا لاستمرارية الطاعة ليزيد، بعد كل الأحداث التي جرت، ومن المعلوم أنَّ بني أمية لم يخرجوا عن طاعة يزيد مطلقًا[٢].

حتى أنَّ علي بن الحسين قد أُتي به إلى مسلم بن عقبة فأكرمه مسلم، وذلك بسبب وصية يزيد لمسلم بوجوب حسن معاملة الحسين بن علي، مما يدل على أن أهل المدينة -الخارج على طاعة يزيد، والمقر بطاعة يزيد- كلهم قد دُعوا إلى مسلم بن عقبة[٣].

ولقد وردت روايات أخرى تفصِّل وتبيِّن هذه البيعة، وتجعلها لفئة

---

(١) ابن عساكر: ١٦/ ق١٤ (ترجمة معقل بن سنان).

(٢) ابن سعد، الطبقات (الجزء المتمم): ص١٠٤، ١٠٥ عن الواقدي؛ والإمامة والسياسة المنسوب لابن قتيبة: ٢١٤ بدون إسناد.

(٣) ابن سعد: ٥/ ١٢٥ من طريق الواقدي؛ الطبري: ٥/ ٤٨٢ من طريق أبي مخنف: ٥/ ٤٩٣ من طريق عوانة؛ الذهبي، السير: ٣/ ٣٢٠-٣٢١ عن المدائني بإسناد كل رجاله ثقات إلا إبراهيم بن محمد شيخ المدائني لم أتبين من هو؛ ابن كثير، البداية والنهاية: ٨/ ٢٣٦. وقد ذكر المسعودي هذه الحادثة ولكن بنزعة شيعية واضحة، حين زعم أنَّ علي بن الحسين لاذ بقبر الرسول ﷺ، ودعاه مسلم وكان غضبان عليه، فلما رآه مسلم ارتعد وخاف منه وقرَّبه(مروج الذهب ٣/ ٨٠).

مخصوصة، وكان الدافع لذلك هو غضب مسلم بن عقبة على هذه الفئة، ومحاولته الخلاص إلى قتلهم بتلك البيعة.

فرواية الواقدي تذكر: أنَّ مسلم بن عقبة لَمَّا دعا الناس للبيعة، وبايعه الأمويون، ثم دعا بني أسد بن عبد العزى، وكان عليهم حنقًا، فقال: تبايعون لعبد الله يزيد أمير المؤمنين ولمن استخلف بعده على أنَّ أموالكم وأنفسكم خول له، يقضي فيها ما شاء، وقال بعضهم: قال ليزيد بن زمعة خاصة: بايع على أنك عبد العصا [(١)].

وفي رواية أبي معشر: «أن أناسًا من مقاتلي المدينة، قد تحصنوا في عرصة سعيد؛ منهم محمد بن أبي جهم، ونفر معه، فدعاهم للبيعة، فقال: تبايعون لعبد الله يزيد أمير المؤمنين على أنكم خولة مما أفاء الله عليه بأسياف المسلمين، إن شاء أعتق، وإن شاء استرقَّ! فبايعه ناس منهم على ذلك...» [(٢)].

وفي رواية أخرى للواقدي: «أنَّ مسلم أمر الأسارى فجيء بهم، ثم دعا معقل بن سنان الأشجعي، ومحمد بن أبي الجهم بن حذيفة، ويزيد بن عبد الله بن زمعة بن الأسود -وكان عليهم حنقًا- فقال: أتبايعون لعبد الله يزيد أمير المؤمنين، ولمن استخلف بعده، على أن دماءكم وأموالكم وأنفسكم خول له يقضي ما شاء فيها...» [(٣)].

وهكذا يتضح أنَّ البيعة على هذا النحو، إنما كانت لفئة معينة، ولعلها لأولئك

---

(١) ابن سعد، الجزء المتمم: ص١٠٤، ١٠٥ عن الواقدي؛ ابن حزم، الجمهرة: ١٤٨؛ ابن عساكر: ١٦/ ق٤٧٨ من طريق ابن سعد.

(٢) البيهقي، المحاسن والمساوئ: ٨٨-٨٩.

(٣) أبو العرب، المحن: ١٨١.

الأسرى الذين قبض عليهم، ويوجد ضمنهم قُوَّاد أهل المدينة.

وكما يبدو أنَّ بعض هؤلاء الأسرى قد أُخذ لهم الأمان مُسبقًا من مسلم بن عقبة، ولرغبة مسلم في قتلهم ولكي يتخلص من الأمان الذي أُخذ لهم، جعل هذه البيعة عليهم خاصة، حتى يبرز له أدنى عذر في استحلال قتلهم.

ولذا قال عوانة في روايته:

«ودعا الناس مسلم بن عقبة بقبا إلى البيعة، وطلب الأمان لرجلين من قريش، ليزيد بن عبد الله بن زمعة بن الأسود، ومحمد بن أبي الجهم بن حذيفة العدوي، ومعقل بن سنان الأشجعي، فأتي بهم بعد الوقعة بيوم، فقال: بايعا، فقال القرشيان: نبايعك على كتاب الله وسنة نبيه، فقال: لا والله، لا أُقيلكم أبدًا، فقدمهما فقتلهما، فاستنكر مروان قتلهما»[(١)].

ويعتبر هؤلاء الثلاثة هم المسؤولين عن استثارة أهل المدينة للخروج على يزيد بن معاوية.

ولهذا قال مسلم حين أراد قتل يزيد بن عبد الله بن زمعة: «والله لا تشهد على أمير المؤمنين بشهادة بعدها»، وكان قد وفد إلى يزيد فأعطاه، فقدِم يُفجِّره، ويشهد عليه بشرب الخمر[(٢)].

وكذلك معقل بن سنان الأشجعي ﷺ؛ فقد جيء به مأسورًا، فذكَّره مسلم بمقالته التي قالها في يزيد حين رجع من الشام، وقابل مسلم بن عقبة في

---

(١) الطبري: ٥/ ٤٩١ عن عوانة.

(٢) يعقوب، المعرفة والتاريخ: ٣/ ٤٢٥؛ البلاذري، أنساب الأشراف: ٤/ ٣٢٨ عن الواقدي.

طبرية[(١)]، وقد ذكر لمسلم أنهم عازمون على الذهاب إلى المدينة، وسيخلعون يزيد، فأمر به فقتل[(٢)].

ومن الأدلة على أنَّ البيعة لكل المدينيين لم تكن على هذا النحو، ما ذكره جابر ابن عبد الله: «لما قدم مسلم بن عقبة المدينة بايع الناس - يعني بعد وقعة الحرة - قال: وجاءه بنو سلمة، قال: لا أبايعكم حتى يأتي جابر، قال: فدخلت على أم سلمة استشيرها؟ قالت: إني لأرها بيعة ضلالة، وقد أمرت أخي عبد الله بن أبي أمية أن يأتيه فيبايعه. قال: فأتيته فبايعته»[(٣)].

ولا يمكن أن يفهم من قول أم سلمة -رضي الله عنها- حين قالت: « إني لأرها بيعة ضلالة» أنَّ المقصود بها بيعتهم لمسلم على أنهم عبيد ليزيد، فليس من المعقول أنَّ جابر سيرضى بهذه البيعة الذليلة المنكرة، وهو صاحب رسول الله ﷺ، فمقصود أم سلمة أنَّ البيعة ليزيد على كل الناس، وبصيغة الإكراه، هي بيعة ضلالة؛ لأنها بيعة قسرية، لا يختار فيها الشخص، ومن تلكَّأ ضربت عنقه.

ولم ينقل إلينا عن الصحابة والتابعين ذكرهم لهذه البيعة بهذه الصفة، ولكن

---

(١) بلدة مطلَّة على البحيرة المعروفة ببحيرة طبرية، وهي في طرف جبل، وجبل الطور مطل عليها، بينها وبين دمشق ثلاثة أيام، وكذا بينها وبين بيت المقدس (ياقوت معجم البلدان: ٤/ ١٧).

(٢) ابن سعد، الطبقات الكبرى: ٤/ ٢٨٣ من طريق الواقدي؛ الطبري: ٥/ ٤٩٢، من طريق أبي مخنف وعوانة، أبو العرب: ١٨٢ من طريق الواقدي؛ الحاكم، المستدرك: ٣/ ٥٢٢ من طريق الواقدي؛ البياسي، الإعلام: ٢/ ١٢٩ بإسناد حسن حتى عوانة.

(٣) ابن حجر، الإصابة: ٤/ ١٢ بإسناد حسن، وقال ابن حجر: ويحتمل في هذا أن يكون الصواب فأمرت ابن أخي.

تداخل الحدث، وتباعد الزمن أدى إلى ذكر الرواية مجملة بدون تفصيل، حتى أنَّ الزبير بن بكار، وعمه عبد الله بن مصعب الزبيري لم يذكرا شيئًا عن هذه البيعة، مع ما تُمثِّل لهما هذه البيعة من أهمية بسبب علاقتهم بابن الزبير رضي الله عنه، وعدائهم لبني أمية، بل إنهم جعلوا هذه البيعة قاصرة على محمد بن أبي جهم، ويزيد بن عبد الله بن زمعة[١].

ويمكن لنا أن نعرف السبب الذي حمل مسلم بن عقبة على أن يكون قاسيًا في تعامله مع بني أسد بن عبد العزى، أو مع قيادي معركة الحرة:

فأما بنو أسد بن عبد العزى، فهم عشيرة ابن الزبير الذي يعتبره مسلم هو المتسبب في كل هذه الفتن والمعارضات، وربما عرف مسلم بن عقبة أنَّ بني أسد قد ناصروا ابن الزبير، واشتركوا في معركة الحرة.

وأما قياديو معركة الحرة -من أمثال محمد بن أبي الجهم، ومعقل بن سنان، ويزيد بن زمعة- فيعتبرهم مسلم المسؤولين الحقيقيين عن خلع يزيد، وهم السبب في ترويج تلك المقولة التي تتهم يزيد بشرب الخمر، وهم الذين شجعوا الناس على خلع يزيد بن معاوية، ولهذا فقد قتلهم مسلم بن عقبة صبرًا[٢].

وهذا هو الذي فهمه يوسف العش من مجمل الروايات التي وردت حول أخذ البيعة ليزيد، فقال: وبعد انتهاء معركة الحرة أحضر مسلم مدبِّري الفتن واستعرضهم، وطلب إليهم أن يبايعوه على أنَّهم خول ليزيد، ويحكم في أهلهم ودمائهم وأموالهم ما يشاء، فلم يقبلوا أن يبايعوا هذه البيعة، فقتلهم، وكان يريد

---

(١) مصعب الزبيري، نسب قريش: ٣٧١؛ الزبير بن بكار، نسب قريش: ٤٧٤؛ يعقوب، المعرفة والتاريخ: ٣/ ٣٢٥ عن الزبير بن بكار؛ الفاسي، العقد الثمين: ٢/ ٤٩ عن الزبير بن بكار.

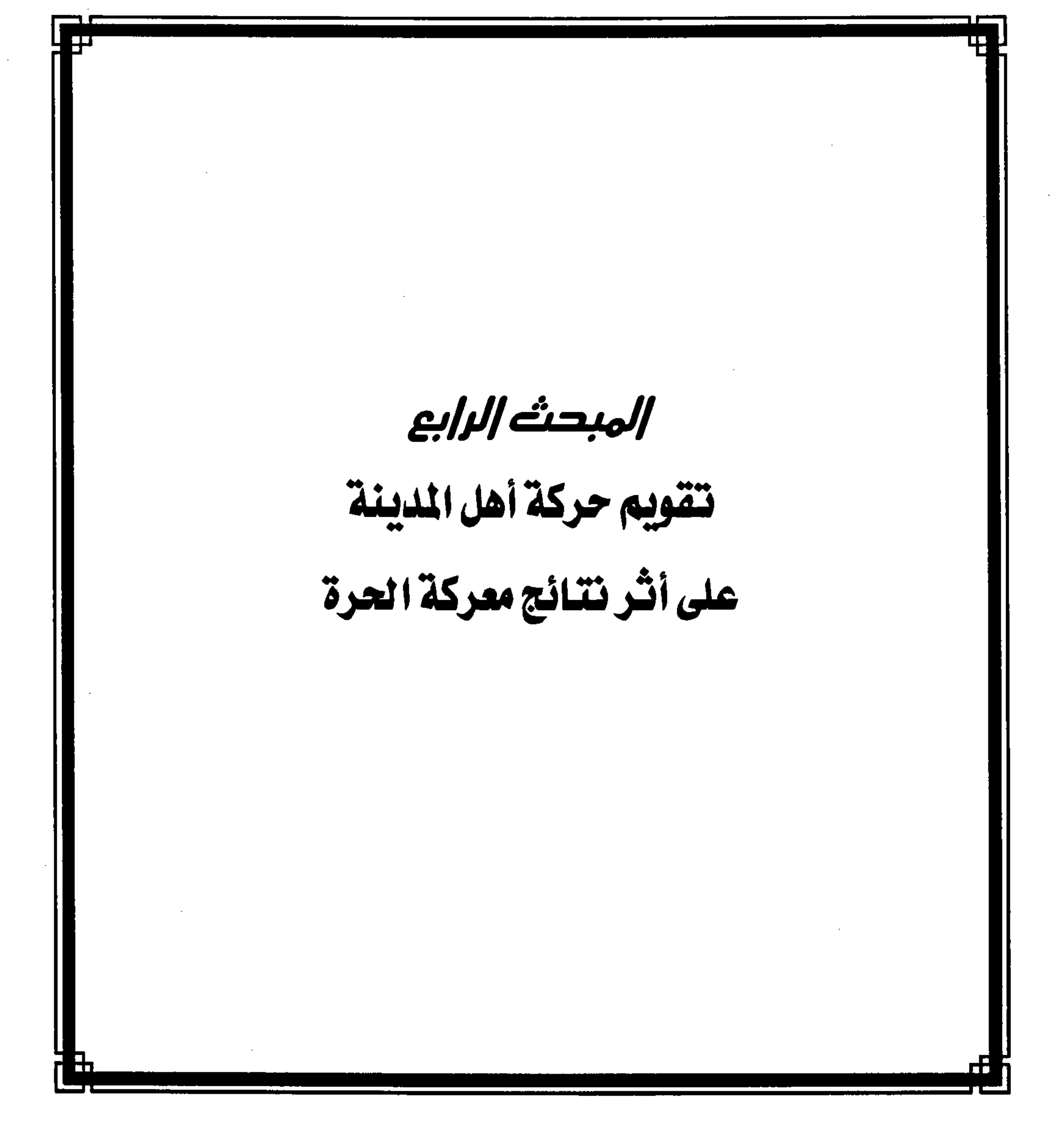
(٢) ابن عساكر: ١٦/ ق١٥.

أن يقضي على فتنتهم بالصَّغَار، والحطِّ من منـزلتهم، والتحقير من شأنهم، بحيث يُعتبرون عبدًا ليزيد، هم وما يملكون»[١].

وبهذا يكون التصرف الذي اتبعه مسلم بـن عقبـة مـع المعارضـين الرئيـسيين تصرفًا فرديًا، أملته عليه طبيعته القاسية، وحزمه الـشديد، ثـم الغـضب والحنـق على أهل المدينة من نكثتهم البيعة، وخروجهم على يزيد بن معاوية.

---

(١) يوسف العش، الدولة الأموية: ١٧٦.



المبحث الرابع

تقويم حركة أهل المدينة
على أثر نتائج معركة الحرة



المبحث الرابع

تقويم حركة أهل المدينة على أثر نتائج معركة الحرة

لا شك أن الأعمال التي قام بها مسلم بن عقبة، والقسوة التي رافقت تلك الأعمال، جعلت السلف يطلقون عليه اسم مسرف[(١)].

ولكن مما لا شك فيه أيضًا أنَّ الحادثة نفسها قد بولغ فيها مبالغة كبيرة: من حيث عدد القتلى الذين قُتِلوا فيها، أو تصوير الجنود على أنَّهم برابرة يقعون على النساء بدون وازع ديني أو خلقي، أو الإجهاز على الجرحى وقتل المدبر، أو أنَّ الخيل جالت في مسجد رسول الله ﷺ أربعين يومًا، أو أن المدينة قد صارت مأوى للكلاب، ومرتعًا للضواري والذئاب، أو غير ذلك[(٢)].

فكل هذه الأمور مما لا تقبله طبيعة المجتمع، ولا سنن العادة، لا سيما مع

---

(١) ابن سعد، الطبقات الكبرى (الجزء المتمم): ١٠٥، الزبير بن بكار، جمهرة نسب قريش: ٤٧٤؛ البيهقي، الدلائل: ٦/ ٤٧٥، الذهبي، السير: ٣/ ٣٢٣؛ ابن كثير، البداية والنهاية: ٨/ ٣٢٣؛ القرطبي، الجامع لأحكام القرآن: ٧/ ١١٠؛ الفيروز آبادي، القاموس المحيط: ١٥٠٨؛ ابن منظور، لسان العرب: ٩/ ١٥٠، الفاسي، شفاء الغرام: ٢/ ١٦٨؛ الزبيدي، تاج العروس: ٦/ ١٣٨ (مادة سرف).

(٢) انظر أمثلة على ذلك عند: البيهقي، المحاسن والمساوئ: ٩٠؛ ابن حزم، جوامع السيرة: ٣٥٧، ٣٥٨؛ المسعودي، مروج الذهب: ٣/ ٧٨؛ أحمد يوسف الكاتب، المكافأة وحسن العقبى: ٨١،٨٢؛ السمهودي، وفاء الوفاء: ١/ ١٣١، ١٣٢؛ القرطبي، التذكرة: ٢/ ٣٣٥؛ دوزي وملر، تاريخ مسلمي أسبانيا: ١/ ٧٣. نقلاً عن: عبد العزيز غنيم، الحسين بن علي: ٢١٧.

قرب عهد الرسالة[(١)].

والحادثة لا شك أنها مؤسفة وخطأ عظيم، إلا أن الأخطاء التي ارتكبت فيها لا تدعونا إلى إنكارها، أو التغاضي عن التعديات التي حدثت بها، كما فعل بعض المعاصرين المستشرقين[(٢)].

وفي المقابل؛ فإنَّا نرفض التضخيم، والتهويل، والكذب، الذي ذكره البعض بخصوص هذه الحادثة.

فهناك من نسب إلى يزيد بن معاوية أنه لما بلغته هزيمة أهل المدينة بعد معركة الحرة تمثل بشعر ابن الزبعري فقال:

ألا ليت أشياخي ببدر شهدوا جزع الخزرج من وقع الأسل[(٣)]

وقد قال ابن الزبعري هذا الشعر بعد معركة أُحُد، وكان كافرًا يتشفَّى بقتل المسلمين.

ولقد أورد البلاذري هذا الخبر بلفظ: «وقالوا: إن يزيد لما بلغه خبر وقعة الحرة تمثَّل بهذا البيت»[(٤)].

---

(١) انظر: تعليق السلمي على الطبعة الخامسة من طبقات ابن سعد: ٤٧٤.

(٢) رياض نعسان، النزاع بين أفراد البيت الأموي: ٧٥؛ عبد العزيز غنيم، الحسين أمام محكمة التاريخ: ٢١٦؛ محمد عزت دروزة، تاريخ الجنس العربي: ٨/ ٤٥١؛ محمد العريان، إباحة المدينة: ص٤١؛ العقيلي، يزيد بن معاوية: ٦٩؛ فلهاوزن، تاريخ الدولة العربية: ١٥٥.

(٣) ابن هشام، السيرة النبوية: ٢/ ١٣٧؛ الطبري: ٢/ ٤٣٦؛ ابن عبد ربه، العقدي الفريد: ٤/ ٣٩٠، ٥/ ٨٦، ٦/ ١٥٣؛ أبو داود محمد الأصبهاني، الزهرة: ٢/ ١٠٤؛ ابن طاهر المقدسي: البدء والتاريخ: ٦/ ١٢؛ ابن العماد الحنبلي، الشذرات: ١/ ٦٩.

(٤) البلاذري، أنساب الأشراف: ٤/ ٣٣٣.

وقد ذكره ابن كثير ثم عقَّب بعده بالقول: «فهذا إن قاله يزيد بن معاوية فعليه لعنة الله وعليه لعنة اللاعنين، وإن لم يكن قاله فلعنة الله على من وضعه عليه ليُشنَّع به عليه»[١].

ثم أنكر في موضع آخر من كتابه نسبة هذا البيت إلى يزيد، وقال: «إنه من وضع الرافضة»[٢].

وأما ابن طولون، فقد جزم أن ذلك من وضع الرافضة[٣].

وأما شيخ الإسلام ابن تيمية فقال: «ويعلم بطلانه كل عاقل»[٤]، وهذا قول النويري أيضًا[٥].

وكما يبدو فإن الذي حاول أن ينسب إلى يزيد بن معاوية تمثُّله بأبيات ابن الزبعري لم يوفَّق للصواب؛ وذلك أنّ ابن الزبعري قال قصيدته بعد معركة أحد، وهو يذكر صراحة أخذ ثأره من الأنصار (الأوس، والخزرج)، وأما الذين خرجوا على يزيد من أهل المدينة فليسوا كلهم من الأنصار فقط، بل إنَّ نسبة القرشيين الذين هم أبناء عمومة يزيد تُمثِّل نسبة كبيرة من المعارضين، والكثير منهم في مواضع القيادة.

إذًا فما هي الصلة بين شعر ابن الزبعري، وبين استدلال يزيد بهذا الشعر ؟!

---

(١) ابن كثير، البداية والنهاية: ٨/ ٢٢٧.

(٢) ابن كثير، البداية والنهاية: ٨/ ٢٣٧.

(٣) ابن طولون، القيد الشريد: ق٨.

(٤) ابن تيمية، منهاج السنة: ٤/ ٥٥٠.

(٥) النويري، نهاية الأرب: ٢٠/ ٤٩٥.

وليس صحيحًا ما ذهب إليه رياض نعسان حين زعم أنَّ الضربة التي وُجِّهت إلى أهل المدينة إنما استُهدف بها الأنصار دون المهاجرين[١].

وأمَّا المستشرقون، فحاولوا أن يسلبوا المجتمع الإسلامي خصائصه، وتغافلوا عن ذلك الحدث الكبير الذي أحدثه الإسلام في حياة العرب، وعن تلك النقلة البعيدة التي أبعدته عن الأفكار والمفاهيم الجاهلية.

فزعم أكوست مولر: أن قصة الحرة قامت بسبب ثورة الأفكار الجاهلية على الأفكار الإسلامية، وأن أهل الشام كانوا يريدون أن يثأروا من أهل المدينة الذين قتلوا أباءهم يوم بدر وغيرها من المواقع التي فتك فيها المسلمون بالمشركين، أو هي ثورة الأرستقراطية الجاهلية المشركة على الديمقراطية الإسلامية المؤمنة...[٢].

وأما دوزي، فقد جعل من معركة الحرة امتدادًا للصراع بين مكة والمدينة، فيقول: «إن يزيد -بوصفه ممثل الأرستقراطية القديمة في مكة- قد تأثَّر بمقتل عثمان، وللهزيمة التي ألحقها بجده أبي سفيان أهل المدينة تحت راية محمد. وظلت مدينة الأنصار، بعد أن كادت تخرب، مأوى للكلاب حينًا من الدهر، كما ظلَّت أرضها مأوى للوحوش؛ وذلك أنَّ معظم أهلها أخذوا يبحثون لأنفسهم عن وطن جديد في بلاد قاصية، فانضموا إلى جيش أفريقية، وظل الآخرون في حالة يُرثى لها»[٣].

---

(١) رياض نعسان، النزاع والتخاصم بين أفراد البيت الأموي: ٧٥.

(٢) في كتابه: الإسلام في المشرق والمغرب، نقلاً عن محمد أسعد أطلس، تاريخ الأمة العربية: ٤١، ٤٢.

(٣) دوزي، تاريخ مسلمي إسبانيا: ١/ ٧٣؛ نقلاً عن فلهاوزن، تاريخ الدولة العربية: ١٥٩.

ولا تقتصر هذه التصورات على المستشرقين فقط، بل إنَّ بعض من ينتسب إلى الإسلام يتبنى هذه الآراء الغريبة والبعيدة عن روح المجتمع الإسلامي في تلك الفترة بالذات.

فمثلًا يقول سيد أمير علي: «وهكذا وفَّى الأمويون دَيْن الرحمة والعطف اللذين عُوملوا بها في ساعة انتصار المسلمين (يقصد بعد فتح مكة)؛ فقتلوا زهرة الشباب وشرَّدوا خيرة الرجال إلى البلاد النائية... وأما الكليات والمستشفيات والمنشآت العامة التي بُنيت في عهود الخلفاء فقد أُقفلت أو هُدمت، وعادت جزيرة العرب إلى ظلمتها السابقة، إلى أن قيض الله لها فيها بعد جعفرًا الصادق...» [1].

وعبود الشالجي يذهب إلى تكفير الخلفاء الأمويين، فيقول: «إنَّ أبا سفيان لم يسلم، وظل حاقدًا على الإسلام والمسلمين، وتمثَّل هذا الحقد في حفيده يزيد بن معاوية عندما فعل بأهل المدينة ما فعل» [2].

وأمَّا فيليب حتى فيذهب الى أمر لم يذكره أحد؛ حيث يزعم أنَّ الجيش الذي خرج من الشام إلى المدينة كان يضم الكثير من نصارى أهل الشام ! [3].

وقد نسي فيليب حتى أن المسلمين في تاريخهم المديد لم يقاتل في صفوفهم أحد من غيرهم، فكيف بجيش يذهب إلى المدينة، ثم إلى مكة التي يحرم دخولها على غير المسلمين.

---

(١) سيد أمير علي، مختصر تاريخ العرب: ٩٤، وانظر: نقد المودودي للمؤلف في رسائله مع مريم جميلة.

(٢) انظر: تعليقه على كتاب التنوخي، الفرج بعد الشدة: ١/ ٨٣-٨٤.

(٣) فيليب حتى، تاريخ العرب: ١/ ٢٥٤٨٤.

وأمّا إبراهيم بيضون، فيحاول أن يجعل معارضة المدينة ذات طابع سياسي واقتصادي بحت[١].

ولا شك أنّ أهل المدينة قد أساءوا إلى الأمويين بإخراجهم من المدينة دون سواهم من الناس، ثم بخلع الخليفة يزيد بن معاوية.

والحقيقة أنَّ محاصرة الأمويين من قبل أهل المدينة، ذكَّرت أهل الشام بمحاصرة الثوار الخليفة الراشدي عثمان بن عفان ﷺ في المدينة[٢].

وكان الموقف الذي فرضه الثوار على المدينة حين محاصرة عثمان ﷺ، واغتياله بشكل مؤلم ومفزع وكبار الصحابة في المدينة، قد أجَّج المشاعر في بلاد الشام ضد أهل المدينة، وخاصة أن قميص عثمان، وأجزاء من أصابع زوجته نائلة بنت الفرافصة التي نُقلت إلى بلاد الشام، قد أثرَّت هناك أثرًا كبيرًا.

لقد ولَّدت تلك الفترة الكثير من الملابسات والتصورات والمفاهيم الخاطئة، حيث ينظر أهل الشام إلى المدينيين على أنهم مشاركون في مقتل عثمان ﷺ.

فبسر بن أرطأة، الذي كان قائدًا على جزء من جيش معاوية، حينما مرَّ على المدينة وهو في طريقه إلى اليمن صعد المنبر، وصاح: يا دينار، يا رزيق، شيخٌ سَمْحٌ عهدته هنا بالأمس، ما فعل؟ - يعني عثمان - يا أهل المدينة لولا عهد أمير المؤمنين ما تركت بها أحدًا إلا قتلته، ثم مضى إلى اليمن[٣].

---

(١) إبراهيم بيضون، الحجاز والدولة الإسلامية: ٢٧١.

(٢) يوسف العش، تاريخ الدولة الأموية: ١٧٤، ١٧٥.

(٣) ابن عبد البر، الاستيعاب: ١/ ١٦٢؛ ابن بدران، مختصر ابن عساكر: ٣/ ٢٢٥؛ الذهبي، السير: ٣/ ٤١٠ عن ابن إسحاق؛ السخاوي، التحفة اللطيفة: ١/ ٣٧٠.

وكان اتهام أهل المدينة بالتواطؤ مع الثوار قد أفصح عنه معاوية ﷺ[١]، وعمرو بن سعيد بن العاص في ولايته على المدينة[٢].

وكان عبد الملك يقول: «نحن نعلم يا معشر قريش أنكم لا تحبوننا أبدًا، وأنتم تذكرون يوم الحرة، ونحن لا نحبكم أبدًا، ونحن نذكر مقتل عثمان»[٣].

وقد ظلت محاصرة بني أمية وإخراجهم من قبل المدينة عالقة في مخيلة عبد الملك، وكان يتذكرها ويقول: «إني لأهم بالشيء أفعله بأهل المدينة لسوء أثرهم عندنا، فأذكر أبا بكر بن عبد الرحمن فأستحيي منه، فأدع ذلك الأمر»[٤].

ولما انهزم أهل المدينة والصبيان قال ابن عمر: «بعثمان ورب الكعبة»[٥].

لقد ذكرت الروايات أنَّ مسلم بن عقبة إنما عمل كل ما عمل بأهل المدينة عن تديُّن واعتقاد، ويظن نفسه أنه على حق، وأنه يجب مقاتلة من خلع يد الطاعة حتى يرجع إلى الجماعة[٦].

وربما حمل مسلم بن عقبة، وبعض من معه، نفس ذلك الشعور الذي حمله بسر بن أبي العاص ضد أهل المدينة[٧].

---

(١) الطبري: ٥/ ٢٣٩.
(٢) العقد الفريد: ٤/ ١٣٢.
(٣) الزبير بن بكار، الموفقيات: ٥٧٤.
(٤) ابن سعد، الطبقات: ٥/ ٢٠٩.
(٥) ابن الجوزي، المنتظم: ٦/ ١٦.
(٦) ابن سعد،ط٥/ ٤٧٤ عن الواقدي؛ البلاذري، أنساب الأشراف: ٤/ ٣٣١ عن المدائني عن ابن جعدبه؛ الطبري: ٥/ ٤٩٧ عن عوانة؛ البياسي: ٢/ ١٣٥ بسند حسن إلى عوانة.
(٧) البلاذري، أنساب الأشراف: ٤/ ٣٣١ عن المدائني؛ ابن عساكر: ١٦/ ق٤٧٧ عن الواقدي؛ المبرد، التعازي والمراثي: ٢٥١.

والعمل الذي قام به أهل الشام ليس له علاقة بالجاهلية، أو المنافسة بين أهل الشام وأهل المدينة ومحاولة الاستئثار بالحكم، كما ذهب لذلك فلهوزن(١).

وهذه الأمور التي تعرَّضنا لها بالمناقشة تؤدي بنا إلى التصور الصحيح عن الحادثة ومسبباتها ونتائجها، وبالتالي فإنه يمكننا أن نتوصل إلى نتائج إيجابية في ضوء ما نملكه من معطيات ومفاهيم صحيحة:

فحينما نأتي إلى محاولة تحديد الطرف الذي يتحمل المسؤولية عن معركة الحرة، فإنا سنجد أنَّ كلا الطرفين قد شارك بوقوع تلك المأساة؛ فمن الصعب اتهام يزيد بهذه المعركة ونتائجها، وتبرئة المدينيين من المسؤولية عنها.

فأهل المدينة حينما أقدموا على خلع يزيد وإخراج بني أمية من المدينة، عارضهم في ذلك كبار الصحابة والتابعين، وأهل الفضل المشهود لهم بالصدق، وحسن الإيمان، والعقل، والفضل، والفقه.

فابن عمر شيخ الصحابة في عصره بلا منازع، وأورع الناس وأزهدهم، وأفقههم في دين الله، وقد شهد له النبي ﷺ بالصلاح والتقوى(٢).

وقد كان موقفه من الفتن موقفًا ثابتًا امتُدح عليه، وعرف فضله على من سواه في مواقفه، وكان جابر بن عبد الله، أحد أصحاب رسول الله ﷺ، يقول فيه: «ما أدركت الفتنة أحدًا منها إلا لو شئت أن أقول فيه لقلت فيه إلا عبد الله بن عمر»(٣).

---

(١) فلهاوزن، تاريخ الدولة العربية: ١٥٥ وما بعدها.

(٢) البخاري مع الفتح: ٧/ ١١٣(٣٧٤١)؛ صحيح مسلم: ٤/ ١٩٢٧(٢٤٧٨)؛ ابن سعد: ٤/ ١٤٧.

(٣) ابن سعد: ٤/ ١٤٤؛ ابن أبي عاصم، السنة: ٢/ ٣٤٦؛ ابن أبي شيبة، المصنف: ١٥/ ٧؛ أحمد، فضائل الصحابة: ٢/ ٨٩٤؛ الفسوي، المعرفة والتاريخ: ١/ ٤٩٠؛ الحاكم، المستدرك: ٣/ ٥٦٠.

وقال عنه موسى بن طلحة: «يرحم الله عبد الله بن عمر... والله إني لأحسبه على عهد رسول الله ﷺ الذي عهده عليه، لم يُفتتن بعده، أو لم يتغيَّر، والله ما استعرَّته قريش في فتنتها الأولى، فقلت في نفسي إنَّ هذا ليزري على أبيه في مقتله»[1].

وقالت عنه عائشة رضي الله عنها: «ما رأيت ألزم للأمر الأول من عبد الله بن عمر»[2].

وقال عنه سعيد بن المسيب: «لو شهدت على أحد أنه من أهل الجنة لشهدت على ابن عمر»[3].

وقال عنه علي بن الحسين: «إن ابن عمر أزهد القوم، وأصوب القوم»[4].

وقال عنه مالك: «أقام ابن عمر بعد النبي ﷺ ستين سنة يُفتي الناس في الموسم، وكان من أئمة الدين»[5].

كان موقف هذا الصحابي الكبير موقفًا مغايرًا لأهل المدينة، بل ثبت أنه حدَّثهم حديثًا عن النبي ﷺ باعتبارهم على خطأ كبير.

وكان موقفه واضحًا حيال أبنائه وحشمه؛ حيث جمعهم، وحذرهم من نكث بيعة يزيد بن معاوية.

---

(١) ابن سعد: ٤/ ١٤٦.

(٢) الحاكم، المستدرك: ٣/ ٥٥٩.

(٣) أحمد، فضائل الصحابة: ٢/ ٨٩٥(١٧٠٣)؛ الفسوي، المعرفة والتاريخ: ١/ ٤٩١، ٤٩٢؛ الحاكم، المستدرك: ٣/ ٥٥٩.

(٤) الحاكم، المستدرك: ٣/ ٥٦٠.

(٥) الشيرازي، طبقات الفقهاء: ٥٠.

وأما أهل بيت النبوة فقد لزموا الطاعة، ولم يخرجوا مع أهل المدينة ضد يزيد؛ فلم يخرج أحدٌ من آل أبي طالب، ولا أحد من بني عبد المطلب[١].

فعلي بن الحسين بن علي بن أبي طالب لم يخرج مع أهل المدينة، ولزم الطاعة ليزيد، وهو الذي قال فيه الزهري: «كان أفضل أهل بيته وأحسنهم طاعة، وقال عنه: لم أدرك من آل البيت أفضل من علي بن الحسين»[٢].

وقال عنه أبو حازم: «ما رأيت هاشميًا أفضل من علي بن الحسين»[٣].

وهذا محمد بن الحنفية حاجَّ أهل المدينة في تهمهم التي وجَّهوها إلى يزيد، وردَّ عليهم، ولم يخرج معهم، ولم يأمر أحدًا من بنيه بالخروج مع أهل المدينة، ولمَّا علم بقرب جيش مسلم بن عقبة من المدينة خرج إلى مكة[٤].

وكذلك ابن عباس ﷺ -وهو فقيه الأمة وحبرها وعالمها- لم ينقل عنه تأييد لأهل المدينة، كما أنه لم يذكر عنه أنه نزع بيعة يزيد بن معاوية.

فهؤلاء هم أفضل آل بيت النبوة في زمانهم، ومع ذلك لم يخرجوا مع أهل المدينة، ومسوِّغات الخروج على يزيد عندهم هي أكثر من غيرهم - فقد تعرَّض الحسين وأكثر آل البيت للقتل على يد أحد أمراء يزيد - عبيد الله بن زياد - ومع ذلك نجد أنَّ آل البيت لزموا بيوتهم، وحذَّروا أهل المدينة من مغبة الخروج؛ كما فعل ابن الحنفية.

---

(١) ابن سعد، الطبقات الكبرى: ٥/ ٢١٥ عن الواقدي.

(٢) ابن عساكر: ١٢/ ق٣٥.

(٣) المصدر السابق ونفس الصفحة.

(٤) ابن سعد، الطبقات: ٥/ ١٠٠ عن الواقدي؛ الذهبي، السير: ٤/ ١١٧-١١٨.

وهذه زينب بنت أبي سلمة[1] ربيبة رسول الله ﷺ ترى في قتل أحد ولديها بعدما قاتل أهل الشام أنه يُخْشَى عليه من سوء الخاتمة، فهي بذلك لا ترى في خروج أهل المدينة وقتالهم أي صفة شرعية.

قال الحسن البصري: «أصيب ابنا زينب يوم الحرة، فحملا إليها فقالت: إنَّا لله وإنَّا إليه راجعون، ما أعظم المصيبة علي فيهما، ولهي في هذا أعظم عليَّ منها في هذا؛ أما هذا فبسط يده فقاتل حتى قُتل فأنا أخاف عليه، وأما هذا فكف يده حتى قُتل فأنا أرجو له»[2].

ولقد استدللنا بكلام زينب بنت أبي سلمة - رضي الله عنهما - لأنها من أفقه نساء المدينة في عصرها[3].

ولم يشترك في القتال والمعارضة ضد أهل الشام أبو سعيد الخدري ﷺ، أو سعيد بن المسيب، حتى أنَّ العصامي قال: «ولم يوافق أهلَ المدينة على هذا الخلع - أي خلع يزيد - أحدٌ من أصحاب رسول الله ﷺ»[4].

فهذه دلائل وإثباتات تبيِّن أنَّ هناك تيارًا قويًا مشهودًا له بالفقه والفضل

---

(١) زينب بنت أبي سلمة عبد الله بن عبد الأسد المخزومية، أمها أم سلمة بنت أبي أمية، تزوج النبيَ ﷺ أمها وهي ترضعها (الإصابة: ٧/ ٦٧٥-٦٧٦).

(٢) خليفة، التاريخ:٢٣٦ بإسناد صحيح؛ البيهقي: ٦/ ٤٧٤ عن يعقوب بإسناد صحيح؛ ابن عساكر: ٦/ ق٤٧٨.وفي تاريخ يعقوب: ٣/ ٣٢٧-٣٢٨ قصة زينب وولديها مع بسر بن أبي أرطاة، وبطريقة يتضح فيها الكذب من أحداثها.

(٣) ابن حجر، الإصابة: ٧/ ٦٧٦.

(٤) قريبًا من هذا عند: السهيلي، الروض الأنف: ٣/ ٢٥٦؛ العصامي، سمط النجوم العوالي: ٣/ ٩١.

والصلاح،لم يخرج على يزيد، يل ويرى أنَّ أهل المدينة قد ارتكبوا خطأ؛ بدليل النصح الذي أسدوه لهم.

والحقيقة أنَّ يزيد قد حاول أن يعالج معارضة أهل المدينة بالطرق السلمية، وحاول أن يتجنَّب سفك الدماء(١)، إلا أن إصرار أهل المدينة على موقفهم أوقع المعركة، وأحدث ما حدث.

ومع ذلك فإنه لا يمكن أن نُبرِّئ يزيد من مسؤولية ما حدث لأهل المدينة كما فعل محمد عزت دروازة(٢)، بل إنّ يزيد يعتبر هو المسؤول الأول عن الأمر بإنهاب المدينة، وقد أخطأ يزيد خطأً فاحشًا في إعطاء مسلم الإذن بذلك(٣).

وقد حمَّل شيخ الإسلام ابن تيمية يزيد المسؤولية عن ذلك(٤).

وفي المقابل فإن أهل المدينة يتحمَّلون قدرًا كبيرًا من المسؤولية عن معركة الحرة(٥).

وبما أنَّ كل طرف يرى أنه على حق في موقفه، فإنَّا سنحتاج إلى استعراضٍ لحكم الإسلام فيما يخص هذه الحادثة التي دارت بين السلف وغيرها وفق قواعد شرعية كلية من الكتاب والسنة؛ أصَّلها وبيَّنها ووضَّحها علماء الأمة رحمهم الله.

---

(١) محمد ماهر حمادة، الوثائق السياسية للجزيرة العربية: ٢٤.

(٢) محمد عزت دروزه، تاريخ الجنس العربي: ٨/ ٤٥١.

(٣) ابن كثير، البداية والنهاية: ٨/ ٢٢٥؛ ابن طولون، القيد الشريد: ق٨.

(٤) ابن تيمية، الوصية الكبرى: ٤٥.

(٥) محمد كرد علي، خطط الشام: ١/ ١١٣؛ الخضري، محاضرات في الدولة الأموية: ٢/ ١٣٢؛ أحمد شلبي، موسوعة التاريخ الإسلامي: ٢/ ٥٢؛ شاه معين، تاريخ الإسلام: ٢/ ٦٠؛ يوجينا غيانة، تاريخ الدولة الإسلامية: ١١٠.

١- أحكام الخروج على الإمام:

الإسلام -كما هو معروف- هو دين الحق والعدل والنظام والوفاء، ولا شك أنَّ مبايعة الإمام الخليفة يترتَّب عليها الوفاء بالعهد، وعدم نكثه، والالتزام به؛ وذلك حتى يتلاحم المجتمع الإسلامي، ويبتعد عنه شبح الفرقة والنزاع والتقاتل، والتي سيكون المستفيد الأول منها هو العدو، بينما الخسارة المؤكَّدة في جانب المسلمين.

ولذا فقد وضَّح الله -جلَّ وعلا- أهمية الالتزام بالعهد، والالتزام بالطاعة فقال سبحانه:

١- ﴿ وَأَوْفُواْ بِٱلْعَهْدِ إِنَّ ٱلْعَهْدَ كَانَ مَسْـُٔولًا ﴾ [الإسراء: ٣٤].

٢- ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَوْفُواْ بِٱلْعُقُودِ ﴾ [المائدة: ١].

٣- ﴿ وَأَوْفُواْ بِعَهْدِ ٱللَّهِ إِذَا عَـٰهَدتُّمْ وَلَا تَنقُضُواْ ٱلْأَيْمَـٰنَ بَعْدَ تَوْكِيدِهَا وَقَدْ جَعَلْتُمُ ٱللَّهَ عَلَيْكُمْ كَفِيلًا ﴾ [النحل: ٩١].

وجاءت الأحاديث الصحيحة المتواترة[١] عن رسول الله ﷺ لتؤكد هذا الجانب، وتشدِّد على وجوب السمع والطاعة للخليفة، وكذلك حذَّر رسول الله ﷺ من مفارقة الجماعة، وبيَّن أن الذي يقدم على ذلك تكون ميتته ميتة أشبه بميتة الجاهلية[٢].

---

(١) الشوكاني، الدراري المضيئة: ٢/ ٣٠١-٣٠٢.

(٢) صحيح البخاري مع الفتح: ١٣/ ٧، ٣٨، ٣٩؛ صحيح مسلم بشرح النووي: ١٢/ ٢٣٨، ٢٤٠، أحمد، المسند: ٤/ ١٩٧(٢٨٢٦)، ٧/ ٢٠٥(٥٣٨٦)، ٨/ ٥١(٥٦٧٩)، ١٥/ ٨٧(٧٩٣١)؛ ابن ماجه، السنن: (٣٩٤٨)؛ الدارمي، السنن: ٢/ ١٥٨؛ النسائي: ٧/ ١٣٩؛ الطبراني، المعجم الأوسط: ١/ ١٧٥، الهيثمي، مجمع الزوائد: ٢/ ١٧؛ موارد الظمآن: ٣٧١؛ السيوطي، الدر المنثور: ٢/ ١٨٥.
قال ابن حجر: «والمراد بالميتة الجاهلية هي حالة الموت كموت أهل الجاهلية على ضلال، وليس له إمام مطاع، لأنهم كانوا لا يعرفون ذلك، وليس المراد أن يموت كافرًا بل يموت عاصيًا، والتشبيه هنا على ظاهره» (الفتح ١٣/ ٩).

وبيّن رسول الله ﷺ أهمية مكانة الحكم في الإسلام، وأن من أعزَّ الحاكم أعزَّه الله، ومن أذلَّه أذلَّه الله[١].

وقد جاءت الأوامر النبوية لتبيِّن حدود الطاعة التي يجب أن تمتثل بها الرعية؛ فطاعة الأمير واجبة في كل شيء كل على حسب الطاقة، ما عدا الأمر بالمعصية[٢].

لقد أوضح رسول الله ﷺ للصحابة -رضوان الله عليهم- حال الأمراء الذين سيأتون، كما بيَّن لهم كيفية التعامل مع أولئك الأمراء؛ وذلك حين يرون منهم أمورًا ينكرونها، وفيها معصية الله.

فقال ﷺ: **(ستكون أمراء، فتعرفون وتنكرون، فمن عرف برئ، ومن أنكر سلم، ولكن من رضي وتابع)** قالوا: يا رسول الله، أفلا نقاتلهم؟ قال: **(لا ما صلوا)**[٣].

ثم وضّح الرسول ﷺ ذلك أكثر فقال:

(إنكم سترون بعدي أثرة وأمورًا تنكرونها. قال: قلنا: ما تأمرنا؟ قال: أدوا إليهم حقهم وسلوا الله حقكم)[٤].

---

(١) ابن أبي شيبة، المصنف: ١١/ ٣٤٤، ١٥/ ١٢٦؛ أحمد: ٥/ ١٦٥، أبو داود مع عون المعبود: ١٣/ ١٩٢، ابن أبي عاصم، السنة: ٢/ ٤٩٢، وقال محققه: حديث حسن؛ الهيثمي، الزوائد: ٥/ ٢٢٢.

(٢) صحيح البخاري مع الفتح: ٦/ ١٣٥، ١٣/ ١١٩، ١٣٠؛ مسلم بشرح النووي: ١٢/ ٢٢٦، ٢٣٣-٢٣٤؛ ابن أبي شيبة، المصنف: ١١/ ٣٣٥؛ أحمد، المسند: ٨/ ٥١ (٥٦٧٩) ١١/ ٦٢ (٦٨١٥)؛ ابن حميد، المنتخب: ٢٤٦؛ ابن أبي عاصم، السنة: ٢/ ٤٨٨ (١٠١٥)؛ أبو عوانة، المسند: ٤/ ٤٧١-٤٨٥؛ الهيثمي، موارد الظمآن: ٣٧٤.

(٣) رواه مسلم، كتاب الإمارة، باب وجوب الإنكار على الأمراء فيما يخالف الشرع، ح ١٨٥٤.

(٤) البخاري مع الفتح: ١٣/ ٧ ح٧٠٥٢؛ مسلم بشرح النووي: ١٢/ ٢٣٢، ٢٣٦؛ قريبًا من هذا المعنى؛ أحمد، المسند: ٥/ ٢٣٢ (٣٦٤١) بنحوه؛ ابن أبي شيبة، المصنف: ١٥/ ٥٩ بمعناه؛ الدارمي، السنن: ٢/ ٣٢٤ بمعناه؛ الطبراني، المعجم الأوسط: ١/ ١٩٦ بمعناه؛ البيهقي، السنن الكبرى: ٨/ ١٥٨ بنحوه.

قال النووي: «ومعنى الأثرة: هي الاختصاص بأمور الدنيا عليكم؛ أي اسمعوا وأطيعوا، وإن اختص الأمراء بالدنيا ولم يوصلوكم حقكم مما عندهم»[١].

وقد بين الرسول ﷺ وجوب الطاعة للأمير، حتى وإن كان مغمور النسب، فقال ﷺ: **(اسمعوا وأطيعوا، وإن استعمل عليكم عبد حبشي كأن رأسه زبيبة)**[٢].

ثم أوضح النبي ﷺ واجب المسلم حيال الظلم الذي يتعرض له من جانب السلطان، فإن ظلمه ومنعه من حقه فواجب عليه التنازل عنه، فقال ﷺ: **(أتاني جبريل فقال: إن أمتك مفتتنة بعدك، فقلت: من أين؟ قال: من قبل أمرائهم وقرّائهم؛ يمنع الأمراء الناس الحقوق، فيطلبون حقوقهم فيفتنون، ويتبع القراء هؤلاء الأمراء فيفتنون. قلت: فكيف يسلم من يسلم منهم؟ قال: بالكف والصبر؛ إن أُعطَوا الذي لهم أخذوه، وإن مُنِعُوه تركوه)**[٣].

وأوضح النبي ﷺ أنه سيكون هناك أمراء لا يهتدون بهديه ولا يستنّون بسنته ﷺ، وأن على من أدرك ذلك النوع من الأمراء أن يصبر حتى وإن أخذ ماله وضرب ظهره[٤].

---

(١) مسلم بشرح النووي: ١٢/ ٢٢٥.

(٢) البخاري مع الفتح: ١٣/ ١٣٠؛ مسلم بشرح النووي: ١٢/ ٢٢٥ بمعناه؛ أحمد، المسند: ٤/ ١٢٠، ١٢٧؛ أبو داود، السنن: (٤٦٠٧)؛ ابن ماجه: (٤٤)؛ الترمذي: (٢٨١٧)؛ أبو نعيم، الحلية: ٥/ ٢٢٠، ١٠/ ١١٥؛ البيهقي: ١٠/ ١١٤؛ الحاكم: ١/ ٩٥، ٩٧؛ البغوي، شرح السنة: ١/ ١٠٥.

(٣) ابن أبي شيبة، المصنف: ١١/ ٣٤٤، ١٥/ ١٢٦؛ أحمد: ٥/ ١٦٥، أبو داود مع عون المعبود: ١٣/ ١٩٢، ٢٢٢.

(٤) مسلم بشرح النووي: ١٢/ ٢٣٧-٢٣٨؛ الهيثمي، موارد الظمآن: ٣٧١.

ولم يتركهم النبي ﷺ في حيرة من أمرهم عندما يتزايد المطالبون بالخلافة، فقد بين النبي ﷺ الطريق الصحيح في التعامل مع هذا الوضع بقوله ﷺ: (**كانت بنو إسرائيل تسوسهم الأنبياء، وكلما هلك نبي خلفه نبي، وإنه لا نبي بعدي، وستكون خلفاء فتكثر. قالوا: فما تأمرنا؟ قال: فُوا ببيعة الأول فالأول، وأعطوهم حقهم؛ فإن الله سائلهم عما استرعاهم**)[1].

ولم يقصد رسول الله ﷺ من هذه الأحاديث التي يحث فيها على الطاعة للإمام، أن يكون المسلم خانعًا تابعًا لا يملك من أمره شيئًا، وأن يتغاضى عن المنكر وإنكاره، أو يقصد بذلك أن يُمنع الانتقاد للسلطان، أو أن يكون المسلم إمَّعة يتبع السلطان في أوامره، وينتهي بنواهيه.

بل أوجب ﷺ القول بالحق، وأن لا يخشى في الله لومة لائم[2].

ولكن ذلك تحت لواء الطاعة، ووفق قاعدة واضحة في الإسلام وهي: النصيحة؛ قال رسول الله ﷺ: (**الدين النصيحة ثلاثًا. قالوا: لمن يا رسول الله؟ قال: لله ولكتابه ولرسوله ولأئمة المسلمين وعامتهم**)[3].

وقال: (**ثلاث لا يغل عليهن قلب مؤمن: إخلاص العمل لله، والنصيحة**

---

(١) مسلم بشرح النووي: ١٢/ ٢٣١؛ أحمد، المسند: ١٥/ ١٠٩ (٧٩٤٧).

(٢) البخاري مع الفتح: ١٣/ ٢٠٤؛ مسلم بشرح النووي: ١٢/ ٢٢٨؛ الحميدي، المسند: ١/ ١٩٢، أحمد: ٥/ ٣٩؛ النسائي: ٧/ ١٣٩.

(٣) صحيح مسلم: ١/ ٧٤ (٩٥)؛ أحمد، المسند: ١٥/ ٩٩ (٧٩٤١) مع بعض الاختلاف؛ ابن أبي عاصم، السنة: ٢/ ٥٢٠ (١٠٩٤).

لولاة الأمر، ولزوم الجماعة....)[١].

ثم جاء تبيان النصيحة، فقال رسول الله ﷺ: (من أراد أن ينصح لذي سلطان فلا يُبْدِهِ علانية، ولكن يأخذ بيده فيخلو به، فإن قبل منه فذاك، وإلا كان قد أدّى الذي عليه)[٢].

وأما ذلك الصنف من الناس الذين يثني ويمدح في وجه الحاكم، وإذا خرج سبَّه ونال منه، فهذا كما يقول عنه ابن عمر: إنه النفاق[٣]، وينطبق عليه قول رسولنا ﷺ: (إن شر الناس ذو الوجهين؛ الذي يأتي هؤلاء بوجه وهؤلاء بوجه)[٤].

٢- حد طاعة الإمام، ومتى يتوجب خلعه؟

لقد كانت مبايعة الصحابة لرسول الله ﷺ «على السمع والطاعة في العسر واليسر، والمنشط والمكره، وعلى أثرة علينا، وأن لا ننازع الأمر أهله»[٥].

وقد عرفنا أنَّ الطاعة في كل شيء على حسب الطاقة، ما عدا المعصية، ثم رأينا أنَّ الطاعة تستلزم أحيانًا التنازل عن الحق إذا اعتدى السلطان أو ظلم؛ وذلك حرصًا على كيان الأمة، وحفاظًا عليها من التمزُّق والضياع.

---

(١) أحمد، المسند: ٤/ ٨٢ ؛ ابن ماجه: (٣٠٥٦)؛ ابن أبي عاصم، السنة: ٢/ ٥١٦ وقال محققه: حديث صحيح؛ أبو يعلى الموصلي، المسند: ٤/ ١٧٠.

(٢) رواه أبو نعيم الأصبهاني، معرفة الصحابة، باب من اسمه عاصم، الطبراني، مسند الشاميين، ٢/ ٩٤.

(٣) صحيح البخاري مع الفتح: ١٣/ ١٨١؛ المروزي، تعظيم قدر الصلاة: ٢/ ٦٠ (٦٨١)؛ وكيع، الزهد: (٢٩٩).

(٤) مسلم بشرح النووي: ١٢/ ٢٢٨؛ الهيثمي، موارد الظمآن: ٣٧١.

(٥) البخاري مع الفتح: ١٣/ ٧ (٧٠٥٦)؛ مسلم بشرح النووي: ١٢/ ٢٢٨.

ولقد بيَّن ﷺ كيفية إنكار المنكرات التي يرتكبها الحاكم، كما بيَّن مراتب الإنكار: (**ستكون عليكم أمراء بعد، فيعملون أعمالاً تعرفون وتنكرون، فمن أنكر فقد برئ، ومن كره فقد سلم، ولكن من رضي وتابع...**)[1].

وعندما يبلغ الإمام حد الكفر الصريح الواضح ففي هذه الحالة يتوجَّب خلعه[2].

وقد وضَّح رسول الله ﷺ حدود ذلك الكفر بقوله: (**ما أقاموا فيكم الصلاة**)[3].

قال القنوجي: «وبالجملة، فإذا كفر الخليفة بإنكار ضروري من ضروريات الدين حلَّ قتاله، بل وجب، وإلا فلا؛ لأنه حينئذ فاتت مصلحة نصبه، بل يخاف مفسدته على القوم، فقتاله من الجهاد في سبيل الله»[4].

وقال السفاقسي: «أجمعوا على أن الخليفة إذا دعا إلى كفر أو بدعة يُثار عليه»[5].

ونظرًا لأن الفسق والظلم قد يكونان قريبين من الكفر حتى يمكن أن يحدث التباس بينهما، فقد وضَّح العلماء الفارق بينهما وفق مُؤدَّى الأحاديث النبوية التي جعلت الفارق هو الكفر الصريح الذي لا يخفى على أحد أنه كفر، ونظرًا

---

(١) مسلم بشرح النووي: ١٢/ ٢٣٢، ٢٤٣؛ ابن أبي شيبة، المصنف: ١١/ ٣٣٠؛ الترمذي، السنن: ٣/ ٢٤٦.

(٢) البخاري مع الفتح: ١٣/ ٧ (٧٠٥٦)؛ مسلم بشرح النووي: ١٢/ ٢٢٨.

(٣) مسلم بشرح النووي: ١٢/ ٢٤٣؛ أحمد، المسند: ٣/ ٢٨، ٢٩؛ الدارمي: ٢/ ٣٢٤؛ ابن أبي عاصم، السنة: ٢/ ٥١٢ (١٠٧٧)؛ أبو يعلى، المسند: ١/ ٣٥٦؛ الآجري، الشريعة: ٣٨.

(٤) القنوجي، العبرة مما جاء في الغزو: ٣٣.

(٥) القسطلاني، إرشاد الساري: ١٠/ ٢١٧.

لاختلاف الكفر أيضًا، وتوارد الشُّبه التي يمكن أن تحدث عند التكفير (أي تكفير الحاكم)، فقد وضَّح النبي ﷺ حدَّ ذلك الكفر وأعظمه؛ وهو الصلاة، فإن دعا إلى تعطيل الصلاة، أو أي ركن من أركان الإسلام التي يعلم بالضرورة أن مَن تركها فقد كفر، فهنا يجب قتاله، وإبعاده عن ولاية المسلمين.

ومن خلال الأحاديث التي دعت إلى الطاعة ووجوب لزوم الجماعة، والنهي عن الفرقة والاختلاف، وتحديد الخروج على الإمام بالكفر الصريح، فقد استنبط العلماء أحكامًا بخصوص الخروج على الحكام.

قال النووي: «وأما الخروج على الحكَّام الفسقة والظلمة فحرام بالإجماع، وقد تظاهرت الأحاديث بمعنى ما ذكرته، وأجمع أهل السنة أنه لا ينعزل السلطان بالفسق، وأما الوجه المذكور في الفقه لبعض أصحابنا أنه ينعزل -وحكي عن المعتزلة أيضًا- فغلط من قائله مخالف للإجماع.

قال العلماء: وسبب عدم انعزاله وتحريم الخروج عليه: ما يترتَّب على ذلك من الفتن، وإراقة الدماء، وفساد ذات البين، فتكون المفسدة في عزله أكثر منها في بقائه»[(١)].

وقال القاضي عياض: «قال جماهير أهل السنة من الفقهاء والمحدثين والمتكلمين: إن الإمام لا ينعزل بالفسق والظلم وتعطيل الحقوق، ولا يخلع، ولا يجوز الخروج عليه بذلك، بل يجب تخويفه ووعظه؛ للأحاديث الواردة في ذلك»[(٢)].

---

(١) شرح النووي لصحيح مسلم: ١٢/ ٢٢٩.

(٢) المصدر السابق ونفس الصفحة.

ونقل الحافظ ابن حجر عن الداودي: «والذي عليه العلماء في أمراء الجور أنه إن قدر على خلعه بغير فتنة ولا ظلم، وإلا فالواجب الصبر»[(١)].

وكان الإمام أحمد يقول: «الصبر تحت لواء السلطان على ما كان فيه من عدل وجور، وأن لا يُخرج على الأمراء بالسيف وإن جاروا»[(٢)].

وقد عدَّ علماء أهل السنة والجماعة أنَّ من صميم العقيدة لزوم الجماعة وعدم الشذوذ عنها، وعقدوا في كتبهم أبوابًا بذلك[(٣)].

ولقد استمر العلماء في حرصهم وتوجيههم للناس في المحافظة والالتزام بالطاعة لولاة الأمر، على الرغم من ضعف الحكام في عهدهم، وكثرة الفتن والفساد في البلاد[(٤)]، ويحدوهم إلى فعل ذلك الخوف على الكيان المسلم من التمزُّق وضياع الأموال والأمن، فيصبح الناتج عن الوضع الذي قاموا من أجله وأرادوه أعظم بلاءً من الوضع الذي كانوا عليه.

---

(١) ابن حجر، فتح الباري: ١٣/ ١٠.

(٢) أبو يعلى، طبقات الحنابلة: ١/ ١٣٠، ٢٣٠، ٢/ ٢١، ٢٢.

(٣) ابن أبي العز الحنفي، شرح العقيدة الطحاوية: ٣٦٧؛ أبو بكر الخلال، السنة: ٧٣ وما بعدها؛ العكبري، الإبانة: ٢٧٦، ٢٧٧؛ الآجري، الشريعة: ٣٨؛ اللالكائي، شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة: ١/ ٩٦-١١٣؛ الباقلاني، التمهيد: ٤٧٨.

(٤) صحيح البخاري مع الفتح: ٦/ ٦٦ حين ترجم (باب الجهاد ماضي مع البر والفاجر)؛ أبو داود، مسائل الإمام أحمد: ٢٣٤؛ أبو يعلى، الطبقات: ٢/ ٣٠٥؛ البربهاري، شرح السنة: ٥١؛ الغزالي، فضائح الباطنية: ١٨٠-١٨٢؛ ابن تيمية، السياسة الشرعية: ١٧٧؛ الشوكاني، الدرر المضيئة: ٢/ ٣٠١-٣٠٢؛ نيل الأوطار: ٧/ ٣٦١.

٣- أحكام الخارجين على الأئمة:

يتضح من تقسيم الدميجي للخارجين على الإمام أنهم ينقسمون إلى أربع طوائف:

١- **طائفة الخوارج**: وهم الذين خرجوا على علي ﷺ، ومذهبهم معروف، وحكم قتالهم واجب.

٢- **طائفة المحاربين**: وهم قُطَّاع الطرق، والمفسدون في الأرض، وقد بيّن الله حكم قتالهم وجزاءهم في سورة المائدة[١].

٣- **طائفة البغاة**: وهم الذين يخرجون على الإمام العادل طلبًا للملك بتأويل سائغ، أو غير سائغ.

وهؤلاء لا يقاتلون ابتداءً، وإنما يسعى في الإصلاح بينهم وبين الإمام، فإن كان لهم مظلمة رُفعت عنهم، وإن كان لهم شبهة بُيِّن لهم وجه الحق فيها، وإن كان لهم حق أعطوا إياه، فإن لم ينصاعوا بعد ذلك للإصلاح وبدؤوا في القتال ففي هذه الحالة يُقاتلون.

٤- **طائفة أهل الحق**: وهم أهل عدل خرجوا على إمام جائر[٢].

وفي الحقيقة أن الطائفة الثالثة والرابعة لا يمكن الفصل بينهما؛ وذلك لأن دواعي الخروج عند الطائفتين واحدة، وهي: الخروج على الإمام بتأويل.

---

(١) سورة المائدة: الآية ٣٣.

(٢) الدميجي، الإمامة العظمى: ٤٩٤.

قال ابن قدامة في تعريف البغاة: «قوم من أهل الحق يخرجون عن قبضة الإمام، ويريدون خلعه، لتأويل سائغ، وفيهم منعة يحتاج في كفِّهم إلى جمع الجيش»[١].

وقال القرافي: «إنَّ البغاة هم الذين يخرجون على الإمام، يبغون خلعه، أو منع الدخول في طاعته، أو تبغي منع حق واجب بتأويل في ذلك كله؛ قاله الشافعي، وأبو حنيفة، وأحمد بن حنبل – رضي الله عنهم – وما علمت في ذلك خلافًا»[٢].

ولم يشترط في الإمام المخروج عليه العدل، بل قد يكون عادلاً أو جائرًا كما ذكر ذلك البقاعي والقفال[٣].

ومن هنا نستطيع أن نقول: إن البغاة لا يُسمَّوْن بغاة، ولا تنطبق عليهم أحكامهم، إلا إذا اجتمعت فيهم شرائط ثلاثة:

١ – أن يخرجوا على إمام تمت له البيعة من المسلمين، أو من أهل الحل والعقد منهم، فإن لم يكن هناك إمام يخرجون عليه، فلا يسمون بغاة.

٢ – أن تكون فيهم كثرة، ولهم قوة ومنعة، يحتاج الإمام معها إلى جمع الجيش، بخلاف ما لو كانوا قلَّة، أو ليست لهم شوكة؛ لأن للإمام القدرة حينئذ على تفريقهم وردِّهم إلى الطاعة من غير حاجة إلى جمع الجيش.

٣– أن يكونوا متأوِّلين عند خروجهم تأويلاً سائغًا، فلو لم تكن لهم شبهة

---

(١) ابن قدامة، العدة في شرح العمدة: ٥٧٥؛ المغني: ٨/ ٥٢٦.

(٢) القرافي، الفروق: ٤/ ١٧١.

(٣) البقاعي، فيض الإله المالك: ٢/ ٣٠٢.

معقولة، وتأويل مساغ، فلا ينطبق عليهم اسم البغاة، وإنما هم قوم خرجوا يستبيحون دماء المسلمين وذراريهم[(١)].

وخروج البغاة على الإمام، إنما يكون بأحد أمور ثلاثة:

أ - طلب خلع الإمام.

ب - حث الناس، ومنعهم من الدخول في طاعته.

ج - امتناعهم عن فعل واجب طُلب منهم[(٢)].

ومن هنا يتضح أنَّ التقسيم الذي اعتمده د. الدميجي لم يوافقه عليه أحد - فيما يظهر لي - فقد وضَّح العلماء أنَّ الخارجين على الإمام ينقسمون إلى ثلاثة أقسام: إما قطاع طرق، وإما خوارج، وإما بغاة[(٣)].

ولعل الدميجي اعتمد على إشارة ابن حجر حين قال: «وأما من خرج عن طاعة إمام جائر أراد الغلبة على ماله أو نفسه أو أهله فهو معذور، ولا يحلُّ قتاله، وله أن

---

(١) الشربيني، الإقناع في حل ألفاظ أبي شجاع: ٢/ ٢٠٢، ٢٠٣؛ المرداوي، التنقيح المشبع: ٢٨٣؛ عيادة الكبيسي، صحابة رسول الله ﷺ: ٢٣٦.

(٢) محمد سلام مدكور، معالم الدولة الإسلامية: ٢٢٣، ٢٢٤؛ عيادة الكبيسي، صحابة رسول الله ﷺ: ٢٣٦.

(٣) ابن قدامة، المغني: ٨/ ١٠٠٥؛ ابن الهمام الحنفي، شرح فتح القدير: ٤/ ١٠٨؛ ابن عابدين، الدر المختار وحاشيته: ٤/ ٢١٢. وانظر عن البغي: أبا الحسن الماوردي، كتاب قتال أهل البغي: ٧٥؛ ابن جماعة، تحرير الأحكام: ٣٥٢؛ القرطبي، أحكام القرآن: ١٦/ ٣١٧-٣٢٢؛ الكاساني، البدائع: ٧/ ١٤٠؛ أبا يحيى الأنصاري، فتح الوهاب: ٢/ ١٥٣؛ عبد الرحمن الشيرازي، المنهج المسلوك في سياسة الملوك: ٦٥٧-٦٦١.

يدفع عن نفسه وماله وأهله بقدر طاقته... وعلى ذلك يُحمل ما وقع للحسين بن علي، ثم لأهل المدينة، ثم لابن الزبير، ثم للقرَّاء الذين خرجوا على الحجاج»[١].

وكلام ابن حجر لا يُسلّم له فيه، ويحتاج إلى مناقشة أيضًا، وسيرد ذلك.

ولا يظن من اسم البغاة أنّها صفة ذم، بل هم قوم مسلمون، وخروجهم على الإمام، وتمردهم عن طاعته، لا يخرجهم عن دائرة الإسلام، ولا تُزال عنهم صفة الإيمان؛ فهم لا يوصفون بالكفر والفسق، وإنما هم قوم مُخطئون فيما ذهبوا إليه من تأويل[٢].

ومن الأدلة على أنَّ صفة الإيمان لا تزول عن أهل البغي: قوله تعالى: ﴿ وَإِن طَآئِفَتَانِ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱقْتَتَلُوا۟ فَأَصْلِحُوا۟ بَيْنَهُمَا ۖ فَإِنۢ بَغَتْ إِحْدَىٰهُمَا عَلَى ٱلْأُخْرَىٰ فَقَٰتِلُوا۟ ٱلَّتِى تَبْغِى حَتَّىٰ تَفِىٓءَ إِلَىٰٓ أَمْرِ ٱللَّهِ ۚ فَإِن فَآءَتْ فَأَصْلِحُوا۟ بَيْنَهُمَا بِٱلْعَدْلِ وَأَقْسِطُوٓا۟ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ ﴾ [الحجرات:٩].

وقول الرسول ﷺ: (**تمرق مارقة عند فرقة المسلمين، يقتلها أولى الطائفتين بالحق**)[٣].

قال النووي: «في هذا الحديث تصريح بأنَّ الطائفتين مؤمنون، لا يخرجون بالقتال عن الإيمان ولا يُفسّقون»[٤].

ولهذا فقد ثبت أنَّ معاوية رضي الله عنه ومن معه بغاة، وقال علي رضي الله عنه عن أهل الجمل:

---

(١) ابن حجر، الفتح: ١٢/ ٣١٥.

(٢) النووي، روضة الطالبين: ١٠/ ٥٠؛ ابن تيمية، مجموع الفتاوى: ٣٥/ ٥٧.

(٣) مسلم بشرح النووي: ٧/ ١٦٨.

(٤) النووي، شرح صحيح مسلم: ٧/ ١٦٨.

«إخواننا بغوا علينا»[(١)].

وأول من قاتل البغاة، وعُرفت أحكام البغاة عن طريقه هو: علي ﷺ، وما أخذ الفقهاء أحكام البغاة إلا عنه ﷺ، وقد ذكر البيهقي في مناقب الشافعي: «إن أحمد بن حنبل أُخْبِرَ أنّ يحيى بن معين ينسب الشافعي إلى التشيُّع، فقال له أحمد: تقول هذا لإمام من أئمة المسلمين؟ فقال يحيى: إني نظرت في كتابه في قتال أهل البغي، فإذا قد احتج من أوله إلى آخره بعلي بن أبي طالب.

فقال أحمد: عجبًا لك؟ فبمن كان يحتج الشافعي في قتال أهل البغي، وأول من ابتُلي من هذه الأمة بقتال أهل البغي علي بن أبي طالب؟ وهو الذي سنَّ قتالهم وأحكامهم؛ ليس عن النبي ﷺ، ولا عن الخلفاء غيره فيه سُنّة، فبمن إذًا كان يُستن؟ فخجل يحيى من ذلك»[(٢)].

قال ابن رجب: «والذي يظهر أنَّ في القرآن أربعة سيوف: سيف على المشركين حتى يُسلموا أو يؤسروا، فإما منًّا بعد وإما فداء، وسيف على المنافقين وهو سيف الزنادقة، وقد أمر الله بجهادهم، والإغلاظ عليهم في سورة براءة، وسورة التحريم، وآخر سورة الأحزاب، وسيف على أهل الكتاب حتى يُعطُوا الجزية، وسيف على أهل البغي وهو المذكور في سورة الحجرات، ولم يسل ﷺ

---

(١) ابن أبي شيبة، المصنف: ١٥/ ٢٥٦-٢٥٧، ٢٥٨؛ أبو العرب، المحن: ١٢٤؛ البيهقي، السنن الكبرى: ٨/ ١٨٢؛ ابن عساكر: ١/ ٣٢٨-٣٢٩ (تحقيق المنجد)، وروايات هذا الخبر لا تخلو من الضعف، إلا أنها تتقوى بتعدُّد المخارج.

(٢) البيهقي، مناقب الشافعي: ١/ ٤٥٠، ٤٥١.

هذا السيف في حياته، وإنما سلَّه علي رضي الله عنه في خلافته، وكان يقول: «أنا الذي علَّمت الناس قتال أهل القبلة»[١].

وأما قتال أهل البغاة فواجب[٢]، ويتوجب على الإمام قبل أن يقاتلهم أن يكشف شبهتهم، حتى يتبين لهم الحق، فإن رجعوا كفَّ عنهم، وإن أبوا ولم يجد بدًا من حربهم دعا المسلمين إلى حربهم.

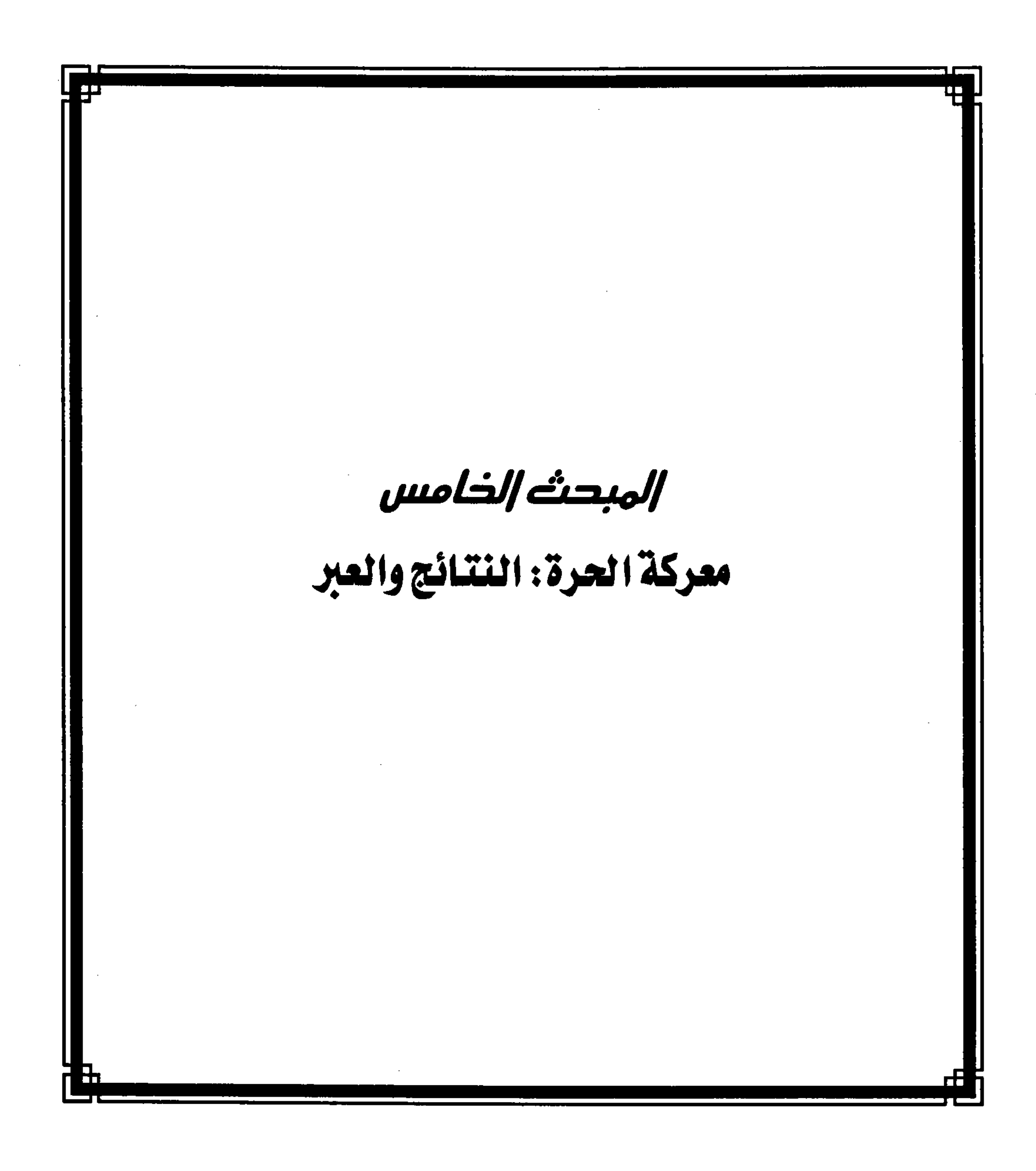
ثم إذا قاتلهم: وجب أن يكف عن مُدبرهم، ولا يُجهز على جريحهم، ولا يَغنم أموالهم، ولا يَسْبي ذراريهم، ولا تقتل أسراهم، ولا يقطع أشجارهم، ولا يقتلهم بمشرك[٣].

---

(١) ابن رجب الحنبلي، الحكم الجديرة بالإذاعة: ص٩-١٠.

(٢) الشوكاني، الدراري المضيئة: ٢/ ٢٩٩.

(٣) هناك حديث رفعه البعض يحدد حكم قتال البغاة ذكره: (ابن حجر في المطالب العالية: ٤/ ٢٩٦) رقم (٤٤٥٩) ونسبه لمسند أحمد بن منيع، وذكره ابن حجر في بلوغ المرام وقال: رواه البزار والحاكم، وصححه، فوهم لأن في إسناده كوثر بن حكيم وهو متروك. وقال أيضًا: وصح عن علي من طرق نحوه موقوفًا، أخرجه ابن أبي شيبة والحاكم، وانظر: (سبل السلام٣/ ٥٢٤). قلت: وقد أخرجه البيهقي في السنن الكبرى: ٨/ ١٨٢ من طريق كوثر بن حكيم أيضًا. وانظر عن أحكام البغاة: ابن قدامة المقدسي: المغني: ٨/ ٥٢٩؛ العدة في شرح العمدة: ٥٧٦؛ القرافي، الفروق: ٤/ ١٧١؛ القرطبي، الجامع لأحكام القرآن: ١٦/ ٣٢٠؛ محمد بن أحمد الرملي، نهاية المحتاج: ٧/ ٤٠٥-٤٠٨؛ الصنعاني، سبل السلام ٣/ ٢٢٥؛ الشوكاني، الدراري المضيئة: ٢/ ٢٩٩-٣٠١.



المبحث الخامس

معركة الحرة: النتائج والعبر



المبحث الخامس

معركة الحرة: النتائج والعبر

لا شك أنَّ القتال الذي جرى بين المسلمين في القرن الأول الهجري هو من الفتن والمصائب التي حلَّت بالمسلمين.

والفتن كما عرَّفها ابن مسعود: «إذا اشتبه عليك الحق والباطل، فلم تدر أيهما تتبع»(١).

ويعرِّفها ابن تيمية بقوله: «والفتنة: ما ينشأ عن الاختلاف في طلب الملك؛ حيث لا يُعلم المحق من المبطل»(٢).

وعندما سئل ابن مسعود ﷺ عن وقفات الفتن، وبعثاتها، قال: «بعثاتها سل السيوف، ووقفاتها إغمادها»(٣).

وقد توقَّف الكثير من الصحابة -رضوان الله عليهم- في قتال الجمل وصفين، وغيره، بسبب التباس الأمور عليهم، وعدم اتضاح الحق، ثم في المقابل فإن المنازع هو من المسلمين الذي حُرِّم دمه، وماله، وعرضه.

قال ابن سيرين: «ثارت الفتنة، وأصحاب رسول الله ﷺ عشرة آلاف، لم يخف منهم أربعون رجلاً»(٤).

---

(١) ابن أبي شيبة، المصنف: ١٥/ ٧٠.

(٢) ابن حجر، فتح الباري: ١٣/ ٣٤.

(٣) ابن أبي شيبة، المصنف: ١٥/ ١٩؛ نعيم بن حماد، الفتن: ق١٦١؛ أبو نعيم، الحلية: ١/ ٢٧٤.

(٤) ابن أبي شيبة، المصنف: ١١/ ٣٥٧؛ الخلال، السنة: ٤٦٦ بإسناد صحيح.

وقال شيخ الإسلام: «ومن المعلوم أن أكثر علماء الصحابة لم يروا القتال مع واحد منهما، وهو قول جمهور أهل السنة والحديث، وجمهور أهل المدينة والبصرة، وكثير من أهل الشام ومصر والكوفة وغيرهم من السلف والخلف»(١).

وكان اعتماد أولئك الصحابة -رضوان الله عليهم- على ما سمعوه من تحذير النبي ﷺ لهم: (**إنها ستكون فتنة، القاعد فيها خير من القائم، والقائم خير من الماشي، والماشي خير من الساعي**، قال أحد الصحابة: أفرأيت إن دخل عليَّ بيتي فبسط يده إليَّ ليقتلني؟ قال: **كن كابن آدم**)(٢).

وقال ﷺ مُوجّهًا الصحابة عند الفتن: (**كسِّروا فيها قسيكم، وقطِّعوا فيها أوتاركم، والزموا فيها أجواف بيوتكم، وكونوا كابن آدم**)(٣).

وقد غلَّظ النبيُّ ﷺ عقوبة من يحمل السلاح على أخيه المسلم؛ فقال ﷺ: (**من حمل علينا السلاح فليس منَّا**)(٤).

---

(١) ابن تيمية، نقد مراتب الإجماع لابن حزم: ١٢٥.

(٢) أحمد: ٣/ ٩٨ (١٦٠٩)، سنن الترمذي، كتاب الفتن ٢١٩٤، من حديث سعد بن أبي وقاص ﷺ، وبنحوه عند البخاري مع الفتح ١٣/ ٣٣.

(٣) الساعاتي، الفتح الرباني على مسند أحمد: ٢٤/ ١٤-١٥؛ الترمذي: ٤/ ٤٩١ (٢٢٠٤) وقال الترمذي: حسن غريب صحيح؛ أبو يعلى، المسند: ٣/ ٩٣ وقال المحقق: إسناده حسن؛ الحاكم، المستدرك: ٤/ ١١٢ وقال: هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه، ووافقه الذهبي؛ البيهقي، السنن الكبرى: ٨/ ١٩١.

(٤) البخاري مع الفتح: ١٣/ ٢٦ وقال ابن حجر: «ومعنى قوله: ليس منّا: أي ليس على طريقتنا، أو ليس متبعًا لطريقتنا؛ لأن من حق المسلم على المسلم أن ينصره ويقاتل دونه، لا أن يُرعبه بحمل السلاح عليه لإرادة قتاله، أو قتله، ونظيره».

وقال أيضًا في حجة الوداع: (**لا ترجعوا بعدي كفارًا يضرب بعضكم رقاب بعض**)[(١)].

ولقد سمَّى النبي ﷺ ما سوف يحدث لعثمان رضي الله عنه، ثم ما حدث في معركة الحرة فيما بعد: فتنة؛ فقال أسامة بن زيد: أشرف النبي ﷺ على أطم من آطام المدينة فقال: (**هل ترون ما أرى؟ إني أرى مواقع الفتن خلال بيوتكم كمواقع القطر**)[(٢)] وهذه من دلائل نبوته ﷺ.

وكان موقف الكثير من الصحابة -رضوان الله عليهم- من القتال الذي حدث بين المسلمين موقفًا رائعًا مُتبعًا للسنة؛ فعندما قالوا لسعد بن أبي وقاص: ألا تُقاتل؟ فإنّك من أهل الشورى، وأنت أحقُّ بهذا الأمر من غيرك، قال: لا أقاتل حتى تأتوني بسيف له عينان، ولسان وشفتان، يعرف الكافر من المؤمن؛ قد جاهدت وأنا أعرف الجهاد، ولا أَبْخَعُ بنفسي إن كان رجل خيرًا منّي»[(٣)].

وكان ابن مسعود رضي الله عنه دائم التحذير من الفرقة والخلاف، ويحث الناس على لزوم الجماعة[(٤)]، وكان يقول: «إذا وقع الناس في الفتنة فقالوا: اخرج؛ لك

---

(١) البخاري مع الفتح: ١٣/ ٢٩؛ الهيثمي، مجمع الزوائد: ٤/ ٢٤.

(٢) البخاري مع الفتح: ١٣/ ١٤؛ مسلم: ٤/ ٢٢١١ (٨٨٥)؛ الحميدي، المسند: ١/ ٢٤٨؛ الساعاتي، الفتح الرباني: ٢٣/ ١٨٠.

(٣) عبد الرزاق، المصنف: ١١/ ٣٥٧؛ ابن سعد، الطبقات: ٣/ ١٤٣؛ ابن أبي شيبة: ١٥/ ١٣، ١٥/ ١٨٣؛ نعيم بن حماد، الفتن: ق٨١؛ الحاكم، المستدرك: ٤/ ٤٤٤ من طريق عبد الرزاق.

(٤) ابن أبي شيبة، المصنف: ١٥/ ٨٦ بإسناد حسن؛ يعقوب بن سفيان، المعرفة والتاريخ: ٣/ ٢٤٤، ٢٤٥، الحاكم، المستدرك: ٤/ ٥٠٦؛ الخطيب البغدادي، الفقيه والمتفقه: ١/ ١٦٧؛ واللالكائي، شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة: ١/ ١٠٩؛ الهيثمي، مجمع الزوائد: ٥/ ٢١٨، ٢١٩؛ السيوطي، الدر المنثور: ٦/ ٥٩؛ الهندي، كنز العمال: ١/ ٣٤٥.

بالناس أسوة، فقل: لا أسوة لي بالشر»[١].

وكان اعتزال الفتن عملاً اتبعه الكثير من الصحابة؛ مثل: محمد بن مسلمة، وسعد ابن أبي وقاص، وابن عمر، وأسامة بن زيد، وغيرهم؛ وذلك حين وقوع الفتن.

فلما حدثت الفتنة بعد مقتل عثمان ﵁ خرج محمد بن مسلمة إلى البرية، وقال: «لا يشتمل عليَّ مصر من أمصارهم حتى تُجلَّى بما تَجلّت، واتخذ سيفًا من خشب»[٢].

وحين قيل لابن عمر: لو أقمت للناس أمرهم؛ فإن الناس قد رضوا بك كلهم، فقال لهم: أرأيتم إن خالف رجل بالمشرق؟ قالوا: إن خالف رجل قُتِل، وما قَتْل رجل في صلاح الأمة؟ فقال: والله ما أحب لو أن أمة محمد ﷺ أخذت بقائمة رمح وأخذت بزُجِّه، فقُتل رجل من المسلمين، ولي الدنيا وما فيها»[٣].

وكان ابن عمر يصلِّي وراء كل أمير، ويؤدِّي إليه زكاة ماله؛ وذلك في زمان الفتنة[٤].

وكان ﵁ يرى أنّ القتال الذي كان يدور بين المسلمين إنما هو قتال فتنة وملك[٥].

---

(١) الطبراني، المعجم الكبير: ١٣٨٩.

(٢) المسند، بترتيب الساعاتي: ٢٤/ ١٣-١٤؛ ابن بطة، الإبانة عن شريعة الفرقة الناجية: ٢/ ٢٧٧.

(٣) ابن سعد، الطبقات الكبرى: ٤/ ١٥١ بإسناد حسن. والزُّجّ: الحديدة التي تركّب في أسفل الرمح.

(٤) المصدر السابق: ٤/ ١٤٩.

(٥) البخاري مع الفتح: ٨/ ٣٢ (٤٥١٣)، ابن سعد: ٤/ ١٦٤، أحمد: ٨/ ٥٧ (٥٦٩٠)، نعيم بن حماد، الفتن: ق٨١، الطبراني، الأوسط: ١/ ٢٦٥.

و هذا الرأي يراه أيضًا جندب رضي الله عنه[١].

وقدكان هذا المفهوم الذي فهمه الصحابة عن قتال الفتنة متوافقًا مع فهمهم لأحاديث رسول الله ﷺ التي تنطبق على موقفهم ذلك؛ ففي حديث حذيفة بن اليمان قال: «كان الناس يسألون رسول الله ﷺ عن الخير وكنت أسأله عن الشرِّ مخافة أن يدركني، فقلت: يا رسول الله إنا كنا في جاهلية وشرٍّ، فجاءنا الله بهذا الخير، فهل بعد هذا الخير من شرٍّ؟ قال: **نعم**: قلت: وهل بعد ذلك الشرِّ من خير؟ قال: **نعم، وفيه دَخَن**. قال: وما دَخَنه؟ قال: **قوم يهدون بغير هديي، تعرف منهم وتنكر**. قلت: هل بعد ذلك الخير من شرٍّ؟ قال: **نعم، دعاة على أبواب جهنم، من أجابهم إليها قذفوه فيها**. قلت: يا رسول الله صفهم لنا. قال: **هم من جلدتنا، ويتكلمون بألسنتنا**. قلت: فما تأمرني إن أدركني ذلك؟ قال: **تلزم جماعة المسلمين وإمامهم**. قلت: فإن لم يكن لهم جماعة ولا إمام؟ قال: **اعتزل تلك الفرق كلها، ولو أن تعضَّ بأصل شجرة حتى يدركك الموت وأنت على ذلك**»[٢].

والحديث الآخر، حديث عبد الله بن عمرو بن العاص، قال: «بينما نحن حول رسول الله ﷺ إذ ذكروا الفتنة، أو ذُكرت عنده قال: **إذا رأيت الناس قد مَرَجَت عهودهم، وخفَّت أماناتهم، وكانوا هكذا**، وشبّك بين أصابعه، قال: فقمت إليه فقلت: كيف أفعل عند ذلك جعلني الله فداك؟ قال: **الزم بيتك، وأمسك عليك لسانك، وخذ ما تعرف، ودع ما تنكر، وعليك بأمر خاصة نفسك، ودع عنك أمر العامة**»[٣].

---

(١) المسند بترتيب الساعاتي: ٢٣/ ١٨٤؛ البيهقي، السنن الكبرى: ٨/ ١٩١.

(٢) البخاري مع الفتح: ١٣/ ٣٨-٣٩، مسلم: ٣/ ١٤٧٥ (١٨٤٧).

(٣) أحمد، المسند: ١١/ ١٧٢ (٦٩٨٧) بإسناد صحيح؛ أبو داود: ٥/ ٥١٤ رقم (٤٣٢٤).

ولما كانت الفتنة لا يتضح فيها الحق، وكلٌ يقاتل ويظن أنَّه على الحق، فلذا كان كل شيء أُتلف فهو هَدر.

قال الزهري: «هاجت الفتنة وأصحاب رسول الله ﷺ متوافرون، فأجمعوا أنه لا يُقاد أحد، ولا يؤخذ مال على تأويل قرآن إلا ما وُجد بعينه، وأجمعوا أن كل دم أو مال أصيب بتأويل القرآن فإنه هَدر؛ أنزَلوهم منزلة الجاهلية»[1].

وذلك لأن القاتل لم يكن يعتقد أنَّه فعل مُحَرَّمًا، ولأن قتال البغاة إنما هو لدفعهم وردِّهم إلى الحق، لا لكفرهم[2].

ولهذا قال جمهور العلماء: «إن أهل البغي المتأولين لا يضمنون ما أتلفوه على أهل العدل بالتأويل، كما لا يضمن أهل العدل ما أتلفوه على أهل البغي بالتأويل»[3].

ولما كان الخروج على الإمام لا يأتي بخير، فقد جاءت الأحاديث النبوية تُعظِّم وتُحذِّر من الإقدام على مثل هذا العمل؛ وذلك لأن النتائج معروفة سلفًا.

حتى إن حقَّق الخارجون بعض ما يريدون، فإن المصائب والمآسي التي تُرافق الخروج، والنتائج المترتبة عليه بعد ذلك، ستكون حتمًا أعظم من المصلحة التي قُصِد من أجلها الخروج.

ولذا قال محمد بن الحنفية لأصحابه الذين كانوا يتمنَّون زوال ملك بني أمية:

---

(١) أبو بكر الخلال، السنة: ١٥٢؛ البيهقي، السنن الكبرى: ٨/ ١٧٥ والسنن الصغرى ٢/ ٢٢٩؛ الألباني، إرواء الغليل: ٨/ ١١٦.

(٢) ابن قدامة، المغني: ٨/ ٥٣٤.

(٣) ابن تيمية، الفتاوى: ١٥/ ١٧١.

«اتقوا هذه الفتن؛ فإنه لا يستشرف إليها أحد إلا استبقته، ألا إن هؤلاء القوم لهم أجل ومُدَّة، لو أجمع من في الأرض أن يُزيلوا ملكهم لم يقدروا على ذلك حتى يكون الله هو الذي يأذن فيه، أتستطيعون أن تزيلوا الجبال؟!»[1].

وكان -رحمه الله- يقول: «رحم الله امرءًا أغنى نفسه، وكفَّ يده، وأمسك لسانه، وجلس في بيته، له ما احتسب وهو مع من أحب»[2].

والحسن البصري -وهو من هو في العلم والعمل- كان يأمر الناس بعدم الانخراط في فتنة يزيد[3] بن المهلب، وابن الأشعث[4]، وكان يحث الناس على أن يُغلقوا عليهم أبوابهم، وكان يقول: «والله لو أنَّ الناس إذا ابتُلوا من قبل سلطانهم صبروا ما لبثوا أن يرفع الله عز وجل عنهم؛ وذلك أنهم يفزعون إلى السيف فيُوكلون إليه، والله ما جاءوا بيوم خير قط، ثم تلا: ﴿وَأَوْرَثْنَا ٱلْقَوْمَ ٱلَّذِينَ كَانُوا۟ يُسْتَضْعَفُونَ مَشَـٰرِقَ ٱلْأَرْضِ وَمَغَـٰرِبَهَا ٱلَّتِى بَـٰرَكْنَا فِيهَا ۖ وَتَمَّتْ كَلِمَتُ

---

(١) ابن أبي شيبة: ١١/ ١٣٢، ١٥/ ٨٠ بإسناد حسن.

(٢) ابن سعد، الطبقات الكبرى: ٥/ ٧١، ابن أبي شيبة: ١١/ ١٠٣.

(٣) يزيد بن المهلب بن أبي صفرة، الأمير، أبو خالد الأزدي، ولي المشرق بعد أبيه، ثم ولي البصرة لسليمان بن عبد الملك، كان من الأجواد الشجعان، ولما استخلف يزيد بن عبد الملك غلب على البصرة، وتسمى بالقحطاني، فسار لحربه مسلمة بن عبد الملك، فقتله سنة ١٠٢هـ (السير ٤/ ٥٠٦).

(٤) عبد الرحمن بن محمد بن الأشعث بن قيس الكندي، بعثه الحجاج إلى سجستان فثار عليه وأقبل في جمع كبير، وأقبل معه العلماء والصالحون، فقاتله الحجاج، ودامت الحرب أشهرًا، ثم انهزم إلى الملك رتبيل، وبعث به الملك رتبيل إلى الحجاج مُقيَّدًا، وفي الطريق ألقى بنفسه من مكان عال فمات سنة ٨٤هـ (السير: ٤/ ١٨٣-١٨٤).

رَبِّكَ ٱلْحُسْنَىٰ عَلَىٰ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ بِمَا صَبَرُوا۟ ۖ وَدَمَّرْنَا مَا كَانَ يَصْنَعُ فِرْعَوْنُ وَقَوْمُهُۥ وَمَا كَانُوا۟ يَعْرِشُونَ ﴾ [الأعراف: ١٣٧]»[١].

وكان يقول: «إن الحجاج عذاب الله، فلا تدفعوا عذاب الله بأيديكم، ولكن عليكم بالاستكانة والتضرُّع؛ فإنه تعالى يقول: ﴿ وَلَقَدْ أَخَذْنَٰهُم بِٱلْعَذَابِ فَمَا ٱسْتَكَانُوا۟ لِرَبِّهِمْ وَمَا يَتَضَرَّعُونَ ﴾[المؤمنون: ٧٦]»[٢].

ولم يكن الحسن البصري هو الوحيد الذي يطلب من الناس لزوم الجماعة مهما بلغ ظلم الحاكم، بل كان يشاركه الكثير من أهل العلم والقوة، فكان الأوزاعي يقول: «خمسة كان عليها الصحابة والتابعون: لزوم الجماعة، واتباع السنة، وعمارة المسجد، والتلاوة، والجهاد»[٣].

وهذا الإمام أحمد -رحمه الله- تحمَّل بنفسه العذاب والألم الذي أصابه بسبب فتنة «خلق القرآن» ولما اجتمع إليه فقهاء بغداد في ولاية الواثق، وشاوروه في ترك الرضا بإمرته وسلطانه، قال لهم: «عليكم بالنّكرة في قلوبكم ولا تخلعوا يدًا من طاعة، ولا تشقّوا عصى المسلمين، ولا تسفكوا دماءكم ودماء المسلمين»[٤].

وكان السلف -رحمهم الله- يدركون أنَّ صلاح الإمام خير من الخروج عليه؛

---

(١) ابن سعد، الطبقات الكبرى: ٧/ ١٦٥، الآجري، الشريعة: ٣٨.

(٢) ابن سعد: ٧/ ١٦٤ بإسناد صحيح ولكن مع بعض الاختلاف؛ ابن تيمية، منهاج السنة: ٤/ ٥٢٩.

(٣) ابن أبي خيثمة، التاريخ الكبير: ق١٨أ؛ الذهبي، تذكرة الحفاظ: ١/ ١٨٠.

(٤) أبو يعلى، طبقات الحنابلة: ١/ ١٤٤.

قال الفضيل بن عياض: «لو أن لي دعوة مُستجابة ما جعلتها إلّا في إمام؛ فصلاح الإمام صلاح البلاد والعباد»[١].

وهذا الذي استقرَّت عليه عقيدة أهل السنة والجماعة، وكانت هي العقيدة التي حافظت على كيان المجتمع الإسلامي من الحروب الأهلية والتناحر والفرقة التي لو استشرت في مجتمعات المسلمين لما استطاعت الصمود أمام هجمات أعدائهم عبر القرون الطويلة، وكان المسلمون فيها يمثلون قوة مرهوبة الجانب، ومجتمعًا يعتبر أرقى المجتمعات في عصره، علاوة على الازدهار الذي شمل جميع النواحي العلمية والثقافية والاجتماعية، بالرغم من الضعف والفساد السياسي الذي يلحظه كل دارس لتلك الفترة.

ولا شك أنَّ معركة الحرة تُعتبر فتنة بحدِّ ذاتها، والفتنة كما يقول شيخ الإسلام: «إنما يُعرف ما فيها من الشرِّ إذا أدبرت، فأمَّا إذا أقبلت فأنها تُزَيَّن، ويُظَنُّ أنَّ فيها خيرًا، فإذا ذاق الناس ما فيها من الشرِّ والمرارة والبلاء، صار ذلك مُبيِّنًا لهم مضرتها، وواعظًا لهم أن يعودوا في مثلها»[٢].

ومن استقرأ أحوال الفتن التي جرت بين المسلمين، تبين له أنَّه ما دخل فيها أحد فحمد عاقبة دخوله؛ لما يحصل له من الضرر في دينه ودنياه، ولهذا كانت من باب المنهي عنه، والإمساك عنها من المأمور به الذي قال الله فيه: ﴿ لَّا تَجْعَلُوا۟ دُعَآءَ ٱلرَّسُولِ بَيْنَكُمْ كَدُعَآءِ بَعْضِكُم بَعْضًاۚ قَدْ يَعْلَمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ يَتَسَلَّلُونَ مِنكُمْ

---

(١) الذهبي، سير أعلام النبلاء: ٨/ ٤٣٤.

(٢) الذهبي، سير أعلام النبلاء: ٨/ ٤٣٤.

لِوَاذًاۚ فَلْيَحْذَرِ ٱلَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِۦٓ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾ [التوبة: ٦٣].

«والفتنة يكون فيها من الشبهات ما يلبس الحق بالباطل، حتى لا يتميز لكثير من الناس، ويكون فيها من الأهواء والشهوات ما يمنع قصد الحق وإرادته، ويكون فيها من ظهور قوة الشر ما يضعف القدرة على الخير»[١].

ويعتبر ابن تيمية أنَّ الخارجين على الولاة لا يخرجون عن أمرين اثنين:

الأمر الأول: الخروج على الإمام عن تصوُّرٍ فاسد؛ وهو ما يكون عليه اعتقاد أهل البدع.

الأمر الثاني: من يُقاتل على اعتقاد رأي يدعو إليه مخالف للسنة والجماعة؛ كأهل الجمل، وصفين، والحرة، والجماجم وغيرهم. لكن يُظنّ أنه بالقتال تحصل المصلحة المطلوبة.

وقد بيَّن -رحمه الله- أنَّ السبب في خروجهم هو ظنهم أنّه بالقتال تحصل المصلحة المطلوبة، فلا يحصل بالقتال ذلك، بل تعظم المفسدة أكثر مما كانت، فيتبيَّن لهم آخر الأمر ما كان الشارع دلَّ عليه من أوَّل الأمر[٢].

ولعل السؤال الذي يطرح نفسه هو: لماذا خرج أهل المدينة على يزيد بن معاوية، والنصوص النبوية واضحة في النهي عن الخروج؟

ويمكن الإجابة على هذا التساؤل بأن أهل المدينة إنما خرجوا على يزيد

(١) سير أعلام النبلاء: ٤/ ٥٤٢.

(٢) ابن تيمية، منهاج السنة: ٤/ ٥٣٨.

للأسباب الآتية:

١- غلب على ظنهم أنه بخروجهم على يزيد سوف تحصل المصلحة المطلوبة التي من أجلها أرادوا الخروج، وترجع الشورى إلى حياة المسلمين، ويتولَّى على البلاد أفضلها.

٢- فيهم من لم تبلغه النصوص النبوية الخاصة بالنهي عن الخروج على الأئمة.

٣- فيهم من يرى أنَّ هذه النصوص غير دالة على موارد الاستدلال.

٤- فيهم من يعتقد بأن هذه النصوص منسوخة.

وقد كان السببان الأخيران اللذان جعلا ابن حزم وغيره، يرون إنكار المنكر ولو بالقوة، وهو يرى أن هذا هو عمل أهل صفين، والجمل، والحرة، والحسين، وابن الزبير -رضي الله عنهم- وكل من كان معهم[1].

وكان ابن حزم -رحمه الله- يرى إزالة الحاكم إن كان ظالمًا، ولو بالقوة[2]؛ لاستدلاله بقوله تعالى: ﴿وَتَعَاوَنُوا۟ عَلَى ٱلْبِرِّ وَٱلتَّقْوَىٰ ۖ وَلَا تَعَاوَنُوا۟ عَلَى ٱلْإِثْمِ وَٱلْعُدْوَٰنِ﴾ [المائدة: ٢] وقد سبق لذلك أبو حنيفة رحمه الله[3].

وهذا الرأي يراه إمام الحرمين أيضًا؛ حيث يقول: «وإذا جاء الوالي فظهر ظلمه وغشمه، فلأهل الحل والعقد التواطؤ على خلعه ولو بشهر الأسلحة،

---

(١) ابن حزم، الدرة فيما يجب اعتقاده: ٣٧٦.

(٢) ابن حزم، الفصل: ٤/ ١٨٠.

(٣) المعلمي، التنكيل: ٢٨٨.

ونصب الحروب»[١].

وابن حجر يقول: «وأما من خرج على طاعة إمام جائر أراد الغلبة على ماله أو نفسه أو أهله فهو معذور ولا يحل قتاله، وله أن يدفع عن نفسه وماله وأهله بقدر طاقته؟... قلت: وعلى ذلك يُحمَل ما وقع للحسين بن علي، ثم لأهل المدينة في الحرة، ثم لعبد الله بن الزبير، ثم للقرَّاء الذين خرجوا على الحجاج في قصة عبد الرحمن بن محمد بن الأشعث»[٢].

وكلام ابن حجر في أوَّله لا يناقش فيه، ولكن قوله: «على ذلك يُحمل ما وقع للحسين بن علي ثم لأهل المدينة...» هو محل النقاش: فأي جور رأوه من يزيد، وخصوصًا الحسين بن علي وابن الزبير؛ لقد كانت معارضة الحسين بن علي وابن الزبير ليزيد قبل أن يكون خليفة، ولم يخرجوا عليه بسبب جَوْره أو شيءٍ من ذلك، بل كان مقصد الخروج: أنهم يرون في أنفسهم الكفاءة والفضل والخير أكثر من يزيد.

ولقد أجاب الشوكاني -رحمه الله- على الذين يستدلُّون بوجوب الخروج على الظلمة، ومنابذتهم بالسيف، ومكافحتهم بالقتال، وقال: «استدلُّوا بعمومات من الكتاب والسنَّة في وجوب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ولا شك ولا ريب أنَّ الأحاديث التي ذُكرت في هذا الباب أخصُّ من تلك العمومات مُطلقًا،

---

(١) النووي، شرح صحيح مسلم: ٢/ ٢٥-٢٦.

(٢) ابن حجر، الفتح: ١٢/ ٣١٥.

وهي متواترة بالمعنى كما يعرف ذلك من له أنسة بعلم السنة»[١].

وأجاب القاضي عياض على خروج الحسين، وأهل الحرة، وابن الأشعث، وغيرهم من السلف بقوله: «على أنَّ الخلاف -وهو جواز الخروج أو عدمه- كان أولاً، ثم حصل الإجماع على منع الخروج عليهم، والله أعلم»[٢].

وهذه إجابة ابن حجر -رحمه الله- في موضع آخر من كتبه؛ حيث قال في ترجمة الحسين بن صالح، في معرض ردِّه على التهمة التي وجهت له بأنه يُريد السيف، قال: «يعني كان يرى الخروج بالسيف على أئمة الجور. وهذا مذهب للسلف قديم، لكن استقرَّ الأمر على ترك ذلك؛ لَمَّا رأوه قد أفضى إلى أشدِّ منه؛ ففي وقعة الحرة، ووقعة ابن الأشعث، وغيرهما عظة لمن تدبَّر...»[٣].

ولا أظن أنَّ هذا يمثل مذهبًا مستقلاً لعامة السلف؛ بدليل أنَّ الكثير لم يروا رأي أولئك الذين خرجوا على ولاة الأمور في الدولة الأموية، ثم إن المجتمع نفسه أصبح على وعي كبير بخطورة الخروج وعواقبه، ومما يدل على ذلك: ما ذكره ابن سعد في ترجمة مسلم[٤] بن يسار البصري قال: «وكان عند الناس أرفع من الحسن البصري حتى خرج مع ابن الأشعث، فوضعه ذلك عند الناس»[٥].

---

(١) الشوكاني، نيل الأوطار: ٧/ ٣٦٢.

(٢) النووي، شرح صحيح مسلم: ١٢/ ٢٢٩.

(٣) ابن حجر، تهذيب التهذيب: ٢/ ٢٥٠.

(٤) مسلم بن يسار البصري، نزيل مكة، أبو عبد الله الفقيه، ويقال له مسلم سُكرة، ومسلم المُصْبح، ثقة، عابد، من الرابعة، مات سنة مائة أو بعدها. (التقريب: ٥٣١).

(٥) ابن سعد، الطبقات: ٧/ ١٦٥، ابن حجر، تهذيب التهذيب: ١٠/ ١٢٨.

ولكن الذي ينبغي أن تُحْمل عليه أفعال السلف من الصحابة والتابعين أنهم مجتهدون محمولون على الحق في الظاهر؛ ففيهم الصحابة والتابعون، وهم أفضل القرون -رحمهم الله ورضي عنهم- فما اختلفوا إلا عن بيِّنة، وما قاتلوا أو قُتلوا إلّا في سبيل جهاد، أو إظهار حق[١].

ولا شك أنّ أهل الحرة الذين خرجوا على يزيد هم أتقى لله، وأطوع لسنَّة رسول الله ﷺ من جماعة ممن جاء بعدهم من أهل العلم[٢].

ففيهم عبد الله بن حنظلة غسيل الملائكة، وهو من الصحابة الصغار رضي الله عنه[٣]، وكان زاهدًا تقيًا خاشعًا منيبًا لله عزّ وجلّ[٤].

وفيهم عبد الله بن مطيع القرشي: أخرج له مسلم في صحيحه[٥] وهو من صغار الصحابة[٦].

علاوة على العدد الوفير من عباد وزهاد المدينة رحمهم الله[٧].

---

(١) ابن خلدون، المقدمة: ١/ ٢٧٢، ٢٧٣.

(٢) صديق حسن خان، العبرة مما جاء في الغزو والشهادة: ٣٣.

(٣) لقد رأى رسول الله ﷺ على ناقته يطوف بالبيت. انظر: الدارمي، السنن: ٢/ ٦٢؛ ابن ماجه: ٢/ ١٠٠٩؛ الترمذي، السنن: ٣/ ٢٦٤؛ ابن عساكر، تراجم حرف العين (عبد الله بن حنظلة): ٢٢٠.

(٤) ابن سعد، الطبقات: ٥/ ٦٥؛ خليفة، الطبقات: ٥٩٣؛ ابن عبد البر، الاستيعاب: ٣/ ٨٩٢؛ ابن الأثير، أسد الغابة: ٣/ ١٤٧؛ الذهبي، السير: ٤/ ٨٢؛ ابن حجر، الإصابة: ٣/ ٢٩٩.

(٥) صحيح مسلم: ٣/ ١٤٠٩ (١٧٨٢).

(٦) ابن حجر، الإصابة: ٥/ ٢٦.

(٧) لقد ورد أنّ رسول الله ﷺ مرّ بحرة زهرة ووقف عليها واسترجع، ثم قال: «يقتل بهذه الحرة خيار أمتي بعد أصحابي». انظر: يعقوب، المعرفة والتاريخ: ٣:٣٢٧. قال البيهقي: وهو =

ومن المعلوم أنَّ أهل الحرة متأوِّلون، والمتأوِّل المخطئ مغفور له بالكتاب والسنة، كما قال تعالى في دعاء المؤمنين: ﴿رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَا إِن نَّسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا﴾ [البقرة: ٢٨٦].

وثبت في الصحيح أنّ رسول الله ﷺ قال: (**إنّ الله عزّ وجلّ قال: قد فعلت**)(١).

وقال ﷺ: (**إنّ الله تجاوز عن أمتي الخطأ والنسيان**)(٢).

والرسول ﷺ يقول: (**والله ما أخشى عليكم الفقر، ولكن أخشى عليكم التكاثر، وما أخشى عليكم الخطأ، ولكن أخشى عليكم العمد**)(٣).

ولما كان الخارجون على يزيد والحجاج بن يوسف لا يريدون إلّا الخير لأمتهم، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، فقد كان العلماء يقولون: «إنه لم تخرج خارجة خير من أصحاب الجماجم والحرة»(٤).

فكانوا -رحمهم الله- أرادوا أن يعملوا خيرًا، وأن ينكروا منكرًا، فوقعوا في منكر أعظم مما خرجوا لإنكاره؛ من: قتل النفس، وأخذ المال، ومن تعطيل

= مرسل، (الدلائل ٦/ ٤٧٣)؛ وهذا قول ابن كثير أيضًا في (البداية: ٦/ ٢٣٨)، وقد أخرجه أيضًا الواقدي في كتاب الحرة. انظر: السمهودي، وفاء الوفاء: ١/ ١٢٤-١٢٥) وبهذا يبقى الحديث ضعيفًا لعلة الإرسال.

(١) صحيح مسلم: ١/ ١٦١ (٢٠٠)؛ أحمد، المسند: ٣/ ٣٤١-٣٤٢ (٢٩٧٠) بمعناه؛ الطبري، التفسير: ٦/ ١٤٢-١٤٥.

(٢) ابن ماجه: ١/ ٦٥٩؛ الألباني، صحيح الجامع الصغير: ٢/ ١٠٢.

(٣) أحمد، المسند: ١٥/ ١١٤ (٨٠٦٠) وقال المحقق رحمه الله: إسناده صحيح. وقال الهيثمي في مجمع الزوائد: (٣/ ١٤١): رواه أحمد ورجاله رجال الصحيح؛ المنذري، الترغيب والترهيب: ٤/ ١٠٥-١٠٦.

(٤) أحمد، العلل ومعرفة الرجال: ٢/ ٢٩١.

الجهاد والثغور، وغير ذلك من المفاسد.

ولهذا «فإن المنكر إذا لم يُزَل إلا بما هو أنكر منه، صار إزالته على هذا الوجه منكرًا، وإذا لم يحصل المعروف إلا بمنكر مفسدته أعظم من مصلحة ذلك المعروف، كان تحصيل ذلك المعروف على هذا الوجه منكرًا»[١].

ثم إنَّ إنكار المنكر فرض كفاية، فإن خاف من ذلك على نفسه أو ماله أو على غيره سقط الإنكار بيده ولسانه ووجبت كراهته بقلبه، وهذا ما أجمع عليه العلماء[٢].

وهذا بعينه هو الحكمة التي راعاها الشارع ﷺ في النهي عن الخروج على الأمراء، وندب إلى ترك القتال في الفتنة، وإن كان الفاعلون لذلك يرون أنَّ مقصودهم الأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر؛ كالذين خرجوا بالحرة...[٣].

ولأن الفساد الناشئ عن القتال في الفتنة، أعظم من فساد ظلم ولاة الأمر، فلا يُزال أخفُّ الفسادين بأعظمهما[٤].

والله تعالى بعث رسوله ﷺ بتحصيل المصالح وتكميلها، وتعطيل المفاسد وتقليلها. وقلَّ من خرج على إمام ذي سلطان إلا كان ما يتولَّد من الشرِّ أعظم مما يتولّد من الخير. فأما أهل الحرة، وابن الأشعث، وابن المهلب، وغيرهم فهُزموا وهُزم أصحابهم، فلا أقاموا دينًا ولا أبقوا دنيا.

---

(١) منهاج السنة: ٤/ ٥٣٦.

(٢) النووي، شرح صحيح مسلم: ١٢/ ٢٣٠.

(٣) ابن تيمية، منهاج السنة: ٤/ ٥٣٦. (بتصرف).

(٤) المصدر نفسه: ٤/ ٥٤٢. (بتصرف).

وأهل الحرة ليسوا أفضل من علي، وعائشة، وطلحة، والزبير، وغيره، ومع هذا لم يحمدوا ما فعلوه من القتال، وهم أعظم قدرًا عند الله، وأحسن نيَّة من غيرهم[(١)].

وبعد هذا، فإن الذي عليه الأكثر من العلماء أنَّ الصبر على طاعة الإمام الجائر أولى من الخروج عليه؛ لأن في منازعته والخروج عليه استبدال الأمن بالخوف، وإراقة الدماء، وانطلاق أيدي السفهاء، وشن الغارات على المسلمين، والفساد في الأرض[(٢)].

وما أجمل ما ذكر ابن القيّم في هذا الصدد؛ حيث قال:

«إن الشريعة مبناها وأساسها على الحكم ومصالح العباد في المعاش والعباد، وهي عدل كلها، ورحمة كلها، ومصالح كلها، وحكمة كلها، فكل مسألة خرجت عن العدل إلى الجور، وعن الرحمة إلى ضدها، وعن المصلحة إلى المفسدة، وعن الحكمة إلى العبث، فليست من الشريعة وإن أُدخلت فيها بالتأويل؛ فالشريعة عدل الله بين عباده، ورحمته بين خلقه...، وقد شرع النبي ﷺ لأمته إنكار المنكر ليصلح بإنكاره من المعروف ما يحبه الله ورسوله، فإذا كان إنكار المنكر يستلزم ما هو أنكر منه، وأبغض إلى رسوله فإنه لا يسوغ إنكاره، وإن كان الله يُبغضه ويمقت أهله، وهذا كالإنكار على الملوك والولاة والخروج عليهم؛ فإنه أساس كل شرٍّ وفتنة إلى آخر الدهر. وقد استأذن الصحابة رسول الله ﷺ في قتال الأمراء الذين يؤخِّرون الصلاة عن وقتها، وقالوا: أفلا نقاتلهم؟ فقال: (**لا ما أقاموا الصلاة**)[(٣)].

---

(١) منهاج السنة: ٤/ ٤٢٧، ٤٢٨. (بتصرف).

(٢) القرطبي، الجامع لأحكام القرآن: ٢/ ١٠٩.

(٣) صحيح مسلم: ١/ ٤٤٨ (٢٤٠)، الساعاتي، الفتح الرباني: ٢٣/ ١٨٣؛ أبو داود، السنن مع عون المعبود: ٢/ ٩٨.

وقال: (**من رأى من أميره ما يكرهه فليصبر ولا ينـزعنَّ يدًا من طاعة**). ومـن تأمَّل ما جرى على الإسـلام في الفـتن الـصغار والكبـار رآهـا مـن إضـاعة هـذا الأصل، وعدم الصبر على المنكر فطلب إزالته، وتولَّد منه ما هو أكـبر منـه، وقـد كان رسول الله ﷺ يرى بمكة أكبر المنكرات ولا يستطيع تغييرها، بل لمَّا فـتح الله مكة وصارت دار الإسلام، عزم على تغيـير البيـت، وردِّه عـلى قواعـد إبـراهيم، ومنعه من ذلك -مع قدرته عليه- خشيته وقوع ما هو أعظم منه من عدم احـتمال قريش لذلك، لقرب عهدهم بالإسلام، وكونهم حديثي عهد بكفر، ولهذا لم يأذن في الإنكار على الأمراء باليد لما يترتب عليه من وقوع ما هو أعظم...»[1].

---

(١) ابن القيم، أعلام الموقعين: ٣/ ١٤-١٦.

الفصل الخامس

معارضة عبد الله بن الزبير رضي الله عنه



الفصل الخامس

معارضة عبد الله بن الزبير رضي الله عنه

تمهيد: عرض مصادر معارضة ابن الزبير:

قد يكون من الطبيعي جدًا أن لا نجد مادة غزيرة بالمعلومات عن معارضة ابن الزبير، ومحاصرته الأولى في مكة على يد الجيش الأموي؛ وذلك مردُّه إلى طبيعة الحدث، وعدم وضوح نهايته.

فابن الزبير ﷺ طوال معارضته لخلافة يزيد، لم يحدث أي احتكاك بينه وبين يزيد.

وكان قرار يزيد إرسال الحملة التي قادها عمرو بن الزبير، هي أهم حادثة في تلك السنوات.

ثم أرسل جيش مسلم بن عقبة، وحدثت معركة الحرة، وتمَّ حصار ابن الزبير حوالي الشهرين، ولم يصل الحصين بن نمير إلى وضع حد لمعارضة ابن الزبير؛ وذلك بسبب وفاة يزيد بن معاوية.

ولم يتخلَّل الحصار من الحوادث المهمة سوى حريق الكعبة فقط، إضافة إلى المعارك الجانبية، والمناوشات التي استمرت بين ابن الزبير والحصين بن نمير.

إذًا لم يكن هناك حدث كبير ومهم يجعل الإخباريين يهتمون بالحصار الأول كاهتمامهم بالحصار الثاني مثلاً؛ وذلك للظروف والنتائج التي تُفرِّق بين الحصارين.

ونجد أنَّ الرواة الذين أرَّخوا لمعركة الحرة، هم نفس الرواة الذين أرَّخوا لمعارضة ابن الزبير وحصاره الأول؛ فعوانة بن الحكم أورد بعض الأخبار المهمة

التي لها علاقة مباشرة بابن الزبير، وقد أخذ عنه الطبري[١] والبلاذري[٢].

وأبو مخنف ساق له الطبري[٣] رواية واحدة تتعلق بحصار ابن نمير لابن الزبير، وأمَّا حملة عمرو بن الزبير فلم يتناولها الطبري مُطلقًا، وقد اقتبس منه البلاذري[٤] عدّة روايات، ولا شك أنها من كتابه التاريخي الذي شمل «حصار ابن الزبير»[٥].

وأما الهيثم بن عدي، فقد أخذ عنه البلاذري عدة نصوص، وليست بذات أهمية لمعارضة ابن الزبير[٦].

وأما وهب بن جرير، فقد نقل عنه البلاذري[٧] روايتين تتعلَّقان بابن الزبير، وإحدى هاتين الروايتين من طريق ابن أبي خيثمة.

وقد شارك الواقدي بروايات عديدة، وبالأخصِّ حول حريق الكعبة، فكان الاعتماد في الغالب عليه.

وقد نقل عنه الطبري[٨]، والبلاذري[٩]، والأزرقي[١٠]، وتلميذه ابن سعد[١١].

---

(١) الأمم والملوك: ٥/ ٤٦٩، ٤٩٧، ٥٠١.

(٢) أنساب الأشراف: ٤/ ٣٠٥، ٣٠٧، ٣٢٠، ٣٤٤.

(٣) الأمم والملوك: ٥/ ٤٩٦.

(٤) أنساب الأشراف: ٤/ ٣٠٧، ٣٠٩، ٣١٢، ٣١٣، ٣٣٧، ٣٣٩، ٣٤٣.

(٥) ابن النديم، الفهرست: ١٠٥.

(٦) أنساب الأشراف: ٤/ ٣٠٦، ٣١٦، ٣٢٧، ٣٤٠، ٣٤٣.

(٧) المصدر نفسه: ٤/ ٣٠٩، ٣١٠.

(٨) الأمم والملوك: ٥/ ٤٩٨. حول حريق الكعبة.

(٩) أنساب الأشراف: ٤/ ٣٠٧، ٣٠٩، ٣١١، ٣١٤، ٣٣٨ (٣٤٧، ٣٤٩) حول حريق الكعبة.

(١٠) أخبار مكة: ١/ ١٩٧، ١٩٨، ١٩٩ عن حريق الكعبة.

(١١) الطبقات الكبرى: ٥/ ١٤٥، ١٥٨، ١٥٩، ط٥/ ٤٧٣، ٤٧٦، ٤٥٧، ٤٥٨.

وأظن أنّ الصيغة التي يستخدمها البلاذري[١] عند سوقه لبعض الحوادث بلفظ «قالوا» أنه يقصد بها روايات الواقدي الجمعية الإسناد.

ولعل الروايات التي اقتبسها المتأخِّرون كان مصدرها كتابه المسمَّى: «أخبار مكة»[٢].

وفي المقابل نجد أنَّ المدائني الذي له تأليف خاص حول «حملة عمرو بن الزبير»[٣]، لم يُنقلْ عنه شيء فيما يخص حملة عمرو بن الزبير، وهو أمر محير جدًا.

وانحصرت روايات المدائني التي أخذ منها كل من البلاذري[٤]، وخليفة[٥] حول حصار ابن الزبير الأول، ولعل مصدر تلك الروايات كتابه: «الخلفاء الكبير» الذي تناول يزيد وابن الزبير[٦].

ومن المشاركين في أخبار ابن الزبير: عبد الملك بن جريج[٧] المتوفى سنة ١٥٠ هـ؛ فقد نقل عنه خليفة[٨] في ثلاثة مواضع تتعلق بحريق الكعبة، وساق له الأزرقي[٩]

---

(١) أنساب الأشراف: ٤/ ٣٠٤، ٣٣٨، ٣٤٤، ٣٤٥.

(٢) ابن النديم، الفهرست: ص١١١.

(٣) ابن النديم، الفهرست: ص١١٥.

(٤) أنساب الأشراف: ٤/ ٣٣٧، ٣٣٩، ٣٤٠، ٣٤٢، ٣٤٣، ٣٤٤، ٣٤٥، ٣٤٦، ٣٥١.

(٥) تاريخ خليفة: ٢٥١، ٢٥٢.

(٦) الفهرست: ص١١٥.

(٧) عبد الملك بن عبد العزيز بن جريج، الإمام العلامة، الحافظ، شيخ الحرم، كان يدلِّس ويرسل. ت سنة ١٥٠هـ. (تاريخ بغداد: ١٠/ ٤٠٠؛ الذهبي، السير: ٦/ ٣٢٥ وما بعدها، ابن حجر، تقريب التهذيب: ٣٦٣).

(٨) تاريخ خليفة: ٢٥٢.

(٩) أخبار مكة: ١/ ٢٠١.

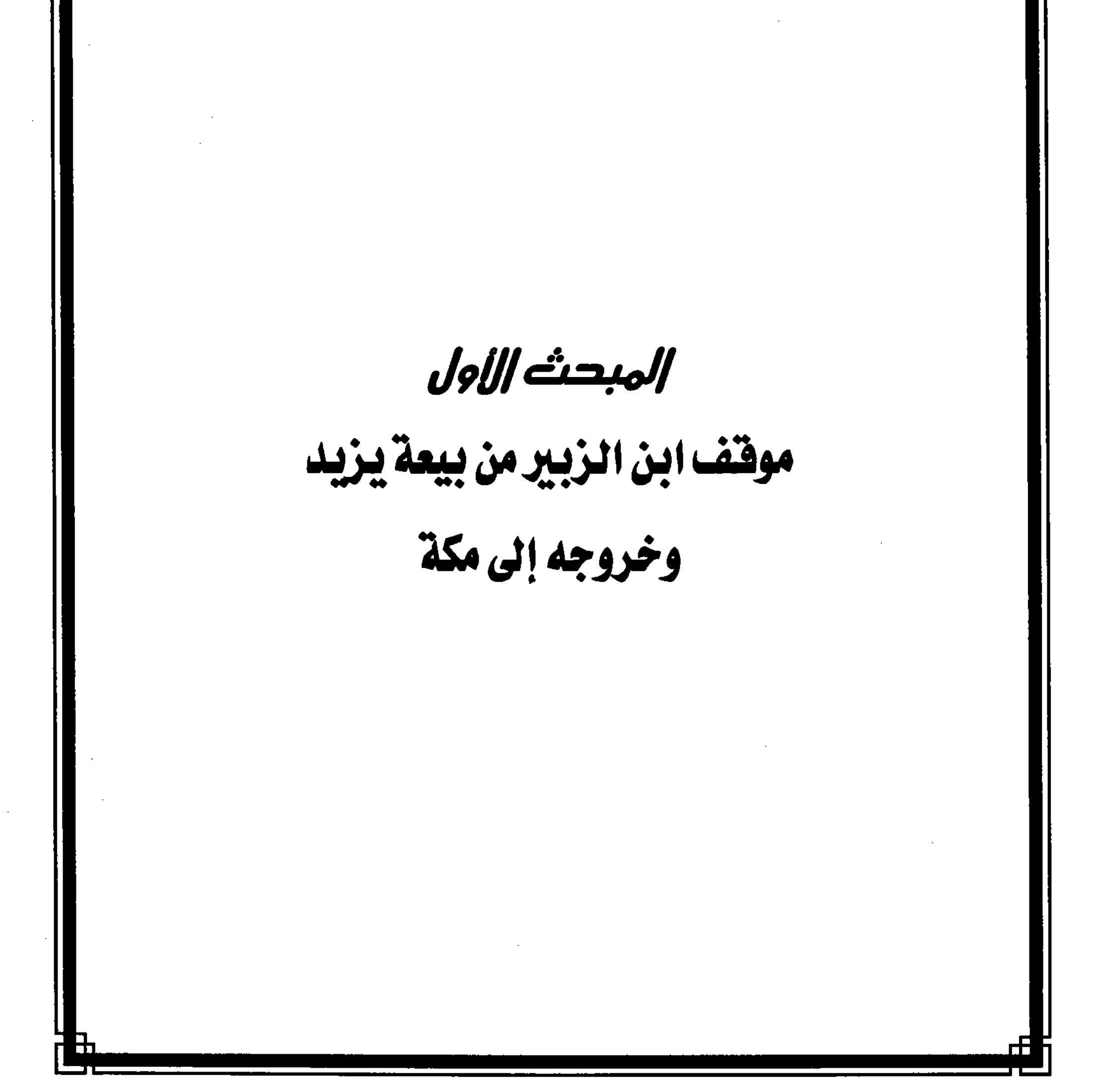
رواية طويلة مهمة تتعلق بتطور النـزاع بين ابن الزبير ويزيد بن معاوية، ثم ما أعقب ذلك من حملة عمرو بن الزبير، وحملة الحصين بن نمير وحريق الكعبة.

ونجد أنَّ ابن جريج هو أول من صنف الكتاب، هو وابن أبي عروبة على حد قول الإمام أحمد[1].

ولعل تلك الروايات التي اقتبسها خليفة والأزرقي عن ابن جريج حول حريق الكعبة مأخوذة عن هذه الكتب باعتبارها حادثة مهمة، وكون ابن جريج عاش في مكة، وقريبًا من الذين عاصروا الحدث، فليس الغريب أن تُؤْثر عنه تلك الروايات.

---

(١) الذهبي، السير: ٦/ ٣٢٧.



المبحث الأول

موقف ابن الزبير من بيعة يزيد وخروجه إلى مكة



المبحث الأول

موقف ابن الزبير من بيعة يزيد وخروجه إلى مكة

١- موقف ابن الزبير من بيعة يزيد بن معاوية:

كان ابن الزبير ﷺ، رافضًا ومُتصلّبًا في رأيه بشأن بيعة يزيد بن معاوية عندما حج معاوية ﷺ، وحرص على أخذ البيعة ليزيد من ابن عمر، والحسين بن علي، وابن الزبير.

وكان الدَّافع الذي أبداه في سبب الممانعة هو: كيف يجوز أن يبايع لخليفتين وكلاهما على قيد الحياة؟ ولم يورد ابن الزبير أي اعتراض على شخص يزيد خلال محادثته مع معاوية(١).

إلا أن ذلك الموقف الذي أبداه ابن الزبير حيال أخذ البيعة ليزيد، جعل معاوية ﷺ يقف موقف المتشكك من صحة ما ذكره ابن الزبير، بل إن معاوية كان على معرفة بطبيعة ابن الزبير، وأنه لن يبايع ليزيد، ولذا فقد أوصى يزيد بقوله: «وأما ابن الزبير فإنه خبٌّ ضبٌّ، فإذا شَخَصَ لك فالبدْ له، إلا أن يلتمس منك صلحًا، فإن فعل فاقبل منه...»(٢).

لقد كان ابن الزبير ﷺ، يتميز بصفات كثيرة جعلته يرى في نفسه أنه أهل لمنصب خلافة المسلمين بعد وفاة معاوية، إضافة لنسبه الكريم؛ حيث أبوه الزبير

---

(١) راجع فصل البيعة، ص ١٢٣، ١٢٤، ١٢٧.

(٢) البلاذري، أنساب الأشراف: ٤/ ١/ ١٤٥ عن عوانة؛ الطبري: ٥/ ٣٢٣ عن عوانة؛ ابن عبد ربه، العقد الفريد: ٤/ ٣٢٧، ٣٧٢ عن الهيثم بن عدي.

ابن العوام أحد العشرة المبشرين بالجنة، وأحد فرسان المسلمين المشهورين، وحواريُّ رسول الله ﷺ[١]، وأمه أسماء بنت أبي بكر ذات النطاقين[٢] رضي الله عنها، وجدُّه من جهة أمه الصديق أبو بكر خليفة رسول الله ﷺ وصاحبه، وأفضل رجل طلعت عليه الشمس بعد رسول الله ﷺ، إضافة إلى ذلك كان يتمتَّع بشجاعة نادرة، وإقدام على المخاطر دون خوف أو وجل[٣].

ثم كان أول مولود يولد للمسلمين بعد الهجرة[٤]، وارتجّت المدينة بالتكبير عند ولادته، وكان أول شيء دخل جوفه ريق رسول الله ﷺ حين قام بتحنيكه[٥].

وكانت عائشة تتكنَّى بـ أم عبد الله بأمر من رسول الله ﷺ[٦].

علاوة على أنه كان أحد فقهاء الصحابة المعدودين، إلى غير ذلك من الصفات الحميدة التي كانت تجتمع في شخصيته رضي الله عنه[٧].

وكان إذا ذكر ابن الزبير عند ابن عباس قال: «قارئ لكتاب الله، عفيف في الإسلام، أبوه الزبير، وأمُّه أسماء، وجدُّه أبو بكر، وعمته خديجة، وخالته عائشة،

---

(١) أحمد، فضائل الصحابة: ٢/ ٧٣٤، البخاري مع الفتح: ٧/ ٩٩، صحيح مسلم: ٤/ ١٨٧٩.

(٢) الذهبي، السير: ٣/ ٣٧٠، ٣٧١.

(٣) البخاري مع الفتح: ٧/ ٢٧٢.

(٤) صحيح مسلم: ٣/ ١٦٩١، أحمد، المسند: ٦/ ٣٤٧، أبو بكر بن أبي عاصم، الأوائل: ٦٢، ٦٣، ٧٥.

(٥) البخاري مع الفتح: ٧/ ٢٩٢، الساعاتي، الفتح الرباني: ٢٣/ ١٨٤-١٨٥.

(٦) أحمد، المسند: ٦/ ١٠٣، ١٨٦، ٢٦٠.

(٧) أحمد الشيرازي، طبقات الفقهاء: ٥٠، الذهبي، السير: ٣/ ٣٦٣-٣٦٤.

وجدَّته صفية، والله إني لأحاسب له نفسي محاسبة لم أحاسب بها لأبي بكر وعمر»(١).

وكان معاوية ﷺ يعرف مكانة ابن الزبير، ويُبالغ في إكرامه، ويقول: «مرحبًا بابن عمة رسول الله ﷺ»(٢)، ويغضُّ عن شدَّة ابن الزبير، وكثيرًا ما يتحمّله، وكان يقول عنه: «من يكفيني ابن الزبير؛ فوالله ما أردت أمرًا إلا عاندني فيه»(٣).

وقد حاول معاوية ﷺ أن يتقرَّب من ابن الزبير؛ وذلك بخطبة أم حكيم بنت عبد الله إلى ابنه يزيد، ولكنه رفض(٤).

لقد كان معاوية على معرفة بخصائص شخصية ابن الزبير، ويعرف حرصه على الإمارة، ويحذِّره ويقول: «إن الشحّ والحرص لن يدعاك حتى يُدخلاك مدخلاً ضيِّقًا. فلمّا حُصر ابن الزبير، قال: هذا ما قال لي معاوية، وددت أنه كان حيًا»(٥).

ولربما احتدّ النقاش بين معاوية وابن الزبير، ويلجأ ابن الزبير حينئذ إلى التهديد بمعارضة يزيد، فيرد عليه معاوية ويقول: «أما إني لا أخافك إلّا على نفسك، وكأنِّي بك قد تورطّت في الحبالة، فعلقتك الأنشُوطة، فليتني عندك

---

(١) البخاري مع الفتح: ٨/ ١٧٧، أبو نعيم، حلية الأولياء: ١/ ٣٣٤، الحاكم، المستدرك: ٣/ ٥٤٩.

(٢) ابن سعد، ط٥/ ٤٥٣ وقال محققه: إسناده مرسل ورجاله ثقات؛ ابن بدران، تهذيب تاريخ ابن عساكر: ٧/ ٣٩٩؛ الذهبي، السير: ٣/ ٣٦٧.

(٣) البلاذري، أنساب الأشراف: ٤/ ١/ ٧١، ٧٧، ٧٨ عن المدائني.

(٤) ابن سعد، ط٥/ ٣٣٥، الزبير بن بكار، جمهرة نسب قريش: ٢٦٤ بإسناد فيه ضعف بسبب الزبير بن خبيب، ولما أن الراوي لم يُذكر عنه الكذب ولم يُتَّهم به، فإن هذه الرواية تعتبر لها قيمتها بسبب علاقة الراوي: حيث جدُّه عبد الله بن الزبير.

(٥) البلاذري، أنساب الأشراف: ٤/ ٣٤٦-٣٤٧ بسند حسن.

فأنشلك منها، ولبئس الولي أنت في تلك الساعة»[١].

ولقد أدرك ابن الزبير - فيما بعد - مكانة معاوية وحلمه، وكيف كان يُقابل شدَّتهم في معارضته باللين، وقسوتهم بالرفق، وتعنُّتهم بالتودُّد، وكان يقول بعد وفاة معاوية: «لله درُّ معاوية؛ إن كان ليتخادع لنا وإنه لأدهى العرب، مع حلم لا يُنادى وليده، وإن كان ليتضاعف لنا وهو أنجد العرب...»[٢].

٢- خروج ابن الزبير إلى مكة، واستقراره بها:

بقي ابن الزبير على رفضه البيعة ليزيد بالخلافة ما دام معاوية على قيد الحياة، وقد كان هذا الشرط في حقيقته ليس مُلزمًا لابن الزبير بوجوب البيعة ليزيد إذا توفي معاوية، بل كان عذرًا مرنًا يحتمل أكثر من تأويل، وكان معاوية يعرف هذه الحقيقة، ولم يكن يُداخله أيُّ شعور بالاطمئنان من جهة ابن الزبير.

وكان ابن الزبير قد عقد العزم على عدم البيعة ليزيد، وكان الذي يُشاطره هذا الشعور الحسين بن علي -رضي الله عنهما- فكل منهما يرى في نفسه الأهلية والأحقية بالخلافة دون يزيد.

وتواعدا - ابن الزبير والحسين بن علي - على الهروب من المدينة إلى مكة، وذلك بعدا أن جاءت الأخبار بأن معاوية ﷺ قد توفي.

وقد حاولا أن يوجدا أعذارًا للتخلُّص من إلحاح والي المدينة - الوليد بن عتبة - عليهم بالبيعة ليزيد، وكان عذر ابن الزبير للوليد بن عتبة من عدم

---

(١) البلاذري، أنساب الأشراف: ٤/ ٧٥ عن المدائني.

(٢) المصدر نفسه: ٤/ ٨٣ عن المدائني.

إمكانية البيعة في تلك الليلة التي طلُب فيها للبيعة «أني - أي ابن الزبير - أعلم أنَّ في نفسه شيئًا - أي يزيد - لتركي بيعته في حياة أبيه، وإن بايعت على هذه الحال توهَّم أني مُكره، فلم يقع ذلك منه بحيث أُريد، ولكني أُصبح ويجتمع الناس، ويكون ذلك علانية إن شاء الله»(١).

وأمام هذا العذر المقنع الذي قدَّمه ابن الزبير، تخلَّى الوليد عن إلحاحه على ابن الزبير بوجوب البيعة في تلك الليلة، ولكن مروان بن الحكم -وهو الشخص الذي مارس الإمارة وقتًا طويلاً من الزمن، إضافة إلى حنكته السياسية، ودهائه، ونظرته المتَّزنة إلى عواقب الأمور، ومعرفته بشخص ابن الزبير وطموحاته- اعترض على تصرُّف الوليد هذا، وحاول أن يثنيه. وقام ابن الزبير باستغلال هذا الموقف، فنقل الخلاف، وجعله بينه وبين مروان، وتسابّا حتى حجز بينهما الوليد ابن عتبة، وأذِن لابن الزبير بالانصراف(٢).

والحقيقة أن الوليد بن عتبة لا يُلام على تصرُّفه هذا مع ابن الزبير؛ فهو لا يريد أن تتم البيعة بالقوة، وهو يعرف أنَّ الحسين بن علي وابن الزبير لهما تقديرهما وجلالتهما في المدينة، وأيُّ تصرُّف تُستخدم فيه الشدة قد يكون شرارة نزاع وحرب، ثم إن الوليد قد رأى من كلام ابن الزبير عقلانية وإقناعًا واضحًا بموقفه، فلا داعي لأن يحمل الوليد بن عتبة كلام ابن الزبير على غير المحمل الحسن.

---

(١) خليفة، التاريخ: ٢٣٢، ٢٣٣، عن جويرية عن مشايخ من المدينة، ابن عساكر، ترجمة ابن الزبير: ص٤٧٤ عن مصعب الزبيري.

(٢) خليفة، التاريخ: ٢٣٣، الطبري: ٥/ ٤٣٠ عن أبي مخنف، ابن عساكر (ترجمة ابن الزبير): ٤٧٤ عن مصعب الزبيري.

خرج ابن الزبير والحسين بن علي من المدينة في تلك الليلة إلى مكة عن طريق الفُرْع[١] وانتهوا إلى جعفر بن الزبير بالجثجاثة[٢]، ومن هناك واصلا المسير إلى مكة[٣].

لقد كان لخروج الحسين بن علي وابن الزبير من المدينة في تلك الليلة التي تحدَّثا فيها مع الوليد بن عتبة أثرًا كبيرًا، وصدمة قوية للوليد بن عتبة، ولا بد وأنه تذكَّر نصيحة مروان بن الحكم حين حذَّره من التساهل مع ابن الزبير والحسين ابن علي، فقال له: «لئن خرجا من البيت لا تراهما أبدًا إلّا في شرٍّ»[٤].

وقد حاول الوليد إرجاع ابن الزبير والحسين بن علي إلى المدينة، فبعث في أثرهما ثلاثين راكبًا، ولكنهم فشلوا في مهمتهم تلك، ولم يعثروا لهما على أثر[٥].

وفي الطريق إلى مكة قابل ابن الزبير والحسين بن علي، ابن عمر وعبد الله بن عياش[٦] بالأَبْواء[٧]، وهما قادمان من العمرة، فقال لهما ابن عمر:

---

(١) الفُرْع: قرية من نواحي المدينة بينها وبين المدينة ثمانية برد على طريق مكة (ياقوت، معجم البلدان: ٤/ ٢٥٢).

(٢) الجثجاثة: قرية تبعد عن المدينة ستة عشر ميلاً،على ضفاف وادي العقيق، قبل حمراء الأسد (البكري، معجم ما استعجم: ٢/ ٣٦٧).

(٣) ابن عساكر (ترجمة ابن الزبير): ٤٤٧ عن مصعب الزبيري، ١٥/ ق٧٧٢-٧٧٣ من طريق الواقدي، الفاسي، العقد الثمين: ٥/ ١٥٧ عن مصعب الزبيري.

(٤) خليفة، التاريخ: ٢٣٣ من طريق جويرية عن أشياخ من أهل المدينة، البلاذري، أنساب الأشراف: ٤/ ٣٠٠ عن أبي مخنف وعوانة.

(٥) البلاذري، أنساب الأشراف: ٤/ ٣٠٠ عن أبي مخنف وعوانة.

(٦) عبد الله بن عياش بن أبي ربيعة، صحابي جليل، ولد في الحبشة وتوفي سنة أربع وستين للهجرة (الإصابة: ٤/ ٢٠٤-٢٠٥).

(٧) الأبواء: قرية من أعمال القرع من المدينة، بينها وبين الجحفة مما يلي المدينة ثلاثة وعشرون ميلاً (ياقوت: ١/ ٧٩).

«أذكِّركما الله إلا رجعتما، فدخلتما في صالح ما يدخل فيه الناس، وتنظران، فإن اجتمع الناس عليه لم تشذَّا، وإن تفرَّقوا كان الذي تُريدان»[(١)].

وكان ابن عمر ﷺ يحرص أشد الحرص على اجتماع المسلمين، ويخشى من التفرُّق والتحزُّب، وكان يعرف خطر هذا التصرف من الحسين بن علي وابن الزبير، ويدرك ما يؤول إليه الموقف فيما بعد.

ولكن الاقتناع الذي يحمله ابن الزبير والحسين بن علي من صحَّة موقفهما هو أكبر من أن يرضخا لنصيحة ابن عمر أو غيره.

وقد أدَّى استقرار ابن الزبير والحسين بن علي في مكة إلى تعزيز مكانتهما، وبعدهما عن الضغوط الأموية؛ وذلك ناتج عن أن سلطة الأمويين على مكة هي أقل من سلطتهم على المدينة، ويرجع ذلك إلى طبيعة الحكم الإداري؛ فمكة تابعة إلى ولاية المدينة، ثم إن وجود أقارب ابن الزبير والحسين بن علي من الهاشميين والأسديين يضفي على موقفهما قوة ومَنَعة.

ومن المؤكد أن ابن الزبير والحسين بن علي عندما خرجا إلى مكة قد أخذا في اعتبارهما قداسة الحرم وبيت الله الحرام، وإجلال المسلمين له، مما يهيِّئ لهما جوًّا من الأمن والطمأنينة، كما يمنحهما الشعور بأنهما بعيدان عن أيدي الأمويين، ثم إذا حاول الأمويون أن يقوموا بعمل عسكري ضدهما، فسوف يكون لذلك أثر

---

(١) ابن سعد، ط٥/ ٣٧٠، الطبري: ٥/ ٣٤٣ من طريق الواقدي؛ ابن عساكر (ترجمة الحسين): ٢٠١ من طريق ابن سعد، المزي؛ تهذيب الكمال: ٦/ ٤١٦ من طريق ابن سعد؛ ابن العديم، بغية الطالب: ٦/ ق١١٩.

سلبي على الدولة، كما أنه يعطي حجة لمعارضتهما للحكم الأموي.

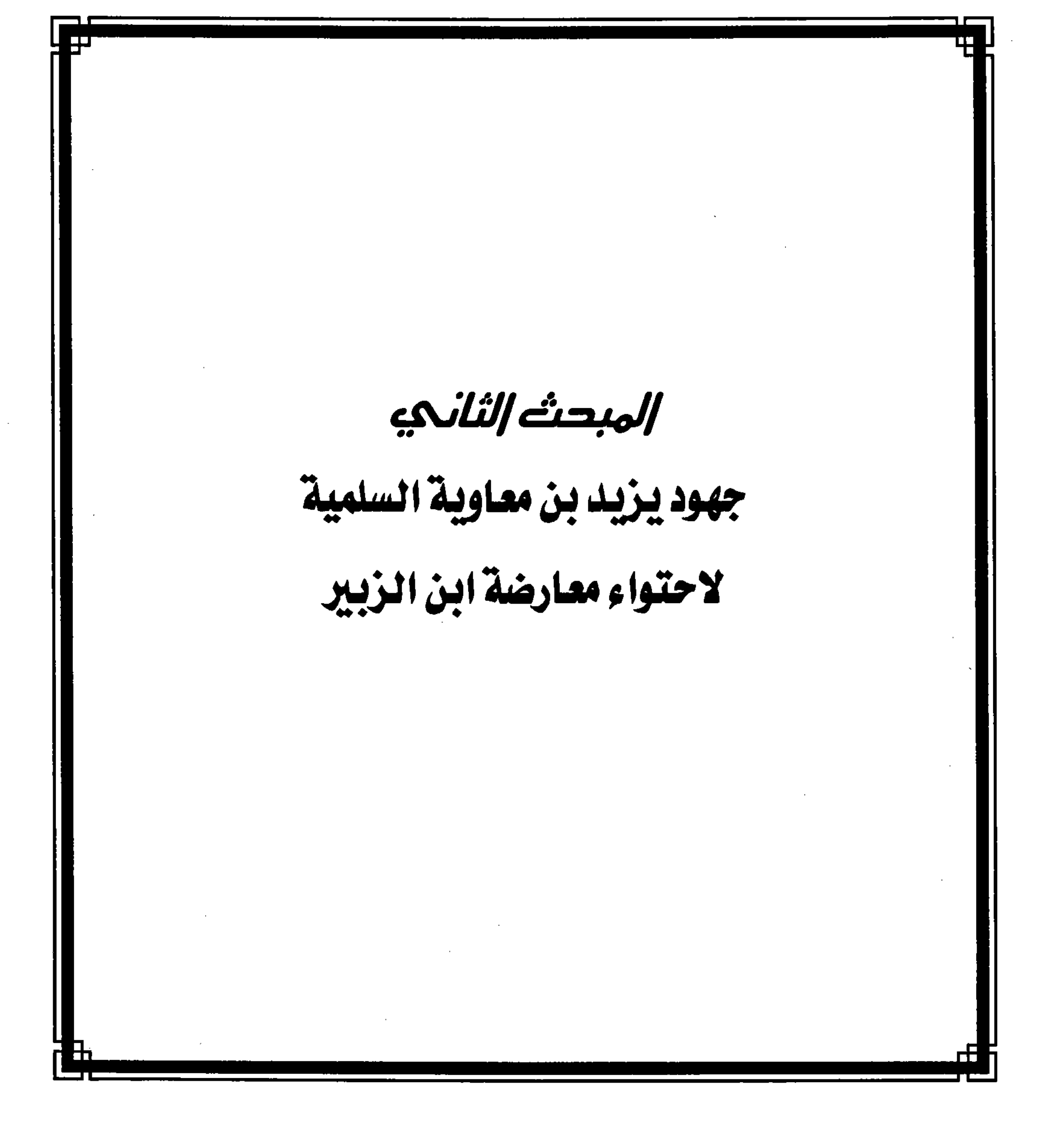
ولكي يؤكد ابن الزبير على خاصية الحرم، وعلى التجائه لبيت الله، فقد لقَّب نفسه بالعائذ[1].

وكان يصلي عند الكعبة طيلة النهار ويطوف بها[2].

---

(١) البلاذري، أنساب الأشراف: ٤/ ٣٠١ عن أبي مخنف وعوانة؛ وابن كثير، البداية والنهاية: ٩/ ١٥١.

(٢) البلاذري، أنساب الأشراف: ٤/ ٣٠١ عن أبي مخنف وعوانة، الطبري: ٥/ ٤٤٣، ابن عساكر (ترجمة ابن الزبير): ٤٤٣-٤٤٤.



المبحث الثاني

جهود يزيد بن معاوية السلمية لاحتواء معارضة ابن الزبير



المبحث الثاني

جهود يزيد بن معاوية السلمية لاحتواء معارضة ابن الزبير

لم يكن عند والي مكة عمرو بن سعيد الأشدق[1]، الاستطاعة لمحاربة الحسين

---

(١) عمرو بن سعيد الأشدق، كان من سادات المسلمين، ومن الكرماء المشهورين، قتله عبد الملك بن مروان سنة تسع وستين. قال علي بن زيد بن جدعان: أخبرني من سمع أبا هريرة ﷺ يقول: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «ليرعفنَّ على منبري جبار من جبابرة بني أمية، يسيل رعافه» قال: فحدثني من رأى عمرو بن سعيد بن العاص رعف على منبر رسول الله ﷺ. (أحمد، المسند: ٢/ ٣٨٥، ٥٢٢؛ الساعاتي، الفتح الرباني: ٢٣/ ١٨٢-١٨٣).

والحديث بهذا الإسناد ضعيف: لوجود رجل مُبهم في السند لم يُسمَّى، إضافة إلى الرجل الآخر الذي أخبر علي بن زيد بن جدعان الذي رأى عمرو بن سعيد يرعف على المنبر. قال الهيثمي في مجمع الزوائد: ٥/ ٢٤٠: «رواه أحمد وفيه رجل لم يُسمَّ».

ثم إن علي بن جدعان كان يتشيع، وقد ساق له الذهبي عدة أحاديث وحكم عليها بالنكارة والشذوذ (ميزان الاعتدال: ٣/ ١٢٨-١٢٩) وقال عنه البخاري: لا يحتج به (ميزان الاعتدال: ٣/ ١٢٨).

وقد ضعَّفه ابن حجر (التقريب: ٥٤١) وقد أورد الهيثمي هذا الحديث في بغية الباحث من زوائد مسند الحارث: ٣/ ٧٧٣ (رسالة دكتوراه مكتوبة على الآلة الكاتبة) وقد ذكر الحديث ابن حجر في المطالب العالية: ٤/ ٣٣٣ وقال: «رواه الحارث وأحمد بن منيع وأبو يعلى ورجاله ثقات إلا أنه منقطع». وقال الأعظمي - محقق الكتاب - «بل فيه داود بن المحبر وهو غير موثوق به».

وقال ابن كثير عن هذا الخبر: «علي بن زيد بن جدعان في روايته غرابة ونكارة وفيه تشيع، وعمرو بن سعيد هذا يقال له الأشدق، كان من سادات المسلمين وأشرافهم في الدنيا لا في الدين». (ابن كثير، البداية والنهاية: ٦/ ١٤٠).

ابن علي وابن الزبير، ولعله لا يملك صلاحية القرار بالقبض عليهما، وإجبارهما على البيعة ليزيد، وهذا هو المؤكد من خلال سياسة يزيد بن معاوية الذي لم يكن يميل إلى استخدام القوة منذ البداية.

ولكن يزيد أحسَّ بضعف الوليد بن عتبة، وضعف موقفه الذي اتخذه حيال ابن الزبير والحسين بن علي حين سمح لهما بالمغادرة قبل أن يبايعا، فقام بعزله عن المدينة على إثر رسالة من مروان بن الحكم، أرسل بها إلى يزيد ينبهه إلى خطورة الوضع، وبيَّن فيها ضعف الوليد بن عتبة.

وعيَّن يزيد بن معاوية عمرو بن سعيد بن العاص الملقب بالأشدق، والذي كان واليًا على مكة بدلاً من الوليد بن عتبة على المدينة، وضمَّ إليه ولاية مكة أيضًا[1].

ولكن يزيد بن معاوية لم يحاول التحرُّش بابن الزبير والحسين بن علي، بل اكتفى بمراقبة موقفهما من بعيد، وربما كان يحاول أن يتمثَّل سياسية والده معاوية في مقابلة المعارضين، حين يُقدِّم الحلم والإحسان لأعدائه، لكي تقل الفجوة الفاصلة بينه وبينهم.

ومن جهة أخرى: يعرف يزيد ما للحسين بن علي وابن الزبير من مكانة عند المسلمين عامة، وعند أهل الحجاز خاصة، فعندما يفكر في عمل عسكري فإن ذلك سيؤدِّي بدوره إلى تغيُّر في موقف أهل الحجاز من الدولة، وقد تنشب

---

(١) البلاذري، أنساب الأشراف: ٤/ ٣٠٧ عن أبي مخنف وعوانة؛ الطبري: ٥/ ٤٤٣، ابن عساكر (ترجمة ابن الزبير): ٤٤٣-٤٤٤.

حروب طويلة لا يعلم يزيد لمن تكون الدائرة فيها.

ولا أظن يزيد كان مهتمًا بدرجة كبيرة لأخبار ابن الزبير، بل كان كل تركيزه على متابعة قضية الحسين والتغيرات الخطيرة في الكوفة، ومحاولته الإسراع في السيطرة على الكوفة، قبل أن يحقق الحسين السيطرة فيها.

ولم تفدنا الروايات التاريخية بنوعية ومدى نشاطات ابن الزبير طوال إقامته في مكة مع الحسين بن علي؛ ففي الوقت الذي كان فيه الحسين بن علي على صلة وثيقة بأنصاره في الكوفة، لم ترد لنا خلال المصادر التاريخية أي جهود لابن الزبير في معارضته ليزيد بن معاوية.

ولعل ابن الزبير -رضي الله عنهما- يعتبر وجود الحسين بن علي رفيقًا له في المعارضة أمرًا مهمًا لكسب قضيته، ثم إن مكانة الحسين بن علي وقرابته من رسول الله ﷺ قد أعطت ابن الزبير شعورًا قويًا بأهمية موقفه، ولا شك أنه سيكون له دور بارز ونفوذ كبير إذا تحقق للحسين بن علي انتصار على يزيد بن معاوية.

ولكن الأحداث التي جرت في الكوفة، وقيام مسلم بن عقيل بدعوى الحسين للحضور إلى الكوفة وعزم الحسين على الخروج، جعلت ابن الزبير ينضم إلى الصحابة وكبار التابعين الذين حاولوا أن يثنوا الحسين عن عزمه على الخروج إلى الكوفة[1].

وكان ابن الزبير يدرك الخطورة التي ستلحق بالحسين إذا خرج إلى الكوفة، وخاصة أنه عايش معركة الجمل مع خالته عائشة وأبيه الزبير بن العوام -رضي

---

(١) راجع نصائح الصحابة للحسين بعدم الخروج إلى الكوفة في فصل مقتل الحسين رضي الله عنه.

الله عنهم- وكيف أن أهل الكوفة قد تسبَّبوا في مقتل علي رضي الله عنه بعد أن خذلوه مرارًا، ثم اعتدوا على الحسن وطعنوه، وبالتأكيد فإن ابن الزبير يعرف أنَّ مصير الحسين لن يكون أفضل من مصير أبيه وأخيه.

لذا ناشده عدم الذهاب إلى الكوفة قائلاً: «أين تذهب؟ إلى قوم قتلوا أباك وطعنوا أخاك»[١].

وكان ابن الزبير يدرك أنّ الحسين إذا أصيب في العراق، فإن النتائج ستنعكس عليه، وسيكون المنفرد في الساحة، وبالتالي يسهل القضاء عليه.

ولقد ظن ابن الزبير أنّ الحسين لم ير في وجوده بمكة أدنى فائدة على مدى الأربعة الأشهر التي استقر بها في مكة، ولذا فقد بادره بفكرة جريئة فقال للحسين: «إن شئت أن تُقيم أقمت فوُلِّيت هذا فآزرناك، وساعدناك، ونصحنا لك، وبايعناك»[٢].

وكان ابن الزبير يريد أن يشعر الحسين بمكانته، وأنَّ وجوده في مكة يحظى بالتأييد من أهلها، وبالأخص من ابن الزبير نفسه، كما أنه يريد أن يُشعر الحسين بأنه لا يرغب في الخلافة، وأنه يُفضِّله على نفسه، وخاصة أن الشكوك أخذت تساور البعض في أن المتسبب والحامل للحسين على الخروج من مكة هي مكائد ابن الزبير، ورغبته في الانفراد بالأمر في مكة، بل كان ابن عباس يُصرِّح بذلك علنًا[٣].

---

(١) سبق تخريجه بأسانيد صحيحة في فصل مقتل الحسين، ص

(٢) البلاذري، أنساب الأشراف: ٤/ ١٣ عن أبي مخنف وعوانة؛ الطبري: ٥/ ٣٨٣ من طريق أبي مخنف.

(٣) الطبري: ٥/ ٣٨٤ من طريق أبي مخنف.

ولعل ابن الزبير رغب أن تكون القيادة العام بيد الحسين نظرًا لمكانته، ووجاهته، واحترام المسلمين له. ويكون بيده التخطيط لمجابهة يزيد بن معاوية، وخاصة أنه يملك رصيدًا كبيرًا من المشاركات الحربية الناجحة في عمليات الجهاد الإسلامي في شمال أفريقيا[١].

وكان يرغب أيضًا في جعل ركيزة الانطلاق في المعارضة هي بلاد الحجاز؛ وذلك نظرًا لصدق أهلها، ووجود العباد والصالحين والعلماء من الصحابة وكبار التابعين بها، ثم وجود الحرمين ومكانتهما، فإذا تمت لهما السيطرة على بلاد الحجاز، فإن قضيتهما ستكسب بعدًا كبيرًا في الأقاليم الإسلامية؛ فالناس تؤمُّ الحرمين للعمرة والحج والزيارة، وبالتأكيد سينقلون أخبار المعارضين ومكانتهما، مما سيؤدي إلى تعاطف وتأييد وأنصار في تلك الأقاليم.

ولما أن خرج الحسين وقُتِلَ يوم عاشوراء من سنة إحدى وستين بكربلاء، كان لذلك وقع كبير على ابن الزبير؛ فالذي يخشاه ابن الزبير -وهو انفراد الأمويين به- قد حدث، ثم إن الرجل الذي كان يُضفي مكانة ومنزلة على المعارضة قد قُتِلَ، ومع ذلك لم يحدث تحرك من الناس ضد الأمويين بسبب قتل الحسين رضي الله عنه.

ولعل انفراده بالمعارضة ضد يزيد هي التي جعلت ابن خلدون يقول: «ولم يبق في المخالفة لهذا العهد - الذي اتفق عليه الجمهور- إلا ابن الزبير، وندور المخالف معروف»[٢].

---

(١) انظر في ذلك: قادة المغرب العربي لـ محمود شيت خطاب.

(٢) ابن خلدون، المقدمة: ١/ ٢٦٥.

فأحس ابن الزبير بخطورة موقفه، ولكنه حاول أن يستفيد من دوافع الكره والمقت التي تعتلج في نفوس الناس ضد الأمويين بسبب قتل الحسين، فقام خطيبًا في مكة، وترحَّم على الحسين، وذم قاتليه وقال: «أما والله لقد قتلوه طويلاً بالليل قيامه، وكثيرًا في النهار صيامه، أحق بما هم فيه منهم، وأولى بما هم فيه منهم، وأولى به في الدين والفضل، أما والله ما كان يُبدِّل بالقرآن الغناء، ولا بالبكاء من خشية الله الحداء، ولا بالصيام شراب الحرام، ولا بالمجالس في حلق الذكر الركض في طلب الصيد -(يُعرِّض بيزيد)- فسوف يلقون غيًا»[١].

ويعتبر هذا أول هجوم من ابن الزبير على يزيد.

ونظرًا لمشاعر السخط التي عمَّت أهل الحجاز بسبب قتل الحسين ﷺ، أخذ ابن الزبير يدعو إلى الشورى، وينال من يزيد ويشتمه[٢]، ويذكر شربه للخمر، ويثبط الناس عنه، وأخذ الناس يجتمعون إليه، فيقوم فيهم، فيذكر مساوئ بني أمية ويُطنب في ذلك[٣]، فأخذ البعض يُبدي استعداده لبيعة ابن الزبير[٤].

ولم يحاول يزيد أن يعمل عملاً من شأنه أن يعقِّد النزاع مع ابن الزبير، ولهذا فقد أرسل إليه رسالة يذكِّره فيها بفضائله ومآثره في الإسلام، ويحذِّره من الفتنة والسعي فيها، وكان مما قال له: «أذكرك الله في نفسك؛ فإنك ذو سن من قريش،

---

(١) انظر تخريجه في فصل الحرة، ص

(٢) البلاذري: ٤/ ٣٠٤ بإسناد جمعي (قالوا)، الطبري: ٥/ ٤٧٥ عن أبي مخنف.

(٣) الأزرقي، أخبار مكة: ١/ ٢٠١ بسند كل رجاله ثقات حتى ابن جريج.

(٤) البلاذري: ٤/ ٣٠٤ بإسناد جمعي (قالوا).

وقد مضى لك سلف صالح، وقدم صدق من اجتهاد وعبادة، فأربب صالح ما مضى، ولا تبطل ما قدمت من حسن، وادخل فيما دخل فيه الناس، ولا تردهم في فتنة، ولا تحل ما حرم الله»، فأبى أن يبايع»[١].

ولقد أدَّى تعنُّت ابن الزبير في رفض البيعة ليزيد بن معاوية، وتنقصه ليزيد وبني أمية في خطبه، إلى أن نقم عليه يزيد بن معاوية في نفسه؛ فأقسم يزيد على أنه لا يمكن أن يقبل بيعة ابن الزبير حتى يأتي إليه مغلولاً[٢].

وقد حاول معاوية بن يزيد أن يثني والده عن هذا القسم؛ وذلك لمعرفته بابن الزبير، وأنه سيرفض القدوم على يزيد وهو في الغلِّ، وكان معاوية -رحمه الله- ميالاً للسلم، ويحرص على حقن دماء المسلمين، وساند معاوية في رأيه عبد الله بن جعفر، ولكن يزيد أصر على رأيه[٣].

---

(١) البلاذري، أنساب الأشراف: ٤/ ٣٠٣-٣٠٤ عن المدائني.

(٢) البلاذري، أنساب الأشراف: ٤/ ٣٠٤ بإسناد جمعي (قالوا)؛ الفاكهاني، أخبار مكة: ٢/ ٣٥١ وقال محققه: إسناده حسن؛ الطبراني: ١٣/ ٩٢ وقال الهيثمي: ٧/ ٢٥٥: «رواه الطبراني، وفيه عبد الملك بن عبد الرحمن الذماري، وثقه ابن حبان وغيره، وضعَّفه أبو زرعة وغيره»؛ أبو نعيم، حلية الأولياء: ١/ ٣٣١ من طريق الطبراني؛ ابن عساكر (ترجمة ابن الزبير): ٤٧٣ من طريق الطبراني أيضًا. وقد ذكر خليفة في تاريخه: ص٢٥٢ بإسناد فيه رجلان لم أعثر لهما على ترجمة: أن يزيد عرض على ابن الزبير ولاية الحجاز على أن يبايع له، وقد حمل ذلك العرض النعمان بن بشير وهمام بن قبيصة، وإن كنت أشك في هذا العرض، فنظرًا لضعف إسناده فإذا هذا العرض على أهميته لم يذكره أحد سوى خليفة، ثم إنَّ هذا العرض يعتبر تنازلاً كبيرًا في سياسة يزيد، وهو حتمًا ليس في صالحه؛ لأنه يدل على الضعف وعدم القدرة.

(٣) ابن سعد، ط٥/ ٤٥٥ من طريق الواقدي؛ ابن عساكر (ترجمة ابن الزبير): ٤٤٨، ٤٤٩ من طريق ابن سعد.

وحتى يخفف يزيد من صعوبة الموقف على ابن الزبير، فقد بعث بعشرة من أشراف أهل الشام، وأعطاهم جامعة من فضة، وبرنس خز[(١)].

وفي رواية أخرى: أن يزيد بعث لابن الزبير بسلسلة من فضة، وقيد من ذهب، وجامعة من فضة[(٢)].

ولم تحدد غالب المصادر أسماء هؤلاء العشرة، بل اكتفت بذكر واحد أو اثنين، على حسب علاقة المذكور بالترجمة أو مناسبتها للحدث، ولكن صاحب الأغاني، وصاحب الفتوح ذكرا أسماء هؤلاء العشرة؛ فمنهم: عبد الله بن عضاة الأشعري، وروح بن زنباع الجذامي، وسعد بن حمزة الهمداني، ومالك بن هبيرة السلولي، وأبو كبشة السكسكي، وزمل بن عمرو العذري، وعبد الله بن مسعود وقيل بن مسعدة الفزاري، وأخوه عبد الرحمن، وشريك بن عبد الله الكناني، وعبد الله بن عامر الهمداني، وجعل عليهم النعمان بن بشير[(٣)].

ولكن رواية الواقدي ذكرت اسمين آخرين انضما إلى هؤلاء العشرة، وهما الحصين بن نمير السكوني، ومسلم بن عقبة[(٤)].

---

(١) خليفة، التاريخ: ٢٥١، ابن عساكر، (ترجمة ابن الزبير): ٤٥٢ من طريق عبد الله بن مصعب الزبيري بإسناد حسن.

(٢) ابن أبي عاصم، الآحاد والمثاني: ١/ ٤١٦ بسند صحيح؛ أبو نعيم، حلية الأولياء: ١/ ٣٣١ من طريق ابن أبي عاصم؛ والحاكم، المستدرك: ٣/ ٥٥٠؛ ابن عساكر، (ترجمة ابن الزبير): ٤٥١.

(٣) أبو الفرج الأصبهاني، الأغاني: ١/ ٢١ عن المدائني؛ ابن أعثم، الفتوح: ٥/ ٢٧٩ مع شيء من الاختلاف.

(٤) البلاذري، أنساب الأشراف: ٤/ ٣٠٨.

وهناك اسم آخر لم يرد في القوائم الثلاث التي ذكرت سابقًا، وهو: أبو الأشعث الصنعاني، وكان قد صرَّح بأنه ضمن الوفد الذين أُرسلوا لابن الزبير[١].

ولعل الاختلاف في تسمية أعضاء الوفد الذين ذهبوا لابن الزبير ناتج عن اللبس الذي حدث بين أسماء أعضاء البعثات الموفدة لابن الزبير.

فقد ذكر الواقدي أن يزيد أرسل لابن الزبير قبل هذا الوفد النعمان بن بشير الأنصاري، وهمام بن قبيصة النميري[٢].

وذكر الزبير بن بكار وفادة أخرى، وكان اسم هذا الموفد «سليمان»[٣].

والذي يهمنا هنا: وفادة أشراف أهل الشام الذين بعث معهم يزيد سلسلة وبرنس خز، ليبر ابن الزبير قسمه ويفد عليه فيها. وإن كنت أشك في ترأس النعمان بي بشير لهذا الوفد؛ وذلك لأنه أوفد قبل ذلك إلى ابن الزبير[٤]، ثم إن رواية الواقدي لم تذكره في هذا الوفد[٥].

وعند وصول أعضاء الوفد إلى مكة تكلم ابن عضاة الأشعري، وقال: «يا أبا بكر، قد كان من أثرك في أمر أمير المؤمنين الخليفة المظلوم - يعني عثمان بن عفان - ونصرتك إيَّاه يوم الدار ما لا يُجهل، وقد غضب أمير المؤمنين بما كان من إبائك مما قدم عليك فيه النعمان بن بشير، وحلف أن تأتيه في جامعة خفيفة لتحلَّ يمينه، فالبس عليها برنسًا فلا

(١) أحمد، المسند: ٤/ ١٢٦ بسند حسن؛ الساعاتي، الفتح الرباني: ٢٣/ ١٨٠.

(٢) البلاذري، أنساب الأشراف: ٤/ ٣٠٧ من طريق الواقدي.

(٣) ابن حجر، الإصابة: ٤/ ٩٤ بسند صحيح.

(٤) البلاذري، أنساب الأشراف: ٤/ ٣٠٧ من طريق الواقدي.

(٥) المصدر نفسه: ٤/ ٣٠٨ من طريق الواقدي.

تُرى، ثم أنت الأثير عند أمير المؤمنين الذي لا يخالف في ولاية ولا مال...»[(١)].

واستأذن ابن الزبير الوفد بضعة أيام يفكِّر ويستشير.

فعرض الأمر على والدته أسماء بنت أبي بكر -رضي الله عنها- فقالت: «يا بني عش كريمًا ومت كريمًا، ولا تمكّن بني أمية من نفسك، فتلعب بك، فالموت أحسن من هذا»[(٢)].

وكان مروان بن الحكم قد بعث ابنه عبد العزيز إلى ابن الزبير، عندما علم مروان بقدوم الوفد على ابن الزبير، وقال مروان لعبد العزيز: إذا بلغته رسل يزيد، فتعرَّض له ثم تمثل بهذا البيت:

فخذها فليست للعزيز بنصرة ... وفيها مقال لامرئ متذلل

أعامر إن القوم ساموك خطة ... وذلك في الجيران غزل بمغزل

أراك إذًا قد كنت ناصحًا ... يقال له بالدلو أدبر وأقبل[(٣)]

ويقول عبد العزيز بن مروان: «فلما جاءته الرسل، قلتها وهو يسمعها فرد عليَّ وقال:

إني لمن نبعة صم مكاسرها ... إذا تقاوحت القصباء والعشر

فلا ألين لغير الحق أسأله ... حتى يلين لضرس الماضغ الحجر»[(٤)]

---

(١) البلاذري، أنساب الأشراف: ٤/ ٣٠٨ من طريق الواقدي.

(٢) الأزرقي، أخبار مكة: ١/ ٢٠١ بسند كل رجاله ثقات حتى ابن جريج.

(٣) من قصيدة للعباس بن مرداس، انظر: الأصفهاني، الأغاني: ١٤/ ٢٩٤.

(٤) البلاذري، أنساب الأشراف: ٤/ ٣٠٥ بإسناد جمعي (قالوا) مع بعض الاختلاف؛ الفاكهاني، أخبار مكة: ٢/ ٣٥٢-٣٥٣، ابن عساكر (ترجمة ابن الزبير): ٤٥٢ من طريق أبي مصعب الزبيري بسند حسن؛ ابن فهد، إتحاف الورى: ٢/ ٥٤، ٥٥.

ولعل الذي دفع مروان لأن يقوم بهذا العمل هو: التشفِّي من ابن الزبير، لما بينهما من الخلاف، وربما كان هناك سبب آخر، هو خوفه من أن يستسلم ابن الزبير لمطالب الوفد، وتنجح ولاية عمرو بن سعيد بن العاص، وأظن أن مروان يحس بالأسى لتجاهل يزيد له، وهو من هو دهاءً وسياسة وبعد نظر.

إلا أنه قد ورد من طريق الواقدي أنَّ مروان أرسل ولده عبد العزيز أيضًا وقال له: قل لابن الزبير إن أبي أرسلني عناية بأمرك، وحفظًا لحرمتك، فابرر يمين أمير المؤمنين، فإنما يجعل عليك جامعة من فضة أو ذهب وتكسى عليه برنسًا فلا تبدو إلا أن يسمع صوتها، فكتب ابن الزبير إلى مروان يشكره... [(١)].

ولعل مروان أمر ابنه عبد العزيز بأن ينصح ابن الزبير بعد قوله الشعر.

وجاء رد ابن الزبير عل الوفد بالمنع، وقال لابن عضاه: «إنما أنا بمنزلة حمام من حمام مكة، أفكنت قاتلاً حمامًا من حمام مكة؟ قال: نعم، وما حرمة حمام مكة: يا غلام، ائتني بقوسي وأسهمي، فأتاه بقوسه وأسهمه، فأخذ سهمًا فوضعه في كبد القوس ثم سدده نحو حمامة من حمام المسجد وقال: يا حمامة، أيشرب يزيد الخمر؟ قولي: نعم. فوالله: لئن فعلت لأرمينك. يا حمامة أتخلعين يزيد بن معاوية وتفارقين أمة محمد ﷺ؟ وتقيمين في الحرم حتى يستحل بك؟ والله لئن فعلت لأرمينك. فقال ابن الزبير: ويحك أوَيتكلم الطائر؟ قال: لا، ولكنك يا ابن الزبير تتكلم، أُقسِم بالله لتبايعَنَّ طائعًا أو مكرهًا، أو لتعرفنَّ راية الأشعريين في هذه

---

(١) ابن سعد، ط٥/ ٤٥٦ من طريق الواقدي؛ ابن عساكر ابن الزبير: ٤٤٩ من طريق ابن سعد.

البطحاء، ولئن أُمِرنا بقتالك ثم دخلت الكعبة لنهدمنها أو لنحرقنها عليك أو كما قال. فقال ابن الزبير: أوتحل الحرم البيت؟! قال: إنما يحله من ألحد فيه»[١].

ثم قال ابن الزبير: «إنه ليست في عنقي بيعة ليزيد، فقال ابن عضاة: يا معشر قريش قد سمعتم ما قال. وقد بايعتم وهو يأمركم بالرجوع عن البيعة»[٢].

وأخذ ابن الزبير يبسط لسانه في تنقص يزيد وقال: «لقد بلغني أنه يصبح سكران ويمسي كذلك، ثم قال: يا ابن عضاة: والله ما أصبحت أرهب الناس ولا البأس، وإني لعلى بينة من ربي، وبصيرة من ديني، فإن أقتل فهو خير لي، وإن أمت حتف أنفي فالله يعلم إرادتي وكراهتي لأن يُعمل في أرضه بالمعاصي، وأجاب الباقين بنحو جوابه»[٣].

ثم قال ابن الزبير: اللهم إني عائذ ببيتك[٤]، ولقَّب نفسه: عائذ الله[٥]. وكان يُسمَّى العائذ[٦].

---

(١) البلاذري، أنساب الأشراف: ٤/ ٣٠٩ من طريق الواقدي، والهيثم بن عدي؛ الأصفهاني، الأغاني: ١/ ٢١ عن المدائني.

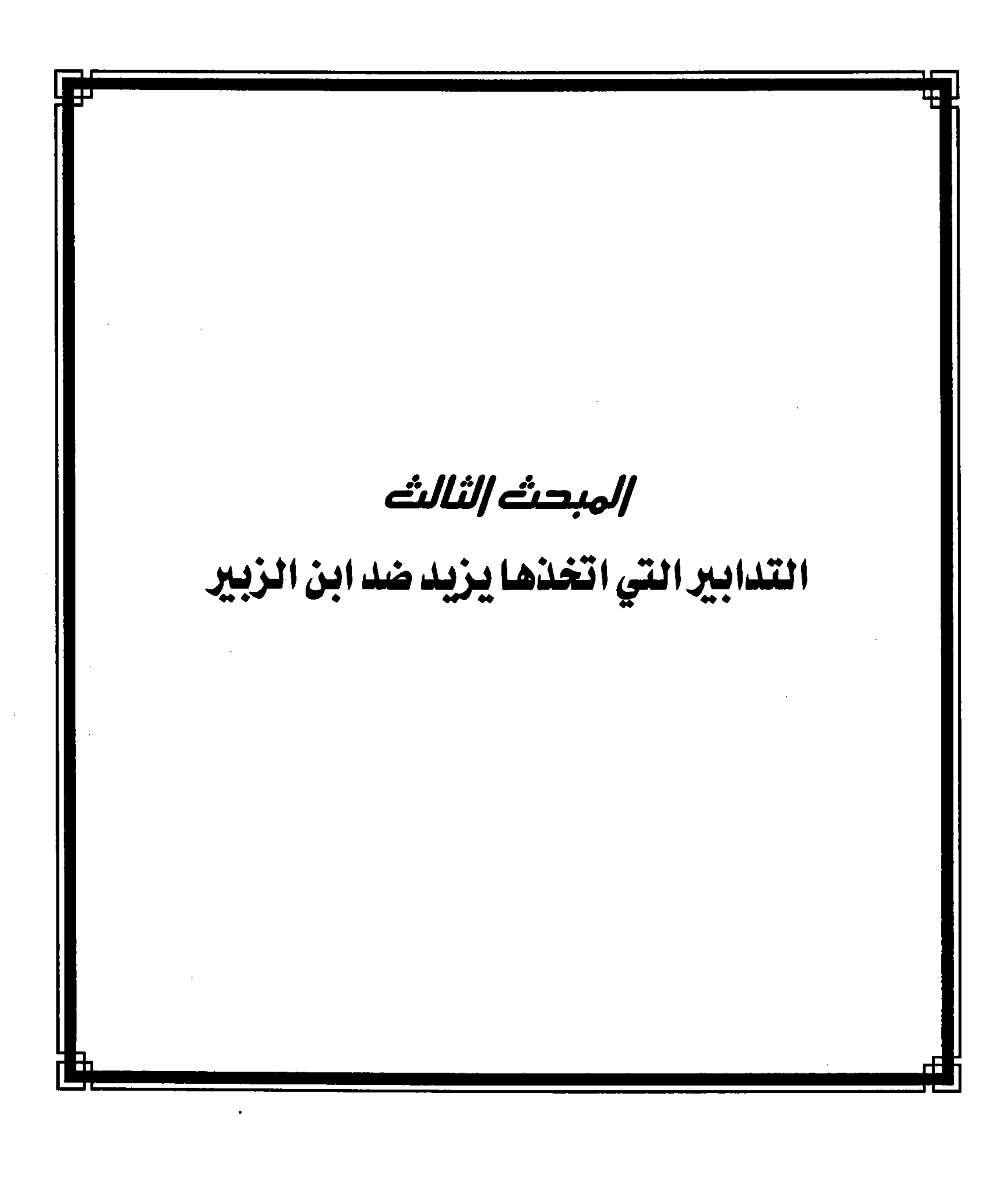
(٢) ابن قتيبة، عيون الأخبار: ١/ ١٩٦ عن العتبي.

(٣) البلاذري، أنساب الأشراف: ٤/ ٣٠٩ عن الواقدي.

(٤) ابن سعد، ط٥/ ٤٥٦ من طريق الواقدي، ابن عساكر (رجمة ابن الزبير): ٤٥٠ من طريق ابن سعد.

(٥) ابن حجر، الإصابة: ٤/ ٩٤ بسند صحيح.

(٦) الطبري: ٥/ ٤٩٤ عن الواقدي.



المبحث الثالث

التدابير التي اتخذها يزيد ضد ابن الزبير



المبحث الثالث

التدابير التي اتخذها يزيد ضد ابن الزبير

١- حملة عمرو بن الزبير:

لقد عرف ابن الزبير ﷺ، أن رفضه لمطالب يزيد، وبسط لسانه فيه، وتنقُّصه ونيله منه، لن يَعْقبه إلا الحرب، ولن يغفر له يزيد ما تفوَّه به في حقه على مسمع ومرأى من رسل أهل الشام، وشرفائهم.

فقام بجمع مواليه ومن تألَّف إليه من أهل مكة وغيرهم، وكان يقال لهم الزبيرية(١).

ولمَّا بلغ يزيد إصرار ابن الزبير وتصميمه على عدم الاعتراف بخلافته، رأى أنه لا بد من القيام بعمل عسكري محدود، يكون الهدف منه القبض أو القضاء على ابن الزبير، أو حمله على الامتثال لقَسَم يزيد، ووضع الأغلال في عنقه.

ولمَّا حج عمرو بن سعيد بن العاص والي المدينة في تلك السنة - والمرجَّح أنها سنة إحدى وستين - حج ابن الزبير معه، فلم يصلِّ بصلاة عمرو، ولا أفاض بإفاضته(٢).

وهذا العمل من ابن الزبير يعني المفارقة الواضحة لسلطة الدولة، وعدم الاعتراف بها، وخصوصًا أن إقامة الحج تمثل الدليل الأقوى على شرعية الدولة وقوة سلطانها، مثله مثل إقامته الجهاد في سبيل الله.

ثم منع ابن الزبير الحارث بن خالد المخزومي من أن يصلِّي بأهل مكة، وكان

---

(١) الأزرقي، تاريخ مكة: ١/ ٢٠٢ بسند كل رجاله ثقات حتى ابن جريج.

(٢) البلاذري، أنساب الأشراف: ٤/ ٣٠٧ عن أبي مخنف وعوانة.

الحارث بن خالد المخزومي نائبًا لعمرو بن سعيد على مكة[١].

وأمر مصعب بن عبد الرحمن أن يصلي بالناس، فكان يصلي بأهل مكة[٢]، وكان ابن الزبير يتصرَّف وكأنه مستقل عن الدولة، وكان لا يقطع أمرًا دون المسور بن مخرمة[٣]، ومصعب بن عبد الرحمن[٤] بن عوف، وجبير بن شيبة، وعبد الله بن صفوان بن أمية[٥]، وكان يُريهم أن الأمر شورى فيما بينهم، وكان يلي بهم الصلوات، والجُمع، ويحج بهم[٦].

فكتب يزيد إلى عمرو بن سعيد بن العاص واليه على المدينة أن يوجّه له جُندًا[٧]، فعيَّن عمرو بن سعيد بن العاص على قيادة هذه الحملة عمرو بن الزبير ابن العوام أخا عبد الله بن الزبير.

---

(١) ابن كثير، البداية والنهاية: ٩/ ١٥١ عن الواقدي.

(٢) ابن عساكر ترجمة ابن الزبير: ٤٥٠ عن الواقدي.

(٣) المسور بن مخرمة بن نوفل، أبو عبد الرحمن، له ولأبيه صحبة، مات سنة أربع وستين مع ابن الزبير في الحصار الأول (التقريب: ٥٣٢).

(٤) مصعب بن عبد الرحمن بن عوف تولى شرطة المدينة أيام معاوية بن أبي سفيان، وكان شجاعًا فاتكًا، قُتل مع ابن الزبير في الحصار الأول (نسب قريش: ٢٦٥٨).

(٥) عبد الله بن صفوان بن أمية الجمحي المكي، ولد على عهد رسول الله ﷺ، له ولأبيه صحبة، وقتل مع ابن الزبير وهو متعلّق بأستار الكعبة سنة ثلاث وسبعين (التقريب: ٣٠٨).

(٦) ابن سعد، ط٥/ ٤٥٨ من طريق الواقدي؛ ابن عساكر (ترجمة ابن الزبير): ٤٥٠ من طريق ابن سعد.

(٧) ابن سعد، ط٥/ ٤٥٧ من طريق الواقدي؛ أنساب الأشراف: ٤/ ٣٣١ من طريق الواقدي، ابن عساكر (ترجمة ابن الزبير): ٤٥٠ من طريق ابن سعد.

وكان عمرو بن الزبير قد ولي شرطة المدينة لعمرو بن سعيد، وكان شديد العداوة لأخيه عبد الله، وقام بضرب كل من كان يتعاطف مع ابن الزبير، وكان ممن ضرب: المنذر ابن الزبير[١]، وابنه محمد بن المنذر[٢]، وعبد الرحمن بن الأسود ابن عبد يغوث[٣]، وعثمان بن عبد الله بن حكيم بن حزام[٤]، وخبيب بن عبد الله ابن الزبير[٥]. ومحمد بن عمار بن ياسر، فضربهم الأربعين إلى الخمسين إلى الستين، وفرَّ منه عبد الرحمن بن عثمان، وعبد الرحمن بن عمرو بن سهيل، وغيرهم إلى مكة فالتجؤوا إلى ابن الزبير[٦].

وكان تعيين عمرو بن الزبير على قيادة الجيش المتجه لمحاربة ابن الزبير جاء بناءًا على طلب من عمرو بن الزبير نفسه[٧].

---

(١) المنذر بن الزبير بن العوام، يتلو عبد الله في السن، كان صديقًا لمعاوية، قُتل مع ابن الزبير في الحصار الأول (مصعب الزبيري، نسب قريش: ٢٤٥).

(٢) محمد بن المنذر بن الزبير، كان من وجوه آل الزبير، وحضر الحصار الثاني مع عمه عبد الله بن الزبير، وبقي بعد ذلك (الزبير بن بكار، جمهرة قريش: ٢٤٣).

(٣) عبد الرحمن بن الأسود بن عبد يغوث؛ شهد الحصار الأول مع ابن الزبير، وقد اتقاد من عمرو بن الزبير لما أسر (نسب قريش ٢١٤-٢١٥).

(٤) عثمان بن عبد الله بن حكيم بن حزام الأسدي القرشي، كان من سادات قريش وأشرافها، قتل مع ابن الزبير في الحصار الأول (نسب قريش ٢٣٣).

(٥) خبيب بن عبد الله بن الزبير، أكبر ولد عبد الله، ولد سنة ست وعشرين، مات من ضرب عمر بن العزيز عندما كان واليًا على المدينة (نسب قريش ٢٣٩-٢٤٠).

(٦) ابن سعد ٥/ ١٨٥ بدون إسناد، البلاذري، أنساب الأشراف ٤/ ٣١٢ من طريق الواقدي، الطبري ٥/ ٣٤٤ من طريق الواقدي، الذهبي، تاريخ الإسلام (حوادث ٦١-٨٠ ص١٩٨) من طريق الواقدي.

(٧) البلاذري، أنساب الأشراف ٤/ ٣١٢ من طريق أبي مخنف، الطبري ٥/ ٣٤٤-٣٤٥ من طريق الواقدي. وقد أورد الواقدي رواية أخرى تبين أن تعيين عمرو بن الزبير جاء بطلب من يزيد(الطبري:٥/ ٣٤٥).

فخرج عمرو بن الزبير يقود جيشًا مكونًا من ألف رجل[(١)]، منهم أربع مئة من الجند، وقوم من موالي بني أمية، وقوم من غير أهل الديوان[(٢)].

وجعل على مقدمته أُنيس بن عمرو الأسلمي في سبع مئة من الجند[(٣)].

فسار أُنيس الأسلمي حتى نزل بذي طوى[(٤)]، وسار عمرو بن الزبير حتى نزل بالأبطح[(٥)]، وأرسل عمرو بن الزبير إلى أخيه (عبد الله) يطلب منه الامتثال ليمين يزيد بن معاوية، وحذَّره من القتال في البلد الحرام[(٦)].

وكان عمرو بن الزبير يخرج من معسكره فيصلي بالناس خلال المفاوضات مع أخيه عبد الله. وأخذ عبد الله يسير معه ويلين له، ويقول: «إني سامع مطيع وأنت عامل يزيد، وأنا أصلي خلفك، وما عندي خلاف، فأما أن تجعل في عنقي جامعة، ثم أُقاد إلى الشام، فإني نظرت في ذلك، فرأيت أنه لا يحل لي أن أحله بنفسي، فراجع صاحبك واكتب إليه»[(٧)].

---

(١) ابن سعد، ط٥/ ٤٥٧ من طريق الواقدي؛ الذهبي، تاريخ الإسلام (حوادث ٦١-٨٠): ص١٩٩ من طريق الواقدي.

(٢) البلاذري، أنساب الأشراف: ٤/ ٣١١ من طريق الواقدي،

(٣) الطبري: ٥/ ٣٤٤-٣٤٥ من طريق الواقدي.

(٤) ذو طوى ما بين ثنية المقبرة التي بالمعلاة إلى القصوى التي يقال لها الخضراء تهبط على قبور المهاجرين دون فخ (الأزرقي، تاريخ مكة: ٢/ ٢٩٧).

(٥) الأبطح: هو ما حاز السيل بين المنحنى إلى الحجون، وهو إلى الشمال من البيت (البكري، معجم ما استعجم: ١/ ٢٥٧).

(٦) ابن سعد، ط٥/ ٤٥٧ عن الواقدي؛ الذهبي، تاريخ الإسلام: (حوادث ٦١-٨٠) ص١٩٩ عن الواقدي.

(٧) انظر الحاشية السابقة.

ولكن عمرو بن الزبير اعتذر من الكتابة ليزيد؛ وذلك لأنه جاء في مهمة محددة مطلوب منه تنفيذها. وكان عبد الله بن الزبير قد أرسل عبد الله بن صفوان الجمحي ومعه بعض الجند، وأخذوا أسفل مكة، وأحاطوا بأنيس بن عمرو الأسلمي، ولم يشعر بهم أنيس إلا وقد أحاطوا به، فقُتل أنيس، وانهزم أصحابه.

وفي الوقت الذي قتل وانهزم فيه جيش أنيس بن عمرو الأسلمي، كان مصعب بن عبد الرحمن بن عوف، يقود طائفة أخرى من الجند نحو عمرو بن الزبير، الذي كان معسكرًا في الأبطح، فانهزم عمرو بن الزبير، ودخل دار رجل يقال له علقمة.

فجاءه أخوه عبيدة بن الزبير فأجاره، فأخذه إلى عبد الله، وذكر له أنه أجاره، فقال عبد الله: «أمَّا حقِّي فنعم، وأمَّا حقُّ الناس فلأقتصنَّ منه لمن آذاه في المدينة»[1].

وأقام عبدُ الله عمرو بنَ الزبير ليقتص الناس منه، فكل من ادعى على عمرو بأنه فعل به كذا وكذا قال له عبد الله: افعل به مثلما فعل بك.

وتذكر المصادر أن عمرو بن الزبير تعرَّض لتعذيب شديد من جرَّاء ذلك، ومات تحت الضرب، فأمر به عبد الله فصُلب[2].

---

(١) ابن سعد، الطبقات: ٥/ ١٨٥ من طريق الواقدي؛ البلاذري، أنساب الأشراف: ٤/ ٣١٢ عن أبي مخنف؛ الطبري: ٥/ ٣٤٤-٣٤٥ من طريق الواقدي؛ أبو العرب، المحن: ٣٦٩ عن أبي معشر.

(٢) البلاذري، أنساب الأشراف: ٤/ ٣١٦ عن الهيثم بن عدي، الذهبي، تاريخ الإسلام (حوادث ٦١-٨٠): ص١٩٩ من طريق الواقدي.

أسباب فشل حملة عمرو بن الزبير:

لقد أثبت ابن الزبير ﷺ أنه يملك ذكاءً ودهاءً بارزين، الأمر الذي مكَّنه من تحويل القضية لصالحه، بعدما كانت في يد يزيد بن معاوية.

وكان ابن الزبير في بداية معارضته يعتمد على أن البيعة التي تمت ليزيد بن معاوية لم تكن بموافقة الناس، ولا بد من مشاركة المسلمين في الاختيار، وكان يدعو إلى الشورى.

ولم تحقق معارضة ابن الزبير أي نجاح يذكر؛ فخلال سنتين أو أكثر من معارضته ليزيد لم يحدث أي تغير بشأن هيمنة الدولة على الحجاز، فضلاً عن غيره من الأقطار.

ولكن ابن الزبير كان يهدف من التحرُّش بالأمويين إلى إيقاع يزيد في مأزق المواجهة.

لقد ارتكب يزيد خطأً فادحًا عندما أقسم أن يأتيه ابن الزبير إلى دمشق في جامعة، فكيف يعقل من صحابي جليل تجاوز الستين من عمره أن يرضخ لطلب يزيد بن معاوية؟ كما استطاع ابن الزبير أن يُظهر يزيد أمام أهل الحجاز بأنه شخص متسلط ليس أهلاً لولاية المسلمين.

وجعلت هذه الحادثة من ابن الزبير - في نظر الكثير من المترددين في موقفهم منه - طالب حق يواجه خليفة يحمل الظلم في أحكامه، والتعسُّف في قراراته.

والذي مكَّن ابن الزبير، وأكسبه الكثير من التعاطف هو موقف أمير المدينة -

عمرو بن سعيد - فكان هذا الأمير - كما تذكر الروايات - شديدًا على أهل المدينة، مُعرضًا عن نصحهم، مُتكبِّرًا عليهم[١]، ثم ذلك الخطأ الكبير الذي وقع فيه عمرو بن الزبير، الذي تصفه الروايات أيضًا بأنه: «عظيم الكبر، شديد العُجْب، ظلوم قد أساء السيرة، وعسف الناس، وأخذ من عرفه بموالاة عبد الله والميل إليه، فضربهم بالسياط، ويُقال: عمرو لا يُكَلَّم؛ من يُكلِّمه يندم»[٢].

وكان هذا العمل الذي أقدم عليه عمرو بن الزبير قد أحنق الكثير من الناس، وجعلهم يميلون مع ابن الزبير، بل إن البعض قد فرَّ من المدينة وانضم إلى ابن الزبير.

ومن الأخطاء التي وقع فيها يزيد بن معاوية، وعمرو بن سعيد بن العاص والي المدينة، واستطاع ابن الزبير أن يوظفها لصالحه: غزو مكة بجيش؛ فمكة لها حرمتها وخصوصيتها في الجاهلية، ثم جاء الإسلام فزادها مكانة وقداسة على مكانتها تلك التي كانت في الجاهلية.

وقال عنها النبي ﷺ يوم فتحها في السنة الثامنة من الهجرة: (**يا أيها الناس، إن الله عز وجل حرَّم مكة يوم خلق السموات والأرض، فهي حرام من حرام الله تعالى إلى يوم القيامة، لا يحل لامرئ يؤمن بالله واليوم الآخر أن يسفك فيها دمًا ولا يعضد بها شجرًا، لم تحلل لأحد كان قبلي، ولا تحل لأحد يكون بعدي، ولم تحلل لي إلا هذه الساعة، غضبًا على أهلها، ألا ثم قد رجعت كحرمتها بالأمس، ألا فليُبَلِّغ الشاهد منكم الغائب، فمن قال لكم: إن رسول الله ﷺ قد قاتل بها،**

---

(١) الزبير بن بكار، الموفقيات: ١٥٢.

(٢) البلاذري، أنساب الأشراف: ٤/ ٣١١ من طريق الواقدي.

فقولوا: إن الله عز وجل قد أحلَّها لرسوله ولم يحللها لكم)[١].

وقام عمرو بن سعيد يتحدَّى المسلمين في المدينة حين رقى المنبر في أول يوم من ولايته على المدينة، فقال عن ابن الزبير: «تعوَّذ بمكة، فوالله لنغزونَّه، ثم والله لئن دخل الكعبة لنحرقنَّها عليه، على رغم أنف من رغم»[٢].

ولَّما جهَّز الحملة التي سيوجهها لابن الزبير في مكة، نصحه بعض الصحابة، وحذَّروه، وذكَّروه بحرمة الكعبة، وبحديث رسول الله ﷺ المتقدِّم، ولكنه رفض السماع لنصحهم[٣].

وكان مروان بن الحكم، وهو الأمير المحنّك والسياسي الداهية، قد حذَّر عمرو بن سعيد من غزو البيت، وقال له: «لا تغزو مكة، واتق الله، ولا تحل حرمة البيت، وخلوا ابن الزبير فقد كبر؛ هذا له بضع وستون سنة، وهو رجل لجوج، والله لئن لم تقتلوه ليموتن، فقال له عمرو: والله لنقاتلنَّه، ولنغزونَّه في جوف الكعبة على رغم أنف من رغم، فقال مروان: والله إن ذلك يسوؤني»[٤].

وكان عبد الله بن الزبير قد اختار لقبًا مُؤثرًا حين أطلق على نفسه: «العائذ بالله».

---

(١) البخاري مع الفتح: ٤/ ٥٦، ٧/ ٦١٤؛ صحيح مسلم: ٢/ ٩٨٦، ٩٨٧، ٩٨٨، ٩٨٩؛ الساعاتي، الفتح الرباني: ١٣/ ١٨١-١٨٢ واللفظ له.

(٢) خليفة، التاريخ: ٢٣٣، ابن عساكر (ترجمة ابن الزبير): ٢٢٤.

(٣) وقد نصحه رافع بن خديج الأنصاري رضي الله عنه كما في: أنساب الأشراف:ك ٤/ ٣١٢ من طريق الواقدي.

(٤) البلاذري، أنساب الأشراف: ٤/ ٣١٣ من طريق الواقدي مع بعض الاختلاف؛ الطبري: ٥/ ٣٤٤-٣٤٥ من طريق الواقدي؛ ابن كثير، البداية والنهاية: ٩/ ١٥١.

فأصبح المساس بحرمة مكة أمرًا لا يوافق عليه الصحابة والتابعون، وكان لا بد من الدفاع عن مكة في وجه جيش يريد استحلال حرمتها، وحتى الذي لا يستطيع أن يدافع عن مكة فسوف يكون متعاطفًا مع ابن الزبير بصفته يدافع عن بيت الله. وتذكر رواية الواقدي: «أن الناس قد تجمعوا على ابن الزبير من نواحي الطائف يعاونونه، ويدافعون عن الحرم»(١).

هذه القضايا المعنوية والحسِّية كان لها الأثر البالغ في تعاظم مكانة ابن الزبير لدى أهل الحجاز، الأمر الذي جعله يحقق نصرًا ساحقًا على جيش عمرو بن الزبير.

ثم إن تركيبة الجيش الذي بعث به عمرو بن سعيد إلى مكة تجعله في وضع بعيد عن تحقيق الانتصار.

فهو يتكون من «بُدلاء من العطاء، وجلُّهم يهوون ابن الزبير»(٢)، «وقوم من موالي بني أمية، وقوم من غير أهل الديوان»(٣).

وكان الخطأ الذي وقع فيه عمرو بن سعيد هو استهانته بقوة ابن الزبير، وعدم أخذ التدابير اللازمة لمواجهته.

فقد كانت هذه إحدى الأمور التي انتقدها يزيد بن معاوية على عمرو بن سعيد؛ فهو لم يطلب جندًا من أهل الشام بالرغم من ضعف وقلة جيشه المرسل لابن الزبير(٤).

---

(١) البلاذري، أنساب الأشراف: ٤/ ٣١٣ من طريق الواقدي.

(٢) البلاذري، أنساب الأشراف: ٤/ ٣١٢ من طريق أبي مخنف.

(٣) المصدر نفسه: ٤/ ٣١٣ من طريق الواقدي.

(٤) المصدر نفسه: ٤/ ٣١٨ من طريق أبي مخنف.

لقد استطاع عمرو بن سعيد بن العاص أن ينقل النـزاع الشخصي الذي كـان بين الأخوين عبد الله بن الزبير، وعمرو بـن الـزبير إلى عـداء حقيقـي، يحمـل في معانيه تعابير كثيرة، ولعل أهمها هي شرعية الدولة التي يُساندها الأخ ضد أخيه.

وإن كنا لا نعلم طبيعة النـزاع بين عمرو بن الزبير وبين عبد الله بن الزبير، إلا أنه قد وردت إشارة تدل على أن النـزاع كان قديمًا؛ حيث قد تنازعا وتخاصما عنـد سعيد بن العاص، الذي كان واليًا على المدينة أيام معاوية ﷺ[1].

وأمّا ما يخص ميل عمرو بن الزبير إلى عمرو بـن سـعيد بـن العـاص، فلـيس هناك من غرابة في ذلك، إذا عرفنا أن أم عمرو بن الزبير هي: آمنة بنت خالد بـن سعيد بن العاص، وبذلك يكون عمرو بن سعيد بن العاص خالـه، ولكـن مهـما كانت العلاقة التي تربط عمرو بن الزبير بعمرو بن سعيد بن العاص، فـإن تلـك العلاقة ينبغي أن لا تحمل عمرو بن الزبير على مقاتلة أخيه، وعـلى قيـادة الجـيش ضده، فالأولى أن يقوم بهذه المهمة من لا تربطه علاقة بابن الزبير.

وقد تعرَّض عمرو بن الزبير إلى الانتقـاد عنـدما وافـق عـلى أن يكـون أمـيرًا للجيش الموجّه ضد أخيه، قيل له: «كان غيرك أولى بهذا منك؛ تسير إلى حـرم الله وأمنه، وإلى أخيك في سنِّه وفضله!»[2].

---

(١) أحمد، المسند: ٤/ ٤.

(٢) الذهبي، تاريخ الإسلام حوادث: (٦١-٨٠) ص١٩٩ عن الواقدي.

لقد استنبط الإمام البخاري رحمه الله من حديث الرسول ﷺ الذي قاله يوم فتح مكة: عدم جـواز القتال بمكة، ولهذا فقد ترجم لأحد الأبواب وقال: «باب: لا يحل القتال بمكة» (البخاري مع=

ولكن بقدر ما حقَّق ابن الزبير انتصاره الساحق عل الجيش الذي يقوده أخوه عمرو ابن الزبير، بقدر ما كان له أثر عكسي على موقف ابن الزبير، وموقف الناس منه فيما بعد.

فالطريقة التي اتبعها ابن الزبير في القضاء على أخيه عمرو بن الزبير بعدما وقع في الأسر جعلت الناس ينظرون إليه على أنه رجل تنقصه العاطفة والشفقة، وكان لذلك مردُّه السيِّء على تعاطف الناس مع قضيته.

= الفتح ٤/ ٥٦). واختلف أهل العلم في جواز قتال أهل البغي فيها، فقال الماوردي: «لقد ذهب البعض إلى تحريم قتالهم، ويُضيَّق عليهم، حتى يرجعوا عن البغي، ويدخلوا في أحكام أهل العدل، والذي عليه أكثر الفقهاء أنهم يُقاتلون على بغيهم إذا لم يمكن ردُّهم عن البغي إلا بالقتال؛ لأن قتال أهل البغي من حقوق الله تعالى التي لا تجوز إضاعتها، ولأن يكون محفوظًا في حرم الله تعالى، أولى من أن يكون مُضيّعًا فيه» (الأحكام السلطانية ص١٦٦).

وقال النووي مُعقبًا على رأي الماوردي: «وهذا الذي ذكره الماوردي من أن البغاة إذا امتنعوا في الحرم يقاتلون عند أكثر الفقهاء هو الصحيح، وقد نص عليه الشافعي» (تهذيب الأسماء واللغات: ٣/ ٨٣-٨٤ وشرح صحيح مسلم: ٩/ ١٢٥). وقد حمل الشافعي حديث تحريم القتال بمكة على أن معناه: تحريم نصب القتال عليهم، وقتالهم بما يعم كالمنجنيق وغيره، إذا أمكن إصلاح الحال بدون ذلك، بخلاف ما إذا تحصَّن الكفار في بلد آخر، فإنه يجوز قتالهم على كل وجه، وبكل شيء. (النووي، تهذيب الأسماء واللغات/ ٣/ ٨٤؛ المحب الطبري، القرى لقاصد أم القرى: ص٦٣٨؛ الزركشي، إعلام الساجد: ص١٦٢، ١٦٣؛ ابن حجر، فتح الباري: ٤/ ٨٥).

«ولكن القتال الذي حدث بمكة لا يعارض قوله تعالى: ﴿ أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا جَعَلْنَا حَرَمًا ءَامِنًا ﴾ [العنكبوت: آية ٦٧] لأن ذلك إنما وقع بأيدي المسلمين فهو مطابق لقوله ﷺ: (**لن يستحل هذا البيت إلا أهله**) فوقع ما أخبر به النبي ﷺ، وهو من علامات النبوة، وليس في الآية ما يدل على استمرار الأمن المذكور فيها والله أعلم». (فتح الباري: ٣/ ٥٣٩-٥٤٠)، وانظر: (منصور البهوتي الحنبلي، إعلام الأعلام بقتال من انتهك حُرمة البيت الحرام).

فعمرو بن الزبير كان يَضرب الناس في المدينة بناءً على تهم موجهة إليهم بشأن تعاطفهم وتعاملهم مع ابن الزبير، وكان مُولًّى من قِبل الدولة، وكانت قراراته يتخذها بطبيعة عمله، وإن كان فيها شيء من التجنِّي والخطأ.

وحينما قام عبد الله بن الزبير بتعريض أخيه عمرو بن الزبير للقصاص منه أصبح كل حاقد عليه، أو من يحمل ضغينة في قلبه، يُسمح له بضربه والتنكيل به، دون تساهل أو رحمة بوضعه.

وبالتأكيد كان الكثير من الناس يتمنون أن يقوم ابن الزبير بحبسه، أو يطلب من كل الذين يدَّعون على عمرو بن الزبير أن يسامحوه ويصفحوا عنه، ويغفروا له خطأه.

لقد اعتبر البعض أن ابن الزبير ما هو إلا طالب سلطة ودولة، وإلا لما تعامل مع أخيه بتلك القسوة؛ فقال كثير بن عزة يهجو ابن الزبير ويذكِّره بما فعله بأخيه:

«تخبر من لاقيت أنك عائذ بل العائذ المحبوس في سجن عارم
فما ورق الدنيا بباق لأهلها ولا شدة البلوى بضربة لازم»[1]

وقال عنه الضحاك بن فيروز بن الديلمي من أحرار اليمن:

«فلو ما اتقيت الله لا شيء غيره إذًا عطفتك العاطفات على عمرو»[2]

وقال عنه عبد الله بن الزبير الأسدي الشاعر:

«فيا راكبًا إما عرضت فبلغن كبير بني العوام إن قيل من تعني

---

(١) ديوان كثير عزة: ٢٢٤، البلاذري، أنساب الأشراف: ٤/ ٣١٥.

(٢) البلاذري، أنساب الأشراف: ٤/ ٣١٥.

فلــو أنكــم أجهــزتــم إذ قتلتــم ولكن قتلتــم بالــسيــاط وبالــسجــن
جعلتم لضرب الظهر منه عـصيكـم تــراوحــه والأصبـحيــة للبطـــن
وتخبـر مـن لاقيــت أنــك عائــذ وتكثر قتلى بين زمــزم والركــن»[1]

لقد كانت وطأة الهزيمة التي لحقت بجيش عمرو بن سعيد أكبر من أن تُعالج بعمل سريع يمحو أثر تلك الهزيمة، ولذا فقد استغلَّ هذا الوضـع أعـداء عمـرو ابن سعيد والحاقدون عليه؛ فقام الوليد بن عتبـة، ونـاس معـه بالكتابـة إلى يزيـد يوضِّحون فشل عمرو بن سعيد، وعدم قدرته على القضاء على ابن الزبير[2].

وعلى إثر تلك الهزيمة قام يزيد بعزل عمرو بن سعيد، وولّى بدلاً منـه الوليـد بـن عتبة ابن أبي سفيان[3]. وهو الرجل الذي كان مسؤولاً عـن بدايـة الأحـداث، حـين تساهل مع ابن الزبير والحسين بن علي حين غادرا المدينة دون أن يبايعا يزيد.

ولا تُعتبر ولاية عمرو بن سعيد بن العاص على مكة والمدينـة ولايـة فاشـلة؛ فقد كان أميرًا اجتهد في تقليص قدرة ابـن الـزبير، وبالتـالي حـاول القـضاء عـلى معارضته، دون إحداث زلزلة عنيفة في طبيعة المجتمع الإسلامي في الحجاز.

ولكن التأييد والنفوذ الذي كان يتمتع به ابن الزبير هو أعظم من قدرة عمرو ابن سعيد، ولعل في توضيح عمرو بن سعيد لموقفه أمام مسائلة يزيد له، واتهامـه

---

(١) البلاذري، أنساب الأشراف: ٤/ ٣١٣؛ أبو الفرج الأصبهاني، الأغـاني: ١٤/ ٢٢٤. وانظـر بعض هذه الأبيات عند: البغدادي في معاهد التنصيص: ٣/ ٣١٤.
(٢) البلاذري، أنساب الأشراف: ٤/ ٣١٨ عن أبي مخنف.
(٣) ابن سعد، ط٥/ ٤٦٠؛ ابن عساكر، (ترجمة ابن الزبير): ص٤٥٠ من طريق ابن سعد.

بالتقصير، ما يبيِّن قوة ابن الزبير؛ قال عمرو: «يا أمير المؤمنين الشاهد يرى ما لا يرى الغائب، وإن جلَّ أهل مكة وأهل المدينة، قد كانوا مالوا إليه، وهووه وأعطوه الرضا، ودعا بعضهم بعضًا سرًا وعلانيةً، ولم يكن معي جند أقوى بهم عليه لو ناهضته، وقد كان يحذرني ويتحرّز مني، وكنت أرفق به وأداريه لأستمكن منه فأثب عليه. مع أني ضيَّقت عليه، ومنعته من أشياء كثيرة لو تركته وإياها ما كانت له إلا معونة، وجعلت على مكة وطرقها وشعابها رجالاً لا يدعون أحدًا يدخلها حتى يكتبوا إليَّ باسمه واسم أبيه، ومن أي بلاد الله هو، وما جاء به وما يريد، فإن كان من أصحابه أو ممن أرى يريده رددته صاغرًا، وإن كان ممن لا أتهم خلَّيت سبيله، وقد بعثتَ الوليد، وسيأتيك من عمله وأثره ما لعلك تعرف به فضل مبالغتي في أمرك، ومناصحتي لك إن شاء الله، والله يصنع بك، ويكبت عدوك يا أمير المؤمنين»[(١)].

وكانت من الأمور التي انتقدها يزيد على عمرو بن سعيد: كيف لم يبادر في طلب جند من أهل الشام حين جهَّز حملة عمرو بن الزبير؟[(٢)].

والذي يظهر من تصرفات عمرو بن سعيد أنه فرض على ابن الزبير حصارًا شديدًا، وحال بين ابن الزبير، وبين من يريد نُصرته.

ولكن قوة ابن الزبير، ونفوذه في الحجاز، كانا أكبر من أن يسيطر عليه عمرو ابن سعيد بن العاص.

---

(١) الطبري: ٥/ ٤٧٨ عن أبي مخنف؛ ابن كثير، البداية والنهاية: ٨/ ٢١٧.

(٢) البلاذري، أنساب الأشراف: ٤/ ٣١٨ عن أبي مخنف.

وأما عن ولاية الوليد بن عتبة على المدينة فإن المصادر التاريخية لم تُسعفنا بتفصيلات عن أعماله ضد ابن الزبير.

ويبدو أن الوليد بن عتبة لم يستطع أن يقوم بأي عمل ضد ابن الزبير؛ نظرًا لقوة ابن الزبير، ونفوذه، وميل الناس إليه في الحجاز.

وقد أوجز أبو مخنف في روايته المرحلة التي وصلت إليها طبيعة الصراع بين الوليد بن عتبة وابن الزبير؛ حيث قال: «وأقام الوليد بن عتبة يريد ابن الزبير فلا يجده إلا مُتحذِّرًا مُتمنِّعًا»(١).

ووجد الوليد بن عتبة نفسه أمام أوضاع سيئة؛ فبالإضافة لمعارضة ابن الزبير في الحجاز، قام نجدة بن عامر الحنفي(٢) -وهو أحد زعماء الخوارج- بالثورة على الدولة في اليمامة(٣).

وتقلَّصت هيبة الدولة من جراء هذه الأحداث إلى الحدِّ الذي جعل الوليد بن عتبة يفيض من عرفات ومعه عامة الناس، وابن الزبير واقف وأصحابه، ونجدة واقف وأصحابه، ثم يفيض ابن الزبير بأصحابه، ونجدة بأصحابه، لا يفيض أحد منهم بإفاضة صاحبه(٤).

---

(١) الطبري: ٥/ ٤٧٩ عن أبي مخنف.

(٢) نجدة بن عامر الحنفي الحروري، رأس الفرقة النجدية، نسبة إليه، ويعرف أصحابها بالنجدات، من أكبر فرق الخوارج، قيل قتله أصحابه، وقيل أصحاب ابن الزبير (الفرق بين الفرق: ص٨٨-٩٠) (الأعلام: ٨/ ٣٢٤-٣٢٥).

(٣) الطبري ٥/ ٤٧٩.

(٤) البلاذري، أنساب الأشراف ٤/ ٣١٨ بإسناد جمعي (قالوا)، الطبري ٥/ ٤٧٩ عن أبي مخنف، ابن كثير ٨/ ٢١٧.

وكتب ابن الزبير إلى يزيد بن معاوية: «إنك بعثت إلينا رجلاً أخرق، لا يتَّجه لأمر رشد، ولا يدعو لعظة حكيم، ولو بعثت إلينا رجلاً سهل الخلق، ليِّن الكتف، رجوت أن يسهل من الأمور ما استوعر منه، وأن يجتمع ما تفرق، فانظر ذلك؛ فإن فيه صلاح خواصنا وعوامنا إن شاء الله، والسلام»[(١)].

ولعل الشيء الملفت للنظر في رسالة ابن الزبير ليزيد هو وصفه للوليد بن عتبة بالشدة، والقسوة، وأنه من الصعب التعامل معه، مع أن الوليد بن عتبة لم يتخذ إجراءً واحدًا شديدًا مع ابن الزبير وأنصاره. وربما أراد ابن الزبير أن يختبر شخصية يزيد بن معاوية، ومدى استعداده للتفاوض معه، وأراد أيضًا أن يُضعف هيبة الدولة، وينال من مركز إمارة الحجاز، وذلك عندما يتعاقب الأمراء تباعًا خلال ثلاث سنوات، وهذا يُعتبر نصرًا لقضية ابن الزبير؛ حيث إن كل أمير يُعزل مُتَّهم بفشله في مجابهة ابن الزبير.

وبالفعل فقد استجاب يزيد بن معاوية لطلب ابن الزبير، وعزل الوليد بن عتبة عن المدينة، وولَّاها عثمان بن محمد بن أبي سفيان[(٢)(٣)].

---

(١) البلاذري، أنساب الأشراف: ٤/ ٣١٨ بإسناد جمعي (قالوا)، الطبري: ٥/ ٤٧٩ عن أبي مخنف، وعند ابن كثير: ٩/ ٢١٧ أن الذي كتب ليزيد بخصوص عزل الوليد هو نجدة الخارجي.

(٢) عثمان بن محمد بن أبي سفيان صخر بن حرب بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف الأموي، تولى إمارة مكة، ثم ولاه يزيد المدينة، وأخرج مع بني أمية، وكان ذلك من أسباب وقعة الحرة. (الفاسي، العقد الثمين: ٦/ ٣٧).

(٣) البلاذري، أنساب الأشراف: ٤/ ٤١٨ بإسناد جمعي (قالوا)؛ الطبري: ٥/ ٤٧٩ عن أبي مخنف؛ ابن كثير: ٨/ ٢١٧؛ ابن سعد، ط٥/ ٤٦٠ عن الواقدي؛ خليفة، التاريخ: ٢٣٦؛ الزبير بن بكار، الموفقيات: ١٥٢

ولم يمكث عثمان بن أبي سفيان في ولاية المدينة سوى ثمانية أشهر[١]، وثار عليه أهل المدينة وأخرجوه، وهي مدة قصيرة تدل على عمق الأحداث وتطورها في مراحل سابقة، حتى بلغت نضجها في فترة إمارته على المدينة.

وكانت شخصية عثمان بن محمد كما تُصوِّرُها الروايات ميَّالة للسلم، إضافة إلى أنه: «فتى غرٌّ، حدث غمر لم يجرب الأمور، ولم يحنكه السن، ولم تضرسه التجارب، وكان لا يكاد ينظر في شيء من سلطانه ولا عمله...»[٢].

ولا شك أن يزيد بن معاوية قد أخفق في اختياراته لولاة المدينة؛ وذلك أنه لم يأخذ في الاعتبار نوعية ومدى قدرة ذلك الأمير، ومدى ملائمته لبلد مثل الحجاز.

نجد أن يزيد قد اختار للمدينة أمراء يتَّسمون بالضعف الشديد، أو عدم الخبرة في هذا المجال، أو الشدة المفرطة التي تنفِّر الناس، وتكسب عداء الناس للدولة.

والأمر المحيِّر حقًا هو: كيف يغفل يزيد عن مروان بن الحكم، وهو الشخصية الأموية القوية ذات القدرة القيادية والحنكة والتجربة، قال عنه الذهبي: «كان ذا شهامة وشجاعة، ومكر، ودهاء...»[٣].

لقد كان مروان أحد المشاركين الفعليين في سياسة عثمان ﷺ باعتباره المسؤول عن كتابات الخليفة[٤].

---

(١) وكيع، أخبار القضاة: ١/ ١٢٣.

(٢) البلاذري، أنساب الأشراف: ٤/ ٤١٨ بإسناد جمعي (قالوا)؛ الطبري: ٥/ ٤٧٩ عن أبي مخنف.

(٣) الذهبي، السير: ٤/ ٤٧٧.

(٤) ابن عبد البر، الاستيعاب: ٣/ ١٣٨٧؛ الفاسي، العقد الثمين: ٧/ ١٦٦.

ثم لما تولَّى معاوية الخلافة أسند إمارة المدينة لمروان بن الحكم سنة اثنتين وأربعين من الهجرة[١].

واستمر مروان في إمارة المدينة ثمان سنوات حتى سنة خمسين[٢].

ثم تولَّى إمرة المدينة مرة ثانية؛ وذلك بعد عزل سعيد بن العاص سنة أربع وخمسين، واستمر واليًا على المدينة حتى سنة ثمان وخمسين[٣].

فمن الملاحظ أن ولاية الحجاز قد جعلها معاوية ﷺ تحت إمرة اثنين من كبار بني أمية سنًا ودهاءً وشرفًا؛ وهما: مروان بن الحكم، وسعيد بن العاص، فليس الأمر الوحيد الذي دعى معاوية لجعلهما على ولاية الحجاز هو إبعادهما عن بلاد الشام الذي غدا في عهده مركز الثقل في الحياة السياسية[٤]، بل إن هناك أمرًا آخر؛ وهو حرص معاوية ﷺ على تولية أفضل بني أمية على بلاد الحجاز، لما لهذا الإقليم من صفة مميزة ينفرد بها عن باقي أقاليم الدولة.

فكان لوجود الصحابة وأبنائهم، ووجود كثير من أهل العلم والتقى

---

(١) ابن سعد، الطبقات: ٥/ ٢٣، ٣٤؛ وكيع، أخبار القضاة: ١/ ١١٦؛ خليفة، التاريخ: ٢٠٤، الطبري: ٥/ ١٧٢.

(٢) ابن سعد، الطبقات: ٥/ ٢٢؛ خليفة: ٢١٨؛ الطبري: ٥/ ٢٣٢.

(٣) ابن سعد، الطبقات: ٥/ ٢٤، ٤٤؛ خليفة، التاريخ: ٢٢٢، ٢٢٤؛ البلاذري، أنساب الأشراف: ٥/ ١٢٥؛ الطبري: ٥/ ٢٤، ٢٠٩؛ ابن أبي عاصم، الآحاد والمثاني: ١/ ١٢٠؛ السخاوي، التحفة اللطيفة: ١/ ٦٨؛ صالح العلي، إدارة الحجاز في العصور الإسلامية الأولى: ص٤٤.

(٤) بطاينة، دراسات وبحوث في التاريخ الإسلامي: ص١٣٤.

والصدق في بلاد الحجاز، هو الذي جعل معاوية يأخذ في اعتباره منـزلة الحجاز، وبالتالي منـزلة من يتولَّى الإمرة هناك.

ويبدو أن معاوية ﷺ كان يخشى من مروان بن الحكم؛ بدليل عزله مرتين عن إمرة الحجاز، وهو يُعتبر صاحب كفاءة مميـزة في عملـه. ولم يكـن معاويـة يُخفـي تخوُّفه من مروان بن الحكم(١).

ولعل في إقدام معاوية على عزل مروان قبـل وفاتـه بـسنتين، مـا يُعـزِّز تلـك الشكوك التي كان يشعر بها معاوية حيال مروان بن الحكم.

وعندما تولَّى الخلافة يزيد، ضرب صفحًا عن مروان بن الحكم، ولم يُوكل إليه إمرة الحجاز، أو حتى الوساطة بينـه وبـين ابـن الـزبير، وقـد شـعر مـروان بهـذا الإهمال، وبالأخص حينما جاء الوفد الشامي المكلَّف بالتفاوض مع ابـن الـزبير، لذا حاول أن لا يصل الوفد مع ابن الزبير لأي نتيجة، ولم يخف عمله ذلك(٢).

والحقيقة أن يزيد أخطأ منذ البداية في ترك ولاية الحجـاز بـين أمـراء لا خـبرة لهم، بينما كان مروان بن الحكم يملك من الـصفات والمواهـب مـا هـي كفيلـة - بإرادة الله - بالتغلب على معارضة ابـن الـزبير، ومعالجتهـا بـشكل يختلـف عـن تناول باقي الأمراء لهذه المعارضة.

ومما يدل على قدرات مروان بن الحكم أنه تمكن في فترة لاحقة - وذلـك بعـد

---

(١) ابن أبي عاصم، الآحاد والمثاني: ١/ ٣٩٣، الطبري: ٥/ ٢٩٥.

(٢) لقد سبق تخريجه، ص ٦٤٢.

وفاة معاوية بـن يزيـد - مـن إرجـاع الخلافـة إلى بنـي أميـة، بعـدما اضـمحلَّت دولتهم، وقُضي عليها تقريبًا.

وهذا إن دل، فإنما يدل على مواهب هذا الرجل، ومكانته، ودهائه، وخبرتـه، وصفاته، ولا شك أن يزيد قد ارتكب خطأ فادحًا في إهماله، وعدم إعطائـه دوره الذي هو حقيق به.

٢- حملة مسلم بن عقبة النميري:

إذا رجعنا إلى معارضة أهل المدينة، وإخراجهم عثمان بن محمد ومن معـه مـن بني أمية من المدينة، نجـد أن معارضـتهم أعظـم مـن أن يقـوم يزيـد باحتوائهـا، وكانت الرغبات الشخصية ودوافع العاطفـة قـد أعمـت الكثـيرين عـن إبـصار الحقيقة، وقد ضاعت صيحات الغيورين وتحذيراتهم وسط شعارات المتحمسين.

فأخرج أهل المدينة بني أمية، وخلعوا يزيد بن معاوية، وجعلوا من تصرفاتهم تلك، وكأن الأمر موجَّه ضد الأمويين، وإلَّا ما هو ذنب بني أميـة حتـى يُخرجـوا ويُطردوا من ديارهم وأملاكهم وبيوتهم؟

لا شك أن هذا العمل الذي أقدم عليه أهل المدينة يمثل سابقة خطيرة، تهـدد مستقبل الدولة وكيان الأمة بأسرها، ثـم إنـه مـن الـصعوبة أن يـترك يزيـد هـذه المعارضة الصريحة والبيِّنة، وهذا الانفـصال المبـاشر عـن الدولـة، دون أن يتخـذ عملاً حاسمًا يُعيد للدولة قدرتها ونفوذها، ويعيد للأمة وحدتها وتماسكها.

ولا يمكن أن ينظر لعمل أهل المدينة هذا على أنه قاصر عليهم دون سـواهم مـن

مدن الحجاز؛ فمكة والطائف واليمن ستعلن هذا الانفصال متابعة لموقف المدينيين.

ولقد تهيّأ لمعارضة ابن الزبير من الوقت - ثلاث سنوات - ما هو كفيل بكسب الأتباع، والتأييد لقضيته(١).

وبالتأكيد، فإن يزيد بن معاوية ينظر لمعارضة أهل المدينة على أنها نتاج طبيعي لمعارضة ابن الزبير في مكة، ولهذا أراد أن يدلّل لعبد الله بن جعفر على أن أهل المدينة يتبعون ابن الزبير في معارضتهم وخلعهم ليزيد، وذلك حينما أمر قائده مسلم بن عقبة بأن يعرض على أهل المدينة السماح له بالتجاوز إلى ابن الزبير، فإن تركوا الجيش يجوز لابن الزبير تَرَكَهَم، وإن منعوه قاتلهم(٢).

وعندما وصل جيش مسلم بن عقبة إلى المدينة، وعرض عليهم ما ذكره يزيد ابن معاوية، رفضوا ذلك أشد ما يكون الرفض، بل وأصروا على المقاتلة، وحلَّت الهزيمة بالمدينيين، وتعرَّض أهلها للنهب والقتل(٣).

ولم يقم مسلم بن عقبة في المدينة أكثر من ثلاثة أيام؛ وذلك لأن معركة الحرة كانت قبل نهاية شهر ذي الحجة بثلاثة أيام، وتوفي مسلم بن عقبة بالمشلّل(٤)

---

(١) الفاسي، المقنع من أخبار الملوك: ص٣٩.

(٢) ابن سعد: ٥/ ١٤٥، ط٥/ ٤٧٣ عن الواقدي؛ البياسي، الأعلام: ٢/ ١٠٨ عن الواقدي؛ ابن عساكر: ١٦/ ق٤٧٧.

(٣) راجع فصل الحرة.

(٤) المشلل: جبل يهبط منه إلى قديد من ناحية البحر (ياقوت: ٥/ ١٣٦).

قرب الأبواء في السابع من المحرم وهو في طريقه إلى ابن الزبير في مكة[(١)].

٣- حملة الحصين بن نمير السكوني:

وعندما أحسَّ مسلم بن عقبة بدنو أجله دعا الحصين بن نمير السكوني[(٢)]، وحُبَيْش بن دلجة العتبي، وعبد الله بن مسعدة الفزاري، ثم قال: «إن أمير المؤمنين عهد إليَّ أن أولي أمركم الحصين بن نمير، وأكره خلافه عند الموت، ثم قال للحصين: إن حبيش[(٣)] بن دلجة أولى بها وليتك منك، ولكن أمر أمير المؤمنين، فاحفظ عني ما أقول لك: لا تطيلن المقام بمكة؛ فإنها أرض جردبة لا تحتمل الدواب، ولا تمنع أهل الشام من الحملة، ولا تمكن قريشًا من أذنك، فإنهم قوم خدع، وليكن أمرك الوقاف ثم الثقاف ثم الانصراف...، واعلم أنك تقوم على قوم لا منعة لهم ولا عدَّة ولا سلاح، ولهم جبالٌ مشرفة عليهم، فانصب عليها المجانيق، فإن لاذوا بالبيت، فارمه؛ فما أقدرك على بنائه»[(٤)].

---

(١) البلاذري، أنساب الأشراف: ٤/ ٣٣٦؛ ابن سعد، ط٥/ ٤٧٦؛ الطبري: ٥/ ٤٩٦.

(٢) الحصين بن نمير السكوني الكندي: أحد أمراء يزيد، مشهور، كان في آخرة أمره على ميمنة ابن زياد في حربه مع إبراهيم بن الأشتر، فقُتل مع ابن زياد على مقربة من الموصل (الأعلام: ٢/ ٢٩٨).

(٣) حُبَيْش بن دلجة: أحد وجوه أهل الشام، من الأردن، شهد صفين مع معاوية، كان على أهل الأردن يوم الحرّة، قُتل في الربذة أيام ابن الزبير. (مختصر تاريخ دمشق: ٤/ ٤٣-٤٥).

(٤) ابن سعد، ط٥/ ٤٧٦ عن الواقدي، البلاذري؛ أنساب الأشراف: ٤/ ٣٣٨ عن المدائني، الأزرقي؛ أخبار مكة: ٦/ ٢٠٢؛ المبرد، التعازي والمراثي: ٢٥٢؛ وقد ورد جزء من هذه المحادثة عند: أبي نعيم، الحلية: ١/ ٣٣١؛ الهيثمي، مجمع الزوائد: ٧/ ٢٥٢ وقال: رواه الطبراني وفيه عبد الملك، قال عنه ابن حجر بأنه صدوق (التقريب: ٦٦٣). والسند الذي أورده أبو نعيم في الحلية: ١/ ٣٣١، والحاكم في المستدرك: ٣/ ٥٥٠، وابن عساكر (ترجمة ابن الزبير: ٤٧٣) =

وهلك مسلم بن عقبة ودفن بثنية المشلّل[(١)]. وسار الجيش إلى مكة، ووصل إليها الحصين بن نمير قبل انقضاء شهر محرم بأربع ليالٍ[(٢)]. وعسكر الحُصين بن نُمير بالحُجُون[(٣)] إلى بئر ميمون[(٤)].

= كلها من طريق علي بن المبارك؛ لم أعثر له على ترجمة، مع أن كل الذين ترجموا لزيد ابن المبارك ذكروا من مشايخه علي بن المبارك الذي هو خاله، وهذا يدل على شهرته، وهو أيضًا من مشايخ الطبراني (المعجم الصغير: ١/ ٣١٩). وقد ورد الخبر أيضًا من طريق آخر عند (الفاكهاني: ٢/ ٣٥١) ولكنه أيضًا من طريق عبد الملك الذماري على هذا النحو:

حدثنا محمد بن إسماعيل، قال: ثنا مهدي بن أبي مهدي ثنا عبد الملك الذماري... وحكم المحقق على السند بأنه حسن، وبمراجعة رجال السند، وجدت أن مهدي بن أبي المهدي لم أعثر له على ترجمة، ولعل المحقق ظنه مهدي بن أبي مهدي الهجري المحاربي، وهو من الطبقة السادسة يروي عن عكرمة توفي سنة ١٣٠ (التقريب: ٥٤٨)، وعبد الملك الذماري من التاسعة (التقريب: ٣٦٣) فكيف يعقل أن ينقل صاحب الطبقة السادسة عن رجل في الطبقة التاسعة؟!

(١) ذكر الواقدي: أن أم ولد ليزيد بن زمعة كانت تسير وراء العسكر يومين أو ثلاثة، ومات مسرف فدُفن بثنية المشلل، وجاءها الخبر فانتهت إليه، فنبشته ثم صلبته على ثنية المشلل (ابن سعد، الجزء المتمم: ص١٠٥، وعند البلاذري، أنساب الأشراف: ٤/ ٣٣٦) بإسناد حسن حتى جويرية. وقال الواقدي في رواية أخرى عن عبد الرحمن بن الحارث أنه قال: والله ما خلصت إليه، ولقد نبشت عنه، ولكنها لما انتهت إلى لحده وجدت أسودَ من الأساود منطويًا على رقبته فاتحًا فمه، فانصرفت عنه» (السمهودي، وفاء الوفاء: ١/ ١٣٦).

(٢) ابن سعد، ط٥/ ٤٧٦، ابن عبد البر، الاستيعاب: ٣/ ٢٤٣.

(٣) الحجون: الجبل المشرف حذاء مسجد البيعة، بينه وبين الحرم ميل ونصف (الأزرقي، أخبار مكة: ٢/ ٢٧٣، ياقوت: ٢/ ٢٢٥).

(٤) بئر ميمون: حفرها ميمون بن الحضرمي، وهي بطريق منى (الأزرقي، أخبار مكة: ٢/ ٢٢٢).

وبذلك فقد عمل الحصين بن نمير على نشر جيشه على مسافة واسعة، والذي دفعه إلى ذلك معرفته بطبيعة الحرب التي ستدور في مكة؛ فالحرم محاط بجبال عالية متصلة، ولا يمكن أن يحكم عليها الحصار بسهولة، وربما كان يهدف الحصين بن نمير من وراء نشر جيشه بهذه الصفة إلى عامل نفسي؛ حيث يبرهن لابن الزبير ومن معه أنه لا ينوي القيام بعمل عسكري سريع ثم يرجع، بل سيُقيم حتى يصل إلى نتيجة حاسمة.

وكان ابن الزبير قد قام في الناس يحثُّهم على قتال جيش أهل الشام، وانضم المنهزمون من معركة الحرة إلى ابن الزبير، وقَدِم على ابن الزبير أيضًا نجدة بن عامر الحنفي في ناس من الخوارج؛ وذلك لمنع البيت من أهل الشام[1].

وكان النجاشي قد أرسل جماعة من جيشه للدفاع عن الكعبة[2].

ولم تحدد لنا المصادر عدد جيش ابن الزبير، ولكنه يُفهم من قول ابن مطيع أن عدد المقاتلين الذين اشتركوا مع ابن الزبير أقل بكثير من المقاتلين الذين اشتركوا في معركة الحرة، وكان عدد الذين شاركوا في الحرة ألفي رجل[3].

وعرض الحصين بن نمير على أحد أمراء ابن الزبير -عبد الله بن صفوان- الصلح والتسليم، وحذَّرهم من مغبَّة الحرب، ولكن عبد الله بن صفوان أصرَّ

(١) البلاذري، أنساب الأشراف: ٤/ ٣٣٨ بإسناد جمعي (قالوا)؛ الطبري: ٥/ ٤٩٧ عن عوانة.

(٢) البلاذري، أنساب الأشراف: ٤/ ٣٤٣ بسند حسن عن المدائني.

(٣) ابن سعد، الطبقات: ٥/ ١٤٦ عن الواقدي؛ البياسي، الأعلام: ٢/ ١٢٥٤ عن الواقدي.

على الحرب والقتال[١]. ووافقه البقية على ذلك[٢].

ولكي يستطيع ابن الزبير أن يُعوِّض قلَّة جيشه فقد عمل إلى تقسيم جيشه عدة فرق؛ كل فرقة تتولَّى حماية موضعها المناط بها؛ وذلك حتى يأمن ابن الزبير من التفاف أهل الشام عليه من الخلف[٣].

وقد ذكر المدائني أن القتال لم ينشب بينهم إلّا يوم الأحد لثلاث عشرة ليلة خلت من صفر، وقد كان التوقف حدث من كلا الطرفين تعظيمًا لشأن الحرم والقتال فيه[٤].

كان القتال شديدًا بين الطرفين[٥]، حتى أنه يستمر لبعض الأحيان في الليل[٦].

واستحدث ابن الزبير مراكز متقدمة لجيشه، حتى يضمن أكبر قدر ممكن من مساحة الأرض التي يمكن أن يتحرك عليها[٧].

ومن خلال ما ذكرت المصادر التاريخية فإن ساحة المعارك في الجهة الشمالية من الكعبة حيث الأبطح، واستطاع ابن الزبير أن يحكم السيطرة على كل المنافذ الأخرى،

---

(١) البلاذري، أنساب الأشراف: ٤/ ٣٣٩ عن المدائني.

(٢) أبو العرب، المحن: ٢٠٣ عن أبي معشر.

(٣) البلاذري، أنساب الأشراف: ٤/ ٤٣٤ بإسناد حسن، ٤/ ٣٤٧ عن الواقدي.

(٤) المصدر نفسه: ٤/ ٣٤٠ عن المدائني.

(٥) ابن سعد، ط٥/ ٤٧٦ عن الواقدي.

(٦) البلاذري، أنساب الأشراف: ٤/ ٣٤٧ عن الواقدي.

(٧) المصدر نفسه ٤/ ٣٤٧ عن الواقدي.

وقد ساعده على ذلك وجود الجبال التي تمثل حاجزًا طبيعيًا مهمًا لابن الزبير.

ويبدو أن ابن الزبير قد حقَّق في البداية شيئًا من التكافؤ مع جيش الحصين ابن نمير[(١)]، إلا أن هذا الوضع سرعان ما تحول لصالح الحصين بن نمير بعد أن مُني ابن الزبير بفقد خيرة أصحابه[(٢)]، مثل أخويه المنذر وأبي بكر ابنا الزبير، ومصعب بن عبد الرحمن، وحذافة بن عبد الرحمن بن العوام[(٣)]، وعمرو بن عروة بن الزبير[(٤)].

ولم يحرز الحصين بن نمير تفوقًا واضحًا في المعركة، ولعل ضيق المساحة التي قاتل من خلالها، كانت سببًا في تأخير حسم المعركة لصالح الحصين بن نمير.

وبعد ثلاثة أيام من ربيع الأول سنة أربع وستين من الهجرة، قام الحصين بن نمير بنصب المنجنيق[(٥)] على جبل أبي قُبيس[(٦)]، وجبل قُعيقعان[(٧)].

---

(١) ابن سعد، الطبقات: ٥/ ١٥٩ عن الواقدي؛ المحن: ٢٠٤ عن أبي معشر؛ ابن عساكر (ترجمة ابن مسعدة): ص٤٣٧ عن ابن سعد.

(٢) البلاذري، أنساب الأشراف: ٤/ ٣٥٠ عن الواقدي.

(٣) ورد عن رواية الواقدي على هذا النحو والصحيح أن اسمه خارجة بن عبد الرحمن بن العوام، قُتل مع عمه ابن الزبير بمكة (الزبير بن بكار، جمهرة نسب قريش: ٣٥٢).

(٤) عمرو بن عروة بن الزبير، كان شجاعًا، قتل مع ابن الزبير: (الزبير بن بكار، جمهرة نسب قريش: ٣٦٢).

(٥) هي أداة لدك الحصون أو الأسوار بواسطة قذف الأحجار من مسافة بعيدة، وانظر عنه بالتفصيل (محمود أحمد عواد، الجيش والقتال في صدر الإسلام: ٣٩٦-٤٠٦).

(٦) جبل أبي قبيس: وهو أحد أَخْشَبَيّ مكة، وهو الجبل المشرف على الصفا. (الأزرقي، أخبار مكة: ٢/ ١٦٦).

(٧) جبل قعيقعان: هو جبل بمكة ويقال أنه أحد الأخشبين وهو مقابل لأبي قبيس (الفاسي، شفاء الغرام: ١/ ١٦).

وهذا التطور الذي طرأ على طبيعة القتال، يدلل على انحسار مواقع ابن الزبير، حيث استطاع الحصين بن نمير أن ينتزع هذين الجبلين من ابن الزبير ليثبت عليهما المنجنيق[١].

وكان الحصين بن نمير يهدف من وضع المنجنيق على الجبلين المحيطين بالحرم إلى تجريد ابن الزبير من الحماية بالكعبة.

بالفعل فقد استطاع الحصين أن يمنع أصحاب ابن الزبير من الالتجاء إلى الكعبة؛ حيث لا يجرؤ أحد على الاقتراب من الكعبة خشية أحجار المنجنيق.

وفقد ابن الزبير أهم مستشاريه ومناصريه -وهو المسور بن مخرمة- بعد أن أصابه أحد أحجار المنجنيق[٢].

وانكشفت مواقع ابن الزبير أمام الحصين بن نمير، ولم يبق مأمن لابن الزبير من أحجار المنجنيق سوى الحِجْر[٣].

وحوصر ابن الزبير حصارًا شديدًا ولم يعد يملك إلا المسجد الحرام فقط بعد

---

(١) البلاذري، أنساب الأشراف: ٤/ ٣٣٩ عن أبي مخنف؛ الأزرقي، أخبار مكة: ١/ ١٩٩؛ الطبري: ٥/ ٣٩٨ عن عوانة؛ ابو العرب، المحن: ٢٠٣ عن أبي معشر؛ ابن عبد ربه، العقد الفريد: ٤/ ٣٩٢.

(٢) ابن سعد، ط٥/ ٤٧٦ من طريق الواقدي؛ مصعب الزبيري، نسب قريش: ٢٦٣؛ البلاذري، أنساب الأشراف: ٤/ ٣٤٤ عن المدائني؛ الحاكم، المستدرك: ٣/ ٥٢٣؛ الذهبي، تاريخ الإسلام (حوادث ٦١-٨٠) ٢٤٥، ٢٤٧ من طريق الواقدي.

(٣) أبو العرب، المحن: ٢٠٣ عن أبي معشر.

أن فقد مواقعه المتقدمة في الأبطح[١].

وفي أثناء احتدام المعارك بين ابن الزبير والحصين بن نمير احترقت الكعبة، وهذه مصيبة أضيفت إلى مصائب المسلمين التي نتجت عن استحلال القتال في البلد الحرام، الذي حرم الله ورسوله ﷺ القتال فيه.

وكان يزيد بن معاوية قد مات في منتصف شهر ربيع الأول[٢]. ولم يعلم أحد بموته نظرًا لبعد المسافة بين مكة ودمشق، وقد جاء الخبر بموت يزيد إلى مكة لهلال شهر ربيع الآخر سنة أربع وستين[٣].

٤- حريق الكعبة:

لم يكن للمسجد الحرام على عهد رسول الله ﷺ وأبي بكر جدار يحيط به، وكانت دور قريش قريبة من المسجد، فضاق على الناس، فوسعه عمر واشترى دورًا فهدمها وزاد في المسجد، ثم اتخذ للمسجد جدارًا قصيرًا دون القامة،

---

(١) خليفة، التاريخ: ٢٥١، بإسناد صحيح حتى ابن جريج.

(٢) البلاذري، أنساب الأشراف: ٤/ ٣٤٤ عن المدائني، خليفة: ٢٥٥، ابن عبد البر، الاستيعاب: ٣/ ٣٤٣، ابن كثير: ٨/ ٢٢٨، ابن حجر، تعجيل المنفعة: ٤٥٣.

(٣) ابن سعد، ط٥/ ٤٧٦ عن الواقدي؛ الطبري: ٥/ ٤٩٨؛ الأزرقي: ١/ ١٩٧ عن الواقدي. وردت روايات توضح كيفية وفاة يزيد بن معاوية، منها: أنه كان يحبُّ قردًا فأركبه أتانًا فركض وراءه فسقط واندقت عنقه، وغير هذه الرواية التي تحاول أن تظهر يزيد وتصمه بالاستهتار، وعدم الحزم، وهي لا تثبت؛ فإما أنها روايات منقطعة، أو أن رواتها في غاية الضعف وموصوفين بالكذب،والهدف منها لا يغفل عنه عاقل. انظر على سبيل المثال: البلاذري، أنساب الأشراف: ٤/ ٢٨٧؛ الجاحظ، الحيوان: ٤/ ٦٦؛ أبو القاسم الزجاج، الأمالي: ٤٥؛ ابن سيدة، المخصص: ١٣/ ١٧٧؛ المسعودي، مروج الذهب: ٣/ ٧٧؛ النويري، نهاية الأرب: ٩/ ٣٣٧.

وكانت المصابيح توضع عليه[(١)].

ولما استخلف عثمان ﷺ وسَّع المسجد، واشترى دورًا، وزاد في مساحة المسجد حتى يسع الناس، ويقال: إن عثمان هو أول من اتخذ للمسجد الأروقة[(٢)].

ولما أخذ الحصين بن نمير يرمي ابن الزبير وأصحابه بالحجارة وهم حول الكعبة، عمد ابن الزبير إلى وضع ألواح حول البيت، وعلى المسجد وألقى عليها الفرش، حتى توفّر لهم غطاءً من الحجارة المنهمرة عليهم من أعالي الجبال المحيطة بالحرم، وحتى يتمكنوا من أداء الصلاة والطواف بالبيت وهم آمنون[(٣)].

وكان ابن الزبير قد جعل فسطاطًا في المسجد، فيه نساء يَسقين الجرحى، ويُطعمن الجائع[(٤)]، ومن الطبيعي أن يكون هذا الفسطاط قريبًا من الكعبة في الجهة الغربية منه، وذلك حتى يتوفر له الحماية من أحجار المنجنيق، وابتنى ابن الزبير في داخل المسجد أيضًا خيامًا أخرى، ربما كانت مُعدَّة ليرتاح فيها المقاتلون.

---

(١) البخاري مع الفتح: ٧/ ١٨٠.

(٢) البلاذري، فتوح البلدان: ١/ ٥٣؛ الأزرقي، أخبار مكة: ٢/ ٦٨-٦٩؛ الطبري: ٤/ ٢٥١؛ الفاسي، شفاء الغرام: ١/ ٢٢٤.

(٣) الأزرقي، أخبار مكة: ١/ ١٩٩ عن الواقدي؛ أبو العرب، المحن: ٢٠٣ عن أبي معشر؛ ابن عبد ربه، العقد الفريد: ٤/ ٣٩٢ عن أبي معشر.

(٤) ابن عساكر، (ترجمة ابن الزبير): ٤٧٤ من طريق الطبراني؛ الهيثمي، مجمع الزوائد: ٧/ ٢٥٣ وقال: «رواه الطبراني وفيه عبد الملك بن عبد الرحمن الذماري، وثقه ابن حبان وغيره، وضعفه أبو زرعة وغيره». قلت: وقد حكم عليه ابن حجر بأنه صدوق (التقريب: ٣٦٢)؛ ابن عبد ربه، العقد الفريد: ٤/ ٣٩٢ عن أبي معشر.

وقد تسبَّبت كثرة الخيام والفرش المبسوطة على الألواح إلى احتراق الكعبة فيما بعد، وليس هناك ثمة خلاف في ذلك، ولكن الخلاف الذي يدور بين الروايات هو: من قام بإشعال النار؟ أي من هو الذي بدأ فأحرق إحدى الخيام حتَّى سرت النار في بقية الخيام إلى أن احترقت الكعبة؟

فبينما يذكر عروة بن الزبير أن السبب في إشعال النار هو الحصين بن نمير حينما قال لجنده: «ما يزال يخرج إلينا من ذلك الفسطاط - أي ذلك الفسطاط الذي أقامه ابن الزبير للجرحى - أسدًا كأنما يخرج من عرينه - ويقصد ابن الزبير - فمن يكفينيه، فقال رجل من أهل الشام: أنا، فلمَّا جن الليل، وضع شمعة في طرف رمحه، ثم ضرب فرسه، ثم طعن الفسطاط فالتهب نارًا، والكعبة يومئذ مؤزرة بالطنافس، وعلى أعلاها الحبرة، فطارت الريح باللهب على الكعبة، فاحترقت»[1].

ونجد أحد أصحاب ابن الزبير يقال له: ابن عون يقول: «ما كان احتراقها (الكعبة) إلا منَّا؛ وذلك أن رجلاً منَّا -وهو مسلم بن أبي خليفة المذحجي- كان

---

(١) خليفة، التاريخ: ٢٥٢ بسند صحيح حتى ابن جريج، الأزرقي، أخبار مكة: ١٩٩-٢٠٠ بسند ضعيف؛ الطبري: ٥/ ٤٨٨ من طريق الواقدي؛ أبو العرب، المحن: ٢٠٣-٢٠٤ عن أبي معشر؛ الفاكهاني، أخبار مكة: ٢/ ٣٥٤-٣٥٥ من طريق عروة، وقال المحقق: إن السند حسن، وليس هو كذلك؛ والحاكم، المستدرك: ٣/ ٥٥٠-٥٥١ من طريق الواقدي؛ ابن عبد ربه، العقد الفريد: ٤/ ٣٩٢ عن أبي معشر؛ وأبو نعيم: ١/ ٣٣١ من طريق الطبراني؛ ابن عساكر (ترجمة ابن الزبير): ٤٧٤ من طريق الطبراني؛ الهيثمي: ٧/ ٢٥٣ وقال: «رواه الطبراني وفيه عبد الملك الذماري وثقه ابن حبان وغيره وضعفه أبو زرعة وغيره» وقال عنه ابن حجر صدوق (التقريب ٣٦٣).

هو وأصحابه يوقدون في خصاص لهم حول البيت، فأخذ نارًا في رمحه فيها نفط، وكان يوم ريح، فطارت منها شرارة، فاحترقت الكعبة حتى صارت إلى الخشب، فقلنا لهم: هذا عملكم رميتم بيت الله عز وجل بالنفط والنار، فأنكروا ذلك»[١].

وأما المدائني فينقل لنا عن أبي بكر الهذلي تفسيرًا آخر حول حريق الكعبة، فقال: «إن أهل الشام لما حصروا ابن الزبير سمع صوتًا بالليل فوق الجبل، فخاف أن يكون أهل الشام قد وصلوا إليه، وكانت ليلة مظلمة ذات ريح شديدة صعبة ورعد وبرق، فرفع نارًا على رأس الرمح لينظر إلى الناس، فأطارتها الريح، فوقعت على أستار الكعبة فأحرقتها واستطالت فيها، وجهد الناس في إطفائها فلم يقدروا...»[٢].

وقيل: إن السبب يعود إلى أن أهل المسجد جعلوا يوقدون النار وهم حول الكعبة، فعَلِقت النار ببعض أستار الكعبة فاحترقت[٣].

ويقال: إن جرذًا جرَّ فتيلة فيها نار، فسقطت في متاع بعض من حول الكعبة، فاحترقت، وهاجت ريح حملت الشرر إلى الأستار[٤].

---

(١) الأزرقي، أخبار مكة: ص١٩٨ من طريق الواقدي،،الطبري: ٥/ ٤٩٩ من طريق الواقدي؛ أبو الفرج، الأغاني: ٢١/ ١٠٦.

(٢) البلاذري، أنساب الأشراف: ٤/ ٣٤٨ عن الواقدي؛ الأغاني: ٣/ ٢٧٧؛ ابن الجوزي، المنتظم: ٦/ ٢٢؛ ابن كثير: ٨/ ٢٢٨.

(٣) الطبري: ٥/ ٤٩٨ عن الواقدي؛ الذهبي،تارخ الإسلام حوادث(٦١ - ٨٠):ص٣٤؛ابن كثير: ٨/ ٢٢٨.

(٤) البلاذري، أنساب الأشراف: ٤/ ٣٤٨ عن الواقدي.

ويمكن من خلال هذه الروايات المتعددة التي تناولت المتسبب في حريق الكعبة أن نؤلِّف فكرة مشتركة تجمع بين هذه الروايات.

فنستطيع أن نقول: إن الكعبة لم تكن مقصودة في ذاتها بالإحراق، بل إن إحراق الكعبة جاء نتيجة لحريق الخيام المحيطة بها، ثم إن الريح الشديدة التي صادفت ذلك اليوم كانت أحد العوامل الرئيسية في نقل الحريق إلى الكعبة.

ومما يدل على أن الكعبة لم يقصدها أحد بالحرق، ما أحدثه حريق الكعبة من ذهول وخوف من الله في كلا الطائفتين[١] : جيش الحصين بن نمير، وجيش ابن الزبير؛ فقد نادى رجل من أهل الشام بعد أن احترقت الكعبة وقال: «هلك الفريقان والذي نفس محمد بيده»[٢].

وأما أصحاب ابن الزبير، فقد خرجوا كلهم في جنازة امرأة ماتت في صبيحة ليلة الحريق خوفًا من أن ينزل العذاب بهم، وأصبح ابن الزبير ساجدًا يدعو ويقول: «اللهم إني لم أتعمَّد ما جرى، فلا تُهلك عبادك بذنبي، وهذه ناصيتي بين يديك»[٣].

وأهل الشام بالرغم من جهل بعضهم بابن الزبير ومكانته[٤]، إلا أنه من

---

(١) الأزرقي، أخبار مكة: ١/ ٢٠٣.

(٢) خليفة، التاريخ: ٢٥٢ بإسناد صحيح؛ حيث صرَّح ابن جريج بالسماع من عبد الرحمن بن أبي عمار.

(٣) أبو الفرج، الأغاني: ٣/ ٢٢٧ عن المدائني.

(٤) لقد كان بعض أهل الشام يقول لابن الزبير: «يا ابن ذات النطاقين»، انظر أبو الشيخ الأصبهاني، طبقات المحدثين بأصبهان: ١/ ١٩٨ قال محققه: رجال الإسناد كلهم ثقات؛ أبو نعيم، حلية الأولياء: ١/ ٣٣٦ نفس الطريق وبنحوه

المستحيل أن يجهل أحد منهم مكانة الكعبة وأهميتها، كيف وهم يتجهون إليها في صلاتهم عندما كانوا يحاصرون ابن الزبير؟

فمن المستحيل أن يعمد أحدهم إلى حرق الكعبة، أو كان ذلك يدور في تفكير الحصين بن نمير.

وقد وردت تصريحات لبعض أقارب ابن الزبير وبعض السلف والعلماء المحقِّقين بأنهم لم ينسبوا إلى أحد من الطائفتين المسؤولية عن حريق الكعبة أيام ذلك الحصار[(١)].

حتى أن أحد كبار التابعين من رواة مسلم لم يتهم أحدًا بإحراق الكعبة[(٢)].

وقال ابن عبد البر: «وفي هذا الحصار احترقت الكعبة»[(٣)].

وقال ابن حجر: «ثم سارت الجيوش إلى مكة لقتال ابن الزبير، فحاصروه بمكة وأُحرقت الكعبة»[(٤)]. وبهذا تُعتبر حادثة حريق الكعبة حادثة لم تقصد بها الكعبة دون سواها بالحريق، وعليه فليس هناك مبرِّر للدفاع عن الجيش الأموي وتبرئته من المسؤولية عن حريق الكعبة، كما فعل البعض[(٥)].

---

(١) ابن حجر، الإصابة: ٤/ ٩٤ عن الزبير بن بكار بسند صحيح.

(٢) صحيح مسلم بشرح النووي: ٩/ ٩٢.

(٣) الاستيعاب: ٣/ ٢٤٣.

(٤) تعجيل المنفعة: ص٤٥٣.

(٥) السباعي، تاريخ مكة: ص٩٦، العريناني، حريق الكعبة: ص٥٧، محمد إبراهيم الشيباني، خراب الكعبة: ص١٦.

«ولا شك أن أحدًا من أهل الشام لم يقصد إهانة الكعبة، بل كل المسلمين مُعظِّمون لها، وإنما كان مقصودهم حصار ابن الزبير، والضرب بالمنجنيق كان لابن الزبير لا للكعبة، ويزيد لم يهدم الكعبة، ولم يقصد إحراقها، لا هو ولا نوَّابه باتفاق المسلمين»[(١)].

وقد اختلفت المصادر في تحديد وقت احتراق الكعبة؛ فمنهم من يقول: إن احتراق الكعبة كان بينه وبين انتهاء الحصار تسع وعشرون ليلة[(٢)]، وخبر وفاة يزيد وصل كما هو معلوم إلى مكة في هلال شهر ربيع الآخر.

والبعض يجعل احتراقها بعد ثلاث ليال خلت من ربيع الأول[(٣)].

ومنهم من جعل احتراقها بعد مرور ست ليال من ربيع الأول[(٤)].

وبالنظر إلى المواقيت التي ذكرت بشأن حريق الكعبة نجد أنها غير صريحة؛ فالحريق لم يكن إلا بعد أن نُصبت الخيام في المسجد، وكانت إقامة الخيام بعد وضع المنجنيق ورميهم بالحجارة.

وكان المنجنيق قد وُضع بعد انقضاء ثلاثة أيام من ربيع الأول كما مر معنا، فيكون الحريق بعد هذه الفترة؛ حيث إن الروايات تذكر أن القتال قد استمر برهة

---

(١) ابن تيمية، منهاج السنة: ٤/ ٥٧٧.

(٢) الأزرقي، أخبار مكة: ١/ ١٩٧ عن الواقدي.

(٣) الأزرقي، أخبار مكة: ١/ ٢٠٣ عن ابن جريج مرسلاً، الطبري: ٥/ ٤٩٨ عن الواقدي، ابن عساكر ترجمة ابن الزبير: ٣٥٣ من طريق أبي بكر بن عيّاش، محي الدين بن العربي، محاضرة الأبرار: ١/ ٢٦٣ من طريق الأزرقي.

(٤) ابن عبد ربه، العقد الفريد: ٤/ ٣٩٢.

من الزمن، وكان هناك جرحى يعالجون في المسجد.

وهنا تبدو رواية أبي معشر وكأنها أقرب الروايات دقة في تحديد موعد الحريق؛ فقد نُقل عنه أنه قال بعد حريق الكعبة(١): «ثم قام أهل الشام أيامًا بعد حريق الكعبة»(٢). ثم نقل عنه التحديد بأن الكعبة احترقت قبل مجيء نعي يزيد بن معاوية بإحدى عشرة ليلة(٣).

وهكذا كانت إحدى نتائج تلك الحرب التي دارت بين ابن الزبير والحصين بن نمير إحراق البيت الحرام، ولعل من الجدير ذكره هنا أن رسول الله ﷺ قد أخبر بذلك؛ حيث قال ﷺ: (**يُبايع رجل بين الركن والمقام، ولن يستحل هذا البيت إلا أهله...**)(٤).

وقال أيضًا ﷺ: (**كيف أنتم إذا مرج الدين، وظهرت الرغبة، واختلفت الأخوان، وحُرِّق البيت العتيق؟**)(٥).

وهذه من معجزاته ﷺ التي تحققت بعد وفاته.

---

(١) أبو العرب، المحن: ٢٠٤.

(٢) ابن عبد ربه، العقد الفريد: ٤/ ٣٩٢.

(٣) أبو العرب، المحن: ٢٠٤؛ ابن عبد ربه، العقد الفريد: ٤/ ٣٩٣.

(٤) الطيالسي، المسند: ٣١٢-٣١٣ (٢٣٧٣)؛ ابن أبي شيبة: ١٥/ ٥٢-٥٣ (١٩٩١)؛ أحمد، المسند: ٢/ ٩١، ٣١٢، ٣٢٨، ٣٥١؛ علي بن الجعد، المسند: ٢/ ١٠٠٥ (٢٩١١)؛ الحاكم، المستدرك: ٤/ ٤٥٢-٤٥٣؛ ابن الملقن، المختصر على استدراك الذهبي على المستدرك: ٧/ ٣٣٠٧ (١١٠٣). والحديث صحيح كما حكم عليه الشيخ ناصر الدين الألباني. (السلسلة الصحيحة ٢/ ١١٩-١٢٠ (٥٧٩).

(٥) أحمد، المسند: ٦/ ٣٣٣؛ الساعاتي، الفتح الرباني: ٢٣/ ٣٨٦؛؛الطبراني، المعجم الكبير: ٢٤/ ١٠، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد: ٧/ ٣١٠، ٣٢٠ (رواه أحمد والطبراني وزاد: وشرف البنيان واختلف الأخوان» ورجاله ثقات.





المبحث الرابع

تقويم معارضة ابن الزبير رضي الله عنه



المبحث الرابع

تقويم معارضة ابن الزبير رضي الله عنه

حينما نحاول أن نقوِّم حركة ابن الزبير، ومدى تأثيرها على المجتمع الإسلامي في تلك الفترة، فإنا سنقتصر على مناقشة جانب من تلك المعارضة؛ وذلك لأن ابن الزبير والحصين بن نمير لم يصلا إلى نتيجة واضحة من القتال الذي دار بينهما في مكة.

ثم إن وفاة يزيد بن معاوية جعلت حدًّا لسبب هذه المعارضة، الأمر الذي جعل الحصين بن نمير يرجع بجيشه إلى بلاد الشام؛ حيث إن الأسباب المسببة لهذه الحملة قد انتهى أحد أطرافها.

ولا يمكن دراسة معارضة ابن الزبير من حيث الشعارات التي رُفعت فيها؛ لأنه مهما كانت مصداقية المعارضة، ووضوحها، فإن ذلك لا يجعلنا نغفل عن مواقف أولئك الذين عاصروا هذه المعارضة؛ فهم الشاهد الرئيسي عليها، كذلك هم بمثابة القضاة في الحكم على حركة ابن الزبير، وسنعرض لمواقف أفقه وأفضل أهل زمانهم ممن عاصروا معارضة ابن الزبير رضي الله عنهم.

١- موقف ابن عمر من معارضة ابن الزبير:

لم يكن ابن عمر رضي الله عنه - وهو أفضل وأفقه أهل زمانه- راضيًا عن معارضة ابن الزبير لخلافة يزيد بن معاوية؛ حيث إن يزيد بن معاوية - في نظره - يمثل الخليفة الشرعي للمسلمين، وأنه قد أعطي البيعة، ولذا لا يجوز الخروج عليه.

وكان ابن عمر رضي الله عنه يعلم نتائج معارضة ابن الزبير؛ حيث سيكون هناك حرب وقتال بين المسلمين، ويُقتل الناس، وتُبتلى الأمة، وتُعطَّل الثغور، ويتوقَّف الجهاد في سبيل الله، إلى غير ذلك من المفاسد التي كان يعتقد ابن عمر أنها ستحدث لا محالة إذا استمر ابن الزبير في معارضته.

ولكي يصرف ابن عمر الناس عن مناصرة ابن الزبير فقد قال: «قتال ابن الزبير إنما هو لأجل الدنيا»[(١)]، وأخذ يُخبر الناس ويُحذِّرهم أن قتالهم ومناصرتهم لابن الزبير إنما هو قتال على الملك فقط[(٢)].

وكان رضي الله عنه ينظر لابن الزبير ومن معه على أنهم بغاة، وتمنَّى مقاتلتهم لبغيهم على بني أمية[(٣)].

ولم يكتف ابن عمر بذلك، بل كان دائم المناصحة لابن الزبير، ويحذِّره من عواقب الفتن، وكان يُعرّفه بأن نهاية هذه المعارضة بائسة له[(٤)].

---

(١) ابن أبي شيبة، المصنف: ١٥/ ٨٠ (١٠٧٠٨) بسند صحيح؛ ابن سعد، ط٥/ ٤٧٢ بسند صحيح كما ذكر محققه.

(٢) البخاري مع الفتح: ٨/ ٣٢ (٤٥١٣) كتاب التفسير؛ أحمد، المسند: ٨/ ٥٧ (٥٦٩٠) وقال أحمد شاكر: سنده صحيح؛ الطبراني، المعجم الأوسط: ١/ ٢٦٥.

(٣) تقدم تخريجها في فصل الحرة.

(٤) مسلم بشرح النووي: ١٦/ ٩٨؛ ابن سعد، ط٥/ ٥١٧، ٥١٨، ٥٢٠ بأسانيد صحيحة؛ أبو نعيم، دلائل النبوة: ٦/ ٤٨٥؛ الحاكم، المستدرك: ٣/ ٥٥٣؛ الهيثمي، مجمع الزوائد: ٧/ ٢٥٦، وقال: «رواه الطبراني ورجاله رجال الصحيح».

وهذا هو موقف شيخ الصحابة في عصره وفقيه الأمة بلا منازع؛ يعرف خطورة الفتنة، ويعلم أن النتائج التي ستترتّب على هذه المعارضة ستكون نتائج خطيرة، وأن المصلحة التي قام من أجلها ابن الزبير سينجم عنها مفسدة أعظم، وهو ما حدث كما رأينا خلال الفصول السابقة.

٢- موقف ابن عباس رضي الله عنه:

لم يكن هذا هو موقف ابن عمر وحده من معارضة ابن الزبير، بل إن ابن عباس -رضي الله عنهما- كان أشد منه حيال موقفه من ابن الزبير.

فلم ينقل عنه أنه كان راضيًا عن ابن الزبير، أو أنه تعاطف مع معارضته، بل إنه لم يُبايعه بعد وفاة يزيد بن معاوية، وكان يُصرِّح بأنه إذا كان تحت حكم بني أمية خير له من حكم ابن الزبير[١].

ولم يكن راضيًا عن شخص ابن الزبير، ويُفضِّل عليه معاوية بن أبي سفيان[٢]، وكان على اختلاف مع ابن الزبير في كثير من الأمور[٣] بل ويحمِّله جزءًا من المسؤولية عن إحلال القتال ببيت الله[٤].

---

(١) البخاري مع الفتح: ٨/ ١٧٧.

(٢) عبد الرزاق، المصنف: ١١/ ٤٥٣ (٢٠٩٨٥) بسند صحيح؛ ابن أبي عاصم، الآحاد والمثاني: ١/ ٣٧٨ بسند صحيح؛ والطبري: ٥/ ٣٣٧ بسند حسن؛ والطبراني في الكبير: ٥/ ٣٣٧ بسند صحيح، الذهبي؛ السير: ٣/ ١٥٣. ولعلَّ هذا يعود إلى دور الزبير وابنه في معركة الجمل، حيث كان ابن عباس من المؤيدين لعلي، رضوان الله عن الجميع.

(٣) أحمد، المسند: ٤/ ٢٣، ٥/ ٢٦، ٦/ ٣٤٤.

(٤) البخاري مع الفتح: ٨/ ١٧٧ (٤٦٦٥).

٣- موقف أبي برزة الأسلمي[(١)]، وجندب بن عبد الله البجلي[(٢)] رضي الله عنهما:

لقد كان الصحابي الجليل أبو برزة الأسلمي يرى أن ابن الزبير إنما يقاتل لأجل الدنيا[(٣)]، وكذلك جندب بن عبد الله البجلي يرى أن قتال ابن الزبير نما هو لأجل الملك[(٤)]، وهما بهذه النظرة إلى الفتن التي تجري بين المسلمين في ذلك الحين، يهدفون إلى تحذير كل من يلتحق، أو ينوي الانضمام لأي من الطائفتين.

لقد كان تقويم هؤلاء الصحابة وغيرهم لمعارضة ابن الزبير ناتجًا عن اقتناع بخطورة ما أقدم عليه ابن الزبير؛ فهم يحرصون على تماسك الصف الإسلامي، وبالأخص أنهم قريبو عهد بفتنة الجمل وصفين، فما أن تنفَّس المسلمون الصعداء من جراء تلك الفتن والقتل الذي لحق بهم، إلا وهم أمام فتنة جديدة، قد لا تقل بشاعة ومأساوية عن تلك الفتنة السابقة.

ولا شك أن هؤلاء الصحابة وغيرهم قد آلمهم تعريض ابن الزبير الحرم للقتال والحرب؛ فالحرم يمثّل عند الجاهليين مكانًا مقدسًا له حرمته ومكانته في

---

(١) أبو برزة الأسلمي: نضلة بن عبيد، صحابي مشهور بكنيته، أسلم قبل الفتح، وغزا سبع غزوات مع النبي ﷺ، ثم نزل البصرة، وغزا خراسان، ت ٦٥هـ (التقريب: ٥٦٣).

(٢) جندب بن عبد الله بن سفيان البجلي: صحابي صغير، سكن الكوفة ثم البصرة، ويقال له: جندب الخير، بقي إلى إمارة ابن الزبير (الإصابة: ١/ ٥٠٩).

(٣) البخاري مع الفتح: ١٣/ ٧٤ (٧١١٢)؛ ابن أبي شيبة، المصنف ١٥/ ١٤؛ البيهقي، السنن الكبرى: ٨/ ١٩٣، الحاكم، المستدرك: ٤/ ٤٧٠.

(٤) أحمد، المسند: ٤/ ٦٣، ٥/ ٣٦٧، ٣٧٣، ٣٧٥-٣٧٦؛ الساعاتي، الفتح الرباني: ٢٣/ ١٨٤ بسند صحيح.

نفوسهم، فجاء الإسلام ليعظم من شأن البيت، وأكد رسول الله ﷺ مكانة الحرم ومكة يوم الفتح، واستمرَّ المسلمون في تعظيم الحرم؛ حيث كانوا ينزلونه منزلة جليلة من نفوسهم.

فكان عمر رضي الله عنه يقول: «لو وجدت فيه قاتل الخطاب ما مسسته حتى يخرج منه»[(١)].

ورفض عثمان رضي الله عنه التوجه للحرم لما حُصِر خوفًا من الإلحاد في حرم الله[(٢)].

وقال عبد الله بن عمر -رضي الله عنهما- عن الحرم: «لو وجدت فيه قاتل عمر ما ندهته»[(٣)].

وكان ابن مسعود رضي الله عنه يقول: «لو همَّ رجل بعدن أبين أن يُلحد في الحرم لأذاقه الله من عذاب أليم»[(٤)].

وقد فسّر عبد الله بن عمرو بن العاص قوله تعالى: ﴿وَمَن يُرِدْ فِيهِ بِإِلْحَادٍ بِظُلْمٍ نُّذِقْهُ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ﴾ [الحج: ٢٥] على أن المقصود بالإلحاد في الحرم هو: ظلم الخادم فما فوق ذلك[(٥)].

---

(١) ابن أبي شيبة، المصنف: ٥/ ١٥٣.

(٢) أحمد، المسند: ١/ ٦٧.

(٣) ابن أبي شيبة، المصنف: ٥/ ١٥٣.

(٤) أحمد، المسند: ٦/ ٦٥-٦٦ (٤٠٧١) وقال الشيخ أحمد شاكر: إسناده صحيح؛ وقال ابن كثير في التفسير: ٥/ ٤٠٧ على شرط البخاري؛ وقال الهيثمي في مجمع الزوائد: ٧/ ٧٠ «رواه أحمد وأبو يعلى والبزار، ورجال أحمد رجال الصحيح».

(٥) ابن أبي شيبة، المصنف: ٥/ ١٥١.

وكان أحد الأسباب التي جعلت الحسين بن علي ﷺ يخرج من مكة إلى الكوفة هو خوفه من تعريض مكة للحرب، وحَرَمِها للاستحلال[١].

ولكن ابن الزبير لما جعل مكة معقلًا له وأعلن معارضته ليزيد بن معاوية، تأكَّد لدى كثير من الصحابة أن مكة ستكون مسرحًا للقتال بين يزيد وابن الزبير.

ولذا فقد حذَّره عبد الله بن عمرو بن العاص قائلًا: «يا ابن الزبير: إيَّاك والإلحاد في حرم الله؛ فإني أشهد لسمعت رسول الله ﷺ يقول: (**يحلُّها ويحلُّ به رجل من قريش، لو وُزنت ذنوبه بذنوب الثقلين لوزنتها**)، قال - أي ابن الزبير - فانظره أن لا تكون هو يا ابن عمرو؛ فإنك قرأت الكتب، وصحبت الرسول ﷺ، قال: فإني أُشهدك أن هذا وجهي إلى الشام مجاهدًا»[٢].

وكان عثمان ﷺ يعرف هذا الحديث، ولهذا رفض الذهاب إلى مكة لما حُصر في المدينة[٣].

---

(١) لقد تقدّم في فصل قتل الحسين بأسانيد صحيحة.

(٢) أحمد، المسند: ١٢/ ٩ (٧٠٤٣) بسند صحيح؛ ابن أبي شيبة، المصنف: ١١/ ١٣٩، ١٥/ ٢٨٤ مع بعض الاختلاف، الهيثمي؛ مجمع الزوائد: ٣/ ٢٨٤-٢٨٥ وقال: «رواه أحمد ورجاله رجال الصحيح»؛ ابن عساكر (ترجمة ابن الزبير): ٣٦٣ من طريق أحمد.

(٣) أحمد، المسند: ١/ ٣٦٩ (٤٨١) وقال أحمد شاكر في إسناده نظر لأن محمد بن عبد الملك لم يدرك المغيرة بن شعبة، وتكون روايته مرسلة؛ الهيثمي، مجمع الزوائد: ٧/ ٢٣٠ وقال: «رواه أحمد ورجاله ثقات إلا أن محمد بن عبد الملك لم أجد له سماعًا من المغيرة، ولهذا الحديث طرق أخرى». ولا أعلم الدافع لابن كثير حيث علَّق على هذا الحديث وقال: «وهذا قد يكون غلطًا، وإنما هو من كلام عبد الله بن عمرو، وما أصابه من الزاملتين يوم اليرموك من كلام=

وما دامت حرمة مكة بهذه الصفة، وجاء التوعُّد من رسول الله ﷺ لذلك الرجل الذي يحل حرمة البيت، فلماذا استمرَّ ابن الزبير وأصرَّ على البقاء بمكة، حتى حدث القتال بها؟

للإجابة على هذا التساؤل يمكننا أن نستشف من تحركات ابن الزبير، وتركيزه على البقاء بجانب الكعبة طوال سنوات معارضته، أنه كان يحرص رضي الله عنه على إرجاع الحق إلى نصابه، ولهذا كان مطلبه صريحًا في إرجاع الشورى إلى حياة المسلمين، وأن يترك الأمويون التفرُّد بالأمر دون غيرهم.

وحين لقَّب نفسه: العائذ بالله، كان يهدف من وراء ذلك إلى استدرار عطف الناس، وإلهاب مشاعرهم تجاه الحرم ومن يلوذ به.

وكان ابن الزبير يظن أن الأمويين لا يمكن أن يُخاطروا بغزوه في مكة؛ حيث سيكون لذلك أثرٌ إيجابي لصالحه.

ولهذا فقد قال مصعب الزبيري: «زعموا أن الذي دعا عبد الله بن الزبير إلى التعوُّذ بالبيت شيء سمعه من أبيه، حين سار من مكة إلى البصرة، قال: التفت الزبير إلى الكعبة بعدما ودَّع وتوجَّه يريد الركوب، ثم أقبل إلى ابنه عبد الله بن الزبير، ثم قال: أما والله ما رأيت مثلها لطالب رغبة أو خائف رهبة»[١].

= أهل الكتاب والله أعلم. (البداية والنهاية: ٨/ ٣٤٥) ولعل ابن كثير خلط بين هذا الحديث وبين الحديث الذي ذُكر فيه اسم عبد الله كما سيأتي.

(١) ابن عساكر، (ترجمة ابن الزبير): ٤٦٦ من طريق الزبير بن بكار؛ الفاسي، العقد الثمين: ٥/ ١٥٧ من نفس الطريق.

لقد كانت هناك أمكنة مهيأة للحرب والمجالدة تتفوَّق على طبيعة مكة؛ مثل باقي بلاد الحجاز واليمن.

ولو قُدِّر لابن الزبير أن يعارض يزيد، أو الذين جاؤوا من بعده، في اليمن مثلًا، لربما تغيّر الحال، وكان من الصعوبة أن يحقق جيش يهاجمه أيَّ كسب عسكري[١].

ولعل مُراد الصحابة رضي الله عنهم الذين نقلنا عنهم رأيهم في قتال ابن الزبير، وأنه كان من أجل الدنيا، هو تثبيط الناس عن الاشتراك معه، ومعرفتهم بأن النتائج التي ستترتَّب على أي قتال يحدث هي أعظم من المنفعة المرجوَّة بعده.

ومما يدل على ذلك: أنه قد نقل عن بعض الصحابة الذين انتقدوا ابن الزبير، الثناء عليه؛ فهذا ابن عباس يقول عنه: «وأين بهذا الأمر - أي الخلافة - عنه»[٢].

وهذا ابن عمر يترحَّم على ابن الزبير بعد أن قتله الحجاج، ويقول: «لقد كنت صوَّامًا، قوَّامًا، تصل الرحم»[٣].

ويقول أيضًا: «رحمك الله، لقد سعدت أمة أنت شرُّها»[٤].

---

(١) لقد أجمع عدد من الباحثين على أن بقاء ابن الزبير في مكة كان من أهم أسباب إخفاقه، ومنهم: فلهاوزن، الدولة العربية: ص١٦٤، عمر أبو النصر، عبد الملك بن مروان: ص١١٨؛ إبراهيم بيضون، التيارات السياسية: ص٢٢٩؛ سهيل زكار، تاريخ العرب: ص١٦٣؛ الناظور، عبد الله بن الزبير: ص١٨٠؛ القبلان، عبد الله بن الزبير ص١٠٩؛ عبد العزيز الخراشي، ابن الزبير والأمويون ص١٩٣، رسالة ماجستير مكتوبة على الآلة الكاتبة.

(٢) البخاري مع الفتح: ٨/ ١٧٧ (٤٦٦٤).

(٣) مسلم بشرح النووي: ١٦/ ٩٩ (٢٥٤٥)؛ البيهقي، دلائل النبوة: ٦/ ٤٨٥؛ الحاكم، المستدرك: ٣/ ٥٥٢، ٥٥٣؛ الهيثمي، مجمع الزوائد: ٧/ ٢٥٦ وقال: رواه الطبراني ورجاله رجال الصحيح.

(٤) مسلم بشرح النووي: ١٦/ ٩٩، ابن سعد، ط٥/ ٥١٤ وقال محققه: إسناده صحيح؛ البيهقي، الدلائل: ٦/ ٤٨٥.

وبالرغم من القتال الذي دار بسببه، إلا أن القتل الذي أصاب إخوته وأصحابه وأصابه هو نفسه فإنه مكفرٌ بإذن الله عما اقترف من الذنب، ولذا قال ابن عمر مخاطبًا ابن الزبير وهو مصلوب: «أما والله إني لأرجو مع مساوئ ما قد عملت من الذنوب ألّا يعذبك الله»[١]. ثم قال: «حدثني أبو بكر الصديق أن رسول الله ﷺ قال: (**من يعمل سوءًا يجز به في الدنيا**)»[٢].

ثم إن بعض الذين قاموا مع ابن الزبير هم من الصحابة الأجلَّاء؛ كالمسور بن مخرمة، وعبد الله بن صفوان، ومصعب بن عبد الرحمن بن عوف، وغيرهم من فضلاء عصرهم، فمعاذ الله أنهم قاموا وقاتلوا وقُتلوا من أجل الدنيا.

---

(١) الحاكم، المستدرك: ٣/ ٥٥٢ بإسناد ضعيف؛ الذهبي، تاريخ الإسلام: (٦١-٨٠) ص٤٤٧ من نفس الطريق وبنفس الإسناد.

(٢) الحديث رواه أحمد، المسند: ١/ ١٨١-١٨٣؛ ابن عدي، الكامل في الضعفاء: ٢/ ١٤٢؛أبو يعلى، المسند ١/ ٤٣؛أبو نعيم،الحلية ١/ ٣٣٤؛ المستدرك: ٣/ ٧٤-٧٥، وصحَّحه الحاكم، ووافقه الذهبي، وتعقبهما أحمد شاكر، وقال: «هذا عجيب منهما، فإن انقطاع إسناده بين» انظر حاشيته على المسند: ١/ ١٨٢.

ولكن قد صح عن أبي هريرة ﷺ أنه قال: «لما نزلت ﴿مَن يَعۡمَلۡ سُوٓءٗا يُجۡزَ بِهِۦ﴾ بلغت من المسلمين مبلغًا شديدًا، فقال رسول الله ﷺ: (**قاربوا وسددوا؛ ففي كل ما يصاب به المسلم كفارة، حتى النكبة ينكبها، أو الشوكة يشاكها**) أخرجه مسلم بشرح النووي: ٨/ ١٦، أحمد، المسند: ٢/ ٢٤٨، الحميدي: (١١٤٨)، وله شاهد من حديث عائشة بنحوه، أخرجه الترمذي: (٢٩٩٤)، وقال: حديث حسن غريب. انظر: الألباني، السلسلة الضعيفة: ٣/ ٦٨٦-٦٨٧ رقم ١٤٩٥.

لقد كان مقصدهم ﷺ هو تغيير الواقع بالسيف، لمَّا رأوا تحوُّل الخلافة إلى وراثة وملك، ولما أُشيع حول يزيد من إشاعات أعطت صورة سيئة للخليفة الأموي في دمشق.

ويبدو أن تصور بعض الصحابة لبعض الأحاديث الواردة في الفتن هو الدافع لمناصرة ابن الزبير؛ فهذا عبد الله بن صفوان يسأل أم سلمة -أم المؤمنين رضي الله عنها- عن الجيش الذي يخسف به، وكان ذلك أيام ابن الزبير، فقالت: قال رسول الله ﷺ: (**يعوذ عائذ بالبيت، فيُبعث إليه بعث، فإذا كانوا ببيداء من الأرض خُسف بهم**)[1]. وفي رواية هي بيداء المدينة.

وفي رواية أخرى: (**سيعوذ بهذا البيت - يعني الكعبة - قوم ليست لهم منعة ولا عدد ولا عُدَّة...**)[2].

---

(١) صحيح مسلم: ٤/ ٢٢٠٩.

(٢) المصدر نفسه: ٤/ ٢٢١٠، وأبو نعيم، المستخرج على صحيح مسلم: ق١٥١ أ (مخطوط همدرر الهند، دلهي). وقد صيغت الأحاديث الضعيفة والموضوعة بشأن ابن الزبير ومن معه، فمنها على سبيل المثال: «يكون اختلاف عند موت خليفة، فيخرج رجل من المدينة هاربًا إلى مكة، فيأتيه ناس من أهل مكة فيُخرجونه وهو كاره، فيبايعونه بين الركن والمقام، فيبعث إليهم جيش من الشام، فيُخسف بهم بالبيداء، فإذا رأى الناس ذلك أتته أبدال الشام، وعصائب العراق، فيبايعونه ثم ينشأ رجل من قريش أخواله كلب، فيبعث إلى المكي بعثًا فيظهرون عليهم، وذلك بعث كلب، والخيبة لمن لم يشهد غنيمة كلب، فيقسم المال، ويعمل في الناس سنة نبيهم، ويلقى الإسلام بجرانه إلى الأرض يمكث تسع سنين أو سبع سنين» أحمد، المسند: ٦/ ٣١٦، أبو داود رقم: (٤٢٨٦)، ابن أبي شبه، تاريخ المدينة: ١/ ٣٠٩. وقال الألباني في سلسلة الأحاديث الضعيفة: ٤/ ٤٣٥ رقم (١٩٦٥) ضعيف.

ولَمَّا توجه أهل الشام إلى مكة بعد معركة الحرَّة قال عبد الله بن صفوان: «أما والله ما هو بهذا الجيش».

والذي ينبغي أن يعرف هو أن قيام ابن الزبير كان لله وليس كما قال أحدهم:

«وعلى الرغم من أن حركة ابن الزبير لم تكن سوى مزيج عجيب من عدد من العناصر يحرِّكها طموح شخصي، وصراع قبلي، التقتا في نفس ابن الزبير، وشخصيته»(١).

لقد كان ﷺ يهدف من وراء المعارضة أن تعود الأمة إلى حياة الشورى، ويتولى الأمة حينئذ أفضلها، وكان يخشى من تحوُّل الخلافة إلى ملك، وكان يرى ﷺ أنه باستعماله للسيف وتغييره للمنكر بالقوة، يتقرَّب إلى الله، ويضع حدًّا لانتقال الخلافة إلى ملك ووراثة، ولهذا لم يدع لنفسه حتى توفي يزيد بن معاوية(٢).

قال ابن كثير بعد ذكره لحديث أورده الإمام أحمد في مسنده: أن ابن الزبير قال: لعثمان حين حصر: إن عندي نجائب قد أعددتها لك، فهل لك أن تتحول

---

(١) محمد ماهر حمادة، الوثائق السياسية للجزيرة العربية: ص١٨.

(٢) ابن سعد: ٥/ ١٤٧ عن الواقدي؛ البخاري، التاريخ الكبير: ٢/ ١٣٢ بإسناد حسن؛ البلاذري، أنساب الأشراف: ٤/ ٥٧ بإسناد صحيح؛ ابن عساكر (ترجمة ابن الزبير): ٤٦٤، ٤٩١؛ الذهبي، تاريخ الإسلام (٦١-٨٠): ص٤٤١.

وأما ما ذكره يعقوب أن ابن الزبير طلب من ابن عباس البيعة فامتنع ابن عباس، فأرسل إليه يزيد يمدحه ويثني عليه في موقفه، فرد عليه ابن عباس ردًا مقنعًا... هذه رواية لا تصح؛ لأن في إسناد يعقوب: عبد الوهاب بن الضحاك العرضي وهو متروك. وقد ذكر الهيثمي هذه الرواية في المجمع ٧/ ٢٥٠-٢٥٢ وقال: «رواه الطبراني وفيه جماعة لم أعرفهم».

إلى مكة فيأتيك من أراد أن يأتيك؟ قال: لا، إني سمعت رسول الله ﷺ يقول: (**يُلحد كبش من قريش، اسمه عبد الله، عليه أوزار الناس**).

قال ابن كثير: «وهذا حديث منكر جدًا، وفي إسناده ضعف، ويعقوب - أحد الرواة - هو القُمِّي، وفيه تشيُّع، ومثل هذا لا يقبل تفرُّده به، وبتقدير صحته، فليس هو بعبد الله بن الزبير؛ فإنه كان على صفات حميدة، وقيامه في الإمارة إنما كان لله عز وجل، ثم كان الإمام بعد معاوية بن يزيد لا محالة»[1].

ومع ذلك فإن التمسك بنصوص الكتاب والسنة التي تأمر بلزوم الجماعة، والتي تحذِّر من شقِّ عصا الطاعة هو أولى من الذي أقدم عليه ابن الزبير، وأهل الحرَّة؛ فكم من دم أريق، وامرأة ترمَّلت، وطفل تيتَّم، ومال نهب وأضيع، وغير ذلك من المفاسد الكبيرة التي ربما لا يحصيها قلم، ولا يسعها كتاب، وكان الأولى من كل ذلك أن توجَّه هذه الجهود الهائلة إلى قتال أعداء الله، وإلى تحرير أولئك الذين يرضخون تحت نير الكفر وأعراف الجاهلية.

وبما أن كل طرف يقاتل ويرى أنه على حق فلهذا سمَّى السلف معارضة ابن الزبير فتنة[2]؛ لأنه قتال بين المسلمين لا نفع من وراءه ولا خير؛ فالكل يقاتل عن تأول، ومع ذلك نقول كما قال الذهبي: «فليته كفَّ عن القتال لمَّا رأى الغلبة، بل

---

(١) ابن كثير، البداية والنهاية ٨/ ٣٤٥.

(٢) مالك، الموطأ: ١/ ٣٦٠ رقم(٩٩)؛ صحيح البخاري مع الفتح: ٧/ ٥٢١ (٤١٨٣) ٨/ ٣٢؛ البخاري، التاريخ الصغير: ١/ ٩٣؛ صحيح مسلم: ٢/ ٩٠٣؛ ابن أبي عاصم، الآحاد والمثاني: ١/ ٤١١؛ ابن عساكر، (ترجمة ابن الزبير) ٤٥٤؛ ابن حجر، تهذيب التهذيب: ٦/ ٢٣.

ليته لا التجأ إلى البيت... فنعوذ بالله من الفتنة الصمَّاء»[١].

وليتهم اتبعوا طريقة ابن عمر وغيره من الصحابة والتابعين الذين اعتزلوا الفتن التي جرت بين المسلمين، وما أجمل قول ابن عمر حين قال:

«إنما كان مثلنا في هذه الفتنة كمثل قوم كانوا يسيرون على جادَّة يعرفونها، فبينا هم كذلك إذ غشيتهم سحابة وظُلمة، فأخذ بعضنا يمينًا وبعضنا شمالًا، فأخطأنا الطريق، وأقمنا حيث أدركنا ذلك، حتى تجلَّى لنا ذلك، وأبصرنا الطريق الأول، فعرفناه فأخذنا فيه؛ إنما هؤلاء فتيان قريش يتقاتلون على هذا السلطان، وعلى هذه الدنيا، والله ما أبالي ألا يكون لي ما يقتل فيه بعضهم بعضًا بنعلي»[٢].

---

(١) الذهبي، سير أعلام النبلاء: ٣/ ٣٧٧-٣٧٨.

(٢) ابن سعد: ٤/ ١٧١؛ أبو نعيم، حلية الأولياء: ١/ ٣١٠.





المبحث الخامس

يزيد بن معاوية والاتهامات



المبحث الخامس

يزيد بن معاوية والاتهامات

في موضوع دراسة شخصية يزيد لا بد لنا أن نبحث مسألة مهمة تطرَّق إليها المؤرخون الأولون، وتناولها المحدثون منهم بكثير من البحث والتفصيل، وهي: مدى إيمان يزيد أو كفره.

فقد نقل لنا المؤرخون الأقدمون، والعلماء السابقون، العديد من الروايات والآراء التي تكفِّر يزيد، مستندة إلى بعض الأقوال التي تنسب إليه.

المناوي يقول معقِّبًا على حديث أول جيش من أمتي يغزون مدينة قيصر مغفور لهم «لا يلزم منه كون يزيد بن معاوية مغفورًا له لكونه منهم؛ إذ الغفران مشروط بكون الإنسان من أهل المغفرة، ويزيد ليس كذلك، لخروجه بدليل خاص»، ثم يقول: «ولقد أطلق جمع محققون [هكذا] حلَّ لعن يزيد، حتى قال التفتازاني: الحق أن رضا يزيد بقتل الحسين، وإهانة أهل البيت مما تواتر معناه، وإن كان تفصيله آحادًا، فنحن لا نتوقف في شأنه بل في إيمانه، لعنة الله عليه وعلى أنصاره وأعوانه»[(١)]، قال الزين العراقي: «وقوله: بل في إيمانه؛ أي بل لا يتوقف في عدم إيمانه؛ بقرينة ما قبله وما بعده».

وهذا الكياهراسي يحكم بجواز لعنه، والتشكيك في إيمانه[(٢)].

وبعد أن ذكر المسعودي المطاعن على يزيد، وذكر بعض المثالب فيه، قال:

---

(١) المناوي، فيض القدير: ٣/ ٨٤؛ ابن عماد الحنبلي، شذرات الذهب: ١/ ٢٧٧-٢٧٨؛ ابن حجر، الصواعق المحرقة: ص ٣٣٠.

(٢) ابن خلكان، وفيات الأعيان: ٣/ ٢٨٧-٢٨٩.

«وغير ذلك مما قد ورد فيه الوعيد باليأس من غفرانه؛ كوروده فيمن جهل توحيده وخالف رسله»[١].

وصُنِّفت المصنَّفات في لعنه والتبرؤ منه؛ فقد صنَّف القاضي أبو يعلى كتابًا بيَّن فيه من يستحق اللعن، وذكر يزيد منهم[٢]. وحكم عليه المقبلي بالردة[٣].

بل إن من يجرؤ على مناقشة أعماله وتصويبه في بعض أعماله، وينادي بعدم لعنه، يهاجم ويقاطع ويهجر؛ كما فعل ابن الجوزي بعبد المغيث بن زهير[٤]؛ فقد صنَّف عبد المغيث جزءًا في فضائل يزيد أتى ببعض الموضوعات، فردَّ عليه ابن الجوزي بتأليف سمّاه: «الرد على المتعصب العنيد المانع من ذم يزيد»[٥] وماتا وهما متهاجران.

ذكر شيخ الإسلام أن هناك فرقة يعتقدون أنه كافر منافق في الباطن[٦].

والذهبي -رحمه الله- يتهمه فيقول: «كان ناصبيًا، فظًّا، غليظًا، جلفًا، يتناول

---

(١) المسعودي، مروج الذهب: ٣/ ٨١.

(٢) السخاوي، فضائل العقدين: ق ٢٧.

(٣) المقبلي، العلم الشامخ: ٢٣٨-٢٣٩.

« ولمعرفة حال المقبلي يحسن أن أنقل كلام المعلمي في بيان حاله؛ فقال: «المقبلي نشأ في بيئة اعتزالية المعتقد؛ هادوية الفقه؛ شيعية تشيعًا مختلفًا؛ يغلط في أناس ويخف في آخرين؛ فحاول التحرُّر فنجا تقريبًا في الفقه؛ وقارب التوسط في التشيع؛ أما الاعتزال فلم يكن يتخلَّص إلا من تكفير أهل السنة مطلقًا...» (الأنوار الكاشفة: ٢٧٠-٢٧١).

(٤) انظر ترجمته في سير أعلام النبلاء: ٢١/ ١٥٩-١٦١؛ العبر: ٣/ ٨٥ قال عنه الذهبي: «الإمام المحدث الزاهد؛ الصالح بقية السلف»، «وكان يشبّه بأحمد بن حنبل».

(٥) ما يزال مخطوطًا؛ ومنه نسخة في دار الكتب ببرلين؛ وفي دار كتب ليون بهولندا.

(٦) ابن تيمية، منهاج السنة: ٤/ ٥٩٤.

المسكر ويفعل المنكر»[١].

ولعل هذه التهم هي التي جعلت مؤرخًا مثل ابن كثير يجمع بين المدح والذم فيقول: «وقد كان يزيد فيه خصال محمودة من: الكرم، والحلم، والفصاحة والشعر، والشجاعة، وحُسن الرأي في الملك، وكان ذا جمال وحسن معاشرة، وكان فيه أيضًا إقبال على الشهوات، وترك بعض الصلوات في بعض أوقاتها، وأماتها في غالب الأوقات»[٢].

ونتيجة لذلك الكم الهائل من التّهم، يخرج يوسف العش -رحمه الله- بهذا التصور عن يزيد فيقول: «إن سرَّ أخطاء يزيد في تربيته وطبعه؛ فقد نشأ في بيت الإمارة، وعاش عيشة ولد مرفَّه، أما طبعه فقد كان في الأصل يحب الحياة الطليقة الطبيعية، والحيوانات، وكل المذاهب الطبيعية الجميلة، ونشأ من ذلك حبه للصيد واللعب، وزاد هذا في استهتاره مع الفتيان الآخرين، وكان معاوية في شغل عنه؛ فقد كان مهتمًا بأمور ولايته، ثم خلافته، ولو أنه كان يهتم به بين الحين والحين، فيرسله للفتوح، أو يلزمه أن يحضر مجالسه، فلا يلاقي منه مشاركة ولا إقبالا ولا مواظبة.

والصفة الرئيسية عند يزيد أنه كان عاطفيًا شديد العاطفة، ظهرت في حبه للشعر، وهي عاطفة جيَّاشة، إذا اجتمع معها ميل للاستهتار، وانكباب على اللهو، جمحت وازدادت عتوًا.... وكان يزيد إذا عرض له حادث، نظر إليه بمنظار عاطفته، فتثور تلك العاطفة، وتتَّقِد، وتخرجه عن الحكمة والرأي السليم»[٣].

---

(١) الذهبي، سير أعلام النبلاء: ٤/ ٣٨.

(٢) ابن كثير: ٨/ ٢٣٣.

(٣) يوسف العش، تاريخ الدولة الأموية: ١٧٩؛ وانظر تقريبا من هذا عند العقاد، شخصيات إسلامية: ٣/ ٢٢٩.

ثم يقول: «غلبت عليه عاطفته فأوردته موارد الزلل، ووجَّهته توجيهًا سيئًا؛ ذلك أنها لم تُهذَّب، وانطلقت على سجيّتها باستهتار، ولو وجّهتها تربية مهذبة متقنة لعله كان شخصًا آخر، ولعل من أخطاء معاوية في التاريخ أنه لم يحسن إخراج ابنه على الأصول التي يجب أن يكون عليها»(١).

ولا بد من الإشارة هنا إلى أن التشكيك في إيمان يزيد لم يتوقف عنده، بل تعدَّاه إلى أبيه معاوية الصحابي الجليل ﷺ، وإلى جدِّه أبي سفيان، وجدَّته هند بنت عتبة ﷺ(٢)، وقد كان ذلك التشكيك ناتج عن سببين:

١- السبب الأول: الاختلاف المذهبي والعقدي.

٢- السبب الثاني: الاختلاف السياسي.

فإن من كتب في يزيد من المتقدمين وأورد الاتهامات فيه، لا يخرج أحد من أولئك عن أن يكون من أحد هذين الاتجاهين.

فالقاضي عبد الجبار المعتزلي يقول عن معاوية ﷺ: «ولولا أن مساوئه ومثالبه ومخازيه أظهر من أن تحصى لكنا نودع منه طرفًا في هذا الكتاب»(٣).

وقال في موطن آخر: «وقد صحَّ في أمور معاوية ما ذكرناه، وقد شرحنا حاله... وكان بعيدًا عن الدين، آخذًا في طريقة التغلُّب والملك»(٤).

---

(١) يوسف العش، تاريخ الدولة الأموية: ١٨٢، وانظر أيضًا أحمد أمين، فجر الإسلام: ٨١.

(٢) ابن طولون، القيد الشريد: ق ٤؛ الفاسي، العقد الثمين: ٥/ ٣٥.

(٣) القاضي عبد الجبار، المغني في أبواب التوحيد والعدل القسم الثاني: ٩٤؛ ابن عبد البر، الاستيعاب: ٣/ ١٤٢٢؛ ابن تيمية، مجموع الفتاوى: ١٣/ ٩٧-٩٨.

(٤) المصدر نفسه: ١٤٧.

وأكثر المعتزلة على البراءة من معاوية وعمرو بن العاص(١).

وحكم الجاحظ على أبي سفيان بالزندقة(٢).

وأما المقريزي فقد صوَّر بني أمية على أنهم أعداء لهذا الدين، وأنهم نقلوا عداءهم في الجاهلية للإسلام(٣).

وقد تأثَّر بهذه التُّهم أفاضل المسلمين في السابق والحديث.

فهذا سيد قطب -رحمه الله- يقول: «ثم مضى عثمان إلى رحمة ربه، وقد خلَّف الدولة الأموية، قائمة بالفعل، بفضل ما مكّن لها في الأرض وبخاصة في الشام، وبفضل ما مكن للمبادئ الأموية المجافية للإسلام...»(٤).

وقد اتهم الغماري معاوية ﷺ بأنه كان صاحب جرأة قبيحة، واتهمه بأنه لا

---

(١) أحمد بن يحيى المرتضى، المنية والأمل: ٦؛ والصلات بين المعتزلة والشيعة قوية وقديمة، فأبو إسحاق النظَّام من رؤوس المعتزلة يقول: «إن أبا هريرة أكذب الناس، وإن عمر شكَّ في دينه يوم الحديبية، وضرب فاطمة بنت رسول الله ﷺ، وابتدع صلاة التراويح، وسفَّه علي بن أبي طالب..... وعاب ابن مسعود.....» انظر: المحاسبي، الوصايا: ٣٠.

(٢) انظر: رسالة الجاحظ في بني أمية والمدرجة مع كتاب النزاع والتخاصم للمقريزي، وانظر نفس كتاب المقريزي السابق: ص ٣٠، ابن حبيب، المنمق: ٣٨٨؛ وتعليقات عبود الشالجي على كتاب: الفرج بعد الشدة للتنوخي: ١/ ٨٣.

(٣) المقريزي، النزاع والتخاصم: ٩١-١٠٢؛ ابن أبي حديد، نهج البلاغة: ١/ ١١٣ ينقل من الجاحظ.

(٤) سيد قطب، العدالة الاجتماعية: ١٦١. وذكر العصامي: «أن من بعد علي فهم عندنا ظلمة وعند غيرنا كفار» (سمط النجوم العوالي: ٢/ ٢٧٩)؛ وانظر: مقدمة الكوثري لـ نصب الراية (للزيلعي): ١/ ٣٣، وانظر: تحامل العقاد على معاوية ﷺ في موسوعة العقاد: ٣/ ٦٢٢-٦٢٤، وانظر: اتهام مالك ابن نبي لمعاوية بأنه حطَّم لبنة الإسلام (وجهة العالم الإسلامي: ص ٢٥).

يقيم لكلام الرسول وزنًا[١].

كما استغل هذه التهم المستشرقون وأعوانهم.

فقد صور جولتسيهر العصر الأموي بصورتين: **الصورة الأولى**: الجهل المطلق بتعاليم الإسلام، **والصورة الثانية**: عدم قدرة الإسلام على لم شعثه ووضع نظرياته[٢].

قال فلها وزن: «ولكن أحدًا لم ينس أبدًا للأمويين أنهم كانوا أول أمرهم أخطر أعداء النبي ﷺ، وأنهم لم يعتنقوا الإسلام إلا في الساعة الأولى مكرهين، وأنهم عرفوا بعد ذلك كيف يجنون لأنفسهم ثمرة انتصاره وسيادته؛ وذلك من طريق استغلال ضعف عثمان أولاً، ومن طريق المهارة في استغلال مقتله بعد ذلك.

ولقد كان أصل الأمويين لا يجعلهم أهلا لقيادة الأمة المحمدية، وكان من السخرية بفكرة الحكومة التيوقراطية أن يظهر الأمويون يمثلها الأغلبية؛ فهم كانوا مغتصبين، وظلوا كذالك، ولم يكونوا يستندون إلا إلى قوتهم الخاصة إلى قوة أهل الشام»[٣].

ويقول دوزي: «إن انتصار الأمويين في الحقيقة هو انتصار الجماعة التي كانت تضمر العداء للإسلام»[٤].

يقول عبد المنعم ماجد: «ومن المؤكد أن معاوية كان مثل عثمان؛ يرمي باستئناف الفتوح إلى شغل العرب عنه»[٥].

---

(١) الغماري، القول المسموع: ص١٤-١٥، نقلا عن أبي إسحاق الحويني، فصل الخطاب: ص ٤٨.
(٢) الأعظمي، دراسات في الحديث النبوي: ١/ ٦١، وانظر: سيديو، تاريخ العرب العام: ١٦٥.
(٣) فلها وزن، تاريخ الدولة العربية: ٥٩.
(٤) Literaray History of Petsia نقلا عن مصطفى هدارة، اتجاهات في الشعر العربي: ٣٠.
(٥) عبد المنعم ماجد، التاريخ السياسي للدولة العربية: ٢/ ٣٠-٣١.

ويقول حسين عطوان: «كره الخلفاء الأمويون رواية المغازي والسير في القرن الأول الهجري، ونهوا أهل الشام عن معرفتها وتداولها، وحاولوا صدَّهم عن العناية بها»[(١)].

ويقول جورجي زيدان: «وإن رجال معاوية قد ذهبت منهم حرمة الدين، ونسوا دهشة النبوة، وذاقوا لذة الثروة، وتعوَّدوا السيادة، فاتسعت مطامعهم»[(٢)].

ومن الملاحظ أن الذين وجّهوا هذه التهم ليزيد، أو إلى أبيه، أو إلى جده، أو لبني أمية، لم يذكروا أي دليل يؤيد ما يذهب إليه من اتهام يزيد أو غيره من بني أمية (السابقين له) بهذه الصفات، ولا يخفى أن هذه الأساليب هي أبعد ما تكون عن الروح العلمية والنقد البناء، والإنصاف في دراسة الشخصيات.

وعلى الرغم من هذه الافتراءات والاتهامات الكثيرة التي ذكرتها بعض الروايات عن ضعف إيمان يزيد، وردَّدها الكثيرون ممن كتبوا عنه، يظهر للباحث أن الوضع والزيادة والتشويه لبعض أعمال يزيد وأقواله قد أخذ طريقه إلى ما كُتب وقيل عنه.

وقد فطن لهذا الأمر ابن كثير -رحمه الله- بعد إيراده ما يقال أن يزيد استشهد بشعر ابن الزِّبَعْري، قصد به أهل الحرَّة فقال: «فهذا إن قاله يزيد فلعنة الله عليه ولعنة اللاعنين، وإن لم يكن قاله فلعنة الله على من وضعه عليه»[(٣)].

على أن الشيعة لم يكونوا وحدهم هم مصدر الروايات الموضوعة، والمفتعلة على يزيد

---

(١) حسين عطوان، الرواية التاريخية في بلاد الشام في العصر الأموي: ٦٧.

(٢) جورجي زيدان، تاريخ التمدن الإسلامي: ٢/ ٣٣٤.

(٣) ابن كثير: ٨/ ٢٢٧.

- كما بيَّنا من قبل - فقد ساهم في هذا الأمر الخوارج[(١)]، والزبيريون، والعلويون والزنادقة، والعباسيون وغيرهم. وكان العامل المهم الذي يزيد من انتشار هذه الروايات هو تقبل المجتمع لها بدون تحفظ، وتصديقها على اعتبار أنها حقائق واقعية، طالما ذكرها العلماء أو الرواة الذين هم ثقات في نظر الناس. من ذلك ما رواه المسعودي من أن معاوية صلَّى بأهل الشام، وهم في مسيرهم إلى صفين، الجمعة يوم الأربعاء[(٢)].

حتى أن وصف معاوية ﷺ لم يسلم من حقد الحاقدين؛ فقد نقل اليعقوبي صفة معاوية فقال: «وكان معاوية جهم الوجه، جاحظ العينين، وافر اللحية، عريض الصدر، عظيم الإليتين، قصير الساقين والفخذين»[(٣)].

وعند مقارنة هذا الوصف بما ورد في كتاب علماء الإسلام ومؤرخيه، نرى وضعًا مغايرًا لهذا الوصف؛ فقد أجمعت المصادر على أن معاوية من أجمل الناس وجهًا وجسمًا ومظهرًا.

ولعل السبب في تشويه سيرة بني أمية عمومًا، وسيرة السفيانيين خصوصًا، هو العداء التقليدي الذي نشأ بين أهل الشام وأهل العراق؛ فمثلاً الذي نشأ وسط بيئة عراقية لا تعرف إلا الحب لعلي، والبغض لمعاوية وأبنائه، لا بد وأن يتأثَّر بالوسط الذي يعيش فيه، والعكس صحيح.

---

(١) ابن عبد الحكم، عمر بن عبد العزيز: ١٢٠.

(٢) المسعودي، مروج الذهب: ٣/ ٤١، وانظر أيضًا إلى المفتريات التي نقلها العصامي في تاريخه عن بني أمية: ٣/ ٩٤-١٠١، وانظر بعضًا من ذلك في الأنساب: ١/ ٣١.

(٣) اليعقوبي، تاريخ اليعقوبي: ٢/ ٢٣٨.

ولقد نبّه الحافظ الذهبي لمثل هذه الخطورة من حيث التحامل وعدم التجرد، فبعد أن ذكر خلاف معاوية مع علي -رضي الله عنهما- قال: «فبالله كيف يكون حال من نشأ في إقليم لا يكاد يشاهد فيه إلا غاليًا في الحب، مفرطًا في البغض، ومن أين يقع له الإنصاف والاعتدال»(١).

ثم إن غالب رواة التاريخ هم في الحقيقة من خصوم الدولة الأموية؛ فهذا محمد ابن السائب الكلبي (ت ١٤٦هـ) شارك في محاربة الحجاج إلى جنب ابن الأشعث(٢).

وابنه هشام بن محمد الكلبي قد نال حظوة الخليفة المهدي لما أشاعه من مثالب الأمويين التي استخدمها الخليفة في الرد على كتاب أرسله الأمويون بالأندلس في هجاء العباسيين(٣).

وقد ذكر ابن كثير في حوادث سنة أربع وثمانين ومائتين أن المعتضد عزم على لعن معاوية بن أبي سفيان على المنابر.... وكتب نسخًا إلى الخطباء يلعن معاوية، وذكر ذمَّه وذمّ يزيد بن معاوية، وجماعة من بني أمية، وأورد فيها أحاديث باطلة في ذمِّ معاوية، وقُرئت في الجانبين من بغداد، ونُهيت العامة عن الترحُّم على معاوية والترضِّي عنه(٤).

ونستطيع أن نأخذ فكرة أوضح عن أسباب هذا التشويه المفتعل لسيرة معاوية وابنه يزيد بما رواه أبو معمر الهذلي فقال:

---

(١) الذهبي، سير أعلام النبلاء: ٣/ ١٢٨.

(٢) بروكلمان، تاريخ الأدب العربي: ٣/ ٣٠-٣١.

(٣) نفس المصدر: ٣١.

(٤) ابن كثير: ١١/ ٨١.

«قلت لرجل من أهل الكوفة: خير موضع بالكوفة، أين هو؟ قال: مسجد الجامع، قلت: وأسوء موضع عندنا - أي في بغداد - دار البطيخ، فلو قال رجل في خير موضع عندكم: رحم الله عثمان قتل، ولو قال في أسوء موضع عندنا: لا رحم الله معاوية قتل، فشر موضع عندنا خير من خير موضع عندكم»[١].

وقال سعيد بن منصور: سمعت ابن المبارك يقول: «من أراد الشهادة فليدخل دار البطيخ بالكوفة، وليقل: رحم الله عثمان بن عفان»[٢].

إن تلك الحملة الشنيعة على بني أمية جعلت من تاريخ بني أمية وكأنه قد حدث انفصال مباشر بين العهد الراشدي والعهد الأموي دفعة واحدة، حتى أصبح الكثير من الناس يظنون أن الإسلام لم يكن إلا في العهد النبوي والراشدي....وقد يكون تشويه تاريخ بني أمية لا يقصد به إلا ذاتهم، إلا أن ذلك يمس الحكم الإسلامي أصلا[٣].

ولا ننسى أن الدولة الأموية كان لها أعداء حاولوا الكيد لها من أول الأمر ، وتلبسوا لذلك كل صورة، واغتنموا له كل فرصة سانحة[٤].

---

(١) الخطيب ، تاريخ بغداد: ١/ ٤٧، ولقد وُضعت في ذلك الأحاديث الموضوعة في ثلب معاوية رضي الله عنه كما هو موجود في كتب الوضع. وانظر بعضًا من ذلك في كتاب: (المجروحين لابن حبان: ١/ ٥٧).

(٢) المصدر نفسه: ١/ ٤٧.

(٣) محمود شاكر ، الأمويون والتاريخ، مقال في مجلة كلية العلوم الاجتماعية بجامعة الإمام محمد ابن سعود العدد السادس: ص ٤٣.

(٤) انظر: مقدمة كتاب تاريخ الدولة العربية لفلهاوزن، بقلم محمد عبد الهادي أبو ريده؛ وانظر: بحث سعيد الأفغاني: معاوية في الأساطير ضمن بحوث المؤتمر الدولي لتاريخ بلاد الشام ١٣٩٤هـ ص٤٤.

فهؤلاء جميعًا تكلموا عن الأمويين دون تفريق؛ قد يكون بعضهم بقصد، وآخرون من غير قصد، وروَّجوا الشائعات التي أُشيعت عن بني أمية من غير دراسة أو تحليل، أو من غير إلقاء نظرة فاحصة عامة، ثم غدت هذه الشائعات روايات حكيت بشكل مقبول، ونسجت خيوط الأخبار بصورة تدين بني أمية، وتصوّرهم بحالة من السوء كبيرة[١].

وللتاريخ القسط الأوفر من اختلاف الرواة، وتزوير الكتَّاب؛ فكم من حقائق شاخصة حاولوا أن يذهبوا بها هباء، وكم من سير نقية أخرجوها في صورة ما يستحق هجاء، وسير مدنَّسة ألبسوها ثوب ما يستأهل ثناء[٢].

ولكن بالرغم من تلك الحملة الشرسة على معاوية وولده إلا أن علماء الإسلام الصادقين المحققين قد بيَّنوا حالاتهما، وأنهما لم يُظهرا الكفر في يوم من الأيام، وأنهما اجتهدا في أحكام، وجاهدا الكفار في سبيل الله، وكانت كلمة الإسلام في عهديهما أعظم كلمة في الأرض، وكان المسلم أعزَّ شخص على البسيطة.

«بل تواتر إسلام معاوية ويزيد وخلفاء بني أمية وبني العباس، وصلاتهم وصيامهم وجهادهم الكفار»[٣].

وقال أهل التاريخ عن معاوية: «فتح الله به الفتوح، وكان يغزو الروم، ويقسم الفيء والغنيمة، ويقيم الحدود، والله لا يضيع أجر من أحسن عملا»[٤].

---

(١) محمود شاكر، الأمويون والتاريخ، مقال في مجلة كلية العلوم الإسلامية بجامعة الإمام محمد بن سعود العدد السادس ص ٤٤.

(٢) محمد الخضر حسين، رسائل الإصلاح: ١/ ١٥.

(٣) منهاج السنة: ٢/ ٦٢.

(٤) أبو القاسم إسماعيل بن محمد بن الفضل، سير السلف – ترجمة معاوية ﷺ.

«ومن المعلوم أن المنقولات لا يميز بين صدقها وكذبها إلا بالطرق الدالة على ذلك، وإلا فدعوى النقل المجردة بمنزلة سائر الدعاوى»(١).

فيزيد بن معاوية يدخل في ضمن الحديث الصحيح بالمغفرة لأصحاب غزوة القسطنطينية(٢)، وكان أميرهم، ويدخل في حديث خير القرون قرني ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم(٣)، وكان آخر القرن الذي بعث فيه نبينا محمد ﷺ، هو يزيد بن معاوية»(٤).

واحتج بقراءته ابن شهاب في قوله تعالى: ﴿ مَٰلِكِ يَوۡمِ ٱلدِّينِ ﴾ [الفاتحة:٤](٥).

ومع هذا فالأصل في المسلم العدالة، ولا يقبل الطعن في المسلم إلا بشهود أو بيِّنة، ويزيد أحد المسلمين، ويعلم أن الرجل الواحد تكون له حسنات وسيئات، فيُحمد ويُذم، ويثاب ويعاقب، ويحب من وجه، ويبغض من وجه، هذا هو مذهب أهل السنة والجماعة، خلافًا للخوارج والمعتزلة ومن وافقهم. وإذا تبيَّن

---

(١) منهاج السنة: ٤/ ٤٥.

(٢) سبق تخريجه، ص ٨٦.

(٣) أحمد، المسند: ١/ ٣٧٨، ٤١٧، ٤٣٨، ٤٤٢؛ البخاري، الصحيح مع الفتح: ١١/ ٢٤٨؛ مسلم، الصحيح: ١٩٦٢؛ ابن ماجة، السنن: ٢/ ٦٣-٦٤؛ الخطيب، تاريخ بغداد: ١٢/ ٥٣؛ فوائد الخنائي، تخريج عبد العزيز النخشبي: ق ٣٦ أ؛ الهندي، كنز العمال: ١١/ ٥٣٥؛ الألباني، سلسلة الأحاديث الصحيحة: ٢/ ٣٢٠.

(٤) ابن طولون، القيد الشديد: ق ١٧؛ الذهبي، المقتنى بسرد الكنى: ٢/ ٥٨.

(٥) تفسير ابن كثير: ١/ ٤٠ وقال ابن كثير: «روى عبد الرحمن بن أبي بكر في ذلك شيئًا غريبًا ثم ساق السند». وانظر: أبو داود، المصاحف: ص ٧٣.

ذلك، فالقول في يزيد كالقول في أشباهه من الخلفاء والملوك، ومن وافقهم في طاعة الله تعالى: كالصلاة ،والحج، والجهاد، والأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر، وإقامة الحدود، كان مأجورًا على ما فعله من طاعة الله ورسوله.

وكذلك كان صالح المؤمنين يفعلون؛ كعبد الله بن عمر وأمثاله.... ولهذا كان الصحابة يغزون مع يزيد وغيره[(١)].

«وأما كون الواحد من هؤلاء معصومًا، فليس هذا اعتقاد أحد من علماء المسلمين، وكذلك كونه عادلاً في كل أموره، مطيعًا لله في جميع أحواله، ليس هذا اعتقاد أحد من أئمة المسلمين»[(٢)].

«كانت الدولة في زمن بني أمية عزيزة، والخليفة يُدعى باسمه....، ولا يعرفون عضد الدولة، ولا عز الدولة، ولا فلان الدين.

وكان أحدهم هو الذي يصلي بالناس الصلوات الخمس في المسجد، ويعقد الرايات ويؤمِّر الأمراء، وإنما يسكن داره، لا يسكنون الحصون، ولا يحتجبون عن الرعية»[(٣)].

مناقشة لعن يزيد بن معاوية:

إن الذين خرجوا على يزيد بن معاوية من أهل المدينة كانوا قد بايعوه بالخلافة، وقد حذَّر النبي ﷺ من نكث الصفقة: وهو أن يبايع رجلاً ثم يخالف إليه ويقاتله[(٤)].

---

(١) منهاج السنة: ٤/ ٥٤٣-٥٤٤ (بتصرف).

(٢) المصدر نفسه: ٤/ ٥٢٥.

(٣) منهاج السنة: ٨/ ٢٣٨.

(٤) أحمد، المسند: ١٠/ ٤ (٦٥٠٣)، ١١/ ٦٢ (٦٨١٥)، ١٢/ ٩٨ (٧١٢٩) بإسناد صحيح؛ النسائي: السنن: ٧/ ١٥٣-١٥٤، وانظر قريبًا منه عند البخاري مع الفتح: ١٣/ ٢١٤؛ مسلم بشرح النووي: ١٢/ ٢٣٣، ٢٣٤.

ولكن خروجهم على يزيد - كما ذكرنا - إنما كان بتأويل.

ويزيد إنما يقاتلهم لأنه يرى أنه الإمام، وأن من أراد أن يفرِّق جمع المسلمين فواجب مقاتلته وقتله، كما ثبت ذلك في الحديث الصحيح[١].

وكان علي رضي الله عنه يقول: «لو أنَّ رجلاً ممن بايع أبا بكر خلعه لقاتلناه، ولو أنَّ رجلاً ممن بايع عمر خلعه لقاتلناه»[٢].

ولقد حاول يزيد أن يسلك أقصر الطرق الموصلة إلى حلٍّ سلمي مع أهل المدينة، ولكنه لم يوفَّق في ذلك.

ولا شك أنَّ إكرام يزيد لوفد أهل المدينة، واتهامه من قبلهم بشرب الخمر وغيرها من الموبقات، كل ذلك ترك أثرًا سيئًا لدى يزيد بن معاوية، ولهذا فقد كان عقابه للمدينيين عقابًا قاسيًا، وتمثَّلت تلك القسوة بتعيين مسلم بن عقبة المرِّي قائدًا للجيش المتجه إلى المدينة.

وقد كان يكفي يزيد وقائده مسلم بن عقبة هزيمة المدينة وإرجاعهم إلى الطاعة، ولو أنه اكتفى بذلك لما وُجِّه له اللوم، ولربما اكتسب عمله الصفة الشرعية؛ حيث كان الدافع له الحرص على كيان الدولة الإسلامية من التفكُّك.

---

(١) مسلم بشرح النووي: ١٢/ ٢٣٣، ٢٤١؛ الطيالسي، المسند: (١٢٢٤)؛ أحمد: المسند: ١٠/ ٤ (٦٥٠٣)؛ ابن أبي عاصم، السنة: ٢/ ٥٥٦ (١١٠٨)؛ السيوطي، عقد الزبرجد على مسند أحمد: ١/ ٢٦٤.

(٢) ابن حجر: المطالب العالية ٤/ ٢٩٦ (٤٤٥٨) قال المحقق: قال البوصيري: رواه إسحاق بسند صحيح والنسائي.

ولكن يزيد وقائده مسلم بن عقبة، تعدَّيا هذا الهدف الشرعي إلى الإيقاع بالمدينيين والقسوة عليهم، ومعاقبتهم عقابًا شديدًا، فإن كانوا قد ارتكبوا خطأ كان في قتالهم تكفيرٌ لهم عن خطئهم.

ولكن أمره بإنهاب المدينة وتردِّي الأحوال الاقتصادية والمعيشية خلال تلك الأيام الثلاثة[١]، والخوف والهلع الذي أصاب الساكنين بها من جراء ذلك القرار؛ كل ذلك من الظلم والتعدِّي الذي نهى الله ورسوله عنه، وهو لا يجوز بحق أحد من المسلمين، فكيف بأهل المدينة النبوية وجيران رسول الله ﷺ، وبالصحابة وأبنائهم رضي الله عنهم.

وقد استدل بعض العلماء على جواز لعن يزيد بما صنعه جيشه بأهل المدينة؛ حيث استدلوا بحديث السائب بن خلاَّد رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: (**من أخاف أهل المدينة ظلمًا أخافه الله، وعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين، لا يقبل الله منه صرفًا ولا عدلاً**)[٢].

وبحديث جابر بن عبد الله رضي الله عنه حينما خرج يمشي بين ابنيه في المدينة فنُكِب، فقال: تعس من أخاف رسول الله ﷺ، فقال ابناه، أو أحدهما: يا أبت وكيف

---

(١) صحيح مسلم: ٢/ ١٠٠٢.

(٢) عبد الرزاق، المصنف: ٩/ ٢٦٥ (١٧١٥٨) مختصرًا؛ أحمد: المسند: ٤/ ٥٥، ٥٦ واللفظ له؛ الساعاتي، الفتح الرباني: ٢٣/ ٢٦٢؛ النسائي، السنن الكبرى: ٢/ ٤٨٣ (٤٢٦٧، ٤٢٦٨)؛ الهيثمي، مجمع الزوائد: ٣/ ٣٠٦ وقال: «رواه الطبراني في الأوسط والكبير ورجاله رجال الصحيح»، المزي، تحفة الأشراف: ٣/ ٢٥٥.

أخاف رسول الله ﷺ، وقد مات. قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: (**من أخاف أهل المدينة فقد أخاف ما بين جنبي**)(١).

وفي رواية: (**من أخاف أهل المدينة أخافه الله**)(٢).

واللعن يعني الطرد من رحمة الله والجنة(٣).

ونظرًا لخطورة اللعن فإنَّ العلماء لم يروا لعن الكافر الذي لم يمت على الكفر(٤)، فكيف بمن كان مسلمًا.

فالمسلم العاصي المعيَّن لا يجوز لعنه، وقد ذكر ابن العربي: أنَّ المنع من لعن المعيَّن العاصي متفق عليه(٥).

---

(١) أحمد، المسند: ٣/ ٣٥٤، ٣٩٣؛ الساعاتي، الفتح الرباني: ٢٣/ ٣٦٣، قال الهيثمي في مجمع الزوائد: ٣/ ٣٦ «رواه أحمد ورجاله رجال الصحيح»؛ ابن أبي عاصم، الآحاد والمثاني: ١/ ٧٠، ٤/ ٧٠، الهيثمي؛ كشف الأستار عن زوائد البزار: ٣/ ٣٠٤، رقم (٢٨٠٥) وقال الهيثمي في مجمع الزوائد: ١٠/ ٣٧: «رواه الطبراني في الأوسط والبزار ورجال البزار رجال الصحيح».

(٢) أحمد، المسند: ٤/ ٥٥، ٥٦؛ الحربي، غريب الحديث: ٢/ ٨٣٤؛ البخاري، التاريخ: ١/ ٥٣، ٤/ ٤٠٤؛ الجندي، فضائل المدينة: ٣٠ رقم (٣١)؛ الدولابي، الكنى: ١/ ١٣٢؛ ابن بلبان، الإحسان بترتيب صحيح ابن حبان: ٦/ ١٥ (٣٧٣٠)؛ أبو نعيم، الحلية: ١/ ٣٧٢؛ ابن النجار، ذيل تاريخ بغداد: ١٥/ ١٩؛ والحديث قد حكم عليه الألباني بأنه صحيح، انظر ذلك مفصلاً في سلسلة الأحاديث الصحيحة: ٥/ ٣٨٢-٣٨٥.

(٣) ابن الأثير، غريب الحديث: ٤/ ٢٥٥؛ النويري، الإلمام: ٣/ ٣٦٤؛ صديق حسن خان، رحلة الصديق إلى البيت العتيق: ١٦٢-١٦٣.

(٤) الغزالي، إحياء علوم الدين: ٣/ ١٣٣.

(٥) القرطبي، أحكام القرآن: ١/ ٥٠.

وقال النووي: «اللعن هو الإبعاد من رحمة الله، فلا يجوز أن يُبعد من رحمة الله من لا يُعرف حاله وخاتمة أمره معرفة قطعية»(١).

وعندما أطلق بعض السلف لعن يزيد فلإرادة العقاب، وليس للطرد من رحمة الله؛ حيث قالوا عن الفاسق: يجوز أن نصلِّي عليه وأن نلعنه، فإنه مستحق للثواب، مستحق للعقاب، فالصلاة عليه لاستحقاقه الثواب، واللعن له لاستحقاقه العقاب.

واللعن: البعد عن الرحمة، والصلاة عليه سبب للرحمة، فيُرحم من وجه، ويُبعد عنها من وجه(٢).

«وهذا كله على مذهب الصحابة والتابعين لهم بإحسان، وسائر أهل السنة والجماعة، ومن يدخل فيهم من الكرامية والمرجئة والشيعة، ومذهب كثير من الشيعة الإمامية وغيرهم، الذين يقولون: إنَّ الفاسق لا يخلد في النار. أما الذين يقولون بتخليد الفاسق مثل الخوارج، والمعتزلة، وبعض الشيعة؛ فهؤلاء لا يجتمع عندهم في حق الشخص الواحد ثواب وعقاب»(٣).

وقد استفاضت السنة النبوية بأنه يخرج من النار قوم بالشفاعة، ويخرج منها من كان في قلبه مثقال ذرة من إيمان.

وعلى هذا الأصل، فالذي يجوِّز لعن يزيد وأمثاله، يحتاج إلى شيئين يثبت بهما

---

(١) النووي، الأذكار: ٣١٤-٣١٥؛ ابن ناصر الدين، الرد الوافر: ص٣٤.

(٢) ابن تيمية، منهاج السنة: ٤/ ٥٧٠. (بتصرف).

(٣) ابن تيمية، منهاج السنة: ٤/ ٥٧٠.

أَنَّه كان من الفاسقين الظالمين الذين تُباح لعنتهم، وأنه مات مُصرًّا على ذلك، والثاني: أن لعنة المعيَّن من هؤلاء جائزة[1].

«وأما من استدل بلعن يزيد على أنه ظالم، فباعتباره داخلاً في قوله تعالى: ﴿أَلَا لَعۡنَةُ ٱللَّهِ عَلَى ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [هود:١٨] فهذه آية عامة كآيات الوعيد، بمنزلة قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَأۡكُلُونَ أَمۡوَٰلَ ٱلۡيَتَٰمَىٰ ظُلۡمًا إِنَّمَا يَأۡكُلُونَ فِي بُطُونِهِمۡ نَارٗاۖ وَسَيَصۡلَوۡنَ سَعِيرٗا﴾ [النساء: ١٠].

وهذا يقتضي أنَّ هذا الذنب سبب للعن والعذاب، لكن قد يرتفع موجبه لمعارض راجح: إما توبة، وإما حسنات ماحية، وإما مصائب مكفرة، وإما شفاعة شفيع مطاع، ومنها رحمة أرحم الراحمين»[2].

«فمن أين يعلم الإنسان أنَّ يزيد وغيره من الظلمة لم يتب من هذا؟ أو لم تكن له حسنات ماحية تمحو ظلمه؟ أو لم يبتلَ بمصائب تكفِّر عنه؟ وأنَّ الله لا يغفر له ذلك مع قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغۡفِرُ أَن يُشۡرَكَ بِهِۦ وَيَغۡفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ﴾ [النساء: ٤٨].

فثبت أن لعن الموصوف لا يستلزم إصابة كل واحد من أفراده إلا إذا وجدت الشروط، وانتفت الموانع، وليس الأمر كذلك»[3].

«ثم إن نصوص الوعيد في الكتاب والسنة كثيرة جدًا، والقول بموجبها

---

(١) المصدر السابق: ٤/ ٥٧١ (بتصرف).

(٢) ابن تيمية، منهاج السنة: ٤/ ٥٧٠، ٥٧١ وللمؤلف، رفع الملام: ص٣١ (بتصرف).

(٣) ابن تيمية، رفع الملام: ص٤٤.

واجب على وجه العموم والإطلاق من غير أن يُعيَّن شخص من الأشخاص، فيقال هذا ملعون أو مغضوب عليه، أم مستحق للنار، لا سيما إن كان لذلك الشخص فضائل وحسنات؛ فإن الأنبياء عليهم الصلاة والسلام يجوز عليهم الصغائر والكبائر مع إمكان أن يكون ذلك الشخص صدِّيقًا، أو شهيدًا، أو صالحًا، لما تقدم أن موجب الذنب يتخلف عنه بتوبة، أو استغفار، أو حسنات ماحية، أو مصائب مكفِّرة، أو شفاعة، أو بمحض مشيئة الله ورحمته»[1]

فعند مناقشة لعن يزيد من حيث الجواز أو المنع، فإنا يجب أن نبني الكلام على مقدمات أولها ثبوت الإسلام، ومن ثبت إسلامه لا يجوز لعنه[2]

وهذا هو الذي اعتمد عليه الغزالي حين منع من لعن يزيد؛ فقد بنى حجته على أنَّ يزيد عاش مسلمًا ومات مسلمًا، ولم يثبت أنه مات على الكفر والردَّة، بل قال: «إن الذي يلعن أحدًا من المسلمين بعينه فإن اللاعن يعتبر فاسقًا عاصيًا لله تعالى» ثم خلص إلى القول:

«وأما الترحُّم على يزيد فجائز، بل مستحب، بل هو داخل في قولنا اللهم اغفر للمؤمنين والمؤمنات، فإنه كان مؤمنًا، والله أعلم بالصواب»[3].

وقال ابن حجر الهيتمي معقبًا على قول الغزالي: «وهو اللائق بقواعد أئمتنا بما صرَّحوا به من أنه لا يجوز أن يلعن شخص بخصوصه إلا أن يعلم موته على

(١) ابن تيمية، رفع الملام: ص٤٥.

(٢) ابن خلكان، وفيات الأعيان: ٣/ ٣٨٩؛ ابن طولون، القيد الشريد: ق١٣ ب.

(٣) ابن خلكان، وفيات الأعيان: ٣/ ٣٨٩.

الكفر؛ كأبي جهل وأبي لهب، ولأن اللعن هو الطرد من رحمة الله الملتزم لليأس منها، وذلك إنما يليق بمن عُلِم موته على الكفر»[١].

وقال ابن الصلاح حين سُئل عن جواز لعن يزيد: «وأما سبُّ يزيد ولعنه فليس من شأن المؤمنين»[٢].

وقال أبو بكر أحمد بن الحسين الشافعي -المعروف بابن الحداد- في عقيدته: «... ونترحم على معاوية، ونكل سريرة يزيد إلى الله تعالى»[٣].

ولما سئل الحافظ عبد الغني المقدسي عن يزيد بن معاوية أجاب بقوله: «خلافته صحيحة، وقال بعض العلماء: بايعه ستون من أصحاب رسول الله ﷺ، منهم ابن عمر، وأما محبته: فمن أحبه فلا ينكر عليه، ومن لا يحبه فلا يلزمه ذلك؛ لأنه ليس من الصحابة الذين صحبوا رسول الله ﷺ فيلزم محبتهم إكرامًا لصحبتهم، وليس ثَمَّ أمر يمتاز به عن غيره من خلفاء التابعين؛ كعبد الملك وبنيه. وإنما يمنع من التعرُّض للوقوع فيه، خوفًا من التسلُّق إلى أبيه، وسدًا لباب الفتنة»[٤].

وقال السمهودي: «إنّ السبب في التوقف عن لعن يزيد هو أنه لم يثبت ما يقتضي كفره»[٥].

---

(١) ابن حجر الهيتمي، الصواعق المحرقة: ٣٣٣، والمؤلف نفسه، الزواجر: ٢/ ٦.

(٢) ابن طولون، القيد الشريد: ق١٣أ؛ فتاوى ابن الصلاح ضمن الرسائل المنيرية: ٤/ ٣٨ ولكن يوجد في النص تحريف، وابن حجر الهيتمي، الصواعق المحرقة: ٤٣٤-٤٣٥.

(٣) ابن القيم، اجتماع الجيوش الإسلامية: ٦٦.

(٤) ابن رجب، ذيل طبقات الحنابلة: ٢/ ٣٤؛ ابن طولون، القيد الشريد: ق١٧ب.

(٥) السمهودي، جواهر العقدين: ق٢٨.

وهذا هو قول الكمال بن الهمام محقق الحنفية وشيخ عصره، وأضاف: «وحقيقة الأمر التوقُّف فيه، ونرجع الأمر فيه إلى الله سبحانه وتعالى»[(١)].

قال السمهودي معقبًا على ذلك: «وهذا هو الحق الذي أعتقده، ويجوز إيقاف اللعن على من قتل الحسين ﷺ، أو أمر بقتله، أو أجازه أو رضي به، من غير تسمية ليزيد، كما يجوز لعن شارب الخمر ونحوه من غير تعيين»[(٢)].

وأما من أجاز لعن يزيد بن معاوية فقد كان اعتماده على تلك الرواية التي ذكرها أبو يعلى الفراء في كتابه المعتمد في الأصول، بإسناده إلى صالح بن أحمد بن حنبل قال: « قلت لأبي: إن قومًا يُنسبون إلى تولية يزيد، فقال: يا بني وهل يتولَّى يزيد أحد يؤمن بالله؟ فقلت: ولم لا تلعنه؟ فقال: ومتى رأيتني ألعن شيئًا، ولم لا يُلعن من لعنه الله في كتابه؟ فقرأ قوله تعالى: ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَعَنَهُمُ ٱللَّهُ فَأَصَمَّهُمْ وَأَعْمَىٰٓ أَبْصَٰرَهُمْ ﴾ [محمد: ٢٢]»[(٣)].

وبناء على هذه الرواية فقد اعتمد عليها من رأى الرخصة في لعن يزيد بن معاوية، بل وأضاف البعض أن أحمد يكفِّر يزيد[(٤)].

ولكن هذه الرواية التي ذُكرت عن أحمد منقطعة ليست ثابتة عنه، ثم إن الآية

(١) السمهودي، جواهر العقدين: ق٢٨؛ ابن طولون، القيد الشريد: ق١٧ب.

(٢) السمهودي، جواهر العقدين: ق٢٨.

(٣) ابن الجوزي، الرد على المتعصب العنيد: ق٤؛ السمهودي، جواهر العقدين: ق٢٧؛ ابن مفلح، الآداب الشرعية: ١/ ٢٧٠؛ ابن حجر الهيتمي، الصواعق المحرقة: ٣٣٢.

(٤) كما فعل نور الدين القاري، شرح الشفاء: ٥/ ٥٢٥.

لا تدل على لعن المعيَّن[١].

ونستطيع أن نعرف ضعف هذه الرواية من خلال تلك الروايات الصحيحة الثابتة عن أحمد، والتي ينهى فيها عن اللعن، بل إن المنصوص والثابت عن أحمد من رواية صالح نفسه أن أحمد قال: «ومتى رأيت أباك يلعن أحدًا، لما قيل له ألا تلعن يزيد»[٢].

وحين سأل عصمة بن أبي عصمة أبو طالب العكبري الإمام أحمد عن لعن يزيد قال: «لا تتكلم في هذا. قال النبي ﷺ: **(لعن المؤمن كقتله)**[٣] وقال: **(خير أمتي قرني ثم الذين يلونهم)**[٤]. وقد كان يزيد فيهم، فأرى الإمساك أحب إلي»[٥].

وقال الخلال: «وما عليه أحمد هو الحق من ترك لعن المعين؛ لما فيه من أحاديث كثيرة تدل على وجوب التوقي من إطلاق اللعن»[٦].

وفي عقيدة أحمد التي كُتبت عنه، وذلك قبل ثلاثة أيام من وفاته: «وكان يمسك عن يزيد بن معاوية ويكله إلى الله، ويتحرَّج من إطلاق القول في أحد من الصدر الأول»[٧].

---

(١) ابن تيمية، منهاج السنة: ٤/ ٥٧٣.

(٢) ابن تيمية، منهاج السنة: ٢/ ٥٧٣، ابن مفلح، الآداب الشرعية: ١/ ٢٧١.

(٣) البخاري مع الفتح: ١٠/ ٦٦٤؛ أحمد، المسند: ٤/ ٨٣، ٨٤.

(٤) البخاري حديث ٣٦٥٠، واللفظ له، ومسلم رقم ٤٦٠٣ بلفظ: «خيركم قرني...».

(٥) الخلال، السنة: ٥٢١، أبو يعلى، طبقات الحنابلة ١/ ٢٤٦؛ العليمي، المنهج الأحمد: ١/ ١٧٨؛ ابن مفلح، المقصد الأرشد: ٢/ ٢٨٤.

(٦) الخلال، السنة: ٥٢٢.

(٧) أبو يعلى، طبقات الحنابلة: ٢/ ٢٧٣.

وكما ذكر تقي الدين المقدسي: «أن المنصوص عن أحمد الذي قرَّره الخلَّال اللعن المطلق العام لا المعين، كما قلنا في نصوص الوعد والوعيد، وكما نقول في الشهادة بالجنة والنار؛ فإنا نشهد بأن المؤمنين في الجنة، وأن الكافرين في النار، ونشهد بالجنة والنار لمن شهد له الكتاب والسنة، ولا نشهد بذلك لمعين إلا من شهد له النص، أو شهدت له الاستفاضة على قول، ثم إن النصوص التي جاءت في اللعن جميعها مطلقة؛ كالراشي، والمرتشي، وآكل الربا، وموكله، وشاهديه، وكاتبه»(١).

ونظرًا لاعتماد البعض من الحنابلة على رواية صالح المنقطعة التي ذكرها أبو يعلى، فقد أدى ذلك إلى اختلاف الحنابلة في تجويز لعن يزيد(٢).

واعتمد على تلك الرواية أبو يعلى نفسه؛ حيث ألف كتابًا ذكر فيه بيان من يستحق اللعن، وذكر منهم يزيد(٣).

وتابعه ابن الجوزي فألف كتابًا سماه: «الرد على المتعصب العنيد المانع من لعن يزيد» وأباح فيه لعن يزيد بن معاوية(٤).

---

(١) ابن مفلح، الآداب الشرعية: ١/ ٢٧٢-٢٧٣.

(٢) أبو يعلى، الطبقات: ٢/ ٢٧٣.

(٣) ابن الجوزي، الرد على المتعصب العنيد: ق٤؛ ابن حجر الهيتمي، الصواعق المحرقة: ٣٣٢؛ السمهودي، جواهر العقدين: ق٢٧.

(٤) لقد ألف ابن الجوزي كتابه «الرد على المتعصب العنيد المانع من لعن يزيد» ردًا على عبد المغيث بن زهير الحربي الذي ألف كتابًا يمدح فيه يزيد بن معاوية ويمنع من لعنه. وقد ظلَّا متهاجرين حتى مات الشيخ عبد المغيث (ابن رجب، ذيل طبقات الحنابلة: ١/ ٣٥٦) وقال ابن كثير عن عبد المغيث: «له مصنف في فضل يزيد أتى فيه بالغرائب والعجائب» البداية والنهاية: ١٢/ ٣٥٠.=

وتابعه على ذلك السيوطي[١]، وابن حجر؛ حيث ذكر أنَّ أحمد يجيز لعنه وقال: «وكان فيه من الصفات ما تقتضي سلب الإيمان عمَّن يحبه، لأن الحب في الله والبغض في الله من الإيمان»[٢]. وبالغ أبو المعالي حين حكى الاتفاق على جواز لعن يزيد بن معاوية[٣].

والذي يظهر بعد استعراض سيرة يزيد بن معاوية خلال فترة خلافته، أنه لا يتحمَّل مسؤولية قتل الحسين رضي الله عنه، وكان موقفه من أبنائه موقفًا يتَّسم بالاحترام والتقدير لمنزلتهم ومكانتهم.

ثم إن أهل المدينة لم يتورَّعوا في إلصاق التهم بشخصه بعد أن أكرمهم وبالغ في احترامهم، ثم كانت أوامره لقائد الجيش - مسلم بن عقبة - بأن يتركهم ولا يتعرض لهم ثلاثة أيام، ويدعوهم للطاعة، وبعد أن فشلت محاولته في إدخالهم في الجماعة قاتلهم، وكانت أوامره بإنهاب المدينة ثلاثة أيام هي من الأخطاء التي

= ولا أعلم شيئًا عن كتاب عبد المغيث هذا، ويظهر أنه فُقد، ولكن كتاب ابن الجوزي: الرد على المتعصب العنيد، قد وصل إلينا، وله عدة نسخ خطية في برلين وبغداد، وليدن بهولندا على حسب قول آمنة محمد نصير في كتابها: ابن الجوزي وآراؤه الكلامية والأخلاقية: ص٥٧٥ نقلاً عن الدكتور رشاد سالم -رحمه الله- في تعليق منهاج السنة: ٤/ ٥٧٥.

(١) السيوطي، تاريخ الخلفاء: ٢٠٧، والسيوطي -رحمه الله- قد نال من السلطان طغر لبك السلجوقي الذي كان له الفضل بعد الله في قمع الرافضة وإعادة هيبة السنة إلى الخلافة العباسية؛ فلما أن ذكر السيوطي طغرلبك أنه تزوج ابنة الخليفة قال: «لا عفا الله عنه» (تاريخ الخلفاء: ص٤٢٠).

(٢) فتاوى ابن حجر في العقيدة: ص٩٨-١٠١.

(٣) أبو المعالي محمد شكري الألوسي، صب العذاب على من سب الأصحاب: ق٣٧ب (مصورة بمكتبة الشيخ حماد، وهي مصورة عن مخطوط مكتبة الآثار العامة ببغداد برقم ٨٥٨٧).

ارتكبها يزيد، ولا يُعذر بأيّ حال من الأحوال في إصدار أوامره تلك، والحق: «أن أهل المدينة استطالوا على يزيد وخاشنهم فخاشنوه، وأخرجوه حتى أخرجوه»[١].

والذي يظهر بعد هذا: أن يزيد بن معاوية لا يخص بلعن؛ وذلك لثبوت إسلامه، ثم لأنه مات مسلمًا كما ورد إلينا، كما أنه لم ينقل إلينا بسند صحيح أنه تلفَّظ بالكفر، أو ارتدَّ في آخر أيامه، وليس لأحد أن يُكفِّر أحدًا من المسلمين وإن أخطأ وغلط، حتى تُقام الحجَّة، وتبين له المحجَّة، ومن ثبت إسلامه بيقين لم يُزل عنه بالشك، بل لا يزول إلّا بعد إقامة الحجة وإزالة الشبهة[٢].

ثم هو داخل في نطاق المغفرة التي هي خاصة بالذين غزوا القسطنطينية، وكان هو أميرهم[٣].

ثم هو داخل أيضًا في فضائل أصحاب القرون الأولى، وخاصة أنه لم يذكر عنه كفر يخرجه عن تلك الفضائل[٤].

وكان يزيد خاتمة القرن الأول الذي ذكره رسول الله ﷺ[٥].

وهو داخل ضمن الخلفاء الاثني عشر، الذين قال فيهم رسول الله ﷺ: **(لا يزال الإسلام عزيزًا إلى اثني عشر خليفة؛ كلهم من قريش)**[٦].

---

(١) محمد كرد علي، خطط الشام: ١/ ١١٣.

(٢) ابن تيمية، الفتاوى: ١٢/ ٤٠٦.

(٣) سبق تخريجه في التحدث عن شخصية يزيد بالفصل الأول، ص٨٦.

(٤) سبق تخريجه ص ٧٢٢.

(٥) ابن عساكر ترجمة يزيد بن معاوية: ١٨/ ق٣٩٧؛ ابن طولون، القيد الشريد: ق٤.

(٦) البخاري مع الفتح: ١٣/ ٢٢٤، واللفظ له؛ ومسلم بشرح النووي: ١٢/ ٢٠٢؛ أحمد، المسند: ٥/ ٢٩٤ (٣٧٨١)؛ أبو داود: ٢/ ٢٠٧؛ الترمذي: ٤/ ٥٠١ (٢٣٢٣)؛ الطبراني، الكبير: ٢/ ١٩٦.

قال ابن حجر في شرح هذا الحديث: «لقد ذُكرت الصفة التي تختص بولايتهم، وهو كون الإسلام عزيزًا منيعًا، وفي الرواية الأخرى: وهو أنهم كلهم يجتمع عليهم الناس، كما وقع عند أبي داود؛ فإنه أخرج هذا الحديث من طريق إسماعيل بن أبي خالد عن أبيه عن جابر بن سمرة بلفظ: (**لا يزال هذا الدين قائمًا حتى يكون عليكم اثنا عشر خليفة كلهم تجتمع عليه الأمة**)[(١)].

وأخرج الطبراني من وجه آخر عن الأسود بن سعيد عن جابر بن سمرة بلفظ: (**لا تضرُّهم عداوة من عاداهم**)[(٢)].

قال ابن الجوزي في «كشف المشكل»: «وكأنه أشار بذلك إلى مدة ولاية بني أمية»[(٣)]، وكان قوله: «لا تزال»: أي الولاية، «إلى أن يلي اثنا عشر خليفة»: وأول بني أمية يزيد، وآخرهم مروان الحمار، وعدَّتهم ثلاثة عشر، ولا يعد عثمان ومعاوية ولا ابن الزبير؛ لكونهم صحابة، فإذا أسقطت منهم مروان بن الحكم للاختلاف في صحبته، أو لأنه كان منقلبًا بعد أن اجتمع الناس على عبد الله بن الزبير صحَّت العدة[(٤)].

وعند خروج الخلافة من بني أمية وقعت الفتن العظيمة والملاحم الكثيرة

---

(١) سنن أبي داود: ٤/ ٤٧١-٤٧٢ (٤٢٧٩).
(٢) المعجم الكبير: ٢/ ١٩٦ وفيه (لا يضرهم من خذلهم) ولفظ (لا يضره مخالف ولا مفارق) رقم (١٧٩٤، ١٧٩٦)؛ ابن بلبان، الإحسان بترتيب صحيح ابن حبان: ٨/ ٢٣٠ وفيه «ينصرون على من ناوأهم».
(٣) كشف المشكل، ابن الجوزي: ١/ ٢٨٩.
(٤) انظر: المصدر السابق نفسه.

حتى استقرت دولة بني العباس فتغيرت الأحوال عما كانت عليه تغيرًا بينًا، ويؤيد هذا ما أخرجه أبو داود من حديث ابن مسعود رفعه: (**تدور رحى الإسلام لخمس وثلاثين أو ست وثلاثين أو سبع وثلاثين، فإن هلكوا فسبيل من هلك، وإن بقوا يقم لهم دينهم سبعين عامًا**)(١).

زاد الطبراني والخطابي فقالوا: سوى ما مضى؟ قال: «**نعم**».

قال الخطابي: «رحى الإسلام كناية عن الحرب؛ شبَّهها بالرحى التي تطحن الحب لما يكون فيها من تلف الأرواح، والمراد بالدين هنا: أي الملك»(٢).

وكان من وقت اجتماع الناس على معاوية إلى انتقِاض ملك بني أمية نحو من سبعين، قال ابن الجوزي: «ويؤيد هذا التأويل ما أخرجه الطبراني من حديث عبد الله بن عمرو بن العاص رفعه: (**إذا ملك اثنا عشر من بني كعب بن لؤي كان النقف والنقاف إلى يوم القيامة اهـ**)(٣).

والنقف: كسر الهامة عن الدماغ، والنقاف بوزن فعال: منه، وكنَّى بذلك عن القتل والقتال.

---

(١) أحمد، المسند: ٥/ ٢٦٣ (٣٧٠٧) وقال أحمد شاكر -رحمه الله- إسناده صحيح؛ أبو داود، السنن: ٤/ ٤٥٣-٤٥٤ (٤٢٥٤)؛ ابن بلبان، الإحسان بترتيب صحيح ابن حبان: ٨/ ٢٣١؛ الحاكم، المستدرك: ٤/ ٥٢١ من طريق الطيالسي، وقال: صحيح الإسناد ولم يخرجاه، ووافقه الذهبي؛ الشاشي، المسند: ٢/ ٣٠٨ (٨٨٨).

(٢) الخطاب، معالم السنن بحاشية سنن أبي داود: ٤/ ٤٥٣.

(٣) ابن حجر، فتح الباري: ١٣/ ٢٢٦، ولم أعثر عليه عند الطبراني في الكبير والأوسط والصغير، ولعله في الجزء الذي لم يطبع منه بعد.

وقوله من بني كعب بن لؤي: إشارة إلى كونهم من قريش، لأن لؤي هو ابن غالب ابن فهر وفيهم جماع قريش(١).

قال القاضي عياض: «لعل المراد بالاثني عشر أنهم يكونون في مدة نحر الخلافة وقوة الإسلام، واستقامة أموره والاجتماع على من يقوم بالخلافة، وقد وجد هذا فيمن اجتمع عليه الناس إلى أن اضطرب أمر بني أمية، ووقعت بينهم الفتنة زمن الوليد بن يزيد، فانفصلت دولتهم إلى أن قامت الدولة العباسية فاستأصلوا أمرهم»(٢).

وقد رجَّح الحافظ ابن حجر قول القاضي عياض؛ وذلك لتأييده في بعض طرق الحديث الصحيحة «**كلهم يجتمع عليه الناس**».

«وإيضاح ذلك: أنَّ المراد بالاجتماع انقيادهم للبيعة، والذي وقع أن الناس اجتمعوا على أبي بكر ثم عمر ثم عثمان ثم علي إلى أن وقع أمر الحكمين في صفين، فسمي معاوية يومئذٍ بالخلافة، ثم اجتمع الناس على معاوية عند صلح الحسن؛ ثم اجتمعوا على ولده يزيد، ولم ينتظم للحسين أمر بل قُتل قبل ذلك، ثم لما مات يزيد وقع الاختلاف إلى أن اجتمعوا على عبد الملك بن مروان بعد قتل ابن الزبير، ثم اجتمعوا على أولاده الأربعة: الوليد ثم سليمان ثم يزيد ثم هشام، وتخلّل بين سليمان والوليد ، عمر بن عبد العزيز، وهؤلاء السبعة بعد الخلفاء الراشدين.

---

(١) المصدر نفسه: ١٣/ ٢٢٦.

(٢) شرح النووي على صحيح مسلم: ١٢/ ٢٠٢-٢٠٣؛ ابن حجر، فتح الباري: ١٣/ ٢٢٧.

والثاني عشر هو الوليد بن يزيد بن عبد الملك؛ اجتمع الناس عليه لما مات عمه هشام بن عبد الملك، فولي نحو أربع سنين، ثم قاموا إليه وقتلوه، وانتشرت الفتن وتغيرت الأحوال من يومئذ، ولم يتفق أن يجتمع الناس على خليفة بعد ذلك.

وكانت الأمور في غالب أزمنة هؤلاء الاثني عشر منتظمة، وإن وجد في بعض مدتهم خلاف ذلك فهو بالنسبة إلى الاستقامة نادر والله أعلم»[١].

وأما ابن حبان، فقد جعل الاثني عشر خليفة هم الخلفاء الراشدين الأربعة، وخلافة الحسن، ثم خلفاء بني أمية حتى كان آخرهم عمر بن عبد العزيز[٢].

وتابعه على ذلك ابن أبي العز الحنفي، وقال بعد أن ذكرهم: «ثم أخذ الأمر في الاضمحلال»[٣].

والحقيقة أنَّ هذا التقسيم الذي ذكره ابن حبان ثم تابعه عليه ابن أبي العز الحنفي لا يستقيم مع مدلول الحديث؛ حيث إنَّ الأمر بعد عمر بن عبد العزيز لم يتغير، واستمرت عزة الإسلام، وكانت الدولة الإسلامية في عصر هشام بن عبد الملك في أوج عظمتها وقوتها.

الأمر الذي يجعل ما ذكره ابن الجوزي، والقاضي عياض، وابن حجر، والنووي، وابن القيم[٤]، هو الأقرب إلى توضيح مدلول هذا الحديث.

---

(١) ابن حجر، فتح الباري: ١٣/ ٢٢٧-٢٢٨.

(٢) ابن بلبان، الإحسان بترتيب صحيح ابن حبان: ٨/ ٢٢٨-٢٢٩.

(٣) ابن أبي العز الحنفي، شرح العقيدة الطحاوية: ٤٨٩.

(٤) انظر شرح وتعليقات ابن القيم على سنن أبي داود في حاشية عون المعبود بشرح سنن أبي داود لأبي الطيب آبادي: ١١/ ٣٦٤.

ولما كان يزيد قد عاصر الصحابة -رضوان الله عليهم- وحدثت كل هذه الحوادث في زمنهم، فإنه لم ينقل إلينا أن صحابيًا أو تابعيًا قد لعن يزيد، وهم أدرى بحاله ممن جاء بعدهم.

فينبغي على المسلم أن يكون مُتحرِّيًا للنزاهة في جميع أمره، وأن يمسك عما أمسك عنه الصحابة والتابعون.

«ثم إن الصدق له دلائل مستلزمة تدل على الصدق، والكذب له دلائل مستلزمة تدل على الكذب، ولا يجوز الحكم بصدق مخبر ولا بكذب مخبر إلا بدليل، وما لم يعلم صدقه ولا كذبه، ولا ثبوته ولا انتفاؤه، فإنه يجب الإمساك عنه»(1). (**وليس المؤمن بالطعان ولا اللعان**)(2)، ثم إن الله تعالى يقبل توبة عبده ما لم يُغرغر(3).

ويجب أن نعرف أن لعن يزيد لم ينتشر إلا بعد أن قامت الدولة العباسية، وأفسحت المجال للنيل من بني أمية، وكما يبدو أن لعن يزيد أصبح أمرًا مشاعًا في ذلك الحين، ومن الدلائل على ذلك: ما ذكره ابن الجوزي في ترجمة الإمام الحسن بن الصباح قال: «أُدخلت على المأمون وقد رُفع إليه أني أشتم علي بن أبي طالب، فلما قمت بين يديه قال لي: أنت الحسن؟ قلت: نعم يا أمير المؤمنين، قال: وتشتم علي بن أبي طالب؟ فقلت: صلَّى الله على مولاي وسيدي علي؛ يا أمير

---

(1) ابن تيمية، الجواب الصحيح: ٤/ ٣٠٠.

(2) أحمد، المسند: ١/ ٤١٦؛ البخاري، الأدب المفرد: ص١١٧ (٣١٣) «ولا الفاحش ولا البذيء»؛ ابن أبي عاصم، السنة: ٢/ ٤٨٧ (١٠١٤)؛ الحاكم، المستدرك: ١/ ١٢١ والحديث صحيح كما حكم عليه الألباني في حاشية السنة لابن أبي عاصم.

(3) أحمد، المسند: ٩/ ١٦١ (٦٤٠٨) بإسناد صحيح.

المؤمنين: أنا لا أشتم يزيد بن معاوية لأنه ابن عمك فكيف أشتم مولاي وسيدي؟ فقال: خلُّوا سبيله»[١].

ولم يقتصر الأمر على بلاد المسلمين فقط في ولاية العباسيين وغيرهم، بل إنَّ نشاط الدعاية العلوية قد جعلت الكفار في بلاد الصين يسبُّون يزيد بن معاوية[٢].

«ومع ذلك فإن طائفة من أهل السنة قد رأت لعنه؛ لأنهم يعتقدون أنه فعل من الظلم ما يجوز لعن فاعله، وطائفة أخرى رأت محبته؛ لأنه مسلم تولَّى على عهد الصحابة، وبايعه الصحابة، ويقولون: لم يصح عنه ما نقل عنه، وكانت له محاسن، أو أنه كان مجتهدًا فيما فعله.

والصواب: هو ما عليه الأئمة من أنه لا يخص بمحبة ولا يلعن، ومع هذا فإن كان فاسقًا أو ظالمًا، فالله يغفر للفاسق والظالم إذا شاء، لا سيما إذ أتى بحسنات عظيمة»[٣].

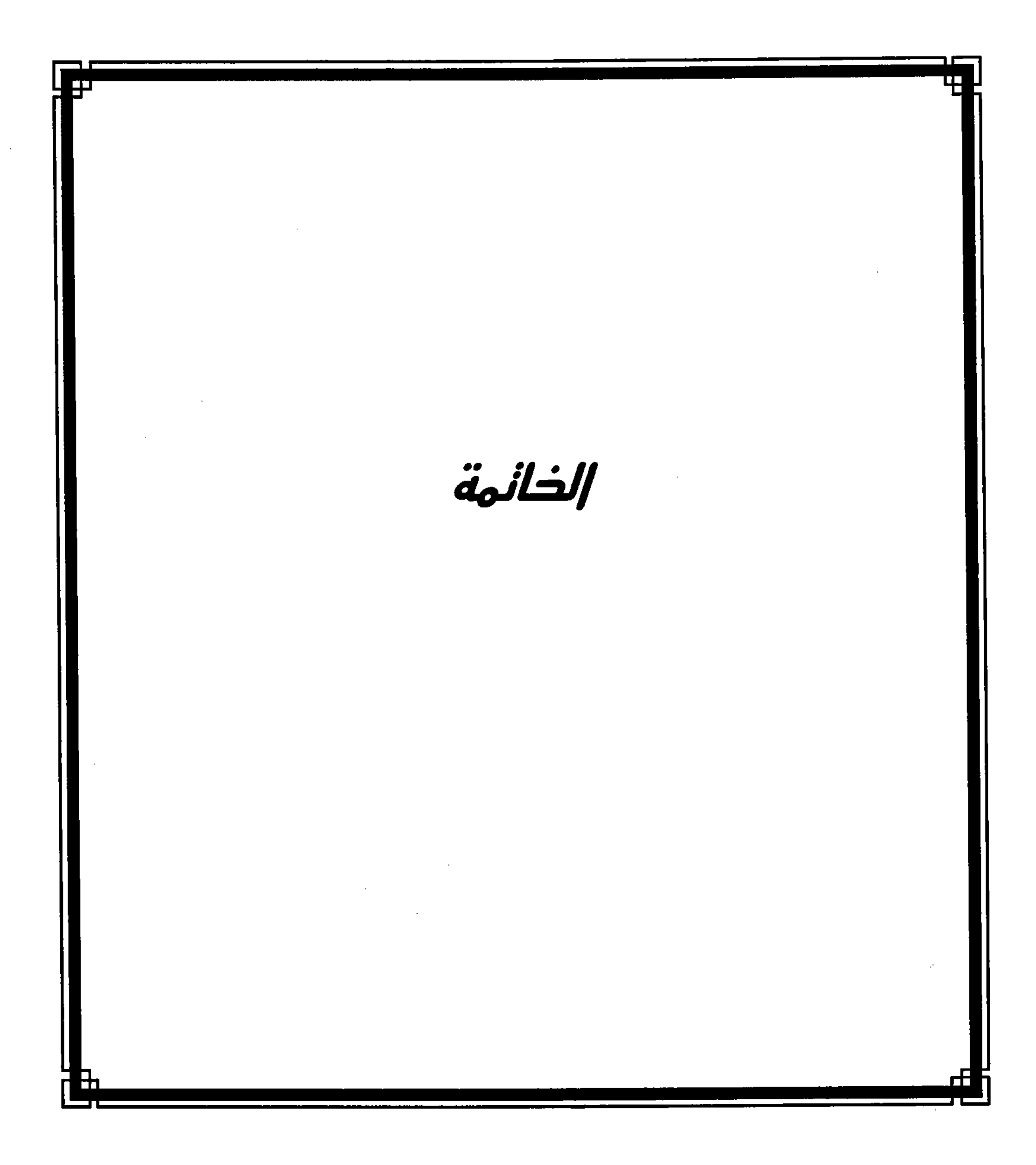
---

(١) ابن الجوزي، المنتظم: ٢/ ٥٣٧؛ الذهبي، تذكرة الحفاظ: ٢/ ٤٧٦.

(٢) ابن بطوطة، رحلته: ٢/ ٧٢٥.

(٣) ابن تيمية، الوصية الكبرى: ص٤٥، وهو الرأي الذي اختارته اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء: ٣/ ٢٨٥ من فتاوى العقيدة.





الخاتمة



الخاتمة

لعل هذه الدراسة التي تناولت يزيد بن معاوية وبيعته وموقفه من المعارضة، تطمع إلى تقديم صورة متكاملة الإطار التاريخي لتلك الفترة السياسية الحرجة.

فيزيد بن معاوية شخصية طال حولها الجدل؛ فقد حامت حول شخصيته شبهات كثيرة، واختلفت وجهات النظر فيه وفي خلافته، فانبرى البعض للدفاع عنه، وانبرى البعض الآخر لاتهامه بشتى الاتهامات، فمسخ شخصيته، وشوَّه العقد الذي تولى فيه خلافة المسلمين.

وعندما عايشت هذا البحث مدة طويلة - حوالي الأربع سنوات - وجدت أن كثيرًا من الاتهامات تتهافت أمام النقد والبحث العلمي، استنادًا إلى الأسانيد الصحيحة التي وصلت إلينا عن تلك الفترة.

ولعل أهم النتائج التي توصل إليها البحث:

أولا: فيما يتعلق ببيعة يزيد بن معاوية:

* لقد تبيَّن من خلال دراسة الروايات التي وردت بشأن علاقة المغيرة بن شعبة ببيعة يزيد، أنه لم يكن هو المتسبِّب الرئيسي في حمل معاوية بن أبي سفيان ﷺ على التفكير الجدي ببيعة ولده يزيد.

ولقد جاءت الروايات التي تبرز دور المغيرة بن شعبة في حمل معاوية على مبايعة ولده يزيد، نتيجة لحرص المغيرة عل الرجوع مرة ثانية لولاية الكوفة.

وقد حقق له معاوية هذه الأمنية في مقابل أن يهيِّئ الرأي العام في الكوفة

لتقبل بيعة يزيد بولاية العهد، على حسب سياق الرواية.

وتتبدَّد هذه الرواية التي لم يُكتب لها إسناد مُوثَّق، أمام إحدى الروايات الصحيحة التي أكَّدت على أن المغيرة بن شعبة ﷺ قد تم عزله بالفعل، وتولَّى زياد بن أبي سفيان إمارة الكوفة بدلاً منه.

وأضحت كل الدراسات التي تناولت بيعة يزيد بن معاوية وألقت باللائمة في ذلك على الصحابي الجليل: المغيرة بن شعبة ﷺ في وضع يُحتاج فيه إلى تعديل يتفق مع النتائج الصحيحة التي توصَّل إليها البحث في هذا الموضع، وفي غيره من المواضع الأخرى.

* ومن النتائج المهمة التي توصل إليها البحث: التحديد الدقيق لوفاة سعد ابن أبي وقاص، وسعيد بن زيد، والحسن بن علي ﷺ، وبالتالي فإن البيعة ليزيد بولاية العهد إنما جاءت بعد رحيل هؤلاء الصحابة الأجلاء.

* ومن النتائج المهمة أيضًا: التوصل إلى دحض تلك الافتراءات التي ربطت بين وفاة عبد الرحمن بن خالد بن الوليد، والحسن بن علي ﷺ، وبين أخذ البيعة ليزيد بن معاوية؛ وذلك بعد إخضاع تلك الروايات - التي تزعم تورُّطَ معاوية ﷺ بدس السمِّ لهما حتى تخلو الساحة من المعارضين لبيعة يزيد - إلى دراسة نقدية تحليلية، أظهرت كذب تلك الاتهامات، وبيَّنت أنها ناتجة عن دوافع حزبية بغيضة.

* كما أظهرت الدراسة: أن البنود الرئيسية لاتفاقية الصلح بين الحسن بن علي ومعاوية ابن أبي سفيان، لم تتضمّن النص على تعيين الحسن بن علي خليفة

للمسلمين بعد وفاة معاوية ﷺ.

* ومن النتائج المهمة: أن الكيفية التي بايع بها أهل الحجاز ليزيد بن معاوية كانت واضحة لا بأس فيها، وأن الرواية التي ذكرت أن بيعة أهل الحجاز ليزيد ابن معاوية أُخذت منهم والسيوف مُصْلتة على رؤوس الصحابة ﷺ رواية ضعيفة جدًا لا يمكن أن تعارض الروايات الصحيحة التي أوضحت كيفية أخذ البيعة ليزيد بن معاوية.

* ومن الأمور الجديرة بالملاحظة: هو أن المعارضة ليزيد بن معاوية لم تكن بتلك الصورة التي صورتها بعض الروايات، ولقد بُولغ في إظهار يزيد على أنه شخصية تُجْمِع كل الأطراف على عدم رضاها على توليه الخلافة من بعد أبيه.

بل إن هناك ما يصل إلى حد الإجماع بين الأطراف الفاعلة في كل من بلاد الشام والعراق، وحتى في داخل الأسرة الأموية، على الرضا التام بترشيح يزيد لأن يكون وليًا للعهد.

ثانيًا: معارضة الحسين بن علي رضي الله عنه:

* لقد صوّرت بعض الروايات - وبالأخص ذات الميول الشيعية - معارضة الحسين ﷺ ليزيد بن معاوية، ومن ثم خروجه إلى العراق، على أنها نتاج طبيعي للجَوْر والظلم الذي تعرض له الحسين ﷺ على يد يزيد بن معاوية.

ولكن الدراسة أظهرت زيف تلك المزاعم؛ فالحسين ﷺ خرج من المدينة إلى مكة حينما وردت الأخبار من بلاد الشام بوفاة معاوية ﷺ، ومكث في مكة قرابة الأربعة أشهر وهو مُعارض ليزيد ورافض البيعة له بالخلافة، وذلك في الوقت الذي تتوافد عليه رسائل أهل الكوفة وتستحثه على الخروج إليهم، وطوال إقامته في مكة

لم يتعرض له يزيد أو أحد من أمراء مكة والمدينة بأي أذى.

وبالتالي كان خروجه إلى الكوفة نتيجة لتلك العهود والأماني التي جاءته من الكوفة، والتي تُظهر له الوضع هناك بأنه مهيَّأ تمامًا لقدومه.

وحينما خرج الحسين ﷺ إلى الكوفة، لم يوافقه أحد من الصحابة أو أقاربه على خروجه، الأمر الذي يُظهر معرفة أولئك الناصحين للحسين بخطورة الوضع الذي يُقدم عليه، بل إن البعض من الصحابة الذين نصحوه قد ودَّعوه الوداع الأخير.

* ومن الأمور التي توصَّل إليها البحث: هو أن يزيد بن معاوية لا يتحمَّل شيئًا من مسؤولية قتل الحسين ﷺ.

* وقد أثبتت الدراسة حزن يزيد وبكائه حينما ورده الخبر بمقتل الحسين، وعندما قدم عليه في دمشق آل الحسين ﷺ من نساء وصبيان بالغ في احترامهم وتقديرهم؛ وذلك حتى يخفف عليهم ألم المصيبة، ثم بعد إكرامهم أرسلهم إلى المدينة مُعزَّزين مُكرَّمين، وطلب من علي بن الحسين أن يكتب له في أي شيء يريده.

* وقد أثبتت الدراسة في مقابل ذلك كذب تلك الروايات التي تُظهر أن أبناء الحسين حملوا إلى دمشق على أنهم سبايا، وعُرض نساؤه وأبناؤه أمام أهل الشام، وأظهر بعض الناس الرغبة في أخذ بعض بنات الحسين، إلى ما سوى ذلك من الافتراء والبهتان.

* كما توصلت الدراسة إلى أن رأس الحسين ﷺ أرسل به يزيد إلى والي

المدينة، وقبر عند أمه فاطمة - رضي الله عنها - بنت رسول الله ﷺ.

* وفي المقابل أثبتت الدراسة أن المشاهد المقامة في أماكن كثيرة من البلدان، والتي كل منها يدَّعي أصحابه أن رأس الحسين مقبور فيها، لا أساس لها من الصحة، إضافة إلى ما يجري عند تلك المشاهد من أنواع الشرك والضلالات التي هي مخالفة لأصل الإسلام وروحه.

ثالثًا: معارضة أهل المدينة ومعركة الحرة:

* لقد توصَّلت الدراسة إلى أن العلاقة بين حركة أهل المدينة ومعارضة ابن الزبير علاقة كبيرة، بل إن التشابك بين المعارضتين يبلغ الحد الذي يجعل أحد شهود العيان في تلك الفترة يقول: إن أهل المدينة خرجوا على يزيد مع ابن الزبير[1].

ولعل اتهام يزيد بشرب الخمر وتناقل هذا الاتهام بشكل كبير بين أفراد المدينيين، ومن ثم إظهار هذا الاتهام على أنه الدافع الرئيسي لخروجهم على يزيد، ما هو إلا غطاء لرفض خلافة يزيد والتأييد الواضح لابن الزبير رضي الله عنه.

* ولعل الرفض لا يشمل شخص يزيد فقط دون غيره من أفراد البيت الأموي، بل إن ذلك الرفض يتعدَّى يزيد ليشمل كل أفراد البيت الأموي، ويتضح هذا الأمر في موقف أهل المدينة من الأمويين الساكنين في المدينة، حينما أخرجوهم بالقوة وتحت تهديد السلاح.

* كما لم يثبت من خلال استعراضنا للروايات، وإخضاعها للنقد والتحليل، أي دليل صريح وواضح في أن يزيد يتعاطى شرب الخمر.

---

(١) وهو قول نافع مولى ابن عمر، وانظر ذلك مفصلاً في فصل معركة الحرة من هذا البحث.

* وقد أبرزت الدراسة من خلال مواقف بعض كبار شخصيات أهل المدينة من خلع يزيد، ورفضهم لذلك؛ من أمثال: ابن عمر، ومحمد بن الحنفية، وعلي بن الحسين، أن موجبات خلع يزيد لم تتحقق، وكان في رفض أهل المدينة لمناقشة ابن عمر ومحمد بن الحنفية بشأن خلع يزيد بن معاوية ما يؤكد الدوافع المسبقة للمدينيين، والمتضامنة مع ابن الزبير في رفضهم لخلافة يزيد خصوصًا، وللبيت الأموي عمومًا.

* كما توصلت الدراسة إلى بيان تهافت الروايات التي زعمت بوقوع حالات اغتصاب كبيرة للنساء المدنيات؛ وذلك حينما أخضعت تلك الروايات للدراسة النقدية والتحليلية، والمنهج العلمي المتجرد من الميول على قدر الطاقة والاستطاعة.

رابعًا: معارضة ابن الزبير - رضي الله عنه - وحصاره بالحرم المكي:

نظرًا لأن الصراع بين ابن الزبير ويزيد بن معاوية لم يأخذ الصفة العسكرية إلا في أواخر أيام يزيد بن معاوية، فإن الفترة التي عالجها البحث في ذلك الإطار تتميز بالاقتضاب إذا ما قورنت بالفترة التي استعرضت معارضة الحسين ﷺ، أو حركة أهل المدينة، ولكن مع ذلك فقد توصلت الدراسة إلى بعض النتائج المهمة مثل:

* رغبة يزيد بن معاوية في تجنب حرب مع ابن الزبير؛ ويبدو ذلك واضحًا من خلال الرُّسل والوفود الذين وسَّطهم يزيد عند ابن الزبير ليتخلَّى عن معارضته.

* ومن النتائج المهمة: هو أن حصار ابن الزبير ﷺ في داخل الحرم، ورمي أهل الشام له بالمنجنيق؛ لا يقصد بذلك إهانة البيت، بقدر ما يقصد ابن الزبير ومن معه من المعارضين للخليفة.

وكذلك فإن احتراق الكعبة - سواء كان هذا الاحتراق جاء بسبب الشاميين، أو بسبب أتباع ابن الزبير، أو حتى ابن الزبير نفسه - لم يكن مقصودًا به الكعبة ذاتها؛ وذلك لأن لها المنزلة العظيمة في نفوس كلا الفريقين.

ولا بد من كلمة أخيرة حول يزيد بن معاوية والمعارضين له:

فنقول: إن يزيد لم تستقر له الأمور مدة خلافته حتى يمكن لنا من خلال تلك الفترة أن نحكم على مدى صلاحه لرئاسة الدولة وخلافة الأمة.

* فقد جُوبه يزيد بالمعارضة من أول يوم تسلَّم فيه منصب الخلافة، ثم إن الذين عارضوه يمثلون أفضل عصرهم - الحسين بن علي، وابن الزبير رضي الله عنهم - فمهما كان يزيد على جانب من الحق فإن الشعور بتخطئته سيكون هو المسيطر على غالبية الناس؛ وذلك لمكانة المعارضين.

* ثم إن الظروف السياسية التي كانت سائدة في ذلك العصر، هي التي مهَّدت السبيل إلى افتعال الكثير من الاتهامات الموجَّهة ضد يزيد.

* ويبدو أن يزيد كان ميَّالاً إلى السلم، ويرغب في عدم تصعيد المواجهة مع معارضيه، ولَمَّا لم يجد بُدًّا من المواجهة لجأ إلى استخدام القوة التي صاحبها الكثير من العنف.

لقد كان يزيد بين ثلاثة خيارات:

١ - التنازل عن الخلافة نزولاً عند رغبة المعارضة.

٢ - السكوت عن انفصال بعض الأقاليم المهمة عن الدولة.

٣ - القضاء على المعارضين والحفاظ على هيبة الدولة ووحدتها.

* إن لجوء المعارضة إلى السيف جعل يزيد في موقع المدافع الخائف على سلطانه ونفسه.

* وقد لا زم هذا الشعور كل الخلفاء فيما بعد؛ فإما أن يقضي الخليفة على عدوه الذي يمثل المعارضة، وإما أن يقضي عدوه عليه؛ أي المعارضة.

لقد فقدت المعارضة روح التفاهم مع السلطة الحاكمة منذ فجر التاريخ الإسلامي، وكانت تلجأ إلى السيف كوسيلة للاحتكام، والسلطة تلجأ إلى السيف كردَّة فعل إزاء المعارضة، والغلبة - في الغالب - لصالح السلطة؛ وذلك بسبب إمكانياتها الكبيرة.

* ولقد أفضى انتصار السلطة وبطشها بالمعارضين إلى نزعة الاستبداد التي هيمنت على كثير من خلفاء المسلمين وحكَّامهم على مدى فترات التاريخ الإسلامي، وإلى ابتعاد الشخصيات التي يمكن الاستفادة منها عن مواطن اتخاذ القرار؛ فهؤلاء المعارضون لا يرون أملاً في صلاح الحاكم، والحاكم لا يأبه بالمعارضين لتفوُّقه الساحق عليهم.

الأمر الذي أوجد خللاً في نظام حكم بعض الدول الإسلامية، وانعدمت روح الشورى، وروح التناصح، والرغبة في مصلحة الأمة، وذلك وفق الضوابط الشرعية المفضية إلى سعادة الدنيا والآخرة.

والله أعلم.

وصلى الله وسلم وبارك على رسولنا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين.

فهرس المصادر والمراجع والدوريات



فهرس المصادر والمراجع والدوريات

القرآن الكريم.

أولاً: المصادر الخطية

١- ابن أبي خيثمة، زهير بن حرب، **التاريخ الكبير**، الجزء الخمسون، مكتبة المحمودية، رقم ٥٣.

٢- ابن الجوزي، أبو الفرج عبد الرحمن بن علي (ت٥٩٧هـ)، **الرد على المتعصب العنيد المانع من ذم يزيد**، مكتبة برلين الغربية.

٣- ابن العديم، كمال الدين عمر بن أحمد (ت٦٦٠هـ)، **بغية الطالب في تاريخ حلب**، منشورات معهد العلوم العربية والإسلامية، ألمانيا، المجلد ٣٣، نسخة مصورة عن مخطوطة أيا صوفيا تحت رقم ٣٠٣٦.

٤- ابن طولون، شمس الدين محمد الصالحي (ت٩٥٣هـ)، **قيد الشريد من أخبار يزيد**، الجامعة الإسلامية، مكتبة المخطوطات، تحت رقم ١٧٥٢ تاريخ.

٥- ابن عساكر، علي بن الحسن (ت٥٧١هـ)، **تاريخ مدينة دمشق**، نشر مكتبة الدار، المدينة، ١٤٠٧هـ.

٦- الأصبهاني، أبو نعيم أحمد بن عبد الله (ت٤٣٠هـ)، **المستخرج على صحيح مسلم**، نسخة همدرر، دلهي، الهند.

٧- الأصبهاني، إسماعيل بن محمد (ت٥٣٥هـ)، **سير السلف** – مصورة بالجامعة الإسلامية برقم ١٨٤٠.

٨- الألوسي، أبو المعالي محمود شكري (ت١٣٤٣هـ)، **صب العذاب على من سب الأصحاب**، صورة مخطوطة بمكتبة الشيخ حماد، وهي مصورة

عن مخطوطة مكتبة الآثار العامة ببغداد برقم (٨٥٨٧).

٩- التلمساني، أحمد، **الجمان في مختصر أخبار الزمان**، مكتبة المخطوطات، الجامعة الإسلامية رقم (٣٧٣٠).

١٠- السهمودي: نور الدين علي بن أحمد (ت٩١١هـ)، **فضائل العقدين في فضائل الشريفين**، مكتبة الأوقاف المركزية، بغداد، رقم (٣٩١) أدب.

١١- الصفوي، مصطفى، **مشاهد الصفا**، عارف حكمت، ٢٣٥/ ٩٠٠.

١٢- العيني، بدر الدين محمود بن أحمد (ت٨٠٦هـ)، **عقد الجمان في تاريخ أهل الزمان**، نسخة مصورة عن مخطوطة جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، الرياض، رقم ٧٠٦ فلم.

١٣- القضاعي، محمد بن سلامة (ت٤٥٤هـ) مخطوط، **الإنباء بأنباء الأنبياء وتواريخ الخلفاء**، الجامعة الإسلامية، قسم المخطوطات رقم (٣٩٦٣).

١٤- مجهول، **القول المختار في معرفة الصحابة الأبرار**، مكتبة المخطوطات، الجامعة الإسلامية، برقم ٢٦٣.

١٥- المروزي، نعيم بن حماد الخزاعي (ت ٢٢٩هـ) مخطوط، **الفتن والملاحم** نسخة المتحف البريطاني، رقم ٩٤٤٩.

١٦- المكي، موفق الدين الشافعي، **مرشد الزوار إلى قبور الأبرار**، عارف حكمت، رقم ٢٠٣/ ٩٠٠.

ثانياً: فهرس المصادر المطبوعة

١- **أبجد العلوم**، دار الكتب العلمية، بيروت.

٢- ابن أبي أصيبعة، أبو العباس أحمد بن القاسم (ت٦٦٨هـ)، **طبقات الأطباء**، تحقيق: نزار رضا، منشورات دار مكتبة الحياة، بيروت، ١٩٦٥م.

٣- ابن أبي الدنيا، أبو بكر عبد الله بن محمد البغدادي (ت٢٨١هـ)، **الإشراف في منازل الأشراف**، تحقيق: نجم عبد الرحمن خالف، مكتبة الرشد، الرياض، ط١، ١٤١١هـ.

٤- ابن أبي العز، محمد بن علي (ت٧٩٢هـ)، **شرح العقيدة الطحاوية**، تحقيق: جماعة من العلماء، خرج أحاديثها محمد ناصر الدين الألباني، المكتب الإسلامي، بيروت، ط٨، ١٤٠٤هـ.

٥- ابن أبي حاتم، أبو محمد عبد الحمن الرازي (ت٣٢٧هـ)، **علل الحديث**، دار المعرفة، بيروت، ط١، ١٤٠٥هـ.

٦- ابن أبي حيدر (ت٦٥٥هـ)، **شرح نهج البلاغة**، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، دار إحياء الكتب العربية، القاهرة، ط١، ١٣٧٨هـ.

٧- ابن أبي شيبة، أبو بكر عبد الله بن محمد العبسي (ت٢٣٥هـ)، **المصنف في الأحاديث والآثار**، تحقيق: عبد الخالق الأفغاني، الدار السلفية، الهند، ط٢، ١٣٩٩هـ.

٨- ابن أبي عاصم، أحمد بن عمرو (ت٢٨٧هـ)، **الآحاد والمثاني**، تحقيق: باسم فيصل الجوابرة، دار الراية، الرياض، ط١، ١٤١١هـ.

٩- ابن الأثير، أبو الحسن علي بن محمد (ت٦٣٠هـ)، **الكامل في التاريخ** - دار صادر - بيروت - ١٤٠٢هـ.

١٠- ابن الأثير، عز الدين الجزري (ت٦٣٠هـ)، **اللباب في تهذيب الأنساب** - دار صادر - بيروت.

١١- ابن الأثير، مجد الدين المبارك بن محمد (ت٦٠٦هـ)، **النهاية في غريب الحديث والأثر** - تحقيق: محمود الطناحي - دار الكتب العربية - القاهرة.

١٢- ابن الجارود، عبد الله بن علي (ت٣٠٧هـ)، **المنتقى**، تحقيق: عبد الحميد حبيب، مطابع الأشرف، باكستان، ط١، ١٤٠٣هـ.

١٣- ابن الجعد، أبو الحسن علي بن الجعد (ت٢٣٠هـ)، **مسند ابن الجعد**، تحقيق: عبد المهدي عبد القادر، مكتبة الفلاح، الكويت، ط١، ١٤٠٥هـ.

١٤- ابن الجوزي، أبو الفرج عبد الرحمن بن علي (ت٥٩٧هـ)، **المنتظم في تاريخ الأمم والملوك**، دائرة المعارف العثمانية، حيدر آباد، ط١، ١٣٥٧هـ.

١٥- ابن الداية، أحمد بن يوسف الكاتب (ت٣٤٠هـ)، **المكافأة وحسن العقبى**، تحقيق: محمد محمود شاكر، دار الكتب العلمية، بيروت.

١٦- ابن الزيات، محمد ناصر الدين، **الكواكب السيارة**، مكتبة المثني، بغداد.

١٧- ابن الصلاح، عثمان بن عبد الرحمن (ت٦٤٣هـ)، **الفتاوى**، ضمن مجموعة الرسائل المنيرية.

١٨- ابن العبري، غريغوريوس المطلي (ت٦٨٥هـ)، **تاريخ مختصر الدول**، دار المسيرة، بيروت.

١٩- ابن العديم، عمر بن أحمد (ت٦٦٠هـ)، **الدراري في ذكر الذراري**، تحقيق: علاء عبد الوهاب، دار السلام، القاهرة، ط١، ١٤٠٤هـ.

٢٠- ابن العربي، أبو بكر محمد بن عبد الله (ت٥٤٣هـ)، **عارضة الأحوذي بشرح صحيح الترمذي**، دار الكتب العلمية، بيروت.

٢١- ابن العماد الحنبلي، عبد الحي بن أحمد (ت١٠٨٩هـ)، **شذرات الذهب**، دار الفكر، بيروت، ط١، ١٣٩٩هـ.

٢٢- ابن الفقيه، أبو بكر أحمد بن محمد الهمذاني، **مختصر البلدان**، ليدن- بديل، هولندا، ط ١، ١٣٠٢هـ.

٢٣- ابن الفوطي، **تلخيص معجم الأدب في معجم الألقاب**، تحقيق: مصطفى جواد، وزارة الثقافة والإرشاد القومي، العراق، ط١، ١٩٦٢م.

٢٤- ابن القاسم، يحيى بن الحسين، **غاية الأماني في أخبار القطر اليماني**، تحقيق: سعيد عبد الفتاح عاشور، دار الكتاب العربي، ط١، ١٣٨٨هـ.

٢٥- ابن القيسراني، محمد بن طاهر (ت٥٠٧هـ، **الجمع بين رجال الصحيحين**، دار الكتب العلمية، بيروت، ط٢/ ١٤٠٥هـ.

٢٦- ابن القيم، شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أبي بكر (ت٧٥١هـ)، **المنار المنيف في الصحيح والضعيف**، تحقيق: أبو غدة، مكتب المطبوعات الإسلامية، حلب، ط٢، ١٣٩٧هـ.

٢٧- ابن الكلبي، أبو المنذر هشام بن محمد (ت٢٠٤هـ)، **جمهرة النسب**، تحقيق: عبد الستار أحمد فراج، مطبعة حكومة الكويت، ١٤٠٣هـ.

٢٨- ابن الكيال، محمد بن أحمد (ت٩٣٩هـ)، **الكواكب النيرات**، تحقيق: عبد القيوم عبد الرب، مطبوعات جامعة أم القرى، مكة، ط١، ١٤٠١هـ.

٢٩- ابن المبارك، عبد الملك بن المبارك المروزي (ت١٨١هـ)، **الزهد**، تحقيق: الشيخ حبيب الرحمن الأعظمي، دار الكتب العلمية، بيروت.

٣٠- ابن المستوفي، المبارك بن أحمد الإربلي (ت٦٣٧هـ)، **تاريخ أربل**، تحقيق: سامي الصقار، دار الرشيد، بغداد، ١٩٨٠م.

٣١- ابن المعتز، عبد الله بن المعتز بن المتوكل العباسي (ت٢٩٦هـ)، **طبقات الشعراء**، تحقيق: عبد الستار أحمد فراج، دار المعارف، ط٤، ١٩٨١م.

٣٢- ابن الملقن، عمر بن علي (ت٨٠٤هـ)، **مختصر استدراك الذهبي على مستدرك الحاكم**، تحقيق: عبد الله بن حمد اللحيدان، دار العاصمة، الرياض، ط١، ١٤١١هـ.

٣٣- ابن النجار، محمد بن أحمد (ت٩٧٢هـ)، **شرح الكوكب المنير**، تحقيق: محمد الزحيلي، نزيه حماد، مطبوعات جامعة أم القرى، مكة، ط١، ١٤٠٠هـ.

٣٤- ابن النجار، محمد بن محمود، **أخبار مدينة رسول الله ﷺ**، تحقيق: صالح محمد جمال، مكتبة الثقافة، مكة، ط٣، ١٤٠١هـ.

٣٥- ابن الوردي، زين الدين عمر (ت٧٤٧هـ)، **تتمة المختصر في أخبار البشر**، تحقيق: أحمد البدراوي، دار المعرفة، بيروت، ط١، ١٣٨٩هـ.

٣٦- ابن إياس: محمد بن أحمد (ت٩٣٠هـ)، **بدائع الزهور**، تحقيق محمد مصطفى، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ط٢، ١٤٠٤هـ.

٣٧- ابن بطة: عبيد الله بن محمد (ت٣٨٧هـ)، **الإبانة عن شريعة الفرقة الناجية**، تحقيق: رضا نعسان، دار الراية، الرياض، ط١، ١٤٠٩هـ.

٣٨- ابن بطوطة، أبو عبد الله محمد بن عبد الله (ت٧٧٩هـ)، **رحلة ابن بطوطة**، تحقيق: علي المنتصر الكتاني، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط٤، ١٤٠٥هـ.

٣٩- ابن بلبان، علاء الدين علي (ت٧٣٩هـ)، **الإحسان بترتيب صحيح ابن حبان**، تحقيق: كمال الحوت، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤٠٧هـ.

٤٠- ابن تغري بردي، جمال الدين يوسف (ت٨٧٤هـ)، **النجوم الزاهرة**، دار الكتب المصرية، القاهرة، ط١، ١٣٤٨هـ.

٤١- ابن تيمية، أبو العباس أحمد بن عبد الحليم (ت٧٢٨هـ)، **منهاج السنة النبوية**، تحقيق: محمد رشاد سالم، مطبوعات جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، الرياض، ط١، ١٤٠٦هـ.

٤٢- ابن جُزي، محمد أحمد الغرناطي (ت٧٤١هـ)، **قوانين الأحكام الشرعية**، دار العلم للملايين، بيروت، ١٩٧٩م.

٤٣- ابن حبان، محمد بن حبان البستي (ت٣٥٤هـ)، **مشاهير علماء الأمصار**، عني بتصحيحه: فلايشهمر، دار الكتب العلمية، بيروت.

٤٤- ابن حبيب، أبو جعفر محمد بن أمية (ت٢٤٥هـ).

٤٥- ابن حجر، أبو الفضل أحمد بن علي العسقلاني (ت٨٥٢هـ)، **تهذيب التهذيب**، دار الفكر، بيروت، ط١، ١٤٠٤هـ.

٤٦- ابن حزم، علي بن أحمد (ت٤٥٦هـ)، **الفصل في الملل والأهواء والنحل**، تحقيق: عبد الرحمن عميرة، دار الجيل، بيروت، ط١، ١٤٠٥هـ.

٤٧- ابن حنبل، أبو عبد الله أحمد بن محمد (ت٢٤١هـ)، **المسند**، تحقيق: أحمد محمد شاكر، دار المعارف، ط٤، ١٣٧٢هـ.

٤٨- ابن خرداذبة، عبد الله بن عبد الله (ت٣٠٠هـ)، **المسالك والممالك**، مكتبة المثني، بغداد، صورة عن طبعة ليدن.

٤٩- ابن خلدون، عبد الرحمن بن محمد (ت٨٠٨هـ)، **المقدمة**، مكتبة الدار التونسية للنشر، ١٩٨٤م.

٥٠- ابن خلكان، أحمد بن محمد (ت٦٨١هـ)، **وفيات الأعيان**، تحقيق: إحسان عباس، دار صادر، بيروت.

٥١- ابن خير، أبو بكر محمد بن خير (ت٥٧٥هـ)، **فهرسة أبي بكر بن خير**، تحقيق: فرانسسكو كديرا، دار الآفاق الجديدة، بيروت، ط٢، ١٣٩٩هـ.

٥٢- ابن دريد، أبو بكر محمد بن الحسن (ت٣٢١هـ)، **الاشتقاق**، تحقيق: عبد السلام هارون، مكتبة المثني، ط٢، ١٣٩٢هـ.

٥٣- ابن دقماق، إبراهيم بن محمد (ت٨٠٩هـ)، **الجوهر الثمين**، تحقيق سعيد عبد الفتاح عاشور، مطبوعات جامعة أم القرى.

٥٤- ابن رجب، عبد الرحمن بن أحمد (ت٧٩٥هـ)، **استخراج أحكام الخراج**، تحقيق: جندي الهيتي، مكتبة الرشد، الرياض، ط١، ١٤٠٩هـ.

٥٥- ابن رستم، أحمد بن عمر، **الأعلاق النفيسة**، مطبعة بريل ليدن، هولندا، سنة ١٨٩١م.

٥٦- ابن رستم، محمد بن جرير الطبري، **دلائل الإمامة**، المطبعة الحيدرية، النجف، ط٢، ١٣٨٣هـ.

٥٧- ابن رشد، محمد بن رشد (ت٥٢٠هـ)، **كتاب الجامع من المقدمات**، تحقيق: المختار بن طاهر، دار الفرقان، الأردن، ط١، ١٤٠٥هـ.

٥٨- ابن سعد، أبو عبد الله محمد بن سعد (ت٢٣٠هـ)، **الطبقات الكبرى**، تحقيق إحسان عباس، دار صادر، بيروت.

٥٩- ابن سلام، أبو عبيد القاسم (ت٢٢٤هـ)، **كتاب الأمثال**، تحقيق: عبد الحميد قطامش، دار المأمون للتراث، دمشق، ط١، ١٤٠٠هـ.

٦٠- ابن سيد الناس، محمد بن محمد (ت٧٣٤هـ)، **عيون الأثر**، دار الآفاق الجديدة، بيروت، ط٣، ١٤٠٢هـ.

٦١- ابن سيده: أبو الحسن علي بن إسماعيل (ت٤٥٨هـ)، **المخصص**، المكتب التجاري، بيروت.

٦٢- ابن شاهين، أبو حفص عمر بن أحمد (ت٣٨٥هـ)، **ناسخ الحديث ومنسوخه**، تحقيق: سمير الزهيري، مكتبة المنار، الأردن، ط١، ١٤٠٨هـ.

٦٣- ابن شبة، أبو زيد عمر بن شبة (ت٢٦٢هـ)، **أخبار المدينة المنورة**، تحقيق: فهيم محمد شلتوت، دارالأصفهاني، جدة، الطبعة الثانية.

٦٤- ابن طباطبا، محمد بن علي، **الفخري في الآداب السلطانية**، المكتبة التجارية، مصر، ١٣٤٥هـ.

٦٥- ابن طهمان، إبراهيم (ت١٦٣هـ)، **مشيخة ابن طهمان**، تحقيق: محمد طاهر مالك، مطبوعات مجمع اللغة العربية، بدمشق، ١٤٠٣هـ.

٦٦- ابن طولون، محمد الصالحي (ت٩٥٣هـ)، **القلائد الجوهرية**، تحقيق: محمد أحمد دهمان، مطبوعات مجمع اللغة العربية بدمشق، ط٢، ١٤٠١هـ.

٦٧- ابن ظفر، حجة الدين محمد (ت٥٦٧هـ)، **أنباء نجباء الأبناء**، تحقيق: إبراهيم يونس، دار الصحوة، مصر.

٦٨- ابن عابدين، محمد أمين، **حاشية رد المحتار**، مكتبة الحلبي، ط٢، ١٣٨٦هـ.

٦٩- ابن عبد البر، أبو عمر يوسف بن عبد الله (ت٤٦٣هـ)، **القصد والأمم في التعريف بأصول أنساب العرب والعجم**، الناشر دار الكتاب العربي، بيروت، ط١، ١٤٠٥هـ.

٧٠- ابن عبد الحكم، عبد الرحمن بن عبد الله (ت٢٥٧هـ)، **فتوح مصر وأخبارها**، طبع ليدن، ١٩٢٠م

٧١- ابن عبد الهادي، يوسف بن الحسن (ت٧٤٤هـ)، **بحر الدم**، تحقيق: وصي الله بن محمد، دار الراية، الرياض، ط١، ١٤٠٩هـ.

٧٢- ابن عبد الوهاب، محمد، **رسالة في الرد على الرافضة**، تحقق: ناصر الرشيد، مركز البحث العلمي، مكة المكرمة، ط٢، ١٤٠٠هـ.

٧٣- ابن عبد ربه، أبو عمر أحمد بن محمد الأندلسي (ت٣٢٧هـ)، **العقد الفريد**، تحقيق: أحمد أمين ورفاقه، دار الكتاب العربي، بيروت، ١٤٠٣هـ.

٧٤- ابن عدي، أحمد عبد الله (ت٣٦٥هـ)، **الكامل في ضعفاء الرجال**، دار الفكر، بيروت، ط٢، ١٤٠٥هـ.

٧٥- ابن عراق، علي بن محمد الكناني (ت٩٦٣هـ)، **تنزيه الشريعة المرفوعة**، تحقيق: عبد الله صديق، دار الكتب العلمية، بيروت، ط٢، ١٤٠١هـ.

٧٦- ابن عربشاه، أحمد بن محمد (ت٨٥٤هـ)، **عجائب المقدور في نوائب تيمور**، تحقيق: علي حمد عمر، مكتبة الأنجلو المصرية، ١٣٩٩هـ.

٧٧- ابن عربي، محي الدين (ت٦٣٨هـ)، **محاضرة الأبرار ومسامرة الأخيار**، دار اليقظة العربية، ط١، ١٣٨٨هـ.

٧٨- ابن عساكر، علي بن الحسن (ت٥٧١هـ) **تاريخ مدينة دمشق**، (أحمد بن عتبة – أحمد بن محمد بن المؤمل) تحقيق: عبد الغني الدقر، مطبوعات مجمع اللغة بدمشق.

٧٩- ابن قتيبة، أبو محمد عبد الله بن مسلم (ت٢٧٦هـ)، **المعارف**، تحقيق ثروت عكاشة، دار المعارف، القاهرة، ط٤، ١٩٨١/ .

٨٠- ابن قدامة، موفق الدين أبو محمد عبد الله (ت٦٢٠هـ)، **التبيين في أنساب القرشيين**، تحقيق: محمد نايف الدليمي، عالم الكتب بيروت، ط٢، ١٤٠٨هـ.

٨١- ابن قنفذ، أبو العباس، أحمد بن الحسن (ت٨٠٩هـ)، **الوفيات**، تحقيق: عادل نويهض، دار الآفاق الجديدة، بيروت، ط٢، ١٩٧٨م.

٨٢- ابن كثير، إسماعيل بن عمر (ت٧٧٤هـ)، **البداية والنهاية**، تحقيق: مجموعة من الأساتذة، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤٠٥هـ.

٨٣- ابن ماجة، محمد بن يزيد (ت٢٧٥هـ)، **السنن**، تحقيق: وتعليق محمد فؤاد عبد الباقي، دار الفكر، بيروت.

٨٤- ابن ماكولا، أبو نصر علي بن هبة الله (ت٤٧٥هـ)، **الإكمال**، تحقيق: عبد الرحمن المعلمي، دائرة المعارف العثمانية، الهند، ط١، ١٩٦٢م.

٨٥- ابن مفلح، إبراهيم بن محمد (ت٨٨٤هـ)، **المقصد الأرشد**، تحقيق: عبد الرحمن العثيمين، مكتبة الرشد، الرياض، ط١، ١٤١٠هـ.

٨٦- ابن منجويه، أحمد بن علي (ت٤٢٨هـ)، **رجال صحيح مسلم**، تحقيق: عبد الله الليثي، دار المعرفة، بيروت، ط١، ١٤٠٧هـ.

٨٧- ابن منظور، جمال الدين محمد بن مكرم، **لسان العرب**، دار صادر، بيروت.

٨٨- ابن ناصر الدين، محمد بن أبي بكر (ت٨٤٢هـ)، **الرد الوافر**، تحقيق: زهير الشاويش، المكتب الإسلامي، ط١، ١٤٠٠هـ.

٨٩- ابن هشام، عبد الملك بن هشام (ت٢١٣هـ)، **السيرة النبوية**، تحقيق: مصطفى السقا ورفاقه، مكتبة البابي الحلبي، القاهرة، ط٢، ١٣٧٥هـ.

٩٠- أبو الشيخ الأنصاري، أبو محمد عبد الله بن محمد (ت٣٦٩هـ)، **طبقات المحدثين بأصبهان**، دراسة وتحقيق: عبد الغفور البلوشي، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط١، ١٤٠٧هـ.

٩١- أبو العرب، محمد بن أحمد التميمي (ت٣٣٣هـ)، **المحن**، عمر العقيل، دار العلوم، الرياض، ط١، ١٤٠٤هـ.

٩٢- أبو داود سليمان بن الأشعث (ت٢٧٥هـ)، **سنن أبي داود**، إعداد وتعليق: عزت الدعاس، دار الحديث، بيروت، ط١، ١٣٨٨هـ.

٩٣- أبو زرعة، عبد الرحمن بن عمرو النصري (ت٢٨٠هـ)، **تاريخ أبي زرعة**، مطبوعات المجمع العلمي بدمشق.

٩٤- أبو عوانة، يعقوب بن إسحاق (ت٣١٦هـ)، **المسند**، دار المعرفة، بيروت.

٩٥- أبو نعيم، أحمد بن عبد الله الأصبهاني (ت٤٣٠هـ)، **معرفة الصحابة**، دراسة وتحقيق: محمد راضي بن حاج عثمان، مكتبة الدار، المدينة، ط١، ١٤٠٨هـ.

٩٦- أبو يعلى، أحمد بن علي بن المثنى الموصلي (ت٣٠٧هـ)، **مسند أبي يعلى الموصلي**، تحقيق: إرشاد الحق الأثري، دار القبلة، جدة، ط١، ١٤٠٨هـ.

٩٧- أبو يعلى، محمد بن الحسين الفراء (ت٤٥٨هـ)، **الأحكام السلطانية**، تحقيق: محمد حامد الفقي، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٠٣هـ.

٩٨- أبو يوسف، يعقوب بن إبراهيم (ت١٨٣هـ)، **الخراج**، دار المعرفة، بيروت، ١٣٩٩هـ.

٩٩- **اتعاظ الحنفاء**، تحقيق: محمد حلمي، لجنة إحياء التراث الإسلامي، ط١، ١٣٩٣هـ.

١٠٠- **اجتماع الجيوش الإسلامية**، دار الفكر، القاهرة، ١٤٠١هـ.

١٠١- الآجري، أبو عبيد بن علي (ت٣٨٢هـ)، **سؤالات أبي عبيد الآجري لأبي داود السجستاني** – تحقيق: محمد العمري – مطبوعات الجامعة الإسلامية – المدينة – ط ١ – ١٤٠٣هـ.

١٠٢- الآجري، محمد بن الحسين (ت٣٦٠هـ)، **الشريعة**، تحقيق: محمد حامد فقي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١٤٠٣، ١هـ.

١٠٣- **الإحسان في تقريب صحيح ابن حبان**، تحقيق: شعيب الأرناؤوط، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط١، ١٤٠٨هـ.

١٠٤- **الأحكام السلطانية**، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٣٩٨هـ.

١٠٥- **أحكام القرآن**، تحقيق: محمد البجاوي، دار المعرفة، بيروت.

١٠٦- **أخبار أصبهان**، الدار العلمية، الهند، ط٢، ١٤٠٥هـ.

١٠٧- **الآداب الشرعية**، مؤسسة قرطبة، القاهرة، ١٩٨٧م.

١٠٨- **الأدب المفرد**، عالم الكتب، بيروت، ط ١، ١٤٠٤هـ.

١٠٩- **الأذكار**، تحقيق: أحمد باجور، دار الريان للتراث، بيروت، ط١، ١٤٠٨هـ.

١١٠- **الإرشاد**، مؤسسة الكتب الثقافية، بيروت، ط١، ١٤٠٥هـ.

١١١- الأزدي، أبو زكريا يزيد بن محمد (ت٣٣٤هـ)، **تاريخ الموصل**، تحقيق: علي حبيبه، لجنة إحياء التراث الإسلامي، القاهرة، ١٣٨٧هـ.

١١٢- الأزرقي، أبو الوليد محمد بن عبد الله، **أخبار مكة** – دار مكة للثقافة – ط ٤ – ١٤٠٣هـ مكة.

١١٣- **الاستبصار في نسب الصحابة من الأنصار**، تحقيق: علي نويهض، دار الفكر، بيروت.

١١٤- **الاستيعاب في معرفة الأصحاب**، تحقيق: علي محمد البجاوي، مكتبة النهضة، مصر.

١١٥- **أسماء المغتالين من الأشراف في الجاهلية والإسلام**، تحقيق: عبد السلام هارون، نشر ضمن نوادر المخطوطات، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط١، ١٩٥٤م.

١١٦- الأشعري، أبو الحسن علي بن إسماعيل (ت٣٢٤هـ)، **مقالات الإسلاميين**، تحقيق: هلموت ريتر، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط ٣.

١١٧- **الإصابة في تمييز الصحابة**، تحقيق: علي محمد البجاوي، دار النهضة، مصر، القاهرة.

١١٨- الأصبهاني، أبو الفرج علي بن الحسين (ت٣٥٦هـ)، **الأغاني** - دار الكتاب المصري - القاهرة - ط ١ - ١٩٢٥م.

١١٩- الأصبهاني، أبو نعيم أحمد بن عبد الله (ت٤٣٠هـ)، **تسمية ما انتهى إلينا من الرواة عن الفضل بن دكين**، تحقيق: عبد الله الجديع، دار العاصمة، الرياض، ط ١، ١٤٠٩هـ.

١٢٠- الأصبهاني، عماد الدين محمد بن محمد الكاتب (ت٥٩٧هـ)،

١٢١- **إصلاح المال**، تحقيق: مصطفى مفلح القضاة، دار الوفاء، مصر، ط١، ١٤١٠هـ.

١٢٢- **أصول الدين**، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤٠٠هـ.

١٢٣- **إعلام الموقعين**، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، دار الفكر، بيروت، ط٢، ١٣٩٧هـ.

١٢٤- **الإعلام بالتوبيخ لمن ذم التاريخ**، عني بنشره: القدسي، دار الكتاب العربي، بيروت، ١٣٩٩هـ.

١٢٥- **الاقتصاد في الاعتقاد**، دار الكتب العلمية، لبنان، ط١، ١٤٠٣هـ.

١٢٦- **الإلمام**، جمع وترتيب: عزيز سوريال عطية، دائرة المعارف العثمانية، ط١، ١٣٩٦هـ.

١٢٧- **الإمامة والسياسة**، مصطفى البابي، القاهرة، ط الأخيرة، ١٣٨٨هـ.

١٢٨- **الإمتاع والمؤانسة**، تحقيق: أحمد أمين، منشورات دار مكتبة الحياة، بيروت.

١٢٩- **الأموال**، تحقيق: محمد خليل هراس، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤٠٦هـ.

١٣٠- الأندلسي، محمد بن يحيى (ت٧٤١هـ)، **التمهيد والبيان في مقتل الشهيد عثمان**، تحقيق: محمد يوسف زايد، دار الثقافة، الدوحة (قطر)، ط ١، ١٤٠٥هـ.

١٣١- **أنساب الأشراف**، الجزء الثالث، تحقيق: محمد باقر المحمودي، دار المعارف، بيروت، ط١، ١٣٩٧هـ.

١٣٢- **أنساب الأشراف**، القسم الرابع، بنو عبد شمس، تحقيق: إحسان عباس، المطبعة الكاثوليكية، بيروت، ١٤٠٠هـ.

١٣٣- الأنصاري، **تحفة المحبين والأصحاب بها للمدنيين من الأنساب**.

١٣٤- الأنصاري، زكريا أبو يحيى (ت ٩٢٥هـ)، **فتح الوهاب**، مكتبة عيسى البابي الحلبي، القاهرة.

١٣٥- **الإنصاف**، تحقيق: عماد الدين حيدر، عالم الكتب، ط ١، ١٤٠٧هـ.

١٣٦- **الأوائل**، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤٠٦هـ.

١٣٧- الباجي، أبو الوليد سليمان بن خلف (ت٤٩٤هـ)، **المنتقى شرح الموطأ**، دار الكتاب العربي، بيروت، ط ١، ١٣٣١هـ.

١٣٨- الباقلاني، أبو بكر محمد بن الطيب (ت٤٠٣هـ)، **تمهيد الأوائل**، تحقيق عماد الدين حيدر، مؤسسة الكتب الثقافية، بيروت، ط١، ١٤٠٧هـ.

١٣٩- البخاري، أبو عبد الله محمد بن إسماعيل (ت٢٥٦هـ).

١٤٠- البربهاري، الحسن بن علي (ت٣٢٩هـ)، **شرح السنن**، تحقيق: محمد القحطاني، ابن القيم، السعودية، ط١، ١٤٠٨هـ.

١٤١- البرزالي: القاسم بن محمد (ت٧٣٩هـ)، **مشيخة ابن جماعة**، تحقيق: موفق بن عبد الله، دار الغرب، بيروت، ط١، ١٤٠٨هـ.

١٤٢- **البرصان والعرجان والعميان والحولان**، تحقيق: محمد مرسي الخولي، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط١، ١٣٩٢هـ.

١٤٣- البزار، أبو بكر أحمد بن عمرو (ت٢٩٢هـ)، **البحر الزخار**، المعروف بمسند البزار، تحقيق: محفوظ الرحمن زين الله، مكتبة العلوم والحكم، المدينة، ط١، ١٤٠٩هـ.

١٤٤- البعلي، عبد الرحمن بن عبد الرحمن (ت١١٩٢هـ)، **كشف المخدرات**، المطبعة السلفية، القاهرة.

١٤٥- البغدادي، إسماعيل باشا، **إيضاح المكنون**، مكتبة المثنى، بغداد.

١٤٦- البغدادي، عبد القادر بن عمر (ت١٠٩٣هـ)، **خزانة الأدب**، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط٢، ١٩٧٩هـ.

١٤٧- البغدادي، عبد القاهر بن طاهر (ت٤٢٩هـ)، **الفرق بين الفرق**، تحقيق: محمد عبد الحميد، دار المعرفة، بيروت.

١٤٨- البغدادي، عبد المؤمن بن عبد الحق (ت٧٣٩هـ)، **مراصد الاطلاع**، تحقيق: علي البجاوي، دار المعرفة، بيروت، ط١، ١٣٧٤هـ.

١٤٩- البغوي، الحسين بن مسعود (ت٥١٦هـ)، **شرح السنة**، تحقيق: شعيب الأرناؤوط، المكتب الإسلامي، بيروت، ط٢، ١٤٠٣هـ.

١٥٠- **بغية الباحث عن زوائد مسند الحارث**، رسالة دكتوراه لم تنشر.

١٥١- البقاعي، عمر بركات، **فيض الإله المالك**، مطبعة الاستقامة، القاهرة، ط١، ١٣٧٤هـ.

١٥٢- البكري، أبو عبيد عبد الله بن عبد العزيز (ت٤٨٧هـ)، **معجم ما استعجم**، تحقيق: مصطفى السقا، لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة، ط١، ١٣٦٤هـ.

١٥٣- البلاذري، أحمد بن يحيى (ت٢٧٩هـ)، **أنساب الأشراف**، الجزء الأول، تحقيق: محمد حميد الله، دار المعارف، مصر، ط١، ١٩٥٩م.

١٥٤- البهوتي، منصور بن إدريس (ت١٠٥١هـ)، **إعلام الأعلام بقتال من انتهك حرمة البيت الحرام**، تحقيق: جاسم الدوسري، دار البشائر، بيروت، ط١، ١٤٠٩هـ.

١٥٥- البوصيري، أحمد بن أبي بكر (ت٨٤٠هـ)، **مصباح الزجاجة في زوائد ابن ماجة**، تحقيق: موسى محمد علي، دار الكتب الحديثة، القاهرة، ط١، ١٩٨٣هـ.

١٥٦- البياسي، يوسف بن محمد (ت٦٥٣هـ)، **الإعلام بالحروب الواقعة في صدر الإسلام**، تحقيق: شفيق الجاسر، عمان، ط١، ١٤٠٧هـ.

١٥٧- البيهقي، إبراهيم بن محمد، **المحاسن والمساوئ**، تحقيق: محمد سويد، دار إحياء العلوم، بيروت، ط١، ١٤٠٨هـ.

١٥٨- البيهقي، أبو بكر أحمد بن الحسين (ت٤٥٨هـ)، **السنن الكبرى**، دار المعرفة، بيروت، لبنان.

١٥٩- **تاج العروس**، دار ليبيا، بنغازي.

١٦٠- **تاريخ أسماء الثقات**، تحقيق: عبد المعطي قلعجي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤٠٦هـ.

١٦١- **تاريخ الإسلام (حوادث سنة ٤١- ٦٠)**، تحقيق: عبد السلام تدمري، دار الكتاب العربي، ط١، ١٤٠٩هـ.

١٦٢- **تاريخ الإسلام (حوادث سنة ٦١- ٨٠)**، تحقيق: عبد السلام تدمري، دار الكتاب العربي، ط١، ١٤٠٩هـ.

١٦٣- **التاريخ الصغير**، تحقيق: محمود زايد، مكتبة دار التراث، القاهرة، ط١، ١٣٩٧هـ.

١٦٤- **تاريخ دمشق**، المجلدة الأولى، تحقيق: صلاح الدين المنجد، مطبوعات المجمع العلمي العربي بدمشق.

١٦٥- **تاريخ دمشق، ترجمة الحسين بن علي**، تحقيق: محمد باقر المحمودي، مؤسسة المحمودي، بيروت، ط١، ١٣٩٨هـ.

١٦٦- **تاريخ مدينة دمشق (تراجم النساء)** تحقيق: سكينة الشهابي، مطبوعات مجمع اللغة العربية بدمشق.

١٦٧- **تاريخ مدينة دمشق (عبادة بن أوفى - عبد الله بن ثور)**، تحقيق: شكري فيصل، مطبوعات مجمع اللغة العربية بدمشق.

١٦٨- **تاريخ مدينة دمشق (عبد الله بن جابر - عبد الله بن زيد)**، تحقيق: شكري فيصل، مطبوعات مجمع اللغة العربية بدمشق.

١٦٩- **تاريخ مدينة دمشق (عبد الله بن سالم - عبد الله بن أبي عائشة)**، تحقيق: مطاع الطرابيشي، مطبوعات مجمع اللغة العربية بدمشق.

١٧٠- **تاريخ مدينة دمشق (عبد الله بن مسعود- عبد الحميد بن بكار)** تحقيق: مطاع الطرابيشي، مطبوعات مجمع اللغة العربية بدمشق.

١٧١- التبريزي، محمد بن عبد الله الخطيب (ت٧٣٧هـ)، **مشكاة المصابيح**، تحقيق: محمد ناصر الدين الألباني، المكتب الإسلامي، بيروت، ط٣، ١٤٠٥هـ.

١٧٢- **التحفة اللطيفة**، تحقيق: أسعد طرابزوني، دار الثقافة، القاهرة، ١٣٩٩هـ.

١٧٣- **تذكرة الحفاظ**، دار إحياء التراث العربي، بيروت.

١٧٤- **التذكرة في أحوال الدنيا والآخرة**، تحقيق: أحمد حجازي السقا، مكتبة الكليات الأزهرية، القاهرة، ط٢، ١٤٠٥هـ.

١٧٥- **التذكرة في الأحاديث المستشهرة**، تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، ط١، ١٤٠٦هـ.

١٧٦- الترمذي، أبو عيسى محمد بن عيسى (ت٢٧٩هـ)، **سنن الترمذي**، تحقيق: أحمد محمد شاكر، شركة الحلبي، القاهرة، ط٢، ١٣٩٨هـ.

١٧٧- **تعجيل المنفعة**، دار الكتاب العربي، بيروت.

١٧٨- **تعريف أهل التقديس** - تحقيق: عاصم القريوتي، مكتبة المنار، الأردن، ط١، ١٤٠٣هـ.

١٧٩- **تغليق التعليق على صحيح البخاري**، دراسة وتحقيق: سعيد القزقي، المكتب الإسلامي، بيروت، ط١، ١٤٠٥هـ.

١٨٠- **التفسير**، تحقيق: محمد إبراهيم البنا ورفاقه، دار الشعب.

١٨١- **تقريب التهذيب**، تحقيق: محمد عوامة، دار الرشيد، حلب، ط١، ١٤٠٦هـ.

١٨٢- **تكملة خريدة القصر - قسم شعراء العراق** - تحقيق: محمد بهجة الأثري - مطبوعات المجمع العلمي العراق، ط ١، ١٩٨١م.

١٨٣- **التلخيص الحبير في تخريج أحاديث الرافعي الكبير**، مؤسسة المدني، المدينة، ١٣٨٤هـ.

١٨٤- **تمام المتون في شرح رسالة ابن زيدون**، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار الفكر، بيروت، ط١، ١٣٨٩هـ.

١٨٥- **التمهيد**، تحقيق: مصطفى العلوي، محمد البكري، وزارة الأوقاف، المغرب، ط٢، ١٤٠٢هـ.

١٨٦- **التنبيه على أوهام أبي علي القالي في أماليه**، دار الآفاق الجديدة، بيروت.

١٨٧- **التنبيه والإشراف**، دار الهلال، بيروت، ١٩٨١م.

١٨٨- التنوخي، أبو علي المحسن بن علي (ت٣٨٤هـ)، **الفرج بعد الشدة**، تحقيق: عبود الشالجي، دار صادر، بيروت، ط١، ١٣٩٨هـ.

١٨٩- **تهذيب الأحكام في شرح المقنعة**، دار الكتاب الإسلامي، طهران، ط٣، ١٣٩٠هـ.

١٩٠- **تهذيب الأسماء واللغات**، دار الكتب العلمية، بيروت.

١٩١- **التوحيد**، ابن حيان (ت ......هـ).

١٩٢- التيمي، إسماعيل بن محمد الأصبهاني (ت٥٣٥هـ)، **الحجة في بيان المحجة**، تحقيق: محمد أبو رحيم، دار الراية، الرياض، ط١، ١٤١١هـ.

١٩٣- **الثبات عند الممات**، تحقيق: خالد علي محمد، دار الأندلس، جدة، ط١، ١٤٠٨هـ.

١٩٤- الثعالبي، عبد الملك بن محمد (ت٤٢٩هـ)، **التمثيل والمحاضرة**، تحقيق: عبد الفتاح الحلو، مكتبة البابي الحلبي، القاهرة، ط١، ١٣٨١هـ.

١٩٥- ثعلب أبو العباس أحمد بن يحيى (ت٢٩١هـ)، **مجالس ثعلب**، تحقيق: عبد السلام هارون، دار المعارف، القاهرة، ط٥، ١٩٨٧م.

١٩٦- **الثقات**، دائرة المعارف العثمانية، حيدر آباد، ط١، ١٣٩٣هـ.

١٩٧- الجاحظ، أبو عثمان عمرو بن بحر (ت٢٥٥هـ)، **البيان والتبيين**، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط٤، ١٣٩٥هـ.

١٩٨- **جامع العلوم والحكم**، تحقيق: شعيب الأرناؤوط، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط١، ١٤١١هـ.

١٩٩- **الجرح والتعديل**، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط١، ١٣٧١هـ.

٢٠٠- الجعلي، عثمان بن حسين، **سراج السالك**، مكتبة الحلبي، الطبعة الأخيرة، ١٣٩٢هـ.

٢٠١- الجمحي، محمد بن سلام (ت٢٣١هـ)، **طبقات الشعراء**، تحقيق: محمود محمد شاكر، مطبعة المدني، مصر، ١٩٧٤م.

٢٠٢- **جمع الجوامع**، مجمع البحوث الإسلامية، القاهرة، ١٣٩٤هـ.

٢٠٣- **جمهرة أنساب العرب**، تحقيق: عبد السلام هارون، دار المعارف، القاهرة، ط٥، ١٩٨٢م.

٢٠٤- **جمهرة نسب قريش وأخبارها**، تحقيق: محمود محمد شاكر، دار العروبة، القاهرة، ١٣٨١هـ.

٢٠٥- الجندي، المفضل بن محمد (ت٣٠٨هـ)، **فضائل المدينة**، تحقيق: محمد مطيع الحافظ، غزوة بدر، دار الفكر، دمشق، ط١، ١٤٠٥هـ.

٢٠٦- الجهشياري، محمد بن عبدوس (ت٣٣١هـ)، **الوزراء والكتاب**، تحقيق: مصطفى السقا وآخرين، مكتبة الحلبي، القاهرة، ط٢، ١٤٠١هـ.

٢٠٧- **الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح**، تصحيح: علي السيد صبحي المدني، مطبعة المدني، القاهرة.

٢٠٨- **جوامع السيرة**، تحقيق: إحسان عباس، ناصر الدين الأسد، مكتبة إحياء السنة، باكستان.

٢٠٩- الجوزقاني، أبو عبد الله الحسين بن إبراهيم (ت٥٤٣هـ)، **الأباطيل والمناكير الصحاح والمشاهير**، تحقيق: عبد الرحمن الفريوائي، المطبعة السلفية، الهند، ط١، ١٤٠٣هـ.

٢١٠- الجويني، أبو المعالي عبد الملك (ت٤٧٨هـ)، **الغياثي، غياث الأمم**، تحقيق: عبد العظيم الديب، مطبعة النهضة، القاهرة، ط٢، ١٤٠١هـ.

٢١١- حاجي خليفة، **كشف الظنون**، مكتبة المثني، بغداد.

٢١٢- الحاكم النيسابوري، أبو عبد الله محمد بن عبد الله (ت٤٠٥هـ)، **المستدرك على الصحيحين**، دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان.

٢١٣- **الحبائك في أخبار الملائكة**.

٢١٤- **الحجج المبينة في التفضيل بين مكة والمدينة**، تحقيق: عبد الله الأرويش، دار اليمامة، بيروت، ط١، ١٤٠٥هـ.

٢١٥- الحربي، أبو إسحاق إبراهيم بن إسحاق (ت٢٨٥هـ)، **غريب الحديث**، تحقيق ودراسة: سليمان العايد، مطبوعات جامعة أم القرى، مكة، ط١، ١٤٠٥هـ.

٢١٦- **حسن المحاضرة**، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار إحياء الكتب العربية، القاهرة، ط١، ١٣٨٧هـ.

٢١٧- الحسيني، أبو بكر بن محمد، **كفاية الأخيار**، مكتبة البابي الحلبي، القاهرة.

٢١٨- **الحكم الجديرة بالإذاعة**، تحقيق: زهير الشاويش، المكتب الإسلامي، ط١، ١٤٠٣هـ.

٢١٩- **حلية الأولياء**، دار الكتاب العربي، ط٤، ١٤٠٥هـ.

٢٢٠- الحموي، أبو عبد الله ياقوت بن عبد الله (ت٦٢٦هـ)، **معجم الأدباء**، دار الفكر، ط٣، ١٤٠٠هـ.

٢٢١- الحميدي، عبد الله بن الزبير (ت٢١٩هـ)، **المسند**، تحقيق: حبيب الرحمن الأعظمي، عالم الكتب، بيروت.

٢٢٢- الحميدي، محمد بن أبي نصر، (ت٤٨٤هـ)، **جزوة المقتبس**، تحقيق: إبراهيم الأبياري، دار الكتب الإسلامية، القاهرة، ط٢، ١٤٠٣هـ.

٢٢٣- الحنائي، أبو القاسم الحسين بن محمد (ت٤٥٩هـ)، **الفوائد**، تخريج: عبد العزيز النخشبي، دار تيسير السنة، القاهرة، ط١، ١٤١١هـ.

٢٢٤- الحنفي، ابن الهمام، **شرح فتح القدير**، دار صادر، بيروت، ط١/ ١٣١٦هـ.

٢٢٥- **الحيوان**، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، مكتبة الحلبي، القاهرة، ط٢.

٢٢٦- **خريدة القصر وجريدة العصر** – القسم العراقي – الجزء الثاني – تحقيق: محمد بهجة الأثري – مطبوعات المجمع العلمي – ط ١ – ١٣٨٤هـ.

٢٢٧- الخزاعي، أبو الحسن علي بن محمد (ت٧٨٩هـ)، **تخريج الدلالات السمعية**، لجنة إحياء التراث الإسلامي، القاهرة، ١٤٠١هـ.

٢٢٨- الخزرجي، صفي الدين أحمد بن عبد الله (ت٩٢٣هـ)، **خلاصة تهذيب تهذيب الكمال**، تحقيق: محمود عبد الوهاب فايد، مكتبة القاهرة، ١٣٩٢هـ.

٢٢٩- **الخصائص الكبرى**، تحقيق: محمد خليل هراس، دار الكتب الحديثة، القاهرة، ط١، ١٣٨٧هـ.

٢٣٠- الخطيب الإسكافي، أبو عبد الله محمد بن عبد الله (ت٤٢٠هـ)، **لطف التدبير**.

٢٣١- الخطيب البغدادي، أبو بكر أحمد بن علي (ت٤٦٣هـ)، **تاريخ بغداد**، دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان.

٢٣٢- الخلال، أبو بكر أحمد بن محمد (ت٣١١هـ)، **السنة**، تحقيق: عطية الزهراني، دار الراية، الرياض، ط١، ١٤١٠هـ.

٢٣٣- خليفة بن خياط (ت٢٤٠هـ)، **التاريخ**، تحقيق: أكرم العمري، دار طيبة، ط٢، ١٤٠٥هـ.

٢٣٤- الخليلي، الخليل بن عبد الله (ت٤٤٦هـ)، **الإرشاد في معرفة علماء الحديث**، تحقيق: محمد سعيد، مكتبة الرشد، الرياض، ط١، ١٤٠٩هـ.

٢٣٥- الخولاني، القاضي عبد الجبار، **تاريخ داريا**، حققه وقدم له: سعيد الأفغاني، دار الفكر، دمشق، ط٢، ١٩٧٥م.

٢٣٦- الدارقطني، أبو الحسن علي بن عمر (ت٣٨٥هـ)، **الضعفاء والمتروكين**، تحقيق: صبحي السامرائي، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط١، ١٤٠٤هـ.

٢٣٧- الدارمي، عبد الله بن عبد الرحمن (ت٢٥٥هـ)، **سنن الدارمي**، تحقيق: محمد دهمان، دار إحياء السنة النبوية، القاهرة.

٢٣٨- الدارمي، عثمان بن سعيد (ت٢٨٠هـ)، **تاريخ الدارمي**، عن يحيى بن معين، تحقيق: أحمد نور سيف، مطبوعات جامعة أم القرى، مكة، ١٤٠٠هـ.

٢٣٩- الدباغ، عبد الرحمن بن محمد (ت٦٩٦هـ)، **معالم الإيمان في معرفة أهل**

القيروان، تحقيق: محمد الأحمدي أبو النور، محمد ماضور، مكتبة الخانجي، القاهرة، ١٩٧٢م.

٢٤٠- **در السحابة**، تحقيق: حسين العمري، دار الفكر، دمشق، ط١، ١٤٠٤هـ.

٢٤١- **الدر المنثور في التفسير بالمأثور**، دار الفكر، بيروت.

٢٤٢- **الدراري المضيئة**، مطبعة مصر الحرة، ط١.

٢٤٣- **الدرة فيما يجب اعتقاده**، تحقيق: أحمد الحمد، مطبعة المدني، مصر، ط١، ١٤٠٨هـ.

٢٤٤- **دلائل النبوة**، تحقيق: عبد المعطي القلعجي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤٠٥هـ.

٢٤٥- **دلائل النبوة**، تحقيق: محمد رواس قلعجي، دار النفائس، بيروت، ط٢، ١٤٠٦هـ.

٢٤٦- الدهلوي، عبد العزيز غلام حكيم، **مختصر التحفة الاثني عشرية**، تحقيق: محب الدين الخطيب، المطبعة السلفية، القاهرة، ١٣٧٣هـ.

٢٤٧- الدولابي، أبو بشر محمد بن أحمد (ت٣١٠هـ)، **الذرية الطاهرة**، تحقيق: سعد المبارك الحسن، الدار السلفية، الكويت، ط١، ١٤٠٧هـ.

٢٤٨- **الديات**، إدارة القرآن والعلوم الإسلامية، باكستان، ١٤٠٧هـ.

٢٤٩- الديار بكري: حسين بن محمد، **تاريخ الخميس في أول أنفس نفيس**، دار شعبان، بيروت.

٢٥٠- الدينوري، أحمد داود (ت٢٨٢هـ)، **الأخبار الطوال**، تحقيق: جمال الدين شيال، عبد المنعم عامر، مكتبة المثني، بغداد، ط١، ١٣٧٩هـ.

٢٥١- **ذم المسكر**، تحقيق: نجم عبد الرحمن خلف، دار الراية، الرياض، ط١، ١٤٠٩هـ.

٢٥٢- الذهبي، محمد بن أحمد بن عثمان (ت٧٤٨هـ)، **سير أعلام النبلاء**، تحقيق: شعيب الأرناؤوط، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط٣، ١٤٠٥هـ.

٢٥٣- **ذيل تاريخ بغداد**، قيصر فرح، دار الكتاب العربي، بيروت.

٢٥٤- **ذيل طبقات الحنابلة**، دار المعرفة، بيروت.

٢٥٥- الرازي، أحمد بن عبد الله (ت٤٨٠هـ)، **تاريخ صنعاء**، طبعة صنعاء، اليمن، ط١، ١٩٧٤م.

٢٥٦- **رأس الحسين**، مطبعة المدني، القاهرة، ١٣٩٧هـ.

٢٥٧- الرامهرمزي، الحسن بن عبد الرحمن (ت٣٦٠هـ)، **المحدث الفاصل**، تحقيق: محمد عجاج الخطيب، دار الفكر، بيروت، ط٣، ١٤٠٤هـ.

٢٥٨- **رحلة الصديق إلى البيت العتيق**، دار ابن القيم، الدمام ط٣، ١٤٠٦هـ.

٢٥٩- الرسولي، علي بن داود (ت٧٦٤هـ)، **الأقوال الكافية والأصول الشافية في الخيل**، تحقيق: يحيى الجبوري، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط١، ١٤٠٧هـ

٢٦٠- **رفع الإصر عن قضاة مصر**، تحقيق: حامد عبد الحميد، القاهرة، الهيئة العامة لشؤون المطابع الأميرية، ١٩٦١هـ.

٢٦١- **رفع الملام**، المكتبة السلفية، القاهرة، ط٣.

٢٦٢- الرملي، محمد بن أحمد (ت١٠٠٤هـ)، **نهاية المحتاج إلى شرح المنهاج**، مطبعة البابي الحلبي، مصر، ط الأخيرة، ١٣٨٦هـ.

٢٦٣- زاده، طاش كبرى، **مفتاح السعادة**، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤٠٥هـ

٢٦٤- الزبيدي: محمد مرتضى الحسيني (ت١٢٠٥هـ)، **إتحاف السادة المتقين**، المطبعة اليمينية، القاهرة، ١٣٠٦هـ.

٢٦٥- الزبير بن بكار (ت٢٥٦هـ)، **الأخبار الموفقيات**، تحقيق: سامي مكي العاني، مطبعة العاني، بغداد.

٢٦٦- الزبيري، أبو عبد الله مصعب بن عبد الله (ت٢٣٦هـ)، **نسب قريش**، تحقيق: ليفي بروفنسال، دار المعارف، القاهرة، ط٣، ١٩٨٢م.

٢٦٧- الزرقاني، محمد (ت١١٢٢هـ)، **شرح الزرقاني على موطأ مالك**، دار المعرفة، بيروت، ١٤٠٩هـ.

٢٦٨- الزركشي، محمد بن عبد الله (ت٧٩٤هـ)، **إعلام الساجد بأحكام المساجد**، لجنة إحياء التراث الإسلامي، القاهرة، ١٤٠٣هـ.

٢٦٩- **الزهد**، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤٠٣هـ.

٢٧٠- الزيلعي، عبد الله بن يوسف (ت٧٦٢هـ)، **نصب الراية لأحاديث الهداية**، المجلس العلمي، جنوب إفريقيا، ط١، ١٣٥٧هـ.

٢٧١- **السابق واللاحق**، تحقيق: محمد مطر الزهراني، دار طيبة، الرياض، ط١، ١٤٠٢هـ.

٢٧٢- السبكي، عبد الوهاب بن علي (ت٧٧١هـ)، **طبقات الشافعية الكبرى**، تحقيق: عبد الفتاح الحلو، مطبعة عيسى البابي الحلبي، القاهرة، ط١، ١٣٨٣هـ.

٢٧٣- السخاوي، محمد بن عبد الرحمن (ت٩٠٢هـ)، **الإعلان بالتوبيخ لمن ذم التاريخ**، تحقيق: فرانز روزنتال، ترجمة صالح العلي، دار الكتب العلمية، بيروت.

٢٧٤- سعيد بن منصور (ت٢٢٧هـ)، **سنن سعيد بن منصور**، تحقيق: حبيب الرحمن الأعظمي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤٠٥هـ.

٢٧٥- **السلوك لمعرفة دول الملوك**، تحقيق: محمد مصطفى زيادة، لجنة التأليف والترجمة والنشر، ط٢.

٢٧٦- السمعاني، أبو سعد عبد الكريم بن محمد (ت٥٦٢هـ)، **الأنساب**، تحقيق: عبد الرحمن المعلمي، دائرة المعارف العثمانية، الهند، ط١، ١٣٨٢هـ.

٢٧٧- السمهودي، علي بن أحمد (ت٩١١هـ)، **وفاء الوفاء**، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، دار إحياء التراث العربي، ط٤، ١٤٠٤هـ.

٢٧٨- **السنة**، تحقيق: ناصر الدين الألباني، المكتب الإسلامي، بيروت، ط١، ١٤٠٠هـ.

٢٧٩- **سنن النسائي الكبرى**، تحقيق: عبد الغفار سليمان البنداري، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤١١هـ.

٢٨٠- السهمي، حمزة بن يوسف (ت٤٢٨هـ)، **سؤالات السهمي للدار قطني في الجرح والتعديل**، دراسة وتحقيق: موفق عبد القادر، مكتبة المعارف، الرياض، ط١، ١٤٠٤هـ.

٢٨١- السهيلي، أبو زيد عبد الرحمن بن عبد الله (ت٥٨١هـ)، **الروض الأنف**، دار المعرفة، بيروت، ١٣٩٨هـ.

٢٨٢- **سورة الإخلاص**، الدار السلفية، الهند، ط١، ١٤٠٦هـ.

٢٨٣- **السياسة الشرعية**، تحقيق: بشير عيون، مكتبة دار البيان، دمشق، ١٤٠٥هـ.

٢٨٤- سيبويه: عمرو بن عثمان بن قَنْبَر (ت١٨٠هـ)، **كتاب سيبويه**، مكتبة الخانجي، القاهرة.

٢٨٥- **السيل الجرار**، تحقيق: مجموعة من الأساتذة، لجنة إحياء التراث الإسلامي، القاهرة، ١٤٠٣هـ.

٢٨٦- السيوطي، جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر (ت٩٩١هـ)، **تاريخ الخلفاء**، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد.

٢٨٧- الشبلنجي، مؤمن بن حسن، **نور الأبصار**، مكتبة الحلبي، مصر، ١٣٦٧هـ.

٢٨٨- الشجري، يحيى بن الحسين (ت٤٧٩هـ)، **الأمالي الخميسية**، مكتبة العجالة، القاهرة، ط١، ١٣٧٦هـ.

٢٨٩- الشربيني، شمس الدين محمد بن أحمد، **الإقناع**، مكتبة البابي الحلبي، القاهرة، الطبعة الأخيرة، ١٣٥٩هـ.

٢٩٠- **شرح الشفا في شمائل المصطفى**، تحقيق: حسنين محمد مخلوف، مطبعة المدني، القاهرة، ١٣٩٨هـ.

٢٩١- **الشعر والشعراء**، تحقيق: مفيد قميحة، دار الكتب العلمية، بيروت، ط٢، ١٤٠٥هـ.

٢٩٢- **شفاء الغرام**، دار الكتب العلمية، بيروت.

٢٩٣- **الشماريخ في علم التاريخ**، تحقيق: محمد إبراهيم الشيباني، الدار السلفية، الكويت، ط١، ١٣٩٩هـ.

٢٩٤- الشنتريني، أبو الحسن علي بن بسام (ت٥٤٢هـ)، **الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة**، تحقيق: إحسان عباس، دار الثقافة، بيروت، ١٣٩٩هـ.

٢٩٥- الشهرستاني، محمد عبد الكريم (ت٥٤٨هـ)، **الملل والنحل**، تحقيق: محمد سعيد كيلاني، مكتبة مصطفى البابي الحلبي وشركاه، القاهرة، ١٤٠٦هـ.

٢٩٦- الشوكاني، محمد بن علي (ت١٢٥٠هـ)، **الفوائد المجموعة**، تحقيق: عبد الرحمن المعلمي، مطبعة السنة المحمدية، القاهرة، ط١، ١٣٧٩هـ.

٢٩٧- الشيرازي، إبراهيم بن علي (ت٤٧٦هـ)، **طبقات الفقهاء**، تحقيق: إحسان عباس، دار الرائد العربي، بيروت، ١٩٧٨م.

٢٩٨- الشيرازي، عبد الرحمن (ت٥٨٩هـ)، **المنهج المسلوك في سياسة الملوك**، تحقيق: عبد الله الموسى، مكتبة المنار، الأردن، ط١، ١٤٠٧هـ.

٢٩٩- الصابوني، إسماعيل بن عبد الرحمن (ت٤٤٩هـ)، **عقيدة السلف وأصحاب الحديث**، نشرت ضمن مجموعة الرسائل المنيرية، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط١، ١٣٤٣هـ.

٣٠٠- **الصارم المسلول**، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٣٩٨هـ.

٣٠١- **صفة الصفوة**، دار الصفا، القاهرة، ط١، ١٤١١هـ.

٣٠٢- الصفدي، خليل بن أيبك (ت٧٦٤هـ)، **الوافي بالوفيات**، تحقيق هلموت رتير، ط٢، ١٣٨١هـ.

٣٠٣- الصنعاني، أبو بكر عبد الرزاق بن همام (ت٢١١هـ)، **المصنف**، تحقيق: حبيب الرحمن الأعظمي، منشورات المجلس العلمي، جنوب أفريقيا، ط١، ١٣٩٠هـ.

٣٠٤- الصنعاني، محمد بن إسماعيل (ت١١٨٢هـ)، **سبل السلام**، تحقيق: فواز زمرلي، إبراهيم الجمل، دار الكتاب العربي، بيروت، ط٢، ١٤٠٦هـ.

٣٠٥- **الصواعق المحرقة**، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤٠٣هـ.

٣٠٦- الصولي، أبو بكر محمد بن يحيى (ت٣٣٥هـ)، **الأوراق**، عني بنشره: ج هيورث. دن، دار الميسرة، بيروت، ط٢، ١٣٩٩هـ.

٣٠٧- الصيداوي، محمد بن أحمد بن جميح (ت٤٢٠هـ)، **معجم الشيوخ**، تحقيق: عمر التدمري، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط١، ١٤٠٥هـ.

٣٠٨- **الضعفاء الصغير**، تحقيق: عبد العزيز السيران، دار القلم، بيروت، ط١، ١٤٠٥هـ.

٣٠٩- **الضعفاء والمتروكين**، تحقيق: عبد العزيز السيروان، دار القلم، بيروت، ط١، ١٤٠٥هـ.

٣١٠- **الضوء اللامع**، منشورات دار مكتبة الحياة، بيروت.

٣١١- الطبراني، أبو القاسم سليمان بن أحمد (ت٣٦٠هـ)، **المعجم الكبير**، تحقيق حمدي عبد المجيد السلفي، ط٢.

٣١٢- الطبري، أبو جعفر محمد بن جرير (٣١٠هـ)، **تاريخ الأمم والملوك**، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار سويدان، بيروت، لبنان.

٣١٣- الطبري، محب الدين أحمد بن عبد الله (ت٦٩٤هـ)، **ذخائر العقبى في مناقب ذوي القربى**، مطبعة القدسي.

٣١٤- **طبقات الحنابلة**، دار المعرفة، بيروت.

٣١٥- **الطبقات الكبرى، الطبقة الخامسة**، تحقيق: محمد صامل السلمي، رسالة دكتوراه، جامعة أم القرى ١٤٠٩هـ.

٣١٦- **الطبقات الكبرى، الطبقة الرابعة**، تحقيق :عبد العزيز السلومي، رسالة دكتوراه، جامعة أم القرى، ١٤١٠هـ.

٣١٧- **الطبقات الكبرى، القسم المتمم لتابعي أهل المدينة ومن بعدهم**، تحقيق: زياد منصور، مطبوعات الجامعة الإسلامية، المدينة، ط١، ١٤٠٣هـ.

٣١٨- **طبقات خليفة**، تحقيق: أكرم العمري، دار طيبة، الرياض، ط٢، ١٤٠٢هـ.

٣١٩- الطحاوي، أبو جعفر أحمد بن محمد (ت٣٢١هـ)، **شرح معاني الآثار**، تحقيق: محمد زهري النجار، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٣٩٩هـ.

٣٢٠- **طرح التثريب**.

٣٢١- الطوسي، محمد بن الحسن بن علي (ت٤٦٠هـ)، **اختيار معرفة الرجال، المعروف (برجال الكشي)**، تحقيق: حسن المصطفوي، طهران، ١٣٤٨هـ.

٣٢٢- الطيالسي، سليمان بن داود (ت٢٠٤هـ)، **مسند أبي داود الطيالسي**، دار المعرفة، بيروت.

٣٢٣- العامري، يحيى بن أبي بكر، **الرياض المستطابة في جملة من روى في الصحيحين من الصحابة**، تحقيق: عمر الديراوي، مكتبة المعارف، بيروت، ط٢، ١٩٧٩م.

٣٢٤- العباسي، أحمد عبد الحميد، **عمدة الأخبار في مدينة المختار**، تصحيح: حمد الجابر، المكتبة العلمية، المدينة، ط٤.

٣٢٥- العباسي، أحمد عبد الرحيم بن أحمد (ت٩٦٣هـ)، **معاهد التنصيص**، تحقيق محمد محيي الدين، عالم الكتب، بيروت، ط١، ١٣٦٧هـ.

٣٢٦- عبد الله أحمد بن حنبل، **السنة**، تحقيق ودراسة: محمد بن سعيد القحطاني، دار ابن القيم، الدمام، ط١، ١٤٠٦هـ.

٣٢٧- العبدي، أبو الحسن محمد بن عمران، **العفو والاعتذار**، تحقيق: عبد القدوس أبو صالح، مطابع جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية.

٣٢٨- العجلوني، إسماعيل بن محمد (ت١١٦٢هـ)، **كشف الخفاء ومزيل الإلباس**، تحقيق: أحمد القلاش، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط٣، ١٤٠٣هـ.

٣٢٩- العجلي، أحمد بن عبد الله بن صالح (ت٢٦١هـ)، **تاريخ الثقات**، تحقيق: عبد المعطي قلعجي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤٠٥هـ.

٣٣٠- العراقي، أبو الفضل عبد الرحيم (ت٨٠٦هـ)، **ذيل ميزان الاعتدال**، تحقيق: عبد القيوم عبد رب النبي، مركز البحث العلمي، جامعة أم القرى، ط١، ١٤٠٦هـ.

٣٣١- العراقي، أحمد بن عبد الرحيم (ت٨٢٦هـ)، **ذيل الكاشف**، تحقيق: بوران الضناوي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤٠٦هـ.

٣٣٢- عزة، كثير، **ديوان كثير عزة**، تحقيق: إحسان عباس، دار الثقافة، بيروت، ط١، ١٣٩١هـ.

٣٣٣- العسكري، الحسن بن عبد الله، **الأوائل**، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤٠٧هـ.

٣٣٤- العصامي، عبد الملك بن حسين المكي (ت١١١١هـ)، **سمط النجوم العوالي**، المطبعة السلفية، القاهرة، ١٣٠٨هـ.

٣٣٥- **العقيدة الواسطية**، تعليق: صالح الفوزان، مكتبة المعارف، الرياض، ط٤، ١٤٠٧هـ.

٣٣٦- **عقود الزبرجد على مسند الإمام أحمد**، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤٠٧هـ.

٣٣٧- العقيلي، محمد بن عمرو (ت٣٢٢هـ)، **الضعفاء الكبير**، تحقيق: عبد

المعطي قلعجي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤٠٤هـ.

٣٣٨- العلائي، أبو سعيد بن خليل (ت٧٦١هـ)، **جامع التحصيل في أحكام المراسيل**، تحقيق: حمدي السلفي، عالم الكتب، بيروت، ط٢، ١٤٠٧هـ.

٣٣٩- **العلل المتناهية**، تحقيق: خليل الميس، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤٠٣هـ.

٣٤٠- **العلل ومعرفة الرجال**، تحقيق: طلعت قوج، وإسماعيل أوغلي، المكتبة الإسلامية، تركيا، ط١، ١٩٨٧م.

٣٤١- عليش، أحمد محمد (ت١٢٩٩هـ)، **فتح العلي المالك**، مكتبة الحلب، الطبعة الأخيرة، ١٣٧٨هـ.

٣٤٢- العليمي، عبد الرحمن بن محمد (ت٩٢٨هـ)، **المنهج الأحمد**، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، عالم الكتب، بيروت، ط٢، ١٤٠٤هـ.

٣٤٣- عبد الحكم، أبو محمد، **عمر بن عبد العزيز**، تحقيق: أحمد عبيد، عالم الكتب، بيروت، ط٦، ١٤٠٦هـ.

٣٤٤- العمراني، محمد بن علي بن محمد (ت٥٨٠هـ)، **الأنباء في تاريخ الخلفاء**، تحقيق: قاسم السامرائي، دار العلوم، الرياض، ط٢، ١٤٠٢هـ.

٣٤٥- **العواصم من القواصم**، تحقيق: محب الدين الخطيب، دار الكتب السلفية، مصر، ط١، ١٤٠٥هـ.

٣٤٦- العيني، محمود بن أحمد (ت٨٠٦هـ)، **عقد الجمان**، تحقيق: محمد أحمد أمين، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ط١، ١٤٠٧هـ.

٣٤٧- **عيون الأخبار**، تحقيق: يوسف علي طويل، دار الكتب العلمية، بيوت،

ط١، ١٤٠٦هـ.

٣٤٨- الغزالي، أبو حامد محمد بن محمد (ت٥٠٥هـ)، **إحياء علوم الدين**، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤٠٦هـ.

٣٤٩- الفارقي، أحمد بن يوسف بن علي بن الأزرق، **تاريخ الفارقي**، تحقيق: بدوي عبد اللطيف عوض، دار الكتاب اللبناني، بيروت، ١٩٧٤م.

٣٥٠- الفاسي، محمد بن أحمد الحسني المكي (ت٨٣٢هـ)، **العقد الثمين في تاريخ البلد الأمين**، تحقيق: محمد الفقي، مطبعة السنة، القاهرة، ط١، ١٣٧٩هـ.

٣٥١- الفاكهي، عبد الله بن محمد (ت٣٥٣هـ)، **تاريخ مكة**، تحقيق عبد الملك بن دهيش.

٣٥٢- **فتح الباري بشرح صحيح البخاري**، المطبعة السلفية، القاهرة، ط٢، ١٤٠٠هـ.

٣٥٣- **فتوح البلدان**، تحقيق صلاح الدين المنجد، مكتبة النهضة، مصر.

٣٥٤- الفزاري، أبو إسحاق إبراهيم بن محمد (ت١٨٦هـ)، **كتاب السير**، تحقيق: فاروق حمادة، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط١، ١٤٠٨هـ.

٣٥٥- الفسوي، يعقوب بن سفيان (ت٢٧٧هـ)، **المعرفة والتاريخ**، تحقيق: أكرم ضياء العمري، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط٢، ١٤٠١هـ.

٣٥٦- **فضائح الباطنية**، تحقيق عبد الرحمن بدوي، دار الكتب الثقافية، الكويت.

٣٥٧- **فضائل الصحابة**، تحقيق: وصي الله، مطبوعات جامعة أم القرى، ط١، ١٤٠٣هـ.

٣٥٨- **فضائل المدينة**، تحقيق: محيي الدين مستو، دار التراث، المدينة، ط١، ١٤١٠هـ.

٣٥٩- **الفقيه والمتفقه**، تحقيق إسماعيل الأنصاري، دار الكتب العلمية، بيروت، ط٢، ١٤٠١هـ.

٣٦٠- الفيروز آبادي، محمد بن يعقوب (ت٨١٧هـ)، **القاموس المحيط**، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط١، ١٤٠٦هـ.

٣٦١- القاري، نور الدين علي بن محمد (ت١٠١٤هـ)، **الأسرار المرفوعة في الأخبار الموضوعة**، تحقيق: محمد زغلول، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤٠٥هـ.

٣٦٢- القاضي عياض، أبو الفضل عياض بن موسى (ت٥٤٤هـ)، **ترتيب المدارك وتقريب المسالك**، تحقيق: محمد بن تاويت الطبخي، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، المغرب، ط٢، ١٤٠٣هـ.

٣٦٣- القاضي، عبد الجبار الأسد آبادي (ت٤١٥هـ)، **المغني في أبواب التوحيد والعدل**،تحقيق: إبراهيم مدكور وصاحباه، الدار المصرية للتأليف والنشر، ط١، ١٩٥٨م.

٣٦٤- القالي، أبو علي إسماعيل بن القاسم (ت٣٥٦هـ)، **الأمالي**، دار الآفاق الجديدة، بيروت، ١٩٢٦م.

٣٦٥- قدامة بن جعفر (ت٣٢٩هـ)، **الخراج وصناعة الكتابة**، تحقيق: سعيد الزبيدي، دار الرشيد، بغداد، ١٩٨١م.

٣٦٦- القرافي، شهاب الدين أبو العباس (ت٦٨٤هـ)، **الفروق**، دار المعرفة، بيروت.

٣٦٧- القرطبي، محمد بن أحمد (ت٦٧١هـ)، **الجامع لأحكام القرآن**، دار الكتاب العربي، بيروت، ط٢، ١٣٧٢هـ.

٣٦٨- القروي، أبو الطيب بن منٍّ الله، **رسالة في الرد على ابن غرسيه**، تحقيق: عبد السلام هارون، نشر ضمن نوادر المخطوطات، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط١، ١٩٥٤م.

٣٦٩- **القرى لقاصد أم القرى**، مطبعة السقا، مكتب البابي الحلبي، ط٢، ١٣٩٠هـ.

٣٧٠- القسطلاني، أحمد بن محمد (ت٩٢٣هـ)، **إرشاد الساري بشرح صحيح البخاري**، المطبعة الأميرية، بولاق، ط٦، ١٣٠٤هـ.

٣٧١- القشيري، أبو علي محمد بن سعيد، **تاريخ الرقة**، تحقيق وتعليق: محمد طاهر النعساني.

٣٧٢- القشيري، مسلم بن الحجاج (ت٢٦١هـ)، **صحيح مسلم**، حققه: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي، بيروت.

٣٧٣- **القصاص والمذكرين**، تحقيق: محمد زغلول، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤٠٦هـ.

٣٧٤- **قطف الثمر في بيان عقيدة أهل الأثر**، تحقيق: عاصم القريوتي، شركة الشرق الأوسط، عمان، ط١، ١٤٠٤هـ.

٣٧٥- القفطي، جمال الدين علي بن يوسف (ت٦٢٤هـ)، **إنباه الرواة على أنباه النحاة**، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، دار الفكر العربي، القاهرة، ط١، ١٤٠٦هـ.

٣٧٦- القلقشندي، أبو العباس أحمد بن علي (ت٨٢١هـ)، **صبح الأعشى في صناعة الإنشاء**، الهيئة المصرية للكتاب، القاهرة، ١٤٠٥هـ.

٣٧٧- القمي، عباس، **الكنى والألقاب**، المطبعة الحيدرية، النجف، ط٣، ١٣٩٨هـ.

٣٧٨- القنوجي، أبو الطيب صديق حسن (ت١٣٠٧هـ)، **العبرة مما جاء في الغزو والشهادة والهجرة**، تحقيق: محمد زغلول، دار الكتب العلمية، لبنان، ط١، ١٤٠٥هـ.

٣٧٩- القيرواني، إبراهيم بن القاسم، **المختار من قطب السرور في أوصاف الأنبذة والخمور**، تحقيق: عبد الحفيظ منصور، ١٩٧٦م.

٣٨٠- القيرواني، إبراهيم بن علي (ت٤١٣هـ)، **زهرة الآداب**، تحقيق: علي محمد البجاوي، مكتبة البابي الحلبي، القاهرة، ط٢، ١٩٦٩م.

٣٨١- **كتاب الجهاد**، تحقيق: مساعد سليمان الحميد، مكتبة العلوم والحكم، المدينة، ط١، ١٤٠٩هـ.

٣٨٢- **كتاب الصمت وآداب اللسان**، تحقيق: نجم عبد الرحمن خلف، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط١، ١٤٠٦هـ.

٣٨٣- **كتاب الضعفاء**، تحقيق: فاروق حمادة، دار الثقافة، الدار البيضاء، ط١، ١٤٠٥هـ.

٣٨٤- **كتاب العيال**، دار ابن القيم، الدمام، ط١، ١٤١٠هـ.

٣٨٥- **كتاب الكافي**، تحقيق د. محمد بن محمد، ١٣٨٣هـ.

٣٨٦- **كتاب الكنى والأسماء**، دار الكتب العلمية، بيروت، ط٢، ١٤٠٣هـ.

٣٨٧- **كتاب المراسيل**، علق عليه: أحمد عصام الكاتب، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤٠٣هـ.

٣٨٨- **كتاب المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار**، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، ط٢، ١٩٨٧م.

٣٨٩- الكتاني، أبو عبد الله محمد بن جعفر (ت١٣٤٥هـ)، **نظم المتناثر من الحديث المتواتر**، دار الكتب السلفية، القاهرة، ط٢، ١٩٨٣م.

٣٩٠- الكتاني، عبد الحي عبد الكبير، **نظام الحكومة النبوية المسمى بالتراتيب الإدارية**.

٣٩١- الكتبي، محمد بن شاكر (ت٧٦٤هـ)، **فوات الوفيات**، تحقيق: إحسان عباس، دار صادر، بيروت، ط١، ١٣٧٣هـ.

٣٩٢- **الكشاف**، تحقيق: عزت عطية، موسى الموشي، دار الكتب الحديثة، ط١، ١٣٩٢هـ.

٣٩٣- **كشف الأستار عن زوائد البزار**، تحقيق: حبيب الرحمن الأعظمي، مؤسسة الرسالة، ط١، ١٤٠٤هـ.

٣٩٤- الكلاباذي، أبو نصر أحمد بن محمد (ت٣٩٨هـ)، **رجال صحيح البخاري**، تحقيق: عبد الله الليثي، ط١، ١٤٠٧هـ دار المعرفة، بيروت.

٣٩٥- الكندي، محمد بن يوسف (ت٣٥٠هـ)، **الولاة وكتاب القضاة**، تصحيح رفن كست، مطبعة الأدباء اليسوعيين، بيروت، ط١، ١٩٠٨م.

٣٩٦- **اللآلئ المصنوعة في الأحاديث الموضوعة**، المكتبة التجارية، القاهرة.

٣٩٧- اللالكائي، أبو القاسم هبة الله بن الحسن (٤١٨هـ)، **شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة**، تحقيق: أحمد سعد حمدان، دار طيبة، الرياض.

٣٩٨- **لسان الميزان**، مؤسسة الأعلمي، بيروت، ط٢، ١٣٩٠هـ.

٣٩٩- **لطائف المعارف**، دار الجيل، بيروت.

٤٠٠- المالقي، أبو الحسن المغامري (ت٦٠٥هـ)، **الحدائق الغناء في أخبار النساء**، تحقيق: عائدة الطيبي، الدار العربية للكتاب، ليبيا.

٤٠١- مالك بن أنس (ت١٧٩هـ)، **الموطأ**، دار الآفاق الجديدة، بيروت، ط٤، ١٤٠٥هـ.

٤٠٢- الماوردي، أبو الحسن علي بن محمد (ت٤٥٠هـ)، **قتال أهل البغي**، من الحاوي الكبير، تحقيق: إبراهيم صندقجي، مطبعة المدني، مصر، ط١، ١٤٠٧هـ.

٤٠٣- المباركفوري، محمد بن عبد الرحمن (ت١٣٥٣هـ)، **تحفة الأحوذي بشرح جامع الترمذي**، مطبعة المدني، القاهرة، ط٢، ١٢٨٢هـ.

٤٠٤- المبرد، أبو العباس محمد بن يزيد (ت٢٨٥هـ)، **التعازي والمراثي**، تحقيق: محمد الديباجي، مطبوعات مجمع اللغة العربية بدمشق.

٤٠٥- **المجروحين**، تحقيق: محمود إبراهيم زيد، دار الوعي، حلب، ط١، ١٣٩٦هـ.

٤٠٦- **مجموع فتاوى شيخ الإسلام أحمد بن تيمية**، جمع وترتيب: عبد الرحمن ابن محمد الحنبلي وساعده ابنه محمد، ط الرياض، ١٣٨١هـ.

٤٠٧- **مجموعة الرسائل والمسائل**، تحقيق: محمد رشد سالم، دار المدني، جدة، ط٢، ١٤٠٥هـ.

٤٠٨- **المحبّر**، تصحيح: إيلزة إيختن، دار الآفاق الجديدة، بيروت.

٤٠٩- **المحلى**، تحقيق أحمد شاكر، دار التراث، القاهرة.

٤١٠- **مراتب الإجماع**، دار الكتب العلمية، بيروت.

٤١١- **المراسيل**، تحقيق: شعيب الأرناؤوط، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط١، ١٤٠٨هـ.

٤١٢- المراغي، أبو بكر بن الحسين (ت٨١٦هـ)، **تحقيق النصرة بتلخيص معالم الهجرة**، تحقيق: محمد عبد الجواد الأصمعي، المكتبة العلمية،

المدينة، ط٢، ١٤٠١هـ.

٤١٣- المرتضي، أحمد بن يحيى (ت٣١٠هـ)، **المنية والأمل**، تحقيق: توما أرنولد، دائرة المعارف العثمانية، الهند ط١، ١٣١٦هـ.

٤١٤- المرداوي، علاء الدين علي بن سليمان (ت٨٨٥هـ)، **التنقيح المشبع**، المكتبة السلفية، القاهرة، ط٢، ١٤٠٦هـ.

٤١٥- المرزباني، أبو عبيد الله محمد بن عمران (ت٣٨٤هـ)، **معجم الشعراء**، تحقيق: فريتس كونكو، دار الكتب العلمية، بيروت، ط٢، ١٤٠٢هـ.

٤١٦- المرصفي، **رغبة الآمل من كتاب الكامل**، دار البيان، بغداد، ط٢، ١٣٨٩هـ.

٤١٧- **مروج الذهب**، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، دار الفكر، بيروت، ط٥، ١٣٩٢هـ.

٤١٨- المروزي، أبو بكر أحمد بن علي (ت٢٩٢هـ)، **مسند أبي بكر الصديق**، تحقيق: شعيب الأرناؤوط، المكتب الإسلامي، بيروت، ط٣، ١٣٩٩هـ.

٤١٩- المروزي، محمد بن نصر (ت٢٩٤هـ)، **اختلاف العلماء**، تحقيق صبحي السامرائي، علام الكتب، بيروت، ط٢، ١٤٠٦هـ.

٤٢٠- **المزهر**، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم وصاحباه، دار التراث، القاهرة، ط٣.

٤٢١- المزي، جمال الدين أبي الحجاج يوسف (ت٧٤٢هـ)، **تهذيب الكمال في أسماء الرجال**، تحقيق: بشار عواد معروف، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط٢، ١٤٠٣هـ

٤٢٢- **مسائل الإمام أحمد، رواية ابنه صالح**، تحقيق: فضل الرحمن، الدار العلمية، الهند، ط١، ١٤٠٨هـ.

٤٢٣- **مسائل الإمام أحمد، رواية أبي داود**، دار المعرفة، بيروت.

٤٢٤- **مسائل الإمام أحمد، رواية هانئ**، تحقيق: زهير الشاويش، المكتب الإسلامي، بيروت، ط١، ١٤٠٠هـ.

- المسعودي، أبو الحسن علي بن الحسين (ت٣٤٦هـ).

٤٢٥- **المسند**، دار الفكر العربي، دمشق.

٤٢٦- **المصباح المضيء في خلافة المستضيء**، تحقيق: ناجية عبد الله إبراهيم، مطبعة الأوقاف، بغداد، ط١، ١٣٩٦هـ.

٤٢٧- **المطالب العالية بزوائد المسانيد الثمانية**، تحقيق: حبيب الرحمن الأعظمي، دار الباز، مكة.

٤٢٨- المطري، محمد بن أحمد (ت٧٤١هـ)، **التعريف بما أنست من معالم دار الهجرة**، المكتبة العلمية، المدينة المنورة، ١٤٠٢هـ.

٤٢٩- **المعجم الأوسط**، تحقيق: محمود الطحان، دار المعارف، الرياض، ط١، ١٤٠٥هـ

٤٣٠- **معجم البلدان**، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ١٣٩٩هـ.

٤٣١- **معجم الشيوخ (المعجم الكبير)**، تحقيق: محمد الحبيب الهيلة، مكتبة الصديق، الطائف، ط١، ١٤٠٨هـ.

٤٣٢- **المعجم الصغير**، تحقيق: محمد شكور، المكتب الإسلامي، بيروت، ط١، ١٤٠٥هـ.

٤٣٣- المغانم المطابة، تحقيق: حمد الجاسر، دار اليمامة، الرياض، ط١، ١٣٨٩هـ.

٤٣٤- مغني اللبيب، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، دار إحياء التراث العربي.

٤٣٥- المغني في الضعفاء، تحقيق: نور الدين عتر.

٤٣٦- المغني، تحقيق طه محمد الزيني، مكتبة القاهرة، ١٣٨٨هـ.

٤٣٧- مقاتل الطالبيين، تحقيق السيد أحمد صقر - دار المعرفة - بيروت.

٤٣٨- المقاصد الحسنة، تحقيق: عبد الله صديق، مكتبة الخانجي، القاهرة.

٤٣٩- المقتنى في سرد الكنى، تحقيق: محمد صالح عبد العزيز، مطبوعات الجامعة الإسلامية، المدينة، ط١، ١٤٠٨هـ.

٤٤٠- المقدسي، أبو عبد الله بن أبي بكر (ت٥٣٩هـ)، أحسن التقاسيم، ليدن، ١٩٠٦م.

٤٤١- المقدسي، أبو عبد الله بن أبي بكر (ت٥٣٩هـ)، العدة شرح العمدة، المطبعة السلفية، القاهرة.

٤٤٢- المقدسي، مطهر بن طاهر (ت٥٠٧هـ)، البدء والتاريخ، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة.

٤٤٣- المقري، أحمد بن محمد (ت١٠٤١هـ)، نفح الطيب في غصن الأندلس الرطيب، تحقيق: إحسان عباس، دار صادر، بيروت، ١٣٨٨هـ.

٤٤٤- المقريزي، تقي الدين أحمد بن علي (ت٨٤٥هـ)، الذهب المسبوك في ذكر حج الملوك، تحقيق: جمال الدين الشيال، مكتبة الخانجي، القاهرة، ١٣٧٤هـ.

٤٤٥- المقنع من أخبار الملوك.

٤٤٦- **مناقب الشافعي**، تحقيق: السيد أحمد صقر، دار التراث، القاهرة، ١٩٧٠م.

٤٤٧- المناوي، محمد عبد الرؤوف، (ت١٠٣١هـ)، **فيض القدير بشرح الجامع الصغير**، دار الفكر، بيروت، ط١، ١٣٩١هـ.

٤٤٨- **المنتقى في منهاج الاعتدال**، تحقيق: محب الدين الخطيب، المطبعة السلفية، مصر، ط١، ١٣٧٤هـ.

٤٤٩- المنقري، نصر بن مزاحم (ت٢١٢هـ)، **وقعة صفين**، تحقيق: عبد السلام هارون، المؤسسة العربية الحديثة، القاهرة، ط٢، ١٣٨٢هـ.

٤٥٠- **المنمق في الأخبار**، تعليق: خورشيد أحمد، عالم الكتب، بيروت، ط١، ١٤٠٥هـ.

٤٥١- **المنهل الصافي**، تحقيق: محمد أمين، الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٨٤م.

٤٥٢- **موارد الظمآن لزوائد ابن حبان**، تحقيق: محمد عبد الرزاق حمزة، المكتبة السلفية، القاهرة.

٤٥٣- **الموضوعات**، تحقيق: عبد الرحمن محمد عثمان، دار الفكر، بيروت، ط٢، ١٤٠٣هـ.

٤٥٤- **الموطأ**، تحقيق وتعليق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء الكتب العربية، القاهرة.

٤٥٥- الميداني، أحمد بن محمد (ت٥١٨هـ)، **مجمع الأمثال**، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، عيسى البابي الحلبي وشركاه، القاهرة، ١٩٧٧م.

٤٥٦- **ميزان الاعتدال**، تحقيق: علي محمد البجاوي، دار المعرفة، بيروت.

٤٥٧- النديم، أبو الفرج محمد بن أبي يعقوب (ت٣٧٨هـ)، **الفهرست**، تحقيق: رضا تجدد، طهران، ١٣٥٠هـ.

٤٥٨- **النزاع والتخاصم فيما بين بني أمية وهاشم**، تحقيق: حسين مؤنس، دار المعارف، القاهرة، ١٩٨٨م.

٤٥٩- **نزهة الألباب في الألقاب**، تحقيق: عبد العزيز السديري، مكتبة الرشد، الرياض، ط١، ١٤٠٣هـ.

٤٦٠- النسائي، أبو عبد الرحمن أحمد بن شعيب (ت٣٠٣هـ)، **سنن النسائي الصغرى**، دار الكتب، ط١، ١٣٤٨هـ.

٤٦١- **نسب معد واليمن الكبير**، تحقيق: ناجي حسن، عالم الكتب، بيروت، ط١، ١٤٠٨هـ.

٤٦٢- النعيمي، عبد القادر بن محمد (ت٩٢٧هـ)، **الدارس في تاريخ المدارس**، تحقيق: جعفر الحسيني، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، ١٩٨٨م.

٤٦٣- **نقد مراتب الإجماع لابن حزم**، دار الكتب العلمية، بيروت.

٤٦٤- **نهاية الأرب في معرفة أنساب العرب**، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤٠٥هـ.

٤٦٥- النهشلي، عبد الكريم القيرواني، **الممتع في صناعة الشعر**، تحقيق: عباس عبد الستار، دار الكتب العلمية ط١، ١٤٠٣هـ.

٤٦٦- النوبختي، الحسين بن موسى (ت٣٠٠هـ)، **فرق الشيعة**، تصحيح: ريتر، مطبعة الدولة، إستانبول، سنة ١٩٣١م.

٤٦٧- النـووي، محيـي الـدين يحيـى بـن شرف (ت٦٧٦هـ)، **شرح صـحيح مسلم**، نشر وتوزيع رئاسة البحوث العلمية والإفتاء بالمملكـة العربيـة السعودية.

٤٦٨- النويري، أحمد بن عبـد الوهـاب (ت٧٣٣هـ)، **نهايـة الأرب في فنـون الأدب**، الهيئة المصرية للكتاب، القاهرة، ١٣٩٥هـ.

٤٦٩- **نيل الأوطار**، دار الفكر، بيروت، ط٢، ١٤٠٣هـ.

٤٧٠- **هدية العارفين**، مكتبة المثنى، بغداد.

٤٧١- الهندي، علاء الدين علي (ت٩٩٥هـ)، **كنـز العمال**، تحقيق: بكر حياني، صفوت السقا، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط٥، ١٤٠٥هـ.

٤٧٢- الهندي، محمد شمس الحق، **عون المعبـود**، تحقيـق: عبـد الـرحمن محمـد عثمان، المكتبة السلفية، المدينة، ط٢، ١٣٨٨هـ.

٤٧٣- الهيتمي، أبو العباس أحمد بن محمد(ت٩٧٤هـ)، **الزواجر عـن اقـتراف الكبائر**، مكتبة البابي الحلبي، القاهرة، ط٢، ١٣٩٠هـ.

٤٧٤- الهيثمي، علي بن أبي بكر (ت٨٠٧هـ)، **مجمع الزوائد ومنبع الفوائد**، دار الكتاب العربي، بيروت، ط٣، ١٤٠٢هـ.

٤٧٥- **الوسـائل في مـسامرة الأوائـل**، دار الكتـب العلميـة، بـيروت، ط١، ١٤٠٦هـ.

٤٧٦- **الوصية الكبرى**، تحقيق محمـد الحمـود، مكتبـة ابـن الجـوزي، الـدمام، ط٢، ١٤٠٨هـ.

٤٧٧- يحيى بن معين (ت٢٣٣هـ)، **التاريخ**، دراسة وترتيب وتحقيق: أحمد محمد نور يوسف، مركز البحث العلمي، جامعة الملك عبد العزيز، جدة، ط١، ١٣٩٩هـ.

٤٧٨- اليعقوبي، أحمد بن أبي يعقوب، **تاريخ اليعقوبي**، دار صادر، بيروت.

٤٧٩- اليعقوبي، أحمد بن علي (ت٢٨٤هـ)، **البلدان**، منشورات المطبعة الحيدرية، النجف، ط٣، ١٩٧٥م.

٤٨٠- اليماني، محمد بن إبراهيم الوزير (ت٨٤٠هـ)، **الروض الباسم**، دار المعرفة، بيروت، ١٣٩٩هـ.

٤٨١- اليونيني، موسى بن محمد (ت٧٢٦هـ)، **ذيل مرآة الزمان**، دائرة المعارف العثمانية، الهند، ط١، ١٣٧٤هـ.

ثالثاً: المراجع

١- أحمد: أحمد رمضان، **الخلافة في الحضارة الإسلامية**، دار البيان العربي، بيروت، ط١، ١٤٠٣هـ.

٢- أسد، محمد، **منهاج الإسلام في الحكم**، ترجمة: منصور محمد ماضي، دار العلم، بيروت، ط٦، ١٩٨٣م

٣- الأسد، ناصر الدين، **مصادر الشعر الجاهلي**، دار الجيل، بيروت، ط٧، ١٩٨٨م.

٤- إسماعيل: محمد، **قضايا في التاريخ الإسلامي**، دار الثقافة، الدار البيضاء، ط٢، ١٩٨١م.

٥- الأعظمي، محمد مصطفى، **منهج النقد عند المحدثين**، شركة الطباعة العربية، الرياض، ط٢، ١٤٠٢هـ.

٦- **دراسات في الحديث النبوي**، المكتب الإسلامي، بيروت، ط١، ١٤٠٥هـ.

٧- الأفغاني، سعيد، **عائشة والسياسة**، دار الفكر، دمشق، ط٢، ١٣٩١هـ.

٨- الألباني، محمد ناصر الدين، **سلسلة الأحاديث الصحيحة**، المكتب الإسلامي، بيروت، ط١، ١٤٠٣هـ.

٩- **سلسلة الأحاديث الضعيفة**، المكتب الإسلامي، بيروت، ط٤، ١٣٩٨هـ.

١٠- **ضعيف الجامع الصغير**، المكتب الإسلامي، بيروت، ط٢، ١٣٩٩هـ.

١١- **صحيح الجامع الصغير**، المكتب الإسلامي، بيروت، ط٣، ١٤٠٢هـ.

١٢- **إرواء الغليل**، المكتب الإسلامي، بيروت، ط٢، ١٤٠٥هـ.

١٣- الألوسي: محمد شكري، بلوغ الأرب، تحقيق: محمد بهجة الأثري، دار الكتب العلمية، بيروت، ط٢.

١٤- أمحزون، محمد، المدينة المنورة في رحلة العياشي، دار الأرقم، الكويت/ ط١، ١٤٠٨هـ.

١٥- أمين، أحمد، فجر الإسلام، لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة، ط٨، ١٩٦١م.

١٦- يوم الإسلام، دار الكتاب العربي، بيروت، ط١، ١٩٥٢م.

١٧- الأنصاري، عبد الحميد إسماعيل، الشورى وأثرها في الديمقراطية، المطبعة السلفية، مصر، ط٢، ١٤٠٠هـ.

١٨- الأنصاري: عبد القدوس، آثار المدينة، المكتبة السلفية، المدينة، ط٣، ١٣٩٣هـ.

١٩- أيبش، يوسف، نصوص الفكر السياسي الإسلامي، دار الطليعة، بيروت، ط١، ١٩٦٦م.

٢٠- بدران، عبد القادر (ت١٣٤٦هـ)، تهذيب تاريخ مدينة دمشق، دار السيرة، بيروت، ط٢، ١٣٩٩هـ.

٢١- بدوي: إسماعيل، الشورى في الإسلام، دار الفكر، بيروت، ط١، ١٤٠١هـ.

٢٢- بدوي، عبد الرحمن، مذاهب الإسلاميين، دار العلم للملايين، بيروت، ط١، ١٩٧٢م.

٢٣- مناهج البحث العلمي، وكالة المطبوعات، الكويت، ط٣، ١٩٧٧م.

٢٤- بدوي، محمد طه، **نظام الأسرة السياسي**، ضمن كتاب مناهج المستشرقين، منشورات مكتب التربية العربي لدول الخليج، الرياض، ١٤٠٥هـ.

٢٥- بركة: عبد الغني محمد، **الشورى في الإسلام**، مجمع البحوث الإسلامية، مصر، ط١، ١٣٩٩هـ.

٢٦- بروكلمان، **تاريخ الشعوب الإسلامية**، نقله إلى العربية منير البعلبكي، بيروت، ط٣، ١٩٦٠م.

٢٧- **تاريخ التراث العربي**، تعريب عبد الحليم النجار، دار المعارف، مصر، ط٥، ١٩٨٣م.

٢٨- بطاينة، محمد ضيف الله، **دراسات وبحوث في جوانب من التاريخ الإسلامي**، مكتبة المنار، الأردن، ط١، ١٤٠٦هـ.

٢٩- البياني، منير حميد، **الدول القانونية والقانون السياسي الإسلامي**، الدار العربية للطباعة، بغداد، ط١، ١٣٩٩هـ.

٣٠- بيضون، إبراهيم، **الحجاز والدولة الإسلامية**، المؤسسة الجامعية، بيروت، ط١، ١٤٠٣هـ.

٣١- **ملامح التيارات السياسية في القرن الأول الهجري**، دار النهضة العربية، بيروت، ط١، ١٩٧٩م.

٣٢- التباني، محمد العربي، **تحذير العبقري من محاضرات الخضري**، دار الكتب العلمية، بيروت، ط٢، ١٤٠٤هـ.

٣٣- التركي، عبد الله بن عبد المحسن، **أصول مذهب الإمام أحمد**، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط٣، ١٤١٠هـ.

٣٤- التهانوي، ظفر أحمد العثماني (ت١٣٩٤هـ)، **قواعد في علوم الحديث**، تحقيق أبو غدة، مكتبة المطبوعات الإسلامية، حلب، ط٥، ١٤٠٤هـ.

٣٥- الجابري، محمد طه، **ابن خلدون بين حياة العلم ودنيا السياسية**، دار النهضة، بيروت، ط١، ١٩٨٠م.

٣٦- الجاسر، حمد، **مقتطفات من رحلة العياشي**، دار الرفاعي، الرياض، ط١، ١٤٠٤هـ.

٣٧- جلوب، جون، **امبراطورية العرب**، تعريب خيري حماد، دار الكتاب العربي، بيروت، ط١، ١٩٦٦م.

٣٨- الجميلي: خالد رشيد، **الومضات في تخريج أحاديث الديات**، دار الحرية، بغداد، ط١، ١٤٠٣هـ.

٣٩- الجنابي، خالد قاسم، **تنظيمات الجيش في العصر الأموي**، دار الحرية، بغداد، ط٢، ١٩٨٦م.

٤٠- الجوابرة، باسم فيصل، **مرويات اللعن في السنة**، مكتبة المعلى، الكويت، ط١، ١٤٠٦هـ.

٤١- جوده، جمال محمد داود، **العرب والأرض في العراق**، رسالة ماجستير بكلية الأدب في الجامعة الأردنية، ١٩٧٧م.

٤٢- حبنكة الميداني، عبد الرحمن حسن، **أسس الحضارة الإسلامية**، دار القلم، بيروت، ط٢، ١٤٠٠هـ.

٤٣- **كواشف زيوف في المذاهب الفكرية المعاصرة**، دار القلم، دمشق، ط١، ١٤٠٥هـ.

٤٤- حبيبة، علي، **دولة الأمويين**، مكتبة الشباب، القاهرة، ١٩٧٨م.

٤٥- متى، فيليب، **تاريخ العرب**، دار الكشاف، بيروت، ط٣، ١٩٦١م.

٤٦- حسن، إبراهيم حسن، **زعماء الإسلام**، مكتبة النهضة، مصر، ط٢، ١٩٦٦م.

٤٧- حسن، حسن إبراهيم، **تاريخ الإسلام**، ط٧، ١٩٦٤م.

٤٨- حسن، علي إبراهيم، **نساء لهم في التاريخ الإسلامي نصيب**، مكتبة النهضة المصرية، ط١، ١٩٧٠م.

٤٩- **التاريخ الإسلامي العام**، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، ١٩٧٧م.

٥٠- حسين، طه، **إسلاميات**، دار الأدب، بيروت، ط١، ١٩٧٦م.

٥١- حسنين، عبد المنعم، **إيران في ظل الإسلام**، دار الوفاء، مصر، ط١، ١٤٠٨هـ.

٥٢- حسين، حسين حنفي، **الفكر السياسي الإسلامي**، دار الفكر الجامعي، مصر، ١٩٧٩م.

٥٣- حسين، محمد الخضر، **رسائل الإصلاح**، دار الصلاح، الدمام، ١٩٨١م.

٥٤- **الحرية في الإسلام**، دار الاعتصام، ١٩٧٧م.

٥٥- حمادة، فاروق، **المنهج الإسلامي في الجرح والتعديل**، مكتبة المعارف، الرباط، ١٤٠٢هـ.

٥٦- حمادة، محمد ماهر، **دراسة وثقية للتاريخ الإسلامي**، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط١، ١٤٠٨هـ.

٥٧- **الوثائق السياسية للجزيرة العربية**، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط١، ١٤٠٧هـ.

٥٨- الحمصي، محمد أيوب، **منتخبات تواريخ دمشق**، تحقيق: كمال سليمان العلي، دار الآفاق الجديدة، ط١، ١٣٩٩هـ.

٥٩- الحويني، أبو إسحاق حجازي، **فصل الخطاب**، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤٠٥هـ.

٦٠- الخالدي: محمود عبد الحميد، **مباحث الاستخلاف وجوازه**، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط١، ١٤٠٥هـ.

٦١- **قواعد نظام الحكم في الإسلام**، دار البحوث العلمية، مصر، ط١، ١٤٠١هـ.

٦٢- الخراشي، عبد العزيز، **ابن الزبير والأمويين**، رسالة ماجستير، جامعة الملك سعود، ١٤٠٨هـ (لم تنشر).

٦٣- الخضري، محمد، **محاضرات في تاريخ الأمم الإسلامية**، دار الفكر.

٦٤- الخطيب، شريف صالح، **الإمام زيد بن علي**، مكتبة الفيصلية، مكة، ط١، ١٤٠٤هـ.

٦٥- الخطيب: عبد الكريم، **الخلافة والإمامة**، درا الفكر العربي، بيروت، ط١.

٦٦- الخطيب: محب الدين، **مع الرعيل الأول**، المطبعة السلفية القاهرة، ط٦، ١٣٩٢هـ.

٦٧- خلاف، عبد الوهاب، **السياسة الشرعية**، مؤسسة الرسالة، ط٤، ١٤٠٩هـ.

٦٨- خليل، عماد الدين، **دراسات في السيرة**، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط٦، ١٤٠٢هـ.

٦٩- **دراسات تاريخية**، المكتب الإسلامي، ط١، ١٤٠٣هـ.

٧٠- **في النقد الإسلامي المعاصر**، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط٣، ١٤٠٤هـ.

٧١- **لعبة اليمين واليسار**، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط٤، ١٤٠٥هـ.

٧٢- **كتابات إسلامية**، المكتب الإسلامي، بيروت، ط١، ١٤٠٢هـ.

٧٣- **في التاريخ الإسلامي فصول في المنهج والتحليل**، المكتب الإسلامي، ط١، ١٤٠١هـ.

٧٤- الخميني، آية الله (ت١٤٠٩هـ)، **كشف الأسرار**، ترجمة: محمد البنداري، دار عمان، الأردن، ط١، ١٤٠٨هـ

٧٥- دبوس: صلاح الدين، **الخليفة: توليته وعزله**، مؤسسة الثقافة الجامعية، الإسكندرية.

٧٦- دروزة، محمد عزة، **تاريخ الجنس العربي**، المكتبة العصرية، صيدا، ط١، ١٩٦٤م.

٧٧- الدميجي، **الإمامة العظمى**، دار طيبة، الرياض، ط١، ١٤٠٧هـ

٧٨- الدوري، عبد العزيز، **بحث في نشأة علم التاريخ**، دار المشرق، بيروت، ١٩٨٣م.

٧٩- **مقدمة في تاريخ صدر الإسلام**، المطبعة الكاثوليكية، بيروت، ط٢، ١٩٦١م.

٨٠- الدوري، قحطان، **الشورى بين النظرية والتطبيق**، مطبعة الأمة، بغداد، ١٣٩٤هـ، ط١.

٨١- ديورانت، ول، **قصة الحضارة**، ترجمة زكريا نجيب محمود، لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة، ١٩٤٩م.

٨٢- الراوي، ثابت إسماعيل، **العراق في العصر الأموي**، مطابع النعمان، النجف، ط٢، ١٩٧٠م.

٨٣- **تاريخ الدولة العربية**، مطبعة الإرشاد، بغداد، ١٩٧٠م.

٨٤- رضا، رشيد، **الخلافة**.

٨٥- الرفاعي، أنور، **النظم الإسلامية**، دار الفكر، بيروت.

٨٦- **الإسلام في حضارته وأنظمته**، دار الفكر، بيروت، ١٩٧٣م.

٨٧- الريحاني، أمين، **الأعمال العربية الكاملة**، المؤسسة العربية للنشر، بيروت، ط١، ١٩٨١م.

٨٨- الريس، محمد ضياء الدين، **النظريات السياسية الإسلامية**، دار التراث، القاهرة، ط٧، ١٩٧٦م.

٨٩- الزرعي، عبد الرحمن عبد الله، **رجال الشيعة في الميزان**، دار الأرقم، الكويت، ط١، ١٤٠٣هـ.

٩٠- الزركلي، خير الدين، **الأعلام**، دار القلم، بيروت، ط٣، ١٣٨٩هـ.

٩١- الزرو، خليل داود، **الحياة العلمية في الشام في القرن الأول الهجري**، دار الآفاق الجديدة، بيروت، ط١، ١٩٧١م.

٩٢- زكار، سهيل، **تاريخ العرب والإسلام**، دار الفكر، بيروت، ط٣، ١٣٩٩هـ.

٩٣- أبو زهرة، محمد، **تاريخ المذاهب الإسلامية**، دار الفكر العربي، بيروت.

٩٤- **الإمام زيد**، دار الفكر العربي، بيروت، ط١، ١٣٧٨هـ.

٩٥- أبو زيد، بكر، **طبقات النسابين**، دار الرشد، الرياض، ط١، ١٤٠٧هـ.

٩٦- زيدان، جرجي، **العرب قبل الإسلام**، منشورات دار مكتبة الحياة، بيروت، ١٩٧٩م.

٩٧- **تاريخ التمدن الإسلامي**، منشورات دار مكتبة الحياة، بيروت.

٩٨- زيدان، عبد الكريم، **أصول الدعوة**، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط٢، ١٤٠٧هـ.

٩٩- سابق، السيد، **فقه السنة**، دار الكتاب العربي، بيروت، ط٥، ١٤٠٣هـ.

١٠٠- سادلير، ج. فورستر، **رحلة عبر الجزيرة العربية عام ١٨١٩م**، ترجمة أنس الرفاعي، دار الفكر، سورية، ط١، ١٤٠٣هـ.

١٠١- الساعاتي، أحمد بن عبد الرحمن البناء (ت١٣٧٨هـ)، **الفتح الرباني**، دار إحياء التراث العربي، بيروت.

١٠٢- سالم، السيد عبد العزيز، **تاريخ الدولة العربية**.

١٠٣- السامرائي، حسام الدين، **المؤسسات الإدارية في الدولة العباسية**، دار الفكر العربي، ط٢، ١٤٠٣هـ.

١٠٤- السامرائي، خليل إبراهيم، **المظاهر الحضارية للمدينة المنورة في عصر النبوة**، مطبعة الزهراء، الموصل، ط١، ١٤٠٥هـ.

١٠٥- السباعي، أحمد، **تاريخ مكة**، نادي مكة الثقافي، ط٦، ١٤٠٦هـ.

١٠٦- سديو، **تاريخ العرب العام**، نقله إلى العربية عادل زعيتر، مكتبة البابي الحلبي، القاهرة، ط١، ١٣٧٦هـ.

١٠٧- سرور، محمد جمال الدين، **الحياة السياسية في الدول العربية الإسلامية**، دار الفكر، بيروت، ط٣، ١٣٨٦هـ.

١٠٨- سزكين فؤاد، **تاريخ التراث العربي**، ترجمة محمود فهمي حجازي، مطبوعات جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، الرياض، ١٤٠٣هـ.

١٠٩- سعدي أبو جيب، **دراسة في مناهج الإسلام السياسي**، مؤسسة الرسالة، ط١، ١٤٠٦هـ.

١١٠- السلمي، محمد صامل العلياني، **منهج كتابة التاريخ الإسلامي**، دار طيبة، الرياض، ط١، ١٤٠٦هـ.

١١١- السلومي، عبد العزيز عبد الله، **ديوان الجند**، مكتبة الطالب الجامعي، مكة، ط١، ١٤٠٦هـ.

١١٢- السيف عبد الله محمد، **الحياة الاقتصادية والاجتماعية في نجد والحجاز في العصر الأموي**، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط٣، ١٤٠٣هـ.

١١٣- شراب، محمد محمد حسن، **المدينة في العصر الأموي**، دار التراث، المدينة، ط١، ١٤٠٤هـ.

١١٤- الشريف، أحمد، **دور الحجاز في الحياة السياسية**، دار الفكر، بيروت، ط١، ١٩٧٧م.

١١٥- شريف محمد جلال، **نشأة الفكر السياسي وتطوره**، دار النهضة، مصر، ط١، ١٩٨٢م.

١١٦- شعوط، إبراهيم، **أباطيل يجب أن تمحى من التاريخ**، المكتب الإسلامي، بيروت، ط٥، ١٤٠٣هـ.

١١٧- الشكعة، مصطفى، **الأدب في موكب الحضارة الإسلامية**، دار الكتاب اللبناني، ط٢، ١٩٧٤م.

١١٨- **إسلام بلا مذاهب**، مكتبة مصطفى البابي الحلبي وشركاه، القاهرة، ط٥، ١٣٩٢هـ.

١١٩- شلبي، أحمد، **موسوعة التاريخ الإسلامي والحضارة الإسلامية**، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، ط١، ١٩٧٨م.

١٢٠- شلبي، أبو زيد، **تاريخ الحضارة الإسلامية**، مكتبة وهبة، القاهرة، ط٣، ١٣٨٣هـ.

١٢١- الشنقيطي، محمد بن أبي مدين، **صوارم الأسنة في الذب عن السنة**، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤٠٧هـ.

١٢٢- أبو شهبة، محمد محمد، **دفاع عن السنة**، دار اللواء، ط٢، ١٤٠٧هـ.

١٢٣- الشيباني، محمد إبراهيم، **خراب الكعبة**، مكتبة ابن تيمية، الكويت، ط١، ١٤٠٨هـ.

١٢٤- الشيبي، كامل مصطفى، **الفكر الشيعي**، مكتبة النهضة، بغداد، ط١، ١٣٨٦هـ.

١٢٥- الصعيدي، حازم، **النظرية الإسلامية في الدولة**، دار النهضة، مصر، ط١، ١٣٩٧هـ.

١٢٦- صقر، عبد البديع، **شاعرات العرب**.

١٢٧- طلس، محمد أسعد، **تاريخ الأمة العربية**، دار الأندلس، بيروت، ط١، ١٩٥٨م.

١٢٨ - ظهير، إحسان إلهي، **الشيعة وأهل البيت**، إدارة ترجمان السنة، باكستان.

١٢٩ - **الشيعة والتشيع**، إدارة ترجمان السنة، باكستان، ط١، ١٤٠٤هـ.

١٣٠ - عاقل: نبيه، **خلافة بني أمية**، دار الفكر، دمشق، ط١، ١٩٧٢م.

١٣١ - عباس، إحسان، **شذرات من كتب مفقودة في التاريخ**، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط١، ١٤٠٨هـ

١٣٢ - عبد العال، محمد جابر، **حركات الشيعة المتطرفين**، مطبعة السنة المحمدية، القاهرة، ط١، ١٣٧٣هـ.

١٣٣ - عبد المنعم، شاكر محمود، **ابن حجر العسقلاني ودراسة مصنفاته ومنهجه وموارده في كتابه الإصابة**، دار الرسالة للطباعة، العراق، ١٩٧٨م.

١٣٤ - العجلاني، منير، **عبقرية الإسلام وأصول الحكم**، دار النفائس، بيروت، ط١، ١٤٠٥هـ.

١٣٥ - العريني، السيد الباز، **الدولة البيزنطية**، دار النهضة العربية، القاهرة، ١٩٨٢م.

١٣٦ - العش، يوسف، **الدولة الأموية**، دار الفكر، دمشق، ط٢، ١٤٠٦هـ.

١٣٧ - عطوان، حسين، **الرواية التاريخية في بلاد الشام في العصر الأموي**، دار الجيل، بيروت.

١٣٨ - العقاد، عباس محمود، **شخصيات إسلامية (ضمن موسوعة العقاد)**، دار الفكر العربي، بيروت.

١٣٩ - **ساعات بين الكتب**، المكتبة العصرية، بيروت، ١٩٧٩م.

١٤٠ - **الديمقراطية في الإسلام**، دار المعارف، مصر، ط٤، ١٩٧١م.

١٤١- العقيلي، عمر سليمان، **يزيد بن معاوية**، الرياض، ط١، ١٤٠٨هـ.

١٤٢- علي، جواد، **المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام**، دار العلم للملايين، بيروت، ط٢، ١٩٧٦م.

١٤٣- علي : سليمان المسير، **خلفاء محمد** ﷺ، ط١، ١٩٧٣م.

١٤٤- **مختصر تاريخ العرب**.

١٤٥- علي، سيد أمير، **مختصر تاريخ العرب**، ترجمة عفيف البعلبكي، دار العلم للملايين، بيروت، ط٤، ١٩٨١م.

١٤٦- العلي، صالح، **محاضرات في تاريخ العرب**، مؤسسة دار الكتب، الموصل، ط٢، ١٩٨١م.

١٤٧- **تفسير التاريخ**، مكتبة النهضة، بغداد:

١٤٨- **دراسة في تطور الحركة الفكرية في صدر الإسلام**، مؤسسة الرسالة، ط١، ١٤٠٣هـ.

١٤٩- **التنظيمات الاجتماعية والإدارية في البصرة**، دار الطليعة، بيروت، ط٢، ١٩٦٩م.

١٥٠- علي، محمد كرد، **خطط الشام**، دار العلم للملايين، بيروت، ط٣، ١٤٠٣هـ.

١٥١- **الإسلام والحضارة الغربية**، مطبعة التأليف والترجمة، القاهرة، ط٣، ١٩٦٨م.

١٥٢- العمري، أكرم ضياء، **المجتمع المدني في عهد النبوة، الجهاد ضد المشركين**، مطبوعات الجامعة الإسلامية بالمدينة، ط١، ١٤٠٤هـ.

١٥٣- **بحوث في تاريخ السنة المشرفة**، ط٤، ١٤٠٥هـ.

١٥٤- عنان، محمد عبد الله، **مواقف حاسمة**، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط٤، ١٣٨٢هـ.

١٥٥- عواد، محمود أحمد، **الجيش والقتال في صدر الإسلام**، مكتبة المنار، الأردن، ط١، ١٤٠٧هـ.

١٥٦- العودة، سليمان بن حمد، **عبد الله بن سبأ**، دار طيبة، ١٤٠٥هـ.

١٥٧- عودة، عبد القادر، **الإسلام وأوضاعنا السياسية**، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط٧، ١٤٠٦هـ.

١٥٨- عيسى، رياض، **النزاع بين أفراد البيت الأموي**، دار حسان، ط١، ١٤٠٦هـ.

١٥٩- الغبان، محمد عبد الله، **الفتنة ومقتل عثمان بن عفان** ﷺ، رسالة ماجستير، الجامعة الإسلامية بالمدينة، ١٤١١هـ (لم تنشر).

١٦٠- غسان، هند أبو الشعر، **حركة المختار بن أبي عبيد الثقفي**، الجامعة الأردنية، عمان، ١٩٨٤م.

١٦١- غنيم، عبد العزيز، **الحسين بن علي**، دار العلوم، القاهرة، ط١، ١٣٩٦هـ.

١٦٢- غيانة، يوجينا، **تاريخ الدولة الإسلامية وتشريعها**، المكتب التجاري، بيروت، ط١، ١٩٦٦م.

١٦٣- الفاسي، محمد بن الحسين الثعالبي (ت١٣٧٦هـ)، **الفكر السامي وتطوره**، تحقيق عبد العزيز قاري، المكتبة العلمية، المدينة، ط١، ١٣٩٧هـ.

١٦٤- فامبري: أرمنيس، **تاريخ بخارى**، ترجمة أحمد الساداتي، مطابع شركة الإعلانات الشرقية.

١٦٥- فلهاوزن، **تاريخ الدولة العربية**، ترجمة محمد عبد الهادي أبو ريدة، لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة، ط٢، ١٩٨٦م.

١٦٦- فهد، بدري محمد، **شيخ الأخباريين: أبو الحسن المدائني**، مطبعة القضاء النجف، ط١، ١٩٧٥م.

١٦٧- فيصل، شكري، **حركة الفتح الإسلامي في القرن الأول الهجري**، دار العلم، بيروت، ط٤، ١٩٧٣م.

١٦٨- قاشا، سهيل، **لمحات من تاريخ نصارى العراق**، مطبعة شفيق، بغداد، ١٩٨٦م.

١٦٩- القصيمي، عبد الله علي، **الصراع بين الإسلام والوثنية**، القاهرة، ط٢، ١٤٠٢هـ.

١٧٠- قطب، سيد، **العدالة الاجتماعية في الإسلام**، دار الشروق، بيروت، ط٩، ١٠٤٦هـ.

١٧١- قطب، محمد، **حول التفسير الإسلامي للتاريخ**، المجموعة الإعلامية، ط١، ١٩٨٨م.

١٧٢- كاشف، سيدة إسماعيل، **مصادر التاريخ الإسلامي**، دار الرائد العربي، بيروت، ١٤٠٣هـ.

١٧٣- الكبيسي، عيادة أيوب، **صحابة رسول الله ﷺ**، دار القلم، دمشق، ط١، ١٤٠٧هـ.

١٧٤- كحالة، عمر رضا، **أعلام النساء**، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط٩، ١٤٠٩هـ.

١٧٥- **معجم المؤلفين**، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ١٣٧٦هـ.

١٧٦- لوبون، غوستاف، **حضارة العرب**، ترجمة عادل زعيتر، مكتبة البابي الحلبي، القاهرة، ١٩٦٩م.

١٧٧- ماجد، عبد المنعم، **التاريخ السياسي للدولة العربية**، مكتبة الأنجلو المصرية، ط٤، ١٩٧١م.

١٧٨- ماسنيون، لويس، **خطط الكوفة**، ترجمة تقي محمد المصعبي، تحقيق كامل الجبوري، مطبعة النجف، العراق، الطبعة الأولى، ١٣٩٩هـ.

١٧٩- ماهر، سعاد، **البحرية في مصر الإسلامية**، دار الكتاب العربي، القاهرة، ط١، ١٩٦٧م.

١٨٠- متولي، عبد الحميد، **مبادئ نظام الحكم في الإسلام**، مكتبة المعارف الإسكندرية، ط٣، ١٩٧٧م.

١٨١- مجموعة من العلماء، **فتاوى اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء**، قسم العقيدة، دار العاصمة، الرياض، ط١، ١٤١١هـ.

١٨٢- مدكور، محمد سلام، **معالم الدولة الإسلامية**، مكتبة الفلاح، الكويت، ط١، ١٤٠٣هـ.

١٨٣- مراد، رياض، **فهرس مخطوطات الكتب الظاهرية**، مطبوعات مجمع اللغة العربية بدمشق، ١٤٠٢هـ.

١٨٤- مردم، خليل، **جمهرة المغنين**، مطبوعات المجتمع الدمشقي، ١٣٨٤هـ.

١٨٥ - المرصفي، سعيد بن علي، **رغبة الآمل من كتاب الكامل**، دار البيان، بغداد، ط٢، ١٣٨٩هـ.

١٨٦ - المسير، محمد سيد أحمد، **المجتمع المثالي في الفكر الفلسفي**، مؤسسة علوم القرآن، دمشق، ط٢، ١٤٠٤هـ.

١٨٧ - المشهداني، محمد جاسم، **موارد البلاذري عن الأسرة الأموية**، مكتبة الطالب الجامعي، مكة، ط١، ١٤٠٧هـ.

١٨٨ - المصري، جميل محمد، **أثر أهل الكتاب في الفتن والحروب الأهلية**، مكتبة الدار، المدينة، ط١، ١٤١٠هـ.

١٨٩ - مصطفى، شاكر، **التاريخ العربي والمؤرخون**، دار العلم للملايين، بيروت، ط١، ١٩٧٨م.

١٩٠ - مصطفى، صالح لمعي، **المدينة المنورة تطورها العمراني وتراثها المعماري**، بيروت، ط١، ١٩٨١م.

١٩١ - المعلمي، عبد الرحمن بن يحيى اليماني (ت١٣٨٦هـ)، **الأنوار الكاشفة**، المكتب الإسلامي، بيروت، ط٢، ١٤٠٥هـ.

١٩٢ - **التنكيل**، المكتب الإسلامي، ببيروت، ط٢، ١٤٠٦هـ.

١٩٣ - المنجد، صلاح الدين، **معجم بني أمية**، دار الكتاب الجديد، بيروت، ط١، ١٩٧٠م.

١٩٤ - **شعر يزيد بن معاوية**، دار الكتاب الجديد، بيروت، ط١، ١٩٨٢م.

١٩٥ - الموسوي، مصطفى عباس، **العوامل التاريخية لنشأة وتطور المدن العربية والإسلامية**، دار الرشيد، بغداد، ط٧١، ١٩٨٢م.

١٩٦- الموسوي، موسى، **الشيعة والتصحيح**، ط١، ١٤٠٨هـ.

١٩٧- الناظور، شحادة، **عبد الله بن الزبير والانتفاضة الثورية في عهد بني أمية**، دار ابن رشد، الأردن، ١٩٨٤م.

١٩٨- ابن نبي، مالك، **وجهة العالم الإسلامي**، ترجمة عبد الصبور شاهين، دار الفكر، سوريا، ط١، ١٩٨١م.

١٩٩- النَّجار، محمد الطيب، **تاريخ العالم الإسلامي**، الدولة الأموية في الشرق، مكتبة المعارف، الرياض، ١٤٠٦هـ.

٢٠٠- ندوي، شاه معين، **تاريخ الإسلام**، مطبعة المعارف، مصر، ط٦، ١٣٩٦هـ.

٢٠١- أبو النصر، عمر، **سيوف أمية في الحرب والإدارة**، المكتبة الأهلية، بيروت، ١٩٦٣هـ.

٢٠٢- النواوي، عبد الخالق، **العلاقات الدولية والنظم القضائية في الإسلام**، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٣٩٤هـ.

٢٠٣- هداره، محمد مصطفى، **اتجاهات الشعر العربي في القرن الثاني الهجري**، المكتب الإسلامي، بيروت، ط١، ١٤٠١هـ.

٢٠٤- ويدجري، آلبان. ج، **التاريخ وكيف يفسرونه**، ترجمة عبد العزيز جاويد، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٧٢م.

٢٠٥- اليوزبكي، توفيق سلطان، **دراسات في النظم العربية والإسلامية**، جامعة الموصل، ١٣٩٧هـ.

٢٠٦- يوسف، حسين محمد، **الحسين سيد شباب أهل الجنة**، دار الشعب، القاهرة.

رابعاً: الدوريات

١- الأفغاني، سعيد معاوية في الأساطير، نشر ضمن بحوث المؤتمر الدولي لتاريخ بلاد الشام، ١٣٩٤هـ.

٢- بطاينة، محمد ضيف الله، وصول بني أمية لمنصب الخلافة، مجلة الجامعة الإسلامية، المدينة المنورة، العدد، ٨٣، ٨٤.

٣- الجاسر، حمد، المؤلفات في تاريخ المدينة، مجلة العرب، ح٢، ح٣، ح٥.

٤- خليل: عماد الدين، كيف نكتب التاريخ الإسلامي، مقال، جريدة الشرق الأوسط، العدد (٤٣٣٩).

٥- الدوري، عبد العزيز، العرب والأرض في بلاد الشام في صدر الإسلام، بحث مقدم للمؤتمر الدولي لتاريخ بلاد الشام، الجامعة الأردنية، الدار المتحدة للنشر، ط١، ١٩٧٤م.

٦- كتب الأنساب وتاريخ الجزيرة العربية، بحث مقدم للندوة العالمية الأولى لدراسات تاريخ الجزيرة العربية، ١٣٩٧هـ.

٧- زلهايم، رودلف، فتنة عبد الله بن الزبير، مجلة المجمع العربي الدمشقي، ح٤٩، ٤.

٨- شاكر، محمود، الأمويون والتاريخ، مجلة كلية العلوم الاجتماعية بجامعة الإمام محمد بن سعود، العدد السادس، ١٤٠٢هـ.

٩- طرخان، إبراهيم علي، الجزيرة العربية في كتب السير والتراجم، بحث مقدم للندوة العالمية لدراسات تاريخ الجزيرة العربية ١٣٩٧هـ.

١٠- العلي، صالح، مصادر دراسة الكوفة في القرون الإسلامية الأولى، بحث ضمن مجلة المجمع العلمي العراقي، العدد (٢٤) ١٣٩٤هـ.

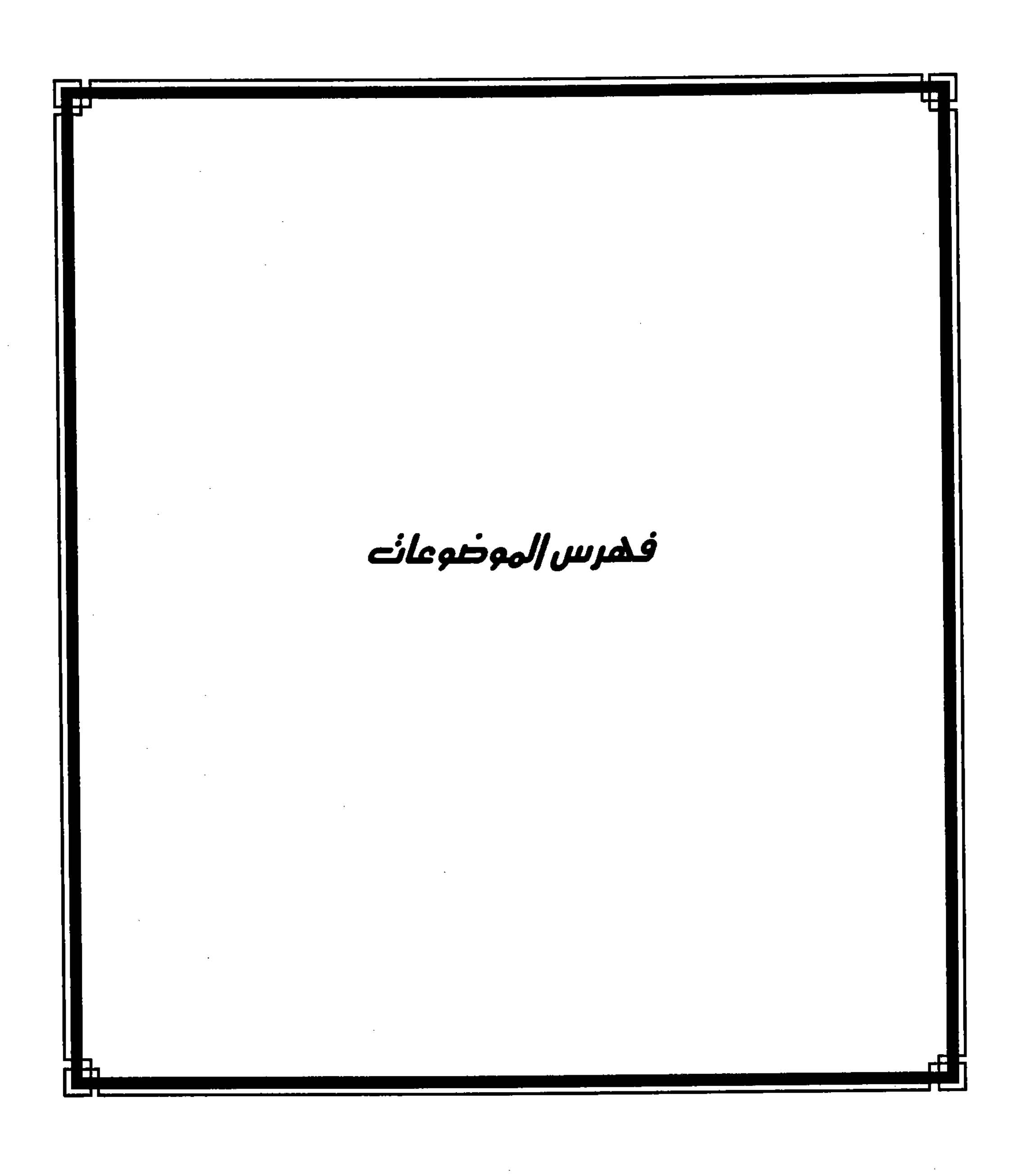
١١- إدارة الحجاز في العصور الإسلامية الأولى، مجلة الأبحاث، الجامعة الأمريكية، بيروت، ١٩٦٨م.

١٢- امتداد العرب في صدر الإسلام، مجلة المجمع العراقي، ح٣٢.

١٣- عويس، عبد الحليم، ابن خلدون وزيادته لعلم تفسير التاريخ، مجلة البحوث الإسلامية، عدد ١٥، ١٤٠٦هـ.

١٤- غنيم، حامد، الأسرة الأموية بين القيم الإسلامية، والاعتبارات السياسية، مجلة العلوم الاجتماعية (بجامعة الإمام محمد بن سعود) عدد (٤) عام ١٤٠٠هـ.

١٥- ناجي، عبد الجبار، تتبع تاريخي لمحاولة ابن خلدون إعادة كتابة التاريخ، مجلة المؤرخ العربي، عدد (٢٢) ١٩٨٢م.



فهرس الموضوعات



فهرس الموضوعات

